مصر القديمة

تأليف
سليم حسن

الجزء السادس عشر

من عهد بطليموس الخامس إلى نهاية عهد بطليموس السابع
مع فصل فى عبادة الحيوان فى العهود المتأخرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٤

تمهيد

تحدثنا فى الجزء السابق من هذه الموسوعة عن أمجد عصر وصلت إليه البلاد المصرية فى عهد ملوك البطالمة الأول ، فقد بلغت أقصى مدى عزها وسلطانها فى عهد « بطليموس الثانى » واستمرت تدرج فى معارج السؤدد فى الشرق حتى نهاية حكم العاهل العظيم « بطليموس الثالث » الذى كاد يسيطر على كل بلاد الشرق فى باكورة حكمه لولا هبوب ثورة فى أرض الكنانة أوقفت زحفه المظفر على أملاك السليوكيين ؛ ومن أجل ذلك عاد إلى مصر فجأة ليطفىء نار هذه الثورة التى لم يكن يتوقع هبوبها ؛ وعلى الرغم من الحروب المظفرة التى قام بها هذا العاهل على « أنتيوكوس الثالث » وما أظهره من نشاط علمى واجتماعى ودينى فى كل أنحاء البلاد فان بوادر الانحلال والانحدار والانقسام قد بدت تظهر فى البلاد بسبب ما كان يكنه المصريون أهل البلاد من حقد وكراهية لأولئك الأجانب الذين سلطهم عليهم ملوك البطالمة فساموهم سوء العذاب بابتزاز الأموال وأعمال السخرة حتى طفح الكيل ولم يبق فى القوس منزع . وقد كان المصريون يتحينون الفرص للتخلص مما حاق بهم من ظلم وإجحاف . والظاهر مما سبق أن نهاية عهد « بطليموس الثالث » كان بداية انحدار سلطان البطالمة نحو الهاوية التى أخذوا يتردون فيها

رويداً رويداً حتى جاء يومهم الموعود . ولولا صلابة عود « بطليموس الثالث » وما أوتيه من قوة شكيمة وحسن سياسة لاشتدت المقاومة وساءت الأحوال إلى أقبح مما كانت عليه . ومن أجل ذلك فانه لم يكد يوارى التراب رفات « بطليموس الثالث » هذا ، حتى أخذت علامات الوهن والضعف تظهر فى داخل مصر وخارجها وبخاصة أنه قد تولى عرش البلاد بعده طفل صغير لا حول له ولا قوة وهو « بطليموس الرابع » ، فطمع فى ملكه ملوك البلاد الهيلانستيكية المجاورة . وفى نفس تلك الفترة برزت روما فى عالم سياسة الشرق وادعت الوصاية على ملك مصر فكانت حرباً على أعدائه . وحامية له . ولقد كان من حسن حظ مصر وقتئذ أن ساعدتها الأحوال السياسية فصدت غزو « أنتيوكوس الثالث » عن مصر وهزمته هزيمة منكرة فى موقعة « رفح » التى تعتبر من المواقع الحاسمة فى تاريخ الشرق القديم عامة وفى تاريخ مصر خاصة . فقد قضت على آمال « أنتيوكوس » وأطماعه فى مصر ، وأصبحت معرة له فى كل الشرق ؛ أما فى مصر فقد جاءت نتيجة هذه الموقعة ذات حدين ، وذلك لأنها قضت على خطر الغزو الأجنبى الذى كان يهدد كيان مصر كدولة مستقلة من جهة ، ولكن من جهة أخرى أتاحت لأبناء البلاد المصريين الذين اشتركوا للمرة الأولى فى عهد البطالمة فى حروب مصر الخارجية أن يخرجوا من غمار هذه الموقعة ولواء النصر معقود فوق رءوسهم ، ومن ثم أخذوا يحسون بمكانتهم فى جيش البطالمة الذى كان يتألف حتى ذلك الوقت من جنود أجانب مرتزقة من الإغريق والمقدونيين . أضف إلى ذلك ما كان

يقاسيه هؤلاء الجنود هم وأبناء جلدتهم من ظلم وخسف وسوء معاملة وامتهان في كل مرافق الحياة على أيدى الحكام الأجانب الذين كانوا يسيطرون على زمام الأمور في البلاد جميعاً . وبهذه الأحاسيس والمشاعر أخذ الجنود المصريون الذين أسهموا في إحراز النصر في معركة « رفح » يقلبون ظهر المجن لحكام البلاد الأجانب ، وبدأوا يدبرون الفتنة للتخلص من نير الحكم الأجنبي وبخاصة عند ما علموا أثناء موقعة « رفح » أن الجنود الإغريق قد برهنوا على خيانتهم وتخاذلهم . ومن الغريب أن رجال بلاط البطالمة كانوا يعرفون تمام المعرفة أن المواطنين المصريين كان لا يؤمن لهم جانب ، ولا يمكن الاعتماد على اخلاصهم ، غير أن مقتضيات الأحوال كانت قد اضطرتهم إلى أن يجندوهم في جيشهم العامل للمرة الأولى في تاريخ البطالمة ، وكان في ذلك الطامة الكبرى على حكم البطالمة . فقد اندلعت نار الفتنة بين رجال الجيش المصرى العائدين من ميدان القتال على الحكم البطلمى وامتد لهيبها بين كل طبقات المصريين الذين كانوا ينتظرون هذه الفرصة ليخلصوا أنفسهم من ويلات الحكم الأجنبي ومظالمه التي أصبحت تزداد على مر الأيام . وكانت الأحوال مهيئة لهم وقتئذ في الداخل والخارج . وذلك أن « بطليموس الرابع » في آخر أيامه كان قد أصبح رجلا مسلوب الارادة يعيش في عالم سداه الفسق ولحمته الفجور ، وتحيط به حاشية سلبته كل قوة وسلطان . وفي النهاية نسمع فجأة أن « بطليموس الرابع » وزوجه « أرسنوى » قد أعلنت وفاتهما ، وأن « بطليموس الخامس » ابنهما قد تولى عرش البلاد وهو لا يزال في طفولته عام

٢٠٥ ق . م . وكان الوصى عليه أسرة « أجاتوكليس » التى ضربت المثل الأعلى فى الفجور والظلم والخلاعة ، وبخاصة أنها اتهمت بقتل الملكة « أرسنوى» زوج «بطليموس الرابع» مما أحفظ الشعب الاسكندرى عليها ، وكان أول عمل قام به الاسكندريون هو القضاء على هذه الأسرة بأبشع صورة تدل على منتهى التفنن فى التنكيل والتعذيب . ولما كانت البلاد المصرية وقتئذ مهددة بخطر غزو ملك سوريا « أنتيوكوس الثالث » فان الاسكندريين نصبوا وصياً كانوا يثقون فيه يدعى « تليبوليموس » وكانوا يظنون أنه كان رجل حرب وسياسة ، غير أنه لم يلبث أن فضح أمره وتكشفت الأحوال عن أنه رجل فسق وخلاعة ، وأنه ليس بالرجل الكفء لمواجهة الأحداث والمخاطر التى كانت تهدد البلاد فى الداخل والخارج . ففى الداخل قام المصريون الوطنيون بثورة عارمة كانوا قد بدأوا باشعالها فى نهاية حكم « بطليموس الرابع » واستمروا فى تغديتها وتنظيم صفوفها حتى أصبحت شراً مستطيراً على حكم البطالمة ؛ وبخاصة عند ما نعلم أن الثوار قد أقاموا لأنفسهم حكومة ونصبوا عليها ملكاً يقودهم فى ساحة القتال للقضاء على الاستعمار البطلمى الذى نزف دماء الاهلين . وفى الخارج نجد أن « أنتيوكوس الثالث » ملك سوريا و « فليب » ملك مقدونيا قد تآمرا سوياً على تقسيم مصر وأملاكها . وفعلا إنقض « فليب » على ممتلكات مصر المجاورة له فاستولى على تراقيا ثم توالت فتوحاته فى بحر « إيجا » و «آسيا الصغرى » . وعلى أية حال كانت خسارة مصر عظيمة إذ لم يبق تحت سلطانها فى تلك اللحظة من أملاكها فى «آسيا الصغرى » إلا

« أفيسوس » أما « أنتيوكوس الثالث » فانه بسبب سوء الأحوال فى مصر كان فى حل من مهاجمة « سوريا الجوفاء » والاستيلاء عليها . وفعلا سار فى زحفه حتى أصبح على أبواب أرض الكنانة ، وقد عزيت سرعة تقدمه إلى عدم كفاءة « تليبوليموس » ومجونه ، فعزله أهل الإسكندرية ، وولوا مكانه وصيين هما « أريستومين » قائد الحرس و « سكوبوس » رئيس القرصان الأتولى المنبت . وقد نجح الأخير فى الاستيلاء على « سوريا الجوفاء » ثانية ، غير أن « أنتيوكوس » لم يلبث أن استردها ثانية .

وكان من جراء ذلك أن قامت العداوة والبغضاء بين الوصيين وانتهى الأمر بقتل « سوكوبوس » الذى كان قد جمع ثروة طائلة مما أدى إلى إفلاس خزينة الدولة . وعلى أية حال نجد أن السلام قد خيم على ربوع الإسكندرية وعندئذ انتهز « أريستومنيس » هذه الفرصة وأعلن بلوغ الملك سن الرشد ، وكان قصده الأول تخليص « بطليموس الخامس » من نير الوصاية الرومانية

وبعد ذلك توج « بطليموس الخامس » للمرة الأولى فى العهد البطلمى فرعوناً على مصر على الطريقة المصرية القديمة ، وكان الغرض الأول من هذا التتويج الفرعونى الصبغة هو إرضاء الشعب المصرى الذى كان يتمسك بمصريته وقوميته طوال عهود تاريخية . وقد كان فى تنفيذ هذا العمل الجليل إرضاء لرجال الدين بوجه خاص لأنهم كانوا دائماً المسيطرين على مشاعر الشعب وتوجيهه من الوجهة الدينية . وقد كان رجال بلاط الإسكندرية يبتغون من وراء ذلك اخماد نار الثورة التى كانت قد بدأت فعلا فى عهد

« بطليموس الرابع » ، غير أنه فى هذه اللحظة تحدثنا الوثائق عن ظهور بطل مصرى يدعى « خورمخيس » فى إقليم طيبة أخذ يقود الثورة التى كانت من قبل قاصرة على الوجه البحرى . وفى هذه الأثناء أخذ رجال البلاط الاسكندرى يلعبون الدور الميكافيللى المشهور وهو فرق تسد بين كهنة الوجه القبلى وبين كهنة طيبة . وعلى أية حال تحدثنا الأخبار أن الملك حاصر الثوار فى الوجه البحرى فى بلدة « ليكوبوليس » وقضى عليهم ، وبعد ذلك أرسل جنوداً لقمع الثورة فى الوجه القبلى ، غير أن الملك لما رأى الأمور أخذت تتحرج فى البلاد بدأ يستميل رجال الدين بوجه خاص فأصدر المرسوم الشهير الآن بحجر رشيد فى ٢٧ مارس عام ١٩٦ ق . م ونقرأ فيه أن الملك أغدق على الكهنة من الانعامات والهبات وحبس الأوقاف على المعابد مما جعلهم ينحازون إلى جانبه بل ويساعدونه عيناً جهاراً على الثوار . وهذا المرسوم فضلا عما جاء فيه لارضاء رجال الدين نجد فيه ما ينم عن ميل الملك وبلاطه لإرضاء الشعب بتخفيف الضرائب والعفو عن المذنبين والنزول عن الضرائب المتأخرة ، والاهتمام بالحيوانات المقدسة وعبادة الآلهة وإحياء الشعائر الدينية المصرية القديمة . وقد نشر هذا المرسوم بلغات ثلاث وهى الهيرغليفية والديموطيقية واليونانية لتكون فائدته وأخباره عامة بين الناس .

على أنه فى الوقت الذى كانت تدور فيه رحى الحروب الداخلية فى البلاد ، كانت علاقات مصر مع الممالك المجاورة لها على أسوأ ما يكون وبخاصة مع « أنتيوكوس الثالث » فانه كان يرغب فى السيطرة على مصر لولا تدخل

روما وقتئذ بعد انتصارها على « فليب » ملك مقدونيا عدوها العتيد . وقد استسلم « أنتيوكوس » لارادة « روما » التى كانت تريد وقتئذ من جانبه فرض وصايتها على مصر ، وبخاصة عند ما نعلم أنه قد حدثت فتنة فى جيش « أنتيوكوس » . غير أن الأخير لم يلبث أن استرد ثقته بنفسه وتحالف مع « هنيبال » عدو روما اللدود . وأخذ يعمل على التحالف مع مصر من جديد عن طريق المصاهرة وفعلا زوج ابنته « كليوباترا » من « بطليموس الخامس » وبذلك زعم أن السلام سيسود بين الأسرتين ويقصى نفوذ روما عن مصر . وقد قدم « أنتيوكوس » مهراً لابنته « سوريا الجوفاء » غير أن هذا المهر كان مثاراً للمناقشات والمخاصمات بين البلدين بسبب غموض الوثيقة الخاصة بهذا المهر . وقد تم هـــذا الزواج فى شتاء عام ١٩٣ — ١٩٢ ق . م فى بلدة « رفح » وقد دلت الحوادث على أن هذه المصاهرة لم تكن فى صالح « أنتيوكوس » وأسرته بل كانت على عكس المطلوب وبخاصة عند ما أرادت مصر الاستيلاء على « سوريا الجوفاء » مهر « كليوباترا » إبنة « أنتيوكوس » . وفى تلك الفترة مات « أنتيوكوس الثالث » وتولى بعده ابنه « أنتيوكوس الرابع » كما توفى « بطليموس الخامس » وتولى بعده « بطليموس السادس » وهو لا يزال طفلا تحت وصاية الملكة « كليوباترا » عام ١٨٠ ق . م . وقد آثرت الأخيرة مهادنة روما ومحالفتها والبقاء على الولاء لها للمحافظة على ملك ابنها مما برهن على بعد نظرها . وقد ظلت كذلك حتى حضرها الموت وهى لا تزال غضة الاهاب . وعلى أثر وفاة هذه الملكة وقع ابنها « بطليموس الصغير » فى

قبضة وصيين هما الخصى « يولاوس » وعبد آخر يدعى « لناوس » وهو من أصل سورى .

ومما يؤسف له أن هذين الوصيين قد عملا على تدريب الملك الصغير على أنواع الخلاعة والفجور وبذلك خلا لهما الجو فى حكم البلاد . وعلى أثر بلوغ « بطليموس السادس » السن القانونية أعلن الوصيان تقليده حكم البلاد كما أعلنا زواجه من أخته « كليوباترا » التى لقبت « كليوباترا الثانية » ، وقد اتخذ هذان الوصيان هذه الخطوة تخلصاً من الوصاية الرومانية . وعلى أية حال لم يمض طويل زمن على هذا الزواج حتى قامت منازعات بين « بطليموس السادس » و « أنتيوكوس الرابع » على « سوريا الجوفاء » التى كانت مصر تعتبرها مهراً « لكليوباترا الأولى » وقد انتهى الأمر بقيام حرب انتهت بهزيمة مصر واستيلاء « أنتيوكوس » عليها وأعلن نفسه ملكاً عليها . غير أن أهالى الإسكندرية لم يرضوا بذلك ، فولوا أخ الملك المخلوع وهو « بطليموس السابع » عرش الملك وأعلنوا خلع « بطليموس السادس » وعدم الاعتراف بأنتيوكوس . ولما علم « أنتيوكوس الرابع » الذى كان وقتئذ فى « منف » بالأحداث التى وقعت فى الإسكندرية ثار ثائره وأخذ يسير على حسب سياسة جديدة ؛ فقد أعلن أنه يريد إعادة « بطليموس السادس » إلى عرشه فحاصر مدينة الإسكندرية . وقد انتهى هذا الحصار باعادة « بطليموس السادس » إلى عرش الملك ثم غادر « أنتيوكوس » البلاد المصرية تاركاً حامية قوية فى بلوز ليبقى الباب مفتوحاً أمامه إذا حدثت أحداث جديدة تدعو إلى عودته .

وقد رأى « فيلومتور » أن من الخير له ولبلاده أن يتفق مع أخيه « بطليموس السابع » ، وانتهى الأمر بأن حكما البلاد معاً . غير أن هذا الاتفاق الذى حدث بين الأخوين لم يرض « أنتيوكوس الرابع » فزحف بجيشه على مصر وفرض شروطاً مجحفة حدد لها موعداً ؛ ومن ثم استجارت مصر بجيرانها وبروما خاصة فخضع « أنتيوكوس » لتهديدات مجلس الشيوخ .

غير أن دوام الوئام بين الأخوين لم يدم طويلا ، ومن ثم قامت الحروب والفتن بينهما وامتد أجلها مدة طويلة إلى أن مات « بطليموس السادس » بعد أن ضم سوريا إلى مصر وأصبحت مملكة واحدة لمدة من الزمن . وقد لعبت « روما » فى خلال ذلك دوراً مشيناً بين الأخوين كان الغرض منه تمهيد السبيل للاستيلاء على مصر .

وعلى أية حال فان عهد انفراد « بطليموس السابع إيرجيتيس » بالحكم بعد وفاة « بطليموس السادس » قد تميز بطابع جديد فى حكم البلاد إذ نجده بعد زواجه من أخته « كليوباترا الثانية » أشركها معه فى حكم البلاد فعلا ولم يمض طويل زمن حتى تزوج من ابنة « كليوباترا الثانية » بعد أن افترعها غصباً وهى التى تعرف باسم « كليوباترا الثالثة » وأشركها كذلك معه فى الحكم . وقد قامت منازعات وخلافات فى طول البلاد وعرضها بسبب ذلك مما أدى إلى انقسام البلاد شطرين أحدهما يدين بحكم « كليوباترا الثانية » والآخر يدين بحكم « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثالثة » . وقد انتهى الأمر بعد وقوع مآس عدة بالصلح بين الطرفين وأصبح كل من « بطليموس

السابع » و « كليوباترا الثالثة » و « كليوباترا الثانية » يحكم البلاد ثانية بوصفه ملكاً وقد كانت هذه أول ظاهرة نرى فيها المرأة تحكم جنباً لجنب مع ملك البلاد فى أرض الكنانة بصورة فعلية . وسنرى فيا بعد أن هذه الحالة قد استمرت حتى نهاية العهد البطلمى أى فى عهد « كليوباترا العظيمة » .

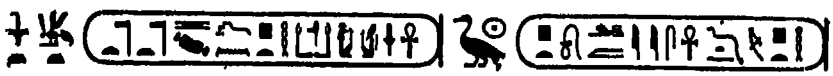
على أن أبرز ما يشاهد فى عهد كل من « بطليموس » الخامس والسادس والسابع الذى انتهى عام ١١٦ ق . م هو سير البلاد نحو الهاوية ويرجع السبب فى ذلك إلى تدخل الرومان فى شؤون مصر والعمل على السيطرة عليها . ويعزى ذلك إلى ضعف ملوكها وانحلال أخلاقهم واستسلامهم ، يضاف إلى ذلك استيقاظ الشعور القومى فى البلاد وقيام الثورات على حكام البطالمة مما أدى إلى تمزيق أوصال البلاد حتى أصبحت الفوضى ضاربة أطنابها فى كل المدن والقرى على السواء .

وعلى الرغم من سوء أحوال مصر فى الداخل وفى الخارج نجد أنه فى عهد هؤلاء الملوك الثلاثة كانت تقام المبانى الدينية العظيمة التى لا تزال باقية حتى الآن وبخاصة معبد أدفو ومعبد كوم أمبو ومعبد الفيلة وغيرها من روائع الآثار المصرية وقد امتدت الاصلاحات الدينية فى عهد هؤلاء الملوك فضلا عن ذلك إلى بلاد النوبة ؛ غير أن الفضل فى ذلك يرجع إلى ما كان للكهنة المصريين من نفوذ وسلطان فى البلاد وإلى ما كان يبذله هؤلاء الملوك من هبات عظيمة لإرضاء هؤلاء الكهنة بأية وسيلة لما لهم من قوة ونفوذ فى كل

أنحاء البلاد . وهكذا نجد أن المصرى حتى فى أقسى حالات الاستعمار كان يثبت وجوده ، وقد ظل كذلك حتى الفتح العربى .

ومن الظواهر الملموسة فى هذا العهد أنه على الرغم من محاولة إرضاء المصريين باصلاح القوانين وسن التشريعات الجديدة نرى أن الأحوال كانت تسير من سىء إلى أسوأ ويرجع السبب فى ذلك إلى كراهية أهل مصر ونفورهم من الحكام الأجانب الذين كان قد دب فى أخلاقهم الفساد من كل الوجوه حتى أصبح كل إصلاح لا قيمة له . وحتى بين المصريين أنفسهم نجد أنه على الرغم من روح المقاومة أخذ دبيب الانحطاط يتفشى بين طبقات الشعب وانحطت القيم الأخلاقية والدينية وأخذت الخرافات والأساطير تحل محل الدين ، وأبرز شىء يدل على ذلك أن القوم أخذوا يغالون فى عبادة الحيوان لدرجة السخف حتى أنه قد أصبح فى كل بيت حيوان يعبد أو يقدس ومن ثم خرجت عبادة الحيوان عن مغزاها الأصلى ، ومن أجل ذلك أفردنا باباً خاصاً عن عبادة الحيوان فى العهد المتأخر عامة وبخاصة عبادة العجل « أبيس » والعجل « منفيس » والعجل « بوخيس » . وعلى الرغم مما جاء من غموض فى عبادة الحيوان فى تلك الفترة فقد حاولنا وضع بعض النظريات إلى أن تكشف لنا أعمال الحفر ما يميط اللثام عن النقاط المبهمة فى هذا الموضوع العويص .

عصر بطليموس الخامس



(وارث الإلهين المحبين لوالدهما ، والمختار من « بتاح » روح (كا) رع (القوية وصورة أمون الحية) ابن رع (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح)

مدة حكمه : تدل آخر البحوث على أن هذا الملك حكم من ٢٨ نوفمبر عام ٢٠٥ ق . م حتى ٢٠ مايو عام ١٨٠ ق . م .

حالة البلاد قبل تولى بطليموس الخامس عرش الملك

كان آخر ما ذكرناه فى الجزء السابق من هذه الموسوعة أن بطليموس الرابع أصبح فى آخر أيامه مسلوب الإرادة خاضعاً لسلطان أسرة «أجاتوكليس» التى ضربت الرقم القياسى فى فنى الدعارة والخلاعة . والواقع أن «أجاتوكليس» وأخته « أجاتوكليا » هما اللذان كانا يقبضان على زمام الحكم فى داخل البلاد وخارجها يعاونهما فى ذلك وزيره الماكر « سوسيبيوس » الذى كان الضلع الكبير فى السياسة والحرب وحياكة المؤامرات على كل من كان يشتم منه رائحة أية قوة أو نفوذ فى البلاد مهما كانت علاقته مع بطليموس . والواقع أنه هو الذى ساعد على قتل الملكة « ارسنوى » بعد أن وضعت ذكراً أصبح

وريثاً للعرش، ومن ثم خاف سوسيبيوس نفوذها فى المستقبل عندما تصبح وصية على إبنها بعد وفاة والده . وهكذا نجد أن إعلان موت بطليموس الرابع وزوجه « ارسنوى الثالثة » — التى لم تكن مريضة — كلن يحيطه الشك والغموض كما شرحنا ذلك من قبل فى الجزء الخامس عشر من هذه الموسوعة (ص٤٥٩ — ٤٦٥) . وكان هذا الحادث الغريب بل الفريد فى بابه فى تاريخ البطالمة سبباً فى هياج الشعب الإسكندرى . غير أن « أجاتوكليس » استطاع تهدئة الثائرين عليه وعلى أسرته وعلى « سوسيبيوس » إلى حين . وفى تلك الأثناء توفى « سوسيبيوس » بالشيخوخة وهو الذى كما ذكرنا آنفاً قد ارتكب جرائم فظيعة طوال مدة وزارته . وعلى أية حال فانه بعد موت هذا الأثيم خلا الجو لزميله « أجاتوكليس » وأسرته .

وتدل كل الظواهر على أن أسرة « أجاتوكليس » هذه قد أصبحت الحاكمة فى البلاد دون منازع باسم الطفل « بطليموس الخامس » وهو الذى عرف فيما بعد باسم « إبيفانس » (الظاهر) . وقد توصل « أجاتوكليس » إلى القبض على زمام الأمور فى داخل البلاد بما بذله من مال وفير فى سبيل ذلك . فقد حدثنا المؤرخ المعاصر لهذا الملك وهو « بوليبيوس » فى هذا الصدد فاستمع لما يقول : إن « أجاتوكليس » بعد أن وارى رفات الملك « بطليموس الرابع » وزوجه « ارسنوى الثالثة » فى المدافن الملكية، أمر بوقف الحداد ، ثم وزع أولا على الجنود مرتب شهرين كاملين ، وذلك لأنه كان مقتنعاً بأن قوة المال لدى السواد الأعظم من الناس كفيلة بمحو ما فى نفوسهم من بغضاء وكراهية . وبعد أن هدأت النفوس بهذه الكيفية بين رجال الجيش أملى عليهم صيغة اليمين الذى كانوا قد تعودوا حلفه عند إعلان تولى ملك جديد

عرش الملك . أما خطوته الثانية التي دبرها لسلامة الأحوال في الداخل فكانت تدل على بعد النظر . وآية ذلك أنه أبعد « فيلامون » الذي كان قد أخذ على نفسه الاشراف على قتل الملكة « ارسنوى الثالثة » فعينه حاكماً على إقليم « لوبيا » أو بعبارة أخرى « كرنيقا » . أما الملك الطفل فقد وكل أمر تنشئته والعناية به لأمه « أونانثا » وكانت امرأة جبارة ، ولأخته « أجاتوكليا » حظية الملك السابق المفضلة .

بعد ذلك فكر في أن يعمل على أن يصفو له الجو تماماً من كل من يخاف شره أو خيانته . ومن ثم أرسل « بيلوبس» (Pelops) بن «بيلوبس» إلى آسيا على زعم أن يكون على مقربة من الملك « انتيوكوس الثالث » ، وذلك لأجل أن يطلب إليه اتباع سبيل الود والمصافاة مع مصر ، وألا يخرق حرمة الاتفاقات التي كان قد أوثقت عراها مع والد الطفل الذي يتربع على العرش الآن . هذا ونرى « أجاتوكليس » بعد ذلك يرسل « بطليموس » بن « سوسيبيوس » إلى « فيليب » ملك مقدونيا ليطلب إليه أن يمد يد المساعدة لمصر إذا ما هاجمها « أنتيوكوس » خارقاً بذلك حرمة المعاهدات المبرمة بينه وبين مليكها السابق . هذا ويقال أنه كلف كذلك باتمام مسألة الزواج . غير أن العبارة التي جاءت عن هذا الزواج غامضة ، وذلك لأن « بطليموس » لم يكن وقتئذ في سن الزواج من جهة ، هذا إلى أن « فيليب » من جهة أخرى لم تعرف له ابنة لتتزوج . يضاف إلى ذلك أن « أجاتوكليس » أرسل « بطليموس » ابن « إجيساركوس » (Agesarcos) إلى مجلس شيوخ الرومان وأومأ إليه بألا يتعجل إتمام المأمورية التي كلف بها ، بل أفهمه أنه عند ما يستقر به المقام في بلاد اليونان في طريقه ويقابل هناك الأهل والأصدقاء عليه أن يبقى هناك .

والواقع أن « أجاتوكليس » كان يقصد من ابعاد هؤلاء الشخصيات هو لأجل أن يتخلص من جميع أولئك الرجال البارزين الذين كان يخشى معارضتهم ، وذلك لأنهم كانوا يعرفون مخازيه . وقد كان آخر من أبعده عنه «سكوباس» الأتولى ، فقد أرسله إلى بلاد الإغريق بحجة تجنيد جنود مرتزقين ؛ وفعلا زوده بكمية كبيرة من الذهب لدفع أجور المجندين مقدماً . وكان «أجاتوكليس» قد اتخذ هذا القرار لسببين : أولهما أنه كان قد عزم على أن يستخدم هؤلاء الجنود الجدد لمحاربة « أنتيوكوس » ملك السليوكيين ، والسبب الآخر هو أنه أراد أن يرسل الجنود المرتزقين القدامى المرابطين فى الإسكندرية — وكان يخشى بأسهم — إلى المعاقل التى فى داخل البلاد المصرية أو إلى المستعمرات . أما الجنود المرتزقون الجدد فكان يرمى إلى استخدامهم فى حاميات المدينة ليكونوا حرساً للقصر الملكى وللملك نفسه . وكان يخيل إليه أن رجالا مثل هؤلاء المرتزقين الجدد لا بد أن يكونوا طوع بنانه ؛ لأنهم سيتقاضون أجورهم منه مباشرة . وفى الوقت نفسه لم يكونوا على علم بالأحداث التى سبقت مجيئهم ، وعلى ذلك لن يتدخلوا فى شىء ، وظن أنهم سيضعون كل آمالهم فيه . وبذلك يكونون له أعواناً مطيعين ، وعلى استعداد لحمايته إذا قام الأهلون بثورة عليه ، وبهذا يعيدون له النظام وينفذون كل ما يأمرهم به .

والواقع أن « أجاتوكليس » كانت لديه أسباب وجيهة تدعوه للشك واتخاذ الحيطة من أولئك الذين كانوا حوله سواء أكانوا من عظماء القوم أم من صغارهم . وبعبارة أخرى كان يعيش فى جو ملوّه الخوف والرعب . ومن أجل ذلك بث عيونه فى كل مكان . ولا ريب فى أن رجال شرطته كانوا كلهم بصراً وسمعاً لكشف ما قد يحاك من مؤامرات حوله . فمن ذلك أن

فرداً يدعى « دينون » (Dinon)[1] وهو من الذين اشتركوا فى جريمة قتل الملكة « ارسنوى الثالثة » ، نراه بدلا من أن يظهر إخلاصه لسيده «أجاتوكليس» قد أخذ يدلى لكل من هب ودب بأسرار مفزعة عن تلك الجريمة أقضت مضجع « أجاتوكليس » ؛ ومن أجل ذلك أمر باعدامه فى الحال . وكان هذا العمل بلا نزاع أعدل حكم بين مظالمه . غير أن « أجاتوكليس » لسوء حظه لم يكتف بالقضاء على شركائه فى الجرائم التى ارتكبها بل تخطى ذلك . وكانت عادته فى مقاومة الرأى العام قد جعلته ينسى ما كان يجب أن يكون عليه من حزم وحذر . .وكان كل ما يشاع عنه وقتئذ ينحصر فى ألوان تهتكه وخلاعته ومغامراته مع النسوة المتزوجات والمخطوبات والعذارى . فقد دنس الكثيرات منهن بهتك أعراضهن ، هذا فضلا عن شهرته بالكبرياء والصلف ، مما أدى به إلى الإفراط والتفانى فى الموبقات . ومع ذلك نجد أن القوم لم يجدوا بداً من كم أفواههم والصبر على تحمل مظالمه وشروره إلى أن يقيض الله لهم الرجل الذى يكون عنده من الشجاعة والإقدام ليتكلم فيعبر عن شعور القوم[2]. والواقع أن الشعب كان على استعداد للترحيب بأى شخصية تخلصه من هذا الطاغية ، وكان ظهور مثل هذه الشخصية متوقعاً . ولم يمض طويل زمن حتى ظهر الرجل المرتقب وهو « تليبوليموس » (Telepolimus) . وقد كان قبل الآن فى زوايا الإهمال مبعداً أيام حياة الملك « فيلو باتور » . وكان عليه أن يقوم بقيادة فرقة الجنود فى إحدى جهات القطر ، ثم غضب عليه ، ومن ثم عاد إلى الحياة الحرة . غير أن حياة الجندية كانت فى دمه كما كان فضلا عن ذلك مغرماً

---

(١) راجع Polyb., XV, 8-11.

(٢) راجع Polyb., XV, 25 a, 12-18.

بالمناورات كما يقول المؤرخ « بوليبيوس » . وعلى أثر موت « فيلو باتور » ظهر أن الغضب عليه كان سبباً فى جعله محبوباً بين أفراد الشعب ؛ يضاف إلى ذلك أن مصر وقتئذ كانت مهددة بالغزو من قبل ملك سوريا « انتيوكوس الثالث » .

ومن أجل ذلك أصبح « تليبوليموس » الرجل الذى تحتاج إليه البلاد لحمايتها من هذه الناحية . ولذلك لم ير « أجاتوكليس » بدًّا من ارساله إلى « بلوز » الواقعة على الحدود (الفرما) للأشراف على تخوم مصر هناك ، وهى المكان الذى كان ينتظر منه الهجوم على مصر . وقد كان « أجاتوكليس » يأمل من وراء ذلك أن ينهمك هذا القائد فى شئون « سوريا » ، وبذلك يبتعد عن مجريات الأمور فى الإسكندرية ، وألا يكون له ضلع فيها ، غير أن خطر قرب « تليبوليموس » من بلاط الإسكندرية وإبعاده عنه كما ظن « أجاتوكليس » كان ضرباً من الأوهام ، إذ برهنت الحوادث التى تلت على أن إعطاءه القيادة فى « بلوز » كان ينطوى على نفس الخطر الذى كان ينجم لو كان فى الإسكندرية . وذلك أنه على بعده قد قام بمعارضة « أجاتوكليس » ، وعمل على استمالة الجنود الذين تحت امرته إلى جانبه باقامة الولائم لهم ودعوتهم لمشاركته فى مائدته دون أى تحفظ ، لدرجة أنه كان يشرب فى حضرتهم نخب مزين الولائم والعازف على العود والحلاقة ، كما شرب فى صحة الغلام الحظى الذى كان وهو لا يزال فتياً يصب الخمر للملك . هذا وكان بعد انتهاء حفلات معاقرة بنت الحان يباح كل شىء من أنواع الموبقات والمتع الجسدية . وعند ما علم « أجاتوكليس » بما كان يدبره له هذا القائد حاول أن يسبقه فينصب حبائله التى يفسد بها عليه مؤامرته . وكان أول مكيدة دبرها له أنه نشر

شائعة مفادها أن « تليبوليموس » على وشك أن يخون بلاده ومليكه وأنه سيسلم حكومة مصر إلى يد « أنتيوكوس » . غير أن هذه المكيدة لم تلق قبولا حسناً عند الشعب المصرى الذى كان يعلم أن « أجاتوكليس » كان يخاف منافسة هذا القائد له ، ومن أجل ذلك إفترى عليه هذه الفرية ، فزادت فى حب الشعب له . هذا وكان « أجاتوكليس » فى تلك الفترة فى وجـــل ، وقد أراد أن يتأكد على الأقل من ولاء جنود حامية الإسكندرية فى حالة قيام الشعب بثورة عليه ومن أجل ذلك أخذ يناشد وطنية الجنود المقدونيين وإخلاصهم للملك الطفل الذى اضطرته خطورة الموقف أن يعرضه بين يديه أمامهم وهو يبكى مستدراً بذلك عطفهم . غير أن هذا المشهد الذى أراد به « أجاتوكليس » هو وأخته « أجاتوكليا » مربية الملك المزعومة استدرار عطف الجنود والشعب معاً قد أخطأ المرمى . وكان من جراء ذلك أن استهزأ بهما الشعب وصرخ فى وجهيهما صرخة غضب وسخط . يضاف إلى ذلك أن « أجاتوكليس » قد قوبل بنفس السخرية من فرق الجنود الآخرين عند ما كان يريد أن يستميل كل فرقة على حدة . وكانت الطامة الكبرى أن بعض جنود حاميات المديريات الكبيرة وهم الذين كان قد وضعهم فيها بعد أن أجلاهم عن الإسكندرية ، قد عادوا بكثرة إلى الإسكندرية وحرضوا أصدقاءهم وأقاربهم على « أجاتوكليس » وبطانته بسبب ما أصاب مصر من بؤس وتعاسة ؛ ومن ثم عقدوا العزم على ألا يتركوا البلاد تهان على أيدى طغمة من الناس بلغت بهم الحقارة والدناءة إلى هذا الحد المخزى المشين . ولما رأى القائد « تليبوليموس » أن الأمور قد تطورت إلى هذا الحد كان هو من جانبه قد اتخذ للموقف عدته ، فجوع أهالى الإسكندرية بمنع المؤونة عنها وذلك ليسرع فى تعجيل قيام الثورة التى كانت على وشك الانفجار .

ومن سخرية القدر أن « أجاتوكليس » نفسه قد عمل على تقريب اندلاع نار هذه الثورة ؛ وذلك بما ارتكبه من أعمال العنف والظلم . فمن ذلك أنه كان يرغب فى أن تكون فى يديه رهائن من بين أعدائه ، فأمر بالقبض على « دانايس » (Danaes) حماه « تليبوليموس » ؛ ثم حرر قائمة بأشخاص آخرين ليقبض عليهم . يضاف إلى ذلك أنه قد شك فى أن القائد « موراجين » (Moeragene) كان على اتصال فى الخفاء مع «تليبوليموس»، وأنه يتآمر كذلك مع قريبه « اداوس » (Adaeos) حاكم مدينة « بوبسطه » ، ومن ثم أمر بالقبض عليه على أن يعذب حتى تنتزع منه الاعترافات التى تدل على الجريمة المنشودة .

وقد كان هذا الحادث الأخير الشرارة الأولى التى أشعلت نار الثورة فى البلاد . وقد أفلت « موراجين » فى اللحظة الأخيرة التى كان سيقدم فيها إلى آلة التعذيب ، وذلك أنه انتهز فرصة الارتباك والفوضى التى كانت سائدة فى القصر وولى هارباً عارى الجسم كما وضعته أمه وملتجئاً إلى الجنود المقدونيين الذين كان سرادقهم مقاماً على مسافة قريبة من القصر الملكى . والواقع أن هؤلاء الجنود لم يكتفوا باجارته بل أهاج مشاعرهم هذا العمل الوحشى ونادوا بحمل السلاح لمحاربة « أجاتوكليس » الفاسق اللعين . ولم تمض إلا برهة قصيرة حتى كان كل الأجناد فى ثورة عارمة ، وقد حذى سكان مدينة الإسكندرية حذوهم حتى انتشرت الثورة فى كل أنحائها .

هذا ويصف لنا المؤرخ « بوليبيوس » الذى نتتبع خطاه فى كتابة تاريخ هذه الفترة من تاريخ أرض الكنانة — لأنه يعد مصدرنا الرئيسى تقريباً — بشىء من المتعة — الفظائع الخارجة عن حد المألوف التى ارتكبها الإسكندريون

ورجال الجيش فى اليوم التالى لقيام الثورة . ومن المدهش أن « أجاتوكليس » كان قد صادر أثناء الليل منشوراً وجهه « تليبوليموس » لجنوده ، وبعد ذلك عكف على اغراق مخاوفه وهمومه فى شرب الخمر واللهو غير حاسب حساب ما يجرى من أحداث فى أنحاء المدينة التى كانت تعج بالثائرين ، وفى أثناء ذلك كانت أمه « أونانتا » قد ملأ قلبها الخوف والفزع ، ومن ثم أسرعت إلى « تسموقورنيون » معبد الآلهة « ديمتر » حيث كان يحتفل بالتضحية السنوية . ونجدها قد خاطبت هناك الآلهة متضرعة واليأس يغمرها ، وبعد ذلك جلست عند قاعدة المذبح . وفى خلال ذلك تأمل نسوة البلاط هذا الحزن الذى كان يغمرها فى سكون وبدون اظهار أى ألم ، غير أن بعضهن ممن كن لا يعرفن ما قدره لها الغيب اقتربن منها يعزينها ويواسينها .

وهؤلاء النسوة كن قريبات « بوليكراتيس » الذى كان آنذاك حاكم قبرص . غير أن « أونانتا » التفتت إليهن فى غضب وحنق وصاحت قائلة : المارقات ! إنى أعرف سر صلواتكن الخفية الخبيثة ، ولكن أقسم بحياة الآلهة ستأكلون لحم أبنائكن . ثم أمرت الخدم بضربهن بالسياط ، وعندئذ ولت النسوة الأدبار رافعات أيديهن للآلهة قاذفات من أفواههن اللعنات على « أونانتا » .

وعلى أية حال نجد « أجاتوكليس » فى نهاية الأمر يخرج من غفوته وتقاعسه ويتنبه للخطر الذى كان محدقاً به ، فنراه ومعه كل أقاربه أى كبار موظفى البلاد عدا « فيلامون » يذهبون تواً إلى جوار الملك ويقودونه إلى قاعة عمد كانت توصل بين القصر الملكى والمسرح ، وكان « أجاتوكليس » وقتئذ مزمعاً الفرار من هذا المنفذ ، وإلا فانه كان عليه أن يقيم المتاريس خلف ثلاثة

الأبواب الضخمة القائمة فى محور البهو . وقد اتضح له أن الهرب كان أمراً غير ممكن ، وذلك لأن القصر كان كجزيرة تتلاطم على جوانبها الأمواج الهائجة من الثائرين ، فقد كان يحتوى على جمهور من الناس الذين احتشدوا فيه حتى درج السلم بل وحتى أسقف المنازل فى الأماكن المجاورة ، وكل أولئك كانوا يطلبون رؤية الملك . غير أنه حتى طلوع الفجر لم يظهر الملك الذى كان يطالب به الشعب . وعلى أثر ذلك اجتاح الجنود المقدونيون قاعة المجلس الكبرى . وعند ما عرفوا المكان الذى فيه مليك البلاد هشموا أبواب الدهليز الأول ، وعند ما وصلوا إلى البوابة الثانية طلبوا رؤية الملك بأصوات مرتفعة . وقد طلب « أجاتوكليس » عند ما رأى نفسه فى خطر مداهم من الجنود الذين كانوا قد حوصروا معه أن يذهبوا إلى الجنود المقدونيين ويخبروهم على لسانه بأنه مستعد لأن ينزل عن وصايته على الملك وعن كل سلطته وجميع ألقابه وما ملكت يداه مقابل منحه الحياة وما يقيم به أوده ، وأنه عند ما يعود إلى زمرة الشعب فلن يكون فى مقدوره — حتى لو أراد — إلحاق أى أذى بأى إنسان .

فى هول هذا الموقف أراد أحد الأجناد ، بعد شىء من التردد ، أن يلعب دور الحكم وهو « أريستومنيس » (Arestomenes) الأكارانى ، غير أنه لسوء حظه عند ما أراد أن يقوم بدوره هذا لم ينج من أيدى الشعب الثائر إلا بأعجوبة . إذ قد أمره الثوار بالانصراف وألا يعود ثانية إلا والملك معه . أما الجنود المقدونيون فانهم بعد أن صرفوا هذا الوسيط هاجموا الباب الثانى واقتحموه . وعند ما رأى « أجاتوكليس » اشتداد حنق المقدونيين عليه ذهب لينظر إليهم من خلف القضبان وهو يتضرع إليهم بكلتا يديه .

وفى تلك الأثناء أخذت أخته « أجاتوكليا » تتوسل إليهم بكل الطرق التى تستدر العطف حتى أنها كشفت عن ثدييها اللتين أرضعت منهما الملك ؛ وكل ما كانت ترجوه من هذه التضرعات والتوسلات هو النجاة بحياتها . وفى نهاية الأمر لما لم يجد « أجاتوكليس » وأخته فائدة من توسلاتهما وانتحاباتهما ، وأن ذلك لم يغير شيئاً فى موقفهما قررا إرسال الملك مع الجنود للشعب ، وفى الحال استولى الجنود المقدونيون على الملك ، ووضعوه على صهوة جواد وقادوه إلى الاستاد (الملعب العام) . وعند ما شاهده الشعب الثائر انطلقت صيحاته إلى عنان السماء وقوبل بالتصفيق من كل مكان . وبعد ذلك أنزل الملك الطفل من على صهوة الجواد وأجلس على عرش الملك . والواقع أن مجموع الثوار قد ارتسمت على وجوههم سيما الفرح والحزن فى آن واحد ؛ فقد فرحوا لأنهم استردوا مليكهم من أيدى طغمة فاسدة ، وحزنوا لأنه لم يقبض بعد على أولئك المجرمين الذين عاثوا فى الأرض فساداً ، لكى يوقع عليهم ما يستحقون من عذاب . ومن ثم كانت تتعالى صيحات مستمرة من بين مجموع الثوار مطالبة بوجوب سوق كل أولئك المجرمين الذين ارتكبوا هذه الفظائع والآثام ، وعرضهم على مرأى من الشعب . وقد كاد اليوم أن ينتهى ولم يكن لدى الشعب هدف إلا الحصول على المجرمين ليصبوا عليهم جام غضبهم وسخطهم .

وفى تلك اللحظة الرهيبة ظهر « سوسيبيوس » الصغير ابن الوزير « سوسيبيوس » وكان وقتئذ قائد الجيش ؛ وحسما للموقف وتهدئة للخواطر اتخذ قراراً فى صالح الكل . وذلك أن هذا القائد لما رأى ألا وسيلة لتهدئة غليان نفوس الشعب — هذا بالإضافة إلى أن الملك الصبى كان مرتبكاً لما كان

يحدث حوله من رجال حاشيته ولم يكن قد تعود رؤيتهم من قبل كما أنه لم يشهد من قبل صخب الجمهور وهياجه — سأل الملك إذا كان يقبل تسليم أولئك الذين نغصوا حياته وقتلوا والدته لتهدئة السخط العام ؛ ولما أومأ الملك بالرضى قال « سوسيبيوس » لبعض الجنود الذين كانوا حوله بأن يعلنوا الإرادة الملكية . وعلى إثر ذلك صاحب « سوسيبيوس » الملك الطفل إلى بيته هو وكان قريباً جداً من القصر الملكى ، وذلك ليعيد له طمأنينته وقواه .

هذا ولم يكد أمر الملك يعلن حتى دوت صيحات الفرح وتعالت الهتافات وفى خلال تلك الفترة كان « أجاتوكليس » وأخته « أجاتوكليا » منزويان فى عقر دارهما . ولكن لم تكد تعلن الإرادة الملكية حتى أخذ الجنود يبحثون عنهما من تلقاء أنفسهم أو بتحريض من الشعب الثائر . ولم يمض طويل زمن حتى وقعت حادثة محزنة كانت البداية لمذبحة مريعة أودت بحياة « أجاتوكليس » ومن كان فى ركابه من الذين عاثوا فى الأرض فساداً . وذلك أن أحد أتباع « أجاتوكليس » الموالين له ويدعى « فيلون » (Philon) ظهر فى الاستاد (الملعب العام) وهو مخمور ، وعند ما رأى الشعب فى حالة هياج صاح قائلا إذا سحب « أجاتوكليس » نفسه من هذا الموقف فان القوم سيندمون كما حدث ذلك من قبل ، ولم يكد « فيلون » ينتهى من جملته هذه حتى أخذ بعض المتجمهرين يسبونه كما أخذ بعضهم الآخر يطوحون به فى عنف ؛ ولكنه عند ما أبدى مقاومته للشعب الثائر فانهم مزقوا عباءته ثم طعنوه بحربة . هذا ولم يكد أفراد الشعب يشاهدونه يجر مضرجاً فى دمائه فى هذا المكان وسط عاصفة من السخط حتى استولت عليهم شهوة حب سفك الدماء ، وكانوا ينتظرون تلك اللحظة بفارغ الصبر ليصبوا جام غضبهم على تلك الضحايا التى

كانوا ينتظرون وصولها . ولم تمض برهة حتى وصل « أجاتوكليس » زعيم أولئك الأوغاد مصفداً فى السلاسل والأغلال . ولم يكد يمثل أمام الشعب حتى انقض عليه بعض الثوار وطعنوه بحرابهم فى الحال . والواقع أن قتلته قد قدموا له خدمة عظيمة وذلك أنه بدلا من أن يلقى النهاية التى كان يجب أن يلقاها أمثاله من تعذيب وتنكيل فانه مات بطعنة حربة وحسب . ثم جىء من بعده بالقائد « نيكون » وهو أحد أقارب « أجاتوكليس » ثم سيقت بعده «أجاتوكليا » عارية الجسم ومعها أخواتها وكل أفراد أسرتها وقضى عليهم جميعاً . وأخيراً جاء دور الفاجرة « أونانتا » أم « أجاتوكليس » فسيقت عارية على صهوة جواد إلى مصيرها المحتوم . وهكذا رأينا كل هؤلاء التعساء الأوغاد قد قدموا إلى الشعب لينتقم منهم . والواقع أن فريقاً من الثوار كان ينهشونهم بأنيابهم وفريقاً آخر يطعنونهم برؤوس الأسنة وآخرون منهم كانت تقتلع أعينهم من محاجرها . وعند ما كانت تخر منهم ضحية صريعة كانوا يقطعونها إربا إربا . وهكذا مزق كل هؤلاء المجرمين بهذه الصورة البشعة . ولا غرابة فى ذلك فان قسوة المصريين عند إثارة حفيظتهم وغضبهم كانت فظيعة إلى درجة الوحشية . وخلال تلك المذبحة الدامية قامت طائفة النسوة اللائى كن الصديقات المخلصات للملكة « ارسنوى الثالثة » وقصدن بيت « فيلامون » الذى كان له ضلع كبير فى تدبير مؤامرة قتل الملكة ، وكان وقتئذ قد أعلن وصوله من « سيرينى » إلى الإسكندرية منذ ثلاثة أيام . ومن ثم أسرعن إلى بيته وهجمن عليه وقتلنه رجما بالحجارة وضرباً بالعصى ، ثم قضين على إبنه الذى كان لا يزال طفلا غيظاً وحنقاً عليه . وأخيراً جرت امرأة « فيلامون » عارية الجسد إلى قارعة الطريق حيث ذبحت . وهكذا كانت نهاية « أجاتوكليس » وأخته « أجاتوكليا » وأمهما « أونانتا » ، وكل الأسرة ومن كان فى ركابها من المجرمين .

(عام ٢٠٢ ق . م) .[1]

ومما سبق نشاهد أن غضب الشعب قد طوح دفعة واحدة بكل أولئك الأفراد دون أن ينتظر الوصول إلى معرفة من كانت تقع عليه المسئولية من بين أولئك الأوغاد الذين كانوا ملتفين حول العرش فى عهد الملك السابق .

على أننا من جهة أخرى نرى أن «تليبوليموس» الذى مجد الملكية ، قد أسندت إليه الوصاية على الملك ، أو بعبارة أخرى أصبح المربى للملك الصبى «بطليموس الخامس» . وهو الذى خف بجيشه الذى كان يرابط به على الحدود فى «بلوز» إلى الإسكندرية . وقد أتى ليحل محل «أجاتوكليس» بطبيعة الحال لإنه كان وراء كل التدابير التى أحكمت للقضاء على«أجاتوكليس» وأسرته .

ويحدثنا «بوليبيوس» مؤرخ هذه الفترة ومعاصرها أن الوصى الجديد على العرش كان لا يزال فى ميعة الشباب صاحب شمم واباء وشجاعة وإقدام ، كما كان مشهوداً له بحسن القيادة . وعلى أية حال فان منصبه الجديد كان مدعاة إلى أن ينسب إليه الملتفون حوله كل ضروب الفطنة والذكاء وينفون فى الوقت نفسه عنه كل نقيصة أو رذيلة . والواقع أن هؤلاء الذين مجدوه من أخوانه لم يفقهوا إلا فيما بعد بأنه رجل غر مخدوع بنفسه وقح منكب على الألعاب والتمتع بأجساد الغوانى ، ومما زاد الطين بلة أنه قد برهن على أنه إدارى فاشل قصير النظر فى تصريف شئون الدولة . فقد برهنت الحوادث على أنه كان متعوداً على إفلاس خزانة الدولة وذلك بأن يأخذ منها ملء يديه

---

(١) راجع Polyb., XV, 31-33.

ليرضى أصدقاءه ومالقيه وقواده . والظاهر أن « تليبوليموس » لم يعط نفسه كل سلطة الوصى فى بادىء أمره . فمن ذلك أنه وكل أمر حراسة الحاشية الملكية وما يتبعها وكذلك حراسة الملك نفسه إلى « سوسيبيوس » الصغير الذى قام بعمله بكل حزم وكرامة ؛ غير أنه بعد فترة قصيرة أخذت العلاقات تسوء بين الوصى وبين رجال البلاط الذين لم يرغبوا فى الانخراط فى سلك الرجال الذين كانوا يملقون « تليبوليموس » ويكيلون له الثناء جزافاً ؛ ومن ثم نرى أنه فى حين كان الوصى يضيع وقته فى لعب الكرة والمبارزة ، وإقامة الولائم مع أصدقائه ، والانهماك فى ميدان اللهو والخلاعة ، نجد أن الساخطين عليه ينهالون عليه بالنقد والتقريع . ثم أخذوا فى الواقع يوازنون بين خلاعته واسرافه وبين استقامة « سوسيبيوس » ومحافظته على كرامته وحسن سمعته .

وفى خلال تلك الفترة كان « بطليموس » أخو « سوسيبيوس » قد عاد من مقدونيا حيث كان قد أرسله « أجاتوكليس » فى رسالة خاصة . كما ذكرنا آنفاً . وقد حاول « بطليموس » هذا إثر عودته إحداث انقلاب صغير خاص بالوصى الذى كان يقظاً . هذا مع العلم أن « بطليموس » لم يكن قد حصل على شيء ما من « فيليب الخامس » ملك مقدونيا لمساعدة مصر على عدوهما « أنتيوكوس » الثالث ، بل نجد أنه فى مدة إقامته فى « بلا » عاصمة مقدونيا قد اختلط بشباب البلاط هناك وظهر بمظهر الفخفخة والأناقة ، هذا فضلا عن أنه كان معجباً بنفسه قبل سفره . والواقع أنه كان قد تسلط عليه الغرور بسبب المكانة التى كان قد وصل إليها بوساطة والده الوزير «سوسيبيوس» الكبير . وقد خيل إليه أنه قد بلغ مبلغ الرجال منذ أن قام برحلته هذه إلى مقدونيا واتصل بالمقدونيين الحقيقيين . ومن ثم رأى — بعد أن عاش بينهم —

أن مقدونى الإسكندرية كانوا لا يزالون عبيداً مخبولين . والواقع أن « تليبوليموس » عند ما رأى ما عليه « بطليموس » من غرور وكبرياء ، ذلك بالإضافة إلى المؤامرات الدنيئة التى كان يدبرها « سوسيبيوس » مع مناهضه لإقصائه عن وصاية الملك ، أخذ فى إظهار احتقاره له . غير أنه فى نهاية الأمر عند ما علم أن « سوسيبيوس » تآمر عليه فى اجتماع سرى ، وأن أعداءه قد اجترؤا فى غيبته على اتهامه علناً بأنه قد أساء إدارة البلاد ، فان هذا المسلك حز فى نفسه ، ومن ثم جمع مجلس الدولة وأعلن فى خطبة ألقاها أنه إذا كان خصومه سيغتابونه ويلمونه فيما بينهم فانه لا بد عازم على اتهامهم علناً فى مواجهتهم . وبعد خطبته الرنانة هذه أمام المجلس استرد الوصى خاتم المالية من « سوسيبيوس » وحفظه عنده . ومنذ تلك اللحظة كانت كل شؤون الدولة فى يديه .

هذا ولما أصبح « تليبوليموس » دكتاتوراً على البلاد على الرغم من أنه لم يمض على ذلك طويل زمن رأى تدهور شعبيته ونهايته فى أعين الذين كانوا يناصرونه ويؤازرونه ويفخر بهم .

ومما يؤسف له جد الأسف أن هذا القائد الشجاع لم يبحث أبداً عن الفرصة التى يمكنه بها استعراض شجاعته فى ميدان القتال بل تقبل بسهولة بالغة نصيبه من المصائب التى حلت بالسياسة المصرية فى داخل البلاد وخارجها . والواقع أن الحوادث كانت تجرى سراعاً خارج مصر مما أدى إلى ضياع ممتلكاتها التى كانت مفخرة ملوك البطالمة . ولقد كان من السهل عليه أن يتنبأ بها ، ومع ذلك فانها قد باغتته وهو فى غفلة من أمره .

ضياع ممتلكات مصر فى الخارج

لم يتنبأ السفير المأفون « بطليموس » الذى عاد من مقدونيا بشىء على ما يظن مما كان يدور بين « فيليب الخامس » ملك مقدونيا وبين « انتيوكوس الثالث » ملك سوريا . ولا شك فى أن « أجاتوكليس » كان يتوقع الهجوم على أملاك مصر فى سوريا الجوفاء من قبل « أنتيوكوس » غير أنه كان يمنى نفسه بالأمل الكاذب فى أن يجعل ملك مقدونيا حليفاً له على ملك « سوريا » ، غير أنه فى خلال هذه الفترة كان كل من ملك مقدونيا وملك سوريا يطمع فى مد سلطانه على حساب ممتلكات مصر ؛ ومن ثم كان كل منهما يعد مصر فريسة له ، وأنهما سيقسمانها فيما بينهما إذا وصلا إلى اتفاق على ذلك . وفى ذلك يحدثنا المؤرخ « بوليبيوس »[1] بشىء من الغرابة فاستمع لما يقوله : « أنه لمن المدهش أن « بطليموس الرابع » عند ما كان حياً كان فى مقدوره أن يستغنى عن مساعدة « فيليب الخامس » ، و « أنتيوكوس الثالث » وكانا هما من جانبيهما مستعدين لمساعدته ، ولكن بعد أن حضرته الوفاة تاركاً وراءه طفلا صغيراً فانه كان من واجبهما أن يعملا على مساعدته للبقاء على عرش والده ، غير أننا نجد أن كلا منهما فى هذا الظرف يشجع صاحبه على الإسراع فى تقسيم ممتلكات هذا الطفل فيما بينهما والقضاء على ملكه جملة ، والواقع أن مثلهما فى ذلك كمثل السمك الذى من نوع واحد يأكل الكبير منه الصغير » . ولا شك فى أن « بوليبيوس » لم يكن مبالغاً فى تمثيله هذا من حيث شره هذين العاهلين .

---

(١) راجع . Polyb., XV, 2.

والواقع أنه كان من الصعب عليهما أن يتفاهما فيما بينهما على تقسيم مصر نفسها . ولا نزاع فى أن ما كان يريده كل منهما فى قرارة نفسه ، وما يمكن أن يكون أساساً لقيام محالفة حقيقية فيما بينهما هو تقسيم أملاك البطالمة خارج حدود مصر ، وذلك على أساس أن يأخذ كل منهما ما كان فى متناوله . وعلى هذا المبدأ كان يستولى « فيليب » على إقليم « تراقيا » الذى كان على ما يظن قد بدأ يستحوذ عليه لنفسه فى عام ٢٠٤ ق . م . وفى عام ٢٠١ ق . م استولى أسطوله على « ساموس » كما قام بغزو إقليم « كاريا » . أما « أنتيوكوس » فكان مقصده الاستيلاء على « سوريا الجوفاء » و « فنيقيا » . وقيل كذلك أن هذين العاهلين قد تعاهدا سوياً على القيام بحملة بالتبادل . فيقوم « فيليب » مع « أنتيوكوس » بغزو مصر وقبرص من جهة ، وكذلك يقوم « أنتيوكوس » و « فيليب » بحملة على سيرينى (لوبيا) وجزر « سيكلاديز » و « إيونيا » . غير أن هذا النبأ ليس مؤكداً . وعلى أية حال فان هذه الخطة قد عزيت إليهما . ولم يكن هناك فى حقيقة الأمر حاجة إلى أن يساعد الواحد منهما الآخر بضم جيشهما سوياً لتنفيذ خطتهما . فقد كان يكفى أن يسيرا فى وقت واحد لملاقاة الجيوش المصرية ، وهذا فى الواقع ما تم .

وقد برهنت الأحوال على أن « فليب » كان دائماً شاكى السلاح مترقباً دائماً الفرص ، ومن ثم كان هو السابق فى الاستعداد لخوض غمار الحرب فقد رأيناه منذ عام ٢٠٢ ق . م ينقض على « تراقيا » دون إعلان سابق للحرب ، وذلك فى حين كان القراصنة الذين فى خدمته — وهم الذين كان على رأسهم « ديسارق » (Decearque) الآتولى — قد أشعلوا النار فى جزر « سيكلاديز » وأسالوا فيها الدماء . وكذلك عملوا بالمثل فى المدن النهرية التى

على الدردنيل (Hellespont) . وعلى ذلك فان عملاء مصر لما رأوا أنها قد هجرتهم ولم تمد إليهم يد المساعدة لم يروا بداً من الإلتجاء إلى الحلف «الآتولى» لحمايتهم . ومن ثم نجد أن «ليزيماكيا» (Lysimachia) و «كالسيدوين» (Chalcedoine) قد وكلا أمر الدفاع عنهما لقواد آتوليين[1]. وقد كان من جراء تدخل أعداء «فيليب» الأبديين أن اشتد حنقه على هذه البلاد وشدد عليها الخناق فسقطت «ليزيماكيا» فى قبضته ، ثم تلتها «برينيت» (Perinethé) ، ومن بعدها «كالسيدوين» . يضاف إلى ذلك أن أخاه «بروسياس» قد ساعده على الاستيلاء على «سيوس» (Cios) . ثم إنه فى عودته فتح «تاسوس» (Thasos) ، وبذلك نقض الميثاق الذى كان قد أخذه على نفسه لأهالى «تاسوس» هذه وهو أن يمنحهم استقلالهم التام . وعلى أية حال فان هذا العاهل قد أظهر فى كل أعماله سوء النية ، هذا فضلا عن أنه كان رجلا قاسى القلب خائناً .

وقد قام فى العام التالى كما ذكرنا من قبل (٢٠١ ق . م) بتجهيز أسطول عظيم . وكان أول ما استولى عليه هو جزيرة «ساموس» التى كانت تعد أهم الممتلكات المصرية عند ساحل آسيا الصغرى . وتدل الظواهر على ان «ساموس» قد استسلمت دون امتشاق الحسام .

وبعد ذلك نرى أن «فيليب» ولى وجهه شطر «خيوس» فجأة ظناً منه أنه سيستولى عليها على حين غفلة من أهلها ، ولكن المدينة قاومته وطلبت النجدة من مصر ؛ غير أن الأخيرة لم تنصفها ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن

(١) راجع Polyb., XVIII, 3, 11 sqq, XV, 23, 8 sqq.

الدسائس فى البلاط الاسكندرى قد شغلت بال الحكومة . وبعد ذلك جاء دور « رودس » وكان أهلها بعد أن احتجوا عبثاً على تعدى هذا القرصان الذى لا ضمير عنده ولا قانون يردعه عن النهب والسلب بل كان فوق ذلك من ديدنه أن يبيع من يقهرهم بيع السلع ، والقضاء على حريتهم ؛ ومن ثم فان أهالى « رودس » قد وطدوا العزم وعقدوا النية فى آخر الأمر على أن يدافعوا عن مصالحهم وحريتهم بالسلاح مستعينين فى ذلك بالضمير الدولى وقتئذ . وفى أثناء ذلك كانوا قد ضموا إلى جانبهم بالتحالف « خيوس » و « سيزيق » و « بيزنطه » ، وأخيراً « أتالوس » ملك « برجام » . وفعلا توجه أسطولا « رودس » و « برجام » لفك حصار « خيوس » .

هذا ولما كان « فيليب » يحاول وقتئذ استرداد جزيرة « ساموس » ، فان « أتالوس » هاجمه ومعه أمير البحر الروديسى المسمى « تيو فيلسكوس » (Theophelescos) فى المضيق الذى يكون بين «خيوس» وساحل« آسيا الصغرى » رأس « ارجينون » (Argenon) . وقد هزم فى هذه البقعة الأسطول المقدونى بعد أن خسر خسارة عارمة فى العتاد . غير أن « آتالوس » عند ما رأى نفسه قد انفصل عن سائر أسطوله اضطر إلى الإلتجاء إلى « ارتراى » (Erythrae) . ولما كان القائد الروديسى قد جرح أثناء المعركة جرحاً مميتاً فان « فيليب » لما علم بذلك ادعى لنفسه النصر فى المعركة . ومن المحتمل أنه قد بقى على أثر ذلك المسيطر على ميدان المعركة . وعلى أية حال فانه قد أخذ لنفسه بالثأر فى الحال فى « لادى » (Lade) الواقعة أمام « ميليتوس » . وليس من شك فى أن الخطأ الذى ارتكبه كل من « آتالوس » والروديسين كان انفصالهما عن بعضهما البعض . وكان لا بد اذن أن الأسطول الروديسى قد تحمل عبء

كل الصدمة فى موقعة « لادى »[1] فقد انتصر « فيليب » فى هذه البقعة ؛ وعند ما سمع أهالى « ميليتوس » بهذا النصر دب فى نفوسهم الرعب ، ومن ثم هبوا بفتح أبواب مدينتهم للقاهر المنتصر

أما « فيليب » فانه قد اكتفى بما أظهروه من ولاء له ؛ ومن أجل ذلك لم يضع حامية من جنوده هناك . ويحدثنا المؤرخ « بوليبيوس » عن نتائج نصر المقدونيين الذى كان حاسما ، فيقول أنه بعد موقعة « لادى » وتقهقر الروديسيين انسحبوا من ميدان القتال كلية ؛ وبذلك كان فى مقدور « فيليب » أن يزحف على الإسكندرية دون معارض يقف فى وجهه .

والواقع أن هذه الحقيقة تعتبر برهاناً محساً يظهر بأجلى صورة أن « فيليب » كان يسلك فى تصرفاته تصرف الرجل الأحمق[2] . ومن أجل ذلك فانه ليس هناك ما يحمد عليه « فيليب » من كسب نتيجة لانتصاره فى هاتين الموقعتين السالفتى الذكر .

لم ينتهز « فيليب » حقاً الفرصة التى كانت سانحة أمامه للهجوم على مصر التى كانت فى الواقع لقمة سائغة أمامه ، بل بدلا من ذلك انقض هذا الأحمق بوحشية على بلاد « برجام » فحرق وخرب كل ما اعترضه فى طريقه ؛ غير أن كل أعماله هذه كانت عبثاً ، لأنه لم يستطع بعد كل أعمال التخريب التى ارتكبها أن يستولى على مدينة « برجام » العاصمة ، كما لم يستطع أن يجعل « أتالوس » يخرج من معقله الحصين فيها لملاقاته وجها لوجه . وأخيراً عند ما وجد أن المؤن قد شحت لديه ليستمر فى الحصار فانه إضطر

(١) راجع Polyb., XVI, 15, 6 cf Haussoullier Milet pp. 140, 149.

(٢) راجع Polyb., XVI, 1a; T Livy, XXXI, 14

إلى أن ينكص على عقبيه خائباً مخذولا ؛ وبعد ذلك نراه يزحف على إقليم « كاريا » مشيعاً فيه الدمار والنهب قاصداً خرابه لإطعام جيشه الذى كان فى مسغبة ، ومن ثم كان يعيش عيشة الذئاب ، وقد تقدم فى زحفه على هذا المنوال حتى وصل إلى « بيرى » (Perée) و « كرسونيز » (Chresonese) الروديسية .(١)

وعلى أية حال كانت خسارة مصر عظيمة ، إذ لم يبق تحت سلطانها فى تلك اللحظة من كل أملاكها فى « آسيا الصغرى » إلا « أفيسوس » (Ephesus) ومع ذلك فان « فيليب » لم يكن أخطر أعداء مصر ، وذلك لأنه لما أخذ فى مهاجمة كل العالم فى وقت واحد ، فانه أثار حول تصرفاته ضجة من الغضب والسخط عليه وصلت أصداؤها فى نهاية الأمر بسرعة إلى « روما » . والظاهر أن « أتالوس » ملك « برجام » كان قد رأى وقتئذ أن من واجبه أن يستنجد بالرومان حلفاءه منذ عشرة أعوام مضت . ولكن مما يؤسف له أنه فى الوقت نفسه قد قبل التحالف مع الروديسيين الذين كانوا لا يميلون إلى تدخل الجمهورية الرومانية فى شؤونهم . وعلى أية حال وجدنا أن المفوضين الروديسيين قد انضموا إلى مفوضى « برجام » ليذهبوا سوياً إلى مجلس الشيوخ الرومانى ليستنكروا أعمال « فيليب » العدوانية فى بلاد آسيا الصغرى . هذا وقد تقابل رجال الوفدين فى روما مع وفدين آخرين أحدهما « أثينى » والآخر « آتولى » ؛ وكانا يحملان من جانبهم شكاياتهم من « فيليب » . وكان الأثينيون قد أوغروا صدر الأكارمانيين (Acarmanian) مما جعلهم يغزون بلادهم بسبب حادث سخيف ، يتلخص فى أنه عند احتفال الإغريق بعيد الشعائر

---

(١) راجع Polyb., XVI, 24, 4

العظيم (سبتمبر عام ٢٠١ ق . م) ، قتل الإغريق شابين من الأكارمانيين الذين لم يكونوا يعرفون القواعد الدينية الإغريقية لهذا العيد ؛ ومن ثم فانهم اقتحموا معبد « اليوسيس » (Eleusis) (الخاص بالآلهة ديميتر) دون أن يدربوا على أصوله . وعلى أثر ذلك طلب « الأكارمانيون » إلى الملك « فيليب » أن يساعدهم على الأخذ بالثأر لمواطنيهما . وفى تلك الفترة كانت الفرصة مواتية لدى الرومان ليطالبوا المقدونيين الحساب على تحزبهم لجانب « هنيبال » أثناء حروبهم معه . والواقع أن « روما » فى تلك الفترة لم تكن تنظر إلى أن أخطر العدوين المتحالفين على مصر هو أكثرهما توحشاً وقسوة ، بل كان الذى أكثرهما مناوأة لها . وفى تلك اللحظة أخذت حكومة الإسكندرية تشعر بأنها قد أصبحت فى أمان بسبب العاصفة التى كانت تهب متجمعة على رأس « فيليب » من كل الجهات ؛ ومن أجل ذلك لم يكن أمامها إلا أن تترك الأمور تجرى فى أعنتها .

استيلاء «أنتيوكوس» على سوريا الجوفاء

على أن الخطر الذى كان يهدد مصر لم يكن قاصراً على « فيليب » ، بل كان هناك فى تلك الفترة رعب — يفوق حد الوصف — يسود الإسكندرية التى كانت حكومتها غير كفء لمقابلة الأحداث والمخاطر التى كانت تهدد كيان الدولة المصرية ، مما أدى إلى جعل « أنتيوكوس » فى حل ليتصرف فيها كما يريد . وفعلا نجده قد انتهز فرصة وقوع حليفه « فيليب » وأهل « رودس » فى قبضة الرومانيين وغزى سوريا الجوفاء (عام ٢٠١ ق . م) . والظاهر أن هذه الحملة التى قام بها أولا « أنتيوكوس » كانت سهلة ميسورة إذ كانت

تعتبر بالنسبة له مجرد نزهة حربية ؛ لأنه لم يصادف خلالها أية مقاومة جدية إلا فى مدينة « غزة » . وقد حدثنا « بوليبيوس » عن مقاومة هذه المدينة قائلا أنها المدينة الفلسطينية[1] التى حافظت على ولائها « لبطليموس » . ومعنى ذلك أن أهل المدينة لم يكونوا راغبين فى تغيير الحماية المصرية ليحلوا مكانها السيطرة السليوكية التى كانت فى نظرهم أقل صلاحية من الحكم المصرى . ومن أجل ذلك تحملوا بصبر أعباء حصار طويل ؛ غير أنهم عند ما رأوا فى نهاية الأمر عدم وصول أى مدد من مصر سلموا المدينة . وبتسليم « غزة » قد أصبح « أنتيوكوس » على بقربة من تخوم مصر . ومما لا ريب فيه أنه لولا حماقة « فيليب » وطيشه وتخبطه فى حروب لا فائدة من ورائها لكان فى تلك الفترة فى مقدوره أن يظهر فى الحال بأسطوله أمام الإسكندرية أو « سريبى » . وقد لاحظ « بوليبيوس » تخبط « فيليب » فأظهر أسمه على ما ارتكبه من أخطاء . وعلى أية حال فان الضربة التى أصابت مصر فى سوريا الجوفاء كانت أكثر خطورة مما كان متوقعاً . والواقع أن الموقف فى مصر أقض مضجع الرومان أنفسهم وبخاصة عند ما رأوا خمول حكومة « بطليموس الخامس » .

•

والظاهر أنه كانت هناك حالة غريبة تدعو إلى الشك والريبة وهى وجود خيانة فى الأوساط الحكومية العليا فى مصر . على أن ما أوجب دهشة الرومان وقتئذ هو أن رجال بلاط « بطليموس الخامس » لم يطلبوا إلى الرومان مد يد المساعدة . ومن أجل ذلك يدعى المؤرخ « جوستن »[2] أنه على إثر موت

---

(١) راجع Polyb., XVI, 40, 6; cf. Strak Gaza p. 400 sqq.

(٢) راجع Justin XXX, 28.

« أجاتوكليس » توسل المصريون إلى الرومان لتعين مربيين يكونان حاميين للملك الصغير . غير أنه لم يوجد ما يدل على ذلك فيما لدينا من وثائق . وعلى أية حال لم ير مجلس الشيوخ الرومانى بدأ من أن يقف على مجريات الأمور فى الإسكندرية فى تلك الفترة . وقد انتهز مجلس الشيوخ أول فرصة لتنفيذ غرضه وفعلا واتت الفرصة عند ما سافر بعث « رومانى » إلى الإسكندرية حوالى عام ٢٠١ ق . م . وكان يتألف من كلوديوس نيرو (Claudius Nero) و« أميليوس لبيدوس » (Aemilius Lepidus) و« سمبرونيوس تديتانوس » (Sempromius Tuditanus) . وكانت رسالتهم تنحصر فى إعلان الملك « بطليموس الخامس » بهزيمة « هنيبال » و « القرطاجينين » وشكره على إخلاصه وحسن علاقاته ويأملون فى أن يبقى على محبته للشعب الرومانى تلك المحبة التى حافظ عليها منذ زمن طويل ، وبخاصة أن الرومان رأوا أنفسهم وقد تخلى عنهم حتى جيرانهم الأقربين ، وأنهم إذا اضطرتهم الأحوال فانهم سيعلنون الحرب على « فيليب » .[1]

وكانت مصر فى تلك الفترة كما نعلم مهددة من ناحيتين فقد هاجمها أخيراً « أنتيوكوس » واستولى على سوريا الجوفاء ، وتدل الأحوال على أن رجال السياسة فى روما وقتئذ كانوا يتحاشون مقابلة « انتيوكوس » بالقوة أو بالتهديد ، وذلك لأنهم كانوا قد وطدوا العزم على هزيمة « فيليب » أولا لأنهم لم يكونوا يريدون منازلة عدوين فى وقت واحد ؛ ومن أجل ذلك تصنعوا مصادقة « أنتيوكوس » بل أكثر من ذلك اعتبروه حليفاً لهم . وعلى أية حال لو فرضنا أن « أنتيوكوس » قد وصل إليه تنبيه ودى

(١) راجع Livy, XXXI, 2.

بألا يهاجم مصر ، فانه قد أخذ ذلك على معنى أن منعه من الاستيلاء على الممتلكات المصرية لم يكن إلا أمر صورى ، ومن أجل ذلك لم يعر هذا التنبيه أى التفات .

وفى معمعة هذه الأحداث الصاخبة رأى الشعب المصرى أنه قد أسىء إليه فى وطنيته بما أحرزه هذان الملكان من انتصارات سهلة أدت إلى ضياع الممتلكات المصرية فى الخارج ، ومن أجل ذلك شعر المصريون بالخجل والعار ، وبخاصة عند ما أحسوا أن الرومان يراقبونهم عن كثب . وعندئذ فقط ظهر للشعب أنه — دون ريب — قد وضع ثقته فى غير موضعها مدة طويلة فى « تليبوليموس » محبوبه القديم الذى تكشف عن بلادة وسوء تدبير . وقد انتهز أعداء هذا الرجل غضب الشعب عليه واستعملوه سلاحاً لعزله وتعيين وصاية جديدة مؤلفة من شخصيتين وهما «أريستومين»[1] قائد الحرس الملكى و « سكوبوس » رئيس القرصان الآتولى المنبت . وعلى الرغم من أن الشعب كان يعرف أن « أريستومين » من بين الأفراد الذين رقاهم «أجاتوكليس» منذ زمن طويل ، وكذلك كان عالماً بما كان يرتكبه « سكوبوس » من أعمال الشره والقحة ، فان أحوال البلاد وما آلت إليه من تدهور قد اقتضت وجود إدارى ماهر وقائد نشط لتولى شؤونها ، مما أدى إلى عزل « تليبوليموس » ، الذى برهن على أنه لم يكن يحسن الإدارة ولا يمتاز بالمهارة فى القيادة .

والظاهر أن « سكوبوس » كان رجلا من أولئك الذين يرضون عن طيب خاطر أن يشاطروا من حولهم ممن يثقون فيهم نفس الثقة التى كانوا

---

(١) راجع Polyb., XV, 31, 7-8.

يجدونها فى أنفسهم . وفى الحق فانه قد سارع فى تحقيق ما كان الشعب يأمله فيه ، إذ هم بعمل استعدادات وتجهيزات خطيرة لإعادة فتح سوريا الجوفاء من مخالب « انتيوكوس الثالث » ، وذلك دون أن ينتظر أى ارتباطات سياسية ؛ وبخاصة أنه لم يترك مجالا للرومان إلى الظن بأن « بطليموس الخامس » كان يعتبر تحت رعايتهم أو وصايتهم . ومن المحتمل أنه فى هذه الآونة قام ضباط الحرس الملكى البطلمى بمظاهرة برهنوا فيها على ولائهم وحبهم « لبطليموس الخامس » « ابيفانس » (الظاهر) .

ومن الغريب المدهش أنه فى تلك الآونة نجد أن الأثينيين الذين كانوا منذ زمن بعيد يلجأون إلى ملوك البطالمة عند ما تحل بهم كارثة ، قد سعى وفد منهم إلى الإسكندرية لطلب النجدة عند ما رأوا عين الغدر والخيانة من « فيليب الخامس » ملك مقدونيا ، ولم يطلبوا تلك المساعدة من « روما » التى كانت وقتئذ صاحبة جاه وبطش وسلطان . وذلك فى فترة لم يكن فى مقدور مصر أن تحمى ممتلكاتها ؛ ومع ذلك نجد أنه فى أوائل عام ٢٠٠ ق . م ذهب سفير مصرى إلى « روما » ليعلن الحكومة الرومانية أن الأثينيين قد طلبوا النجدة من مصر لحمايتهم من إغارة « فيليب » عليهم . ولما كانت « أثينا » حليفة « بطليموس » وكان عليه أن يمد لها يد المساعدة فانه مع ذلك لم يكن فى مقدوره أن يرسل إليها أسطولا أو جيشاً لحمايتها والدفاع عنها دون موافقة الرومان . وعلى ذلك كان عليه إما أن يبقى هادئاً فى مملكته إذا كانت الحكومة الرومانية يخلو لها أن تحمى حلفاءها بنفسها أو يترك الرومان وشأنهم ، ويرسل نجدة لحماية الأثنيين من هجمات « فيليب » . ولكن عند ما يفكر الإنسان فى أن مصر فى تلك الفترة لم يكن لها أسطول ولا جيش فانه يفهم فى الحال أن

رسالة مصر إلى روما بهذا الصدد لم تكن إلا مجرد كلام أجوف فاه به « سكوبوس » وصاغه « أريستومنيس » فى قالب سياسى براق أخاذ . وعلى أية حالة يفهم من منطوق ألفاظ الرسالة التى أرسلتها مصر إلى « روما » من قبل « بطليموس الخامس » أنها ملق سافر ؛ غير أن الإنسان فى مقدوره أن يتبين من بين سطورها أن مصر أرادت بهذه الرسالة أن تعامل الرومان على قدم المساواة فى الشؤون السياسية الخارجية وأنها من ناحية أخرى لم ترتبك عند ما يطلب إليها الضعفاء أن تحميهم .

وقد أجاب مجلس شيوخ روما بنفس النغمة التى تدل على الود والمصافاة قائلا بأنه مكلف بحماية حلفائه ، ثم قدمت للسفراء الذين حملوا هذه الرسالة الهدايا .

ولقد كان الغرض الذى يرمى إليه « سكوبوس » فى تلك الفترة هو أنه يضرب الضربة التى كان يفكر فيها واستولت على مشاعره إرضاء للشعب المصرى ، وهى إعادة سوريا الجوفاء إلى الحكم المصرى ؛ ومن أجل ذلك أخذ فى جمع القوات اللازمة لتنفيذ خطته . هذا ولا نعرف إذا كان قد أفلح فى انهاء المأمورية التى كان قد كلفه بها « أجاتوكليس » منذ ثلاثة أعوام مضت أم أخفق فيها وهى تجنيد جيش مرتزق . فقد حدثنا « بوليبيوس » عن « سكوبوس » فوصفه بأنه كان شرهاً لدرجة لا حد لها ، وأنه لا يتنفس إلا من أجل الذهب ، ولذلك فانه كان على استعداد ليستولى لنفسه على المبالغ التى كانت مخصصة لتجنيد الجنود المرتزقة وبخاصة عند ما رأى أن « أجاتوكليس » لم يكن هناك لتقديم الحساب له . غير أنه فى هذه الحالة كانت مصلحته فى أن يقوم بمهمته بأمانة وجد . وفعلا أرسله الملك «بطليموس»

من الإسكندرية ومعه مبلغ عظيم من المال إلى بلاده «آتولى» ليحضر معه إلى مصر ستة آلاف جنديا من الرجالة وخمسماية من الفرسان المرتزقين[1]

وعلى أية حال مكثت الاستعدادات للحرب مدة طويلة ، ومن المحتمل أنها استغرقت عام ٢٠٠ ق . م . ولحسن الحظ كان هذا التأخـــير فى الاستعدادات من مصلحته ؛ وذلك لأن «أنتيوكوس» بما فطر عليه من ادعاء وقصر نظر ظن أنه فتحه لمصر كان أمراً مضمونا ؛ ومن ثم رأى أنه لا بد أن يقوم بفتوح أخرى فى «آسيا الصغرى» مكتفياً بما حصل عليه فى سوريا . ولكنه مع ذلك أخذ يرقب سير الأحوال على مضض فى حيرة من موقفه فكانت الأوهام تنتابه فى كل لحظة فيما يتعلق بالحروب التى كانت دائرة رحاها بين «فليب» ملك مقدونيا من جهة ، وبين الرومان و «أتالوس» والروديسيين والبيزنطيين وحتى الأثينيين من جهة أخرى[2]. هذا ولما كان «أتالوس» يحارب فى بلاد الإغريق فانه ترك بلاده بدون جيش فيها ليدافع عنها ، ومن ثم كانت الفرصة أمام «أنتيوكوس» مغرية جداً ، إذ وجد فيها سبباً مربحاً يمكن به أن يساعد حليفه دون أن يخلصه مما هو فيه . على أنه فى الوقت الذى كان يعمل فيه على اقتناص فريسة كان لا بد من استردادها على أية حال فى فرصة قريبة على يد الرومان ، كان «سكوبوس» قد سار على رأس جيش إلى بلاد سوريا الجوفاء واستولى عليها ثانية لمصر . ولما كانت هذه البلاد قد تعودت تقلب الحكام عليها فان المدن السورية قد استسلمت بسهولة لحكم الفاتح الجديد . وحتى اليهود الذين كانوا يتشدقون بولائهم

---

(١) راجع B. L. I. p. 359-60.

(٢) راجع Cf. Les décrets anthéniens CIA II. 418-41.

« لأنتيوكوس » فانهم لم يظهروا أية مقاومة جدية أمام جيش « سكوبوس » . وقد وضع المصريون حامية فى بيت المقدس[1] وبعد ذلك عاد « سكوبوس » إلى مصر ومعه بعض رؤساء اليهود . وفى الواقع أن الأحوال كانت تجرى فى صالح القائد المصرى عن طريق الصدفة لا بذكائه وفطنته وإلا لفقد سمعته ، لأنه حاصر موقعا هناك كان الدفاع عنه ضئيلا . يضاف إلى ذلك أنه لم يصل إلى بلاد اليهود إلا فى فصل الشتاء (حوالى عام ١٩٩ — ١٩٨ ق . م) ومن المحتمل أنه قد حاول الاستيلاء على بعض مدن فنيقيا ، كان من السهل الدفاع عنها أمام محاصر ليس لديه أسطول .

وعلى أية حال فان أى فخر قد أحرزه « سكوبوس » بانتصاراته هذه لم يكن إلا مجرد سراب خداع . وذلك لأنه عند ما وصلت أخبار انتصارات « سكوبوس » فى سوريا الجوفاء إلى « أنتيوكوس » قفل راجعاً إلى ميدان الحرب ، فاخترق جبال « توروس » ، وسار لملاقاة عدوه عام ١٩٨ ق . م . وفعلا تقابل الجيشان فى « بانيون » وهى التى سميت بهذا الإسم نسبة إلى محارب سامى . وتقع بالقرب من منبع نهر الأردن وهو الذى وحده الإغريق باسم الههم « بان » (إله الغابات والحقول) . وهناك وقعت واقعة دامية ، كان فيها « أنتيوكوس » — بكر الملك « أنتيوكوس الثالث » — على رأس الفرسان والفيلة . التى كانت تسبق المشاة ، وقد أحدث « أنتيوكوس » هذا ثغرة ضخمة فى صفوف الجيش المصرى . ولما تحقق « سكوبوس » من الهزيمة المؤكدة — التى منى بها — ولى الأدبار

(١) راجع Joseph, A. Jud. XII, 3, 3.

بفلول جيشه إلى مدينة « صيدا » حيث لحقه جيش فى الحال يتألف من عشرة آلاف مقاتل وحاصروه فى تلك المدينة . وعلى الرغم من أن مصر قد أرسلت نجدة يقودها أحسن كبار القواد المصريين نخص بالذكر منهم « أروبوس » (Aeropos) و « منوكليس» (Menocles) و «داموكسينوس» (Damoxenos) فأنه لم يكن فى استطاعتهم اختراق الحصار، وقد انتهى هذا الحصار بأن هزم الجوع « سكوباس » فسلم المدينة ثم سمح له هو وصحبه بالخروج منها دون جيش . أما المؤرخ « بوليبيوس »[١] فقد تحدث عن العمليات التى حدثت خلال حصار « صيدا » فاستمع لما يقوله : وعلى أثر هزيمة « سكوبوس » على يد « أنتيوكوس الثالث » فان الأخير استولى على «باتانى» (Batanée) و «سماريا» و «أبيلا» (Abila) و « جاردا » (Garda) وبعد فترة وجيزة سلم له اليهود الذين كانوا يسكنون حول المعبد المسمى « هيروسوليما » (Hierosolyma) . ولم يكن يعترض « أنتيوكوس » فى أعماله الحربية إلا الحامية الصغيرة التى تركها « سكوبوس » فى قلعة المدينة وقد ساعده اليهود أنفسهم على الاستيلاء عليها . وهكذا يشاهد أن « سوريا الجوفاء » و « فنيقيا » و فلسطين قد عادت ثانية إلى حكم « أنتيوكوس » ، بعد أن طردت منها مصر . وكان طرد مصر من هذه البلاد أبدياً . والظاهر أنه بعد هذه الحروب الطاحنة قد أبرمت اتفاقية مؤقتة بين حكومة « أنطاكية » و حكومة « الإسكندرية » انتهت على ما يقال بحلف أسرى بين البلدين . ومهما يكن من أمر فان « أنتيوكوس الثالث » قد أصبح بعد هذا النصر حراً فى أن يضم إلى امبراطوريته كل ما كانت تملكه البطالمة فى آسيا الصغرى وحتى فى « تراقيا » دون تميز بين ما كان قد استولى عليه

---

(١) راجع Herronym., In Dan. XI, 15-16.

خليفه « فيليب » المقدونى ، خاصة عند ما نعلم أن « فيليب » الخامس منذ نهاية عام ١٩٨ ق . م رأى نفسه محاطاً بأعدائه ؛ ومن ثم طلب تخفيف وطأة هذا العبء عليه وهو الذى كان سيبلغ ذروته فى « سينو سيفال » فى ربيع ١٩٧ ق . م[١] .

أما ما كان من أمر « سكوبوس » الذى كان يعشق الفخار ويحب المال حباً جماً بكل ما لديه من قوة وبأس فانه عاد إلى الإسكندرية والغيظ يملأ صدره . حتى أنه على ما يحتمل أخذ يكيل السباب والشتائم والتوبيخ أينما حل ؛ واتخذ منذ تلك اللحظة موقفاً عدائياً من الوصى على العرش « أريستومنيس » . والواقع أنه بعد أن أحس بمرارة ما منى به من ضعف وهزيمة منكرة ، لم يجد لنفسه منفذاً من موقفه المشين هذا إلا القيام بمؤامرة يصل بها إلى غايته المنشودة وذلك أنه كان يعمد إلى القيام بانقلاب كالذى كان يأمل « كليومنيس » الاسبرتى القيام به . وهو الذى كما ذكرنا من قبل قد انتهى بالفشل الذريع (مصر القديمة الجزء ١٥) . والواقع أنه كان يلتف حوله مواطنون مخلصون له كأولئك الذين كانوا يناصرون « كليومنيس » ، غير أن « أريستومنيس » الوصى كان يقظاً متنبهاً للمكيدة التى كان يدبرها له مناهضه . ومن أجل ذلك نجد أنه عمل على التخلص منه ولكن عن طريق العدالة لا عن طريق الغدر والخيانة . وقد حدثنا « بوليبيوس » عن هذه المؤامرة التى انتهت باعدام « سكوبوس » وصحبه فاستمع إليه[٢] : هناك جم غفير من الذين يستميتون فى طلب القيام بأعمال البطولة والإقدام والشهرة ، غير أن

---

(١) راجع B.L.I. p. 362; Liv., XXXIII, 19.

(٢) راجع Polyb., XVIII, 53 sqq.

القليل منهم ينالها ؛ ومع ذلك فان « سكوبوس » كان لديه من الموارد تحت تصرفه لمواجهة الخطر والعمل بجسارة أحسن مما كان لدى « كليومنيس » وذلك لأن الأخير لم يكن ينتظر المساعدة إلا من خدمه وأصدقائه ، ومع ذلك فانه بدلا من ترك بارقة الأمل الهزيلة التى كانت أمامه ، قام بكل ما كان فى قدرته من جهد مفضلا موتاً شريفاً عن حياة خسيسة حقيرة . فى حين أن « سكوبوس » كان على العكس من ذلك، ففى ركابه جم غفير من المؤازرين له ، هذا بالإضافة إلى أنه كان لديه فرصة سانحة وهى أن الملك كان لا يزال طفلا ؛ ومع ذلك نجده قد أخذ على غرة وهو لا يزال يؤجل ويدبر مؤامرته التى كان يزعم القيام بها ، وعند ما كشف « أريستومنيس » أنه كان معتاداً على جمع أصحابه فى بيته وعقد جلسات معهم ، أرسل بعض الضباط فى طلبه للحضور أمام المجلس الملكى . غير أن « سكوبوس » عند ما رأى ذلك فقد صوابه ؛ ومن ثم لم يعد فى مقدوره تنفيذ مؤامرته ، بل وأنكى من ذلك وأقبح من كل شىء كان رفضه المثول أمام الملك . والواقع أن « أريستومنيس» لما أحس بارتباكه حاصر بيته بالجنود والفيلة ، وبعد ذلك أرسل « بطليموس ابن أمنيس » مع بعض جنود ومعهم الأوامر باحضاره وقد جاء فيها أنه إذا كان « سكوبوس » على استعداد لإطاعة الأوامر فان هذه هى الطريقة المثلى ، ولكن إذا عصى الأوامر فعلى الجنود إحضاره بالقوة . وعند ما اتخذ « بطليموس » سبيله إلى بيت « سكوبوس » وأعلنه بأن الملك يطلبه ، فانه لم يعر أذناً لما طلب إليه ، وكان كل ما فعله أن حملق فى وجه « بطليموس » مدة طويلة كأنه كان يرغب فى تهديده مندهشاً من جرأته ؛ ولكن عند ما اقترب منه « بطليموس » وأخذ بتلابيب عباءته بعنف ، طلب « سكوبوس » من الحاضرين الأخذ بناصره . ولكن لما كان عدد الجنود الذين كانوا قد

اقتحموا بيت « سكوبوس » عظيماً وأنه كما أخبره بعضهم كان محاصراً من الخارج فلم ير عندئذ بداً من التسليم وتبع « بطليموس » وبرفقته أصحابه وشركاؤه فى المؤامرة . وعند ما دخل قاعة المجلس اتهمه الملك أولا فى كلمات موجزة، ثم تبعه « بوليكرتيس » (Polycrutes)الذى كان قد حضر مؤخراً من « قبرص » . وأخيراً اتهمه « أريسومنيس » . والاتهامات التى وجهت إليه كانت كلها مشابهة للتى ذكرت تواً ؛ وفضلا عن ذلك ذكر المتهمون اجتماعاته مع أصحابه ورفضه إطاعة أوامر الملك . ومن ثم فانه قد أدين لأسباب مختلفة لا من قبل المجلس وحسب بل أدانه أولئك السفراء الأجانب الذين كانوا حاضرين المجلس .

يضاف إلى ذلك أن « أريستومنيس » عند ما أخذ يتهمه كان قد أحضر معه فضلا عن ذلك رجالا كثيرين من أصحاب المكانة فى بلاد الإغريق وهم الرسل الأتوليين الذين كانوا قد حضروا لعقد صلح وكان من بينهم « دوريماكوس » (Dorimachos) وهو قائد قديم للحلف الآتولى .

وعند ما انتهت كلمات الذين اتهموا « سكوبوس » قام الأخير بدوره وتكلم مدافعاً عن نفسه . وقد حاول أن يقدم بعض دفاع عن نفسه ، غير أنه لما وجد أنه لم يعره أحد أذناً صاغية سكت ، ثم سيق إلى السجن مع رفاقه . وعند ما أسدل الظلام خيوطه أمر « أريستومنيس » بقتل « سكوبوس » وكل رفاقه بتجرع السم ، وقد استثنى من بينهم «ديكاركوس» (Dicaearchus) فقد عذبه ضرباً بالسياط وبذلك نال ما كان يستحق من عذاب أليم قبل موته ، و « ديكاركوس » هذا هو الرجل الذى كان قد عينه « فليب الخامس» عند ما قرر الهجوم على جزر « سيكلاديز » غدراً ، وكذلك المدن التى على

الدردنيل — ليكون قائداً للأسطول وللحملة كلها .

وقد نفذ هذا القائد مأموريته هذه بطريقة جعلت كل الإغريق يصبون جام غضبهم وحنقهم عليه . وقد إعتبر موته بهذه الصورة من عمل العدالة الإلهية .

وبعد أن انتهى « أريستومنيس » من إعدام هؤلاء المجرمين أعاد الجنود الآتوليين أو تركهم يعودون إلى بلادهم . وهؤلاء الجنود هم الذين كان يعتمد عليهم « سكوبوس » .

ومن ثم خيم الهدوء والسلام على ربوع الإسكندرية . وقد دلت الإحصاءات التى عملت لحصر ثروة « سكوبوس » التى جمعها مدة حياته على أنه لم يكن رجلا متآمراً وحسب بل أثبتت على أنه كان لصاً تآمر على إفلاس خزينة الدولة بالإشتراك مع مساعده « كاريمورتوس » (Charimortos) الذى كان مشهوراً بوحشيته ومعاقرته بنت الحان[1]. ولا نزاع فى أن « كاريمورتوس » هذا هو الذى كان مشهوراً بصيد الفيلة فى نهاية عصر « بطليموس فيلوباتور » .

---

(١) راجع Polyb., XVIII, 37-38.

حفل تتويج بطليموس الخامس ابيفانس على عرش الفراعنة

بعد أن خرج « أريستومنيس » من بين أنياب المؤامرة التي حيكت له وضرب ضربته الأخيرة القاضية وأصبح الجو صافياً أمامه ، وجد أنه من الخير والحكمة أن يسارع إلى إعلان بلوغ الملك سن الرشد ، وذلك بقصد أن يخلص الملك علناً من هذه الوصاية التي كان الرومان على ما يظهر يدعون القيام بها على « بطليموس » بصورة ما . هذا ولم يكن « بوليكراتيس » آخر من نصح باتخاذ هذا الإجراء ، وذلك لأنه هو الآخر كانت له آراؤه التي لم تكن نفس آراء رئيس الوزراء إذ كان بدوره يريد أن يستحوذ على الملك بطريقة أخرى . وفعلا أحتفل باعلان بلوغ الملك سن الرشد على الطريقة الهيلانية فى الإسكندرية وذلك باقامة حفل يليق بعظمة الدولة وسلطانها[1] وكذلك أحتفل بتتويج الملك على حسب الشعائر المصرية الفرعونية . وقد أقيم هذا الحفل فى منف ، بعد ذلك مباشرة مما جمع حول الملك قلوب الشعب المصرى الأصيل . وهذه هى المرة الأولى التي نجد فيها ملكاً من ملوك البطالمة يتوج نفسه على الطريقة المصرية فى « منف » . والواقع أن هذا العمل الهام لم يأت عفو الخاطر بل جاء عن قصد وتدبير وتجارب مرت على ملوك البطالمة جعلت « بطليموس الخامس » يسلك هذه الطريق السوى . ولا نزاع فى أن من يتتبع خطوات تاريخ البطالمة فى مصر منذ البداية يتضح له أنه حتى عهد « بطليموس الخامس » كانت سياستهم فى حكم البلاد تنطوى فى الخفاء على جعل رجال

---

(١) راجع Polyb., XIII, 38 (55D).

الدين دائماً متكلين على العرش ، كما أنهم فى الوقت نفسه كانوا يحكمون الشعب حكم القاهر للمقهور ، غير أن البطالمة على مر الأيام رأوا أنهم فى نهاية الأمر فى حاجة ماسة لمساعدة رجال الدين الذين كانوا هم فى الواقع الممثلين الحقيقيين لكل طبقات الشعب ، وأنهم هم المسيطرون على عقول أفراد الشعب وضمائرهم . والظاهر أن تطور الأحوال فى عهد « بطليموس الخامس » كان دقيقاً ويرجع السبب فى ذلك إلى أن مصر كانت قد فقدت أملاكها فى الخارج كما كانت نار الفتنة مشتعلة فى داخلها ، وذلك بسبب استيقاظ الشعور الوطنى فى البلاد مما أدى إلى قيام تطاحن بين الوطنيين المصريين الأصليين وبين أسرة البطالمة التى كانت تعتبر أجنبية فى نظر المصريين . ومن ثم ابتدأت هذه اليقظة القومية أو بعبارة أخرى الثورة المصرية فى عهد « بطليموس الرابع » وذلك على أثر موقعة « رفح » التى انتصر فيها الجنود المصريون على «أنتيوكوس» ملك سوريا . وعلى ذلك شعر المصريون بعزتهم القومية . وقد كانت هذه الثورات التى تتألف فيما بعد والتى سنشرحها بالتفصيل فى حينها ، فى بادىء الأمر قاصرة على الوجه البحرى . ولكن منذ العام الأول من حكم « بطليموس الخامس » (وهو الذى أطلق عليه منذ بلوغه سن الرشد لقب « تيوس ابيفانس » أى مظهر الآله . وقد أضيف إليه كذلك لقب آخر وهو « أيوكاريستوس » أى السموح أو الغفور) عام ٢٠٤ ق . م أرسلت جنود من «طيبه» إلى «كوم امبو» بمصر العليا عند امتداد الثورة إلى هذا القطر فى عهد « ابيفانس » . وفى هذه اللحظة تحدثنا الوثائق الديموطيقية عن ظهور بطلين مصريين الواحد تلو الآخر حمل كل منهما الألقاب الفرعونية وهما « حرمخيس » (حور . إم-أخت) و « عنخمخيس » وقد أسس أولهما مملكة فى إقليم « طيبه » وخلفه على عرشها الثانى بعد مماته . وعلى

أية حال يقول بعض المؤرخين الذين يريدون أن يحقروا من شأن هذه الثورة العارمة أنهما كانا ملكين صغيرين كان من الممكن أنهما ضايقا ملوك البطالمة ولكنهما لم يستقلا بالوجه القبلى ، غير أن فريقاً آخر من المؤرخين يقول عن هذين الملكين أنهما من أصل نوبى قد أغار أولهما على الحدود المصرية[١] كما فعل من قبلهم « بيعنخى » حوالى عام ٧٥٠ ق . م .

وتدل شواهد الأحوال على أنه كانت توجد علاقات سرية بين هذين الملكين وبين رجال الدين فى «طيبة» وكانت نار الحقد قد أخذت تشتعل فى صدور رجال الدين وكذلك كرههم البالغ للملوك البطالمة لتفضيلهم رجال الدين فى منف عليهم . ولما كان ثوار بلاد الدلتا تحميهم طبيعة بلادهم بما فيها من مستنقعات وأدغال فان خطرهم إذا ما قورن بخطر ثوار رجال الوجه القبلى لوجد أنه كان أشد وأكثر خطورة . وقد كان لا بد من قيام حصار منظم للاستيلاء على « ليكوبوليس » من أيديهم (فى المقاطعة ٩ من مقاطعات الوجه البحرى — راجع أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص ٧٨) . وكانت معسكرهم العام .

وقد احتمى الثوار خلف جدران هذه المدينة فحاصرهم الجيش البطلمى . والظاهر أن الملك كان حاضراً مع جنوده أثناء هذا الحصار . وفى عام ١٩٧ ق . م كان النيل عالياً أكثر من المعتاد مما هدد باغراق المبانى الخاصة بالحصار الذى أقيم حول البلدة ، وهو الذى أقيم لإجبار جنود الملك على التراجع وتخفيف وطأة الحصار ، هذا ولمنع المياه عن المحاصرين سد جنود

---

(١) راجع J. Krall Stud Z. Gesch, d. Alt. Aegypt II, 8. [S B.d. Wien Ak. 188 4] P. 369, 2.

الملك الترع التى كانت تروى الجهات المجاورة لبلدة « ليكوبوليس » وحولوا الماء إلى جهة أخرى . ولما رأى المحاصرون أنهم فى ضيق شديد سلموا أنفسهم لرحمة الملك ، غير أن الأخير كما يقول « بوليبيوس » عاملهم بقسوة بالغة . ومن ثم كان ذلك وبالا عليه . ويحدثنا المرسوم الذى نقش على حجر رشيد عن ماهية هذه المعاملة الشنيعة . فقد قتل رؤساء الثوار فى منف . وكان من جراء عناد الثوار ومقاومتهم ما أحفظ الملك وجعله يقسو فى معاملة الأسرى لدرجة أن من بقى منهم على قيد الحياة ، لم يكن لديه أمل فى أى تسامح ، أو عفو ، ومن أجل ذلك قاموا بمحاولة أخيرة جديدة بعد يأسهم التام فأشعلوا نار فتنة عارمة .

ولا نزاع فى أن تنفيذ حكم الإعدام فى رؤساء الثورة كان مقدمة أو تكملة للاحتفال الهائل المقدس لتتويج « بطليموس » ، وكذلك كان بمثابة تأكيد لجبروت الملك . وهذا الحفل كان قد أخذ من منبعه من حيث شعائر التطهير والغسل والتقديس والتقليد الرمزى من كل نوع . وكان يؤدى بالترتيب والإحكام على يد كهنة الإله « بتاح » . ومن ثم كان يستقبل الآله — بنفسه بين أحضانه — ابنه الذى كان يمثل صورته الحية ، وكان يؤدى ذلك بكلمات سرية تتلى فى أعماق معبده (قدس الأقداس) . وقد كان هذا الاحتفال فى نظر الشعب المصرى الأصيل بمثابة تكريم للديانة القومية العريقة فى القدم . ومما يلفت النظر أن هذا التتويج على الطريقة الفرعونية قد جاء فى أحوال مناسبة للغاية بالنسبة لحالة البلاد بوجه عام وقتئذ . إذ الواقع أنه كان عمل له خطره لأنه يعد حسنة كريمة من قبل أسرة حاكمة كانت تسير منذ قيامها حتى الآن على منهاج شاذ بالنسبة للشعب الذى تحكمه ،

وذلك لأنها لم تكن حتى الآن قد قبلت أن يتوج ملوكها على حسب التقاليد الدينية التى كانت تسير على نهجها البلاد منذ أقدم عهودها . ومنذ ذلك اليوم الذى توج فيه الملك على حسب التقاليد الفرعونية نجد أن رجال الدين الذين لم يكن يعترف لهم إلا بالقيام بواجبات معينة قد أصبحوا أصحاب حقوق ضخمة ، ولا أدل على ذلك من أن العبادات القديمة قد بعثت من مرقدها وأن الرسميات الدقيقة الخاصة بالشعائر الفرعونية قد أصبحت تنفذ حرفياً ؛ ومن أجل ذلك نجد أن المرسوم الكهنى الذى صدر فى السنة التالية لتولية « بطليموس الخامس » عرش الملك بصفة نهائية لبلوغه السن القانونية ، قد عنى بالنص على أن الفرعون قد تسلم تاج مصر طبقاً للشعائر المتوارثة وذلك عند ما دخل معبد « منف » لاتمام الاحفال المقررة لأجل الاستيلاء على التاج .

ومما هو جدير بالذكر هنا أنه خلافاً للتقاليد الفرعونية التى نقرؤها فى المتون المصرية ، وهى التى يمكن تطبيقها من كل الوجوه على العصر البطلمى ، ليس لدينا عنها معلومات نقتدى بها ، إلا مقال غريب فى بابه وضعه مدرس فى العصر المتأخر .

وعلى الرغم مما يحوم من شكوك حول كفاءة هذا المدرس المجهول لنا فانه من المحتمل أن يكون قد حفظ لنا ما قصه علينا ملحقاً للصيغ القديمة التى كانت شائعة وقتئذ ، بل ومن المحتمل أنه قد عمل خصيصاً لأجل حذف إصلاح التقويم الذى وضعه « بطليموس الثالث » وهوالذى كما يقول بعضهم قد فرضه على الكهنة . ويقول هذا المدرس أن الاحتفال بتتويج الملك كان يتم فى معبد « منف » بمصر حيث كانت العادة هناك تقديم التاج الملكى للملك عند بداية حكمه وعندئذ كان يلقن الملك الشعائر المقدسة ويقال أنه فى بادىء

الأمر كان الملك يرتدى قميصاً ، كما كان يجب عليه أن يحمل باحترام نير ثور يسميه المصريون « أبيس » . وكان يعد أعظم إله عندهم . ثم كان يقاد هذا الملك فى كل شارع لأجل أن يفهم الناس أن الأمراء يعرفون كيف يكدون ويكدحون . وكان هذا هو الشرط الأول الإنسانى . وكان يجب على هؤلاء الأمراء ألا يسرفوا فى معاملة من هم أقل منهم من حيث القسوة . وكان يقودهم كهنة «ازيس» إلى مكان معلوم ويجبرونهم على عقد قسم بألا يضيفوا شهراً أو يوماً وألا يغيروا يوماً من أيام العيد بل يختموا أيام السنة التى عددها ٣٦٥ يوماً وهى التى كانت مقررة عند الأقدمين . وبعد ذلك فرض عليهم حلف يمين آخر وهو أن يحصلوا ويحافظوا على الحبوب باستخدام الأرض والماء وأخيراً كان يوضع بعد ذلك التاج على رأس الملك ومن ثم يصبح سيد الدولة المصرية[١].

وليس نخاف أن هذا المتن قد انحدر إلينا من عهد متأخر ولا صلة له بالعهد المصرى القديم . وتدل شواهد الأحوال على أن الغرض من وضعه كان أولا لإعادة التقويم القديم إلى ما كان عليه قبل عهد « بطليموس الثالث » الذى حدث فى عهده هذا التغيير ، ولا ندرى إذا كان الكهنة فعلا قد أجمعوا على ذلك كلهم أم كان قاصراً على طائفة منهم فقط من غير الذين كانوا يتمسكون بأهداب القديم مهما كان غير مطابق للواقع .

والغرض الثانى من أدخال هذه الشعائر كان لإظهار ما كان لعبادة « أبيس » الذى يعتبر الآله الأعظم فى الدولة المصرية وقتئذ وهذا الآله قد

---

(١) راجع Schol German p. 408-409, Wyssenhart.

اشترك فى عبادته المصريون والإغريق على السواء ؛ ومن أجل ذلك ذكر اسمه فى احتفال التتويج بدلا من الآله « رع » الذى كان يعد كل ملك ابنه كما حدثتنا بذلك التقاليد المصرية منذ أقدم العهود .

والظاهر أن تتويج الملك « بطليموس الخامس » قد تم ببعض السرعة نظراً لتحرج أحوال البلاد فى هذه الفترة وذلك لأن الاحتفال لم يتم بكل ما كان يلزم له من أبهة وعظمة كما كان يجب أن يتم فى مثل هذه المناسبة . ولكن على أية حال إقتضت العادات القديمة أن يحتفل بتتويج الملك من الوجهة الدينية ، ومن ثم كان فى صالح رجال الدين أن يعلنوا اعترافهم بالجميل للملك عما قام به نحوهم من تتويجه على الطريقة المصرية ، وقد ساعدت حكومة الإسكندرية فى ذلك ، وبخاصة عند ما وثقت بأن الكهنة قد أصبحوا حلفاء الحكومة ؛ ولذلك نجـــد أنه بعد تتويج الملك على الطريقة المصرية إرضاء لهم أخذ الملك فى اتباع سبيل اللين والمهادنة مع الأهالى . ومن أجل ذلك أيضاً رأى رجال البلاط أنه من الخير أن تقوم الحكومة ببعض أعمال تدل على التسامح والمهادنة مع أفراد الشعب . فمن ذلك الغاء بعض الضرائب فى بعض الحالات وفى حالات أخرى خفضت الضرائب . هذا بالإضافة إلى أن الخزانة الملكية قد نزلت عن مقدار عظيم من الديون التى كانت مستحقة لها ، هذا إلى أن سجناء من الذين مضوا زمناً طويلا فى غياهب السجن وكانوا ينتظرون محاكمتهم ، قد أفرج عنهم . وكذلك صدر العفو عن رجال المشوش وغيرهم من الذين كان لهم ضلع فى الثورة ، وكانوا قد عادوا إلى بلادهم . ومن الجائز أنه بهذه المناسبة أخذ بعض المصريين يشغلون بعض الوظائف العالية فى الدولة فى السلك الإدارى بعد أن كانوا محرومين من مثل هذه الوظائف العالية .

ولا أدل على ذلك من أنه فى بردية من أواخر القرن الثالث قبل الميلاد على ما يظهر جاء فيها ذكر موظف مصرى يدعى « إمونثيس »[1] (Imonthes) يشغل وظيفة سكرتير مالى فى المديريات . على أن أهم شىء وجهت الحكومة عنايتها إليه هو أرضاء طائفة الكهنة وذلك باغداق انعامات جديدة وهبات وإمجاد للديانة القومية . وكان من صالح الكهنة أن يقوموا باحتفال رهيب مظهرين اعترافهم بالجميل لما منحهم الملك من أفضال وحباهم به من مكرمات وقد وجدت حكومة الإسكندرية فى ذلك الفرصة التى كانت تبحث عنها ، وهى التحالف مع رجال الدين فى كل انحاء البلاد . وقد تم هذا عند ما اجتمع — فى ٢٧ مارس عام ١٩٦ ق . م — الكهنة الذين كانوا قد وفدوا من جميع أنحاء القطر واجتمعوا فى حفل مهيب على شرف الملك، غير أنه لم يكن كالحفل السابق الذى اجتمع فى « كانوب » الواقعة على مقربة من الإسكندرية ، بل أقيم فى « منف » فى معبد الآله بتاح ، وذلك بعد أن تجددت شعائر التتويج على الطريقة التى كان يحتفل بها على النمط المصرى الأصيل .

والمرسوم التالى حرر على لوحة من البازلت الأسود وهو المعروف لدينا بحجر رشيد وهو الذى بما يحتوى عليه من نقوش مصرية قديمة وديموطيقية ويونانية كشف العالم الفرنسى شمبليون رموز اللغة المصرية القديمة . وقد تحدثنا عن هذا الكشف بشىء من التفصيل فى الجزء الأول من هذه الموسوعة ص ١٢٥ — ١٣٥ .

وقد اتخذ جماعة الكهنة فرصة الاحتفال بعيد يدعى « عيد سد » عند قدماء المصريين وكانت العادة هى أن يحتفل بهذا العيد بعد مرور ثلاثين عاماً على

---

(١) راجع E.V. Druffel Archiv VI (1920) pp. 30-33.

تتويج الملك أو كما قيل على ولادته ، غير أنه فى الواقع كان يحتفل به أحياناً بعد تتويج الملك بعامين أو أكثر ، ولا أدل على ذلك من أننا نجد أن كثيراً من الملوك قد أقاموا لأنفسهم أعياداً ثلاثينية عدة مثل رعمسيس الثانى[1] وغيره . ومن الغريب أننا لم نجد تسمية هذا العيد « سد » بالعيد الثلاثينى إلا فى النص الإغريقى لحجر رشيد الذى نحن بصدده . والظاهر أن الغرض الأصلى من هذا العيد هو أن يمنح الفرعون قوة فوق القوة الطبيعية وأن تجدد حياته ثانية ليصبح فتياً قوياً صالحاً للقيام بأعباء الحكم وتكاليفه . ولكن الغريب فى أمر الاحتفال بعيد «سد» أو كما يسميه الإغريق العيد الثلاثينى هو أن « بطليموس الخامس » لم يكن قد مر على تتويجه ملكاً على البلاد إلا أربعة أشهر وحسب ؛ وربما كان قيام الكهنة بالإحتفال بهذا العيد مبكر زيادة فى المبالغة فى الاحتفاء بالملك، ولأن الاحتفال الذى أقيم له لتتويجه فى « منف » لم يكن كامل البهجة ، وكان قد أقيم على عجل للاعتراف ببلوغ الملك سن الرشد قبل أوانه كما أراد « أريستيمونيس » الذى رأى فى هذا العمل مصلحة البلاد التى كانت تفتك بها الفتن وتمزقها المؤامرات ؛ وكذلك للتخلص من وصاية روما المزعومة ، وهى التى كانت تعتبر كابوساً ترزح البلاد تحت عبثه ما دام « بطليموس الخامس » لم يكن قد بلغ الرشد . والواقع أن هذا الاحتفال من جهة أخرى كان يعد فرصة سانحة لدى الكهنة المصريين ليظهروا فيه ما لهم من نفوذ وسلطان فى البلاد ، وذلك لأن الملك « بطليموس الخامس » قد أصبح فرعوناً حقيقياً بكل مظاهره الدينية للمرة الأولى فى عهد البطالمة كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

(١) راجع مصر القديمة الجزء السادس صفحة ٣٩٦ — ٣٩٧ .

مرسوم منف أو حجر رشيد(١)

يحتوى مرسوم «منف» الذى عثر عليه فى رشيد على ثلاثة نصوص وهى النص الإغريقى والنص الديموطيقى (لغة الشعب) والنص الهيروغليفى أو الكتابة المصرية المقدسة . وقد كان المفهوم أن كلا من هــذه النصوص الثلاثة يعتبر ترجمة حرفية للآخر . غير أن الواقع غير ذلك إذ نجد بعض الاختلاف فى كل منها عن الآخر ويرجع السبب فى ذلك إلى أن لكل لغة من هذه اللغات مصطلحاتها وتعابيرها الخاصة بها ، ومن أجل ذلك كان لزاماً علينا أن نورد هنا ترجمة كل نص من هذه النصوص الثلاثة بقدر المستطاع .

النص المصرى القديم

١ — التاريخ :

فى السنة التاسعة ، الرابع من شهر قسندقس الذى يقابل شهر سكان مصر الثانى من فصل الشتاء ، الثامن عشر منه فى عهد جلالة حور — رع الفتى الذى ظهر بمثابة ملك على عرش والده ، (ممثل) السيدتين ، عظيم القوة ، والذى ثبت الأرضين ومن جمل مصر ومن قلبه محسن نحو الآلهة ، « حور » المنتصر على « ست »،ومن يجعل الحياة خضرة للناس وسيد أعياد سد مثل « بتاح تنن » ، والملك مثل رع ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث

(١) J. E. A. Vol. 48 p. 117. عن كشف حجر رشيد واسم كاشفه

الإلهين المحبين لوالدهما المختار من بتاح روح (كا) رع القوية وصورة « أمون » الحية) ابن رع (بطليموس معطى الحياة أبدياً محبوب بتاح) الآله الظاهر سيد الطيبات ابن « بطليموس » و « ارسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما — عند كان كاهن الإسكندر ، والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإله الظاهر سيد الطيبات المسمى « أيادوس » بن « أيادوس » ، وعند ما كانت « برات » ابنة « بيلينس » حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، وعند ما كانت « أريات » ابنة « دياجنس » حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة اخيها ، وعند ما كانت « هرنات » إبنة « بطليموس » كاهنة « ارسنوى » التى تحب والدها .

٢ — المقدمة :

فى هذا اليوم قرر المشرفون على المعابد ، والكهنة خدام الالهة : والكهنة السريون والكهنة المطهرون الذين يدخلون فى المكان المقدس (قدس الأقداس) ليلبسوا الآلهة ملابسهم ، وكتبة كتب الآلهة ورفاق بيت الحياة ، والكهنة الآخرون الذين أتوا من شقى مصر نحو الجدار الأبيض (منف) لأجل أن يتسلم — فى عيد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى رب الأرضين — (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) الآله الظاهر رب الطيبات ، مملكة والده . وقد جمعوا أنفسهم فى معبد ميزان الأرضين وأعلنوا :

٣ — الملك بوصفه محسن للمعابد المصرية وكذلك لجميع الناس وبوجه خاص لجيشه أيضاً :

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وريث الإلهين اللذين يحبان والدهما

الذى اختاره بتاح ، ورروح (كا) رع قوية وصورة « أمون » الحية) ابن رع (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) الإله الظاهر ، رب الطيبات ابن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » والأميرة سيدة الأرضين « ارسنوى » ، والإلهين المحبين لوالدهما ، الذى عمل كل الأشياء الطيبة والعظيمة (= العديدة) فى أرض « حور » ولكل أولئك الذين كانوا فيها ولكل الناس الذين يوجدون تحت حكمه الممتاز جميعاً — أنه كان إلها وابن إله وأوجدته فى العالم آلهة ، فهو مثل « حور » بن «أزيس» وابن « أوزير » وهو الذى يحمى والده « أوزير » ، وكذلك كان جلالته ، قلبه محسناً نحو الآلهة — وعلى ذلك أهدى كثيراً من الفضة وكثيراً من الحبوب لمعابد مصر وأعطى كثيراً من الأشياء الثمينة لأجل أن يهدىء مصر ويجعل الشاطئين يمكثان وأعطى مكافآت للجنود الذين يعملون تحت سيادته .

٤ — تخفيف الضرائب والعفو عن المذنبين :

كل الضرائب والجزية الخاصة بالأمراء .... وهى التى كانت تثقل عاتق مصر فانه خفض بعضها والأخرى ألغاها كلها (؟) ؛ وعلى ذلك فان الجنود والناس فى زمنه كانوا سعداء بحكمه . وكل المتأخرات التى كانت تثقل عاتق سكان مصر وكذلك (؟) كل الناس كانوا جميعاً تحت حكمه الممتاز فان جلالته قد نزل عنها بكثرة يخطؤها العد . وقد أفرج عن السجناء الذين كانوا فى السجن وكذلك كل الناس .... الذين .

٥ — تثبيت الدخل القديم للمعابد والضرائب القديمة التى كان يدفعها الكهنة :

وقد أمر جلالته بالآتى : أن ما يتعلق بقربان الآلهة وكذلك الفضة والحبوب

التي كانت تعطى سنوياً للمعبد وكل أشياء الآلهة من كروم وأراضى بساتين وكل شيء يخصهم كانوا يملكونه فى عهد والده المبجل ، يجب أن يترك ملكاً لهم . وأمر كذلك أن ينزل عن الضريبة التي كانت تؤخذ من يد الكهنة ، أكثر من الضرائب التي كانت تدفع فى عهد جلالة والده المبجل .

٦ — الأعفاء من الرحلة السنوية إلى الإسكندرية ومن الخدمة البحرية . الإعفاء من توريد ثلثى الكتان الملكى :

وكذلك أعفى جلالته كهنة الساعة للمعابد من الرحلة التي كانوا يقومون بها إلى جدار الإسكندرية سنوياً . وكذلك أمر بألا يجند البحارة .

ونزل جلالته عن ⅔ نسيج الكتان الملكى الذى كان يورد له من المعابد .

٧ — إعادة السكينة الداخلية وضمان العفو الشامل :

وكذلك أعاد جلالته استعمال كل الأشياء التي كانت منذ زمن طويل غير منظمة، إلى نظامها الحسن . وقد كان مهتماً جداً بكل الأشياء التي كانت تعمل عادة لمنفعة الآلهة ، وكذلك عمل ما هو حق للناس مثل ما فعل الإله تحوت المزدوج العظمة .

وأمر كذلك (أن يترك بعد ذلك) .... وعلى ذلك فان ممتلكاته تبقى فى حوزته .

٨ — حماية البلاد من الأعداء الأجانب :

وكذلك حمل هم ارسال مشاة وفرسان وسفن ضد أولئك الذين كانوا يأتون من المدن أو من البحر . ومنح فضة كثيرة وغلالا لأجل أن يهدأوا أراضى حور (= المعابد) ومصر .

٩ — قهر الثائرين فى « ليكوبوليس » :

وقد زحف جلالته نحو . . . .

. . . .

بوساطة الأعداء الذين كانوا فى داخلها ، لأنهم عملوا أضراراً كثيرة فى مصر . ولقد تعدوا الطريق التى كان يحبها جلالته ، والتى هى تصميم الآلهة . وعلى ذلك فانه سد كل القنوات التى تجرى فى هذه المدينة . ولم يعمل مثل ذلك بوساطة الملوك السابقين وقد أعطى فضة كثيرة من أجل ذلك .

وعين جلالته مشاة فرساناً على هذه الترع لحراستها وحمايتها (الباقى ترك) .... عميقة جداً — وقد تغلب جلالته على هذه المدينة . وأخضع الأعداء الذين كانوا فى داخلها وقد أوقع فيهم مذبحة عظيمة (؟) كما فعل « رع » و « حور » بن « أزيس » مع عدوهما قبل ذلك فى هذا المكان .

١٠ — معاقبة زعيم الثورة التى قامت على « بطليموس فيلوباتور » :

تأمل لقد جمع العدو الجنود وكان على رأسهم وتخبطوا فى المقاطعات وضربوا أرض « حور » (= المعابد) وتعدوا طرق جلالته وطرق والده المبجل . وقد أمر الآلهة أن يقهروا فى « منف » فى العيد وهناك كذلك يتسلم مملكة والده . وقد قتلهم عند ما طعنهم بالخشب (؟) .

١١ — الاعفاء من الجزية المتأخرة وضرائب المعابد :

وأن ما يستحقه جلالته من المعابد حتى العام التاسع .... فضه وغلال التى نزل عنها جلالته ، وكذلك الكتان الملكى الذى يستحقه بيت الملك (= الخزانة) من المعابد والفرق الذى كان قد قرر فعلا عما وردت حتى

هذا الوقت . وقد نزل عن أرادب الحنطة التي كانت تؤخذ من آرورات الآلهة ، وكذلك مكاييل النبيذ التي كانت تجبى من الكروم

١٢ — الاهتمام بالحيوان المقدس وعبادة الآلهة :

ولقد عمل طيبات كثيرة للعجل «أبيس» والعجـــل «منيفيس» (من ور) وكل الحيوان الإلهي المقدس أكثر مما عمله الأجداد . واهتم قلبه بأحوالها في كل لحظة . وقدم كل شيء طلب من أجل معيشتها بكثرة وبكرم . وأحضر (؟) كل ما يطلب من أجل معابدها (؟) في ذلك العيد الكبير الذي يقدم فيه الإنسان القربان المحروق والذي يقدم فيه قربان الشراب وكل شيء أعتيد عمله . والأمجاد التي في المعابد وكل الأشياء العظيمة الخاصة بمصر فان جلالته تركها تبقى على حالتها على حسب القانون . وقد منح فضة كثيرة وغلة وكل الأشياء لأجل بيت سكن «أبيس» الحي . وزينه جلالته بشغل ممتاز من جديد ؛ وكان جميلا جداً . وقد ترك «أبيس» الحي يشرق فيه . وقد أتم مقصورة المعبد ومائدة القربات من جديد للآلهة (.............) عند ما كان قلب جلالته نحو الآلهة محسناً ، وعلى ذلك اعتنى بالمعابد وجاهها ، فجددها في زمنه الحاكم الأوحد — ومكافأة على ذلك أعطته الآلهة والإلهات القوة والسلطان والحياة والعافية والصحة وكل الأشياء الطيبة جميعها في حين كانت وظيفته الكبرى معه وأولاده أبدياً .

١٣ — عزم الكهنة على تمجيد الملك وأجداده :

بالحظ السعيد : لقد ذهب إلى قلب كهنة جميع معابد الوجه القبلي والوجه البحري لإكثار أمجاد ملك الوجه القبلي والوجه البحري (بطليموس

العائش أبدياً محبوب بتاح) الآله الظاهر ، رب الجمال الذى فى أراضى « حور » (= المعابد)،وكذلك الخاصة بالإلهين المحبين لوالدهما الذين أوجداه والإلهين المحسنين اللذين أوجدا ما عمله والإلهين الأخوين الذين أوجدا ما فعله والإلهين المخلصين والذى من أنجبه .

١٤–إقامة مجموعة تماثيل للملك والآلهة المحليين فى كل المعابد وتمجيدها

ويجب إقامة تمثال للملك « بطليموس » العائش أبدياً والآله الظاهر الذى أعماله جميلة ، ويدعى « بطليموس » حامى مصر وترجمته « بطليموس » الذى يحمى مصر ، وكذلك تمثال لآله المدينة (الاله المحلى) وأن يمنح سيف النصر الملكى فى كلا الشاطئين (القطرين) فى كل محراب مشهور فى الردهة العامة للمعبد ، من صناعة نحاتين مصريين . وعلى كهنة بيت الآله فى كل معبد من الذين عينوا بوجه خاص أن يتعبدوا لهذه التماثيل ثلاث مرات يومياً ، وأن يضعوا أدوات المعبد أمامها . وأن تعمل كل تعليمات موافقة لها كما يفعل ذلك لآلهة المقاطعات فى عيد أول السنة وأيام الأعياد (و) الأيام الخاصة بها .

١٥ — إقامة تمثال من الخشب للملك فى محراب من الذهب :

وكذلك يجب عليهم أن يصنعوا تمثالا مقدساً لملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » ، الآله المشرق رب الجمال ابن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » والأميرة سيدة الأرضين « ارسنوى » ، والألهين المحبين لوالدهما ، ومعه محراب مقدس من السام (الذهب) ومرصع بكل الأحجار الكريمة فى كل المعابد المعينة بوجه خاص والتى توجد فى المدن المحترمة ومع محاريب آلهة المقاطعات — وعند ما يقام العيد الكبير وهو الذى

يظهر فيه الآله فى محرابه المحترم ويخرج من بيته ، فعندئذ يجب أن يظهر المحراب المحترم لهذا الآله الظاهر (وهو فيه) .

وعلى ذلك ينبغى أن يكون هذا المحراب من اليوم إلى أجل من السنين لا يحد له معروفاً به .

ويجب أن توضع عشرة تيجان لجلالته ويكون أمام كل واحد منها صل كما هو المتبع فى جمع صور التيجان ، وتوضع على المحاريب بدلا من الأصلال التى كانت قبل على المحاريب ، وبذلك يكون التاج المزدوج فى وسطها ، فى حين أن جلالته بذلك يكون مشرقاً فى بيت « بتاح » بعد أن يكون قد عمل له كل حفل لدخول الملك فى بيت الآله ، وعلى ذلك يتسلم وظيفته الكبرى . ويجب أن يوضع على الجانب الأعلى للمربع (؟) الذى خارج هذا التاج . وقبالة هذا التاج المزدوج نبات الوجه القبلى ونبات البردى للوجه البحرى . هذا ويجب أن يوضع نسر على سلة ونبات الوجه القبلى تحتها فى الركن الأيمن من هذا المحراب ، وكذلك يوضع صل على سلة وتحته ساق بردى على جانبه الأيسر ومعناه هو : أنه حامل التاج الذى أضاء الوجه القبلى والوجه البحرى .

١٦ — إقامة العيد على شرف الملك :

فلما كان اليوم الثلاثون من الشهر الرابع من فصل الصيف هو يوم ولادة الإله الطيب العائش أبدياً ، فانه كان يعقد بمثابة عيد وحفل فى أراضى « حور » (= المعابد) ، وكان كذلك يعقد فى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من فصل الفيضان وهو الذى كان يعمل فيه حفل تتويج الملك عند ما

كان الملك يتسلمه من والده (أى التاج) — تأمل إن بداية جميع الأشياء العديدة الممتازة الخاصه بسكان الأرض هى ولادة الآله الطيب العائش أبدياً وتسلمه وظيفته الممتازة ، ويحتفل بها فى اليوم السابع عشر واليوم الثلاثين من كل شهر فى كل معابد مصر ويجب أن يقدم فيهما قربات محروقة وكذلك قربات سائلة ، وكل شىء كان يعمل كما ينبغى أن يعمل فى الأعياد فى هذا العيد من كل شهر ، وكل ما يقدم فى هذا العيد يجب أن يتناوله كل الناس الذين يقومون بخدماتهم فى المعبد .

ويجب على الإنسان أن يقيم عيداً وحفلا فى كل معابد مصر للملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » العائش أبدياً محبوب بتاح الآله الظاهر سيد الجمال ، سنوياً من اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الفيضان مدة خمسة أيام عند ما يكون على رأسهم إكليل ، وموائد القربان يجب أن تمد بسخاء بكل شىء كما يليق .

١٧ — اللقب الجديد لكهنة الملك :

وكهنة الملك فى كل معبد من المعابد التى ذكرت بوجه خاص يجب أن يكونوا خداماً للآله الظاهر سيد الجمال ويذكرون خارج وظائف الكهنة ويجب أن تكتب (الألقاب فى مرسومهم) ويجب أن تنقش وظيفة كهنة الآله الظاهر سيد الجمال على الخاتم الذى فى أيديهم .

١٨ — يجب كذلك على الأفراد العاديين أن يشتركوا فى تمجيد الملك :

تأمل يجب على الناس الذين يريدون منح صورة من هذه المقصورة للآله الظاهر أن يقيموها ويحفلوها فى بيوتهم كما يجب عليهم أن ينظموا هذا العيد

والحفل فى كل شهر وفى كل سنة وبذلك يعلم أن سكان مصر قد مجدوا الإله الظاهر سيد الجمال كما ذكر أعلاه .

١٩ — نشر المرسوم :

ويجب أن يحفر هذا المرسوم على لوحة من الحجر الصلب بكتابة من كلم الآله وبكتابة الرسائل وبالكتابة الإغريقية (ويجب على الإنسان) أن ينصبها فى المكان المقدس (المحراب) فى المعابد الخاصة المبينة من الدرجة الأولى والثانية والثالثة وذلك بجوار تمثال ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) الإله الظاهر سيد الجمال .

ترجمة النص الديموطيقى

١ — التاريخ :

(السنة التاسعة الشهر الرابع قسندقس) وهو بالشهر المصرى الثامن عشر من الشهر الثانى من فصل الشتاء فى عهد الملك الشاب الذى ظهر ملكاً على عرش والده ، سيد تاج الصل ، ومن شهرته عظيمة ، ومن ثبت مصر عند ما حررها ، ومن قلبه محسن نحو الآلهة ، ومن يقف فى وجه أعدائه ، ومن يجعل حياة الناس حرة ، والسيد الذى عيده السنوى مثل عيد « بتاح — تنن » والملك مثل « فرع » (إله الشمس) . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى بن الإلهين المحبين لوالدهما ومن اختاره « بتاح » ، ومن منحه « فرع » النصر ، وصورة فرع الحية ، « بطليموس » العائش أبدياً محبوب « بتاح » ، والآله الظاهر صاحب الطيبات الجميلة ، ابن « بطليموس » و « ارسنوى » الإلهان المحبان لوالدهما ، حينما كان كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين ، (والالهين

الأخوين) والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما ، والملك « بطليموس » الظاهر صاحب الطيبات الجميلة ، هو « إيادوس » بن « إيادوس » ، وحينما كانت « برا » إبنة « بيلينس » (Pilins) حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، وحينما كانت « أريا » ابنة « دياجنيز » حاملة السلة الذهبية أمام « ارسنوى » محبة أخيها ، وعند ما كانت « هرانا » ابنة « بطليموس » كاهنة « ارسنوى » محبة والدها .

٢ — مقدمة :

قرار فى هذا اليوم : أن الكهنة الإداريين ، والكهنة خدمة الآله والكهنة الذين يذهبون إلى قدس الأقداس (أى الذين لهم حق الدخول فى قدس الأقداس) ويلبسون الآلهة ، وكتبة أسفار الإله ، وكتبة بيت الحياة ، والكهنة الآخرين الذين أتوا من معابد مصر إلى « منف » فى عيد الملك « بطليموس » العائش أبدياً ومحبوب « بتاح » الإله المشرق صاحب الطيبات الجميلة ، ومن تسلم وظيفة ملكه من يد والده ، وهم الذين جمعوا أنفسهم فى بيت الإله فى « منف » وقالوا

٣ — الملك بوصفه محسن للمعابد المصرية وكذلك لجميع الناس وبوجه خاص لجيشه أيضاً :

حدث أن الملك « بطليموس » العائش أبدياً ، والإله الظاهر صاحب الطيبات الجميلة (ابن) الملك « بطليموس » والملكة « ارسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما ، كان من واجباته أن يفعل طيبات كثيرة لمعابد مصر ولكل أولئك الذين تحت حكمه وذلك عند ما أصبح إلهاً وابن إله وابن آلهة ، لأنه

كان مثل الأله حور ، بن « أزيس » و « آوزير » ، الذى حمى والده « أوزير » ، ولأن قلبه كان ممتازاً نحو الآلهة (ومن ثم) أعطى نقوداً كثيرة وغلة كثيرة لمعابد مصر . وأنفق مصاريف كثيرة ليوجد الطمأنينة فى مصر ثانية ، وليجعل المعابد تصبح فى نظام ثانية ، وكذلك منح الأعطية لكل الجيش الذى كان تحت امرته .

٤ — تخفيف عبء الضرائب والعفو عن المذنبين

فالضرائب والجزية التى كانت موجودة فى مصر قد خفف جزء منها وجزء آخر أعفى كلية وذلك ليجعل الجيش وكل الناس الأخرين يصبحون فى حالة حسنة . أما الأفراد المصريون الذين كانوا مدينين للملك وكذلك أولئك الذين تحت حكمه فقد نزل لهم عن باقى المبالغ التى كانت مستحقة عليهم وكانت كثيرة .

٥ — تثبيت دخل المعابد القديم والضرائب القديمة :

وفيما يخص أملاك قربان الآلهة والفضة والغلال التى كانت فى يد الكهنة سنوياً وهى التى كانت تعطى للمعابد ، وكذلك فيما يخص الجزء الذى يأتى إليها من الكروم والحدائق . وكل الأشياء الأخرى التى كانوا يملكونها فى عهد والده فانها تبقى ملكاً لهم . وكذلك أمر فيما يخص الكهنة ألا يدفعوا ضريبة الكهانة أكثر مما كانوا يدفعونه حتى السنة الأولى من حكم والده .

٦ — الإعفاء من الرحلة السنوية إلى الإسكندرية ، ومن الخدمة البحرية . والإعفاء من توريد الكتان الملكى .

أعفى الأفراد الذين كانوا يشغلون وظائف فى المعبد من الرحلة التى

كانوا يقومون بها سنوياً إلى بيت الإسكندرية وأمر بالأ يسخر بحارة . ونزل عن ٣/٤ الكتان الملكى الذى كان يورد لبيت الملك من المعابد .

٧ — إعادة السكينة فى داخل البلاد وضمان عفو شامل :

وكل الأشياء التى كانت قد أهملت منذ زمن طويل قد وضعت فى موضعها الصحيح وذلك عند ما كان يوجه كل اهتمام بأن يؤدى الإنسان ما كان معتاداً أداؤه للآلهة بطريقة صحيحة وكذلك جعل للإنسان حق العدالة كما فعل « تحوت » المزدوج العظمة ، وكذلك أمر فيما يخص العائدين إلى بلادهم من الجنود المحاربين وفيما يخص سائر أولئك الذين ضلوا السبيل خلال الاضطرابات التى كانت فى مصر أن يعودوا إلى أماكنهم ثانية وأن تبقى أملاكهم ملكاً لهم .

٨ — حماية البلاد من الأعداء الأجانب

ولقد صرف كل عناية فى الحال ليجعل جنود المشاة والفرسان والسفن تصد كل من يأتى عن طريق البر والبحر لشن حرب على مصر . وقد أنفق من أجل ذلك مصاريف باهظة من الفضة والغلال ، وبذلك جعل المعابد والناس الذين فى مصر يصبحون فى طمأنينة .

٩ — قهر الثائرين فى ليكوبوليس :

وقد زحف على مدينة « شكان » التى كانت محصنة بكل الأعمال (الممكنة) لأنه كان يوجد بداخلها أسلحة كثيرة وكل معدات الحرب . وقد أحاط العدو الذى كان فى المدينة المذكورة بالجدران والسدود من جوانبها

الخارجية . وهؤلاء كانوا قد ارتكبوا أوزاراً كثيرة بالنسبة لمصر ، وذلك لأنهم لم يعملوا على حسب أمر الملك أو أمر الآلهة .

وقد سد (الملك) القناة التى تحمل المياه للمدينة المذكورة . ولم يكن فى استطاعة الملوك السالفين أن يأتوا بمثل ما فعل . وقد أنفق نقوداً كثيرة على ذلك . وأمر المشاة والفرسان أن يحرسوا القناة المذكورة وأن يتنبهوا لفيضان المياه (النيل) التى كانت مرتفعة فى السنة الثامنة ، وذلك لأن القناة المذكورة التى كانت تجرى لرى حقول كثيرة جداً كانت منخفضة عنها . وقد استولى الملك على المدينة المذكورة بالقوة فى زمن قصير ، وقد حاصر الأعداء الذين كانوا فى الداخل وسلمهم للمقصلة (؟) مثل ما فعل « رع » و « حور » بن « إزيس » مع أولئك الذين قاموا فى وجههما من الأعداء قبل ذلك فى المكان المذكور .

١٠ — معاقبة زعماء الثورة الذين قاموا على « بطليموس الخامس » :

أما الأعداء الذين جمعوا الجنود وقادوهم ليشيعوا فى المقاطعة الفوضى ، وخربوا المعابد وكذلك الذين اعترضوا طريق الملك ووالده ، فان الآلهة جعلتهم فى قبضته فى « منف » ، وذلك فى عيد تسلمه وظيفة ملك والده وقد جعلهم يضربون بالخشب (؟) .

١١ — الإعفاء من الجزية المتأخرة وضريبة المعابد :

وقد نزل الملك عما كان مستحقاً له من ضريبة المعابد حتى السنة التاسعة (من حكمه) من مبالغ ، وكان ذلك يبلغ مقداراً عظيماً من الفضة والغلال ، وكذلك نزل عن قيمة النسيج الملكى الذى كان ديناً على المعابد لبيت مال

الملك ، وكذلك التكملة لقطع النسيج التى لم تورد ، وهى التى كانت تحسب فعلا حتى الوقت الذى أعلن فيه ذلك . وأمر كذلك برفع أرادب القمح التى كانت تجبى على كل اروروا من الأراضى الخاصة بالقربات ، وكذلك برفع كراميون من النبيذ عن كل أرورا من أرض الكروم الخاصة بملكية قربات الآلهة وأن يبتعد عن ذلك .

١٢ — الإهتمام بالحيوان المقدس وعبادة الآلهة التى كوفىء من أجلها الملك

وأدى أعمالا طيبة كثيرة للعجل أبيس والعجل منيفيس (من ور) وكل الحيوانات المصرية المقدسة أكثر مما عمله سابقوه . وكان قلبه فى كل وقت مهتما بأحوالها .

وقدم كل ما يلزم لدفنها بسخاء واحترام ، وأحضر ما تحتاج إليه معابدها فى الأعياد الكبيرة حيث تقدم أمامها القرابين المحروقة والقربات السائلة وسائر ما هو لازم لها . أما المكرمات الواجبة للمعابد والمكرمات الأخرى الخاصة بمصر فانه جعلها تبقى كما هى على حسب القانون .

ومنح ذهباً وفضة وغلالا كثيرة وأشياء عدة أخرى لمقر العجل أبيس . وأمر باقامة العمل من جديد بما جعله عملا غاية فى الجمال .

وأمر باقامة معابد ومقاصير وموائد قربان من جديد للآلهة ، وأمر باقامة أخرى كما كانت عليه من قبل ، فى حين أن جعل قلبه نحو الآلهة بمثابة إله محسن وسأل عن أمجاد المعابد بأن تجدد فى زمن حكمه على حسب ما يليق بها .

وللذلك فان الآلهة منحوه النصر والشجاعة والقوة والعافية والصحة وكل الأشياء الأخرى الطيبة ، فى حين أن يبقى سلطانه ثابتاً له ولأولاده أبد الآبدين .

١٣ — قرار الكهنة بتمجيد الملك وأجداده :

مع الحظ السعيد : لقد دخل فى قلب الكهنة أن يزيدوا — فى المعابد — الأمجاد الخاصة « ببطليموس » العائش أبدياً الإله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة فى المعابد التى عملها الإلهان اللذان يحبان والدهما وهما اللذان أنجباه والتى عملها الإلهان المحسنان اللذان أوجدا ما وجد له والتى عملها الإلهان الأخوان اللذان أوجدا ما أوجدا له والتى عملها الإلهان المخلصان وأباء أبائهما .

١٤ — إقامة مجموعة من تماثيل للملك وللآلهة المحليين فى كل المعابد وتمجيدها :

ويجب أن يقام تمثال للملك « بطليموس » العائش أبدياً ، الآله الظاهر ، صاحب الأعمال الطيبة وهو الذى يسمى « بطليموس » حامى مصر . ومعنى ذلك « بطليموس » الذى يحمى مصر ، مع تمثال إله المدينة ، وفى يده سيف النصر فى المعبد ، وكذلك فى كل معبد فى الموضع البارز منه ، على أن يعمل على حسب الطراز المصرى . وعلى الكهنة أن يقوموا للتماثيل بصلوات ثلاث يومياً فى كل معبد . ويجب أن توضع أمامها أدوات المعبد ، وأن يقوموا لها بأداء الأشياء الأخرى كما يجب ، وكما كانت تعمل للآلهة الأخرى فى الأعياد والمواكب فى الأيام المذكورة .

١٥ — إقامة تمثال من الخشب للملك فى داخل محراب من الذهب :

وكذلك يجب أن يظهر تمثال للملك « بطليموس » الآله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة ابن « بطليموس » والملكة « ارسنوى » وكذلك للالهين اللذين يحبان والدهما فى مقصورة من الذهب ، وكذلك فى كل معبد . ويجب أن

يوضع فى قدس الأقداس مع المقاصير الأخرى المصنوعة من الذهب . وعند ما تقام الأعياد الكبيرة التى يظهر فيها الآلهة يجب أن تظهر فيها مقصورة الآله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة . ولأجعل أن تعرف المقصورة الآن وفى المستقبل يجب أن يوضع عليها عشرة تيجان من الذهب الخاصة بالملك ، يثبت عليها صل كما هى الحال فى التيجان التى على هيئة صل فى مقاصير أخرى ؛ ولكن يوضع فى وسطها التاج المسمى « سخمتى » (= التاج المزدوج) وهو الذى يلبسه الملك عند ما يظهر فى معبد « منف » عند ما كان يقوم بما يجب أن يعمله عند تسلم مقاليد الحكم . وسيوضع على السطح المربع حول التيجان بجانب التاج الذهبى المذكور بردية و بشنينة ؛ كما ينبغى وضع نسر على سلة ، وتحته على اليمين بشنينة فى الغرب (أى على اليمين) فى الركن على المقصورة الذهبية . ويجب أن توضع سلة على بردية فى الشرق (على اليسار) ومعنى ذلك : الملك الذى جعل الوجهين القبلى والبحرى مضيئين .

١٦ — إقامة عيد على شرف الملك :

واتفق أن اليوم الثلاثين من الشهر الرابع من فصل الصيف هو اليوم الذى ولد فيه الملك واحتفل فيه كذلك بولادته . ويعتبر عيداً ، يحفل به دائماً فى المعابد ؛ وكذلك كانت الحال فى اليوم السابع عشر من الشهر الثانى من فصل الفيضان ، وهو الذى كان يقام فيه الحفل بتسلم وظيفة الإمارة وكان فعلا بداية الشىء الطيب الذى يشترك فيه الناس أى يوم ولادة الملك ويوم تسلمه الملك . وعلى ذلك يكون هذان اليومان أى يوم ١٧ ويوم ٣٠ من كل شهر هما باستمرار عيدين فى كل معابد مصر . ويجب أن تقدم فيهما القربات المحروقة والقربات السائلة كما هو متبع فى الأعياد الأخرى فى كل من العيدين

شهرياً . وما يقدم قربات يجب أن يكون قاصراً على الذين يخدمون فى المعبد .

ويجب أن يحفل بعيد وبوليمة فى المعابد فى مصر قاطبة للملك « بطليموس » العائش أبدياً الإله الظاهر صاحب الأعمال الطيبة على التوالى سنوياً فى اليوم الأول من الشهر الأول من فصل الفيضان لمدة خمسة أيام يتوج فى خلالها بالأكاليل وتقدم له القربات المحروقة والقربات السائلة والأشياء الأخرى اللائقة .

١٧ — لقب جديد لكهنة الملك :

وكهنة المعابد المميزون خاصة فى كل معبد وهم الذين يجب أن يكونوا خداماً للآله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة تقيد أسماؤهم بعد أسماء الكهنة الآخرين . ويجب أن يكتب لقبهم فى كل الوثائق الرسمية ، ويجب أن تحفر وظيفة كاهن الآله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة على أختامهم .

١٨ — يجب كذلك على الأفراد العاديين أن يعلنوا الأمجاد المذكورة أعلاه

وينبغى السماح كذلك للأفراد العاديين لمن أراد منهم أن يظهر صورة المحراب الذهبى المذكور أعلاه للآله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة فيجعلونها توضع فى بيوتهم ، وكذلك ينبغى لهم أن يقيموا الأعياد والولائم التى وصفت أعلاه (فى كل شهر) وفى كل سنة وبذلك يمجدون — أهل مصر — الإله الظاهر صاحب الطيبات الحسنة كما هو المتبع عمله .

١٩ — نشر المرسوم :

وينبغى أن ينقش هذا المرسوم على لوحة من الحجر الصلب بالخط

الهيروغليفى وبكتابة الرسائل (الديموطيقى) وبالخط الأيونى فى المعابد التى من الدرجات الأولى والثانية والثالثة بجوار تمثال الإله الملك العائش أبدياً [1]

النص الاغريق

فى حكم الواحد الصغير (الملك) الذى تسلم ملكه من والده سيد التيجان ، الفاخر الذى ثبت مصر ، والتقى نحو الآلهة ، والمتفوق على أعدائه ، ومن أصلح الحياة المتحضرة للإنسان ، سيد الأعياد الثلاثينية (حب سد) وهو مثل «هفايستوس» (Hephaistos) العظيم (= الإله بتاح الذى وحده الإغريق بآلهم « هفايستوس ») ، وهو ملك مثل الشمس (= رع) ؛ الملك العظيم للوجهين القبلى والبحرى ، نسل الإلهين « فيلوباتور » ، ومن وافق عليه « هفايستوس » (يشير هنا إلى الزيارة المقدسة التى زارها الملك لقدس الأقداس بمعبد بتاح عند حفلة التتويج) ومن منحته الشمس النصر (يقصد هنا الإله « رع ») ؛ والصورة الحية للآله « زيوس » (= الإله آمون عند المصريين) ابن الشمس « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) ، فى العام التاسع عند ما كان « أيتوس » (Aetus) ابن « أيتوس » كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين « سوترس » والإلهين المتحابين ، والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما ، والإله « ابيفانس أيوكرستوس » ؛ وحينما كانت « بيرها » (Pyrrha) ابنة « فيلينوس » (Philinus) الكاهنة حاملة هدية النصر « لبرنيكى » المحسنة ، وعند ما كانت « أريا » (Areia) إبنة ديوجنيز (Diogenes) الكاهنة حاملة السلة الذهبية للملكة « ارسنوى » محبة أخيها ، وعند ما كانت « ارن » (Irene)

(١) Spiegelberg. Der Demotische Text der Priesterdekrete Von Kanopus und Memphis (Rosettana. p. 77 ff; Bevan Hist. p. 263-268.

إبنة « بطليموس » كاهنة « ارسنوى » محبة أبيها ، فى الرابع من شهر « كسانديكوس » (Xandikos) ، وعلى حسب (التأريخ المصرى يكون الثامن عشر من أمشير) .

مرسوم :

إن رؤساء الكهنة والكهنة خدمة الآله ، وأولئك الذين فى المحراب الداخلى (= قدس الأقداس) لألباس الآلهة ، وحاملى الريش والكتاب المقدسين ، وكل الكهنة الآخرين الذين أتوا معاً للملك من المعابد التى فى أنحاء البلاد إلى « منف » من أجل عيد تسلمه الملك ، وهو عيد « بطليموس » العائش أبدياً محبوب بتاح والإله « ابيفانس » (= الظاهر) « ايوكاريستوس » (= الذى أشياؤه الطيبة حسنة) الذى تسلمه من والده ، قد اجتمعوا فى المعبد بمنف فى هذا اليوم وأعلنوا : لما كان الملك « بطليموس » العائش أبدياً محبوب « بتاح » الإله « ابيفانس يوكاريستوس » بن الملك « بطليموس » والملكة « ارسنوى » (الثالثة) الإلهين المحبين لوالدهما ، قد أفاد كثيراً المعابد والذين يسكنونها ، وكذلك أولئك الذين هم رعاياه بوصفه ملك انحدر من إله وإلهة (مثل « حور » بن « إزيس » و « أوزير » الذى انتقم لوالده « أوزير ») وبوصفه يميل بالإحسان نحو الآلهة ، فانه قد أهدى المعابد دخلا من المال والغلال وقام بمصاريف كثيرة ليجعل مصر فى فلاح ، ولتأسيس المعابد ، وكان كريماً بكل موارده وبالدخل والضرائب التى كان يجبيها من مصر . فقد نزل عن بعضها قاطبة وخفف بعضها ، وذلك لأجل أن يصبح فى استطاعة الناس (يقصد المصريين الأصليين) وجميع الباقين (يقصد المقدونيين والإغريق والأسيويين الذين يسكنون البلاد المصرية) فى سعادة مدة حكمه .

وقد نزل عن جميع ديون التاج التى كانت ديناً له فى مصر وسائر دولته . وكانت كثيرة العدد ، وكذلك أعفى أولئك الذين كانوا فى السجون والمتهمين منذ من طويل زمن التهم التى نسبت إليهم . وقد أمر بأن يبقى دخل المعابد وكل الهبات السنوية التى تمنح لها من الغلال والمال وكذلك النصيب الخاص بالآلهة من النبيذ والأرض والحدائق وأملاك الآلهة الأخرى فى حوزتهم كما كانت فى زمن والده . وكذلك وصى فيما يخص الكهنة بألا يدفعوا ضريبة التدشين أكثر مما كان مقرراً عليهم زمن والده وحتى السنة الأولى من حكمه ، وأعفى أعضاء الطوائف المقدسة من السفر سنوياً فى النهر إلى الإسكندرية ، وأوصى بأن الخدمة فى الأسطول لا يكون لها وجود بعد ، وأن ضريبة نسيج الكتان الملكى التى تدفعها المعابد للتاج تخفض بمقدار الثلثين ، وكذلك أية أشياء مهما كانت قد أهملت فى الأزمان فانها قد أعيدت إلى حالتها الطبيعية ، على أن تكون هناك عناية بكيفية دفع الضرائب التقليدية للآلهة ، وكذلك فانه وزع العدالة مثل ما فعل « هرميس » (= تحوت) المزدوج العظمة ، وكذلك أمر بأن أولئك الذين عادوا من طائفة المحاربين وسائر أولئك الذين ضلوا السبيل فى ولاتهم فى زمن الاضطرابات يجب عند عودتهم أن يحتلوا أملاكهم القديمة ، وذلك على شرط أن الفرسان والمشاة وكذلك السفن يجب أن يرسلوا على أولئك الذين يهاجمون مصر بحراً وبراً ويخضعوهم لغرامة عظيمة من المال والغلة ، لأجل أن تكون المعابد وكل ما هو فى البـــلاد يصبح فى أمان (المقصود بالذين يهاجمون مصر هنا هم السليوكيون الذين على رأسهم « انتيوكوس » الثالث) . هذا وكان الملك قد زحف على « ليكوبوليس » الواقعة فى المقاطعة البوصيرية (المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه البحرى) وهى التى كانت قد أحتلت وحصنت لمقاومة

حصار مجهز بمستودعات أسلحة وبكل الموارد الأخرى ، ولما رأى أن أمد العصيان كان طويلا بين الرجال الكفرة المتجمعين فيها ، وهم الذين كانوا قد ألحقوا ضرراً بالغاً بالمعابد وبكل سكان مصر ، فانه بعد أن عسكر أمامها أحاطها بالتلال والخنادق والتحصينات المنيعة ؛ ولكن لما كان النيل قد ارتفع ارتفاعاً عظيماً فى السنة الثامنة (من حكمه) وقد كان فى العادة يفيض على السهول فانه منعه وذلك بسده عند نقطاً عدة عند فتحات مجارى المياه ، وقد أنفق على ذلك مبلغاً من المال ليس بالقليل . هذا وقد أقام على حراستها فرساناً ومشاة (يقصد هنا أما السدود وإما جيشه الذى وضعه ليحاصر الثوار بعد أن حجز الفيضان بعيداً وكان الثوار أملوا أن يرفع فيضان النيـــل الحصار) ؛ وفى الحال اســـتولى على البلدة بالهجوم وقضى على كل الرجال الكفرة الذين كانوا فيها ، وذلك مثلما أخضع سابقاً « هرميس » و « حور » بن « ازيس » و « أوزير » العصاة فى نفس الإقليم . أما مضللو العصاة فى زمن والده وهم الذين عاثوا فى الأرض فساداً وألحقوا أضراراً بالمعابد ، فان هؤلاء عند ما أتى إلى « منف » عاقبهم انتقاماً لوالده ولبلاده بما يستحقون عند ما وصل إلى هناك ليؤدى الأحفال اللازمة لتسلمه التاج ، وقد نزل عما كان يستحقه التاج من المعابد حتى العام الثامن (من حكمه) ، ولم يكن هذا بالقدر الصغير من الغلال والمال ، وكذلك الغرامات عن نسيج الكتان الملكى الذى لم يورد للتاج ، وكذلك الغرامات عن تكاليف تحقيق ما قد ورد لنفس المدة . وكذلك أعفى المعابد من ضريبة أردب عن كل أرورا من الأرض المقدسة وجرة النبيذ عن كل أرورا من أرض الكروم .

أما العجلان « أبيس » ، و « منيفيس » فانه منحهما هبات كثيرة وكذلك

الحيوانات الأخرى المقدسة فى مصر أكثر مما منحه أى ملك آخر قبله . هذا مع تقدير ما كانت تملكه (الالهة) من كل وجه . وقد أعطى لدفنها ما هو مناسب بسخاء وفخامة ؛ وكذلك ما كان يدفع بصفة منتظمة لمحاريبهم الخاصة ، بالإضافة إلى الأضاحى والأعياد وكل الشعائر المتبعة . وكذلك أبقى على أمجاد المعابد ومصر على حسب القوانين ، وكذلك زخرف معبد « أبيس » بالأشغال الثمينة منفقاً عليه الذهب والفضة والأحجار الثمينة مبلغاً ليس بالقليل .

وأسس معابد ومحاريب وموائد قربان ؛ كما أصلح ما يحتاج إلى إصلاح ، بروح إله محسن فى الشؤون الخاصة بالدين ؛ وقد كشف عن أشرف المعابد (أو المواقع) وجددها فى مدة ملكه كما كان يليق . ومكافآت لكل هذه الأشياء منحته الآلهة الصحة ، والنصر والقوة وجميع الأشياء الطيبة الأخرى ، وملكه يكون باق له ولأولاده أبدياً مع الحظ المواتى : لقد وجد من الخير على كهنة جميع المعابد فى البلاد أن يزيدوا كثيراً ما هو موجود من أمجاد الملك « بطليموس » العائش أبدياً ، محبوب « بتاح » الإله « ايبفانس—يوكاريستوس » وكذلك أمجاد أبويه الإلهين « فيلوباتور » ، وأجداده الإلهين « ايرجيتيس » ، والإلهين « ادلفوس » ، والإلهين « سوترس » ، وأن يقيموا للملك « بطليموس » العائش أبدياً ، محبوب بتاح ، الإله « إيبفانس - يوكارستوس » ، تمثالا فى أبرز مكان من كل معبد وسيسمى (تمثال) « بطليموس » المنتقم لمصر ، وبجانبه سيقام تمثال الإله الرئيسى للمعبد وفى يده رمز النصر الذى سيصنع على حسب الطراز (المصرى)[1]. وأن الكهنة سيقدمون تحياتهم للتماثيل ثلاث

(١) يلحظ أنه من بداية السطر الأربعين فى المتن الاغريقى أن الكسر فى اللوحة من الجهة اليمنى قد أصبح كبيرا مما أتلف المتن بعض الشىء ومن ثم أصبحت قراءة بعض الكلمات غير مؤكدة . وعلى ذلك فقد لعب التخمين دورا فى ملئها وأصبح المعنى ليس مؤكدا نتيجة لذلك .

مرات يومياً وكذلك يضعون عليها الزينة المقدسة (أى يلبسونها) ويؤدون الأمجاد الأخرى العادية ، كما تؤدى للآلهة الآخرين فى الأعياد المصرية ، وأن يقام للملك « بطليموس » الإله « إبيفانس - يوكاريستوس » المتناسل من الملك « بطليموس » والملكة « ارسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما ، تمثالا ومحراباً من الذهب فى كل من المعابد ، على أن ينصب فى الحجرة الداخلية (= قدس الأقداس) مع المحاريب الأخرى ، وفى الأعياد العظيمة التى تحمل فيها المحاريب فى موكب سيحمل محراب الإله « ابيفانس - يوكاريستوس » فى الموكب معها . ولأجل أن يكون مميزاً عنها الآن وإلى الأبد فانه سيوضع على المحراب عشرة التيجان الذهبية الخاصة بالملك وهى التى سيوضع عليها صل كما هى الحال فى التيجان التى على شكل صل ، وهى التى توجد على محاريب أخرى ، ولكن سيوضع فى وسطها التاج المسمى سخمت (التاج المزدوج) وهو الذى لبسه عند ما ذهب إلى معبد « منف » ليؤدى فيه أحفال تسلم الملك . وسيوضع على سطح المربع الذى حول التيجان بجانب التاج السالف الذكر تعاويذ ذهبية (وسينقش عليها أنه محراب الملك الذى يجعل الوجه القبلى والوجه البحرى مشرقين (أو ظاهرين)) .

ولما كان اليوم الثلاثون من شهر « مسرى » وهو الذى احتفل فيه بيوم ميلاد الملك وكذلك اليوم ١٧ من شهر بابه وهو اليوم الذى تسلم فيه الملك من والده ، فانهما قد أعتبرا أسماء أيام فى المعابد . ولما كانا مناسبتين لرجات عظيمة ، فانه سيقام عيد فى المعابد فى كل مصر فى هذين اليومين من كل شهر ، وسيكون فيهما أضاحى وقربات سائلة ، وكذلك كل الأحفال المعتادة فى كل الأعياد الأخرى .

وسيقام عيد للملك « بطليموس » العائش أبدياً محبوب « بتاح » الإله « ابيفانس - يوكاريستوس » سنوياً في كل معابد البلاد من أول شهر توت لمدة خمسة أيام . وسترتدى فيها أكاليل وتؤدى أضاحى والتزامات أخرى عادية ، وسيدعى كهنة الآلهة الأخرين كهنة الإله « ابيفانس - يوكاريستوس » بالإضافة إلى أسماء الآلهة الآخرين الذين يقومون بخدمتهم . وستدون فى الوثائق الرسمية طائفة كهانته ، (وتحفر على الخواتم التى يلبسونها) ، وسيسمح للأفراد العاديين أن يقيموا العيد ويقيموا كذلك المحراب السالف الذكر ويكون عندهم فى بيوتهم ، ويؤدون الاحترامات المعتادة فى الأعياد شهرياً وسنوياً ، وذلك لأجل أن يكون معروفاً للكل أن رجال مصر يعظمون ويمجدون الملك « ابيفانس - يوكاريستوس » على حسب القانون .

وهذا المرسوم سيدون على لوحة من الحجر الصلب بالأحرف المقدسة والوطنية والإغريقية ويقام فى كل المعابد التى من الدرجة الأولى والثانية والثالثة عند تمثال الملك العائش أبدياً .

تعليق

حاولت عند ترجمة مرسوم « منف » وهو المعروف فى عالمنا الحديث بحجر رشيد أن أضع أمام القارىء تراجم للنصوص الثلاثة التى دون بها هذا المرسوم وهى اللغة المقدسة القديمة التى تضرب بأعراقها إلى عهد «مينا» واللغة الديموطيقية وهى لغة الشعب التى بدأت تظهر منذ العهد الكوشى حوالى ٧٥٠ ق . م . واستمرت تنمو وتتطور على حسب الأحوال حتى نهاية العهد الرومانى ثم احتلت مكانها اللغة القبطية ، وأخيراً اللغة الإغريقية وهى اللغة التى كانت تعتبر فى وقت إصدار المنشور اللغة الرسمية للبلاد . ولا بد أن

المطلع على تراجم هذه المتون سيلحظ فروقاً محسة بين كل ترجمة وأخرى ، وإن كان المعنى العام الذى من أجله صدر هذا المنشور يمكن الوصول إليه من أى متن من هذه المتون الثلاثة على حدة . غير أنه يلحظ فى كل متن تعابيره الخاصة ومصطلحاته الخاصة ومن أجل ذلك نجد أن هذا المنشور عند نقشه قد روعى فيه أن يصل إلى أذهان كل سكان مصر عامة . فالمتن الهيرغليفى قد دون لجماعة الكهنة الذين كانوا يعدون طائفة خاصة تكاد تكون بمعزل عن الشعب من حيث الثقافة والتفكير ، هذا على الرغم من أن هذه الطائفة كانت هى المسيطرة على عقول الشعب المصرى الأصيل من الوجهة الدينية . والواقع أنه كانت لهم لغتهم المقدسة التى كانت تستعمل فى صلواتهم وفى نقش معابدهم وتعاليمهم الخاصة التى كانت معرفتها قاصرة عليهم فى معظم الحالات .

أما المتن الديموطيقى فقد كتب لعامة الشعب المصرى الأصيل وقد نقشه الكهنة باللغة العامية التى يفهمها هؤلاء ويتخاطبون بها فى رسائلهم ومعاملاتهم العامة ؛ ولا نزاع فى أن عامة الشعب كان لا تفهم اللغة المصرية المقدسة إلا القليل منهم ، يضاف إلى ذلك أن مثل هذا المرسوم كان ينشر فى المعابد التى من الدرجات الأولى والثانية والثالثة وبعبارة أخرى كان يقرؤه كل الشعب المصرى المثقف وغير المثقف منهم ولذلك كان لزاماً إصداره باللغة التى يعرفها المصريون أهل البلاد .

وأخيراً دون المنشور باللغة الإغريقية وهى كما قلنا كانت لغة الحكومة المصرية .

ولما كان من مصلحة الكهنة أن يفهم الإغريق ما احتواه هذا المنشور من مقررات تمس صميم مالية البلاد وأحوالها الاجتماعية فان المرسوم قد ترجم إلى اليونانية أو على الأقل نقلت كل معانيه إلى الإغريقية وبتعابير إغريقية نقلت عن المصرية . وهذا ما يلحظ فى بعض التعابير التى عبر عنها الإغريقى فى المتن الإغريقى وقد كانت ترجمة بعض هذه التعابير تستعصى على الكاتب الإغريقى . ولقد كان من أوجب الواجبات أن يكتب مثل هذا المنشور بالإغريقية وبخاصة عند ما نعلم أن الملك كان على دين المصريين ويعد فرعوناً فى نظرهم ، وذلك على الرغم من أن مواطنيه الإغريق فى مصر كانوا على ملة أبائهم .

ولا نزاع فى أن من يقرن المرسوم الذى نقش على « حجر رشيد » بالمرسوم الذى نقش على لوحة كانوب منذ ثلاث وأربعين سنة خلت ، يجد أن الفرق ظاهر وواضح لا يحتاج إلى تفسير عميق ، فيشاهد أن كل الدلائل تشير فى مرسوم حجر رشيد إلى أن علاقة الملك مع رجال الدين وكذلك مع الشعب المصرى كانت أحسن حالا مما كانت عليه من قبل .

وتفسير ذلك أننا نلحظ أولا أن مجمع الكهنة كان قد بدأ يعقد فى « منف » عاصمة ملك الفراعنة القديمة ، وذلك بدلا من « كانوب » مقر سلطان البطالمة ، وكانت « كانوب » هذه فى الواقع ضاحية من ضواحى الإسكندرية التى كانت هيلانستيكية النزعة لحماً ودماً . ومن ثم فان هذه كانت أول خطوة خطاها الكهنة المصريون إلى الأمام فى تثبيت أقدامهم وإعلاء شأن ديانة أبائهم وأجدادهم الذين كانوا يترسمون خطاها منذ أقدم العهود الفرعونية . على أنه لم يكن بالإمر الغريب أن أصبح الملك يتزيا بالزى

الفرعونى فى بلدة فرعونية الأصل . حقاً كان أجداد « بطليموس » الخامس يتزيون بزى الفراعنة عند تتويجهم ولكن كان يحدث ذلك فى بلد لا تعرف لهذا الزى معنى وأنهم قد أجبروا على لبسه مجاراة لسياسة الملك ومقتضيات الأحوال ، غير أن ملوك البطالمة بدأوا الآن يضعون الأمور فى مواضعها الطبيعية ، وبخاصة عند ما نعلم أن جميع الشعائر التى كانت تقام قد أصبحت تؤدى على حسب التقاليد المصرية عند تنصيب الملك البطلمى فرعوناً على البلاد . وهذا هو نفس ما حدث فى الاحتفال الذى أقيم لتنصيب « بطليموس » الخامس فرعوناً على مصر .

ويلحظ أن هذه الشعائر التى أديت لهذا الملك لم تكن قد أديت فى مرسوم « كانوب » بنفس الصورة الفرعونية الفنية . يضاف إلى ذلك أن طائفة الكهنة قد أعفوا هنا من كثير من الضرائب التى كانت تثقل عاتقهم فى الماضى ، وفضلا عن ذلك لم يكن لزاماً على الكهنة المصريين أن يتحملوا مشاق السفر من « منف » حتى الإسكندرية لتجديد ولائهم واخلاصهم للفرعون بمناسبة عيد ميلاده . فقد جمع الكهنة منذ حكم هذا العاهل الجديد فى « منف » مجلسهم الذى كان فى العادة يعقد فى « كانوب » كما كانت تقام فيها الأعياد ، ومن المحتمل أنها كانت قد أصبحت عاصمة الملك . ولا نزاع فى أن تسامح البطالمة إلى هذا الحد كان فاتحة سياسة جديدة فى داخل البلاد تنطوى على اللين وعدم المغالاة فى معاملة الشعب بالشدة والقسوة . ويرجع السبب فى ذلك إلى ما لاقاه رجال الحكم فى الإسكندرية من مقاومة عنيفة أثناء الثورات التى اندلع لهيبها فى طول البلاد وعرضها وكلفت حكومة البطالمة ثمناً باهظاً ، وقدمت لهم درساً لم يتلقوه من قبل عرفوا منه أن الشعوب لا تقهر ولا تستغل بالقوة ،

وأنه لا بد من أن تنال حقها فى الحياة مع الكرامة والإباء وبخاصة الشعب المصرى الذى لم يتغلب عليه فاتح إلا إذا اندمج فيه وأصبح يكون وحدة معه . وأن من يقرأ مرسوم «منف» يتضح له أن مصر الحقيقية فى عهده لم يؤثر فيها الغزو البطلمى ، بل الواقع أنها لم تغز فى أخلاقها وعاداتها ومعتقداتها وقد ظلت ثابتة على حالتها الأصلية التى كانت عليها فى عهد البطالمة حتى جاء الفتح الإسلامى فغير بعض الظواهر ولكن الجوهر لا يزال كما هو إلى درجة عظيمة .

حكومة مصر فى عهد الملك بطليموس الخامس وعلاقاتها الخارجية

ذكرنا فيما سبق أن مصر فى عهد الوصاية الأخيرة أخذت تفقد أملاكها فى الخارج سراعاً فى بحر إيجة ؛ وكذلك رأينا أن « انتيوكوس الثالث » قد استولى على سوريا الجوفاء وما لمصر من ممتلكات فى فلسطين ؛ غير أنه لم يقم بغزو مصر نفسها ؛ مع أن الفرصة أمامه كانت سانحة ؛ إذ كانت مصر لا حول لها ولا قوة ؛ وبخاصة عند ما نعلم أن الحروب الداخلية كانت تفتت أوصالها . وعلى أية حال فان ما لدينا من معلومات تاريخية يمكن الإعتماد عليها لا تسمح لنا بأن نقرر بصورة قاطعة فى أى وقت انتهت حالة الحرب بين مصر و « انتيوكوس » . ولكن من جهة أخرى نعلم أن « فيليب الخامس » ملك « مقدونيا » الذى كان يطمع فى أملاك مصر قد هزم فى « سينوسيفاليس » (Cynoscephales) على يد « كونكتيوس فلامينوس» (Quinctius Flaminus) محرر بلاد الإغريق ، ومن ثم أصبح لا حول ولا قوة له . وفى تلك الأثناء كان أسطول « أنتيوكوس » الثالث يتنزه على ساحل آسيا الصغرى . وفى خلال ذلك الوقت أتت إليه مدن « سيليسيا » ومالوس (Mallos) و « زفيريون » (Zephyrion) و « سولس » (Soles) و « أفروديزياس » (Aphrodisias) و « كوريوكوس » (Corycos) و « سيلينوت» (Selinote) خاضعة مستسلمة ، ثم تلى هذه البلدان مدن « ليسيا » وهى « ليميرا » (Limyra) و « باتارا » (Patara) و « اكزانتوس » (Xanthos) . وبعد ذلك ولى « انتيوكوس »

B.L.T.I. p. 877

(١) راجع

وجهه شطر « افيسوس » (Ephesus) حيث اتخذها معسكراً عاماً لجيشه . وكانت منذ عهد « بطليموس الثالث » المحط الرئيسى لجنود مصر وأسطولها (١٩٧ ق . م) . وقد أمضى الشتاء فيها[١]. ومن هناك أبحر بأسطوله للاستيلاء على ساحل « تراقيا » التى كانت منذ زمن طويل تحت السيطرة المصرية (١٩٦ ق . م) ، غير أن « فيليب» لم يحسب حساب الرومان فى ذلك الوقت إذ كانوا أصحاب قوة وبطش ، كما كانوا أصحاب النفوذ فى الشرق . وقد كان أساس سياستهم التقليدية يتمثل فى قول شاعرهم الوطنى فرجيل[٢] : « نضرب صفحاً عن المتواضعين ونضرب المتعالين » .

والواقع أن « أنتيوكوس » على الرغم من اندفاعه وقلة حزمه ، فانه قد حسب حساب الموقف الذى كان فيه وقتئذ ؛ ومن أجل ذلك سعى إلى مهادنة روما واتخاذ الحيطة لعدم مهاجمتها له . ومن ثم أرسل إليها على ما يظن مبعوثاً من قبله أثناء إقامته فى « أفيسوس » . ويقال أن مجلس شيوخ روما قابل هذا المبعوث بكل احترام كما تقتضيه الأحوال السياسية عندهم ، وذلك لأن نتيجة الحرب التى كانت مشتعلة نارها بين روما و « فيليب الخامس » كانت لا تزال معلقة ، ولكن بعد انتهاء موقعة « سينوسيفاليس » التى هزم فيها « فيليب» هزيمة منكرة لم يكن هناك ما يدعو إلى عدم إظهار موقفهم الحقيقى مع « انتيوكوس » فقد أعلنوا أن سياستهم تتمثل فى حماية الضعفاء ، وبوجه خاص مصر ، وأنهم سيفرضون وصايتهم على أملاكها سواء أراد « انتيوكوس» ذلك أم لم يرد . ومن ثم نجد أن الرومان قد أرسلوا إلى « أنتيوكوس » أثناء إقامته فى « ليزيماكوس » بعثا من قبل مجلس الشيوخ ليضع حداً للخلافات التى

---

(١) راجع Liv XXXIII, 38

(٢) راجع Virg Aen VI. 853.

كانت قائمة بينه وبين « بطليموس الخامس » . وقد طلب مجلس الشيوخ الرومانى فضاً للنزاع بينهما أن يعيد « انتيوكوس » كل ما استولى عليه عنوة سواء أكان ذلك من أملاك « بطليموس الخامس » أم من أملاك « فيليب » ملك مقدونيا . وقد وضع الرومان أسباباً لذلك . فمن ناحية « بطليموس » فلأن مصر كانت تحت وصاية روما ، وأما من جهة « فيليب» فلأنه يكون ضرباً من السخف أن يجعل الرومان « أنتيوكوس » يستغل النصر الذى أحرزه الرومان على « فيليب» . وقد أجاب على ذلك « أنتيوكوس » بأنه لم يأت أمراً منكراً فيما يقوم به ، بل الواقع أن كل ما فعله هو أنه استعاد ارث جده « سليوكوس نيكاتور » ؛ وقد كان الأخير قد قهر « ليزيماكوس » واستولى على ممتلكاته وكان من بينها « كرسونيس » و « تراقيا » حيث يوجد فيها هو الآن . وقد كان « أنتيوكوس » يأمل فى أن يتخذ « ليزيماكيا » مقرا لابنه « سليوكوس » الذى خلفه على عرش الملك فيما بعد . وقد انتهى الأمر بأن انقلبت المحادثات بين الطرفين إلى مشادة عنيفة ، فطلب الرومان إلى « أنتيوكوس» أن يوضح لهم الأسباب التى من أجلها أخفى عنهم بكل تكتم جولاته فى آسيا الصغرى ، وما الذى جعله يأتى إلى أوربا بكل جيوشه البرية والبحرية . يضاف إلى ذلك أن هذه المناقشة قد سممها حضور وفود بلاد « آسيا الصغرى » الذين كانوا قد حضروا ليشتركوا فى إعلان تحرير الهيلانيين فى الألعاب الأرخبيلية . وقد أجاب « أنتيوكوس » على شكايتهم بأنه يقبل أن يكون بينه وبينهم حكما فى ذلك حكومة « رودس » لا حكومة الرومان . وقد أجاب الرومان الذين كانوا يميلون إلى معاضدة الهيلانية بأنهم يحرمون عليه أن يتعدى على المدن الحرة التى طلبت معظمها حماية « روما » . وعند ما سمع ذلك « أنتيوكوس » ثار ثائره وأجاب بأنه لم يتدخل فى شؤون الرومان فى إيطاليا ؛

ومن أجل ذلك يجب عليهم ألا يتدخلوا فى شؤون آسيا . وعلى ذلك فانه سيرد بمحض ارادته الحرية للمدن التى لها الحق فى نيل حريتها ، لا بالأمر الصادر له من « روما » . وفى خلال هذه المناقشة بدر منه تصريح أخرق ؛ فقد أعلن للرومان بألا يهتموا بأمر « بطليموس الخامس » لأنه سيرتب أموره معه على أحسن ما يكون ، مدعياً أن « بطليموس » كان صديقه وأنه يفكر فى توطيد أسس هذه الصداقة بمحالفة أسرية . ومما لا شك فيه أن هذا السبب كان يعتبر ممتازاً فى ظاهره ، ولكن الرومان قد فهموا أن معنى ذلك هو اتحاد أعظم دولتين فى الشرق معاً ، وهو اذاً اتحاد مضاد لسياسة الرومان ومقاصدها التوسعية . يضاف إلى ذلك أن الرومان لم ينسوا أنهم قد خدعوا من قبل ، ومنذ تلك اللحظة نجد أنهم قد أخذوا يرقبون شؤون مصر عن كثب ؛ كما أنهم أخذوا يرقبون أعمال « أنتيوكوس » وحركاته . وقد قيل أن كل ما فاه به « أنتيوكوس » عن مصر أثناء هذا النقاش كان متفقاً عليه بمقتضى معاهدة أبرمت عام ١٩٨ ق . م . بعد موقعة « بانيون » مباشرة ، وبمقتضاها نزلت مصر عن كل أملاكها فى الخارج ، وذلك مقابل وعد بزواج « بطليموس الخامس » من « كليوبترا » ابنة « أنتيوكوس » ، وقد ذكر لنا ذلك المؤرخ « سنت جيروم » ؛ غير أن ذلك الخبر كان لا يخرج عن الحدث والتخمين ؛ ومع ذلك فان هذا الرأى قد اعتنقه بعض المؤرخين[1] ولكن المؤرخ « بوشيه لكلرك » يقول أن كلام « أنتيوكوس » كان سابقاً لأوانه .

وعلى أية حال فان هذا النقاش الذى كان يسوده عدم التفاهم قد قطع بشائعة كاذبة ولم يكن من المستطاع تفسير كنهها ، فقد قيل أن ملك مصر

(١) راجع B.L.I. p. 380 note 1; Holm Gr. Gesch II p. 47

الفتى الذى لم يكن قد مر على بلوغه سن الرشد وتوليه عرش البلاد فعلا إلا فترة يسيرة ، قد حضره الموت . وبوفاته انقرضت أسرة البطالمة . وعند ما وصلت هذه الشائعة « ليزيماكيا » أصبح الدبلوماسيون فى حيرة ، وذلك لأنهم صدقوا الشائعة دون أن يتكلموا فى أمرها . وقد ادعى كل من الفريقين المتفاوضين أنه قد علم بالخبر . ولكن أحد المتفاوضين المسمى « كورنيليوس » (Cornelius) وقد كان مكلفاً بمأمورية لدى الملكين « بطليموس الخامس » و « أنتيوكوس » طلب أن يعطى مهلة صغيرة ليذهب لمقابلة « بطليموس » ، وذلك لأجل أن يصل إلى مصر قبل أن يتصرف أى إنسان فى أى شىء فيما يخص عرش الملك وذلك بوضع ملك جديد عليه . هذا وكان « أنتيوكوس » فى نفس الوقت يعتقد أن مصر ستصير ملكه إن هو احتلها فى هذه اللحظة ومن أجل ذلك كان السوريون والرومان يسارعون إلى الوصول إلى الإسكندرية للوقوف على مجريات الأمور هناك . فنشاهد « أنتيوكوس » يترك ابنه الثانى « سليوكوس » على رأس جيشه البرى لحراسة « تراقيا » ، وركب هو متن البحر بأسطوله عازماً على ألا يترك الرومان يتصرفون فى وراثة ملك البطالمة ، غير أن « أنتيوكوس » عند ما وصل إلى بلدة « باتارا » من أعمال « ليسيا » فى آسيا الصغرى علم بأن خبر وفاة « بطليموس الخامس » كان شائعة كاذبة من أساسها ؛ وعلى الرغم من ذلك نجد أنه لم ينزل عن تنفيذ مشاريعه دفعة واحدة ، فصمم على البدء بالإستيلاء على قبرص ؛ غير أن أمراً لم يكن فى حسبانه قد وقع مما عرقل تنفيذ خطته ، وذلك أنه قام عصيان فى جيشه على ساحل « بامفيليا » ، وقد زاد الطين بلة أن قامت عاصفة على مسافة من مصب نهر « ساروس » أشاعت الفوضى فى الأسطول ؛ وبعد ذلك دخل أنطاكية

بما بقى من أسطوله وهو مهيض الجناح كسير القلب ذليل النفس[1] .

ولكن « أنتيوكوس » فى العام التالى (١٩٥ ق . م) أخذ يستعيد ثقته بنفسه ، وذلك بعد أن عقد محالفة مع مصر أبرمها فى خلال فصل الشتاء وقد ظن أنه بذلك قد ضمد جراحه التى خدشت كبرياءه فى السنة الماضية ، وبذلك ظهر أمام الرومان بأنه ليس بالرجل الذى يرخى لساقيه العنان أمام تهديداتهم الجبارة . وعلى إثر ذلك انطلق بجيشه وبأسطولين كبيرين من جديد إلى الدردنيل ؛ وقد انضم إليه فى «أفيبسوس» القائد «هنيبال»[2] الذى كان عائداً من « صور » . وقد كانت خطته مقابلته فى أنطاكية لبضعة أيام . وقد حفل بضيفه الذى كان يعتبر عدو روما الأول . ومن « أفيسوس » نزل فى « كرسونيز » ، وقد قام بأعمال فى « تراقيا » كما نقض فيها أشياء كثيرة فمن ذلك أنه حرر الميلانيين الذين كانوا رعايا تراقيا كما قام بأعمال خيرية فى صالح البيزنطيين وذلك بسبب موقع مدينتهم عند مدخل الدردنيل . وانتهى به الأمر أن جعل الجالاتيين Galates يتحالفون معه تارة بتقديم الهدايا لهم وطوراً بالتهديد ؛ وكان غرضه من ذلك أن يتخذ منهم جنوداً صالحين للحرب وذلك لعظم أجسامهم وقوة بنيانهم .

وخلاصة القول نجد أن « أنتيوكوس » قد عمل ما فى استطاعته لإثارة الرومان عليه ، دون أن يضيف شيئاً لقوته الحربية ليستطيع مقاومتهم إذا قامت الحرب . وفى أثناء عودته إلى عاصمة ملكه عام ١٩٤ ق . م أرسل من « أفيسوس » بعثاً إلى روما ليستطلع سير الأمور هناك ، وبخاصة مقدار تأثير تهديداته على مجلس الشيوخ ، وكذلك ليناقش المسائل الملحة التى يتطلبها

(١) راجع Liv. XXXIII, 41; cf. Appian Syr. 4

(٢) راجع Ibid, XXXIII, 49.

الرومان ، ويقدم من جديد الاعتراضات التي صيغت في « لنزيماكيا » ؛ وقد طلب إلى البعث التباطؤ في المفاوضات ومد أجلها ، ليتسنى « لأنتيوكوس » في أثناء ذلك إتمام لاستعداداته السياسية والحربية . وقد كان غرضه أن يحصل أولا على عقد محالفات مع جيرانه وبوجه خاص الاستيلاء على مصر.أو على الأقل جعل حكومتها في جانبه ، وبذلك ينتزع من الرومان نقطة الارتكاز التي كانوا يعتمدون عليها في الشرق . وتدل شواهد الأحوال على أن « أنتيوكوس » قد توصل إلى جعل مصر في جانبه عن طريق المصاهرة . والواقع أن الأحوال كانت مهيئة له من هذه الناحية . فقد كانت له أربع بنات زوج إحداهن من إبنه الأكبر وتدعى « لاوديسيا » ، وبذلك ضمن خلافة الملك في بيته (عام ١٩٦ — ١٩٥ ق . م) وبقى عنده بعد ذلك ثلاث بنات أبكار . وقد كان عزمه الذي وقف عنده هو أن يزوج ابنته الثانية وتدعى « كليوباترا » من « بطليموس الخامس » . وكانت الفرصة لذلك مواتية ، لأن « بطليموس » لم يكن له أخت يبنى بها على حسب القاعدة المرعية في الأسرة . وفعلا تم الاتفاق على أن يتزوج « بطليموس » من « كليوباترا » هذه على أن يكون مهرها هو — كما قيل — سوريا الجوفاء و « فنيقيا » و « سماريا » و « يهودا » . وكان معنى هذا الزواج أن السلام يصبح مضموناً بين الأسرتين المالكتين ، وكذلك تتقى الأسرتان كل تدخل أجنبي ، ويقضى على آمال الرومان . وقد أخذت هذه الفكرة تتبلور شيئاً فشيئاً . ولقد كان من الواضح أن « أنتيوكوس » كان قد فكر في هذا المشروع قبل تصادمه مباشرة مع الجمهورية الرومانية ، وأنه كان قد جس نبض حكومة الإسكندرية وتحسس رأيها فيما كان قد عزم على تنفيذه . وتدل الأحوال على أن عروضه في هذا الصدد قد لاقت قبولا حسناً وصادفت هوى

فى بلاط الإسكندرية ، لأنه بهذا التحالف الأسرى كان سيرفع عن عاتق مصر نير الوصاية المزعومة التى فرضها الرومان على « بطليموس الخامس » . ولكن يتساءل الإنسان هل هذا ما كان يقصده « أنتيوكوس » من هذا الزواج الذى لم يتم على أرجح الأقوال إلا فى عام ١٩٦ — ١٩٥ ق . م ؟ الواقع أن « أنتيوكوس » كان يضمر لمصر وأسرتها المالكة أسوأ مصير ؛ وذلك أنه أراد من زواج ابنته من « بطليموس الخامس » أن يقضى عليه بالإشتراك مع ابنته « كليوباترا » وبذلك يتخلص من سلالة البطالمة ؛ ومن ثم يستولى على عرش مصر الذى كان سيئول إلى ابنته « كليوباترا » . وليس هناك شك فى أن هذه المشاريع السوداء كانت تدور فى خلد « أنتيوكوس » ؛ ولكن سنرى أنه من سخرية القدر أن « كليوباترا » هذه الزوجة المخلصة لزوجها قد قلبت لوالدها ظهر المجن وقضت على آماله وبرهنت على أنها زوجة طاهرة الروح مخلصة للبلاد التى إعتلت عرشها .

وقد كان الطعم الذى قدمه « أنتيوكوس » لحكومة الإسكندرية وهو « سوريا الجوفاء » أكثر اغراء من عقد معاهدة سياسية وقد كان هذا حافزاً مباشراً لجعل الحكومة تقبل هذا الزواج على الفور . وتدل الظواهر على أنه لم يكن هناك فى بادىء الأمر سوء تفاهم فى مواد عقد الزواج ، غير أنه فيما بعد قد ظهرت خلافات أدت إلى مناقشات امتد أجلها . والواقع أن مواد الزواج هذه لم تصل إلينا إلا عن طريق المعارضات والمناقشات التى وقعت بين الطرفين المتعاقدين ، هذا فضلا عن أن المؤرخين الذين كتبوا تاريخ هذه الفترة لم يذكروها لنا ولم يكن لديهم عنها صورة واضحة . على أن ما يفهم من المناقشة التى دارت بين الطرفين هو أن « أنتيوكوس » لم يخطر أبداً بباله

النزول عن « سوريا الجوفاء » بصورة قاطعة لمصر . وقد ذكر لنا المؤرخ « جوسيفوس »(١) اليهودى الأصل — وهو لا يعتمد على أرائه كثيراً لتحيزه — إن « أنتيوكوس » قد نزل عن « سوريا الجوفاء » و « سماريا » و « فينيقيا » بمثابة مهر لزواج أخته من « بطليموس الخامس » غير أنه لم يضف كذلك أن دخل هذه البلاد يقسم بين الملكين . هذا وقد اختلف فى تفسير كلمة الملكين . فهل هما « أنتيوكوس » و « بطليموس » أم « بطليموس » ، و « كليوباترا » . وعلى أية حال يؤكد المؤرخ « بوليبيوس » أنه منذ واقعة « بانيون » حتى عام ١٧٢ ق . م كانت كل هذه البقاع التى ذكرها « جوسيفوس » تحت حكم ملك سوريا ، ومن ثم نستنبط أن مهر « كليوباترا » كان عبارة عن نوع من الدخل لهذه البقاع ، وبذلك يمكن القول أن السليوكيين الذين كانوا هم المالكين الشرعيين لكل الأقطار التى كان عليها أن تدفع ضريبة بمثابة نوع من الرهن . ويقول المؤرخ « بوشيه لكلرك » أن الاستطراد الطويل الذى أورده « جوسيفوس » فى هذا الصدد ليس إلا ترديد لإحدى هذه المدائح التى أفسد بها المؤرخون اليهود المزورين الحقائق التاريخية فى العهد الهيلانستيكى وقد شجعهم على هذا جهلهم واتكالهم على جهل قرائهم(٢) .

والحقيقة التى لا ريب فيها هى أن « أنتيوكوس » لم ينزل أبداً لمصر عن هذه الأقاليم . غير أن هناك نظرية يمكن الادلاء بها فى هذا الموضوع : وهى أن النزول عن سوريا لمصر كان مشروطاً فيما عرضه « أنتيوكوس » بشروط ،

(١) راجع Joseph A. Jud., XII, 4. 1. Chron., Pasch. p. 255; cf. F H G. III p. 120, Appian Syr. 5.

(٢) راجع M. Holleaux (Rev. des Etudes Juives XXXIX (1899), p. (161-170).

ولكنها لم تحقق ، ومن ثم حل محلها ما يساوى قيمة المهر ؛ وكان يدفع سنوياً بصفة مؤقتة . هذا وكان « أنتيوكوس » يرتكن على أن تساعده مصر فى أن يحصل من آسيا الصغرى على حساب من تحميهم روما أكثر مما وعد بدفعه سنوياً لمصر بمثابة مهر لابنته « كليوباترا » . غير أن هذا المصدر قد أفلت من يده فى اللحظة الحرجة من تاريخ حياته وهو ما كان يسعى إليه بخطى واسعة .

وعلى أية حال احتفل بزواج « بطليموس » « إبيفانس » من « كليوباترا » فى شتاء عام ١٩٣ — ١٩٢ ق . م فى بلدة « رفح » وهى المكان الذى هزم فيه « أنتيوكوس » منذ ربع قرن مضى على يد المصريين ، وكأن « أنتيوكوس » قد أراد بالاحتفال بهذا الزواج فى هذا المكان أن يمحو العار الذى كان قد لحق به وجعل أنفه فى الرغام أمام العالم المتمدين . وقد دلت الأحداث على أن « أنتيوكوس » الذى كان يرغب فى أن يدخل مصر فى حرب معه يشعل نارها على روما قد أخطأ فى حسابه . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن بلاط الإسكندرية كان لا يرغب فى عقد معاهدات إلا إذا كانت تجنح إلى السلم والمهادنة لا الحرب والمغامرة . وذلك لعلم القائمين بأعباء الحكم أن مصر لم تكن مستعدة لشن حرب فى هذه الفترة الحرجة من تاريخها ، ومن أجل ذلك فانها لم تكن تقصد من الاتفاق الذى أبرم بينها وبين « أنتيوكوس » إلا الحصول على مزايا مفيدة للبلاد بالطرق السلمية ، يضاف إلى ذلك أن حكومة « بطليموس الخامس » لم تر أية فائده تعود على مصر إن هى ساعدت السليوكيين الذين كانوا دائماً مناهضين لها على الرومان الذين كانوا على اتصال ودى معها منذ ما يقرب من قرن من الزمان أى منذ عهد « بطليموس الثانى » . وفضلا عن ذلك فان تماسك الأسرات الهيلانستيكية فى وجه الجمهورية الرومانية التى

كانت صاحبة أغراض توسعية كان لا يزال أمراً خفياً ؛ ولم يكن لدى حكومات الإسكندرية علاج لذلك . وإذا أغضينا النظر عن هذه الأراء التى كانت لها نتائجها الخطيرة ، فانه كان فى استطاعة حكام الإسكندرية أن يظهروا شيئاً من الاحترام أكثر من ذلك للرومان . وكان ينبغى عليهم أن يقدموا ولاءهم لحليفهم فى خلال الضائقة التى صيرت المملكة السليوكية فى حالة عجز لا برء منه منذ الآن. وهكذا ترك الملك « بطليموس الخامس » صهره الملك « أنتيوكوس » يسير نحو الهلاك المحتوم له . ففى خلال الحرب التى دارت رحاها عام ١٩٢ — ١٩٠ ق . م نجد أنه لم يخرج عن صمته إلا عند ما نراه يقدم معونة للرومان ويطلب إليهم بألا يتراخوا فيما هم قائمون به . هذا ما فعله « بطليموس » . أما ما حدثنا به كل من « بوليبيوس » و « ديدور » فى هذا الموقف فيدل على أن « أريستومنيس » كان رجلا حازماً لأنه عند ما أخذ مقاليد الأمور فى يده قاد الملك والمملكة بصورة تامة واحترام وذلك يخول لنا أن نعتقد أن « أريستومنيس » لم يكن فى وظيفته ليذكر الملك بالحياء والأدب أو حتى ليجعله يفكر فى أن سقوطه سيكون أول تأثير فى اتباع السياسة الجديدة . والواقع أن «أريستومنيس»[1] عند ما أخذ مقاليد الأمور فى يده بادر بتتويج الملك وفاوض فى موضوع زواجه ، ونصح « بطليموس » بألا يظهر عدم الإهتمام بأحوال « أنتيوكوس » صهره ، وكذلك أفضى إليه بأن يظهر فى الوقت نفسه — بعض الشىء — استقلاله عن الرومان ، وذلك عند ما لاحظ أنه يرتمى فى أحضانهم . هذا ويحدثنا « ديدور » من جهة أخرى أن « بطليموس » كان فى بادىء الأمر يحب « أريستومنيس » كوالد وكمربى أدار له سياسة البلاد بحكمة ، ومن ثم لم يكن يفعل شيئاً إلا بمشورته ؛ ولكن

(١) راجع Polyb., XV, 31, 7, Diod XXVIII, 14

فيما بعد أفسدت طائفة من المالقين أخلاق « بطليموس » ، ومن ثم أصبح يمقت « أريستومنيس » الذى كان يتحدث إليه دائماً فى صراحة أكثر مما يجب مما زاد فى بغض الملك له وحكم عليه بالإعدام وذلك بتجرع السم . وقد ذكر لنا المؤرخ « بلوتارخ » الحادث الذى أغضب الملك ومن أجله جعل « أريستومنيس » يتجرع السم . فاستمع لما قصه علينا هذا المؤرخ : كان « أريستومنيس » مدير « بطليموس » قد رأى ذات يوم الملك يغط فى نومه فى حضرة أحد البعوث فربت على كتفه ليوقظه ، ومن ثم اتخذ المالقون من هذا الحادث فرصة بأن ذلك إهانة للملك وقالوا له : إذا كان على أثر كثير من الإجهاد والسهر قد تركوك وشأنك ، فانه يجب علينا أن ننبهك بصورة خاصة ، ولن يكون ذلك بالربت على كتفك أمام مجتمع كبير كهذا ؛ وعلى أثر ذلك أرسل الملك كوبة سم للوزير وأمره بتجرعها[1] .

وخلف « أريستومنيس » المواطن « الأرجوسى » « بوليكراتيس » وكان قد لعب دوراً هاماً فى موقعة « رفح » فى عهد « بطليموس الرابع » . وكان رجلا طموحاً ، غير أنه لم يكن كفأ لهذا المنصب الخطير . وسنرى أنه عمل على حتفه بظلفه أيضاً . والمعروف أنه قبل توليه مركز الوزارة كان يشغل منصب نائب الملك فى قبرص ، وعند عودته حمل معه أموالا طائلة جمعها من قبرص وقدمها للملك . وكان قد نزل عن وظيفة نائب الملك فى قبرص « لبطليموس » بن« أجيساركوس » Agesarchos حبا فى التقرب من حظوة الملك ؛ وقد عمل « بوليكراتيس » كثيراً من أجل اصدار قرار كان من نتائجه تحرير الملك تحريراً شرعياً وتتويجه قانوناً . ولقد كان من مصلحته أن

(١) راجع Plut. De Adul., 40

يشعر الملك بأنه قد أصبح حراً من الوصاية وقد اقتضت الأحوال أن يقبله « أريستومنيس » مساعداً له وذلك على الرغم من أنه كان مساعداً يمكن أن يصبح منافساً بل قد ينقلب يوما ما إلى عدو .

وقد حدث فعلا أن تخلص « بوليكراتيس » من « أريستومنيس » ، وبعد ذلك سار على عكس ما كان يسير عليه سلفه والظاهر أنه كان ناصحاً للملك بالصورة التى تتفق مع أهوائه وميوله . فبدلا من أن يحد من كسله وخموله النفسى وذلك على الرغم من ميله الشديد للألعاب الرياضية ، فانه قد تركه وشأنه يشبع نهمه من ملاذ الحياة والشهوات من النساء ؛ يضاف إلى ذلك أنه بعد موت « أريستومنيس » أخذ « بطليموس » يزداد يوماً بعد يوم فى وحشيته وقسوته . إذ نجده بدلا من أن يقوم بأعباء مهام سلطته الملكية نراه قد مال إلى ارتكاب الأعمال الوحشية التى كانت لا بد كامنة فى قرارة نفسه مما جعله ممقوتاً عند المصريين إلى درجة أنه كان على وشك ضياع تاجه[١]. وعلى أية حال فان « بوليكراتيس » نفسه كان يضع لسيده هذه المثل السيئة بما كان يقترفه هو من أثام . وفى ذلك يحدثنا «بوليبيوس»[٢] فيقول : أنه بعد أن جمع مبلغاً عظيماً من المال فى السنين التى تلت تنصيبه وزيراً قد أصبح عند ما تقدمت به السنون رجلا فاجراً فقد أرخى لنفسه العنان فى طريق الموبقات والعيشة الخسيسة .

وليت سوء سمعته كانت منحصرة فى داخل البلاد بل تعدتها إلى السياسة الخارجية ، فبدلا من اتباع سياسة المقاومة الحاذقة والاستقلال المحترم ، وهى السياسة التى كان يسير على نهجها « أريستومنيس » نجده قد

---

(١) راجع Diod. XXVIII, 14. (٢) راجع Polyb.: XVIII, 55

خضع عن طيب خاطر لسياسة الاستسلام لإرادة الرومان . ولا نزاع فى أن « بوليكراتيس » كان هو الفرد الوحيد الذى يدير سكان السياسة المصرية فى خلال الحرب التى شنها « أنتيوكوس » على مصر أخيراً وذلك بعد تردد ومفاوضات وأخذ ورد .

والواقع أن « أنتيوكوس » هذا كما هى سليقته كان منساقاً دائماً وراء أطماعه وغروره ويرجع ذلك إلى ما كانت تغرقه به أذنابه من الملق الخسيس الذى كان يكيله له جنوده الآتوليون ، هذا فضلا عن أنه كان مطمئناً إلى بطولتهم الجوفاء . وقد بلغ به الغرور إلى درجة جعلته يعتقد أنه بمجرد وضع قدميه على أرض بلاد الإغريق يهب الهيلانيون بثورة على الرومان وعلى « فيليب المقدونى » ، وبذلك تتاح له الفرصة للأخذ لنفسه بالثأر . وكذلك اعتقد ألا داعى للقيام بتحضير استعدادات كبيرة للحرب . ومما يؤسف له أنه بمثل هذه الأوهام التى كانت تداعب خياله الخصب نجده قد نزل بجيش غير كاف لملاقاة العدو على ساحل « تساليا » فى خلال شتاء عام ١٩٢ — ١٩١ ق . م . والمدهش أنه لم يفقه لغلطته فى الحال ، بل نجده سدر فى غيه وطيشه ، فقد رأيناه وقد نسى نفسه فى « كلسيس » واقعاً فى مغامرة غرامية مع أنه كان فى الخمسين من عمره . وقد انتهت هذه المغامرة بالزواج . وعلى أية حال لم يمض طويل زمن حتى واجهه سوء تصرفه بسرعة فى ربيع عام ١٩١ ق . م . فقد كان عليه أن يدخل فى حرب مع الرومان . وفى تلك الآونة نجد أن حليفى « أنتيوكوس » المرتقبين وهما ملك مقدونيا و « بطليموس » ملك مصر أرسلا إلى « روما » يقدمان لمجلس الشيوخ مساعدتهما . وفى حوالى نفس الوقت (عام ١٩١ ق . م) كان قد وصل إلى روما سفراء من قبل كل

من « فيليب » ملك مقدونيا و « بطليموس الخامس » . وقد وعد الاول بمساعدة روما فى الحرب التى شنتها على « أنتيوكوس » بالمال والغلة . أما « بطليموس » فقد وعد بارسال مبلغ من المال يبلغ ألف جنيه من الذهب وعشرين ألف من الفضة غير أن حكومة روما لم تقبل شيئاً من العرضين ، وأرسلت شكرها وامتنانها للملكين . هذا ولما كان كل من « فيليب » و « بطليموس » قد وعد بقيادة جنودهما إلى « آتولى » وبالاشتراك فى الحرب فى جانب روما فان الأخيرة قد استغنت عن جنود « بطليموس » ، أما « فيليب » فقد أجابه مجلس الشيوخ والشعب الرومانى بأنهم سيكونون شاكرين له لو مد يد المساعدة للقنصل « اسيليوس » (Acilius) [1] . ومن هنا وجد « فيليب » الفرصة سانحة فانتقم بطريقته من حليفه الذى كان قد تخلى عنه بحماقة فيما سبق .

وفى تلك الفترة نجد أن بلاط الإسكندرية الذى كان ينتظر منه على الأقل أن يبقى على الحياد ، قد بحث عن فرصة ليرتكب خيانة حقيقية أخرى . فقد طلبت حكومة مصر إلى « أنتيوكوس » تنفيذ عقد الزواج الغامض فى شروطه ، غير أن الأخير قد أجاب على طلب مصر بقحة تدل على الرفض التام . وعندئذ نجد أن حكومة الإسكندرية فى العام التالى (١٩٠ ق . م) — عند ما علمت بهزيمة « أنتيوكوس » فى « ترموبوليس » على يد الرومان ، وأنه جعل بينه وبين الرومان عرض البحر الإيجى ، متخيلا أن أعداءه لن يجسروا على اقتفاء أثره فى آسيا[2] — قد أرسلت إلى روما تهانيها وتجديد مساعدتها لها ، وفعلا ذهب سفراء من قبل « بطليموس » و « كليوباترا » لتهنئة مجلس شيوخ روما

(١) راجع Liv., XXXVI, 4.

(٢) راجع Liv., XXXVI, 41

بما قام به القنصل «اسيليبوس » (Acilius) من طرد الملك « أنتيوكوس » من بلاد الإغريق وإجباره على سحب جيشه من آسيا الصغرى . ثم قالوا : أن الفزع قد انتشر فى كل مكان لا فى آسيا الصغرى وحسب بل فى سوريا أيضاً ، وأن ملكى مصر على استعداد لعمل كل ما يسر مجلس الشيوخ . هذا وقد اقترح مجلس الشيوخ على تقديم الشكر لملكى مصر ، وأن يصرف مبلغ أربعة آلاف أس (عملة رومانية) لكل من مبعوثى مصر . (راجع Liv. XXXVI, 41 .

وقد فطن مجلس شيوخ روما الغرض الذى كانت تسعى إليه حكومة الإسكندرية من سياسة عميقة من وراء اندفاعها وإلحاحها فى تقديم المساعدة لها ، فقد كان يسعى كل من ملك مصر وملكتها أن يكون تحمسهما ذات اعتبار فى نظر الرومان ، ومن ثم يكون لهما نصيب فى الغنيمة أو بمعنى أدق كانا يأملان أن يرد لهما ما اغتصبه « أنتيوكوس » من مصر . ولم يكن فى لواقع محرماً عليهما أن يأملا فى أكثر من هذا . غير أن مجلس الشيوخ قد اتخذ لنفسه خطة معينة وهى عدم قبول أية مساعدة مهما كانت منهما . وبعد أن رفضت الهدايا التى كان قد قدمها المبعوثون لمجلس الشيوخ ، دفع الأخير لهم مصاريف السفر ، ومن ثم يفهم أن البعث المصرى كان عديم الجدوى . وقد شاهد « بطليموس » فى الحال البرهان على ذلك ، عند ما أصبح « أنتيوكوس » مضطرب العقل مبلبل الفكر يدفع به « هنيبال » من جهة ويستولى عليه الرعب والجزع من جهة أخرى ، بعد أن رأى أسطوله يهزم فى « كوريكوس » (Corycos) عام ١٩١ ق . م . وكذلك فى « مينيسوس (Mynnesos) (عام ١٩٠ ق . م) . هذا بالإضافة إلى إقتراب جموع جيش الرومان منه . فنراه عندئذ قد أخذ يجند كل من كانوا فى متناوله ، بما فى ذلك

أهالى « كابودوشيا » الذين أرسلوا إليه زوج ابنته « اريارت » (Ariarthe) والجنود المرتزقة الجلاتيين . وبعد ذلك أخذ يخرب إقليم « برجام » ، وفى الوقت نفسه عرض عليها الصلح . وهكذا أخذ « أنتيوكوس » يتخبط إلى أن اضطر أخيراً إلى خوض غمار موقعة فاصلة فى « ماجنيزيا » (Magnesie) حيث هزم هزيمة ساحقة عام ١٩٠ ق . م . إضطر بعدها « أنتيوكوس » إلى أن يستسلم لتمزيق أوصال إمبراطوريته . وبعد هذا النصر رأى مجلس شيوخ روما بأنه لم يكن مضطرا إلى أن يضع ملك مصر ضمن أولئك الذين سيكون لهم نصيب فى امبراطورية « أنتيوكوس » المنحلة . والواقع أن الرومان لم يسارعوا إلى ابرام المعاهدة التى عقدت بينهم وبين « أنتيوكوس » المغلوب على أمره إلا بعد عامين فى بلدة « أبامى » . وكان مجلس شيوخ روما فى خلال تلك المدة يعد هذه المعاهدة على مهل وبروية . وكان نصيب الأسد فى هذه الغنيمة للملك « أمينيس » والباقى استولى عليه أهل « رودس » . هذا ولما كان الرومان هم المحررين للهيلانيين فان المدن التى كانت فى جانبهم قد أخرجت من عملية التقسيم ، وبمقتضى هذا التقسيم أصبحت « كرسونيس » التى من أعمال « تراقيا » و « فريجيا » بقسميها، و « ليكاونى » (Lycaonie) و « ميزيا » و « ليديا » و « أيونيا » (Ionie) و « إفيسوس » و « ترالس » (Trulles) من أعمال « كاريا » و « ميلياد » (Milyade) و « تلمسوس » (Talmessos) ضمن أملاك مملكة « برجام » . إما الروديسيون فقد استولوا على « كاريا » حتى نهر « مياندر » (Meandre) عدا « تلمسوس » فانها لم تكن فى حوزتهم[1] .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الرومان لم يطلبوا إلى « أنتيوكوس » إعادة

(١) راجع Polyb. XXII, 7; Liv. XXX. II, 55-56; XXXVIII, 37-39; Diod., XXIX, 10; Appien Syr. 44 Mithrid., 62

أى شىء من الأقاليم التى انتزعتها من « بطليموس » الذى كان تحت وصاية الرومان . وقد لاحظ الرومان من حيث « سوريا الجوفاء » أن الاتفاق كان قد حدث بين « أنتيوكوس » و « بطليموس » منذ عقد الزواج . ومن أجل ذلك فانه لم يكن لها دخل فى هذا الموضوع لأن الرومان لم يشتركوا فى هذه القضية . وتدل الشواهد على أن الرومان رأوا أنه من الأصلح لهم أن يبقى هذا الإقليم الذى كان يعد أغنى جزء فى امبراطورية « أنتيوكوس » فى يده ، وذلك لأن الرومان كانوا يعلمون تمام العلم أنه بانتزاع هذا الإقليم لن يكون فى مقدوره أن يدفع غرامة الحرب الهائلة التى فرضها الرومان على « أنتيوكوس » لأنفسهم وللملك « برجام » .

هذا وكان يوجد فرد يدعى « بطليموس » يحتمل أنه متناسل من أسرة « البطالمة » ، ولكنه ليس ملك مصر بل كان ملك قطر « تلمسوس » من أعمال « ليسيا » وكان مجلس الشيوخ الرومانى ينظر إلى هذا الملك نظرة ود ومصافاة ، ولم يكن ذلك بالأمر المستحب فى نظر بلاط الإسكندرية .

وعلى أية حال لم يكن هناك ما يثير غيرة بلاط الإسكندرية من « فيليب » المقدونى الذى كان يرى فى استيلائه على « كرسنوسيس » الواقعة فى « تراقيا » من أحب الأشياء التى تصبو إليها نفسه ، ومع ذلك نرى أنه بعد أن تسابق هو و « بطليموس الخامس » فى اظهار الخضوع والتزلف إلى روما لنيل نصيب من أملاك « أنتيوكوس » قد رجع كل منهما بخفى حنين .

هذا ونجد بعد هذا النضال الطويل الذى قام بين مصر وأعدائها أو الطامعين فيها قد أفقدها كل أملاكها الخارجية نهائياً عدا قبرص وذلك دون

أن يجسر « بطليموس الخامس » على تقديم أية شكاية لروما . ومنذ ذلك الوقت أصبح على أفواه الملوك والناس على السواء : أن كل الأمور الدولية معلق مصيرها بروما ، ومن ثم فان مجلس الشيوخ الرومانى كان ينظر بعين السخط والغضب إلى كل حركة سياسية لم يكن هو المقترح لها . وتدل الأحوال تمشياً مع ذلك على أن « بوليكراتيس » لم يحاول التفاوض ، دون رأى روما ، مع بلد آخر إلا مرة واحدة ، ومع ذلك فانه لم يفلح فى انجازها . وتتلخص فى أنه أراد على حسب تقليد كانت تسير بمقتضاه السياسة البطلمية ، أن يجدد تحالف مصر مع الآخيين الذين كانوا منذ زمن طويل حلفاء لروما أكثر منهم أصدقاء لها . وقد أرسل وزير مصر لهذا الغرض إلى بلاد اليونان — الأثينى المسمى « ديمتريوس » (Demetiros) . وقد أجاب الحلف على طلب مصر بأن أرسل «فيلوبومن» (Philopoemen) الذى كان الحاكم الحربى للحزب وقتئذ من قبله إلى الإسكندرية المدعو « ليكورتاس» (Lycortas) والد المؤرخ « بوليبيوس » وبصحبته اثنان من مواطنى « سيسوتيوس » وهما « تيوديريداس » (Theodiridas) و « سوسيتليس » (Sositeles) لأجل أن يحلفا اليمين ويحلف الملك أمامهما اليمين » (عام ١٨٦ ق . م) . غير أنهم وجدوا فى البلاط الإسكندرى أناساً فى غاية التحفظ والحيطة وبخاصة لاحظوا أنهم كانوا معجبين بروما أو بعبارة أخرى كانوا يخشون الرومان ويخافون لومهم على تبادل مثل هذا التحالف . وعند ما رأى المبعوثون الآخيون أنهم قد أثقلوا بالمجاملات الزائدة عن حد المألوف وبالوعود من قبل ملوك برجام وسوريا ومصر دب فى أنفسهم عدم الثقة والشك وخافوا أن يورطوا أنفسهم فى عمل اتفاق . ومن ثم غادر المبعوثون الآخيون الإسكندرية وبصحبتهم سفير مصرى وقد تحدث « ليكورتاس » أمام الجمعية العمومية للحلف الآخى

فى « ميجالوبوليس » عن الأيمان التى تبودلت بين مصر وبين الحلف الآخى فيما يتعلق بصداقة الملك « بطليموس » وإخلاصه للحلف ، ثم أضاف قائلا أنه حمل معه بمثابة هدية ستة آلاف درع للجنود المشاة مصنوعة من النحاس كما حمل مئتى تلنتا من النقود النحاسية ، ولكن عند إعلان ذلك صاح الحاكم العسكرى الجديد المسمى « أريستانوس » (Aristaenos) سائلا : ما هى المعاهدة التى توجد بين المعاهدات العدة المبرمة من قبل الحلف وهى التى بمقتضاها سيجدد التحالف بين الحلف ومصر ؟ وعلى أثر هذا السؤال إرتبك « فيلوبومين » ؛ أما « ليكورتاس » فقد لزم الصمت ، وعندئذ وقف « أريستانوس » الذى كان صاحب شهرة فى الحلف لما له من ذكاء ومهارة ، وتحدث عن المبعوثين بطلب إرجاء حل مسألة كهذه إلى ما بعد ، لأنها كانت قد فحصت فحصاً رديئاً جداً (١٨٥ ق . م) ، ولكن لن تذهب إلى حد اعادة الدروع والنقود إلى الإسكندرية ثانية)[١].

وتدل ظواهر الأمور على أنه فى السنة التالية لهذا الحادث هبت نار ثورة جديدة فى البلاد طالب فيها المصريون بحقوقهم فى حكم البلاد وبالاستقلال . وقد قضى « بوليكراتيس » على هذه الثورة ، ولعب « بطليموس الخامس » فى اخمادها دوراً من أحط أدوار الغدر والخيانة وعدم الوفاء بالعهد . ولا غرابة فى ذلك فقد كان بطبعه متوحشاً عاتياً مما جعل المصريون يخرجون عن طوقهم فى شمالى البلاد وجنوبها .

ويدل استئناف العمل فى معبد « ادفو » فى العام التاسع عشر من حكم هذا

---

(١) راجع Polyb., XXIII, 1, 5-6; 9, 1-13. XXV. 7.

العاهل الغاشم على أن الحالة فى البلاد كانت قد أخذت تهدأ فى الوجه القبلى (١٨٧ — ١٨٦ ق . م) .

وتحدثنا الوثائق الديموطيقية عن إخضاع رؤساء الثورة — الذين كانوا يقيمون فى إقليم « طيبة » وأسسوا لهم ملكاً فيها — كما سنتحدث عن ذلك بعد — وذلك فى عام ٢٠ من حكم هذا الملك . وفى السنة التالية قام الملك ومعه زوجه « كليوباترا » وابنهما الذى أصبح وريثاً لعرش البطالمة بزيارة معبد الفيلة ليقدما شكرهما فى معبد « اسكليبيوس » الذى أهداه هذا الملك لإله الطب الذى ساعد على أن رزقا ذكرا ليكون وريثاً للعرش . وقد أمر الملك بنقش مرسومين على جدرانه أحدهما خاص بتأسيس عيد تذكارى وباخضاع الثوار ومعاقبتهم ، والآخر على شرف الملكة « كليوباترا » وسنوردهما فيما بعد . وأنه لمن الصعوبة بمكان أن نقرر هنا إذا كان الثوار الذين جاء ذكرهم فى نقوش الفيلة كانوا هم ثوار الوجه القبلى أو هم الذين طاردهم « بوليكراتيس » فى الدلتا . والواقع أن حكومة الإسكندرية قد قامت بمجهود جبار فى إخضاع هؤلاء الثوار . وتحدثنا المصادر الكلاسيكية على أن إخضاع هؤلاء الثوار كان على يد خصى يدعى « أريستونيكوس » . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان زميل الملك فى الطفولة فى البلاط البطلمى . وقد أرسل هذا الخصى إلى بلاد الإغريق ليجمع من هناك جنوداً مرتزقين لتقوية الجيش المصرى الذى قام لمحاربة الثوار بقيادة الملك نفسه . غير أن الثوار لما رأوا ما أعده الملك للقضاء عليهم استسلموا طائعين . وفى ذلك يقول المؤرخ « بوليبيوس » : لقد ذهب إلى سايس رؤساء الأسر الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة مستسلمين بحكم الأحوال وهم « أتينيس » (Athenes)

و « بوزيراس » (Pausiras) و«خيسوفوس» (Chesouphos)و «إروباستوس» (Irobastos) . وقد سلموا أنفسهم لرحمة الملك،غير أن هذا الوغد الأثيم لم يرع للعهود التى كان قد قطعها على نفسه حرمة ، بل أمر بوضع السلاسل والأغلال فى أعناقهم وجرهم جميعاً عرايا خلف عرباته ؛ وبعد ذلك صب عليهم سوط عذابه وقتلهم جميعاً : ثم ذهب بعد ذلك بجيشه إلى « نقراش » حيث تقابل مع « أريستونيكوس » خصيه ومعه الجنود المرتزقين الذين أتى بهم من بلاد الإغريق فضمهم إلى جيشه وعاد بطريق البحر إلى الإسكندرية . هذا ويقول « بوليبيوس »[١] أن هذه كانت المرة الأولى التى ترك فيها « بطليموس الخامس » الصيد والقنص ليقود جيشاً ، وكان وقتئذ فى الخامسة والعشرين من عمره . وهناك رأى يجوز الأخذ به هو أن الذى قام بهذه الحرب على الثوار هو « أريستومنيس » وأنه عند نهايتها دعى الملك ليكون له شرف النصر ، وليكون له عار ما ارتكبه من نذالة وخرق للعهود مع الثوار الذين كان قد أمنهم على حياتهم .

ومن الجائز أن السبب الذى من أجله قوى « أريستونيكوس » الجيش المصرى بالجنود المرتزقين كان يرجع إلى رغبة الملك فى استعماله لأغراض أخرى خارجية ، غير أنه مما يؤسف له أننا نجد أن « أنتيوكوس » قد عاجلته المنية بصورة بشعة فى عام ١٨٦ ق . م ، وذلك عند ما لاقى حتفه على سوء ما اقترفته يداه من إثم وهو ينهب أحد المعابد فى « إليمايد » (Elymaide) ليدفع مما نهبه ديناً متأخراً للمحصلين الرومان .

---

(١) راجع Polyb., XXIII, 16-17.

مصر وعلاقاتها الخارجية بعد موت «أنتيوكوس الثالث»

على إثر موت «أنتيوكوس الثالث» خلفه على عرش الملك ابنه «سليوكوس الرابع فيلوباتور» عام ١٨٦ ق . م وقد كان عليه أن يحمل عبء ما تركه والده له من أخطاء ومتاعب جمة ؛ ومن أجل ذلك لم يكن فى مقدوره إلا أن يعيش عيشة الضنك . وقد كان والده قد أشركه معه فى حكم البلاد فى السنين الأخيرة من حياته ، وذلك بعد موت ابنه الأكبر . ولا نزاع فى أن الفرصة كانت مهيئة لمصر بعد موت « أنتيوكوس » لتستولى على سوريا الجوفاء لولا وقوف الرومان فى وجهها على الرغم من أنها كانت فى الواقع حقها الشرعى . وعلى أية حال كانت مصر تنتظر وجود سبب معقول للهجوم على سوريا الجوفاء والاستيلاء عليها عنوة ، وقد أخذت مصر تتطلع من وقت لآخر إلى ما وراء حدود بلادها . هذا وقد رأينا فيما سبق أن مصر قد حاولت تجديد محالفتها مع الآخيين . والواقع أنه لدينا نقش جاء فيه أن مجلس « ليسيا » يفخر بإخلاص شخص يدعى « بطليموس » يحمل وظيفة صياد الملك الأعظم وولائه للملك « بطليموس الخامس » وأخته وزوجه « كليوباترا » وأولاده وكذلك لمجلس « ليسيا ». و « بطليموس » هذا كان موظفاً مصرياً عظيماً[1] . وهذا النقش يجيز لنا أن نخمن أن مصر كانت تعاضد الليسيين فى مقاومتهم الروديسيين و « أتالوس » (١٨٦ — ١٧٧ ق . م) . وقد كان قصدهم هو تمزيق المادة التى وردت فى معاهدة « أبامى » وهى التى كان بمقتضاها قد أصبحوا مثل الكارين رعايا للروديسيين . ومما هو جدير بالذكر هنا أن

---

(١) راجع C' I, Gr 4 77 = Strack, 77, B.L.I p. 397 note 1.

الليسين كانوا يتحسرون على العهد الذى كانوا يتمتعون فى خلاله بالحرية تحت الحماية المصرية . غير أن مصر رأت أنها إذا ساعدتهم فان ذلك لن يصادف هوى فى نفوس رجال مجلس الشيوخ الرومانى . ومن الغريب أنه عند ما قامت مصر فعلا بمساعدة الليسين فان ذلك لم يغضب الرومان الذين كانت سياستهم فى الواقع إضعاف الروديسين وجعل الليسين وكذلك الكارين يتمتعون بالحكم الذاتى . وقد كانت غلطة « بطليموس » فى ذلك أنه أراد أن يقوم بهذه المساعدة من تلقاء نفسه دون أخذ رأى الرومان .

ويلحظ أنه فى ذلك الحين كان قد أعاد « بطليموس » الكرة لعقد محالفة مع الحلف الآخى ، وكان غرضه أن يستعيد نفوذ مصر من جديد فى بلاد الإغريق كما كانت الحال فى العهد الذى كان فيه « أراتوس » مؤسس الحلف رئيساً ، فقد كان صديق البطالمة وعميلهم . وقد كان وقتئذ فى داخل الحلف الآخى شجار صامت بين الحزب الوطنى الذى كان قد دب فيه دبيب الضعف والوهن بموت « فيلوبومين »[1] (١٨٣ ق . م) وبين أولئك الذين كانوا يريدون فى كل لحظة تدخل « روما » فى الأحوال الهيلانستيكية . وقد كان أمل الآخيين الوطنيين أن يجدوا فى مصر عوناً لهم على مقاومة النفوذ الرومانى فى بلاد الإغريق التى أصابها الوهن والتمزق . ولما كانت المحاولة الأولى قد فشلت فان المحاولة الجديدة بدأت بعد اتفاق سابق . هذا وكان « بطليموس الخامس » على استعداد ليرتبط إرتباطاً وثيقاً مع جماعة الآخيين ، ومن أجل ذلك أرسل سفيراً إليهم يخبرهم بأنه مستعد أن يقدم لهم عشر سفن كل منها تحمل خمسين مجدافاً وكلها مجهزة بجهازها . وقد رأى الآخيون أن هذه الهدايا تستحق

---

(١) راجع Plut. Philop. 21.

الاعتراف بالفضل ؛ ومن أجل ذلك استقبلوا الرسول المصرى بالحفاوة والاحترام . والواقع أن ثمنها كان لا يقل عن عشرة تالنتات . وعلى أية حال فانه بعد التروى أرسل الآخيون بعثا مؤلفاً من « ليكورتاس » و « بوليبيوس » ومعهما « أراتوس » ابن « أراتوس » مواطن « سيسيون » (Sicyone) . وكانت مهمتهم شكر الملك « بطليموس » على ما أرسله من أسلحة ونقود من قبل ، وفى الوقت نفسه كان عليهم أن يتسلموا السفن ويأخذوا علماً بارسالها .

هذا وقد ختم « بوليبيوس » كلامه فى هذا الصدد بصورة مقتضبة قائلا : ومع ذلك فان هذا البعث لم يكد يتخطى الحدود ، لأن « بطليموس الخامس » كان قد حضرته الوفاة فى تلك الأثناء[1] .

موت بطليموس وحالة البلاد بعد وفاته

مات « بطليموس ابيفانس » وهو فى ميعة الشباب فقد حضره الموت وهو لم يبلغ بعد التاسعة والعشرين من عمره . والمظنون أن وفاته لم تكن طبيعية أمام العالم وقتئذ . ومن الغريب أنه لم تصل إلينا أية معلومات عن سبب وفاته فيما كتبه المؤرخ « بوليبيوس » الذى كان معاصراً له ، وكل ما عرفناه عن وفاته وصل إلينا من المؤرخين المتأخرين الذين جاءوا بعده . فقد قصوا علينا أنه مات بالسم الذى دسه له قواده فى اللحظة التى كان يتأهب فيها لمهاجمة « سليوكوس الرابع » ملك سوريا . وإن صح أنه قد مات بالسم فان ذلك كان جزاء وفاقاً إذ قد قضى عليه بنفس الطريقة التى قضى بها على وزيره « أريستومنيس » الذى جرعه السم ، وكان الغدر من شيمته . والواقع أن

(١) راجع Polyb., XXV, 7.

قواده كانوا يخشون أن يطلب إليهم المساعدة بالمال بوصفهم سماره الذين كانوا يملكون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وبذلك يحرمهم مما جيعوه من مال كانوا قد اغتصبوه من الشعب الفقير المعوز ، والأغرب من هذا فى نظرهم أنه كان سيستعمله فى حرب على أقرب الناس إليه وأغنى بذلك « سليوكوس الرابع » أخ « كليوباترا » زوجه . ومن الغريب أن هذا هو نفس ما قيل عن « سليوكوس الرابع » عند ما لاقى نفس المصير الذى لاقاه « بطليموس الخامس » .

وعلى أية حال فان البلاد لم تفقد بموت « بطليموس » شيئاً يدعو إلى الحزن أو الأسى . وعلى الرغم من أن « بطليموس » كان يحمل لقباً يعنى أنه كان محسنا فانه كان صاحب مزاج حاد قاسى . وقد أظهر استمرار قيام الثورة فى داخل البلاد كما ألمحنا لذلك من قبل ، أنه لم يكن محبوباً بين أفراد الشعب . حقاً إنه أقام معابد جديدة وأصلح أخرى كانت مخربة كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد عند شرح ما قام به من أعمال على غرار ما فعله أسلافه ؛ ولكن هذه الأعمال كانت تحتمها السياسة الداخلية فى البلاد . ويدل مرسوم « منف » الذى صدر فى عهده على أن رجال الدين كانوا راضين عنه ، ولكن هذا الرضى كما برهنت الأحداث لم يكن إلا رضى مؤقتاً بسبب إعفائهم من الضرائب . وعلى ذلك فان ما ذكره رجال الدين من عقود مدح وثناء لم يكن بالشيء الجديد فتلك شنشنة نعرفها فيهم من قبل . ولا أدل على ذلك مما صاغوه لمن قبله من ملوك البطالمة من آيات المديح والإطراء لنفس السبب . وعلى أية حال فان ما ذكره الكهنة هنا كان فى مناسبة سعيدة بالنسبة للملك وهى عيد تتويجه وعيد ميلاده . وفى تلك المناسبة كان ينفق الملك فيها عن سعة

وسخاء من أجل المظاهر الخارجية ، ولكن لم يلبث « بطليموس الخامس » ورجال حكومته أن أصبحوا فى حاجة إلى سد التكاليف الباهظة التى كانت تتطلبها الأحوال ، والتى اضطر من أجلها أن يؤجر دخل أملاكه الخارجية . وكان من جراء العجز الذى حدث بسبب ذلك أن رجع الملك فيما كان قد نزل عنه من ضرائب من قبل . وقد رأينا أن الاضطرابات المالية — وهى التى تعزوها التقاليد إلى عمل سلفيات بالقوة قد سببت موت « بطليموس الخامس » كما أسلفنا . ولا نزاع فى أن كل ذلك كان يفرض اسرافاً فى غير موضعه ؛ وكذلك يسببه فوضى وتصرفات مالية خاطئة أدت إلى هذا الإجراء العنيف وأعنى بذلك القضاء على حياة هذا الملك . هذا ويتهم المؤرخ « ديدور » الملك « بطليموس الخامس » بأنه سار سيرة المستبد لا سيرة الملك ، وذلك لأنه وإن كانت مصر بلداً تعود على حكم الفرد ، فان الاستبداد كان معناه فى أغلب الأحيان عادة ابتزاز المال ظلما وعدواناً . هذا وما لدينا من معلومات عن « بطليموس الخامس » يدل على أية حال أنه كان مشهوراً بالعنف ، وهذه كانت صفة من صفاته البارزة . ويقال أن « بطليموس » هذا الذى كان والده فريسة لخلاعته ومجونه ، يمتاز بشىء من النشاط البدنى استعمله فى الصيد والقنص والمبارزة ، وكان إنهماكه فى مثل هذه الرياضة هو الذى جعل النعاس يغشوه فى الاجتماعات الرسمية بسبب شدة التعب . هذا وكان تواقاً للاصغاء لمن كان يمتدح أعمال البطولة التى كان يقوم بها فى الصيد والقنص ، ولم يكن للمالقين والمتزلفين من حديث أمامه إلا ما قام به من بطولات فى هذا الميدان . فقد قص علينا « بوليبيوس » أن « فيلوبومين » قد استقبل على مائدته مبعوثاً من قبل « بطليموس الخامس » ، وقد دبج المبعوث مقالا طويلا فاخراً قاصراً على مديح « بطليموس » اقتبس فيه ما يدل على جسارته ومهارته فى الصيد

والقنص ، وكذلك عن علنه وتجاربه فى ركوب الخيل والمباراة ؛ وأخيراً أراد أن يثبت صدق مقاله بذكر مصدر جاء فيه أن الملك وهو على ظهر جواده أردى ثوراً قتيلا بطعنة من حربته[١] .

ولا نزاع فى أن « بطليموس الخامس » بأعمال فروسيته هذه يذكرنا بعظماء فراعنة مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة نذكر منهم بوجه خاص « امنحوتب الثانى » وما ترك لنا من نقوش تدل على ما آتاه من ضروب الشجاعة فى ركوب الخيل وإصابة الهدف والتجديف والصيد والقنص ، وكذلك « امنحوتب الثالث » وما قام به من أعمال البطولة فى صيد الأسود و « تحتمس الثالث » ومغامراته فى صيد الفيلة . ولا ندرى ماذا حدى « ببطليموس الخامس » فجعله يسلك مثل هذه الهوايات . ومن المحتمل أنه لما كان أول ملك توج على طريقة الفراعنة وأصبح يقيم الشعائر على حسب النظم الفرعونية القديمة فلا يبعد أنه أراد أن يقلد عظماء الفراعنة فى ميادين أخرى من التى كانوا يحبونها حتى يصبح بلاطه وحياته وعاداته مماثلة لما كان فى بلاط الفراعنة العظام . وقد رأينا « بطليموس » يهتم بأعمال البطولة فى الألعاب الأولمبية فمن ذلك ما حدث مع « كليتوماكوس » (Clitomachus) الإغريقى ، و « أريستونيكوس » الملاكم المصرى . فقد كان الأول يُعتبر الملاكم الذى لا يقهر .

وقد ذاعت شهرته فى كل العالم . ولما كان « بطليموس الخامس » يتوق إلى القضاء على شهرته فانه درب بكل عناية الملاكم « أريستونيكوس » لمنازلته ؛ وكان الأخير رجلا وهبته الطبيعة قدرة عظيمة فى هذا الضرب من الرياضة البدنية . وعند ما وصل « أريستونيكوس » إلى بلاد الإغريق نازل

(١) راجع Polyb., XXIII, 1, 8-9.

« كليتوماكوس » الإغريقى فى «أولمبيا» وأظهر الشعب الإغريقى انحيازه إلى البطل المصرى وشجعوه ، وذلك ابتهاجاً منهم عند ما رأوا أن هناك فرداً واحداً على الأقل قد تجاسر على أن يقف فى وجه « كليتوماكوس » . وقد استمر النضال بينهما فى حلبة الملاكمة وظهر أن المصرى يعادله ، وأنه فى خلال الملاكمة ضربه ضربة أو ضربتين فى الصميم ، وعندئذ صفق له الشعب تصفيقاً حاداً وأخذ الجمهور يصخب إلى درجة الهياج مشجعين «اريستونيكوس» وقد قيل أن « كليتوماكوس » فى أثناء ذلك كان قد انسحب لبضع لحظات ليسترد أنفاسه ، وعندئذ التفت إلى حشود الناس وقال سائلا إياهم : « ما الذى يعنونه من تشجيع « أريستوماكوس » ومساعدته بكل ما لديهم من قوة ، فهل يعتقدون أنه لم ينازله تماماً أو أنهم يعلمون أن « كليتوماكوس » لم ينازل من أجل فخار الإغريق ، وأن « أريستوماكوس » كان يلاكم من أجل « بطليموس » ؟ فهل يفضلون أن يروا مصرياً يقهر الإغريق ويكسب التاج الأولمبى أو يسمعون أن « طيبيا » أو « بويوشيا » ، وقد أعلن الحاجب بأنه هو المنتصر فى مباراة الملاكمة ؟ . وبعد أن تحدث « كليتوماكوس » على هذا النحو قيل أنه قد حدث انقلاب فى شعور حشود الشعب مما أدى إلى انقلاب الآية فهزم « أريستونيكوس » بما أبداه الشعب من تحمس « لكليتوماكوس »[1] .

وعلى أية حال فان الشواهد تدل على أن ما كان يبديه « بطليموس الخامس » من ميل إلى أعمال الشجاعة والفروسية برهن على أنه كان رجل حروب ؛ غير أن « بوليكراتيس » لم يشجعه على خوض غمار حروب ليسترد مجد مصر ، بل يقال أنه كان يعمل ذلك لمصلحته الشخصية من جهة وخوفاً من الرومان

---

(١) راجع Polyb., XXII, 9

من جهة أخرى لأنهم كانوا أصحاب قوة وسلطان لا قدرة لمصر على مقاومتهما . والواقع أنه لم يعد فى مصر مكان لملك مستقل ، لأن الأسرة المالكة قد أصبحت تحت وصاية روما صاحبة السلطات فى العالم المتمدين . حقاً كان فى مقدور ملوك البطالمة الذين أتوا بعد « بطليموس الخامس » أن يكونوا مستبدين مع رعاياهم فى داخل أرض الكنانة ولكن على شرط أن يكونوا تحت سيطرة الرومان فى سياستهم الخارجية .

وعلى أية حال فان هناك بعض الحقيقة فيما روى عن موت « بطليموس الخامس » ، وذلك بسبب ما نسب إليه من أعمال الخيانة والغدر وعدم الوفاء منذ خمسة عشر عاماً من قبل فى حق « أنتيوكوس الثالث » صهره . ولا نزاع فى أن أرملته « كليوباترا » التى تعد الأولى من اللائى حملن هذا الإسم فى التاريخ المصرى ولعبن دوراً هاماً فى حكم البلاد لم يكن لها يد فى موت زوجها . نعم لقد لحظنا أنها لم تنظر بعين الرضا التام إلى الحروب التى دارت بين زوجها وبين أخيها ، غير أنه ليس لدينا ما يسوغ أنها كانت صاحبة ضلع فى جريمة قتل زوجها ولا حتى الموافقة عليها .

مميزات عصر بطليموس الخامس

الواقع أننا إذا ألقينا نظرة عامة على الأحداث التى وقعت فى عهد « بطليموس الخامس » والدور الذى لعبه هو فيها لأمكننا أن نستخلص النقاط التالية عن أخلاقه والأعمال التى خلفها لنا بمثابة عنوان لعهده .

أولا — يمكن التكهن بصفة أكيدة عما كان سيؤول إليه مصير هذا الملك لو امتد به الأجل وبخاصة عند ما نعلم أنه اختضر وهو فى ريعان الشباب .

حقاً أنه كما قلنا كان مولعاً بالصيد والقنص ، وذلك على النقيض من والده الذى قضى حياته فى أحضان الخلاعة والمجون بعيداً عن مخالطة الشعب الذى كاد ينساه . ولا نزاع فى أن « بطليموس الخامس » كان من الممكن أن يوجه نشاطه الذى صرفه فى الصيد والقنص والرياضة إلى الحرب والدفاع عن مصر التى فقدت فى عهده كل ممتلكاتها الخارجية . والحق يقال أنه لا يلام فى ذلك إذ يرجع كل اللوم على أولئك الذين نشأوه فى بداية حياته وكان فى أيديهم زمام حكم البلاد ، وهو لا يزال حدث السن غض الاهاب . ولسوء الحظ لم تهيىء له الأحوال رجالا مخلصين لإرشاده إلى الصراط السوى ، بل كان كل منهم يسعى للعمل لنفسه على حساب هذا الطفل وعلى حساب مصر ، سواء كان ذلك بجمع كل السلطة فى يده أو بجمع المال بأية وسيلة ، أضف إلى ذلك أن بعضهم كان ينغمس فى شهواته وملذاته عند ما يطمئن إلى أن السلطة قد أصبحت كلها فى يده ، وذلك على الرغم من سوء الأحوال فى داخل البلاد وبوجه خاص فى خارجها . ولا أدل على ذلك مما كان يحيط بمصر وامبراطوريتها من طامعين فيها منذ تولى هذا الملك الفتى الذى لم يكن قد بلغ السادسة من عمره . فقد كان « أنتيوكوس الثالث » يسعى إلى توسيع امبراطوريته بابتلاع أملاك مصر فى الخارج . وفعلا نجده قد تآمر مع « فيليب الخامس » ملك مقدونيا — وكان لا يقل عنه شرها — لتقسيم مصر وأملاكها الخارجية . وقد كاد هذان العاهلان يقضيان على ملك البطالمة فعلا فى الداخل والخارج لولا ظهور الجمهورية الرومانية ووقوفها بالمرصاد فى وجه هذين العاهلين . على أن الأخيرة لم تقم بعملها هذا كرماً منها ومروءة بل لأجل أن تنصب نفسها وصية على ملك مصر الذى لم يكن قد بلغ بعد مبلغ الرجال ليتولى الحكم بنفسه ، بل حتى عند ما بلغ سن الرشد لم تنفك روما عن ترك

الوصاية عليه وهكذا ظلت روما تحتل هذه المكانة فى مصر حتى آخر حكم البطالمة .

ومن جهة أخرى كان هناك خطر آخر عظيم يهدد كيان أسرة البطالمة نفسها ، والإطاحة بعرشها ، وأعنى بذلك الحروب الداخلية التى شبت فى أنحاء البلاد على أثر انتصار المصريين فى موقعة « رفح » على « أنتيوكوس الثالث » عام ٢١٧ ق . م . فمنذ هذا التاريخ أخذ المصريون يشعرون بقوتهم وبعزتهم القومية ، ومن ثم أخذوا يطالبون بحقوقهم التى كان قد اغتصبها الحكام الأجانب وبخاصة ما كانوا يتحملون من الضرائب الفادحة التى كانت تفرض على كل شىء حتى على الهواء الطلق . ومن ثم قاموا بالثورة التى سنتحدث عنها فيما بعد ، فى عهد هذا العاهل الفاجر الذى كان يريد أن يتمثل بأعاظم الفراعنة فى كثير من عاداتهم وطرق حياتهم فى بلاطهم عن غير استحقاق أو جدارة .

فمن ذلك أنه أخذ يعيد استعمال بعض الألقاب المصرية القديمة فى نظام بلاطه . حقاً كان بعض هذه الألقاب — التى كانت فى الواقع ألقاب شرف وحسب — تعطى قبل عصره ، ولكن نلحظ أنه منذ عهده أخذ يمنح ألقاباً أخرى مثل لقب « المعروف لدى الملك » أو « قريب الملك » أو « السمير الوحيد » ، وغير ذلك من الألقاب التى تدل على أنه أراد أن يقلد الألقاب المصرية القديمة ، وما ذلك إلا لأجل أن يظهر أمام الشعب المصرى الأصيل بأنه يريد إحياء ذكرى مصر القديمة من كل الوجوه كما فعل ملوك عصر النهضة فى عهد الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين . ويخيل إلى أن ما ذكره المؤرخون من أسباب أخرى عن ذلك تبدو فى ظاهرها مقبولة ، ولكن

الفاحص المدقق فى مجريات الأحوال يجد أن « بطليموس الخامس » أراد أن يكون مصرياً فى كل مظاهر حياته من الوجهة الدينية . وعلى أية حال فان المصريين الذين قاموا فى عهده ليدافعوا عن حقوقهم المغتصبة وبطرد هذا الغاصب من الديار المصرية لم ينخدعوا بكل هذه التجديدات التى إن دلت على شىء فانها لا تدل إلا على خوف حكومة الإسكندرية منهم والعمل على ارضائهم بكل وسيلة . والواقع أن الحاح المصريين فى مطالبتهم بحقوقهم وإقامة حكومة خاصة مستقلة فى قلب الدولة البطلمية قد هز أركان الملك « بطليموس الخامس » ورجال حكومته مما أقض مضاجعهم وأقلق بالهم واضطرهم فى نهاية الأمر إلى إقامة حكومة خاصة لمقاومة الثوار وتنصيب حاكم خاص لهذه الحكومة أطلق عليه لقب نائب الملك « ايسترتيجوس » فى الإقليم الطيبى . وكان سلطانه يمتد على كل الوجه القبلى غير أن هذا اللقب لم يحمله كل حاكم حكم إقليم طيبة فقد كان بعضهم يحمل لقب حاكم المقاطعة وحسب ؛ ومع ذلك كانت له نفس السلطة التى كان يتمتع بها نائب الملك[1]

(١) راجع O. G. N. 147.

بعض الآثار الهامة التي خلفها بطليموس الخامس أو وجدت في عهده

(١) الوثائق الديموطيقية

١ — عقد إيجار لأرض ملكية من عهد الملك « بطليموس الخامس » عام ٢٠٤ ق . م[1] عثر عليه في الفيوم .

التاريخ : السنة الأولى الشهر س — من فصل — من عهد الملك « بطليموس» بن « بطليموس » و « أرسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما .

الطرفان المتعاقدان

الطرف الأول : يقول المزارع وعبد (الآله) « سبك » ، « حورسا أوزير » ، بن......... .

الطرف الثاني : « سوبيروس » (Sopeiros) السكرتير المالى و «امحوتب» بن « حور » كاتب الملك .

نص العقد : لقد أجرت لك أربعة أرورات من أرض الكلأ من حقول الملك الموقع عليها منى لمحصول السنة الثانية وهى ضمن حدود قرية « سبك » وهى « جزيرة ديكايوس » . وذلك فى مقابل أربعة أرادب من القمح (عن كل

(١) راجع Spiegelberg, Catalogue Général du Caire, Die demotischen Papyrus Taf. 48, Textes. S. 88; Pap. 30647; K. Setho Demotische Urkunden Zum Eegyptischen Burgschaftsrechte Vorzuglich Der Ptolemaerzeit S. 8-48.

أرورا) فيكون المجموع ستة عشر أردباً من القمح ثانية.

ويجب على أن أكيل لك الاثنى عشر أردباً (؟) قمحاً المذكورة أعلاه بعد الحصاد مباشرة وهى المذكورة أعلاه فى وقت تكييل قمح الملك ، أما الأرادب من القمح الخاصة بك التى لا أكيلها لك فانى سأعطيها إياك الواحد منها واحداً ونصفاً (أى بزيادة خمسين فى المائة) وذلك فى ظرف خمسة أيام قهراً وبدون تأجيل .

والمزارع وعبد الإله « سبك » المسمى « بتى — خنس » (Pete-Chons) بن « حور » وأمه هى « تا — شى — ن — اسى » (Senesis) الضامنة يقف ويقول : إنى ضمنت « حور - سأوزير » فيما يتعلق بالستة عشر أردباً من القمح المذكورة أعلاه . وعند ما لا يكيلها لك فانى أكيلها لك بنفسى ، وأنك ستكون وراءنا (أى مطالباً منا) فى كل ما هو حقك منا نحن الاثنين إلى أن نعمل على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه قهراً وبدون إبطاء .

كتبه « إناروس » بن « باوس » .

ووقع عليه « با - ور » (Poeris) بن ....

يلحظ فى هذا العقد أن الكاتب قد أخطأ عند ما ذكر المطلوب من المستأجر وهو ١٦ أردباً فذكر اثنى عشر أردباً فقط .

۲ — جزء من عقد كالسابق مؤرخ بالسنة ٢٠٤ ق.م[١]

التاريخ : السنة الأولى . . . . من عهد « بطليموس » بن « بطليموس » و « أرسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما ، عند ما كان كاهن الإسكندر

(١) راجع Spiegelberg. Ibid. Tafel. 49, Pap. 30000; Sethe. Ibid. p. 48

والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنن والإلهين المحبين لوالدهما هو « اريستومنيس » (Aristomenes) ابن « مناس » (Menas) . . . ابنة « مناندروس » (Menandros) حاملة مكافأة النصر (أمام برنيكى) الإلهة المحسنة، و «إرينى» (Eirene) إبنة «هلينوس» Helenos حاملة السلة الذهبية أمام « ارسنوى » محبة أخيها .

الطرفان المتعاقدان

الطرف الأول : يقول مزارع الملك « بلح » (Blh) بن « نب . . . . » (وأمه هى . . . .) .

الطرف الثانى : «سويروس» السكرتير المالى و « امحوتب » بن « حور » كاتب الملك . لقد أجرت لك أرورين من أرض الكلأ والجلبان من أرض الملك (الذى . . . كتبت . . . .) لأجل محصول السنة الثانية وهى ضمن حدود قرية « سبك » جزيرة « ديكايوس » . . . . .

٣ – عقد إيجار بأرض أميرية مؤرخ بالسنة ٢٠٣ ق.م[1] من نوع العقدين السابقين .

التاريخ : السنة الثانية الشهر الثانى من فصل الصيف (بؤونة) من عهد الملك « بطليموس » بن « بطليموس » و « أرسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول المزارع وعبد الآله «سبك» ، . . . . ابن «باسلح» وأمه هى «ثاى (؟) – جوجى » .

(١) راجع ;Spiegelberg Ibid, Taf. 55, 61, Cat. gen. Nos 30697 + 30780 Sethe, Ibid, p. 49-60.

الطرف الثانى : إلى « سوبيروس » (Sopeiros) السكرتير المالى و « امحوتب » بن « حور » كاتب الملك .

نص العقد : لقد أجرت لك ستة أرورات من أرض الكلأ من حقول الملك هذه التى أقطعتها لك فى حدود أرض قرية « سبك » = جزيرة « ديكايوس » وذلك فى مقابل أربعة أرادب ونصف من القمح (عن كل أرورا) فيكون مجموعها ٢٧ أردباً ، ونصفها هو ١٣½ (أردباً) فيكون المجموع ٢٧ أردباً من القمح ثانية . وينبغى على فى مقابل ذلك أن أكيل لك السبعة والعشرين أردبا قمح المذكورة أعلاه حتى السنة الثالثة الشهر الثانى من فصل الصيف (بؤونة) . وأرادب القمح التى لا أكيلها لك فانى سأعطيها إياك (مرة ونصف) فى ظرف خمسة أيام .

وقد وقف المزارع وعبد الآله «سبك» المسمى « إف عنخ » (Ephonychos) وقال إنى ضامن فيما يخص . . . ابن « با - سلح » المذكور أعلاه وإنى سأعمل ذلك على حسب كل كلمة كتبت أعلاه .

وإنك وراء كل منا نحن الأثنان (أى تطالبنا) حتى نعمل على حسب كل كلمة أعلاه . ولك الحق الكامل فى أن تأخذ بالقوة فيما يخص كل شىء تحدثت به معنا باسم كل كلمة أعلاه ونحن نعمله على حسب طلبه قهراً وبدون إبطاء .

كتب (هذا) « إناروس » بن « باوس » (Pawes) (٢) .

باقى العقد فقد .

٤ — عقد إيجار عن أرض جندى فارس حرر فى أواخر عام ٢٠٣ ق.م[١]

التاريخ : السنة الثالثة الشهر الثالث من فصل الفيضان (هاتور) من عهد الملك « بطليموس » بن « بطليموس » و « أرسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : المزارع ... « تحوت - سوتم » (Thothsytmis) (بن « بايوس ») (Paieus) .

الطرف الثانى : يخاطب «أرتميدوروس» (Artemidoros) السكرتير المالى و « امحوتب » ابن « حور » كاتب الملك .

العقد : إنها ثلاثة آرورات أرض كلأ وأرض جلبان . ونصفها آرورا ونصف . فيكون المجموع ثلاثة أرورات من الأرض ثانية وهى التى تعاقدت بخصوصها وهى التى تسلمتها من فارس من بين حقول الملك وهى التى تسلمتها وكتبت بخطى فى حدود قرية «سبك» « برى - أنوب » وذلك لمحصول العام الثالث . وحتم على لك مقابل ذلك أن أدفع الإيجار نقداً عن ثلاثة أرورات لأرض الكلأ المذكورة أعلاه فى بنك الملك ومقداره عشر قطعا من الفضة (= ؟ درخمة) عن كل أرورا من الأرض فيكون المجموع ثلاثين قطعة من الفضة . وذلك مباشرة بعد حصاد أرض الكلأ المذكورة أعلاه . ولن يكون فى قدرتى أن أعطيك موعد دفع آخر بعد موعد الدفع المذكور أعلاه ، وهو الذى بمقتضاه يجب على أن أدفع لك فيه حتما (المبلغ) وبدون تأخير . والنقود الخاصة بك التى لا يمكننى أن أدفعها فى الموعد المحدد المذكور أعلاه فعلى أن

(١) راجع Le Caire 30701, 30089. Spiegelberg Ibid. Taf. 56; Sethe Ibid p. 60-64.

أدفعها لك نقداً مع فوائد خمسين فى المائة فى اليوم الذى حددته أعلاه قهرا وبدون ابطاء .

وإن كاتب نصائح « ازيس » (المسمى) « بانيت » بن « بتوزير » (Petosiris)) هو الذى يقول : لقد ضمنت فيما يخص « تحوت ـ ستميس » بن . . . . . . « بايوس » (?) Paieus أن أدفع (فيما يخص) الثلاثين قطعة فضة وهى قيمة إيجار قطعة أرض الكلأ المذكورة أعلاه . وجميع وكل شيء مما نمتلكه وسنمتلكه يكون الضمان لما هو مكتوب أعلاه إلى أن أنفذ على حسبه (أى المكتوب = العقد) وذلك قهراً وبدون تأخير ويكون لك الحق أن تطالب من تحب منا نحن الاثنين .

كتب هذا « حاروز » بن « حاروز » .

وقع عليه . . . .

ما جاء بعد ذلك هشم .

٥ — جزء من عقد إيجار[1] من نفس المكان الذى وجدت فيه العقود السابقة ويؤرخ بالسنة ٢٠٣ ق . م .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : (إن مزارع الملك فلان هو الذى يقول)

الطرف الثانى : لفلان السكرتير المالى و « أمحوتب » بن « حور » كاتب الملك .

العقد : لقد أجرت أربعة آرورات . . . الأرض وهى التى دونت باسم

(١) راجع Spiegelberg Cat. Gen. No. 30781. Sethe, Ibid. p. 89

مزارع الملك « إناروس » ، وإنى أملك نفس الحقل فى حدود القرية . .) وذلك فى مقابل خمس قطعا من الفضة (عن كل أرورا) فيكون المجموع كله عشرين قطعة من الفضة ونصفها هو عشر قطعا فضة (فيكون المجموع عشرين قطعة فضة ثانية) .

وعلى أن أدفع مقابل ذلك فى بنك الملك فى اليوم الذى يقال لى فيه (ادفعها نقداً) .

ويجب على أن أدفعها لك أو للموكل من قبلك . ولن يكون فى مقدورى أن أقول لك إنى دفعتها ذهباً أو أى شىء آخر فى العالم دون وثيقة دفع . وأنه أنت أو وكيلك الذى يكون له الحق فى تسلمها قهراً وذلك بسبب كل شىء قد تحدث به باسم كل كلمة دونت أعلاه . وإنى سأفعلها لك على حسب أمرك قهراً وبدون معارضة . وجميع وكل شىء أملكه وما سأملكه هو الضمان من أجل هذا المكتوب المذكور أعلاه دون تأخير .

وأن مزارع الملك فلان ابن فلان وهو الذى يقف ضامناً عند ما يقول أن لك الحق أن تطالب من تحب (منا نحن الاثنين ، وأنه سيفعل على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه) .

(كتب هذا (بانفر ـ حو) (= Pneferos) بن « با ـ ن ـ اسى » (Phanisis)

وقع عليه . . . (. . . بن سبك (. . .)

وقع عليه « نخت (؟) ـ انوب » بن « بانوفر » (؟) .

وقع عليه . . . (« أوزير » بن « جى (؟) ـ خنسفعنخ) =
Dje (?) - Chens - ef - onch

٦ ــ عقد التزام لضمان مؤرخ بنهاية السنة الرابعة ق . م وقد عثر عليه فى الفيوم على ما يظهر فى مدينة كروكو ديلوبوليس[1] (الفيوم) . والواقع أن هذه الوثيقة ، وكذلك التالية لها كتبهما مسجل بعينه من مركز « مريس » يدعى «بوليمون» ، وعلى ذلك يحتمل أنهما مثل الوثائق الخمس السابقة وجدتا فى « الفيوم » .

التاريخ : السنة الثانية الشهر الثالث من فصل الفيضان (هاتور) من عهد الملك « بطليموس » ابن « بطليموس » و « أرسنوى » .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : أنه « جحو » بن « حور » المؤجر لنصيب « بوليمون » هو الذى يخاطب .

الطرف الثانى : « باوت » بن « نخمس - اسى » (= Namesis) . . . . .
الواحد والعشرين أرورا من الأرض المزروعة كلأ وجلبان وهى التى قرر نزعها ، وعلى ذلك فانه ينادى فيما يخصها من بين حقول الملك ، بأنى قمت لك بالضمان من أجلك .

ويجب على لك مقابل ذلك أن أجعل قيمتها بالنقد النحاسى (بسعر كل ٢٤ قدت من النحاس مقابل قدتين من الفضة تدفع للمحراب . وأن تكون كل ست قطع فضة عن كل أرورا ومجموع ذلك هو ١٢٦ قطعة من الفضة ونصفها ٦٣ قطعة من الفضة فيكون المجموع ١٢٦ قطعة من الفضة ثانية حتى

---

(١) Spiegelberg, Ibid, Pap. Taf. 57 and Text. p. 148; Sethe, Ibid, p. 108.

السنة الثانية الشهر الرابع من فصل الفيضان (؟) كيهك الخامس منه .

وأن قطع الفضة الخاصة بك التى لا أحضرها إلى المعبد فى الميعاد المذكور أعلاه فانى أدفعها مرة ونصف فى الشهر الذى سيكون بعد الشهر المذكور قهراً وبدون تأخير . ولن يكون فى استطاعتى أن أقول : لقد أديت لك حق المكتوب المذكور أعلاه ما دام المكتوب المذكور أعلاه فى يدك . وإنى سأودى لك هذا الحق قهراً وبدون تأخير .

كتب هذا « ماع - رع (Mares =) » (بن . . . . .

وقع عليه « جحو » (= Teos) بن « حور » .

٧ — عقد ضمان إعادة سجين من عهد « بطليموس الخامس » مؤرخ بمارس عام ٢٠٢ ق . م عثر عليه فى الفيوم[١] (مؤرخ مارس عام ٢٠٢ ق . م .)

التاريخ : السنة الثالثة الشهر الثانى من فصل الشتاء (أمشير) من عهد الملك « بطليموس » ابن « بطليموس » و « أرسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول الجندى الاسبندوسى (نسبة إلى « اسبندوس[٢] ») الذى منح حقلا إلى الأبد (المسمى) « آثينيون » (Athenion) بن « أرتيميدوروس » Artimidoros .

الطرف الثانى : « باوت » بن « نحمس - اسى » مواطن مكان « سجن » (مركز (؟)) وهى جزء من « بولوى » (= مقاطعة أرسنوى) .

---

(١) راجع Spiegelberg Ibid, Pap. Taf. 49 (Caire 30659), Text. S. 298 (Caire 31191). Trans. S. 96-7, 297-8. Sethe. Ibid, p. 129 ff.

(٢) راجع Lesquier, Instit. Militaires des Lugides p. 116 ff.

العقد : لقد ضمنت فيما يتعلق بمزارع الملك «حور» - بن «پا - حى» وأمه هى «نخت - امى» السجين الذى فى يدك (أى بين يديك) وأقف بوصفى ضامناً ويجب على مقابل ذلك أن أجعله يقف أمامك ، وعلى أن أحضره إلى المكان الذى تحدده فى اليوم الذى ترغب فيه أنت ، عدا معبد الأله ومذبح الملك فى مدة يوم من يومين (تحددهما) ، وإذا لم أقدمه لك فعلى اذاً أن أعطى . . . . وكل ما أملك وكل ما سأكسبه فى المستقبل هو ضمان لحق المكتوب المدون أعلاه ، ويكون لوكيلك الحق أن يتسلم قهراً فيما يخص جميع الأشياء التى تحدث عنها باسم كل كلمة ذكرت أعلاه ، وإنى سأنفذها على حسب طلبه قهراً وبدون تأخير .

كتب هذا فلان بن فلان .

وكتب بالإغريقية : السنة الثالثة شهر أمشير اليوم . . . فى كروكوديلوبوليس

وضمنه («أثينيون» من قرية «ليزيماخيس») .

الباقى مهشم .

عقد نزول من عهد الملك «بطليموس الخامس»(١).

التاريخ : السنة الثانية شهر هاتور من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» و «أرسنوى» الإلهين المحبين لوالدهما ، عند ما كان «أريستوماكوس» (Aristomachus) بن «مناس» (Mennas) كاهن

(١) راجع Papyrus Demotique No. 378 b. etc du Musée de Leyde; Revillout Rev. Egypt. I. p. 128 note 1; cf.
Strack, Dyn. der. Ptol. p. 30 et note 5, et p. 126. (4)

الإسكندر والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما ، وعند ما كانت « ديديمى » (Didymé) ابنة « مناندروس » الكاهنة حاملة مكافأة النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، وعند ما كانت « هرينى » (Herene) ابنة « كليونوس » (Cleonos) حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول حامل الخاتم الإلهى « آمون » بن « بتاح ما » وأمه هى « تيتوا » (Tetoua) .

الطرف الثانى : الحامل الخاتم « باسى » بن « تيوس » وأمه هى « أرسنوى »

صيغة العقد : إنى أنزل لك عن نصيبك من النصف من نصيبى أى الربع من المبنى الجنازى المقام من الحجر وهو الذى يسمى كا . . . . ويبلغ طوله عشرين ذراعاً من الجنوب إلى الشمال و ٢٥ ذراعاً من الشرق إلى الغرب ، ونصفك الذى هو من نصفى وهو الربع من أربع القباب الموجودة هناك . وهاك وصفها : قبتان فى الجدار الجنوبى وقبتان فى الجدار الشمالى . ونصفك من نصفى أى الربع من المقصورة الحجرية وهى التى تقع فى غرب المبنى الجنازى الذى على بعد ٩½ أذرعاً من الجنوب والشمال و ١٢ ذراعاً من الغرب إلى الشرق . ونصفك من أربع القباب . . . فيه على الجدار الجنوبى وقبتان على الجدار الشمالى وقبة على الجدار الغربى . والكل موجود على جبل جبانة « منف » . ونصفك من نصفى أى الربع من إقفال الباب هذه ،

ونصفك من نصفى أى الربع من حرمه عند الباب الشرقى . . . لقد حررت لك مستنداً بالنقد الخاص بهذا الموضوع فى السنة الثانية شهر هاتور من عهد الملك العائش أبدياً وهو مستند وقعت عليه المرأة « تيتوا » إبنة « بدى موت » وأمها هى « شماتى » ، وحدود البيت الجنازى المصنوع من الحجر والأماكن المذكورة أعلاه التى عليها نصفك من نصفى أى الربع هى :

فى الجنوب : المبنى الجنازى المقام من الحجر ملك حامل الخاتم الإلهى تباست (؟) الذى من أجل حامل الخاتم الآلهى . . . « آبى » بن « هريوس » (Hereus) والرجل الآخر .

فى الشمال : المقصورة المقامة من الحجر التى عليها « أنوبيس » الآله العظيم . . . المقصورة ملك « آمون » بن « بلا » وهى ملك أولاده .

وفى الغرب : الجبل

وفى الشرق : شارع « أنوبيس » .

ونصف نصفى أى الربع من المقصورة المصنوعة من الحجر . . . وهى التى وصفها ، وحدودها قد ذكرت أعلاه .

وليس لى أى حق عليك فى هذا الموضوع من هذا اليوم فصاعداً . وإن من يأتى إليك ليضايقك من أجل ذلك فانى سأبعده عنك . وإنك ستجعلنى أعترف بالمستند بالنقد الذى حررته لك فى هذا الموضوع ، وكذلك حقه وهذان مستندان وانك ستجعلنى أعترف بهما وكذلك بحقوقهما .

كتبه « أو » بن « حور سائيسى » .

عقد نزول من عهد « بطليموس الخامس » (١).

التاريخ : السنة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك « بطليموس » بن « بطليموس » بن « ارسنوى » الإلهين المحبين لوالدهما ، عند ما كان « ديمتريوس » بن « سيتالتس » (Sitaltes) كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والملك « بطليموس » صاحب التاج خبش (خوزة الحرب) ، وعند ما كانت « اريا » (Aria) ابنة « ديوجنيس » الكاهنة حاملة مكافأة النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، وعند ما كانت « نيسياس » (Nicias) ابنة « أبليس » حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها ، وعند ما كانت «هيرينى» (Hirene) ابنة « بطليموس » كاهنة « أرسنوى » محبة والدها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول حامل الخاتم الإلهى « امحوتب » بن « بتاح ما » وأمه هى « تيتوا »

الطرف الثانى : للمرأة « شماتى » ابنة « تيتأو - ممو » وأمها هى « تيتوا » إبنة أمها (أى أن الاثنين من أم واحدة) .

العقد : إنى أنزل لك عن البيوت والمقابر والمرتبات الجنازية والأيمان الإيجابية والسلبية وهى كل ما يملك فى العالم حامل الخاتم الإلهى « تيتأو - ممو » بن « بسن - موت » (Psen Mout) وأمها هى « حوعنخ » ، والدك ، وهو العقار الذى حرر به مكتوباً بالإيمان للمرأة « تيتوا » ابنة « بت - اموت » وأمها هى « شماتى » ، أمى ، وأمك ، (وأنى أنزل لك عنها) وكذلك عن

(١) Papyrus Demotique no. 2408 du Musée du Louvre. Revillout Chrestomatie demot. P. 336; Rev. Egyptol. I. P. 124 note 2.

حقوقها وهى ملكك وليس لى أية كلمة فى العالم (أى ادعاء) عليك فى هذا الصدد من اليوم فصاعداً . وإن الذى يأتى إليك ليضايقك بسببها باسمى فإنى سأجبره أن يبتعد عنك قهراً وبدون تأخير . ولك أن تجعلنى أعترف بمستند النقد ، وكذلك بمستند النزول وهذان يكونان مستندين وهما اللذان حررتهما لك فى السنة السادسة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبدياً . وذلك عن نصيب الربع من المقصورة الجنازية ملك « بتاح ما » بن « أمحوتب » والدى ، وتقع فى جبانة « منف » ، وكذلك الحقوق التى تنتج منها ، وأنك تجعلنى أعترف بالمستند الخاص بالتنازل الذى حررته لك فى السنة الثامنة من شهر برموده من عهد الملك العائش أبدياً عن نصيبك بحق النصف من كل ما تملكه المرأة « تيتوا » إبنة « بت - اموت » وأمها هى « شماتى » أمى وأمك ، وكذلك كل حق ينتج عن ذلك وسأجعلك تعترف وأنا كذلك ، بمستند النزول الذى حررته لى فى السنة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبدياً عن نصيبى فى النصف من كل ما يخص المرأة « تيتوا » إبنة « بت - إموت » . وأمها هى « شماتى » أمى وأمك ، وبالحق الذى يترتب على ذلك بالإضافة إلى الموافقة التى عملتها كتابة بالنقد الذى حرر لمصلحتى من المرأة « تيتوا » ابنة « بت - إموت » التى أمها هى « شماتى » أمى وأمك المذكورة أعلاه فى السة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبدياً عن نصيبى فى نصف كل مالها وكل ما ستملك وعن الحقوق المترتبة على ذلك .

وإنى ملزم أن أعمل من أجلك على حسب الكلام المذكور أعلاه . وإنى سأجعلك تعترف كذلك مستند النزول الذى حررته فى السنة الثامنة . . . من عهد الملك العائش أبدياً عن المبانى الجنازية (= المقاصير) والمقابر والمرتبات

الجنازية والأيمان (سعنخ) وكل الممتلكات الدنيوية التي يملكها حامل الخاتم الإلهي « بتاح ما » بن « تيوس » والد والد والدى ، وكذلك بكل حقوقها ، وهي الممتلكات التي حررت بها مستنداً وكذلك عن حقوقها .

التراضي :

إن المرأة « تيتوا » ابنة « بت ـ اموت » وأمها هي « شماتى » أم المرأة « شماتى » ابنة « تيتأو ـ ممو » و « امحوتب » بن « بتاح ما » وهما الشخصان اللذان ذكرا أعلاه تقول : على أن أنفذ لك الكلام الذى ذكر أعلاه ، وأن قلبي مرتاح له وإنى أنزل لك (يا ابنتى) عن كل ما هو مدون أعلاه كما هو مكتوب أعلاه وليس لى أية حجة فى العالم أقيمها عليك بخصوص هذا الموضوع من اليوم فصاعداً وأن من يأتى لمضايقتك باسمى فانى أبعده عنك قهراً وبدون ابطاء . وأن المرأة « شماتى » ابنة « تيتأو ـ ممو » و « امحوتب » بن « بتاح ما » أخواها من الأم ، وأولادى قد جعلونى أعترف بالمستند الخاص بالنقد وهو الذى حررته لكل منهما فى السنة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبدياً ، وكذلك الحقوق المترتبة عليه ، وكذلك الموافقة التى عملتها عن عقد النزول الذى حرر لكل منهما فى السنة الثامنة شهر أمشير من عهد الملك العائش أبدياً . وعلى أن أنفذ لك (يا ابنتى تعهدى) .

كتبه . . . ابن « بتيسى » .

السنة الثامنة شهر برمهات التاسع منه فى « منف » وقع عليه بيد « بسى ـ بتاح » ابن « امحوتب » وكيل « ديونيسيوس » .

تعليق :

هذا العقد هو من العقود التي يظهر فيها أمامنا حق المرأة فى رهنيـــة ممتلكات زوجها وذلك بناء عن مستند أو عقد يمين . ويلحظ أن هذا العقد عند قراءته للمرة الأولى يظهر بأنه غاية فى التعقيد ، ولكنه فى الواقع يتمشى تمشياً كبيراً بالنسبة للعادات المصرية القديمة . والواقع أننا نجد فى هذا العقد الذى نحن بصدده ولدين من أم واحدة ولكنهما من أبوين مختلفين ، وقد خصص لكل منهما ما يستحقه شرعاً من الأملاك التى تملكها والدتهما ، ومن هذه الأملاك ما جاء من والد لابنه ، وكذلك ما جاء من أسرة والد الذكر . وكانت الأم لها حق بمقتضى اليمين (سعنخ) وهذا الحق الصحيح قد ذكره الابن ، وذلك عند ما نزل بمثابة ملكية لأخته بمستند تنازل بمقتضاه لها عن كل الممتلكات الآيلة له من والده . هذا إلى أن موافقة الأم على عقد نزلت فيه عن حقها الفعلى ، وقد ذكر فى الوقت نفسه أنه بتحرير عقود مقابل نقد أو بيع ضرورى فانها قسمت بحق النصف ما كانت تملكه بوصفه حقها ، بين ابنيها ، وذلك بموافقة رسمية من هذين الابنين بمقتضى عقود خاصة .

وثائق ديموطيقية عثر عليها فى سربيوم «منف» من عهد بطليموس الخامس

هذه الوثائق وعددها ثلاث تعتبر من أهم المستندات الديموطيقية التى وصلت إلينا من عهد الملك «بطليموس الخامس» وهى محفوظة الآن فى جمعية «نيويورك» التاريخية . وقد كشف عنها فى سربيوم «منف» . والمقصود هنا بالسربيوم نفس المعبد أى أنه يستثنى من ذلك الوثائق التى وجدت فى «أنوبيون» (معبد «أبيس») وذلك تمشياً مع الكشف العبقرى الذى قام به العالم «فلكن»[1]. ومن هذا الكشف نعرف الآن أن «الأنوبيون» بالإضافة إلى بعض أماكن أخرى مجاورة له ليس لها اتصال بالسربيوم الأصلى كلية . ولا نزاع فى أن ما نشره كل من الأستاذ «زيته»[2] والأستاذ «فلكن» من معلومات تفيد المشتغل بالآثار المصرية والآثار الإغريقية على التوالى قد أضاف الكثير لفهم عدد كبير من المسائل المتعلقة بالسربيوم .

والأوراق الجديدة التى سنتحدث عنها هنا تقدم لنا مادة جديدة توضح من وجوه عدة ، بعض المسائل التى أشار إليها الأثرى «ريخ» وتؤكدها عند فحصه هذه الأوراق[3]. والواقع أن مادة هذه الوثائق جديدة بالنسبة لميدان الديموطيقية زد على ذلك أنها لم تفحص حتى الآن . ولذلك آثرنا أن نتحدث

(١) Wilcken Urkunden der Ptolemaerzeit I. P. 14 ff.

(٢) Kurt Sethe, Sarapis pp. 14 ff.

(٣) Mizraim Journal of Papyrology, History of Ancient Laws and Their Relations to Civilizations of the Bible Lands Vol. I. p.9 ff.

عنها بشيء من التفصيل وبخاصة إننا أردنا أن نضع بعض حقائق عن السرابيوم لما فى ذلك من أهمية بالغة لأولئك الذين يريدون الوقوف على بعض الحقائق المتعلقة به وبخاصة الحياة الاجتماعية والدينية التى كانت سائدة فى هذه البقعة من أرض الكنانة . هذا مع العلم أن كل ما نعرفه عن الحياة الاجتماعية والدينية للبلاد حتى الآن كان مصدره الوجه القبلى وبوجه خاص « طيبة » التى كانت تعتبر أهم مصدر لنا عن الأوراق الديموطيقية فى عهد البطالمة .

موقع السرابيوم على حسب البحوث الجديدة

لما كانت الأوراق التى نفحص محتوياتها هنا تبحث عن ملكية وصفت وصفاً دقيقاً من حيث موقعها فى السرابيوم نفسه ، ولما كان لا بد لنا أن ننظر هنا إلى هذا الموضوع بنظرة أخرى غير التى كنا ننظر بها إليه منذ بضع سنين مضت فان من الصواب أن نفحصه من جديد على ضوء المعلومات الجديدة التى وصلت إلينا . والواقع أن ما كتبه الأستاذ « فلكن » فى هذا الصدد يكاد يكون كله فى الصميم من الوجهة الطوبوغرافية بما كشف عنه فيما يخص السرابيوم والأماكن المجاورة له ، وذلك بما استنبطه من المصادر الإغريقية الخاصة بهذا الموضوع . ومن أجل ذلك أصبح من واجب علماء الآثار المصرية الآن أن ينخلوا ما لديهم من الوثائق الديموطيقية التى تقابل الوثائق الإغريقية التى فحصها الأستاذ « فلكن » وذلك بالإضافة إلى ما وصل إليه الأستاذ « زيته » من معلومات قيمة فى هذا الصدد[1] .

---

(١) راجع Kurt Sethe Sarapis pp. 2 ff.

موقع «منف» والسربيوم

تقع مدينة «منف» على مسافة لا تزيد عن عشرين كيلو مترا شمالى القاهرة إذا سار الإنسان فى خط مستقيم . وكانت «منف» تعد مدينة الأحياء فى حين أن السرابيوم وما يحيط به من مؤسسات كان مخصصاً للموتى . وكانت مدينة «منف» تقع فى وسط الأرض الزراعية المنخفضة فى حين أن السرابيوم كان يصل إليه الإنسان بصعود الجبل تدريجاً فى الصحراء .

هذا وكان معبد الإله «بتاح» («هيفا ستيون» عند الإغريق) ومعبد العجل «أبيس» الحى (أبيون) يقعان فى «منف» . ولكن عند ما كان يموت العجل المقدس فانه كان يدفن فى حجرة تحت الأرض فى السربيوم ، وكان يقام فوق هذه الحجرة كذلك معبد للعجل المتوفى . وكان هذا العجل بعد موته يصبح «أوزيراً» كما كان كل إنسان حى يصبح «أوزيرا» بعد موته . وكانت تقام له مقصورة على قبره ، تقام له فيها الشعائر الجنازية . فالإنسان الذى كان يسمى مثلا — مدة حياته — «بدى بأست» يسمى بعد موته «أوزير- بدى باست» وكذلك كان العجل المتوفى يسمى «أوزير حابى» وهذا الاسم المركب نطقه الإغريق «أوسارابيس» . وقد وحد هذا الإسم فى العهد المتأخر جداً باسم «سارابيس» و «أوسرابيس» وقد تحدثنا عن هذا الآله فى الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة ص ٢٠٥ . . . الخ .

وكان العجل «أبيس» وهو حى يدعى «حاب» الحى مكرر «بتاح» ملك الحيوان المقدس . وكان يعبد فى «أبيون» «منف» فى السربيوم

(= بيت اوزير أبيس) بعد موته مثل عجل « ور - مر » (العجل منيفيس) وهو عجل « هليوبوليس » الشهير الذى كان يمثل الإله « رع » .

وقد كان يصبح بعد موته « أوزير منيفيس » ؛ وكذلك مثل العجل الآخر المقدس « بوخيس » (بخ) الذى كان يعيش بوصفه روح آله الشمس « رع » الحى فى البوخيوم فى مدينة « أرمنت » . وهو الذى أصبح بعد موته يدعى « أوزير بوخيس » الآله العظيم « سيد حتم » (= بيت اتوم) . وهذا القول ينطبق على الحيوانات الأخرى المقدسة مثل إبيس (= تحوت) وغيره .

هذا وتوجد الآن طريقان رئيسيتان ذاتا أهمية نصل بهما من موقع « منف » القديمة إلى مدفن السربيوم الحقيقى ؛ إحداهما تتبع طريق السياح الحديثة من البدرشين إلى « منف » غرباً مارة بالأراضى الزراعية ثم تتجه شمالا عند سقارة حتى يصل الإنسان بها إلى سور مربع مصنوع من لبنات من طمى النيل ، ويحتوى على مدافن الآلهة « باست » التى تسمى « بوباستيون » (= معبد القطة «باست») وبعد ذلك جنوباً نسير فى طريق منحدرة غرباً بين هرم « تيتى » والهرم الحجرى جنوبى الهضبة الطويلة التى توجد فى وسطها (رسمت الجهات الأصلية) (أنظر الشكل رقم ١) حتى يصل الزائر إلى بيت « مريت » و « السربيوم » الأصلى .

والطريق الثانية موحدة بالأولى إلى أن يصل الزائر إلى مدفن القطط « بوباستيون » (أنظر الشكل رقم ٢) حيث توجد مبانى أخرى .

ويمكن تلخيص الموقف فيما يأتى : وهو أن مدينة « منف » الواقعة على

هضبة فى وسط أرض زراعية كانت تغمر كل سنة من سبتمبر حتى نوفمبر بمياه النيل . وكانت تمتد كذلك إلى الشمال الغربى والغرب حتى الأنوبيون (مكان عبادة الآله أنوبيس) وفى جنوبه كان يقع « البوباستيون » الذى بجانبه فى الجهة الجنوبية مقابر . وأماكن الدفن هذه كانت فى الوقت نفسه تقع شرق الهرم المدرج الذى أقامه الملك « زوسر » ، وكذلك مقبرة ساحره « امحوتب » ومعبده . و « امحوتب » هذا كان يعتبر بمثابة آله الشفاء وإله الوحى وهو الذى كان يعرف فى الأوراق الإغريقية باسم « اسكلوبياس » (آله الطب عند الإغريق) .

وعند ما يمر الإنسان فى وسط « الأنوبيون » غرباً يمكنه أن يصل إلى الجزء الغربى من ردهته المسورة وبعد اختراق بوابة هذا الجدار الذى يحيط به يشاهد الزائر أمامه شارعاً طويلا أقيم على جانبيه تماثيل بو الهول تمتد نحو أكثر من كيلو متر تقطع على الأقدام فى مدة ربع ساعة ، يصل بعدها الزائر إلى السرابيوم الأصلى الذى كان يؤلف « الأنوبيون » بالنسبة له — « مدخلا أمامياً » — ويمكن أن تسمى هذه المبانى على رأى العالم « فلكن » بمجموعة المبانى الغربية ، فى حين أن مجموعة المبانى الشرقية والضياع كانت تحتوى على معابد « الأنوبيون » و « البوباستيون » و « الأسكلوبيان » وما يحيط بها هذه صورة عن طوبوغرافية تلك البقعة التى كانت من قبل غير مفهومة وفسرت بصورة خاطئة .

وكان المدخل الرسمى للسرابيوم هو طريق بوطهول العظيمة الذى يمكن الوصول إليه عن طريق بوطهول الصغيرة ودروموس « الأنوبيون » (الدروموس عبارة عن شارع عريض مرصوف بالحجر ويقع عمودياً بالنسبة لواجهة المعبد

ويؤدى إلى مدخله) الذى يخترقه ويتركه عند بوابته الغربية التى تؤدى مباشرة إلى الشارع الطويل المزين بتماثيل بولهول . وعند نهايته ينحنى قليلا نحو الجنوب وينتهى بزاوية قائمة نحو الجهة الشرقية الغربية ويتصل بالدروموس الذى يؤدى إلى السربيوم الأصلى . على أنه يمكن الوصول إلى السرابيوم بطريق أخرى ، وذلك لأنه توجد له بوابة أخرى فى الشمال . وعلى أية حال فان شارع تماثيل بولهول كان على ما يظهر المدخل الرسمى إذ أقيم على جانبيه ما يقرب من أربعماية تمثال بولهول . وهذه الطريق الطويلة المتجهة شرقاً بغرب تؤدى إلى جبانة قديمة وإلى أخرى أحدث عهداً . وليس هناك اجماع على عمر هذا الشارع ، والمحتمل أنه حديث ، وذلك بسبب الانحناء المفاجىء الذى يوجد فى نهايته . ومن الجائز أنه بنى بعد إقامة السربيوم ؛ ولو كان الأمر خلاف ذلك لأقيم السربيوم بحيث يدخل الشارع فى الدروموس المكمل له مباشرة ؛ وكان هذا هو المنتظر . والواقع أن الدروموس الذى يؤدى إلى السربيوم يوجد نصفه داخل السور ونصفه الآخر خارجه . والجزء الشرقى من الدروموس ينتهى فى معبد «نقطانب» . وعلى ذلك فان الموكب الذى كان يقصد دخول السربيوم عن طريق تماثيل بولهول والدروموس يكون هذا المعبد على يساره . والجدران السميكة جداً التى يبلغ سمك الواحد منها حوالى مترين وارتفاعه حوالى ارتفاع قامة الإنسان . وهذه الجدران التى توجد على كلا جانبى الدروموس تقطعها — أولا من الجهة الشمالية — البوابة التى ينتهى عندها شارع بولهول عند الدروموس . وبعد ذلك تجد على الترتيب التالى المبانى الآتية : أولا مقصورة لعجل « أبيس » (٢) وفى غربها مقصورة إغريقية وهى التى بادارة λυχναmas . وسنرى فيما بعد عند ترجمة العقود الديموطيقية أن هذه الإدارة كان من الممكن أن تكون ذات أهمية بسبب أن

إضاءة المصباح كانت ضمن واجبات أحد الطرفين المتعاقدين فى الوثيقة التى ستأتى بعد . كل ذلك بالإضافة إلى تماثيل قليلة تقع على الجانب الجنوبى لجدار الدروموس ، ولا تزال توجد خارج جدار سور السرابيوم الذى يؤلف مستطيلا كبيراً ذات حافة مسننة فى الجنوب الغربى وهو الذى — كما يرى على الشكل رقم ٢ — قد تسبب من تكوين الهضبة التى أقيم فيها السرابيوم . وكان المعتقد سابقاً أن كل مجموعة المبانى الشرقية وهى الأنوبيون والبوباستيون والاسكلوبيون ، كانت تؤلف جزءاً من السرابيوم وهى فى الواقع ليست تابعة له .

والآن نمر فى داخل الدروموس وسور السرابيوم العظيم الذى يوجد فى موقعه الشرقى . هذا ويلحظ أن جدران الدروموس السميكة تصحبه فقط خارج السور ، والدروموس بعيد عن هذا السور من الداخل . ومعبد « أوزير أبيس » الذى داخل السور مهدم .

وتحت هذا المعبد الذى يقع فى الوسط توجد توابيت كثيرة العدد لعجول « أبيس » ، وفى شمال الجدار العظيم المحيط به كان يوجد هناك مدخل .

وكان الطبيعى أن توجد فى السرابيوم حياة تشبه الحياة التى كانت تمارس فى بلدة صغيرة كما كانت الحال فى « الأنوبيون » . فكانت الأشياء الكثيرة التى يحتاج إليها آلاف الحجاج — الذين كانوا يفدون إلى هناك كل سنة للحج — تقدم لهم ، وكان الدروموس نفسه يستعمل بمثابة سوق للبيع والشراء ، وكانت حتى الحكومة تبيع متاجر الدولة هناك بالمزاد .

وتحدثنا متون البرديات التى وصلت إلينا من هذا العهد عن كثير من

المخاصمات التى كانت تقوم بين سكان السرابيوم وما جاوره . وعلى أية حال لا ينبغى لنا أن ننظر إلى هذه المخاصمات والمجادلات التى كانت تقع بين الأهالى الذين كانوا يسكنون سوياً على مساحة صغيرة نسبياً بصورة قاتمة مظلمة إلى أبعد حد .

وقد حافظنا على هذه الأوراق لأنها وثائق رسمية ، غير أن التسجيلات التى كانت تدل على مابين الأهالى من حسن نية لم تنحدر إلينا . وهذا أمر طبيعى جداً لأن المعاملات الحسنة فيما بينهم لم تكن تؤلف أساس شكاية . وإذا كان لزاماً علينا أن نفحص مذكرات محكمة لأية بلدة صغيرة أو نفحص مجموعة وثائق لبعض المحامين فانا سنحصل على نفس الحكم الخاطىء عن هذه البلدة الصغيرة . ولا نزاع فى أن المشاغبين والمشاكسين والأفظاظ والمجرمين الذين يخالفون القانون يوجدون فى كل مكان وكل زمان لا فى البيئة التى نتحدث عنها وحسب .

حقاً لم يكن فى الدستور المصرى مواد شرعية تحتم احضار مسجون أمام قاضى أو محكمة أو تنفيذ حكمها بشأنه فوراً ، وذلك لأنه لم يكن هناك دستور أبداً فى مصر التى كانت تحكم حكماً استبدادياً ؛ وعلى أية حال فان ذلك كان لا يعنى أنه لم تكن فى مصر عدالة اجتماعية . فقد كان لدى قدماء المصريين حس عظيم بالعدالة فى كل عهود تاريخهم . وإنى لا أشير هنا إلى قصة الفلاح الفصيح وشكاياته كما لا أشير إلى تظلمات « بتيسى » التى تحدثت عنها فى غير هذا المكان ، وذلك لأن كلا منهما يمكن أن تستعمل بحدين ، ولكن أذكر مثلا نقش تنصيب الوزير[١] فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فاستمع لبعض

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٥٦٩ — ٥٧٠ .

ما جاء فيه : تأمل إذا حضرك شاك من الوجه القبلى أو الوجه البحرى أى من البلاد قاطبة ، مستعدا للمحاكمة . . . . لأجل سماع قضيته فواجبك أن ترى أن كل إجراء لازم لذلك قد اتخذ على حسب القانون وأن يكون كل تصرف يتفق مع العرف الجارى . . . . تأمل ! عند ما يكلف حاكم بسماع قضايا ، عليك أن تجعلها علنية وبذلك تجعل الماء والهواء ينقلان كل ما عساه أن يعمل . تأمل ! فانه بذلك لن يبقى سلوكه خافياً . . . الخ» .

وفى الأوقات التى كانت لا تسير الأمور فى مجراها الطبيعى نجد أنه حتى فى عهد البطالمة كانت العدالة تأخذ طريقها مع كل إنسان كما يدل على ذلك المراسيم التى أصدرها « بطليموس السابع » و « بطليموس سوتر الثانى » كما سنرى بعد . وعلى ذلك فان هذه المخاصمات التى نقرأ عنها فى وثائق السرابيوم لا بد أن ينظر إليها على ضوء الأحوال القياسية لأية بلدة . ويلفت النظر أنه لم يسكن الكهنة والموظفون الذين كانت لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بعبادة الآله « سرابيس » والآلهة والآلهات الآخرين الذين كان لهم مقصورات ومذابح فى داخل حرم السرابيوم وكذلك داخل حرم الأنوبيون والبوباستيون والاسكلبيون وغيرها وحدهم ، بل كان يسكن هناك كثير من رجال الأعمال وغيرهم من الأفراد العاديين . فكان هناك الخباز والحمال والخياطة وبائع البردى والبواب والطبيب الذى يحقن المرضى ورجال طب آخرين ، وبائع الملابس والحلاق وحامل الحقيبة وتاجر الغلال وصانع السجاد والسقاء ، وكل هؤلاء قد جاء ذكرهم فى الوثائق صدفة ، فى حين أنه من المحتمل جداً أن هناك عدداً أكبر من ذلك قد كان موجوداً ولم يأت ذكره

فى البرديات التى وصلت إلينا[١]. ومن الطبيعى أنه كان يوجد بينهم أحياناً خلافات ومتاعب ومشاحات وهذا فى طبع الإنسان منذ أن وجد .

والواقع أن « بطليموس المقدونى » الذى سنتحدث عنه فيما بعد كان مضطراً أن يقول — عند تقديمه طلباً للحصول على وظيفته — للملك : لقد قدمت طلبى لك (أى للملك) بوساطة نافذة المقابلة (يعنى بنافذة المقابلة ، النافذة التى كان يتقبل منها الملك أو نائبه الشكايات) لأن أولئك الذين فى المعبد قوم أشرار ، وقد حاصرونى لأنى إغريقى لدرجة أنى رجمت بالحجارة من النافذة »

هــذا ونصادف نفس « بطليموس المقدونى » سالف الذكر قد ذكر — فى نسخة المسودة الأخرى التى تحوى طلبه — ما يأتى : وعلى ذلك فقد رجمت بالأحجار من النافذة ، وعند ما حضر رئيس الحرس والحاكم العسكرى المسمى « بوزيلو نيوس » فى شهر برموده شكوت إليه عند نافذة المقابلة وقد استحضرهم وعاقبهم[٢] » . وهــذا مثال من بين الأمثلة الأخرى التى تظهر أن الموظفين قد عملوا جهد طاقتهم لإقامة العدالة وحماية الناس . والظاهر أن هذه العدالة كانت دائماً تجرى فى صف الإغريق لا المصريين . هذا ولدينا قصة التوأمين من هذا النــوع وسنتحدث عنها فى حينها .

وعلى أية حال فانه على الرغم من عدم وجود نص شرعى باحضار مسجون أمام قاض أو محكمة والخضوع لحكمه توآً ، فانه كان يوجد قانون

---

(١) W. Otto, Priester und Tempel I, pp. 283 ff.; Papyus London, 1, 44; Papyrus Paris 34, 36, 40 and 60 bis verso; and Wilcken, U.P.Z. nos 12, 91, col. II, 1. 16; 148, 1. 7; 120, 1. II; 148, I. 7; pp. 148; 407 note 16, 420; 423, note 22; 563 ff.; 566 note 20, 636 note 7.

(٢) Papyrus Greek Vatican 2308, recto, II, 7, 15-17, 27-28 (156. B.C.)

عام كان على ما يظهر يطبق ، كما يشاهد فى الشكوى التى قدمت ضد «أموسيس» وصحبه فقد جاء فيها : وعلى ذلك أرجوك أيها الملك بألا تسمح بأن أحاصر دائماً بحقد على يد أولئك القوم الذين ذكروا فيما سبق ، وأسب وأعامل خلافاً لما يقضى به القانون[١] »

وعلى أية حال فان المراسيم التى أصدرها « بطليموس ايرجيتيس الثانى » على الرغم من أنها جاءت فى عهد متأخر من حكم البطالمة عن العهد الذى نتحدث عنه فانها تظهر أنه كانت توجد روح عدالة فى إدارة حكم البلاد . فقد كان على المتهم أن يأخذ ويعطى ما يرضى به على حسب ما جاء فى المراسيم والأنظمة . أى أنه كانت توجد مراسيم وأنظمة تحمى حقوق الإنسان وهذا الموقف — من الوجهة القانونية فيما يخص المواطن — كان منتشراً كذلك فى العهد الفرعونى كما يشاهد ذلك فى أوامر الملك للوزير عند تنصيبه كما ذكرنا من قبل .

هذا ويشاهد أنه حتى فى عهد الفرس الأجانب الذين حكموا مصر كانوا يحترمون القوانين المصرية ، فقد أعطى الملك « دارا » الأمر بجمع القوانين المصرية وتدوينها[٢].

وفضلا عن ذلك فان مجرد حفظ الشكاوى ، واهتمام القوم بتدوينها ، يعتبر برهاناً على أنهم كانوا مؤمنين بأنهم سينالون معاملة طيبة عادلة عن قضاياهم على يد الموظفين الذين كانوا يفصلون فى مظالمهم .

(١) Papyrus Grec Louvre, 2358 = Paris 35ed Presle (163 B.C.) II 32-34 = Wilcken op. cit. No. 6, pp. 129 ff.

(٢) The Codification of the Egyptian Laws by Darius Mizraim I, p. 180.

وفوق كل ذلك فان وجود منظمة «نافذة المقابلة» (الشرفة أو البلكونة) يعد برهاناً على حسن مقاصد الملك ونوابه الذين كانوا يتسلمون المطالب والشكاوى من الأهلين ويفحصونها . ومن ثم يمكن الإنسان أن يميز بين « نافذة المقابلة » وبين مقابلة الملك . وذلك أنه كان فى مقدور كل فرد أن يظهر أمام « نافذة المقابلة » دون الحاجة للقيام بعمل رسميات خاصة ؛ فى حين أنه عند ما كان يريد الفرد أن يمثل أمام الملك فانه كان فى هذه الحالة يحتاج إلى تصريح خاص من بعض الموظفين فى البلاط ليحظى بمثل هذا الشرف العظيم .

وتدل شواهد الأحوال على أن الحياة فى السرابيوم كانت كالحياة فى قرية منظمة ؛ وذلك على الرغم من أن الغرض الأصلى من هذا الحرم المقدس هو أن يكون لعبادة العجل « أبيس » المتوفى الذى كان بعد موته يحنط ثم يحمل فى احتفال رهيب غاية فى الفخامة فى جناز من الطراز الأول إلى السرابيوم الأصلى ليدفن فى مقره تحت الأرض . وبعد ذلك كانت تقام الشعائر الدينية المتبعة ، ثم تقدم الضحايا له فى أيام خاصة من السنة فى المعبد الذى كان مقاماً فوق حجرة الدفن السفلية . وذلك على غرار ما كان يعمل لكل إنسان توفى . ولم تكن هذه الشعائر تعمل للعجل وحده ، بل كانت تعمل كذلك لذريته التى أنجبتها له البقرات فى « منف » الفينة بعد الفينة ، وذلك بعد أن تكون قد ماتت ميتة طبيعية .

وهذا السرابيوم الذى كان حافلا بمظاهر الحياة الزاخرة ويقع بعيداً غربى «منف» فى الصحراء ، هو المكان الذى عثر فيه على الوثائق التى نحن بصددها وغيرها مما سنتحدث عنه . وسنرى أنه من الممكن تحديد المكان الذى وجدت فيه هذه الأوراق .

والآن بعدأن قدمنا هذه المعلومات القيمة عن السرابيوم وهى التى كان لا بد منها لمن أراد أن يعرف شيئاً عن هذا المكان وما جاوره من مبان فى العهود المتأخرة على الأقل ينبغى علينا أن نضع وصفاً وترجمة بقدر المستطاع للوثائق البردية الثلاث التى يرجع عهدها لحكم « بطليموس الخامس » وهى التى نوهنا عنها فى أول هذا الشرح.

وهذه الأوراق تحمل الأرقام التالية فى سجل جمعية « نيويورك » التاريخية ٣٧٣ (أ) و ٣٧٣ (ب) و ٣٨٨ .[١]

هذا وقد كتبت الوثيقتان ٣٧٣ (أ) و ٣٧٣ (ب) على بردية واحدة .

<u>وصف البردية ٣٧٣ (أ) :</u>

لون هذه البردية بنى باهت خفيف .

وارتفاعها الحالى ½١١ بوصة .

وطولها الحالى ٤١ بوصة .

<u>وصف البردية الثانية ٣٧٣ (ب) :</u>

اللون كالسابقة

الارتفاع الحالى ½١١ بوصة .

الطول الحالى ½٤٢ بوصة .

<u>وصف البردية الثالثة ٣٨٨ :</u>

اللون كالسابقة .

الارتفاع الحالى ٩ بوصات .

الطول الحالى ٣١ بوصة .

---

(١) راجع Mizraim, vol. 1. pp. 44-129.

ويجدر بنا قبل أن نضع ترجمة الوثيقة الأولى وما يتبعها من شرح أن نبرز بعض النقاط العامة التى تسهل لنا فهم متون هذه الوثائق الثلاث بصورة عامة

أولا : اتضح من درس هذه الوثائق أنها متعلقة ببعضها بعضاً ، وذلك لأن الفريقين المتعاقدين واحد فى كل هذه الوثائق الثلاث ، وإن كان عنوان الفريق الأول يختلف بعض الشىء فى الورقة الأخيرة رقم ٣٨٨ ، إذا ما قرن بالورقتين ٣٧٣ (أ) و ٣٧٣ (ب) .

ثانياً : لوحظ أن الوثيقتين ٣٧٣ (أ) و ٣٧٣ (ب) مؤرختان بتاريخ واحد ، فى حين أن الوثيقة ٣٨٨ مؤرخة بتاريخ متأخر بنحو عشرين سنة ، وأنها مكتوبة بخط آخر كتبه فرد غير كاتب الوثيقتين ٣٧٣ (أ) و ٣٧٣ (ب) وهذه الحقائق توضح كذلك التغيير القليل الذى نجده فى لقب الفريق الأول .

هذا ولما كان تأريخ الوثيقة ٣٧٣ (أ) والوثيقة ٣٧٣ (ب) واحدا فان قراءة أسماء الكهنة المعاصرين لا بد أن يكون واحداً فى كل منهما . وعلى ذلك فان أحسن فحص لمتن التاريخ هو بقرن ٣٧٣ (أ) و ٣٧٣ (ب) ، فى حين أن أسماء الفريقين والمتعاقدين وألقابهما ، يمكن أن تفحص على أحسن وجه يقرن بعضها ببعض فى كل ثلاثة المخطوطات وبخاصة أنها كتبت بخط يد مختلف فى المخطوط المتأخر رقم ٣٨٨ .

ثالثاً : فى حين نجد أن مادة كل من الوثيقتين ٣٧٣ (أ) و ٣٧٣ (ب) مختلفة تماماً نجد أن المادة فى كل من ٣٧٣ (أ) و ٣٨٨ تكاد تكون واحدة . وعلى ذلك فان هذا يسهل فهم الوثيقة ٣٧٣ (أ) والوثيقة ٣٨٨ ، إذا قرن متناهما الواحد بالآخر ، وبخاصة عند ما نعلم أن المتن الأول منهما أقدم من الآخر بعشرين سنة وكتب كل منهما بخط كاتبين مصريين مختلفين .

ترجمة الوثيقة الأولى ٣٧٣ (١)

التاريخ :

السنة الخامسة الشهر الثانى من فصل الفيضان (شهر بابه) من عهد الفرعون له الحياة والفلاح والصحة « بطليموس الخامس ابيفانس » بن « بطليموس » و « أرسنوى » ، الإلهين الذين يحبان والدهما ، عند ما كان كاهن الجسانتروس (= الإسكندر) والإلهين الذين يوقفان الشر (= بطليموس الأول لاجوس وبرنيكى) والإلهين الأخوين (بطليموس الثانى وأرسنوى) والإلهين المحسنين (بطليموس الثالث ايرجيتيس وبرنيكى) والإلهين اللذين يحبان والدهما (بطليموس الرابع وأرسنوى) « بوزانياس » (Pausanias) بن « ديمتريوس = (Demetrios) ، وعند ما كانت « ساترتاس » ابنة « أنتيأقلس » حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، وعند ما كانت « بيلاتا » إبنة « انتيأقلس » حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : لقد أعلن : كاهن أولاد « أبيس » الذى نال سعادته[1] ، وكاهن المقر الجبلى « لإزيس » الآلهة العظيمة الكائنة فى السرابيوم ، المسمى « تيبس » « زحبس » (Zehebes) بن « بتاو » وأمه هى « عنخت » .

الطرف الثانى : كاهن أولاد « أبيس » الذين نالوا سعادتهم (المسمى) « حور » بن « بتو زير » (وأمه هى) « تا أمون » ؛ ابن أخت امه (= ابن خالته) .

(١) هذا التعبير « نال سعادته » المقصود به كناية عن أنه مات ميتة طبيعية وكانت هذه العجول تعيش مع والدها فى منف وبعد موتها كانت تحضر إلى السرابيوم حيث كانت تدفن هناك .

نص العقد :

إنى بعيد عنك فيما يخص النصف الخاص بك من بيت استراحة « بجم » الكائن بالسرابيوم فى الجانب الشمالى من درومو س « أوزير - أبيس » الإله العظيم ، والنصف الخاص بك فى البيوت والأكواخ ، وأماكن الدفن التى بنيت فيه ، وكذلك النصف الخاص بك من الجهاز المقدس وكؤوس القرابين ، والمعدات الموجودة فيه ، والنصف الخاص بك من بيوت الاستراحة (الدفن) التى حفرت فى الجبل الذى يقع غربها ، وهى التى نضع فيها آباءنا للراحة ،

والنصف الخاص بك من أشهر العبادات من بيت استراحة « بجم » السالف الذكر

والنصف الخاص بك من أشيائها

والنصف الخاص بك من كل شىء ينجم منها

والنصف الخاص بك من كل شىء يتسلم منها

والنصف الخاص بك من كل شىء سيكون من نصيبى باسمها

والنصف الخاص بك من كل شىء أضيف إليها

والنصف الخاص بك من كل شىء يأتى باسمها

والنصف الخاص بك من تلك الأشياء التى ستضاف إليها

والنصف الخاص بك من كل شىء سيعطونه باسمها فى « منف » وفى منطقة السرابيرم وبيت الاستراحة « بجم » المذكور أعلاه .

وهى التى أملك فيها ربعها ، فى حين أن كاهن أولاد « أبيس » المتوفية ،

الذى يسمى « باوت » بن « بارنفى » وأمه هى « نفر - سخم » ، ابن أخت والدك ، يملك ربعها الآخر .

والنصف الخاص بك من أشهر العبادة لبيت استراحة « بجم » السالف الذكر كل سنة

والنصف الخاص بك من مرتباتها وأشيائها .

والنصف الخاص بك من قرباتها من كل شىء ينتج منها

وهى التى أملك فيها ربعها

فى حين أن « باوت » السالف الذكر ابن « بارنبت - حت »

يملك فيها الربع الآخر .

والنصف الخاص بك من قرباتها الخاص ببيت استراحة « بجم » السالف الذكر للحراسات التى تدخل فى السرابيوم سنوياً .

والنصف الخاص بك من قربات الأعياد والمواكب الخاصة ببيت استراحة « بجم »[1] السالف الذكر لمدة ثمانية أيام سنوياً وهى التى تأتى فى (الإثنى شهرا وسدس) العبادة التابعة للأعياد التى ذكرت أعلاه كل سنة .

وقائمتها هى : (شهر) أمشير ٢٩ و ٣٠ .

(شهر) برمودة الأول منه

(شهر) بؤونه الخامس والعشرون والثلاثون منه .

(شهر) أبيب الثانى والعشرون والثالث والعشرون منه .

(شهر) مسرى الثلاثون منه .

---

(١) (بجم) = تمثال الإله والمقصود هو العجل أبيس .

وليالى خمسة أيام العيد ، اليوم الأول منها هو يوم ولادة « أوزير »[1] أى ثمانية أيام كل سنة ثانية .

والنصف الذى يخصك من قربات أشهر العبادة الخاصة ببيت الاستراحة « بجم » السالف الذكر الخاص بأيام العيد الخمسة من اليوم الأول للخامس (أى خمسة أيام كل سنة . والمقصود أن نصف قربات أشهر العبادة لكل خمسة أيام النسىء ينزل عنها أى من أول الشهر لليوم الخامس) وهى التى يخصنى فيها الربع ، فى حين أنه يخص « باوت » السالف الذكر ابن « بارنبت ـ حت » ربعها الآخر

والنصف الخاص بك من أشهر العبادة لبيت استراحة « بجم » السالف الذكر عن كل سنة هو كما يأتى :

(الشهران) « بابه » و « كيهك » .

---

(١) ومعنى الجملة هنا أنه بعد أن عددت «الأيام» فان ليالى خمسة أيام العيد (أى أيام النسىء) وهى التى أولها يوم ولادة أوزير مع دخلها لأجل العبادة والقربات — قد نزل عنها كذلك « زحبس » لإبن عمه « حور » .

وهذه ملحوظة مفيدة وهامة جداً . ونحن نعرف مما ذكره بلوتارخ De Isid et osir., C 112 أن قدماء المصريين فى الأصل كانوا يحسبون مدة السنة ٣٦٠ يوماً . ولم يكن هناك مكان لخمسة أيام النسىء فى هذه السنة التى كانت تتألف من ١٢ شهراً كل منها ٣٠ يوماً . ولم يضرب المصريون أبداً صفحاً فى الواقع عن هذا الأصل إلا فى أساطيرهم حيث اعتبروا أن خمسة أيام النسىء هذه لا بد أن تخلق ، وأنه فى كل يوم منها كان قد ولد واحد آخر من خمسة الآلهة وهى «أوزير» ، و«حور» و«ست» و« أزيس » و « نفتيس » (راجع Brugsch Thesauros p. 48 . ومن أجل ذلك نجد فى العقود دائماً أن السنة تسمى $12\frac{1}{4}$ شهراً . وآخر السنة كان فعلا هو الثلاثين من شهر مسرى (Ibid. P. 478) فى حين أن بداية السنة كان أول شهر توت. وخمسة أيام النسىء قد أضيفت للسنة (راجع Herod. II, 4 Strabo., 17, 816; Diod. I, 50. بعد اليوم الأخير من شهر مسرى وهو يوم ليلة ولادة (عيد) ، قربات فى ليلة الولادة أمام الإله «وننفر» (= «أوزير») وفى ليلة ٣٠ مسرى كان يحتفل بعيد الإضاءة .

و « أمشير » و « برمودة » .

و « بوونه » و « مسرى » .

أي ستة أشهر كل سنة .

وملكك النصف من كل شيء (ذكر) أعلاه على حسب ما دون أعلاه . وليس لى أى حق فى العالم عليك (باسمها) من اليوم فصاعداً .

وأن الذى سيأتى إليك بسببها باسمى ، فانى سأجعله يتخلى عنك قهراً وفى الحال .

وملكك ما يعمل فيها ، من حيث العبادات والتطهيرات والعقاقير والإنارات والبخور والأثمان .

ومصاريف التوتية اللازمة للكحل لبيت استراحة « بجم » السالف الذكر من اليوم فصاعداً .

وإنى خلفلك[1] فيما يخص التنازلين اللذين حررتهما فى السنة الخامسة شهر بابه فى عهد الملك العائش أبدياً وحقوقهما وذلك مقابل إعلان (نداء) المرأة « تاوى » ابنة « بسنبمو » وأمها هى « أوباسترتايس » للوثيقتين المذكورتين .

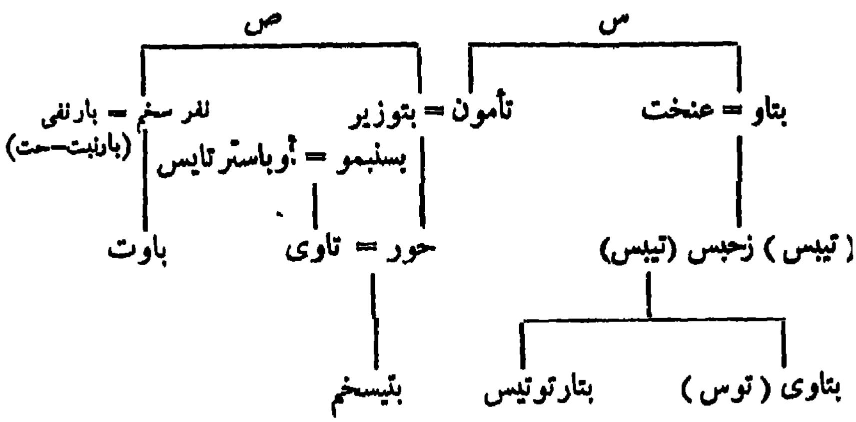
وأنك خلفى فيما يخص وثيقة التنازل (نقل الملكية) التى حررتها لك فى السنة الخامسة شهر بابه من عهد الملك العائش أبدياً وكذلك حقوقها (أى الوثيقة) وإنى سأفعل لك على حسب كل كلمة قيلت أعلاه .

كتبها « حونفر » بن « حبر تاييس » .

---

(١) أى لى الحق فى العمل ضدك على أساس الوثيقتين اللتين حررتهما لى أى اللتين كتبتهما فى صالحى وأعطيتهما إياى .

ولما كان من الضرورى فهم الوثيقة السابقة (٣٧٣ (أ)) فلا بد من عرض قائمة سلسلة نسب لكل الأسرة بقدر ما عرف من أعضائها .



والواقع أنه عند ما نفحص سلسلة النسب هذه نفهم فى الحال الموقف فنجد أن الطرف الأول والطرف الثانى فى وثيقتنا وهما « تيبس » و « حور » ابنا خالة أى هما ابنا الأختين « عنخت » و « تأمون » على التوالى . وكان «حور» يملك نصف الملكية ، و « تيبس » يملك فقط الربع . والربع الآخر يملكه « باوت » . و « باوت » هذا هو كذلك ابن عم « حور » على أية حال من سلسلة نسب أخرى ، أى أن والد « حور » المسمى « بتوزير » وأم « باوت » المسماة « نفرسخم » كانا أخوين .

على أن « حور » كان يملك النصف فى حين أن ابنى عمه الشقيقين كانا يملكان الربع ويمكن أن يكون ذلك قد حدث لأسباب مختلفة . وأحد هذه الأسباب يمكن أن يكون أن « حور » أو أحد والديه كان قد تسلم نصيب أخاه الأكبر والذى كان غالباً ضعفى نصيب الآخرين . والظاهر أن هذه لم تكن الحالة هنا بسبب أن أحد الربعين على ما يظهر قد أتى من أسرة أخرى .

وعلى أية حال فانه عند فحص شجرة النسب التي وضعناها هنا أمكن أن نلحظ أن « حور » (الذى كان يملك نصف الملكية) كان من جهة ابن المرأة « تأمون » أخت أم « تيبس » الذى كان يملك فقط ربع نفس هذه الملكية — وكان من جهة أخرى ابن « بتوزير » الذى كانت أخته أم « باوت » هو الذى كان كذلك يملك فقط ربع نفس الملكية . وبعبارة أخرى يظهر أنه كان فى الأصل أربعة أرباع كان ملاكها هم « عنخت » وأختها « تأمون » من جهة و « بتوزير » وأخته «نفرسخم» من جهة أخرى . وإذا كان الوضع هو بهذه الصورة فانه يمكننا القول على ما يظن أن كلا من والديهما كان يملك على التوالى نصف هـــذه الملكية . وقد أشير إلى والديهما فى سلسلة النسب بحرفى ص و س . (وسنرى فيما بعد أن اسم الزوج س = « حور » ويمكن أن نسميه فيما بعد « حور الأكبر » لنميزه من « حور » الذى فى وثيقتنا وهو الفريق الثانى فى الوثيقة ٣٧٣ (أ)) .

ونعلم أن أولاد الأبوين س والأبوين ص وهما « تأمون » و « بتوزير » على التوالى قد تزاوجا وورثا على ذلك ربعى الملكية ، فى حين أن الطفل الآخر ابن س عنخت وابن ص واسمه «نفرسخم» كانا الوارثين للربعين الباقيين .

على أن كون الوالدين س والوالدين ص كان يملك كل منهما النصف من نفس هذه الملكية قد يكون جاء من باب الصدفة كما يحدث أحياناً فى الحياة . وعلى أية حال فانه من الجائز جداً — إن لم يكن محتملا — أن أحدا من الزوجين س وآخر من الزوجين ص كانا أخاً وأختاً قد أتيا من والدين يمكن أن نسميهم جميعاً هـ . وهذان الزوجان هـ كانا يملكان الملكية بصفة عامة . وقد تزوج طفلاهما من فردين آخرين خارج الأسرة . وقد ورث كل منهما نصف كل

الملكية فكان نصف نصيب الأسرة س والنصف الآخر نصيب الأسرة ص . وعلى ذلك فان أطفال الزوجين س والزوجين ص كانوا أولاد عم مباشرين، والظاهر أن كل أسرة قد أنجبت طفلين ورث كل منهم حق الربع .

ولما كانت العادة المتبعة فى مصر القديمة كما كانت الحال فى كثير من الحكومات الإقطاعية ، أن تجتهد الأسرة فى أن تحافظ على الملكية معاً فان الوالدين س قد زوجا ابنتهما « تأمون » لابن عمها « بتوزير » وهو ابن الوالدين ص وعلى ذلك فان نصف هذه الملكية على الأقل يبقى سوياً لأن ابنهما « حور » كان يملك النصف .

ومن الجائز أنه كان هناك حل آخر ، والتفسير السابق يظهر أنه حسابى كثيراً . ولكن عند ما نذكر ما جاء فى فقرتين ، أولاهما فى الوثيقة ٣٧٣ (أ) السطر الثالث والثانية فى الوثيقة ٣٨٨ السطر الرابع وهو أن أحد الفريقين المتعاقدين وهو « تيبيس » يقول لابن عمه الشقيق « حور » أنه فى بيوت الاستراحة دفن أباؤنا (وهذا التعبير بالمصرى يعنى كذلك الأجداد) ، فان ذلك على ما يظهر يشير إلى التفسير الذى سبق ذكره . وعلى أية حال فان ما ذكرناه لا يخرج عن مجرد تفسير محتمل .

والمسألة الأخرى فى هذا المتن كانت المرأة « تاوى » . فقد كان لها « حق » ، وكان فى مقدورها أن تدعيه فى هذه الملكية . وعند ما نفحص سلسلة النسب يمكن أن نتحقق فى الحال ما هو هذا الحق الذى تدعيه . فهى زوج الطرف الثانى فى الوثيقة وهو « حور » وبهذا الوصف كانت فى يدها وثيقة زواج من زوجها وعدها فيها كما هى العادة أن : ابنك الأكبر وهو ابنى الأكبر من بين أولادنا الذين ستضعينهم لى هو المالك لجميع وكل شىء أملكه

وما سأملكه » وعلى ذلك فان زوجها « حور » لا يمكنه أن يتصرف وحده فى ملكيته إلا برضائها .

هذا ونعلم كذلك من الجملة الطويلة التى جاءت فى وثيقتنا وهى التى تبتدىء « إنى خلفك . . . الخ » : إن « حور » قد أعطى « تيبس » كذلك وثيقتين بتنازل فيما يخص الربع الذى يملكه من نفس الملكية . وهذان التنازلان من جانب « حور » فقدا أو بعبارة أخرى أصبحا لا يعرفان للعلم ، وغير أنه من الجائز أن يكونا موجودين فى بعض مجموعات خاصة كما أنه من الجائز أيضا العثور عليهما فى المستقبل عند ما تستأنف الحفائر فى السرابيوم من جديد .

وعلى ذلك فان الجملة الطويلة اصبحت الآن ظاهرة ، وذلك أن « تيبس » يقول للطرف الثانى : لى حق العمل ضدك (حور) على أساس التنازلين اللذين حررتهما لى فيما يخص أى ادعاء يمكن لزوجك « تاوى » أن تدعيه على ،أى إذا وضعت « تاوى » عقبات قانونية ، فان « تيبس » يدين نفسه بالعمل ضد « حور » زوجها ، وذلك على أساس التنازلين اللذين حررهما له « حور » .

الوثيقة ٢٧٣ (ب) . عقد تنازل

التاريخ : السنة الخامسة الشهر الثانى (من فصل) الفيضان (بابه) من عهد الفرعون له الحياة والسعادة والصحة « بطليموس » بن « بطليموس » و « أرسنوى » الإلهين اللذين يحبان والدهما — وذلك عند ما كان كاهن الإسكندر ، والإلهين اللذين يوقفان الشر ، والإلهين الأخوين والإلهين

المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما ، (وهو) « باوزانياس » (Pausanias) بن « ديمتريوس » (Demetrios) ؛ وعند ما كانت « ساترتاس » Satrtas ابنة « أنتيأقلس » حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، وعند ما كانت « بيلتاتا » إبنة « انتيأقلس » حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » التى تحب أخاها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : لقد أعلن كاهن أولاد « أبيس » الذى حدثت سعادته (كناية عن الوفاة) وهو كاهن تل (المقر) « لأزيس » الآلهة العظيمة التى فى السرابيوم واسمه « زحبيس » (تيبس) بن « بتاوى » وأمه هى «عنخت »

الطرف الثانى : كاهن أولاد « إبيس » الذى حدثت سعادته (مات) واسمه « حور » بن « بتوزير » وأمه هى « تا أمون » ابن أخت أمه (خالته) .

نص العقد :

إنى بعيد عنك فيما يخص الربع نصيبك فى البيت المبنى والمسقوف والمجهز تماماً بباب ونافذة والذى طوله ١٩ ذراعاً مقدساً من الجنوب إلى الشمال و ١٨ ذراعاً مقدساً[١] من الغرب إلى الشرق ، وكذلك الربع نصيبك فى الفناء الذى يقع عند المدخل الذى يحده غرباً .

ونصيبك فى ربع الأراضى البور التى فى الغرب .

ونصيبك فى ربع الحجرات المبنية داخله .

ونصيبك فى ربع المأوى الذى يقع فى الجنوب وهو الذى فى السرابيوم على الجانب الجنوبى لدروموس « أوزير - أبيس » الآله العظيم .

---

(١) يقصد ذراع الإله « تحوت » إله المقاييس والعلم . . الخ .

وهى التى أملك فيها الربع ، فى حين أن كاهن « تل المقر » للالهة « سخمت » التى فى السرابيوم واسمه « باحى » (Pahi) بن « اريان » (Arian) وأمه هى (. . . سخم) نصفها الآخر والمساحات المجاورة لها (أى حدودها) هى :

فى الجنوب : بيت « حورندوتف » بن « بتيحارورتيو» (Peteharuertiu) وهو الذى تملكه المرأة « تاأمى » (Taami) ابنة « امحوتب » .

فى الشمال : البيوت والأراضى البور الخاصة بالكاتب المقدس « اسحارسمتو » (Esharsemtou) بن « أبا » وهى التى يملكها الكاهن والد الآله « امحوتب » بن الكاهن خادم الآله « زحو » (Zeho) .

فى الغرب : الشارع الكبير ؟

فى الشرق : الأراضى البور ملك الكاهن والد الآله السابق الذكر « امحوتب » بن الكاهن خادم الآله « زحو » .

وربع البيت هو ملكك .

وربع الفناء ملكك .

وربع الأرض البور التى تؤلف حدها الغربى .

وربع الحجرات المبنية فيه .

والربع ؟ نصيبك فى الحظيرة التى هى حده الجنوبى .

والمساحات المجاورة (أى الحدود) هى التى ذكرت أعلاه .

وليس لى أى حق على الأرض عليك باسمها من اليوم فصاعداً .

وأن الذى سيأتى إليك فيما يتعلق بها باسمى .

فانى سأجعله يقصى عنك قهراً وفى الحال .

وإنى وراءك بالتنازلين (نقل الملكية) اللذين حررتهما لى فى السنة الخامسة شهر « بابه » من عهد الملك العائش أبدياً .

وكذلك حقوقها .

وإنى خلف المرأة «تاوى» ابنة « بسنبمى » (Psenpme) بسبب تولى الملكية (الحق) الذى حررته بالتنازلين المذكورين (نقل الملكية) وحقوقهما

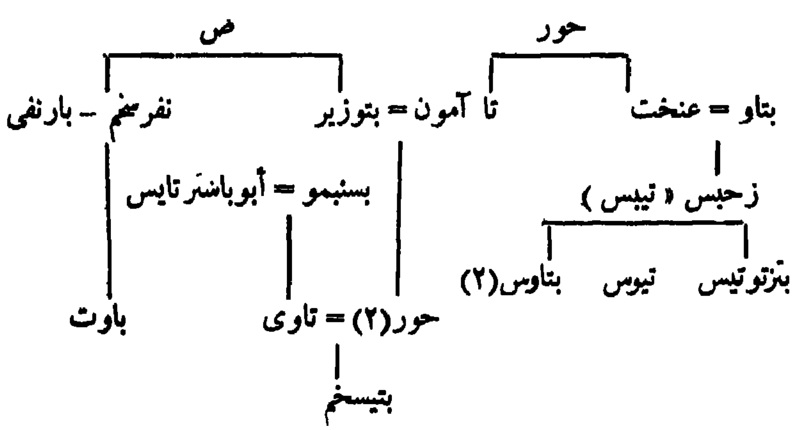
وإنى وراءك بالوثيقتين (أى لى حق العمل ضـــدك بمقتضى الوثيقتين) اللتين حررتهما للمرأة « عنخت » إبنة « حور » أمى وأخت أمك وحقوقهما . وأنك ورائى بوثيقة التنازل (نقل الملكية) وهى التى حررتها لك فى السنة الخامسة شهر بابه من عهد الملك العائش أبدياً وحقوقها .

وإنى سأفعل ذلك على حسب كل كلمة (قيلت) أعلاه .

المسجل :

كتبه « حنفر » بن « حبر تايس » .

شجرة النسب للأفراد الذين جاءوا فى هذه الوثيقة



الورقة رقم ٣٨٨ عقد تنازل

التاريخ : السنة الخامسة والعشرون من فصل الفيضان (بابه) اليوم الثانى عشر من عهد الفرعون « بطليموس » بن « بطليموس » و « أرسنوى » الإلهين اللذين يحبان والدهما ، وذلك عند ما كان كاهن الإسكندر ، والإلهين الأخوين ، والآلهين المحسنين والآلهين اللذين يحبان والدهما والآلهين الظاهرين ، « جمنا » (Gmna) بن « سنوتريس » = (Zenodoros) وعند ما كانت « سوسترات » (Sostrate) إبنة « جاسون » (Jason) حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، وعند ما كانت (أس . .) ابنة « ساتن » (Sotion) (= سوتيون) حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها ؛ وعند ما كانت هيرينى (= إرينى) إبنة « بطليموس » كاهنة « أرسنوى » محبة أخيها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : لقد أعلن كاهن أولاد « أبيس » الذى حدثت سعادته (توفى) وهو كاهن تل (مقر) « ازيس » الآلهة العظيمة ، الذى فى السرابيوم فى الجانب الشمالى لدروموس « أوزير - أبيس » الإله العظيم(المسمى) « زحبيس » (Zehebes) بن « بتاو » وأمه هى « عنخت » .

الطرف الثانى : كاهن أولاد « أبيس » الذى حدثت سعادته (توفى) (المسمى) « حور » بن « بتوزير » وأمه (هى) « تاأمون » .

نص العقد :

إنى بعيد عنك فيما يخص النصف الذى يخصك فى بيت استراحة « بجم » (صورة الكا للعجل أبيس) الذى فى السرابيوم الواقع فى الجانب الشمالى للدروموس « أوزير - أبيس » الآله العظيم .

والنصف نصيبك من البيوت والأكواخ والمدافن التى بنيت فيه .

والنصف نصيبك من المعدات المقدسة وكؤوس القربات والجهازات التى فيه

والنصف نصيبك من بيوت الاستراحة (المقابر) التى تقع فى غربه ، وهى التى يأوى فيها أباؤنا (= دفنوا هناك) .

والنصف نصيبك من أشهر العبادة الخاصة ببيت استراحة « بجم » السالف الذكر سنوياً .

والنصف نصيبك من مرتبها وأشيائها .
والنصف نصيبك من كل شىء ينتج منها .
والنصف نصيبك من كل شىء يتسلم منها .
والنصف نصيبك من كل شىء يضاف إليها .
والنصف نصيبك من كل شىء يأتى باسمها .

والنصف نصيبك من كل شىء سيعطونه باسمها فى منطقة السرابيوم وبيت الاستراحة « بجم » السابق الذكر فى كل مكان يخصنى فيه (نصفها الآخر) .

والنصف نصيبك من أشهر العبادة الخاصة ببيت استراحة « بجم » السالف الذكر فى كل مكان يخصنى فيه النصف الثانى من بيت استراحة « بجم » سنوياً .

والنصف نصيبك من مرتبها وأشيائها (و) قرباتها التى ينتج منها .
وكل شىء يضاف إليها وهى التى يخصنى منها نصفها الآخر من قربات

بيت استراحة « بجم » كما هو مدون أعلاه من الحراسات التى فى السرابيوم ، كل عام .

والنصف نصيبك من قربان الأعياد ومواكب بيت استراحة « بجم » السالف الذكر وهو الذى يخصنى فيه (نصفها الآخر) .

ونصف بيت استراحة « بجم » السالف الذكر ملكك .

ونصف البيوت وأماكن الدفن التى بنيت فيه .

ونصف (بيوت) الاستراحة التى تعتبر حدها الغربى .

ونصف كل شىء ذكر أعلاه على حسب ما دون أعلاه .

فليس لى أى حق فى العالم عليك باسمها من اليوم فصاعداً .

وأن الذى سيأتى إليك بخصوصها باسمى .

فانى سأجعله يتنحى عنك فى يوم من مدة خمسة أيام من الشهر المذكور .

وإذا لم أنحه عنك

فانى سأنحه عنك فى يوم خلال خمسة الأيام السالفة الذكر .

وسأعطيك ٢٠٠ قطعة من الفضة أى ألف ستاتر أى ٢٠٠ قطعة من الفضة ثانية فى ظرف يومين بعد خمسة الأيام (السالفة الذكر) .

وفضلا عن ذلك سأنحيه عنك فيما يخصها .

وإنك خلفى فيما يخص تنحيه عنك فيما يتعلق بها باسمى ثانية قهرا وفى الحال

والرجل منا نحن الأثنان الذى سيوكل إليه أمر عبادة بيت استراحة « بجم » السالف الذكر أو زميله الذى يكل .

(. . . . .)[1]

بقية الأشهر التى تأتى بعد شهر توت . . . . .

يقولها سنويا (. . . . . فى . . . . قوة فى توت)

قهراً وفى الحال .

وإنى خلفك بالتنازلين (نقل الملكية)

---

(١) نجد هنا أن كثيراً من المتن قد ضاع ولكن بقدر ما يمكن تصحيحه من متون أخرى مماثلة (راجع Sethe Burgschafsurkunden PP. 81) يكون المعنى هو : اضطر «تيبس» أن يحفظ ملكية « حور » من أى شخص يريد أن يتعدى على حقوقه «فى يوم من خمسة أيام من الشهر المسمى » . وهذا يعتبر هنا تعبيراً أكثر اختصارا «الشهر المذكور» الذى ينبغى على «حور» أن يشكو فيه إلى «تيبس» من تعدى شخص عليه . والتعبير « يوم واحد فى ظرف خمسة أيام » هو التعبير العادى عند المصريين الذى يقابل عندنا « فى ظرف خمسة أيام » . وفى حالة عدم القيام بذلك كما يجب فان عليه أن يقوم بتقديم شكوى جديدة من « حور » ، وذلك ثانية فى ظرف خمسة أيام من الشكوى الأولى ، ولكن على « تيبس » فى هذه المرة كذلك أن يدفع لحور غرامة قدرها ٢٠٠ قطعة من الفضة وذلك لأنه لم يقم بأمر تنحى المغتصب بصفة جدية فى المرة الأولى . وهذه الغرامة التى تبلغ ٢٠٠ قطعة من الفضة كان على «تيبس» أن يدفعها «لحور» فى ظرف يومين بعد مضى خمسة الأيام المخصصة لتنحى المغتصب . وعلى أية حال فان دفع هذه الغرامة لم تعفه من استمراره من تأدية واجبه فى منع كل مغتصب لحقوق « حور » وهذا هو معنى الجملة التى تأتى بعد هذه الغرامة وهى : وانى سأنحيه عنك فيما يخصها» . وعلى أية حال فان ذلك لم يكن كافياً على حسب العقل القانونى عند المصرى القديم . وعلى ذلك يؤكد « تيبس » خلافاً لذلك بقوله : « وأنك خلفى فيما يخص تنحيه عنك فيما يتعلق بها باسمى ثانية قهراً وفى الحال » . والتعبير «يكون خلف أى إنسان» هو التعبير القانونى عند المصرى = يكون له حق شرعى على شخص ما ليؤدى بعض شىء ، وبتطبيقه هنا يعنى : لك الحق القانونى على لتجبرنى على تنحية المغتصب قهراً وفى الحال . ومعنى فى « الحال » هنا تعنى كما يظهر أن « تيبس » يجب عليه ألا ينتظر شكوى « حور » لينحى المغتصب ، ولكن عليه بمجرد أن يعلم بتعدى أى فرد أن يأخذ الخطوات اللازمة لتنحيته فى الحال .

وتدل شواهد الأحوال على أنه ليس هناك أية عبارة مكررة مما ذكر أعلاه كما يخيل للقارىء العادى بل أن كل جملة لها معناها وأهميتها الخاصة بها والغرض الذى ترمى إليه .

اللذين حررتهما لى فى السنة الخامسة والعشرين فى اليوم ١٢ من شهر بابه من عهد الملك العائش أبدياً وكذلك حقوقها .

وإنى خلف « بتيسخم » Petesekhem بن « حور » وأمه هى « تاوى » ، الابن الأكبر .

بسبب إعلان تولى (الملكية) التى يعملها للوثيقة المذكورة وحقوقها .

وإنى سأفعل لك على حسب كل كلمة قيلت أعلاه .

المسجل . . . . .

بعض العقود التى حررت فى عهد حرمخيس وعنخمخيس

(١) من عهد الملك « عنخمخيس »

عقد بيع[1] أرض.

التاريخ : السنة السابعة شهر توت من عهد الملك « عنخمخيس » العائش أبدياً المحبوب من « ازيس » والمحبوب من « آمون رع » ملك الآلهة الآله العظيم

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : المرأة « تسمين » ابنة « بختوميس » وأمها هى تا . . . تقول

الطرف الثانى : الكاهن « آمون أبت » القاطن غربى « طيبة » « بسخنس » ابن « أمنحوتب » وأمه هى « تانفر » .

نص العقد : لقد أعطيتنى وقلبى راض النقود التى هى ثمن ٢/٣ من ثلاثة الحقول التى فى أوقاف « آمون » فى الأماكن الغربية من طيبة . وهاك الوصف : حقلان متلاصقان مساحتهما أحد عشر أرورا ومحصولها . وهذه الحقول حدودها هى :

فى الجنوب : حقل « بامنت » بن « باخنوميس » .

فى الشمال وفى الغرب : حقل « تاور » ابنة « تيمولاوس » (Timolaos)

وفى الشرق : قناة « بمور ليبوس » .

---

(١) راجع Revue Egyptolique, IIe année nos. II, p. 146 note 1.

الحقل الآخر مساحته خمسة أرورات ومحاصيلها . وحدودها هي :

في الجنوب : حقل هيريوس(Hefeius) بن باهتار (Pahetar)

وفي الشمال : حقل « بسخونس » بن « باخنوميس » (Pachnumis)

وفي الشرق : قناة « بمور ليبوس » (Pmoulibos)

وفي الغرب : حقل « باخنوميس » بن « باسّي » ورفاقه .

تلك هي حدود الحقول المذكورة أعلاه التي بعتك ٢٣ الذي يخصني

ولقد أعطيتك ذلك . وال ٢٣ وهو نصيبك من الحقول المذكورة أعلاه . وقد تسلمت ثمنها من يدك وهو كامل غير منقوص وقلبي راض (إلى آخر الصيغة التي نجدها كثيراً في عقود البيع) .

وعلى نفس الورقة نجد كما هو المعتاد عقد النزول الذي كان قد كتب مع عقد البيع ، ولكن بخط كاتب آخر ؛ غير أنه كتب بطريقة يمكن فصله عن سابقه عند الحاجة،وذلك لأن كل عقد منهما كان له شهوده على ظهر البردية . وذلك على الرغم من أنهما كتبا باسم شخص واحد . وليس هناك في عقد النزول ما يلفت النظر اللهم إلا ما أتى بعد الصيغة القانونية : هذه هي حدود الحقول المذكورة أعلاه،وبعد ذلك يضيف المتن : التي مساحتها ستة عشر أرورا . وهذه في الحقيقة هي مجموع الأحد عشر أرورا التي يحتويها الحقلان الأولان مضافاً إليها خمسة الأرورات التي يحتويها الحقل الثالث . وهذان العقدان كان قد حررهما كذلك المحاسب « بتيسى» بن « باهتار » الذي كان يعمل المحاسبة في « جمي » منذ السنة الثانية والعشرين من عهد الملك « إيرجيتيس الأول » .

هذا ويقول « ريفييو» في تعليقه أنه لدينا عقود عدة محفوظة في متحفي

« لندن » و « برلين » مؤرخة بالسنة الرابعة من عهد الملك « حرمخيس » قد كتبها نفس الكاتب .

(٢) عقد زواج من عهد الملك عنخمخيس(١)

التاريخ : السنة الرابعة عشرة شهر أبيب من عهد الملك « عنخمخيس » العائش أبدياً محبوب « أزيس » ومحبوب « آمون رع » ملك الآلهة والآله العظيم

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول كاهن « آمون ابت » فى غربى طيبة (المسمى) « بخيتيس » (Pechytes) بن « بخلخنس » وأمه هى « تامين » .

الطرف الثانى : إلى المرأة « تست - امن » ابنة « حورسئيسى » وأمها هى « تاشبنى » : لقد اتخذتك زوجة وأمهرتك خمسة شكل من الفضة وعلى أن أعطيك $\frac{٢}{٣}$ من الأردب يومياً وهناً من الزيت كل شهر و$\frac{١}{٣}$ من الدبن سنوياً لمسكنك . . . ما أعطيه إياك كل شهر وكل سنة . ولك السلطة فى أن تلزمينى بدفع معاشك الذى سيكون فى ذمتى كل سنة وإنى قد اتخذتك زوجاً لى . وإذا بحثت عن زوجة أخرى غيرك فانى أدفع لك خمسة دبنات أى ٢٥ ستاتر أى ٥ دبنات ثانية وخلافاً للنقود المذكورة أعلاه التى أعطيتك إياها مهراً وهو ما يكمل ستة دبنات أى ثلاثين ستاتر أى ستة دبنات ثانية . وابنك الأكبر هو إبنى الأكبر ، وسيكون سيداً مالكاً لكل الأملاك التى أملكها والتى سأملكها فى المستقبل دون معارضة لأى عقد أو أى كلام فى العالم معك .

---

(١) راجع Revue Egypt. IIe année, nos. II, p. 148 note 7.

كتبه « بسخنس » بن « أمنحوتب » الذى يكتب باسم الطائفة الخاصة للإله « رع » ملك الآلهة .

وهذا العقد لا يتحدث عن الاثنى عشر هناً من الزيت الطيب كما أغفل الاثنى عشر هناً من زيت « تكم » التى ذكرت كذلك فى العقود الأخرى .

لوحات العجل أبيس التى من عهد الملك بطليموس الخامس بالديموطيقية

تحدثنا فيما سبق عن بعض الوثائق التى عثر عليها فى معبد السرابيوم أى معبد العجل « أبيس » ، وتحدثنا كذلك بعض الشىء عن الحياة فى هذه البقعة التى كان يعبد فيها هذا العجل .

والواقع أن عبادة العجول أو بعبارة أعم عبادة الحيوانات كانت شائعة فى العهد المتأخر من تاريخ أرض الكنانة . وكان لكل حيوان بيئة خاصة يعبد فيها على حسب منزلة الحيوان الذى كان يفرض تقديسه على المنطقة التى يظهر فيها بمظهر القوة أو الكثرة .

وقد عثر للعجل « أبيس » على عدة لوحات من عهد الملك « بطليموس الخامس » مكتوبة بالخط الديموطيقى وقد أرخت كل منها بسنى حياة « أبيس » وبالسنة التى تقابلها من سنى حكم الملك « بطليموس ابيفانس » ؛ وهذه اللوحات منقوشة على جدران السربيوم نفسه وبعضها منقوش على لوحات خاصة(١)

١ — اللوحة الأولى : مؤرخة بالسنة الرابعة عشرة من عهد الملك « بطليموس بن بطليموس » الذى يقول أنه أقامها فى السنة التاسعة عشرة من

(١) راجع A.Z. XXII, p. 127 ff.

حياة « أبيس » العائش الذى وضعته البقرة « تا أمن » وقد أقامها فى ضريحه . وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف « اللوفر » .

٢ — وفى اللوحة الثانية من نفس عهد هذا الملك جاء ما يأتى :

فى السنة الخامسة عشرة من عهد الملك « بطليموس بن بطليموس » العائش أبدياً محبوب « بتاح » وهى التى تقابل السنة العشرين من حياة « أبيس » العائش ، الذى وضعته البقرة « تا أمن » أى التى كانت تعيش فى الأبيون (مقر أبيس) . وقد أقيمت هذه اللوحة فى ضريح « أبيس » الذى وضعته البقرة « تا أمن » .

وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر أيضاً .

٣ — وعلى لوحة أخرى نقش النص التالى :

فى السنة السادسة عشرة من عهد الملك « بطليموس » وهى التى تقابل السنة العشرين من حياة « أبيس » الذى وضعته البقرة « تا أمن » .

٤ — وجاء فى متن نقش على باب السرابيوم المتن التالى :

السنة السادسة عشرة اليوم التاسع من أمشير من عهد الملك « بطليموس » وهى التى تقابل السنة العشرين من حياة « أبيس » العائش الذى وضعته البقرة « تا ـ أمن » التى ظهرت فى مدينة باخا « طيبة »؟ لأجل « أبيس » العائش الذى وضعته فى بيت « أبيس » .

٥ — وفى متن آخر نقرأ :

السنة الرابعة عشرة من عمر « أبيس » الذى وضعته البقرة « تا ـ أمن » . وقد نصب هذه اللوحة « بت حبس » بن .... وقد أقيمت فى مقبرة

« أبيس » الذى وضعته البقرة « تا ـ أمن » التى ظهرت فى مدينة « باخا » فى فى مقاطعة « طيبة » ؟ وقد حدثت إقامتها فى ٣٠ بابه .

وقد جاء على نفس اللوحة فى ختامها توقيع معه التاريخ التالى :

السنة التاسعة عشرة الرابع عشر من شهر طوبه .

٦ — هذا وجاء على لوحة نقلها « مريت »[١] المتن التالى :

السنة التاسعة عشرة من عهد « بطليموس بن بطليموس » نصبت هذه اللوحة فى مقبرة « أبيس » الذى وضعته البقرة « تا ـ أمن » التى ظهرت فى مدينة باخا من مقاطعة « طيبة » ؟ وقد حدثت (إقامة اللوحة) فى السنة التاسعة عشرة اليوم الثلاثين من شهر بابه من عهد الملك العائش أبدياً وهى السنة التى تقابل السنة الرابعة والعشرين من حياة « أبيس » .

٧ — وعلى لوحة محفوظة كذلك بمتحف اللوفر جاء المتن التالى :

السنة التاسعة عشرة من عهد « بطليموس بن بطليموس » وهى التى تقابل السنة الرابعة والعشرين من حياة « أبيس » الذى وضعته البقرة « تا ـ أمن » وفى اليوم الثلاثين من شهر بابه حدث دفن العجل « أبيس » الذى وضعته البقرة « تا ـ أمن » وهى التى ظهرت فى بلدة « باخا » من مقاطعة طيبة ؟

تعليق

على حسب المتون (١) و (٢) و (٤) كان قد أقيم ضريح العجل « أبيس » فى السنة الرابعة عشرة من عهد « بطليموس الخامس ابيفانس » أى فى السنة الثامنة عشرة بعد ولادة « أبيس » هذا، وإذا أخذنا فى الاعتبار طول المدة التى أقام فيها « بطليموس الخامس » مقبرة هذا العجل

---

(١) راجع Mariette Catalogue Stele no. 3354.

وقرناها بالمدة التى أقيمت فيها مقبرة العجل الذى سبقه فانا نجد التفسير الطبيعى لطول هذه المدة وهو أن هذا الملك قد تولى مقاليد الحكم وهو صغير السن وفى زمن قيام الثورات فى البلاد ، هذا بالإضافة إلى أنه كان يقوم عليه أوصياء كما شرحنا ذلك من قبل .

لوحة للعجل «بوخيس» من عهد الملك «بطليموس الخامس إيبفانس»(١)

عثر على لوحة للعجل « بوخيس » فى جبانة « أرمنت » التى أقيمت هناك لدفن العجل « بوخيس » . واللوحة أعلاها مستدير ، وقد مثل عليها قرص الشمس المجنح ونقش على هذا الجزء العلوى المتن التالى : «بحدتى» الإله العظيم ، رب السماء صاحب الريش المبرقش ، والذى يخرج من الأفق أبدياً « أنوبيس » بن « أوزير »

كلام ينطق به « أوزير » ، الروح المحسنة والروح الحية ومظهر روح أب الآباء وأم الأمهات الذى برأ التاسوع والذى يجدد حياة الآلهة .

وفى الجزء الأسفل من اللوحة يشاهد الملك « بطليموس الخامس » واقفاً أمام العجل « بوخيس » مقدماً له رمز الحقل . وجاء معه المتن التالى : « خذ لك الحقل اليانع ذا المادة الخضراء والمرعى الجميلة بمحاصيلها الطيبة » .

ويأتى بعد ذلك فى أسفل ، المتن الرئيسى للوحة ويتألف من خمسة أسطر جاء فيها :

« السنة الخامسة والعشرون الحادى عشر من طوبه فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين المحبين لوالدهما المختار من « بتاح »

---

(١) راجع The Bucheum vol. II. p. 4 pl. XL.

وروح « رع » القوية وصوره « آمون » الحية) » ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») الإلهين الظاهرين « إيبفانيس » . و « كليوباترا » محبوبة « أوزير » الروح المحسنة .

فى هذا اليوم ذهب جلالة هذا الإله إلى السماء وهو « بوخيس » روح « رع » الحية ومظهر « رع » ، وهو الذى وضعته البقرة[1] العظيمة . وطول حياته كان أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً . وكان قد ولد فى السنة الحادية عشرة فى ١٣ أمشير فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين المحبين لوالدهما والمختار من « بتاح » ، وروح « رع » القوية وصورة « آمون » الحية) ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») الإلهين الظاهرين ، فى مدينة « تا ـ ارك » فى بيت « سس » (يحتمل أن المقصود هنا خمنو = الأشمونين) حورى ؟ . . . . ابن « باوشر » فى شمالى « أرمنت » فى السنة الرابعة والعشرين ٧ بابه (ليته يبقى) على عرشه أبد الآبدين .

---

(١) البقرة العظيمة = الاسم المقدس لأم العجل « بوخيس » وكانت دائماً تعرف بهذا الاسم (= إحت ـ ورت)

المراسيم الهامة التي عثر عليها في عهد بطليموس الخامس

يمتاز عهد « بطليموس الخامس » بكثرة المراسيم التي صدرت في زمنه منقوشة بثلاث لغات. والواقع أنه لدينا حتى الآن غير مرسوم « منف » الذي تحدثنا عنه فيما سبق ، مرسومان آخران عثر عليهما في معبد الفيلة وكذلك لوحتان محفوظتان بمتحف القاهرة .

مرسوما الفيلة

يلحظ أن الردهة التي تفصل البوابة الأولى من الثانيـــة أمام معبد « ازيس » في الفيلة مغلقة من جهة الشرق بقاعة عمد لها خارجة ، ومن جهة الغرب بمعبد ولادة مقام من الحجر الرملي على غرار كل المباني الأخرى المقامة في هذه الجزيرة وقد نقش على جدار قاعة العمد الصغيرة لهذا المعبد الصغير في أعلى الواجهة الشرقية الخارجية مرسومان يرجع تاريخهما إلى عهد الملك « بطليموس الخامس إبيفانس » . وقد نقش المتن الهيروغليفي أولا ثم نقش النص الديموطيقي بحروف كبيرة . ولسبب غاب عنا يظهر أن النص الإغريقي لم يدون تحت النصين الآخرين الهيروغليفي والديموطيقي . ومما يؤسف له أنه فيما بعد عند ما أريد اتمام زخرفة هذا الجدار في عهد « بطليموس» « نيوس ديونيسوس » كانت الفكرة وقتئذ أن يحفر فوق النصين السالفين منظران ومعهما المتن الخاص بهما فكان ذلك سبباً في إحداث ضرر لم يمكن إصلاحه لهذين المتنين الثمينين . ومن ثم كان هذا النوع من النقش فوق نقش آخر أقدم عقبة كأداء في الوصول إلى قراءة المتنين القديمين ، وعلى الرغم من أن ذلك كان معلوماً منذ زمن طويل فانه لم يحاول عالم أن يدرس هذين النصين بصورة دقيقة .

وقد كان أول من كشف عن وجود هذين المتنين هو « شمبليون » بعينه الفاحصة عام ١٨٢٨ م ؛ وقد أشار إليهما فى كتابه « ملاحظات وصفية لآثار مصر والنوبة »[١].

وقد رأى الأثرى « لبسيوس » هذين المرسومين فى عام ١٨٤٣ وقد ذكرهما فى أحد مؤلفاته[٢] وقد أخذ بصمة لها استعملها عند طبع مؤلفه العظيم عن الآثار المصرية .

وعند ما قدم « لبسيوس » للأثريين أحد هذين المرسومين[٣] اللذين عثر عليهما فى الفيلة بأنه نسخة من المرسوم الذى نقش على حجر رشيد قامت مجادلة طويلة بينه وبين العالم « سولى » Sauley[٤] فى خلال المدة التى مضت ما بين رحلة « لبسيوس » وطبعة كتابه دنكمليز Denkmaler كان « بركش » قد زار فيلة ودرس هذين المرسومين ؛ وقد نشر جزءاً من المتن الديموطيقى ، غير أنه لم يكن قد نقله بدقة . وفى عام ١٨٧٨ م فحص من جديد المرسوم الثانى فى مجلة اللغة المصرية Zeitschrift fur Aegypt Sprache . وأشار إلى علاقاته بالثورة المصرية العظيمة التى قامت فى مصر فى تلك الفترة ، غير أنه لم ينشر المرسوم . هذا وقد كان أول من نشر هذين المرسومين معاً نشراً تاماً وبصورة يمكن الإفادة منها[٥]. هو الأثرى « زيته » .

(١) Champ. Notices Descriptives des Monuments de l'Egypte et de la Nubie. Paris, 1844, 2 vol., t. I, p. 178.

(٢) Lepsius Briefe aus Agypten, Athiopien und der Halbinsel, Berlin 1852, p. 108-109.

(٣) Denkmaler IV Pl. 20 texte hieroglyphique; VI pl. 26-34 Texte Demotique.

(٤) Sauley. Zeitschrift der deutschen Morgenlandischen Gesellschaft 1847, p. 264-320; Lespius Revue Egyptologique, Paris 1847, p. 1-19, et 241-252.

(٥) Sethe. Urkunden der Griechisch-Romischen zeit. 198-214.

وأتم طبعة حديثة هى التى وضعها الأثرى « ماكس مولر » على حسب الأصل عام ١٩١٠ وتحتوى على مقدمة وصورة تامة من المتنين الهيروغليفى والديموطيقى وترجمة بالانجليزية وقد نشر كتابه بعد موته عام ١٩٢٠ م(١).

والوثيقة الثانية (على حسب ترقيم لبسيوس) — وهى على حسب الترتيب التاريخى تعتبر الأولى — مؤرخة بالسنة التاسعة عشرة من حكم الملك « بطليموس الخامس » أى عام ١٨٦ ق . م . وفيها يستعرض المتن البواعث والقرارات لمرسوم قام الكهنة المجتمعين فى الإسكندرية باتخاذها فى مصلحة « بطليموس الخامس » و « كليوباترا » وذلك عقب نهاية الثورة التى قامت فى إقليم « طيبة » . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان قد كتب بطريقة ماهرة ، ولولا النقوش التى نقشت فوقه فيما بعد وهى التى أتلفته لكان فى الإمكان قراءته بسهولة .

والوثيقة الثانية (على حسب ترقيم لبسيوس) مؤرخة بالسنة الواحدة والعشرين من عهد الملك « بطليموس الخامس » أى عام ١٨٤ ق . م وهى على حسب « ماكس مولر » صورة محورة من مرسوم رشيد الشهير . ولا بد أن هذا التحوير كان قد عمل بصورة ما عام ٢١ من حكم هذا الملك لأجل أن تمتد الأمجاد التى كانت قد منحت له وللملكة « كليوباترا » . ولا بد أن نلحظ أن الجزء الخاص بالمسألة المالية فى هذا المرسوم الجديد قد حور .

هذا وقد كشف الأثرى « دوماس » فى دندره عن قطعة منقوشة من الحجر الرملى عام ١٩٥٠ م عند ما كان ينقل بعض النقوش فى معبد «حتحور»

---

(١) Max Muller: Egyptological Researches, t. III. The bilingual Decrees of Philae.

وتكاد تكون هذه القطعة مستطيلة الشكل ويبلغ ارتفاعها ٣٢ سنتيمتراً وعرضها ٥١ سنتيمتراً وسمكها ثمانية سنتيمترات . وتحتوى على نهاية ثلاثة عشر سطراً نقشت بالهيروغليفية من منشور عام ٢١ من عهد « بطليموس الخامس » وبواسطتها يمكن أن نتمم أو نقوم عدداً لا بأس به من قراءات الوثيقة القديمة التى طمست .

وعلى الرغم مما أصاب هذه القطعة من تهشيم فانه من السهل أن يرى المدقق حتى الآن أقدام الشخصيات الذين صوروا فى أعلاها وهم يسيرون نحو اليمين ومن ثم نفهم أن هذه القطعة هى من لوحة كان الجزء الأعلى منها مصوراً على غرار اللوحات الأخرى التى من هذا العهد . وسنرى فيما يلى أن متن هذه اللوحة هو صورة من مرسوم الفيلة الذى نشره « زيته »[1]. وعلى ذلك يمكن أن نتصور شكلها القديم بأنه مشابه لاحدى اللوحات التى نشرت بثلاث لغات مثل لوحة مرسوم « كانوب » الذى عثر عليها فى « كوم الحصن » . ففى الجزء الأعلى المستدير يشاهد قرص الشمس المجنح يحميه صل تحته سماء مزين بالنجوم أو عار من النجوم ، وفى أسفل من هذا يشاهد الملك تتبعه الملكة وجماعة من الآلهة يمشون نحو جماعة أخرى من الآلهة آتين من اليمين . وبقايا الأقدام التى نراها على قطعة اللوحة التى نحن بصددها هى أرجل الملك والملكة على ما يظن .

وأسفل هذا المنظر يبتدىء المتن الهيروغليفى ويشغل عرض كل الحجر ولم يبق لنا منه إلا ثلاثة عشر سطراً ضاع من كل منها جزوءه الأول . وعلى حسب متن الفيلة الذى يعتبر أتم من متننا بكثير — ولكن كان أكثر تهشيماً — نشاهد أنه قد ضاع من كل سطر ما بين سبعة عشر وعشرين مربعاً ، ومن ثم

---

(١) راجع Sethe Urkunden II, 198-214.

نستنبط أن قطعة الحجر التى نحن بصددها تمثل من حيث الكبر أكثر من نصف اللوحة التى ينبغى أن تكون مقاساتها ٨٠ و ٩٠ سنتيمتراً . ولدينا أكثر من نصف المتن الهيروغليفى الذى يجب أن نضيف إليه عشرة أسطر أو أحد عشر سطراً أى ما يساوى تقريباً حوالى ٢٨ سنتيمتراً .

هذا وكان ينبغى أن يكون أسفل هذا المتن ، كما هى الحال فى متن « كوم الحصن » ، المتن الديموطيقى والمتن الإغريقى . وعلى أية حال فان ارتفاع الحجر الذى تتكون منه القطعة التى نحن بصددها لا يقل عن مترين . ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعرف شيئاً عن المكان الذى عثر فيه على هذه الوثيقة الثمينة .

وأهمية هذه القطعة تنحصر فى أنها تكمل أماكن نقش الفيلة حيث النقوش قد دمرت تماماً بالمناظر التى صورت فوقه فى عهد الملك « نيوس ديونيسوس » . ومما يؤسف له أنه لم تبق لنا النقوش الهيروغليفية أو الديموطيقية .

وهاك الترجمة مع الإضافات :

السنة الواحدة والعشرون فى شهر « أبللايوس » (Apellaios) وهو بالشهر المصرى شهر .... ؛ فى عهد جلالة « حور - رع » : الصبى الصغير الذى ظهر ملكاً على عرش والده . (صاحب السيدتين : المحترم القوة ، والذى ثبت القطرين ، والذى صير مصر (تامرى) كاملة ، والتقى نحو الآلهة ، « حور » القاهر أعدائه : من يجعل الحياة تتفتح للإنسانية ، سيد الأعياد الثلاثينية مثل « بتاح » ، والملك مثل « رع » (ملك الوجه القبلى والوجه البحرى) (وارث الإلهين المحبين لوالدهما المختار من « بتاح » وروح « رع » قوية ، وصورة « آمون » الحية) ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً

محبوب « بتاح ») الإلهان الظاهران إبنا « بطليموس » و « أرسنوى » ، والإلهان اللذان يحبان والدهما ؛ « بطليموس بن بطليموس » ، وذلك عند ما كان كاهن (الاسكندر) والإلهين المخلصين ، والإلهين المتحابين ؛ والإلهين المحسنين ، والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين . . . ، تريفانا (Tryphaena) ابنة .... ؛ عند ما كانت حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، وعند ما كانت « براكسنيكى » (?) (Praxinke) ابنة « فيلينوس » (Philinos) حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » (محبة أخيها) ، وعند ما كانت « إرينى » ابنة « بطليموس » كاهنة « أرسنوى » محبة والدها .

فى هذا اليوم — مرسوم : إجتمع رؤساء المعابد ، والكهنة خدمة الإله ، والكهنة السريون الذين يلبسون الآلهة ملابسهم ، وكذلك كتاب الكتاب المقدس وموظفو بيت الحياة المزدوج ، وكذلك الكهنة الآخرون الذين كانوا قد أتوا من محاريب (القطرين) نحو الجدار الأبيض من أجل تنصيب « أبيس » الحى ، فى « ميزان الأرضين » وقرروا : لما كان ملك الوجه القبلى ، وملك الوجه البحرى ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) الإله الظاهر ابن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » والملكة « أرسنوى » الإلهان المحبان لوالدهما قد عمل كل أنواع الخيرات لشواطىء « حور » ولكل أولئك الذين هم رعايا ملكه ، وذلك لأجل أن ينفذ كل شىء صواب تنفيذه كما فعل « تحوت » المزدوج العظمة (المقصود هنا نشاط الملك والملكة من الوجهة القضائية) ، ولما كان جلالته فى حالات نفسية تنزع للخيرات ، فانه أعطى نقوداً وغلالا وفيرة للمعابد وذلك باعطائهم

حقولا عدة ، والممتلكات الأخرى التى كانت توجد فى وسطها كانت أكثر من التى كانت توجد فيها فى زمن آبائه .

(ولما) كان قد أعفى (؟) متأخر الضرائب الخاصة بجلالته وهى التى بقيت فى ذمتهم حتى العام التاسع عشر وأعفى بذلك الضرائب الخاصة بالرزق، وكذلك وظائف الكاهن التى بقيت فى أيديهم ، وكذلك ما يتعلق بكل ملكية مقسمه بين الكهنة ، وكذلك أملاك رجال الإدارة التى أعفاها جلالته حتى العام التاسع عشر : وأعفى بذلك ثمار « سسنو » وحبوب ، وكذلك كل الممتلكات برمتها فانه نزل عنها أيضاً .

وقد نزل كذلك عن الكتان الذى لم يكن قد نسج بعد أى النسيج الملكى الذى عمل للقصر فى المعابد حتى السنة التاسعة عشرة .

وكذلك أمر فيما يتعلق بكل إنسان يعمل على انبات حقول الآلهة ، وكذلك قطعانهم ودواجنهم التى للإله نصيب منها ، أن يمنحوا كل الأشياء التى من الصواب أن تقدم هدية للآلهة . وأن يبقى مع ذلك ما يجمع من مال مثل (. . . الناس الذين يجمعون مال « فيلادلف » وكذلك الإلهين المحبين لوالدهما) .

والواقع أنه لما كانت الوصية سيدة الأرضين « كليوباترا » أخت ابن « رع » وزوجه (بطليموس العائش مخلداً محبوب بتاح) قد قدمت نقوداً وذهباً وكل أنواع الأحجار الثمينة بمقدار كبير لأجل تنفيذ كل الأحفال المدونة لآلهة مصر وإلهاتها . . . . مقيمة أحفالا مقدسة . . . لكل آلهة القطرين ولكل الآلهات بفخامة وذلك لأنها (الملكة) كانت فى حالة نفس محسنة فيما يخص كل ما يهمهم ويهم معابدهم فى كل زمن .

وفى مقابل ذلك فان كل آلهة مصر وآلهاتها قد وهبوا أعياداً ثلاثينية عدة فى صحة ونصر وقوة لملك الوجه القبلى والوجه البحرى ، ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») ولأخته وزوجه الوصية سيدة القطرين « كليوباترا » الإلهين الظاهرين . . . . فى حين أن تبقى وظيفتهما المحترمة ملكاً لهما وكذلك ملكاً لأطفالهم أبدياً .

مع الحظ السعيد : لقد ظهر جميلا لكهنة محاريب الجنوب والشمال جميعاً أن يزيدوا فى أمجاد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى إبن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب «بتاح») وكذلك أمجاد أخته وزوجه الوصية ، وسيدة الأرضين « كليوباترا » الإلهين الظاهرين فى المعابد ، وكذلك أمجاد الإلهين المحبين لوالديهما أبويها وكذلك أمجاد الإلهين المحسنين جديهما ، وكذلك أمجاد الإلهين الأخوين أباء أجدادهما وكذلك أمجاد الإلهين المخلصين أجدادهما (قد ظهر لهما جميلا أن يزيدوا هذه الأمجاد) :

والمقصود من ذلك : إقامة تمثال للوصية سيدة القطرين « كليوباترا » أخت ابن « رع » وزوجة (بطليموس العائش أبدياً محبوب «بتاح») الإله الظاهر فى كل معبد فى مصر ، وذلك من عمل نحاتين من مصر ، بالقرب من تمثال الزينة لملك الوجه القبلى والوجه البحرى ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب «بتاح») الإله الظاهر ، وكذلك تمثال الإله المحلى معطياً إياه سيف النصر ، وتكون منحوتة فى أثر من عمل الكهنة ....

تعليق

ويلفت النظر فى هذا المتن ما جاء فى السطرين السابع والثامن إذ أنهما يشيران إلى ضرائب كانت تضرب على عقار الكهنة من حيث الزراعة وتربية

الحيوان نخص بالذكر منها ضريبة الأبومويرا أى ضريبة العشر التى تحدثنا عنها فى الجزء السابق من هذه الموسوعة (مصر القديمة الجزء ١٥ ص ٨٨) وذلك لأنه ذكر صراحة أن هذه الضريبة كان مآلها « لبطليموس الثانى » و «أرسنوى» زوجه و « لبطليموس الخامس » وزوجه . هـذا ونعلم من مرسوم « منف » الأول أن دخل هذه الضريبة[1] الذى كان مخصصاً من عهد « بطليموس الثانى » لعبادة « أرسنوى فيلادلفوس » ، قد قسم بينها وبين « بطليموس الرابع » وزوجه المحبين لوالدهما . ولكن يوجد فى المتن الذى نحن بصدده الآن ضرائب أخرى أشير إليها وهى ليست معروفة كضريبة الأبومويرا ، غير أن عدم وجود المتن الإغريقى لهذا النص يقف أمامنا عائقاً فى كثير من النقاط . وعلى أية حال فان الترجمة التى وضعت هنا تحتاج إلى التسامح كثيراً فى عدة نقاط[2] .

ومهما يكن من أمر فان هذا المتن الجديد قد أضاء لنا السبيل فى كثير من نقاط المرسوم الأصلى الذى يصعب ترجمته بحالته الراهنة إذ يحتوى على فجوات كثيرة . وقد حاول الأستاذ « زيته » إبراز أهمية هذا المرسوم فى مقال رائع حاول فيه تحليل متنه ، وأن ما جاء فيه يتفق فى كثير من النقاط مع ما جاء فى فقرة من تاريخ « بوليبيوس » كما سنرى بعد (راجع (A.Z. Vol. LIII, p. 35-49

ومما هو جدير بالملاحظة هنا عن هذين المرسومين وقوع هفوة صغيرة

---

(١) Cf. Preaux L'Economie royale des Lagides. P. 180.

(٢) Un Duplicats du Premier Decrets Ptolémaïque de Philae par François Dumas. Mitteilungen des Deutschen Archaeologischen Instituts Abteinlurg Kairo Band 16. pp. 78-82.

فاتت مؤرخنا العظيم « بوشيه لكلرك[1] » فقد كتب هذا المؤرخ : فى السنة التالية قدم الملك «بطليموس الخامس» صلواته فى « فيلة » لمعبد «اسكلابيوس » (أمحوتب) الذى أسداه لإله الطب الذى كان قد ساعده بفضله على الحادث السعيد (وهذا الحادث هو ولادة ابنه بطليموس السادس فيما بعد) . وقد نقش من أجل ذلك على جدرانه مرسومين الأول بتأسيس عيد تذكارى (؟) بسبب إخضاع العصاة ومعاقبتهم ، والآخر على شرف الملكة « كليوباترا » ولانزاع فى أن «بوشيه لكلرك» قد أشار فى عبارته السابقة إلى المرسومين اللذين نحن بصددهما وهما اللذان قد حددا تماماً واقتبسا على حسب ترتيبهما التاريخى . غير أن « بوشيه لكلرك » قد خلط هنا بين معبد « أمحوتب » الصغير الذى يقع خارج الدروموس الذى يسبق البوابة الأولى وهو الذى يقع شرقى قاعة العمد التى لم تتم ، ويقع بالضبط عند البوابة الهائلة التى أقامها « بطليموس الثانى » (راجع Porter Moss VI p. 202) ، بين معبد الولادة (مميزى) الذى أشار إليه فى الملحوظة رقم ٤ من نفس الصحيفة) . وهذا المعبد الأخير لا يقع فى غرب الردهة التى تفصل بين البوابتين . وقد نقش على الجزء الأعلى الخارجى من قاعة العمد الصغرى لهذا المميزى (بيت الولادة) من الجهة الشرقية هذان المرسومان كما أشرنا إلى ذلك من قبل . وقد بقى كما أشار « بوشيه لكلرك » معبد « أمحوتب » (اسكلابيوس) وهو الذى نذره كل من « بطليموس الخامس » و « كليوباترا » لهذا الإله[2] .

---

(١) راجع B. L. Hist. des Lagides I, p, 395.

(٢) Bevan. The Ptolemaic Dyn. p. 274-275 and Fig. 48 Weigall, Guide, P. 475.

مرسوما عام ٢٢

من عهد الملك بطليموس الخامس ابيفانيس بمتحف القاهرة

توجد بالمتحف المصرى لوحتان نقش على كل منهما مرسوم صدر فى عام ١٨٢ ق . م . والمرسوم الأول كهنى وهو فى نظامه العام يذكرنا بصورة تلفت النظر بمراسيم رشيد والفيلة . وعلى ذلك يمكن أن نعتبره ضمن المراسيم التى نقشت بلغات ثلاث ، وذلك على الرغم من أنه لم يصل إلينا إلا الأصل الهيروغليفى الذى وجد ناقصاً فى نهايته . أما اللوحة الثانية فهى لوحة «أصفون» . وقد أشتريت اللوحة الأولى فى القاهرة عام ١٩١١ وسجلت بالمتحف المصرى برقم السجل المؤقت $\frac{٢}{٢٥}\Big|\frac{٣}{٧}$. وهى مصنوعة من الحجر الجيرى الهش ويبلغ ارتفاعها ١,٢٧ متراً وعرضها ٠,٤٩ من المتر . وأعلى هذه اللوحة مستدير وقد كسرت قطعتين من وسطها كما فقد منها من جراء ذلك السطر الثانى والعشرون من أسطرها ، والعدد الكلى لأسطرها خمسة وثلاثون سطرا . وقد ظلت مساحة خالية من النقوش فى أسفلها تبلغ ٢٦ سنتيمتراً .

ومحتويات متن هذا المرسوم يشبه كثيراً محتويات المراسيم التى نعرفها فعلا من هذا النوع ، غير أن جزءاً من المتن يتميز بأنه يشير إلى إنتصارات القائد الإغريقى « أريستونيكوس » الذى تحدثنا عنه فيما سبق .

وقد نشر هذه اللوحة الأثرى « دارسى »[1]

---

(١) Rec. Trav. (1911) An. 33 p. 1-8.

لوحة أصفون

عثر « مسبيرو » عام ١٩١٤ فى « أصفون » على قطعة من لوحة سجلت فى المتحف المصرى برقم ٤٤٩٠١ . وهى من الحجر النوبى الرملى . وجزؤها الأعلى مستدير ويبلغ عرضها ٦٩ سنتيمتراً وطولها ٨٥ سنتيمتراً . ويلحظ أن الجزء الأسفل منها قد فقد . وسطح هذه اللوحة متآكل وتوجد فيه فجوات . ولحسن الحظ بقى الجزآن الأول والأخير سالمين ومتن اللوحة نسخة من المرسوم الذى أصدره « بطليموس الخامس » فى عام ٢٣ من حكمه . ولقد أصبح من الممكن الاستعانة بهذا المتن على إصلاح بعض ما جاء مهشما أو غير مفهوم فى المرسوم الأول إلى حد ما . وقد نشر هذا المتن كذلك « دارسى »[١]

قطع من مراسيم باللغات الثلاث من عهد بطليموس الخامس

وأخيراً يجب علينا أن نشير هنا إلى قطع من مراسيم مدونة بلغات ثلاث من عهد الفرعون « بطليموس الخامس » وجدت منذ البحوث التى قام بها كل من « كليرمون ـ جانو » و « كليد » عام ١٩٠٧ م فى «الفنتين» . وقد وحد مؤقتاً الأثرى « دارسى » أحد هذه المراسيم بمرسوم « منف » . وقد سمى هذه القطع فى مقاله عن مرسوم عام ٢٣ من حكم « بطليموس الخامس »[٢] قطعا من متن هيرغليفى . والظاهر كما يبدو أنه كان يشير إلى « حجر رشيد » .

يضاف إلى ذلك أن الأستاذ « زيته » الذى فحص علاقة هذه القطع مع نفس مرسوم عام ٢٣ قد شك فى أن تكون هذه القطع جزء من نسخة من

---

(١) Rec. Trav. 1916-1917, 38e année p. 175-179 sous le titre: Un Second exemplaire du Decret de l'an XXIII de Ptolémée Epiphane.

(٢) Rec. Trav. (1911), T. XXXIII, p. 1. etc.

مرسوم منف (راجع Zur Geschichte und Erklarung der Rosettana
Nach. der Konig. Akad der Wissen, Gottingen 1916 p. 277.

غير أن كل هذا لم يكن إلا فحص تخمين وحدس ، وذلك لأنه لم يكن قد نشر شيء من هذه الوثائق . ومع ذلك فان الأثرى « سوتاس » الذى كان قد تبودلت بينه وبين « سيمور دى ريكى » (Seymour de Recci) كتابات بشأن هذه القطع ، انتهى به الأمر إلى أنه وجد ثلاث قطعة صغيرة منقوشة أمكنه بوساطتها أن يبرهن على أنها من مرسوم « منف » وقد كتب عنها بحثاً فى أكاديمية العلوم والآداب فى باريس عام ١٩٢٣[1] وأخيراً ظهر فى عام ١٩٤٤ فى جرنال العلماء مقال بقلم « شابو »[2] عن حفائر « كليرمون - جانو » فى « القنتين » . وقد نشر فيه رسائل هذا العالم إلى « دى فوجى » De Vorgué وأهمية هذه الرسائل أنها كانت قد كتبت أثناء قيام أعمال الحفائر نفسها ، وتحتوى هذه الرسائل على معلومات ثمينة عن الموضوع الذى نحن بصدده والآثار التى أشير إليها فى هذه الرسائل هى :

أولا : قطعة كبيرة من الحجر الرملى كانت مستعملة كمدود منقوش عليها تسعة عشر سطراً بالإغريقية ، وبدرسها وجدت أنها تؤلف جزءاً من مرسوم رشيد ومن ثم أصبحت نظرية الأثرى « زيته » السالفة الذكر لا قيمة لها ، وذلك لأنه إذا كان من السهل أن نسيء الفهم من بعض أسطر هيروغليفية ممزقة ، فانه غير محتمل تماماً أن ترتكب أخطاء فى تسعة عشر سطرا إغريقية ، أمكن « كليرمون - جانو » أن يقرأها بنفسه .

---

(١) Académie des Transcriptions et Lettres Paris. Tome, XIII, 2e Partie, p. 485-505.

(٢) Journal des Savants, p. 87-92 et 132-142.

ثانياً : وجدت مئات من الشظايا الجرانتية نقش عليها إشارات هيروغليفية وديموطيقية وإغريقية . وقد ظن كاشفها فى بادىء الأمر أنها تحتوى على صورة من مرسوم «كانوب»، بسبب أن بعض هذه الشظايا كان منقوشاً عليه اسم « بطليموس الثالث » . ولكن عند ما أمكنه أن يجمع من جديد التاريخ الذى عليها رأى أنه يختلف عن تاريخ مرسوم « كانوب » وقد شاهد على أية حال أنه كانت توجد بلا شك قطع من مراسيم عدة أخرى محفورة على لوحات غاية فى الجمال هشمت بصورة وحشية .

ثالثاً : أشار أخيراً إلى الكشف عن قطعة من الحجر الرملى منقوشة بالديموطيقية يقول أنها خاصة بمرسوم « رشيد »، هذا إذا لم يكن قد أخطأ الفهم .

هذه نظرة عامة عن اللوحات والمراسيم التى وجدت سليمة أو مهشمة من عهد الملك « بطليموس الخامس » ، ويجدر بنا بعد ذلك أن نترجم بقدر المستطاع ما يمكن ترجمته من مرسوم عام ٢٣ من حكم هذا الفرعون والتعليق عليه لما فيه من صعوبات .

ترجمة مرسوم عام ٢٣ من عهد بطليموس الخامس

سنحاول هنا أن نضع ترجمة للنص الهيروغليفى مع قرنه بالنص الذى وجد فى « أصفون » كما ذكرنا ذلك من قبل . والواقع أن متن لوحة « أصفون » لا يملأ فعلا الفجوات الموجودة فى المتن الأول ، بل نجد أن متن « أصفون » ينقطع فى نفس المكان الذى ينتهى فيه المتن الأول . هذا ونجد

لدينا عوناً غير ثابت لملء بعض الفجوات من القطع التى نقشت على جدران معبد الفيلة[1] وهى من مرسوم مماثل للمرسوم الذى نحن بصدده .

الترجمة :

السنة الثالثة والعشرون الرابع والعشرون من شهر « جورپياوس » (Gorpiaeos) الذى يقابل الرابع والعشرين (من برموده) فى مصر ، فى عهد جلالة « حور رع » الشاب الذى ظهر بوصفه ملكاً على عرش والده ؛ صاحب السيدتين ؛ عظيم القوة ومن يثبت الأرضين . والذى يجعل مصر (تامرى) مزدهرة ، الفاخر القلب نحو الآلهة ، « حور » الذهبى (المسمى) الذى يجعل حياة الإنسانية مزدهرة ؛ وسيد الأعياد الثلاثينية مثل « بتاح - تانن » والملك مثل « رع » . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين فيلوباتور ، المختار من « بتاح » ، قوية روح « رع » ، وصورة « آمون » الحية) ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») الإله الظاهر « ابيفانس » بن « بطليموس » و « أرسنوى » الإلهان اللذان يحبان والدهما ، وعند ما كان كاهن الإسكندر والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين ، والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين ، « بطليموس » بن « برهيدس » (Pyrhides) ؛ وعند ما كانت « دمترّيا » (Dimetria) (ابنة « تلياك » حاملة هدية النصر « لبرنيكى » المحسنة ؛ وعند ما كانت « أرسنوى » ابنة « برجازيدوس (Pergasidos) حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها ، وعند ما كانت « إيرن » ابنة « بطليموس » كاهنة « أرسنوى » محبة والدها .

---

(١) راجع L. D. IV Pl. 20; V Pl. 34.

فى هذا اليوم : قرار

إجتمع رؤساء (المعابد) والكهنة خادمو الإله والكتاب المقدسون والكهنة المطهرون الذين يدخلون فى المكان المقدس (قدس الأقداس) لأجل الباس الآلهة لباسهم ، وكذلك كتاب الإله ورجال بيت الحياة المزدوج والكهنة الآخرون التابعون لمحاريب الجنوب والشمال الآتون من « منف » يوم ظهور العجل « منيفيس » (عجل عين شمس) فى «سخرت» (جزء من منف يحتمل أنه يحتوى على القصر الملكى) التى هى « ميزان الأرضين » .

وهناك ما قصوه : بما أن ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين اللذين يحبان والدهما ، المختار من « بتاح » قوية روح « رع » وصورة «آمون » الحية) ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً) الإله الظاهر ابن « بطليموس » والملكة « أرسنوى » ، الإلهان اللذان يحبان والدهما ، وكذلك الأميرة الحاكمة سيدة الأرضين « كليوباترا » ، والإلهان الظاهران المقيما الشعائر والسيدان الطيبان جداً للأراضى المقدسة ومن فيها وسلطانهما فيها ممتاز حتى نهايتها وقلباهما خير نحو الآلهة .

وأن الذى يشغلهما كذلك الآن وهو حمل الأشياء العدة لآلهة مصر جميعهم والإلهات قاطبة لأجل أن توضع فى محاريبهم ، ثم إقامة السلام بين سكان مصر كما فعل « تحوت » مزدوج العظمة ، وأن جلالته قد قرر دخلها المقدس للآلهة نقداً وعيناً على أن يدفع للمعابد سنوياً . وكذلك نصيب الآلهة فى الأراضى والأشجار والجزر التى بذرت ، وكل شىء عمل بحق ، وكان مقداره كما كان فى زمن الأجداد يدفع سنوياً (على أقساط) . ولما كان قد منح أراض كثيرة للمعابد وحبس عليها دخلا مقدساً وعملت أشياء على حسب

العدالة فى كل الأحوال وأمر باقامة تماثيل . . . لتوضع فى مكانها ، وعمل أمجاداً كثيرة للعجل « أبيس » وللعجل « منيفيس » وللبقرة العظيمة ، وكذلك لكل الآلهة المحترمة فى مصر مع إضافة إلى ما كان من قبل . وقد دفعه (قلبه) لخدمتها فى كل وقت . . . . بعظمة وسخاء .

وكان عليهم كذلك أن يراعوا كل التعليمات لتطهير كل الأشياء (؟) . . التماثيل (؟) فى معابدها التى فى عيد عظيم ؛ وعليهم أن يستمروا فى تقديم القربان ، وتقديم القربات المحروقة وصب القربات السائلة ، وعمل كل شىء أعتيد عمله . . . . وأنه مجّد العجل « أبيس » كثيراً ، وأضاف إلى ما كان موجوداً من قبل ، وأنه عمل غطاء جميلا من الذهب ونسخة من . . . الآلات ؟ فى امتداده عند ما كان . . . « لأبيس » يعمل فى السنة العشرين من رحلته .

وعلى ذلك فان كل الإنسان قد استراح والجنود المنتصرون . . . لجلالته كانت للمعابد وكذلك أموال الضريبة التى كانوا يدفعونها لأجل أن تكون . . جلالته لها . وأمر بارسال آنية جميلة (؟) (٢٢) . . . . . وأعاده حسب . . . . . (٢٣) . . . . ويعزق الأرض بفأسه ، اعفاء (؟) الآلهة . وانتصاراته . . . . . والناس خدام الآلهة معه فى المكان المقام فى المنطقة (؟) (٢٤) . . . . . المعسكر فى « البلمون » ، وقد عملوا اجتماعاً من . . . . عديدون فى الإقليم المقدس ، وكان الأهالى تحت حراسته عند ما كان . . . . (٢٥) . . . . . . والأراضى أصابها الجفاف بسبب عدم امتلاء البّرع (؟) ومكانه . . . . . . وقد أنزل أسطولا قوياً (٢٦) فى البحر الأبيض المتوسط لأجل أن يخترقه فى كل امتداده فى الأماكن التى تقع تحت سلطانه ، لأجل

أن يجمع لجلالته المال والمحاصيل . . . . مملوء بالجنود و بـ . . . . الذين كانوا حرسه . وعلى ذلك عمل ترقية على حسب لبه فرقى جلالته لرتبة قائد الفرسان «أريستونيكوس» لأن قلبه كان غيوراً (على خدمته) عاملاً السلام لأجل (٢٨) . . . . . وملء قلب جلالته لأنه كان يسوق كل يوم الرجال ليتبعونه على ظهور الخيل ، ورجال الأسطول فى مناورات بالسفن (٢٩) وقد وصل أسطوله إلى اجتماعات (؟) « أبامى » فى البحر الأبيض المتوسط وكل واحد . . . . معسكر إقليم «البلمون» (Diospolis) (٣٠) . . . . مكانه . وقد تضرع إليه هذا العدو مع قومه لأجل أن يجعلهم يحضرون ليقدموا الذهب الذى لا يحصى ، وكذلك الأحجار الكريمة التى لا يعرف مقدارها (٣١) . وبعد أن عاقب الثورة وثبت العدالة فى مجراها انضم (الأسطول) إلى سيده فى الوقت الحرج فى لحظة الغزو . وبعد ذلك نجد أن (٣٢) « أريستونيكوس » استولى على « أرادوس » وهى التى تقع فى الجزيرة والإقليم الذى هى فيه ، وكذلك الأماكن البحرية فقد استولى عليها مع النقود والمحاصيل والأشياء (٣٣) العديدة التى لا حد لها ، وهى التى كانت موضوعة هناك فى كل مكان مقدس . وقد عادوا أثرياء بعد مضايقة كبيرة ، فقد ضربوا مكان البحارة (؟) وعمل . . . . . من هذا العدو ؛ وأنه قوى (؟) إذ كان يعمل مستشاراً لكل شىء وقد باركه الناس من خلفه والآلهة بسطوا حمايتهم حوله فقد هزم الكفرة وصير الثائرين (تعساء) فى الوجه القبلى والوجه البحرى وفى أمشير من السادس إلى ١٥ منه أتم هزيمتهم بالانتصارات . وقد نال انتصارات وحصل على انتصارات فى شخص الملك .

تعليق

أول ما يلحظ فى هذا المتن أنه لم يذكر فى السطر الأول اسم الشهر المصرى المقابل للشهر المقدونى الذى جاء ذكره وهو « جورбياوس » . هذا وتدل شواهد الأحوال على أن مؤلف هذا المرسوم قد نقل بصورة آلية السطرين الثامن والتاسع من متن قديم دون أن يضيف إليهما التغييرات اللازمة . هذا ولا نعلم السبب الذى من أجله أن الكهنة الذين كانوا قد اجتمعوا فى « منف » لأجل تتويج العجل « منيفيس » الذى كان مقر عبادته «هليوبوليس» قد توجوه فى « منف » ولم يتوجوه فى «هليوبوليس» التى كان يجب أن يتوج فيها لا فى غيرها ؛ وبخاصة عند ما نعلم أنه فى عهد « بطليموس الخامس » لم يحدث إلا تغير واحد فى العجل « أبيس » ، وعلى ذلك فانه من المحتمل أن مرسوم اللوحة رقم ٢٢١٨٤ المحفوظة بالمتحف المصرى وهو المؤرخ بالسنة العشرين من عهد « بطليموس الخامس » هو الذى كان قد نقلت بدايته بغباوة فى لوحات عام ٢٣ من حكم هــذا الملك مع عمل تغيير واحد وهو وضع اسم العجل « منيفيس » بدلا من العجل « أبيس » ؛ وبخاصة عند ما نعلم أن الكهنة قد اجتمعوا فى « منف » لا فى « هليوبوليس » . وعلى أية حال لدينا لوحة من لوحات السرابيوم نفهم منها أن « أبيس » الذى عاش فى عهد « بطليموس ايرجيتيس الثانى » كان قد أقتيد فى السنة الثالثة من حكم هذا الملك إلى «هليوبوليس» ؛ وعلى ذلك فانه كان من المحتمل وجود تبادل فى الزيارات بين العجل « أبيس » الذى كان مقره « منف » والعجل « منيفيس » الذى كان مقره « هليوبوليس » .

وأريد أن ألفت النظر إلى أن الترجمة التى أوردناها هنا لهذا المرسوم

ترجمة مؤقتة إذ كنا نأمل بعد الكشف عن لوحة « أصفون » أن يصبح فى الامكان ملء الفجوات التى فى المتن الذى نحن بصدده ، هذا بالإضافة إلى أن متن « أصفون » ينقطع عند نفس النقطة التى انقطع فيها متننا . وعلى أية حال قد استعنا فى قراءة هذا المتن بقطع النقوش التى وجدت محفورة على جدران معبد الفيلة ؛ وذلك لأن هذا المتن يشبه فى تأليفه متننا حتى السطر الحادى عشر ، ولكن بعد ذلك وبخاصة فى الجزء العظيم الأهمية الذى يحتوى على معلومات تاريخية ، فقد اعتمدنا على متنينا المؤرخين بعام ٢٣ من حكم هذا الملك وكلاهما مهشم كما أشرنا إلى ذلك . وعلى ذلك فان الوقت لم يحن بعد لدرس هذا المرسوم بصورة تامة . ومع ذلك فسنشير هنا لبعض النقاط الجديدة التى أمكن استخلاصها .

أولا : يلحظ أن التاريخ الذى ذكر على لوحة « أصفون » هو العام ٢٣ اليوم ٢٢ من شهر « أبللوايوس » ، فى حين أن تاريخ المرسوم الذى على اللوحة الأخرى هو السنة ٢٣ اليوم الرابع والعشرون من شهر «جوربياوس» . هذا ويتساءل الإنسان كيف يمكن حل وضع تاريخين يختلف الواحد منهما عن الآخر (إذ يبعد الواحد منهما عن الآخر بمدة ثلاثة أشهر أو تسعة على حسب بداية السنة) وكيف أمكن وضعهما لعمل واحد رسمى ؟ والواقع أنه من الناحيتين نجد تقابل الأشهر المقدونية مع الأشهر المصرية غير صحيح فاللوحة الأولى نقدم لنا الرقم ٢٤ . والظاهر أنه يوم الشهر ولكن لم يذكر اسم الشهر . أما لوحة « أصفون » فقد جاء فيها : « الذى فى شهر المصريين » وحسب دون ذكر أى شىء آخر .

وعلى أية حال فان نهاية كل من المرسومين قد ضاعت ومن المحتمل أنه

لو وجدت نهاية كل منهما لعرفنا السبب فى إصدار مرسومين فى سنة واحدة . ولن نستغرب مثل هذا العمل فى عهد « بطليموس الخامس » الذى كان مليئاً بالأحداث وبخاصة النضال الذى كان بينه وبين المصريين الذين كانوا قد هبوا دفعة واحدة لاسترداد حريتهم واستقلالهم الضائع ، والتخلص من حالة الفقر التى كانوا يئنون تحت عبثها .

وعلى الرغم مما جاء فى لوحتنا من فجوات جعلت ترجمتها مبهمة بعض الشىء فى الجزء الأخير منها ، فانه يمكن القول مما تبقى لدينا من المتن أنها كانت قد أقيمت على شرف « أريستونيكوس » صاحب الحظوة العظيمة عند « بطليموس الخامس » ، وذلك لأن أعمال هذا القائد قد نالت حظاً كبيراً من التمجيد . والظاهر أن ما ذكر فى هذه اللوحة عن هذا القائد يبتدىء عند السطر الثالث والعشرين حيث الحديث عن الناس ، ومن المحتمل أن المقصود هنا بالناس هم جنود « أريستونيكوس » المرتزقة ، كذلك ذكر تعيينه قائداً أعلى للفرسان . والمقصود بجنود « أريستونيكوس » هم أولئك الذين كان قد جندهم من بلاد الإغريق . والظاهر أن المعسكر المصرى كان قد أقيم فى بلدة تل « البلمون » عاصمة المقاطعة الثامنة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى (راجع أقسام مصر الجغرافية القديمة ص ٨٩) . ومن المحتمل أن البلدة التى كان قد جمع فيها الأسطول والجيش سوياً تحت إمرة هذا القائد كانت وقتئذ « دمياط » الواقعة عند مصب فرع النيل الفتناتى . هذا ولم يفهم معنى الجملة الممزقة التى جاء فيها ذكر بلدة « أبامى » (سطر ٢٩) . والواقع أن « بطليموس » لما كان يأمل فى مساعدة الرومان له للإستيلاء على جزء من أملاك « أنتيوكوس » ، فانه كان قد أرسل على ما يظن مقدماً أسطوله

ليحتل فى الحال البلاد التى كانت ستعطى له ، ونحن نعلم بدورنا من حوادث التاريخ التى ذكرها لنا الكتاب القدامى أن أمل « بطليموس » كان برقا خلباً وأن معاهدة ١٨٨ ق . م لم تدر عليه أية فائدة ، ومن أجل ذلك نجد أن الأسطول قد عاد (سطر ٣٠) ؛ وأن الجيش الذى كان يحمله هذا الأسطول قد أستعمل فى القضاء على الثورة الوطنية التى كانت مدلعة فى الوجة البحرى . هذا ونجد فى السطر الثانى والثلاثين ذكر حقيقة تاريخية جديدة وذلك أن المؤرخين القدامى قد ذكروا لنا أنه بعد موت « أنتيوكوس الثالث » وتولية إبنه « سليوكوس الرابع » من بعده عام ١٨٦ ق . م استعد المصريون للاستيلاء على « سوريا الجوفاء » من جديد ، وعلى حسب المتن الذى نحن بصدده الآن نفهم أنه كانت هناك بداية لتنفيذ هذا المشروع . فقد ذكر لنا المتن أن المصريين استولوا فعلا على مدينة « أرادوس » من أعمال «فنيقيا» وأنهم خربوها ، وأن ما كان بها من ثروة قد حملت فى الوقت المناسب لتملأ خزانة « بطليموس الخامس » التى كانت خاوية مفلسة . وعلى أثر هذا العمل العظيم نصب هذا القائد العظيم مستشاراً للملك ونال التهانى من الجميع .

وكما قلنا نجد نهاية هذا المرسوم مهشمة ، ولذلك فان ما بقى لنا منه لا يقدم معنى صريحاً بل يشوبه الغموض لدرجة أنه لم يكن فى استطاعتنا أن نعرف إذا كان شرف هذا النصر قد وجه إلى « أريستونيكوس » أو إلى « بطليموس الخامس » . وعلى ذلك يظهر أن هذا النقش يجب أن يكون قد صدر بعد مرسوم الفيلة الثانى وهو المرسوم الذى جاء فيه ذكر « أريستونيكوس » فيما يتعلق بالثورات التى هبت فى الوجه القبلى . وعلى أية حال فان السنة الثالثة والعشرين كانت آخر سنى حكم « بطليموس الخامس » إذ قد حضره الموت

فجأة عام ٧٨١ ق . م كما ذكرنا ذلك فيما سبق . ومن ثم فان الحوادث التى جاء ذكرها فى هذا المرسوم كانت آخر أعمال وقعت فى عهد هذا العاهل .

وهكذا نجد فى هذا المرسوم — على الرغم من تمزيقه وضياع جزء منه — صحائف منقوشة عن تاريخ مصر دونت على ما أعتقد بيد مصرية ، وهى غير تلك الصحائف التى تركها لنا الكتاب الإغريق القدامى ، ويلفت النظر هنا أنه قد جاءت فيها أحداث جديدة لم يذكرها الكتاب القدامى. غير أن هذه الصحائف بكل أسف قد وجدت ممزقة ومن ثم تركتنا متلهفين عما كانت تكنه من معلومات وحقائق ربما كان قد غفل عنها أو أغفلها الكتاب القدامى عن قصد لأنها لا تتحدث عن الإغريق بل تتحدث عن الشعب المصرى وأمجاده ، ولكن لحسن الحظ قد أبقت لنا الأيام وثائق ديموطيقية من عهد هذا الملك تحدثنا عن الحركة الوطنية التى قامت فى آخر عام من حياة « بطليموس فيلوباتور » واستمرت حتى العام التاسع عشر من عهد خلفه « بطليموس الخامس » . وقد أشرنا إلى هذه الحركة من قبل وهى التى كان رائدها فى بادىء الأمر بطل مصرى يدعى « حرمخيس » ثم خلفه بطل آخر يدعى « عنخمخيس » وقد حمل كل منهما الألقاب الملكية المصرية القديمة . هذا وقد استمرت الثورات القومية على البطالمة حتى أنهكت قواهم وأدت بملكهم إلى الزوال وسنتحدث عن هذه الثورات فى فصل خاص .

مرسوم لوحة القحط الذى صدر فى عهد بطليموس الخامس

مقدمة :

تحدثنا فيا سبق عن المراسيم التى صدرت فى عهد الملك « بطليموس الخامس » ورأينا أن الباعث الأكبر لإصدار هذه المراسيم هو إرضاء الكهنة الذين كانوا منذ فجر التاريخ المصرى يتحكمون فى معتقدات الشعب واتجاهاتهم الدينية ، وكذلك لتهدئة الأحوال فى البلاد التى كانت الثورات متأججة فيها بسبب ما أصاب الشعب المصرى من مظالم واضطهاد على يد الحكام الأجانب من الإغريق . والمقدونيين . ومن أجل ذلك أخذ « بطليموس الخامس » ورجال بلاطه يعالجون أحوال البلاد الداخلية بكل حزم وبصيرة نافذة حتى يتسنى لهم مجابهة الأخطار التى كانت تهدد كيان أرض الكنانة من الخارج . ومن أجل ذلك نلحظ أنه فى عهد « بطليموس الخامس » صدر أكبر عدد من المراسيم التى كان هدفها ضم جماعة الكهنة إلى جانب الملك الذى أصبح يسير فى كل تصرفاته على حسب الأنظمة الفرعونية العريقة فى القدم فى جميع البلاد من أقصاها إلى أقصاها . ولا أدل على ذلك من المرسوم الذى أصدره فى صالح الإله « خنوم » وغيره من الآلهة الذين كانت عبادتهم منتشرة فى منطقة الشلال وما بعدها فى بلاد النوبة .

وهذا المرسوم نقش على لوحة تعرف لدى الأثريين بلوحة القحط . وسنحاول فيما يلى أن نضع صورة جديدة تختلف إختلافاً بيناً عما كان معروفاً عن متن هذه اللوحة من الوجهات التاريخية والدينية والاقتصادية . وعلى الرغم من كل ما سنذكره هنا فانه لا تزال توجد بعض النقاط الغامضة فى

محتوياتها ، وبخاصة من الناحية الجيولوجية فقد ذكر فيها بعض مواد من المعادن والأحجار التى لم يتوصل الأثريون لمعرفة كنهها ولا الأغراض التى كانت تستعمل فيها . وهـذا المتن يكشف لنا عن وجـود ثروات معدنية لا حد لها لا تزال تنتظر الكشف عن أسرارها والإفادة منها وما أحوجنا إلى ذلك فى هذه الفترة من تاريخ بلادنا بعد أن أصبحت مصر تأخذ مكانتها بين البلاد الصناعية فى العالم .

تاريخ لوحة القحط

لوحة القحط هى عبارة عن متن يتألف من اثنين وثلاثين سطرا عموديا نقشت على الوجه الشرقى لصخرة من الصخور الشامخة التى تتراكم فى أقصى جزيرة « سهيل » بمنطقة الشلال .

وكان أول من كشف عن هذه اللوحة هو الرحالة والأثرى « فيلبور » (Wilbour) عام ١٨٨٩م[١]. وقد قام فى الحال بترجمتها ونشرها الأثرى « بروكش »[٢] ثم ترجمها الأثرى « بليت »[٣] . ثم جاء بعده الأثرى « دى مورجان » ونقل متن هذه اللوحة فى عام ١٨٩٤[٤] . وهذه النسخة أحسن من سابقتها ، غير أنها مع ذلك تحتوى على أخطاء . وبعد ذلك ترجم لنا كل من « فنديه » فى كتابه عن القحط فى مصر القديمة (عام ١٩٣٦) ومن بعده أورد « جون ولسون » و « بريتشارد » فى مجلة متون الشرق

---

(١) Wilbour Travels, p. 515.

(٢) Die biblischen Sieben Jahre der Heingersnoth. (1891).

(٣) Plyte, Compte Rendus de l'Académie des Sciences d'Amsterdam, (1892), 3e Série, T. III.

(٤) De Morgan, Catalogue des Monuments et inscriptions de l'Egypte, T. 1.

الأوسط (عام ١٩٥١ م) بعض فقرات من هذه اللوحة . يضاف إلى ذلك أن الأثرى الكبير الأستاذ « زيته » كان قد ذكر بعض حقائق هامة عن هذه اللوحة فى مقالين هامين عن «دوديكاشوينوس » Dodekaschinos (١٩٠١) وعن « أمحوتب » (١٩٠٢ م) ؛ غير أنه لم يقدم لنا إلا ترجمة جزئية . وفى الغالب لم تكن ترجمة حرفية . هذا وقد ترجم الأستاذ « كيس » فقرة من هذه اللوحة[١] أيضاً .

وأخيراً قام الأثرى «بول بارجيه» (Paul Barguet) بفحص هذه اللوحة والتعليق عليها تعليقاً شاملا ممتعاً إعتمدنا عليه فى كثير من النقاط .

اختلاف الآراء فى صحة تاريخ هذه اللوحة

لقد اختلفت الأراء فى صحة نسبة هذه اللوحة إلى عهد الملك « زوسر » مؤسس الأسرة الثالثة على الرغم من أنها نقشت فى العهد البطلمى . فيقول الأستاذ « زيته » أن هذا المتن قد أعيدت كتابته على إثر زيارة قام بها « بطليموس العاشر » فى رحلة له فى منطقة « الشلال ».أما الأستاذ « كيس » فيقول أن هذه اللوحة حديثة العهد وأن الغرض من نقشها فى هذا المكان الذى هى فيه هو تعظيم عبادة الإله « خنوم » من جديد ، وكذلك إعادة تثبيت سيطرة هذا الإله الذى يمثل فى صورة كبش على إقليم الأثنى عشر ميلا (Dodekaschene) . وأخيراً يقول الأثرى « بول بارجيه » أن هذه اللوحة ألفت فى عهد « بطليموس الخامس » وفى اعتقادى أن هذا هو الرأى الأقرب إلى الصواب جداً .

---

(١) Kees (Religionsgeschichtlichen Lesbuch Aegypten. P. 21; and Kees. Gotterglaube, p. 416.

وصف اللوحة

تدل الظواهر على أن هذا المتن قد وضع فى صورة لوحة . فقد مثل فى الواقع فوق المتن ، منظر يشاهد فى نهايته الملك « زوسر » يخطو نحو اليمين تعلوه سماء ترتكز على عمد . ويلبس الملك التاج المزدوج ويرتدى قميصاً قصيراً فوقه ثوب فضفاض . والظاهر أنه كان يقدم البخور ، كما يدل المتن ، لوالده « خنوم » سيد بلاد النوبة . وجاء تحت صورة الملك اسمه ولقبه : « حور » (نترخت) ؛ « حور » الذهبى : « جسر » .

ونقش خلفه : الحماية لكل الحياة والقوة .

هذا وتقدم القربات للثالوث المقدس آلهة الشلال .

فيشاهد أولا الآله « خنوم - رع » برأس كبش متوجاً بتاج آتف . وجاء معه المتن التالى :

« كلام قيل على لسان « خنوم - رع » سيد الشلال والآله العظيم سيد الفنتين والمسيطر على بلاد النوبة : إنى أحمل لك الفيضان فى ميقاته كل عام .

ثم نشاهد بعد ذلك الإلهة سوتيت (ساتيت) تلبس على رأسها قبعتها الخاصة بها محلاة بقرنين . وجاء معها المتن التالى : « كلام قيل على لسان « سوتيت » العظيمة سيدة الفنتين وسيدة النوبة » .

وأخيراً نشاهد الآلهة « عنقيت » ترتدى على رأسها ريشاً وجاء معها المتن التالى :

« كلام قيل على لسان « عنقيت » سيدة « سهيل » . . . . . التى تشرف على بلاد النوبة » .

ثم يأتى بعد هذا الثالوث والمتون التى تتبعه ، متن اللوحة نفسه ويحتوى على اثنين وثلاثين سطرا عمودية نقشت من اليمين إلى الشمال .

وتنحصر موضوعات هذا المتن فيما يأتى :

أولا : موضوع القحط

« السنة الثامنة عشرة من عهد « حور » (نترخت) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى صاحب السيدتين : «نترخت» ، «حور الذهبى» : «جسر» ، عند ما كان متسلطاً ، الأمير النبيل حاكم أملاك الجنوب ورئيس النوبيين فى الفنتين « مسير » (Mesir) ، وقد خُبّر : أن هذا المرسوم الملكى لأجل أن تكون على علم بأنى كنت فى حزن على عرشى العظيم ، وأن أولئك الذين كانوا فى قصرى كانوا فى أسى وقلبى كان فى غم شديد ، لأن الفيضان لم يأت فى ميقاته مدة سبع سنوات ، فكانت الغلة قليلة ؛ إذ قد يبست الحبوب ، وكل ما كان يؤكل كانت كميته قليلة ، وكل إنسان كان مصاباً فى دخله ، وأصبح الفرد غير قادر على المشى ؛ وكان الطفل يبكى ؛ والشاب أصابه الوهن . وقلوب المسنين فى حزن ؛ فكانت أرجلهم مطوية قعوداً على الأرض فى داخلها ، و (حتى) رجال البلاط كانوا فى حاجة ، وكانت المعابد موصدة والمحاريب يخيم عليها التراب (وبالاختصار) كان جميع ما هو كائن فى حزن[1]

---

(١) يلحظ فى وصف هذا القحط الترتيب المنطقى الصحيح فى سرد حوادثه ومفعوله : فنجد أن كاتبه بعد مقدمة جاء فيها ذكر سبب حزن الملك وهو توالى سبع سنين عجاف يرجع سببها إلى عدم انسجام فيضان النيل سنوياً وشح مائه ، ثم أردف ذلك بالتحدث عن النتيجة التى نجمت عن ذلك موضحة فى نقطتين الأولى قلة محصول الحبوب والثانية الجوع الذى تسبب عن ذلك عند الأهالى صغيرهم وكبيرهم ، وحتى عند رجال البلاط والدين من جهة أخرى ، ثم ختم حديثه للحاكم « مسير » بكلمتين وهما : ذاالحزن العام .

نداء للإله « احوتب »

فاستمع لما جاء فيه على لسان الملك :

(وبعد ذلك) حبب إلى أن أعود إلى الماضى فسألت رجلا من موظفى « إبيس » (الإله تحوت) وهو رئيس الكهنة المرتلين « لأمحوتب » بن « بتاح » الذى فى جنوبى جداره : فى أى مكان ولد النيل ؟ وأية مدينة للمتموج(١) تقع هناك ؟ وأى إله يسكن هناك ليساعدنى ؟ فقام (وقال) : سأذهب إلى قصر المصيدة (= محراب الإله «تحوت» فى الأشمونين) وهو مصمم على أن يكون قلب كل إنسان شجاعاً فيما يفعل ، وسأدخل قاعة السجلات وسأتصفح الكتب القديمة وسأسير على هديها .

وعلى ذلك ذهب ثم عاد نحوى فى لحظة ، وأعلمنى بفيضان النيل . . . . وكل الذى تحتويه وقد كشف لى عما هو مدهش وخفى . فقد مشى نحوها الأجداد ، ولكن لا يوجد ملك قد عمله منذ البداية .

الأمور التى كشف عنها كاهن « احوتب »

وقد صرح لى بما يأتى : توجد مدينة فى وسط الماء . والنيل يحيط بها واسمها الفنتين ، وهى بداية البداية ، وأنها مقاطعة البداية (الواقعة) قبالة « واوات » (= إقليم أسوان) وهى مرتفع أرضى ومرتفع سماوى وإنها عرش « رع » عند ما يقرر إرسال الحياة لكل إنسان ؛ وحلاوة الحياة هو اسم مأواها ، والهوتان هو اسم الماء (أى ماء النيل) وهما الثديان اللتان توزعان

---

(١) المقصود هنا بطبيعة الحال النيل نفسه وأمواجه . والمعنى بالضبط هو : الذى يلتوى فى سيره كالثعبان . هذا ونعلم أن كل مقاطعة كانت تعبد إلهاً فى صورة ثعبان يمثل الجزء من النيل الذى يخصب اقليمها (راجع Maspero Etudes de Myth. Arch. Eg. II p. 414.

وتتصرفان فى جميع الأشياء ، وأنها قاعة الولادة (اسم بيت الولادة فى «دندره» حيث يولد النيل كل سنة) ؛ وأن النيل يعود إلى شبابه فيها فى ميقاته (ويمنح البلاد الحياة قاطبة) . . . . وأنه يمنح الزيادة ، وينزو منقضاً كفتى يأتى امرأة (وهذه العبارة تذكرنا بتوحيد النيل بالإله « أوزير » الذى يمثل غالباً بالثور فى عهد البطالمة) . ويبتدئ ثانية ليصبح رجلا شاباً قلبه نشطا . ويندفع بارتفاع قدره ثمان وعشرين ذراعاً (فى الفنتين) ثم يسرع نحو « البلمون » فيبلغ ارتفاعه فيها حوالى سبع أذرعا .

ويكون هناك « خنوم » بمثابة إله . . . . ونعلاه موضوعان على أسفل الموجة وهو قابض على مزلاج الباب فى يده ، ويفتح المصراعين كما يريد . وأنه أبدىٌّ هناك بوصفه الإله « شو » سيد التسعة ورئيس الحقول ، وقد سمى كذلك بعد حساب أرض الوجه القبلى والوجه البحرى التى كانت توزع على كل إله ، وذلك لأنه هو الذى يتحكم فى الشعير . والطيور والأسماك وكل ما يعيش منه الإنسان . وكان هناك حبل مساحة ولوحة أدوات كتابة . وكان هناك سنادة من الخشب على هيئة صليب صنعت من قطع خشب «سون» ليزن بها ما على الشاطىء (أى كل الأشياء التى كانت موضوعة على الشاطىء) . وقد كلف بذلك الإله « شو » بن «رع » سيد العطاء (وزير الزراعة) ومعبده مفتوح من الجهة الشمالية الشرقية (أى معبد الإله خنوم وقد اختفى الآن) ويشرق « رع » فى واجهته كل يوم . ومياهه ثائرة فى جهته الجنوبية مسافة ميل وهى حائط (أى المياه) تفصله عن النوبيين كل يوم . وتوجد سلسلة جبال فى موقعه الشرقى فيها كل أنواع المواد الثمينة وأحجار المحاجر الصلبة وكل ما يبحث عنه لبناء كل معبد فى الوجهين القبلى والبحرى ، وكذلك حظائر الحيوان المقدس

والمقابر الملكية وكل التماثيل التى تنصب فى المعابد والمحاريب . وكل محاصيلها مجتمعة قد وضعت أمام الإله « خنوم » وحوله ، وفى الوقت نفسه توجد هناك نباتات كبيرة خضراء ، وكل أنواع الزهور التى توجد من أول الفنتين حتى « بيجه »[1] فى الشرق وفى الغرب (يعنى النباتات والأزهار) .

ويوجد فى وسط النهر المغمور بالماء منذ عودة شبابه السنوى (أى فيضانه) مكان لراحة الجميع . وعلى كلا الشاطئين صنع هذه الأحجار . ويوجد فى النهر قباله هذه المدينة — الفنتين نفسها — مرتفع فى الوسط وهو ردىء فى ذاته ، ويسمى « كروفى » (Krofi) الفنتين .

تعلم أسماء الآلهة الذين فى معبد « خنوم » وهم : سوتيس أنوكيت (سوثيت وعنقت) و « حعبى » و « شو » و « جب » و « نوت » . و « أوزير » و « حور » و « أزيس » و « نفتيس » .

تعلم أسماء الأحجار الكائنة هناك فى وسط الدائرة التى على الحدود (أى) التى فى الشرق والغرب (أى التى على شاطىء قناة الفنتين والتى فى الفنتين والتى فى الوسط شرقاً وغرباً والتى فى وسط النهر وهى : حجر « بخن » (وهو حجر بزاميت = البازلت) والجرانيت وحجر « مختبتب » (Mhtbtb) وهو حجر لونه أخضر وحجر « رعجس » وحجر « وتشى » (wtsy) أو « تحى » (وهو نوع من الحجر لونه أبيض ذكر فى العهد المتأخر فقط) ويوجد فى أقصى الشرق ؛ وحجر برجن (وهو على حسب

(١) أن ذكر « بيجة » هنا ليس بالأمر المستغرب وذلك لأننا نعرف أنه يوجد هناك « أباطون » أى قبر « أوزير - النيل » النيل المظيم الذى من عرقه تولد الأشجار والأزهار ومن جهة أخرى فان الآله « خنوم » يدعى رئيس « سنمت » (أى أباطون) وكذلك يدعى الإله « شو » ساكن « بيجة » (راجع Junker Onoris legende p. 7.)

رأى بركش لونه أخضر كرنبى) ، فى الغرب ، وحجر «تشى» (من المحتمل أنه نفس الحجر « وتشى ») فى الغرب وفى النهر .

تعلم أسماء المعادن الثمينة التى فى المحاجر فى الجزء العالى من النيل — ويوجد بينها ما يبعد أربعة أميال : : ذهب وفضة ونحاس وحديد ولازورد وفيروزج ونحنت (حجر لونه أخضر) ويشب[١] أحمر وحجر « قع » (= حجر ثمين من بلاد النوبة من بين أحجار أخرى) ، وحجر « منو » (وهو البللور الصخرى الذى يعمل منه بعض الأوانى وبخاصة اللازمة منها لشعيرة فتح الفم) والزمرد (= برقت) وحجر « تم ـ اقر » ومعنى هذه الكلمة هو : الذى لا غبار عليه ويحتمل أنه البللور الصخرى ؛ وخلافاً لذلك « نشمت » (وهو نوع من حجر الفلدسبات الأبيض والأزرق) ، وحجر « تامحى » (= حجر غير معروف كنهه) ، وحجر « حماجت » (يجوز أن معناه الزمرد) وحجر « بتس ـ عنخ »[٢] (= حجر من بلاد النوبة) ، والكحل الأخضر ، والكحل الأسود ومغراة حمراء من مادة « حرست »[٣] ، و « ميمى » (= حبوب من بذور زراعية ، وطينة تحتوى على بياض من بلاد النوبة[٤] وكان المصريون المفتنون يستعملونها لطلاء المقابر) فى هذا الإقليم .

وعند ما علمت ما تحتويه (المدينة) انشرح قلبى ؛ ومنذ أن سمعت التحدث عن ماء الفيضان أمرت بفك الكتب من أربطتها ، وأمرت بعمل تطهيرات ، وكذلك أمرت باقامة مواكب وأمرت بتقريب قربات كاملة

---

(١) راجع Jequier Materiaux, p. 121.
(٢) راجع W.b. I, 480, 7.
(٣) راجع Lucas A. Eg. 392.
(٤) راجع Gardiner Wilbour Pap. II, 118.

من الخبز والجعة والطيور والثيران ومن كل شيء طيب لآلهة وآلهات الفنتين الذين ذكرت أسماؤهم (والمعنى المقصود هو أن الملك قد انشرح صدره فى الجملة السابقة من المواد التى يشتمل عليها إقليم الفنتين ، ولكن القربات التى كان سيقدمها للآلهة الذين يثوون هناك ستجلب رضاهم حتى يرسلوا هذا الفيضان الذى تحدث عنه كاهن « امحوتب » ، وهو ما تصبو إليه نفسه ، ومن ثم كان جواب الإله « خنوم » عندما يزور الملك فى الحلم) .

الرؤيا

والواقع أنه عند ما استولى على النوم فى هدوء رأيت (فى الرؤيا) الإله واقفاً أمامى فهدأته بالصلاة والتضرع إليه وقد شرح نفسه فى محبة لى وقال : إنى « خنوم » فاطرك ، وذراعايا خلفك ، لأجل أن أضم جسمك ، ولأجل أن تصير أعضاؤك فى صحة جيدة ؛ وإنى أورد لك مواد ثمينة تلو المواد ، ثمينة بما لم يعرف من قبل ، ولم يعمل منها حتى الآن أى عمل — لبناء المعابد ، ولإصلاح ما أفسد ، ولعمل تركيب محاجر العيون لصاحبها[1] — وذلك لأنى السيد الذى يخلق ، وإنى أنا الذى خلق نفسه ، وإنى « نون » العظيم جداً ، والذى وجد منذ بداية الزمن ، وإنى « حعبى » الذى يجرى على حسب مشيئته ، والذى يصوغ الناس ، والذى يقود كل إنسان إلى حينه (لحظته) ، وإنى « تاتنن » ، والد الآلهة ، وإنى الإله « شو » العظيم رب العطاء ؛ وتوجد لناووسى فتحتان ، وقد أمرت بفتح البركة له لإنى أعرف « حعبى » فهو الذى يروى الحقول رياً يضم الحياة لكل أنف — وعلى حسب ما يسقى من

(١) المقصود هنا عملية كانت تجرى فى عهد الدولة القديمة بوجه خاص ثم أعيد استعمالها فى عهد البطالمة وهى عبارة عن ترصيع أحجار سوداء وبيضاء لأجل عمل إنسان العين وقرنيتها لتعطى حيوية لرؤوس التماثيل .

الحقول فانها تستمر حية — وإنى أجعل النيل يزيد من أجلك ، ولن تكون أعوام بعد حيث ينقص فيها الفيضان من أجل أية أرض ، والأزهار ستنبت وتنثنى تحت اللقاح . وإنى سأعمل على أن يكون قومك فى فيض ، ويملؤن أيديهم معك . وسينتهى الجدب الذى يجلب القحط فى مخازن غلالهم ، وسيأتى المصريون مسرعين وستينع الأراضى ، وذلك لأن الفيضان سيكون ممتازاً ، وستكون قلوبهم منشرحة أكثر من ذى قبل .

المرسوم الملكى

وعندئذ استيقظت (من نومى) ، فى حين أن أفكارى أخذت تعود إلى مجراها ، وبعد أن أزلت عن نفسى خمولها أصدرت هذا المرسوم فى صالح والدى « خنوم » : قربان ملكى للإله « خنوم رع » رب الشلال ورئيس بلاد النوبة ، وفى مقابل ما تفعله لى أقدم لك « مانو » بوصفه حدك الغربى و « بايخو » بوصفه حدك الشرقى (يقصد بذلك أنه يمنحه جبال « مانو » وجبال « بايخو » التى تقع فى شرقى مصر وغربيها حدوداً لبلاده) من أول « الفنتين » إلى « تاكومبسو » لمسافة ١٢ ميلا غرباً وشرقاً من حقول وصحارى ونهر فى كل ميل من الأميال المعدودة .

وأن كل أولئك الذين يكدحون فى الحقول معطين الحياة ثانية كل ما كان نائماً على الأرض وذلك بسقى الشواطىء وكل الأراضى الجديدة ، يقيمون فى الأميال المذكورة ويحملون محاصيلها إلى مخازنك .

وفضلا عن ذلك فان نصيبك الذى فى مدينة الفخ (= الأشمونين) وكل صيادى الأسماك وكل صيادى طيور وماشية صغيرة وكل صيادى أسود فى

الصحراء ، سأفرض عليهم ضريبة العشر من محصولهم الكلى ، وكذلك كل الحيوانات الصغيرة التى تلد أناثاً فى الأميال المذكورة سأحفظها جميعاً .

ويلزم أن تعطى الحيوانات الموسومة كلها كقربات محروقة وقربات يومية ، وكذلك حقائب الذهب والعاج والأبنوس وشجر الخروب ، ومادة النوبة البيضاء والمغرات الحمراء (سهرت) والنباتات — « ديو » ، والنباتات « نفو » ، والخشب من كل أنواع الأشجار وكل ما تجلبه بلاد « خنت-حن-نفر » (بلاد النوبة) لمصر وكل ما يحصده مصرى من متأخر الضرائب بينهم .

ويجب ألا تكون هناك أية خدمة إدارية لإعطاء أوامر فى هذه الأمكنة وألا يحجز أى شىء ، بل يجب أن يحافظ على كل شىء لصالح محرابك .

وإنى أقرب لك هذه الضيعة (أى الاثنى عشر ميلا) بما فيها من صخور وأراض على ألا يكون هناك فرد (ينتقص شيئاً منها) ، ولكن يسكن فيها كتابك ومراقبو الحبوب بوصفهم مسجلون يعلنون ما يجب أن يورده العمال والحدادون ورؤساء أصحاب الحرف وصياغ الذهب و .... والعبيد وفرقة العبيد الذين يشكلون هذه الأحجار يجب أن يوردوا ذهباً وفضة ونحاساً وقصديراً ومكاييل حبوب ومأكولات ، وما يجب أن يعطيه كل رجل يشتغل معهم وذلك بأن يدفع بأجرٍ من كل ذلك ، وأن يدفع بأجرٍ من المعادن الثمينة من المحاجر وهى التى يؤتى بها من أعالى النهر ، والأحجار التى فى الشرق ، وأن يكون هناك رئيس يزن كميات الذهب والفضة والنحاس والمعادن الثمينة الحقيقية ، وهى التى سيبنها النحاتون فى حجرة الذهب (= أى المخازن والمعامل التى يحفظ فيها الذهب المخصص لصناعة التماثيل والأشياء الإلهية) لصناعة التماثيل ولأجل إصلاح التماثيل التى نالها عطب ، وكل مواد

العبادة الناقصة هناك . كل ذلك سيوضع فى المخزن إلى أن يصنع من جديد ، وسيعمل الإنسان كل ما يحتاج إليه المعبد إلى أن يصبح كما كان عليه فى بادىء الأمر .

نقش هذا المرسوم على لوحة فى مكان مقدس فى مكتوب ، وذلك لأنه قد حدث كما قيل ، وعلى لوحة تكون فيها الكتابات المقدسة فى المحاريب مرتين ، وأن من سيبصق عليها سيكون عرضة للعقاب . وعلى رؤساء الكهنة المطهرين ورئيس مستخدمى المعبد أن يعملوا على أن يكون اسمى باقياً فى معبد « خنوم رع » سيد الفنتين والقوى أبدياً .

تعليق على لوحة القحط — أهميتها وتأريخها

لا نزاع فى أن ما جاء فى متن هذه اللوحة من معلومات منقطعة النظير عن هذا الجزء من الدولة المصرية يدل دلالة واضحة على أن واضعه كان من أبناء هذه البيئة بعينها وأنه كان عالماً بكل جزئيات هذا الإقليم الذى يسمى « الاثنى عشر ميلا » . وليس هناك من شك فى أنه أحد رجال الدين الذين كانوا يعتنقون مذهب الإله « خنوم » رب هذه المنطقة . ولا نستغرب — بعد قراءة عما فى هذه المنطقة من ثروات معدنية وصناعية وفنية — أن يحرص كهنة الإله « خنوم » على أن تكون كل هذه الثروة فى أيديهم وأن يعملوا جهد طاقتهم على إغراء الملك الحاكم وقتئذ فى أن يجعلها من أملاك الإله الأعظم لهذه المنطقة هو وثالوثه . وما جاء فى المرسوم الذى أصدره هذا الفرعون يدل دلالة لا ريب فيها على أن الكهنة قد عرفوا كيف يستميلونه من الجانب الدينى وبخاصة أنهم ادعوا أن هذه الامتيازات التى طلبوا إليه تنفيذها كانت

خاصة بهم منذ الملك « زوسر » مؤسس الأسرة الثالثة ومن بناة مجد مصر . فهل هذا صحيح ؟

الواقع أن المتن الذى ترجمناه هنا وفحصنا بعض نقاطه مؤرخ بالسنة الثامنة عشرة للملك يدعى « نتر - خت » فاذا كان المقصود به هو الملك « زوسر » مؤسس الأسرة الثالثة المصرية فعلا ، فان هذا التاريخ يكون أقدم تاريخ عرف لنا عن هذا الملك من الآثار ؛ غير أن البحوث اللغوية تدل صراحة على أن متن هذه اللوحة قد ألف فى العهد الإغريقى أو بعبارة أخرى فى العهد البطلمى وهذا بطبيعة الحال ما يضعف صحة هذا الزعم . يضاف إلى ذلك أن الآثار التى خلفها لنا الملك « زوسر » لم تقدم لنا تاريخاً واحداً من عهده . هذا من الوجهة الأثرية إما من حيث ما تركه لنا المؤرخون الإغريق فقد ذكر لنا « مانيتون » أن الملك «توزوتروس»(Tosorthros) أى « زوسر » قد حكم تسعة وعشرين عاماً . غير أنه مما يؤسف له أننا لا يمكننا الاعتماد على ما ذكره لنا هذا المؤلف من حيث التأريخ المصرى بوجه عام وعن التأريخ للملك « زوسر » بوجه خاص لأن تأريخه طويل بما لا يقبله العقل . ولا أدل على ذلك من أن ورقة « تورين » التى تقدم لنا تواريخ ملوك مصر من أقدم العهود حتى الدولة الحديثة قد خصصت خمسين عاماً للأسرة الثالثة بأسرها ، فى فى حين أن « مانيتون » قد خصص لنفس الأسرة ٢١٤ عاماً .

ومن ثم يتساءل الإنسان ماذا يمكن أن نفكر فى تاريخ عام ١٨ من عهد « حور - نترخت » ؟ ومن جهة أخرى يقول المتن الذى نحن بصدده الآن أن « زوسر » لما كان مهتما بأن يعيد إلى قومه الرخاء الذى حرموا منه منذ سبع سنين بسبب عدم انتظام مياه النيل ، قرر أن يعود إلى الماضى ويسأل عدداً

من مستخدمى عبادة (الإله) « أمحوتب »[1] وهو وزير قديم كانت معلوماته العظيمة قد رفعته إلى مرتبة إله . وعلى ذلك فانه إذا كان الملك يلجأ إلى نداء الرجل الذى يعتبر من رجال الماضى ، فانه ليس الملك « زوسر » نفسه الذى يقوم بهذا النداء . وعلى ذلك فان العام الثامن عشر الذى إفتتح به المتن يمكن أن يعود إلى السنة الثامنة عشرة من حكم الملك الذى وضع هذا المرسوم . وعلى ذلك فان اسم « زوسر » يخفى تحته اسم ملك آخر وهو اسم أحد البطالمة . وذلك لأن المتن من العهد البطلمى .

وعلينا الآن أن نبحث من كان « بطليموس » هذا الذى يمكن أن ننسب إليه متن « سهيل » بصورة تكاد تكون صحيحة ؟

والواقع أن ذكر « امحوتب » هنا له أهمية رئيسية ، وذلك لأن هذا الحكيم فى الواقع هو الصانع من جديد للخيرات العميمة . وإذا كان هذا الملك الذى لا نعرف اسمه حتى الآن قد قرر تقديم قربات ومخصصات تحبس على الإله « خنوم » وهذه لفتة سنكشف أهميتها الحقيقية فيما بعد — فهل لا يمكننا أن نفكر فى أنه قد قام بعمل مكرمة كذلك « لإمحوتب » ؟ والجواب على ذلك نعم . إذ فى الواقع يوجد فى جزيرة الفيلة معبد كان قد أقيم هناك وأهدى للإله « أمحوتب » . والملك الذى أقام معبد « أمحوتب » هذا هو « بطليموس الخامس » . على أن ذكر الإبن البكر للملك فى الإهداء الإغريقى

---

(١) يلحظ أن أمحوتب فى هذا المتن قد جمع الألقاب التى كانت تنسب لهذا الوزير (مثل الكاهن المرتل الأول) على أن النعوت التى نسبت إليه فى العهد المتأخر قد جعلت منه إلهاً فأسمته ابن « بتاح » الذى خلف جداره .

الذى نقش على عتب باب معبد « أمحوتب »[1] إنما يدل على أن هذا المعبد لا بد كان قد أقيم على أكثر تقدير فى العام التاسع عشر أو العشرين من حكم هذا الفرعون . وعلى ذلك فان هذا الملك يستوقف التفاتنا بوجه خاص .

هذا ولدينا نقطة أخرى هامة فى المتن الذى نحن بصدده يجب أن نتعرف على قيمتها ومدلولها : وذلك أن القربان المقدمة للإله « خنوم » كانت من كل الإقليم المسمى « دوديكاشين » الممتد من أسوان حتى « تاكومبسو » ومعنى ذلك بوجه الاجمال ضم كل هذا الإقليم الواقع فى بلاد النوبة السفلى إلى سلطان ملك مصر وجعله ملك التاج . وأننا إذا رجعنا إلى الحقائق التاريخية المعروفة فيما يتعلق بهذا الجزء الجنوبى من مصر إلى عهد يذهب بنا إلى ما بين عهدى « بطليموس الرابع » و « بطليموس السادس » لرأينا أن ملكاً نوبياً يدعى « إرجامنيز » كان يحكم إقليم « دوديكاشين » (الاثنى عشر ميلا) بوصفه تحت حماية « بطليموس الثانى » ، وأنه فى عهد الملك « بطليموس الخامس » كانت العلاقة بين مصر وبلاد النوبة قد فسدت مع خلفاء « ارجامنيز » ، هذا فضلا عن قيام ثورة فى البلاد على يد زعيم مصرى استقل باقليم «طيبة» ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل ، وبعد ذلك نعلم أن « بطليموس السادس » قد استعمر هذا الجزء من بلاد النوبة كما يشهد بذلك خلع اسمى « كليوباترا » و « فيلوتريس » على مدينتين من مدن هذا الإقليم ، ولا نزاع فى أن ذلك كان نتيجة للعداوة التى كانت سائدة منذ ذلك العهد بين ملك مصر والأسرة النوبية الحاكمة . ولدينا نقش من عهد

---

(١) راجع Mahaffy: The Empire of the Ptolémies, p. 314.

(٢) راجع L.D. IV, 27 b. et 88. d.

« بطليموس السادس » فى الفيلة يتحدث عن « الدوديكاشين » وعن ضريبة العشر من محاصيله . وعلى ذلك فانه يحق لنا أن نقول أن هذا الاستعمار قد بدأ منذ عهد « بطليموس الخامس » إذ هو الذى عاقب — فى السنين الأخيرة من حكمه كما ذكرنا من قبل — الثورة التى قام بها حكام النوبة فى عام ١٩ من حكمه ، وهى السنة التى صدر فيها مرسوم بعد نهاية العصيان الذى قام فى إقليم «طيبة» . ومن الجائز أن اسم حاكم « الفنتين » وهو « مسير » ومعناه « الذى يحضر من جديد العين » قد يكون فيه تورية لإعادة هذا الإقليم لمصر كما أحضرت عين حور له من هذه البلاد بعد فقدانها ؛ ومن جهة أخرى يلحظ أن لقب هذا الحاكم وهو « حاكم أملاك الجنوب » هو ترجمة للكلمة الإغريقية (épistratege) وهى وظيفة لم تظهر إلا فى عهد«بطليموس الخامس». وأخيراً لدينا نقطة أخرى ثالثة تعضد الرأى القائل أن هذه اللوحة عملت فى عهد « بطليموس الخامس » وهى أن الاضطرابات الخطيرة التى وقعت فى عهد كل من « بطليموس » الرابع والخامس معلومة لنا وهى التى يرجع سببها بلا نزاع إلى أمور سياسية ؛ ولكن نعلم من جهة أخرى أنه قد زاد فى حدتها إصابة البلاد بقحط يرجع سببه جزئياً إلى سوء الإدارة فى البلاد . ولا أدل على ذلك من أنه قد قدمت شكاوى باستمرار لكل من « بطليموس » الرابع والخامس خاصة بالإهمال فى تسهيل رى الأراضى التى تتوقف عليها حياة الشعب . والغريب فى ذلك أن هذه الشكاوى قد أهمل أمرها ، ولم يصل إلى مرسليها أية إجابة من الحكومة . ولقد كان فى مجىء النيل منخفضاً السبب الكافى لحدوث القحط ، يدل على ذلك أنه فى هذا العهد بلا نزاع يرجع تاريخ شكوى قدمها مالك أطيان من الجنود المرتزقة اسمه « فيلوتاس » Philotas من أهالى «أبوللينوبوليس» Apollinopolis وقد شكى كما يقول : من الجفاف

والقحط ، وذلك لأنه فى خلال ثلاث سنوات لم يرو النيل بصورة كافية حقل[1].

وعلى أية حال لم تعد الطمأنينة إلى البلاد إلا فى عام ١٨٦ ق . م وهو التاريخ الذى أستؤنف العمل فيه فى إقامة معبد « ادفو » بعد أن كان قد أوقف بسبب الثورات التى كانت قائمة فى الوجه القبلى . وهذا التاريخ يقابل السنة التاسعة عشرة من حكم « بطليموس الخامس » .

وإذا كانت نقوش حجر الرشيد التى ألفت فى الوقت الذى عادت السكينة العابرة إلى البلاد فى عام ١٩١ ق . م قد تحدثت عن فيضان كان بوجه خاص حال فى العام الثامن من حكم «بطليموس الخامس» ، فانه من الممكن أن نفكر فى أنه قد أتى بعد ذلك عهد فياضانات منخفضة . وإذا كان الملك من جهة أخرى قد خاطب « أمحوتب » بطريقة غير مباشرة لأجل أن ينجى البلاد من القحط فما ذلك إلا لأن هذا الحكيم المؤله قد أعتبر إذ ذاك بأنه الصورة الوقورة لـ « خنوم » الفنتين الإله الذى يحكم مدخل النيل فى مصر والفيضان السنوى .

بقى علينا الآن أن نفهم السبب الذى كان قد حدى « ببطليموس الخامس » أن يخفى نفسه تحت اسم « نترخت - زسر » . والمفتاح لحل هذه المسألة يظهر أنه يكمن فى حادث هام أفاد منه « بطليموس الخامس » : والمقصود هنا حادث تتويج الملك . وذلك أن « بطليموس الخامس » هو فى الواقع على حسب الرأى العام أول ملك بطلمى كان قد توج فى « منف »

---

(١) راجع Fouilles Franco-Polonaises, Tell Edfu III (1950) p. 333-334.

(٢) راجع L. D. IV, 18; Sethe Imhotep, p. 18.

كما تحدثنا عن ذلك من قبل ؛ وعلى حسب الشعائر القديمة وجدت جماعة الكهنة المصريين الذين وفدوا من جهات مختلفة من مصر أنه قد تألف عقدهم فى معبد « بتاح » ، وبذلك نجد أنهم بهذه الصورة قد أعادوا رباط تقليد قديم كان « زوسر » مؤسس الأسرة الثالثة والحكومة المنفية هو الصانع له وذلك بمساعدة وزيره « أمحوتب » (الذى كان معبده فى منف) ، وعلى ذلك فإنه ليس من المدهش أن نجد « بطليموس الخامس » ينسب نفسه إلى عترة الفرعون الذى جعل من « منف » فى الأزمان القديمة عاصمة للمملكة المصرية ؛ ويحتمل أن نأخذ فى الاعتبار اللقب الذى كان يحمله « بطليموس الخامس » وهو اسم العبادة الذى خلعه الإغريق عليه وهو الترجمة للقبه بالمصرية وهو الإله الذى يظهر نفسه أو المشرق وهو بالإغريقية « ثيوس إبيفانس » Θεός Επιφανής . غير أن الكلمة « جسر » التى تترجم بكلمة رفيع أو سامى فإنها تؤدى معنى « الظهور الإلهى » . وكلمة «جسر» هى نفس الكلمة السامية أو العربية « جسر » أى الشىء العالى . وعلى أية حال فإن هذه الكلمة قد فسرت خلافاً للملك بالنعت الذى يحمله الملك « زوسر » وهو « نترى - خت » « إلهى الجسد » . وعلى ذلك لن يكون من المدهش أبداً أن يكون هذا التشابه فى النعت الذى كان قد منح له مع اسم مؤسس الأسرة الثالثة[1] وذلك لفائدة « بطليموس الخامس » .

هذا ونحن لا نجهل الميول الدينية الخفية « لبطليموس الخامس » فهى

---

(١) ولا بد أن نلحظ هنا أن الإسم « جسر » فى اللوحة التى نحن بصددها هو الإسم « حورس » الذهبى للملك ، والظاهر أنه كان هنا معتبراً بأنه مجرد نعت .

أما فيما يخص اسم « نترى — خت » (= إلهى الجسد) فقد كان يحمله كل من « بطليموس » السادس و « بطليموس » الحادى عشر بوصفه الاسم الحورى .

معلومة تماماً ، إذ نجده يبحث بكل شغف للحصول على كل حماية إلهية . وأنه كان يجتهد فى تقوية عبادة الملك[1] .

وبالاختصار فان لوحة القحط تؤرخ بعام ١٨٧ ق . م ، وأنها مرسوم أصدره « بطليموس الخامس » ذكر فيه بشكل تصويرى عودة الأقاليم الجنوبية المصرية إلى التاج ، وكذلك تأمين البلاد بالهدوء والسعادة التى كانت تنعم بها فى الأزمان الخالية .

وختاماً بالنسبة لما جاء فى هذه اللوحة من نقوش خاصة بالنيل نذكر شيئاً عن موضوع القحط الذى يظهر أنه هو موضوع نفس لوحتنا هذه .

حقاً نجد أن الأثرى « بركش » فى كتابه الذى وضعه عن هذه اللوحة قد سماه : « سبع السنوات القحط » التى جاء ذكرها فى التوراة . وبذلك قرب سبع السنوات التى تحدثت عنها التوراة بسبع سنوات القحط التى جاءت فى لوحة «سهيل» ، غير أن هذا التقارب قد انتقد بسرعة جداً بأنه فرية .

وأنه قد يكون من خطل القول أن يعتبر أحد المتنين بأنه ذكرى للآخر ، وذلك لأن تقارب أحدهما من الآخر لا ينبغى رفضه بتاتا . هذا ويوجد تقليد عام يحدثنا عن سبع سنوات عجاف قد ثبت تداوله فى كل الشرق الأدنى القديم ، فلم يكن وجوده إذا قاصراً على مصر ، بل كذلك وجدناه فى تقاليد « أوجاريت » وحتى فى « بوغازكوى »[2] عاصمة بلاد « الخيتا » . والمقصود هنا على ما يظهر حدوث دورة مقدارها سبع سنين قحط تليها دورة أخرى مقدارها سبع سنوات رخاء .

(١) Jouguet, L'Egypte Ptolemaique p. 182-4.

(٢) H. Gordon, Sabbatical Cycle or Seasonal Pattern dans Grientalia 22 (1953), p. 110.

وفى مثل هذه الحالة لا يجب ألا يؤخذ رقم سبع سنوات بمعناه الحرفى بل يؤخذ على أنه يعنى دون أى شك عدداً هاماً من سنين القحط وأن تتابعها يمكن أن يظهر بمظهر إلهى ، وأن القحط كان يعد من ألعن المصائب التى كانت تصيب الشرق القدم .

وتدل شواهد الأحوال على أن القحط فى متن «سهيل» كان سببه أكثر من فيضان للنيل غير كاف . إذ من الجائز أن يكون الفيضان قد أتى فى غير الوقت المناسب ، فاما أن يكون قبل ميعاده بزمن طويل أو بعد ميعاده بزمن طويل ، ومن أجل ذلك يقول المتن : أن النيل لم يأت فى ميقاته خلال سبع سنوات » . ولكن عند ما استولى « بطليموس الخامس » من جديد على إقليم الشلال قد أصبح فى مقدوره أن يراقب منابع النيل فى « الفنتين » ، وبذلك أمن بصورة ما مياه النهر إنتظامها الموسمى .

الآثار التي أقامها «بطليموس الخامس»

أو أصلحها أو جاء اسمه عليها

١ ــ معبد الكرنك المجموعة الوسطى

معبد آمون ــ المدخل لقاعة العمد ــ الباب الغربي :

(١٩) تشاهد أربعة صفوف يرى فيها «بطليموس الخامس» أمام آلهة . ويشاهد في الصف الثالث منها «بطليموس السادس» يتعبد أمام «بطليموس الخامس» و «كليوباترا» [1].

٢ ــ معبد «آمون رع» : يشاهد ضمن المباني الإضافية في حرم المعبد الكبير على قائمة الباب الشمالية طغرا آت الملك «بطليموس الخامس» [2].

٣ ــ معبد «تحوت» (قصر العجوز) : يشاهد في منظر قربات ، الملك «بطليموس السابع» يتعبد أمام «بطليموس الخامس» و «كليوباترا» الأولى [3].

٤ ــ طهنة : توجد نقوش إغريقية للملك «بطليموس الخامس» في طهنة وهي منقوشة في الجزء الأعلى من لوحة محفورة في الصخر ومع هذه النقوش صورة إله وصورة «أوزير» [4].

٥ ــ المدمود : وجدت بعض قطع من الحجر في معبد «المدمود» عليها

(١) راجع P. and M. II, p. 15.

(٢) راجع Ibid., p. 71.

(٣) راجع Ibid., p. 195.

(٤) راجع P. and M. IV, p. 180.

طغراء الملك « بطليموس الخامس » مما يدل على أنه كان قد قام ببعض إصلاحات أو بعض مبان هناك[1].

٦ — معبد اسنا : يشاهد على واجهة حجرة العمد التى من عهد البطالمة ، الملك « بطليموس السابع » يقدم قرباناً سائلا أمام والديه « بطليموس الخامس » و « كليوباترا » الأولى ، هذا ويشاهد على واجهة معبد « خنوم » الشمالى طغراآت « بطليموس الخامس »[2] .

٧ — معبد ادفو : ممر الخزانة (١٣٩) يشاهد عندالمدخل لقاعة العمد ثلاثة صفوف من النقوش « لبطليموس الخامس وزوجه « كليوباترا » الأولى[3] .

٨ — الحجرة الخامسة : يشاهد على قاعدة الجدار سطر من النقوش باسم « بطليموس الخامس » و « كليوباترا »[4] .

---

(١) راجع P. and M. V, p. 147.

(٢) راجع Champ. Notices Descr. I. 284; P. and M. VI, p. 118.

(٣) راجع P. and M. VI, p. 139.

(٤) راجع P. and M. VI, p. 142.

آثار بطليموس الخامس فى بلاد النوبة والواحات

معبد الدكه : جاء ذكر « بطليموس الخامس » على العمد التى عند مدخل معبد الدكه[1]

كلبشة : مقصورة الإله « ددون » إله بلاد النوبة[2]

نسب بعض علماء الآثار هذه المقصورة للملك « بطليموس العاشر » غير أن شواهد الأحوال تدل على أن الذى أقامها هو « بطليموس الخامس »[3] وقد اقترح الأثرى « جوتييه » بحق أن ينسب هذا المعبد إلى الملك « بطليموس الخامس » ، وذلك لأن جزء الطغراء الذى بقى لنا ينطبق على اسم « بطليموس الخامس » وأن قراءة « لبسيوس » لهذه الطغراء لا تنطبق على الحقيقة[4] .

وهاك ما يشاهد على هذه المقصورة من مناظر (أنظر التصميم) .

(٦٦) الباب الداخلى: يشاهد على قائمة الباب الشمالية صفان من النقوش مثل فيهما الملك يقدم صورة ماعت (= العدالة) للاله « شو » (أو « تحوت ») ويتقبل رمز الحياة من « ماندوليس » Mandulis وهو الآله الأعظم فى معبد « كلبشة » وهو بالمصرية القديمة = « مر — ور »، ويعتبر بمثابة إله الشمس[5] . وعلى القائمة الجنوبية يوجد صفان من النقوش مثل فيهما الملك « بطليموس

---

(١) راجع Roeder Der Tempel von Dakke (Les Temples Emergés de la Nubie) II, Pl. 9 pp. 124, 125-6

(٢) راجع Porter & Moss, vol. VII, p. 12.

(٣) راجع Gauthier, Le Temple de Kalabsha, T.I. p. 328 & 330.

(٤) راجع L.D. Texte V. p. 44,

(٥) راجع Blackman, Dandur p. 80

الخامس » يقدم العين السلمية (= وزات) للاله « ارسنوفيس » كما نطقه الكتاب الإغريق وهو بالمصرية القديمة (= «ارى حمس نفر» = الرفيق الطيب) وقد كان لقباً ينادى به الإله « شو » زوج الإلهة « تفنوت » أخته . وهو آله نوبى[1].

(٧٠) يشاهد فى الصف الأعلى الملك يقدم الصولجان للآلهة « أوزير » و« أزيس » و « حور » ، كما يقدم آنية للاله « مندوليس » والآلهة « بوتو » ، ويقدم النبيذ للاله « شو » ؟. وفى الصف الثانى يقدم الملك للاله « مندوليس » و«المندوليس» الصغير ، ويقدم طاقة من الزهور وطيوراً « لمندوليس» الصغير و « بوتو » ، كما يقدم لبناً لإله شاب . وفى الصف الثالث يقدم الملك رمز الحقل للآلهة « أوزير » و « أزيس » و « حور » ، والنبيذ للآله « أرسنوفيس » (؟) وللإلهة « تفنوت » كما يقدم صورة العدالة للآله « مندوليس » (؟) .

(٧١) يشاهد هنا فى الصف الأعلى الملك يقدم البخور للآلهة « خنوم » و « ساتيس » و أنوكس (= ثالوث الشلال) والعين السليمة ، « وزات » للآله « مندوليس » وللآلهة « بوتو » ، كما يقدم طوقا (؟) للإله « أرسنوفيس » وفى الصف الثالث يقدم الملك قرباناً للآله «آمون » (؟) وللآلهة موت (؟) وللآله « مندوليس » الصغير ، ثم يقدم آنيتين من القربان السائل للإلهين « مندوليس » و « بوتو » كما يقدم البخور للإله « شو » (أو « تحوت ») .

(٧٢) يشاهد هنا فى الصف الأعلى منظر مزدوج يقدم فيه الملك النبيذ للإله « أرسنوفيس » والبخور للإله « تحوت » . وفى الصف الأسفل يشاهد

(١) راجع Bonnet Realexikon Der Agyptischen Religion Geshichte p. 53-4.

كذلك منظر مزدوج يقدم فيه الملك الطعام للإله « مندوليس » والبخور والقربان السائلة للآله « أرسنوفيس » (؟)[1].

الواحة الخارجة : عثر فى الواحة الخارجة على قطع من الحجر عليها اسم الملك « بطليموس الخامس » و « كليوباترا » فى شمالى معبد « هيبيس » فى داخل حرم المعبد[2].

---

(١) راجع Gauthier Ibid Pl. CIV (B) pp. 328-30. L.D.IV. 42d.

(٢) راجع Porter & Moss VII, p. 290

عصر بطليموس السادس



(١) = وارث الإلهين الظاهرين الذى خلفه « بتاح » المختار من «رع» ، الذى يقدم العدالة لأمون .

(٢) = « بطليموس » العائش أبدياً محبوب « بتاح » .

مدة حكم « بطليموس السادس »

حكم « بطليموس السادس » على أرجح الأقوال من ٢٠ مايو سنة ١٨٠ ق . م إلى ١٢ فبراير سنة ١٧٠ ق . م ومن ٢٤ مايو ١٦٣ إلى ٢٧ سبتمبر ١٤٥ ق . م .

على الرغم مما لدينا من وثائق عدة كشفت عنها الحفائر الحديثة من عهد البطالمة فانه توجد فجوات كبيرة فى تاريخ هذه الأسرة . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن ما وصل إلينا من الكتاب القدامى الذين عاصروا ملوك البطالمة لم يأت إلينا من كتاباتهم أحياناً إلا نتف صغيرة لا تشفى غلة . ولا أدل على ذلك من أن المؤرخ « بوليبيوس » الذى عاصر « بطليموس السادس » بالذات لم يصل إلينا مما كتبه عنه إلا النذر اليسير ؛ إذ قد فقد معظم ما كتبه ولم نعد نركن فى كتابة تاريخه إلا على ما تجود به أرض مصر من الكنوز المختفية فى باطنها من وثائق بردية ولوحات أثرية ، وغير ذلك مما يكشف لنا النقاب عن تاريخ تلك الأسرة ، وبعض المصادر الأغريقية أو اللاتينية الثانوية .

أسرة بطليموس الخامس وتولى العرش بعده

وعلى أية حال تحدثنا الآثار بأن « بطليموس الخامس » ترك من خلفه بعد وفاته المفاجئة ثلاثة أطفال من زوجه « كليوباترا » السورية الأصل ، وهى ابنة « أنتيوكوس الثالث » كما أشرنا إلى ذلك من قبل . فكان له ولدان وأنثى . فالذكران كان يحمل كل منهما الإسم التقليدى للأسرة وهو « بطليموس » . وحملت الابنة اسم أمها « كليوباترا » . وقد تولى عرش الملك أكبر الذكرين باسم « بطليموس السادس » وهو فيما بين الخامسة والسادسة من عمره . وكانت أمه بطبيعة الحال الوصية على العرش . وقد نعت « بطليموس السادس » بلقب « فيلومتور » أى المحب لأمه . وقد ادعى بعض المؤرخين أن الوصاية على عرش البطالمة فى عهد هذا الملك وفى عهد والده من قبل كانت لروما لما كان لها من سلطان فى تلك الفترة من تاريخ العالم المتمدين . والواقع كما يقول المؤرخ « بوشيه لكلرك » أن وصاية « روما » لم تكن إلا مجرد أسطورة ابتدعتها الأسرة ، ويرجع أصلها إلى السياسة الرومانية التى أرادت أن تحمى الأسرة البطلمية عند مسيس الحاجة ، وذلك على الرغم من هذه الأسرة .

وتدل الظواهر على أن الوصاية لم تكن فى يد واحد بعينه من عظماء الرومان ، ولكن فى يد مجلس الشيوخ الرومانى الذى كان يهيمن على الجمهورية الرومانية فى الداخل والخارج[١] ، وبخاصة بعد انتصارها على القائد « هنيبال » القرطاجنى انتصاراً ساحقاً فى ميدان القتال مما جعلها سيدة العالم المتمدين من الآن فصاعداً عدة قرون .

---

(١) راجع Bouché — Leclerq: Histoire des Lagides II, p. 2 note 1.

وصاية كليو بترا الأولى على عرش الملك

هذا لما كان « بطليموس السادس » لا يزال فى طفولته فان أمه «كليوباترا» لم تسمح لأحد غيرها بأن يدير شؤون البلاد الداخلية والخارجية ، ومن ثم كانت سياستها على النقيض مما حدث فى عهد والده « بطليموس الخامس » الذى كانت مدة حكمه سلسلة وصايات تولاها أفراد لم يكن لهم مطمح إلا إعلاء شأن أنفسهم على حساب الملك الصغير .

وقد كان هم « كليوباترا » عند ما أخذت مقاليد الحكم فى يديها أن تبذل كل جهودها فى رعاية أطفالها بنفسها ، ومن أجل ذلك نجد أنها لم تعر أذناً صاغية لإغراءات الذين يفدون عليها — كما كان متوقعاً — من بلاط أخيها « أنتيوكوس الرابع » ملك سوريا ؛ وكان الأخير يسعى لعقد معاهدات مع مصر لتفيده فى مقاومة « أتالوس » ملك « برجام » ، وكذلك للوقوف فى وجه الرومان . وكان من الطبعي أن ينتهز « أنتيوكوس الرابع » فرصة استمالة أخته « كليوباترا » وأن يجعلها تنضم إلى جانبه فى هذا النضال بوصفها المسيطرة على شؤون مصر ، ولم يكن هذا بالأمر المستغرب ، وبخاصة عند ما نعلم أن الأصل فى زواج « بطليموس الخامس » من « كليوباترا » أخته كان لعقد روابط الألفة بين البلدين ؛ غير أن « بطليموس الخامس » كما رأينا من قبل قد انحرف عن هذه السياسة لأنه رأى أن ذلك من مصلحة مصر .

سياسة كليوبترا الأولى

وقد تبعته زوجه «كليوباترا» فى سياسته هذه ؛ عاملة على أن تكون سياستها التحالف مع «روما» . وقد رأت «كليوباترا» بعد موت زوجها أنه حرصاً على

ملك ابنها أن تبقى على ولائها لروما ، وباتباع هذه السياسة قد برهنت على بعد نظر ودهاء ؛ لأن انحرافها عن سياسة محالفة « روما » كان فيه خطر على ملك ابنها ؛ ومن أجل ذلك نجد أنها لم تحد عن السياسة التى رسمها زوجها فى إدارة الملك حتى حضرها الموت حوالى عام ١٧٤ — ١٧٣ ق . م ، وكانت لا تزال فى زهرة الشباب . وعلى أية حال لم يحدثنا التاريخ بصورة أكيدة عن تاريخ موتها ، فقد اختلف المؤرخون المحدثون فى توقيته .

هذا ، وقد أطلق على الملك الصغير لقب « فيلومتور » أى محب أمه . وهذا اللقب ينطبق على « كليوباترا » التى أحبت ابنها كثيراً فعملت كل ما فى وسعها للمحافظة على ملكه .

غزو « انتيوكوس » الرابع لمصر

لقد عملت « كليوباترا » طوال مدة حياتها على أن تبقى مصر بعيدة عن الحروب ، وذلك على الرغم من أن زوجها « بطليموس الخامس » كان قبل وفاته يفكر فى شن حرب على السليوكيين لإسترجاع « سوريا الجوفاء » ، ولكن على أثر وفاتها ، وقع الملك الصغير فى براثن رجال القصر الذين كانوا ملتفين حوله وبخاصة الخصى « يولاوس » (Eulaeos) وعبد آخر من أصل سورى يدعى « لناوس » (Lenaeos) . وقد أصبح هذان الرجلان هما الوصيان عليه . ومنذ تلك اللحظة نجد الخصيين يلعبان دوراً فى بلاط البطالمة . وتحدثنا الأخبار على أنهما عملا ما فى وسعهما لتدريب هذا الملك الغر على الدعارة ، وأن يسلك سلوك المخنثين بحيث ينصرف عن شؤون الملك تاركاً بذلك كل شىء يتعلق بادارة حكم البلاد فى أيديهما حتى بعد بلوغه سن الرجولة . وتدل الأخبار على أنهما سارعا فى إعلان تقليد الملك حكم البلاد

فعلا عند ما بلغ السن القانونية ، كما أعلنا زواجه من أخته « كليوباترا » التى أصبحت تلقب « كليوباترا الثانية » . وقد كان هدف هذين الوصيين من القيام بذلك هو التخلص من تدخل « روما » فى شؤون مصر . وكانت « روما » وقتئذ تنظر إلى ملوك مصر بأنهم تحت وصايتها أرادت مصر أم لم ترد . ولا أدل على ذلك من أنه فى خلال عام ١٧٣ ق . م — على ما يظن — عند ما علم الرومان بموت « كليوباترا » ، أرسل مجلس الشيوخ الرومانى إلى الإسكندرية بعثا مر عن طريق «مقدونيا» ليتحقق من أن « برسوس » ملك هذه البلاد كان يقوم فعلا باستعدادات للحرب التى أعلنها « ايمنيس » ، وقد كان البعث مكلفاً فى الوقت نفسه بتجديد عهود المودة والصداقة مع مصر[1] .

وقد كان من جراء حضور بعث مجلس الشيوخ إلى مصر أن اتخذ هذان الوصيان —غير الرسميين— الأهبة لحماية ظهريهما بجعل البلاد تسير على نظام حكم قانونى محدد ، ومن ثم توج الملك وأصبح هو الحاكم للبلاد . ولا نعلم شيئاً قط عن المراسيم التى أقيمت لتتويج الملك وزواجه . والظاهر أن ذلك قد حدث عام ١٧٢ ق . م . ولا نزاع فى أن المبدأ الذى وضعه الملك « بطليموس الخامس » فى موضوع إقامة مراسيم التتويج فى « منف » على حسب الشعائر المصرية القديمة كان هو الذى اتبع فى تتويج « بطليموس السادس » ، وكذلك فى زواجه من أخته « كليوباترا الثانية » والظاهر أن الحفل بتتويجه كان قد أقيم قبل زواجه . وقد لقب « بطليموس السادس » رسمياً « فيلومتور » . وكان هذا الملك يبلغ من العمر عند زواجه السادسة عشرة ، وكانت أخته وزوجه « كليوباترا الثانية » أصغر منه سناً وقتئذ . وقد أصبحا منذ زواجهما

(١) راجع Liv., XL II, 6.

يعبدان باسم الإلهين المحبين لوالدتهما . ومن ثم أصبح من المؤكد أن عرش أرض الكنانة يحتله زوجان ملكيان توافرت فيهما كل التقاليد الفرعونية القديمة التي أهلتهما لتولي عرش مصر . وقد حدث ذلك في عام ١٧٢ — ١٧١ ق . م . وقد رأى الملك وزوجه أنه من الصواب لإثبات توليهما عرش الملك والقبض على زمام الأمور أن يظهرا أمام الشعب وأمام كهنة المعابد ، ومن هنا نجد أثار ذلك في معبد « دابود » في نقش حفر على بوابته . وهذا النقش يحدثنا عن تحية يقدمها الملك « بطليموس السادس » وزوجه الملكة « كليوباترا » ، وذلك بوصفهما الإلهان المحبان لوالدتهما وللإلهة « إزيس » وللإله « سرابيس » وللآلهة الذين يسكنون المعبد[1] .

النزاع على سوريا الجوفاء

وعلى أية حال لم يمض طويل زمن على هذا الزواج في سلام وطمأنينة ؛ لأن موت الملكة « كليوباترا الأولى » قد أثار من جديد موضوع « سوريا الجوفاء » التي كانت موضع نزاع بين أسرة البطالمة في مصر والسليوكيين في الشرق منذ عهد « بطليموس الأول » . وقد رأينا من قبل أن « أنتيوكوس الثالث » كان قد قدم هذا القطر مهراً لابنته « كليوباترا » . وقد اختلفت الآراء في تكييف هذه الهبة . فمن قائل أن هذا القطر نفسه كان قد أعطى مهراً « لكليوباترا » ، ومن قائل أن الملكة قد أعطيت خراجه وحسب ؛ ومن ثم قامت المنازعات على تفسير العقد الذي أبرم بين الطرفين المتعاقدين . وقد بقي الخلاف مستمراً لدرجة أن « بطليموس الخامس » كان يستعد في أواخر

---

(١) راجع Boeckh, Corpus Inscriptionum Graecarum 4979; Letrone I, 10, Strack n. 87.

أيامه لشن حرب على « أنتيوكوس » للاستيلاء على هذا القطر ؛ ولكن الموت اختطفه قبل أن ينفذ ما أراد . وقد كانت الفرصة سانحة أمامه لنيل مأربه ، لأن صهره « سليوكوس الرابع » « فيلوباتور » كان لا حول له ولا قوة من جراء شروط معاهدة « أبامى » (Apamée) التى انتزع الرومان بموجبها من « أنتيوكوس الثالث » كل ممتلكاته شمالى جبال « توروس » ؛ وقد زاد الطين بلة أنه لم يكن محبوباً فى « روما » وقتئذ ، إذ كان المظنون فيه بحق أنه كان يطمح بصورة غامضة فى القيام بالانتقام لما حاق ببلاده . هذا ويتساءل الإنسان عما إذا لم يكن مجلس الشيوخ قد فكر فى عزل هذا الملك ، وذلك فى الوقت الذى قتل « سليوكوس الرابع » هذا على يد وزيره « هليو دوروس » عام ١٧٥ ق . م . وعلى أية حال نجد فى هذا الوقت أن ابن هذا الملك المقتول وهو الذى كان قد أرسل إلى « روما » ليحل هناك محل أخ « سليوكوس » ، المسمى « أنتيوكوس » . وكان قد وصل فى الوقت المناسب بمساعدة ملك « برجام » ليخلف أخاه على عرش الملك ، فكان ذلك لسوء حظ ابن أخيه غير أن من بقى من أبناء سوريا الموالين أو على الأقل أولئك الذين كانوا يسعون فى التحالف مع مصر قد رأوا أن استقلال بلادهم وأسرهم المالكة قد صدمت صدمة جديدة بتولى هذا الملك الجديد .

وقد كان الأمل عظيماً أمام ملك « سوريا » الجديد « أنتيوكوس الرابع » إذ كان على صلة عظيمة مع الرومان ، لأنه كان قد أمضى ما يقرب من أربعة عشر عاماً من سنى شبابه فى « روما » حيث عاش عيشة الألفة والمحبة بين الأسر الرومانية العريقة فى المجد ، ومن ثم نجده عند ما غادر « روما » ترك خلفه أصدقاء أصحاب جاه وسلطان .

وتدل شواهد الأحوال على أنه كان رجلا نبيلا فى أخلاقه إذ لم ينس عند ما أرسل « أبوللونيوس » إلى « روما » عام ١٧٣ ق . م أن يذكره بذكرياته فى هذا البلد بقوله أنه قد عومل من كل الطوائف معاملة ملك لا معاملة رهينة[1] . ولا بد أن « أبوللونيوس » قد تحسس مجريات الأمور فى « روما » وتأكد من أنه إذا وقعت حرب مع مصر فان سيده لن يكون مكتوف اليدين فى هذه البلاد . وفى تلك الأثناء كانت فكرة إعلان الحرب على مصر قد إختمرت فى ذهنه . وتدل الظواهر على أنه لم يكتف وقتئذ بالمحافظة على « سوريا الجوفاء » وحسب ، بل المظنون أنه امتنع عن الاستمرار فى دفع خراج هذا الإقليم الذى كان يعتبر ملكاً للملكة « كليوباترا » ، يدفع لها سنوياً ، غير أن ملك « سوريا » قال عن هذا الخراج أنه كان بمثابة معاش تتقاضاه « كليوباترا » من « سوريا » طوال مدة حياتها وبموت « كليوباترا » انتهى الأمر . بيد أن الفكرة فى الإسكندرية كانت على عكس ذلك . فقد كان المظنون أن أخلاف « كليوباترا » لهم الحق فى تقاضى دخل بلاد «سوريا الجوفاء» بوصفها ارثاً شرعياً ورثوه عن أمهم ، وادعوا أن الإتفاق الذى أبرم فى هذا الصدد يؤكد ذلك ، بل وبالإستيلاء على هذا القطر نفسه فعلا . ولا نزاع فى أن هذه كانت مسألة قضائية وأن هذا كان موضع نزاع يفصل فيه المدعى العام ، ولا تزال هذه المسألة موضوع أخذ ورد حتى يومنا هذا بين المؤرخين الذين يتناولون هذا الموضوع . نذكر من بينهم « استراك » و « كوتشمد » ، و « مومسن » و « فلكن » ، و « مهفى » وهؤلاء قد تأثروا بما كتبه كل من « بوليبيوس » و « ديدور » وهما فى جانب ما ادعاه السوريون

---

(١) راجع Liv., XLII, 6.

فى حين أن « فلاث » (Flathe)و « درويسن » (Droyser) و « هلم » و « استراك » (Strach) يتمسكون بالرأى الذى اعتنقه « ليفى » و « سنت جيزوم » وهما فى جانب ما ادعاه المصريون . والواقع أن الحق فى مثل هذه المسألة يكون فى جانب من بيده القوة كما جرت العادة .

ومهما يكن من أمر فان الوصيين على عرش البطالمة تغلب عليهما الكبرياء وسوء التصرف وأخذا يستعدان للحرب علناً وصرخا بصوت عال أمام جماعة من الشعب معلنين — بأساليبهما التى تنطوى على الغرور — بأنهما سيجنيان النصر باستمالة الحاميات السورية بيسر وسهولة بقوة المال[1]. يضاف إلى ذلك أنهما كانا يعتقدان أن « أنتيوكوس الرابع » ، كان يخاف بأس الرومان الذين كانوا وقتئذ يحمون مصر . ومن ثم يكون ذلك سبباً فى شل قوته . وفضلا عن ذلك صورت لهما قلة تجاربهما وقصر نظرهما أنه سيكون فى مقدورهما أن يهاجما « سوريا » ويستوليان عليها ، بل وأكثر من ذلك سبح بهما الخيال إلى أنه سيكون فى استطاعتهما أن يخضعا كل امبراطورية « أنتيوكوس » . وأخيراً عرضا فضلا عن ذلك على الرومان مساعدتهما على قهر « مقدونيا »[2].

والواقع أن رأى هذين الوصيين — الذى كان ملؤه الغرور والزهو وسوء التفكير — قد خدم مشاريع « أنتيوكوس » وخططه . ومن ثم رحب باعلان الحرب عليه من خصمين — استولى عليهما الزهو وحب الفخار — ، وبخاصة أنه لن يظهر أمام « الرومان » بأنه المبادر بالهجوم ، بل أنه سيقف موقف

(١) راجع Diod., XXX, 16, cf. XXX, 2. Liv., XLII, 29.

(٢) راجع Liv., Ibid.

المدافع عن أملاكه . وعلى ذلك فان هذين الوصيين عند ما أخذا يقومان ببعض عمليات حربية صغيرة عند الحدود تدل على عزمهما على خوض غمار الحرب ، فان « أنتيوكوس الرابع » خرج من موقف الرجل المنتظر الهجوم عليه ، وقبل أن ينقض على عدوه المتحفز ، استشهد بالرومان على أن مُصر تهاجمه من غير وجه حق ؛ ومن أجل ذلك أرسل بعثاً من قبله إلى « روما » حيث قابل بعثاً آخر هناك أرسله بلاط « الإسكندرية » على عجل عام ١٧١ ق . م[١]. على أن « أنتيوكوس » فى الواقع لم يكن يرتكن على عدالة مطلبه أمام مجلس الشيوخ الرومانى أكثر من اعتماده على الورطة التى كانت الجمهورية الرومانية واقعة فيها وهى الحرب التى كانت مستعرة وقتئذ بينها وبين « برسيوس » (عام ١٧١ — ١٦٨ ق . م) . وقد أصيب فيها « الرومان » بهزيمة لم تكن فى الحسبان مما أضعف جيشها وحد من سلطانها .

وعلى أية حال لم يكن فى عزم « أنتيوكوس » أمام كل هذه الأسباب أن ينتظر موافقة مجلس الشيوخ الرومانى . بل جعل الحرب أمراً واقعاً . وقد كان موقف مجلس الشيوخ بين الفريقين المتخاصمين موقف من يستمع بأذن مشتتة للبراهين التى كان يقدمها كل من الطرفين على سلامة موقفه . فمن جهة ، كان مبعوثو ملك « سوريا » يقدمون البراهين على أحقيتهم فى تملك « سوريا الجوفاء » بما لهم من حق الفتح ولامتلاك هذا القطر بالإضافة إلى « فينيقيا » منذ واقعة « بانيون » التى تحدثنا عنها فى غير هذا المكان ؛ ومن جهة أخرى كان رجال السياسة المصريون يجيبون على ادعاءآت أعدائهم بالاحتجاج الملىء بالألفاظ العاطفية قائلين أن « أنتيوكوس » قد اغتصب حق الملك الطفل

(١) راجع Polyb., XXVII, 17. XXVIII, I Diod., XXX, 2.

اليتيم ، ولكن دون أن يقدموا أى برهان يدل على أحقية ملكية هذا الملك الطفل « لسوريا الجوفاء » ، ولكى يضحدوا ما قدمه خصمهم من براهين قوية . وكانت أكبر دعامة ارتكن عليها المصريون لتقوم مقام كل برهان يقدمه الخصم ، هى أنهم كانوا أصدقاء الشعب الرومانى وبخاصة أن هذه الصداقة كانت قد جددت حديثاً . غير أن القنصل « أميليوس ليبيدوس » (Aemilius Lepidus) منع المصريين عن أن يتمادوا إلى النهاية ، ونصحهم بألا يقدموا لمجلس الشيوخ وساطتهم الودية لتسوية خلاف مع « برسيوس » ملك «مقدونيا» . وعلى أية حال فان الوفد المصرى قد عاد إلى مصر وهو مثقل بعبارات المديح والشكر ، وبالكلمات الدبلوماسية التافهة المعسولة . أما «أنتيوكوس» فقد أجابه مجلس الشيوخ بأنه قد كلف « مارسيوس فيليبوس » (Marcius Philypus) — وكان أعلم الرومان بأمور الشرق . وكان وقتئذ فى بلاد الإغريق على رأس أسطول — بأن يكتب فى هذا الموضوع « لبطليموس السادس » بالمعنى الذى يراه موافقاً على حسب اعتقاده الشخصى . ولسنا فى حاجة إلى القول بأن جواب مجلس الشيوخ كان يدل على مهارة حاذقة ، إذ نجده لم يقيد نفسه بشىء أبداً ، ولم يترك مجالا لأى قرار ؛ إذ قد وضع الأمر فى يد مفاوض بليغ دون أن يطلب إليه أى جواب معين يمكن الإنسان أن يعتمد عليه أو يستنكره .

هذا ولما كان « أنتيوكوس » قد تتلمذ على مدرسة « روما » السياسية ، فانه لم يكن ساذجاً بل استغل موقف تظاهر الوصيين على « بطليموس » وتلويحهما بالحرب بمثابة إعلان للدخول فى حومة الوغى . ومن ثم لم يترك لهما مجالا للتقدم نحو هدفهما ، بل سبقهما بالزحف بجيشه على مصر فى ربيع

عام ١٧٠ ق . م دون أن يعير أية التفاتة لما عساه أن يقرره « مارسيوس فيليبوس » . والظاهر أن « أنتيوكوس » قد اختار لميقات هجومه على مصر فصل التحاريق إذ كان النيل فى نهاية عام ١٧١ عقبة أمامه ، ومن ثم كان « بطليموس الخامس » لا يزال حراً فى ١٨ توت من السنة الحادية عشرة من حكمه أى فى أول نوفمبر عام ١٧١ ق . م[1] وفى تلك الأثناء كان جيشه يتحرك وهو يجر وراءه معدات وكنوز كثيرة ؛ هذا إلى أثاث فاخر كان الغرض منه شراء ذمم حماة المدن السورية . وتقابل الجيشان فى منتصف الطريق ما بين جبل « كاسيوس » و « بلوز » . وقد كان فى مقدور « أنتيوكوس » أن يقضى على الجيش المصرى بحد السيف ، ألا أنه رأى أنه من الحكمة والفائدة معاً ألا يطلق السيف فى رقاب العدو ، بل أراد أن يستولى عليهم أسارى . وكان من جراء هذه المعاملة الإنسانية أنه كسب شهرة الرحمة والرفق بين صفوف الأعداء ، مما سهل عليه بعد ذلك مشروعه العظيم الذى كان يرمى به إلى الاستيلاء على مصر جملة ، أو على الأقل استغلالها لنفسه . ومن ثم أراد أن يستعمل الخداع لا العنف (وعلى حسب ما جاء فى التوراة[2] أن « أنتيوكوس » دخل مصر على رأس جمع من الجنود والعربات والفيلة والسفن) ، ومن أجل ذلك سيطر على جيوشها . وبدلا من الدخول فى معركة دخل فى مفاوضات . وكان بعمله هذا يحسب حساب ما سيأتى بعد وهو تدخل « الرومان » ، وأنهم عندئذ سيجدونه قد سار فى حربه مع العدو بما يجعلهم فى صفه ولا يأخذون عليه شيئاً فى تصرفاته . وعلى ذلك فانه بعد هزيمة العدو لم يتابع سيره مباشرة نحو « بلوز » ، بل رضى بابرام هدنة ، على أن تسلم

---

(١) راجع Strack. p. 197, 20.

(٢) راجع Machabées 1, I, 18

إليه البلدة ويحتلها فعـــلا بجنوده[1] . ولا نعلم كثيراً عما كان ينطوى عليه سلوكه من حيث الإخلاص فيما صرح به . وهذا هو ما سماه « المؤرخ « بوليبيوس » خدعة لا تتفق كثيراً مع أخلاق ملك[2]. هذا ويلحظ فى الوقت نفسه أن المؤرخ « ديدور » يكرر نفس النقـــد الذى ذكره « بوليبيوس » بنفس التعبير ، ومن ثم يحتمل أنه نقله عنه أما عن التفسير المرتبك بعض الشئ ، الذى قدمه « ديدور » عن هذه الخدعة الحربية التى لا تقابل بالاحترام وهى التى ذكرها فى مكان آخر ، فيستخلص من قول هذا المؤرخ أن لومه كان ينحصر بوجه خاص فى الدسائس التى أمكن بها « انتيوكوس » من أن يقبض على الملك « بطليموس السادس » بمجرد استيلائه على القصر الملكى[3]

وهـــذه المكائد والدسائس قـــد تبدو لنا غامضة بعض الشيء إذ قد يكون من الجائز أن « أنتيوكوس » قـــد ساعدته الأحـــوال فى تلك المسألة بما أظهره الوصيان من هلع وجبن أكثر من أى عامل آخر . وفى الحق يظهر جلياً على حسب ما ذكره المؤرخ « ديدور » أن كلا من « يولاوس » و « لناوس » قد قاد الجيش بنفسه إلى الكارثة التى انصبت على البلاد فى « بلوز » . إذ لم يكن أى منهما على استعداد للقيام بمثل هذا العمل العظيم ، ولأن أحدهما كان قد ترك مشطه وعطوره والآخر ودع كتابة قصصه وحكاياته ليتسلم قيادة معركة يتوقف عليها مصير أرض الكنانة دون أن يكون لواحد منهما أية دراية بحمل السلاح أو أية معرفة بفنون الحرب . وقد زاد

---

(١) راجع Diod XXX, 18.

(٢) راجع Polyb., XXVIII, 7, 16.

(٣) راجع Diod XXX, 18, 1 & 2.

الطين بلة أنه لم يكن برفقتهما أى قائد ماهر ليكون مستشاراً لهما فى ساحة القتال. وهكذا نرى هذين الغرين يندفعان إلى حومة الوغى لمواجهة جيش جبار حسن القيادة . وقد كانت النتيجة الحتمية أن هزما هزيمة مخزية . وعندئذ خشيا أن تغلق خلفهما أبواب « بلوز » وأن يقعا فى قبضة « أنتيوكوس » على أيدى المصريين أنفسهم الذين كانوا يكرهونهما أشد الكره . وكانت النتيجة التى لا مفر منها لموقفهما الحرج هذا أن سعيا للمفاوضة مع العدو ، وقد رحب بذلك « أنتيوكوس » لأنه كان يرغب فى أن يترك زمام الأمور فى مصر فى أيدى مثل هذين الرئيسين ، ومن أجل ذلك منحهما هدنة كانت فى نظرهما غاية فى السماحة .

ولا نعلم كيف قابل أهالى الإسكندرية هذين الوصيين اللذين أفعما العالم بتفاخرهما وادعاءاتهما قبل الدخول فى المعركة التى قضت على سمعة البلاد وسمعتهما . وإذا كانت هناك حسنة يمكن ذكرها لهذين الغرين فانها تنحصر فى أنهما قد تقبلا صدمة الهزيمة بنفسيهما دون أن يجرا الملك « بطليموس السادس » معهما إلى ساحة القتال . وحتى مع بعد « الإسكندرية » عن ساحة القتال قد أصبح مكث الملك فيها من الأمور غير المضمونة العواقب . غير أنه لدينا رواية أخرى تقول أن الملك بعد أن هزم فى الموقعة على يد « أنتيوكوس » هرب إلى « الإسكندرية »(١) . هذا ويؤكد لنا المؤرخ « بوليبيوس » على الرغم مما فى قوله من شك كبير ، أن الخصى « يولاوس » قد أغرى الملك « بطليموس السادس » بأن يحمل كل كنوزه ويترك البلاد للعدو ويولى وجهه شطر « ساموتراس » التى كانت اللجأ

---

(١) راجع : Jean d'Antioche F.H.G., p. 558.

العادى للملوك المخلوعين من عروشهم أو المجرمين الذين نفوا من العالم[1] . ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن مؤرخ العصر « بوليبيوس » يندى جبينه خجلا من هذه النذالة ، ولكنه ينسب كل الخزى والعار إلى الخصى نفسه ؛ لأن « بطليموس السادس » كما سنرى بعد قد أظهر ما يدل على شجاعته وإقدامه . هذا ولا يرى « بوليبيوس » فى هذا الخصى إلا جباناً يعـــدى جبنه كل من اقترب منه . وعلى أية حال لم يجعل منه هذا المؤرخ خائناً ، إذ لم يدر بخلده أن مثل هذا الخور فى العزيمة الذى لا يمكن تصديقه كان متفقاً عليه من قبل مع « أنتيوكوس » .

---

(١) راجع Polyb., XXVIII, 17a.

احتلال أنتيوكوس للبلاد المصرية

ومهما يكن من أمر فان «أنتيوكوس» لم يكن يحلم يوماً ما أنه سيصل إلى حل أحسن من الذى جاء به القدر إليه ووضعه بين يديه وهو تسليم « بطليموس السادس » له . والآن يتساءل الإنسآن عن سر الطريقة التى أمكن بها « أنتيوكوس » أن يجعل الملك « بطليموس السادس » يأتى إليه صاغراً ليتحدث معه ؟ فهل كانت هذه المقابلة فى « بلوز » أم كان « أنتيوكوس » قد زحف بجيشه حتى أصبح على مشارف الإسكندرية ، ومن ثم لم يكن فى مقدور « بطليموس » مغادرة « الإسكندرية » دون أن يتفاوض مع عدوه ؟

وقد تحدث إلينا « بوليبيوس » عن موضوع هرب « بطليموس » إلى « ساموتراس » لا بوصفه مشروعا متفقا عليه بل بوصفه عملا مخجلا يلحظ فيه التأثير الخبيث الذى وضعته روح خبيثة فى روح شريفة بريئة . والظاهر مع ذلك أن هذا المشروع كانت قد اتخذت الخطوة الأولى لتنفيذه . ومهما يكن من أمر فان « أنتيوكوس » قد تقابل مع « بطليموس » وأولم له وليمة عظيمة[1] وفى أثناء ذلك قدم « أنتيوكوس » لابن أخته « بطليموس » معاهدة صلح للتوقيع عليها ، وبمقتضاها كان الدمار التام الذى نزل بهذا الملك الفتى . ومن ثم يحدثنا المؤرخ « بوليبيوس » عن نقض العهد الذى عقده « أنتيوكوس » على نفسه للملك « بطليموس » الفتى . أما المؤرخ « ديدور » فانه يقول فى حديثه عن خدعة « بلوز » : إن « أنتيوكوس » بعد أن استعرض رفق والده وحسن تصرفه بالنسبة لوالديه . فانه على العكس غش الملك الشاب الذى وكل أمر

---

(١) راجع Polyb., XXXI, 419.

نفسه له وعمل على انتزاع مملكته منه[1]. وتدل شواهد الأحوال على أن « أنتيوكوس » كان قد أغرى « بطليموس » بأنه ينبغى عليه ، بعد أن جرده من سلطانه ، أن يضع نفسه رسمياً تحت وصايته وأنه سيأخذ على عاتقه إعادة فتح مملكته واسترجاعها له . وعلى ذلك فان ما سيأتى هنا من آراء يصبح مفهوماً إذا أردنا أن نستسلم لما جاء حرفياً فى المتون التى سيطر على مؤلفيها التحيز البعيد عن علم التاريخ ، ففريق منهم وهم اليهود لا يرون فى العالم إلا يهوذا والفريق الآخر وهم طائفة المجادلين المسيحيين لم يكن لديهم هم إلا أن يروا فيما وقع إلا تنفيذ تنبوءات النبى دانيال .

وهاك كيف يوضح شارح النبى دانيال ذلك الحادث :

بعد أن أظهر « أنتيوكوس » احتراماً للطفل وتظاهر له بالمحبة صعد إلى « منف » وهناك تقبل السلطة الملكية على حسب التقليد المصرى ، وكذلك إدعى أنه يعمل فى صالح الطفل (الملك) ، وبعدد قليل من الجنود أخضع كل مصر ودخل فى المدن المتناهية الثراء . وقد عمل ما لم يعمله أباؤه ولا أباء أبائه . ولم يخرب أى ملك من ملوك « سوريا » بلاد « مصر » بهذه الكيفية فقد شتت كل ثرواتهم ، وكان ملتوياً فى تدابيره لدرجة أنه قضى بحيلة على كل الاجراءات الحازمة التى كان قد وضعها أولئك الذين كانوا يعملون مرشدين لهذا الطفل[2] » . وعلى ذلك لا بد أن نعترف أن « أنتيوكوس » تمادى فى غيه لدرجة أنه توج نفسه فى « منف » فى حضرة « بطليموس » الذى كان فعلا يشترك بذلك فى إسقاط نفسه .

---

(١) راجع Diod XXX, 18, 2. Justin XXXIV, 2, 8.

(٢) راجع Hieronym, In. Dan., XI, 2 6, cf. Polyb., XXX, 419.

ومن جهة أخرى يحدثنا المؤرخ « سنت جيروم » الذى يتفق مع المؤرخ « بورفير » فى رأيه وهو إنه « قد انتزع «أنتيوكوس» تاج «فيلومتور » وذلك بعد أن حكم الأخير وحده مدة أحد عشر عاماً[١] (١٧٠ ق . م) . هذا ويمثل لنا مؤرخ كتاب المكابيين « أنتيوكوس » بأنه غزى مصر كما غزاها سابقاً ملوك الأشوريين على رأس جيش هائل مما أدى إلى هرب « بطليموس » ، وخرب كل شىء أمامه ، ثم عاد بعد ذلك فى الحال فى نفس العام وخرب معبد « أورشليم »[٢] .

ومما ذكرنا هنا عن سلوك « أنتيوكوس » نرى أنه لم يكن هناك ارتباط فى أعماله بل كان يمثل التفكك بعينه . ولا غرابة فى ذلك فهو ذلك المغتصب الذى خلع ابن أخته « بطليموس السادس » من عرش ملكه وتوج نفسه بدلا منه ملكاً على مصر ؛ ثم نراه بعد ذلك يغادر البلاد التى فتحها على حين غفلة بعد نهبها تماماً بصورة غريبة ليضمن لنفسه بقاءها تحت سلطانه .

وعلى أية حال فانه مهما كان التوبيخ الذى يمكن أن يوجه إلى « أنتيوكوس » ، فانه ليس من المستطاع أن يفهم الإنسان أبداً كيف أمكنه بعد ذلك أن يتظاهر بمظهر العظمة فى تأكيده بأنه لم يكن يقصد أبداً — وربما كانت هذه حقيقة — أن يستولى على مصر لحسابه الخاص[٣] ، وذلك عند ما أعلن تحت جدران الإسكندرية لأهالى « رودس » أن الملكية فى مصر هى للإبن الأكبر من البطالمة . ومهما يكن من أمر فانه كان لا بد من ذكر هذه

---

(١) راجع Carl Muller, Fragmenta Historicorum Graecorum III, p. 720, (1885)

(٢) راجع Macc. 17-29.

(٣) راجع B.L. II, p. 14 note 3.

المصادر لأنها لازمة لكل نقد سليم ، كما أنه لا يمكن الإنسان أن يكتفى بعدم كفايتها ، إذ من الجائز أنه يستخلص منها الحقيقة .

ويلحظ أن أولئك الذين وضعوا هذه المتون يبتدءون بالرأى القائل أن « أنتيوكوس » كان يريد أن يستولى على « مصر » ليضمها إلى مملكته إذ أن ذلك فى الواقع مشروع وهمى لمن أراد محاولة تنفيذه مع أسرة ملكية لا تزال قوية وتحت رعاية الرومان . والأرجح أن « أنتيوكوس » كان مصمماً أن يجعل « مصر » تحت تصرفه ، وأن ينتزع منها المال الوفير ، كما كان يرغب فى أن يلعب دور الوصى على الملك الشاب ، وأن يحكم باسمه ، هذا إلى أنه كان يتوق إلى تصفية الموضوعات القضائية التى كانت لا تزال معلقة بين المملكتين ، وبخاصة مسألة « سوريا الجوفاء » التى كان يريد أن يقطع فيها برأى فاصل لمصلحة بلاده . ومن المدهش والعجيب معاً أن الملك « بطليموس السادس » قد سهل له بصورة غريبة تنفيذ ما صمم عليه ، ولكن على شرط ألا يعزله ، وألا يكسر الآلة التى يمكنه أن يستخدمها فى قضاء مآربه . هذا وقد كان عليه أن يفهم — إلى حد ما — أهالى « الإسكندرية » ذلك حتى لا يشك أهلها الذين كانوا متعودين فعلا فى عهد البطالمة السابقين على أن يتدخلوا فيما يعرض للبلاد من أزمات سياسية دون أن ينتظروا مدة طويلة . ومن أجل ذلك كان من فائدة « أنتيوكوس » أن يجعل أهالى « الإسكندرية » يعرفون على وجه السرعة أنه أوقف هرب « بطليموس السادس » الذى جاء عن غير تفكير ، وأنه سيعيد للشعب المصرى ملكه الشرعى . وقد كان ذلك ما عزم على تنفيذه عند ما ذهب إلى « منف » ، لا ليستولى على ملك مصر بالطريقة الفرعونية أى بتتويج نفسه على يد الكهنة ؛ ولكن كان غرضه أن يستولى على السلطان

بطريقته هو ، وهى أن يجعل الكهنة يعترفون به رسمياً بوصفه حامياً للمملكة المصرية . على أن يكون ذلك بموافقة « بطليموس السادس » نفسه . وهذا هو رأى المؤرخ « بوشيه لكلرك » وذلك على الرغم من أنه[1] توجد نقود سكت فى مصر وفى «قبرص» باسم « أنتيوكوس الرابع » كما نصب له كذلك تمثال فى «قبرص» ، إلاأن ذلك ليس ببرهان ضد نظرية هذا المؤرخ بل يعد هذا برهاناً على أن ملك « سوريا » الماكر كان يجرى وراء خلق موقف مبهم ويثبت حقه فى ممارسة سلطته الملكية . وهذا الموقف المبهم الذى وقفه « أنتيوكوس » هو الذى رفضه المؤرخ « بروفير » بقوله أن « أنتيوكوس الرابع » قد عزل ابن أخته من عرش ملكه » . وهذا هو الرأى الصحيح .

وعلى أثر إعلان « أنتيوكوس الرابع ابيفانس » ملكاً على مصر نجده بسوء تصرفه قد غادر مصر فى الحال إلى بلاد اليهود لقمع فتنة هناك . إذ لو مكث فى مصر لأمكنه أن يتمم كل خطته التى رسمها لتثبيت قدمه فى مصر ، وذلك بمصاحبة « بطليموس السادس » إلى « الإسكندرية » . ولكن على الرغم مما قام به من بعض النشاط الذى استطاع عمله ، فان أهالى « الإسكندرية » قد سبقوه باشعال نار ثورة كانت نتائجها هى التى ستفصل لنا ما حصل عليه هذا العاهل . وآية ذلك أن الشعب « الإسكندرى » لم يقبل الشروط المخزية التى قبلها مليكهم ورأوا أن أحسن طريقة هى نقض المعاهدة التى كانت مبرمة بين هذين الملكين وذلك بعدم قبول من وقع عليها ملكاً عليهم . ومن ثم أعلنوا سقوط « بطليموس السادس » من عرشه وتنصيب أخيه الصغير « بطليموس » الذى لقب « ايرجيتيس الثانى » . ومن المحتمل أن الشعب الإسكندرى قد شفى غليله

---

(١) راجع B.L. II. p. 16 & note 1.

بالانتقام من الباعثين الحقيقيين لهذه الأزمة وأعنى بذلك الوصيين السابقين وهما « يولاوس » و « لناوس » اللذين أساءا له النصح وأوقعا البلاد فى هذه الكارثة ويقول المؤرخ « ديدور » أنهما عوقبا فى الحال على سوء تصرفهما ، وعلى الطيش الذى كان من جرائه إعلان الحرب التى أدت إلى خراب البلاد وهلاكهما[١]. ومن حسن الحظ أن الملك الجديد على الرغم من صغر سنه لم يكن جباناً أبداً ، وقد اتخذ له وزيرين وهما « كومانوس » (Comanos) و « سيناس » (Cenas) ، يتصفان باليقظة ، إذ أسرعا فى الحال إلى إعلان الدول العظمى الأجنبية تولى « ايرجيتيس الثانى » عرش الملك ، وذلك بدعوة الحلف الآخى والمدن الإغريقية بأن يرسلوا وفوداً لحضور حفل تتويج الملك الجديد[٢]. والواقع أن هذين الوزيرين قد اتخذا طريقة سليمة صحيحة وذلك بأنهما لم يأخذا رأى البلاد الأجنبية التى ربما كانت تتدخل سياسياً فى الأمر ، وفى الوقت نفسه كان إعلان باوغ الملك سن الرشد الذى كان يعتبر مقدمة ومعادلا مؤقتاً لتتويج الملك ، قد أزال عن هذه الحكومة — التى ألفت عفو الخاطر — صبغتها الثورية .

ولا نزاع فى أن « أنتيوكوس » عند ما علم بالأحداث التى وقعت فى « الإسكندرية » تملكه الغضب لمدة ما ، ولكنه بعد ذلك قد رجع عن آرائه الثائرة فى الحال ، وأخذ يجد لنفسه حجة شريفة لينقض بها على مصر من جديد فادعى بأنه سيعلن الحرب على أهالى « الإسكندرية » الثائرين لمصلحة الملك الشرعى الذى خلعوه .

---

(١) راجع Diod., XXX. 15.

(٢) راجع Liv. XLV. 11.

وعلى ذلك أخذ ينشر هذه الشائعة ؛ هذا فضلا عن أنه قد حرص على أن يجعل كل مدن آسيا ومدن بلاد الإغريق تعرف أنه قد أخذ على عاتقه أن يعيد « بطليموس السادس » إلى عرشه ، وذلك بعد أن تعهد بحمايته . ومنذ هذه اللحظة أخذ كل من الفريقين يبحث فى أن يجعل الرأى العالمى فى جانبه ؛ غير أن كلا من الطرفين المتخاصمين كان يخشى تدخل « روما » فى هذا النزاع الأسرى ، ولكن الرومان كانوا فى هذه الفترة منهمكين فى حرب مع « برسيوس » ملك « مقدونيا » ولا يعنيهم التدخل فى هذا النزاع رسمياً قبل القضاء على عاهل « مقدونيا » عدوهم اللدود . والواقع أن « الرومان » كان من مصلحتهم أن يستمر الشجار بين « سوريا » و « مصر » ، وذلك لأن هذا كان يضمن لهم عدم وصول أية مساعدة من هذه الناحية لملك « مقدونيا » .

وما لدينا من مصادر أصلية لا تشير إلى شىء يذكر عما دار بين مصر و «سوريا» من أعمال حربية . وحقيقة الأمر أن أهالى «الإسكندرية» الذين قاموا بالثورة لم يكن لديهم جيش ، وعلى ذلك لا بد أنهم كانوا قد فكروا فى إحراز الانتصار على أعدائهم عن طريق البحر ؛ غير أنهم هزموا أمام « بلوز » حيث ترك الملك « أنتيوكوس » أسطوله هناك أو أمر باحضاره إلى هذه الجهة . ومن ثم أخذ ملك « سوريا » يزحف من جديد من « منف » إلى الإسكندرية عن طريق فرع النيل الساوى . وفى طريقه قابل طائفة كبيرة من السياسيين أرسلهم وزيرا « ايرجيتيس الثانى » . والظاهر أن الأحداث التى وردت أخبارها من مصر إلى بلاد اليونان قد أخذت تبعث الحركة فى هذه البلاد وتخرجها من خمولها . ومن أجل ذلك أجابت على وجه السرعة على نداء وزيرى « بطليموس ايرجيتيس الثانى » وما نصح به القواد الرومان الذين

كانوا قد أظهروا غيرة كبيرة من أجل السلام ؛ إذ فى هذه اللحظة أخذ يتدفق على « الإسكندرية » سفراء يحملون التحيات كما وفد متفرجون مكلفون بدعوات تجديد المعاهدات ، وجميع هؤلاء كان موكلا إليهم فوق ذلك أن يعملوا جاهدين على إعادة السلام بين الفريقين المتخاصمين . وقد انتهز وزيرا « ايرجيتيس الثانى » هذه الفرصة وعقدا مجلساً مع الملك ورؤساء الأجناد وقرروا أن يوفدوا كل هؤلاء الرسل الذين جاءوا من أجل السلام ليمثلوا أمام « أنتيوكوس الرابع » ، وكان من بينهم الآخيين والأثينيين والميلزين والكلازوميين ، يقودهم مندوبان من قبل الملك « ايرجيتيس الثانى » وهما « بليبوليموس » والخطيب المفوه « بطليموس » (ولا بد أن الأخير هو أخو « كومانوس » الذى أرسل فيما بعد فى بعث إلى أوروبا مع « كومانوس » نفسه كما حدثنا بذلك المؤرخ « بوليبيوس »)[1]. وتدل شواهد الأحوال على أن « أنتيوكوس » قد أحسن وفادتهم فأصغى إلى خطبهم الرنانة ، ثم تناول الحديث بنفسه بعد ذلك وشرح موضوع الخلاف بين « مصر » و « سوريا » من أول مسألة « سوريا الجوفاء » . فذكر المعاهدات التى تؤكد ملكية « السليوكيين لهذا القطر من أول عهد « أنتيوكوس » العظيم ، ثم أنكر بوجه خاص الاتفاق الذى ادعاه أهل « الإسكندرية » بين « بطليموس الخامس » و « أنتيوكوس » والده ؛ وهو الاتفاق الذى ينص على أن « سوريا الجوفاء » قد نزل عنها ملك «سوريا» بوصفها مهرا « لكليوباترا » الأولى عند زواجها من « بطليموس الخامس » وهى أم الملك الحالى . وقد شرح « أنتيوكوس » الموضوع أمام المبعوثين بطريقة جعلتهم يعتقدون أن ما أبداه من أسباب تعتبر

---

١) راجع Polyb., XXXI, 27, 2.

فى نظرهم قاطعة ، ومن ثم كسبهم إلى جانبه ، وبعد ذلك أعلن أنه مستعد للمفاوضة ، وأنه سيطلعهم على كل ما سيحدث فى المفاوضات . وفضلا عن ذلك — لأجل أن يظهر لهم حسن نيته — أرسل إلى الإسكندرية مبعوثين ، وفى أثناء انتظار عودهما استمر فى سيره شطر نقراش (= كوم جعيف) التى كانت تعتبر وقتئذ من أعرق المدن الإغريقية فى مصر ، وهناك أمر بتوزيع قطعة نقد من الذهب على كل فرد من سكان هذه المدينة مظهراً بذلك ميله إلى الحضارة الإغريقية . ومن هذه المدينة تابع سيره نحو « الإسكندرية » وعند ما كان على مقربة منها نصب جسراً طائراً على فرع النيل الكانوبى عبر به النهر ، ومن ثم قاد جيشه حتى سور المدينة . وقد كان مفهوماً لدى حكومة « ايرجيتيس الثانى » أن المفاوضات مع « أنتيوكوس » لا جدوى منها ، وإن الوقت الذى سيصرف فيها مضيع . ومن أجل ذلك أرسل « ايرجيتيس الثانى » بعثاً إلى « روما » متوسلا لمجلس الشيوخ بأن يتدخل فى الأمر ، قائلا أنه ليس هناك قوة يمكنها إيقاف « انتيوكوس » عند حده غير مجلس الشيوخ . ولكن « روما » كانت بعيدة ، هذا فضلا عن أن مجلس الشيوخ كان وقتئذ منصرفاً عن كل مثل هذه المنازعات طالما كانت الحرب بين الرومان وملك مقدونيا مستعرة . وعلى أية حال فان المبعوثين المصريين لم يستقبلهم مجلس الشيوخ فى جلسة علنية إلا فى الخامس عشر من شهر مارس من السنة التالية (عام ١٦٧ ق . م) . ومن المحتمل أنهم لم يكونوا على علم وقتئذ بما كان قد حدث فى مصر منذ مغادرتهم لها[1] .

وفى خلال تلك الفترة فك « أنتيوكوس » الحصار الذى كان مضروباً على

---

(١) راجع T. Live, (XLIV 19)

« الإسكندرية » ، لأنه على ما يظهر لم يكن لديه من العتاد والعدة ما يكفل استمرار الحصار ، وبخاصة عند ما وجد أنه لا يمكن تسلق جدرانها . وقد زاد الطين بلة عند ما استقبل سفراء «رودس» الذين كانوا قد جاءوا على حسب سياستهم الثابتة وبتشجيع من القنصل « مارسيوس فيليبوس » ليقدموا خدماتهم لأجل إحلال السلام . وقد أحفظه حضور هذا الوفد حتى جعله يخرج عن طوقه ، وبخاصة خطبهم التى كانت لا نهاية لها ، ولما نفد صبره قاطع أحد خطبائهم قائلا بأنه لا ضرورة لمثل هذه الخطابات العدة ، وأن مملكة مصر هى ملك « بطليموس » بكر أولاد « بطليموس الخامس » وأنه منذ زمن طويل على وفاق معه على أساس المحبة والمهادنة ، وإذا كان أهالى « الإسكندرية » يريدون الآن إعادته إلى المدينة فانه لن يمنعهم من عمل ذلك[1] .

وانتهى الأمر باعادة « بطليموس فيلومتور » إلى « منف » وبعد ذلك ترك « أنتيوكوس » حامية قوية فى « بلوز » ليبقى الباب مفتوحاً أمامه ، وعاد إلى « سوريا » مع جيشه ظناً منه أن الحرب الأهلية بين الأخوين المتخاصمين ستكون كفيلة باستنفاد قوة مصر ، ومن ثم يكون معه الحق بسهولة مع الحزب المنتصر .

وتحدثنا المصادر الإغريقية أن « أنتيوكوس » جمع من مصر مبلغ مائة وخمسين تالنتا من دماء الأهلين بالسلب والنهب . وقد استعمل منها خمسين تالنتا لضمان رضاء الرومان وجعلهم فى جانبه ووزع المبلغ الباقى على المدن الإغريقية[2] . ولانزاع فى أن ما اتخذه « أنتيوكوس » من احتياطات لدليل على ما كان يرمى إليه .

(١) راجع Polyb., XXVIII, 19.

(٢) راجع Polyb., XXVIII, 18.

أما بطليموس « فيلومتور » الذى كان قد أصغى إلى خطب الروديين وما كانوا يرمون إليه من أغراض شريفة للحصول على السلام بمعاضدة « روما » فقد كان هذا من فائدته . يدل على ذلك أنه على أثر سفر خاله « أنتيوكوس » إلى بلاده أخذ يتقرب إلى أخيه بالوعود التى لاقت عنده قبولا حسناً للغاية . ولحسن الحظ كانت « كليوباترا » زوج الملك قد عملت كل ما فى وسعها لإعادة السلام والتفاهم بين الأخوين ، وقد سهل سرعة التفاهم بين الأخوين أن أهالى «الإسكندرية» كانوا قد أخذوا يشعرون بمرارة القحط فى لبلاد . ومن ثم لم يعارضوا فى الوصول إلى تفاهم ينجيهم من الحالة التى أصبحوا فيها من جوع وعوز . ولم يمض طويل زمن حتى اتفق الأخوان على أن يحكما سوياً منذ الآن . ويقول « بوليبيوس » أن الشعب قد اعترف « ببطليموس الصغير » ملكاً[1] على البلاد مع أخيه . وعلى أية حال فان هذا النظام الجديد فى الحكم كان يشك فى استقراره ، غير أنه كان فى اللحظة كفيلا بأن يقضى على الصعوبات والعقبات القائمة ، وبخاصة الإدعاءات التى كان يدعيها « أنتيوكوس الرابع » للتدخل فى شؤون البلاد من جديد . وعلى هذا الأساس غادر « بطليموس فيلومتور » « منف » قاصداً « الإسكندرية » وعلى أثر ذلك ساد السلام بالاجماع بين كلا الطرفين[2]. وهذا الاتفاق تم فى شتاء عام ١٦٩ — ١٦٨ ق . م .

ومما سبق يفهم أن « أنتيوكوس » وقع فى الفخ الذى نصبه هو ، إذ أنه لو كان يريد حماية « فيلومتور » وحقوقه فى الملك كما ادعى لتقبل هذا الاتفاق

(١) راجع Polyb., XXIX, 8.

(٢) راجع Liv. XLV, 11,

الذى قام بين الأخوين وهو الاتفاق الذى رد إلى مصر السلام والطمأنينة ، ولكن على العكس وجدنا أن الغضب الذى انتابه عند ما علم بهذا الاتفاق جعله يخرج عن طوقه دون أن يفكر فى معالجة هذا التغير الذى طرأ بشىء من الحكمة والاتزان ، فمنذ أن علم بالخبر كشف القناع الذى كان يخفى تحته نواياه تجاه مصر ، ومن ثم اتخذ موقفاً عدائياً منها . فنراه يطلق أسطوله فى الحال إلى « قبرص » لغزوها ، ولم تلبث الجزيرة أن سلمت له بعد مقاومة ضئيلة على يد الحاكم العسكرى المسمى « بطليموس ماكرون »[1].

وفى الوقت نفسه زحف « أنتيوكوس » بنفسه على رأس جيش لغزو مصر ، وكان ذلك فى أوائل خريف عام ١٦٨ ق . م . وعند ما سمع « بطليموس فيلومتور » بذلك أرسل رسله لمقابلة « أنتيوكوس » عند بلدة «رينوكولورا» (Rhinocoloura) الواقعة عند مشارف حدود مصر على مسيرة ثلاثة أيام من « بلوز » . وقد شكر هؤلاء الرسل « أنتيوكوس » على إعادة « بطليموس فيلومتور » على عرش والده ، وطلبوا إليه أن يفهمهم الطريقة التى بها يريد أن يكافأ على الخدمات التى قام بها لمليكهم ، وذلك بدلا من أن يفرض عليه شروطه بالقوة . وقد أجاب على ذلك « أنتيوكوس » بوحشية وعنف بأنه لن يعيد أسطوله إلى قواعده كما أنه لن يتقهقر بجيشه إلى الوراء إذا لم تنزل مصر له عن «قبرص» كلها ، وكذلك بلدة «بلوز» ، هذا بالإضافة إلى كل الأقاليم المجاورة لمصب فرع « بلوز » ، وقد حدد فى الوقت نفسه موعداً لقبول شروطه ، فاذا تخطاها « فيلومتور » فانه يعتبر أن كل شروطه قد رفضت[2].

---

(١) راجع II. Macc. 10, 12-18.

(٢) راجع II. Macc. Loc. Cit.

لم يكن يدور بخلد بلاط « الإسكندرية » أن عبارات الشكر الرسمية التى أرسلها إلى « أنتيوكوس » ستجعله يصمم على التدخل من جديد بأسطورته الشرعية لحمايته عرش مصر ، وهى التى — كما يقول — تنطوى على الخير ، وأنه لا غرض آخر له من ورائها . وعلى أية حال عمل « بطليموس » كل ما فى وسعه لكسب الوقت لأنه كان يعلم أن نجاة مصر لن تتأتى إلا عن طريق التدخل الأجنبى . فنجد أن ملكى مصر أرسلا فى خلال الشتاء إلى حلف الآخيين يرجوانه مدهما بألف من الجنود المشاة وبمئتين من الفرسان . وعلى الرغم مما بذله كل من « ليكورتاس » و « بوليبيوس » وهما اللذان كانا قد أرسلا فى هذه المأمورية للحلف الآخى للحصول على هذه المساعدة ، فان مجلس الحلف قد قرر إقتصار المساعدة على أن يبعث للفريقين المتخاصمين رسلا للتوفيق بينهما . يضاف إلى ذلك أنه من المحتمل أن « تيودوريداس » (Theodoridas) حاكم « سيسون » (Sicyone) الذى كان قد أرسل إليه ملكا مصر فى طلب المساعدة قد رفض كذلك تجنيد ألفاً من الجنود المرتزقين ؛ وكان قد كلف بتجنيدهم لحسابهما . ومن ذلك نرى أنه لم يبق أمام مصر بعد كل هذه المحاولات إلا الإلتجاء إلى الرومان . وقد كان هناك من الأسباب ما يدعو إلى الشك فى حسن نواياهم التى كان يستعرضها ممثلوهم فى الشرق . وعلى أية حال عاد السفراء المصريون من « آخيا » وهم يحملون إلى « الإسكندرية » أخباراً محزنة . ولا نزاع فى أن ملكى مصر قد رأيا أن الصدمة التى صدم بها بعثهما لا بد كان سببها بوجه عام المعارضة التى قام بها الحزب الرومانى الذى كان يرأسه « كاليارتيداس » (Calliartidas) فى الحلف الآخى ، وأن تصويت المجلس الفيديرالى كان قد أملى بوساطة خطاب القنصل « مارسيوس فيليبوس » وهو ذلك الخطاب الذى دعى فيه الآخيين إلى أن ينضموا إلى

« روما » من أجل محاولة عمل اتفاق بين هؤلاء الملوك . وحقيقة الأمر أن « مارسيوس فيليبوس » كان يعلم تمام العلم أن هؤلاء المبعوثين لم يفلحوا فى التنبأ بقيام حرب ، وقد عادوا إلى « روما » دون أن يقوموا بأى عمل كان[١] ولا غرابة فى ذلك فقد كان « مارسيوس فيليبوس » يعلم بكل دقائق الأحداث السياسية الرومانية التى كانت تجرى فى الشرق .

وعلى أية حال كان ملكا مصر يأملان أملا كبيراً فى مساعدة مجلس الشيوخ إن هما طلبا منه ذلك مباشرة . وكان الوفد الذى حمل إلى « روما » أنباء صلحهما معاً قد وجد أن طلبهما قد أجيب[٢] . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن صيحة الحزن والأسى التى انطلقت من أهالى « الإسكندرية » المعاصرين قد جعلت المجلس الأعلى يقرر أن يعمل فى صالح السلام ..هذا وقد ظهر السفراء الذين أرسلهم « ايرجيتيس الثانى » و « كليوباترا » أمام مجلس الشيوخ بملابس الحداد وفى أيديهم أغصان الزيتون خاضعين خاشعين وكانت خطبهم كلها عويل وأنين موضحين بأنه إذا لم يسارع الرومان برفع صوتهم عالياً فى وجه « أنتيوكوس » فان طرد « بطليموس » و « كليوباترا » من الملك لا بد واقع . وعلى ذلك فانهما سيأتيان إلى « روما » ، وسينال بسبب ذلك الرومان بعض الخزى لعدم القيام بتقديم أى عون فى تلك الأزمة المستحكمة الحلقات . وقد قرر مجلس الشيوخ فى خلال تلك الجلسة تعيين ثلاثة مبعوثين للذهاب إلى « أنتيوكوس » أولا ثم إلى « بطليموس » بعد ذلك ليفسروا لهما أن الاستمرار فى الحرب معناه قطع العلاقات مع الشعب الرومانى . وبعد ثلاثة

(١) راجع Polyb., XXIX, 9-10.
(٢) راجع Justin, XXXIV, 2, 7-8.

أيام من هذه المقابلة فى مجلس الشيوخ سافر البعث الذى عين مع السفراء المصريين[1].

والآن يتساءل الإنسان عن سبب المماطلة والتراخى فى عدم انجاز هذه المأمورية التى كانت مرسلة على وجه السرعة ؟ ذلك أن « بوبيليوس » (Popillius) الذى كان أحد أعضاء البعث قد مر «بكالسيس» ، ثم عرج على « ديلوس » ، ثم إحتجز فى الجزيرة المقدسة بالطرادات المقدونية ، ولم يخرج منها إلا فى شهر سبتمبر بعد هزيمة الملك « برسيوس » ، وبعد ذلك مكث البعث مدة خمسة أيام فى « رودس » ، وعلى ذلك لم يصل إلى « الإسكندرية » إلا بعد سبعة أشهر من مغادرته « روما » . وسبب ذلك يرجع إلى سياسة مجلس شيوخ « روما » الذى كان كما نعرف لا يريد أن يرتبط بأية مخاطرة ولا يصطدم بأى شخص ما دامت الحرب بينه وبين «مقدونيا» قائمة . ومع ذلك فان « بوبيليوس » الذى كان ينتظر اللحظة المناسبة للقيام بمأموريته لم يصل متأخراً أكثر مما كان واجبا . ومن ناحية أخرى يجب الإعتراف بأن « أنتيوكوس » لم يسارع إلى الوصول إلى « الإسكندرية » . فقد غادر « سوريا » فى أوائل الربيع ، وكان كما نعلم وقتئذ مسيطراً على « بلوز » (الفرما) ، هذا فضلا عن أنه لم يكن أمامه فى أى مكان حشود للتغلب عليها ؛ غير أنه لم يجد وسيلة للوصول إلى موانى « الإسكندرية » قبل حمارة الصيف . وقد رأى أنه من الصواب أن يستولى على بلاد القطر قبل أن يهاجم الملكين فى « الإسكندرية » . يضاف إلى ذلك أن « أنتيوكوس الرابع » كان يعلم ما يدور بخلد الرومان ، ومن ثم لم يكن يخشى بأسهم ما دامت الحرب مستعرة بينهم

---

(١) راجع Liv., XLIV., 9.

وبين ملك «مقدونيا» الذى كان يصد جيوشهم وينزل بهم الضربات القاسية ؛ هذا فضلا عن أنه فى هذه اللحظة قد استحق بعض احترام الرومان له ، بعد أن علموا أنه رفض طلب المقدونيين للتحالف معه على حساب الرومان ، وبخاصة عند ما نعلم أن عروض تحالف مماثلة كانت قد عرضت على « إمونيس » ملك « برجام » مما سبب تزعزع ثقة الرومان فى هذا العاهل . ومن أجل ذلك كان لدى « أنتيوكوس » الوقت للذهاب إلى « منف » ، وربما كان القصد من ذلك هو التأكد من خضوع المقاطعات العليا لحكمه . بعد ذلك نراه ينحدر ثانية فى مراحل صغيرة إلى « الإسكندرية » . وعند ما أصبح على مسيرة أربعة أيام منها حيث وصل إلى ضواحى« اليوسيس » . وعند ما كان يعبر القناة هناك قابله البعث الرومانى . وكان لقاء عظيماً تبارى المؤرخون القدامى — بصرف النظر عن المؤرخين الأحداث — فى تصوير ما حدث فيه . وفى هذه المقابلة نجد أن « بوبيليوس » (Popillius) قد تحاشى الإجابة على مظاهرات الود والمجاملة التى كان يقدمها له « أنتيوكوس » — وكان يعرفه من قبل فى «روما» — وذلك عندما مد هذا السفير يده إليه بعتو وكبرياء مسلماً إليه رسالة مجلس الشيوخ ، وفى هذه اللحظة كان « أنتيوكوس » يحاول أن يتخلص من ذلك ، غير أنه لما رأى فى نهاية الأمر أنه كان مجبراً على أن يجيب — قبل أن يفلت من المأزق الذى وضع فيه — الرومان على الرسالة قال بصوت متهدج سأفعل ما يرغب فيه مجلس الشيوخ[1]. وكان ما يرغب فيه مجلس الشيوخ من « أنتيوكوس » هو أن ينسحب من مصر جميعها فى الحال على شرط أن يكون خارج حدودها فى ميقات معين ، وأن يوقع مقدماً على

(١) راجع Polyb., XXIX, II; Diod., XXXI, 2. Liv., XLV, 12. Val. Max, VI, 4-3.

الترتيبات التي يرى المندوبون الرومان فوق العادة إتخاذها . وعندئذ فهم « أنتيوكوس » أن مصيره قد قرر فى « بيدنا » . وقد كانت هذه غلطة « أنتيوكوس » لأنه فاته أن يساعد المقدونيين فى الوقت المناسب على الرومان ، ومن أجل ذلك لم يبق أمامه إلا أن يشرب كأس خزيه ويخضع للأمر الواقع . وعلى أثر مغادرة « انتيوكوس » الديار المصرية ثبت مبعوثو مجلس الشيوخ الاتفاق الذى كان قد أبرم بين الأخوين ملكى مصر ، وكانا قد وقعا الصلح فيما بينهما فى نفس الوقت . وبعد ذلك أقلع المبعوثون إلى «قبرص» وطردوا أسطول « أنتيوكوس » الذى كان قد هزم فعلا السفن المصرية فى موقعة هناك . وتعتبر مقابلة بعث مجلس الشيوخ « بأنتيوكوس الرابع » بمثابة ناقوس الخطر بالقضاء على دولة السليوكيين .

وقد انتشرت أصداء هذا البعث فى كل أنحاء العالم المتمدين ، وذلك بسبب أن مصر قد إنتزعت من بين براثن « أنتيوكوس » ، بعد أن كان قد استولى عليها فعلا ؛ وقد عادت الآن ثانية ملكاً لسلالة البطالمة (١). ولسنا فى حاجة إلى القول بأن ذيوع هذا الخبر قد زاد فى خزى « أنتيوكوس » واذلاله . ومما زاد فى كسر أنف « أنتيوكوس » أن مبعوثى مجلس الشيوخ لم يكن عندهم ثقة بكلامه ؛ ومن أجل ذلك لم يغادروا مصر إلا بعد أن أخرجوه منها ومن «قبرص» . يضاف إلى ذلك أنه على الرغم مما كان يملأ نفسه من غرور وكبرياء نجده قد أحنى رأسه وأذل نفسه أكثر مما كان يتطلبه مجلس الشيوخ . يدل على ذلك أنه عند ما تقابل سفراؤه فى « روما » مع أولئك السفراء الذين كانوا يحملون شكر البطالمة ، لمجلس الشيوخ على صنيعهم ، كلفهم بأن

---

(١) راجع Liv., XLV, 12.

يقولوا بأنه قد أطاع أوامر المبعوثين كأنها أوامر من عند الله : وأنه كذلك كان على استعداد لمساعدة الرومان لإيقاع الهزيمة « ببرسيوس » إذا كانوا قد رغبوا فى ذلك[1]. ومن جهة أخرى نرى كيف كان « بطليموس فيلومتور » يحافظ على كرامته إذا ما قرن « بأنتيوكوس » . ولا أدل على ذلك من أن « بوبيليوس » قد طلب إلى « بطليموس » أن يسلم فرداً يدعى « بولياراتوس » (Polyaratos) من حزب « برسيوس » — وقد كان الرومان قد طردوه من بلادهم فلجأ إلى مصر — على أن يرسل إلى « روما » . فبدلا من إرساله إلى « روما » فان أحد أصدقائه الذى يدعى « ديمتريوس » قاده إلى « رودس »[2] وفى مقابل ذلك أفرج عن فرد يدعى « مينالسيداس » (Menalcidas) الذى كان سجيناً عند الرومان .

وما لا شك فيه أن « أنتيوكوس » كان يريد أن يصب جام غضبه على أولئك الذين كانوا قد فرحوا بما لحق به من خزى وعار . والمقصود بذلك هنا هم اليهود أولئك القوم الذين كان من السهل أن يتهموا فى ولائهم ، وقد دفعوا ثمن ما لحق به من عار ، على يد الرومان . فقد خانوه وانصرفوا عنه فى أحرج وقت عندما بدت لهم الفرصة كما هى عادتهم .

---

(١) راجع Polyb., XXX, 9.

(٢) راجع Polyb., XXX, 11,

حالة البلاد المصرية بعد طرد انتيوكوس منها والنضال الذى قام بين الأخوين

بعد أن خرجت « روما » منتصرة فى الحرب التى نشبت بينها وبين « برسيوس » ملك «مقدونيا» عام ١٧١ ق . م وهى التى انتهت بصلح « بيدنا » الذى أطاح بما كان لمقدونيا من سلطان وجاه ، أصبحت « روما » صاحبة الجاه والسلطان فى كل العالم المتمدين كما أصبحت الحكم فى كل الخصومات التى كانت تظهر بين الدول المتنافسة بوجه عام . ولا أدل على ذلك من أن « أنتيوكوس الرابع » قد خضع لأوامر الجمهورية الرومانية وأعاد للبطالمة بلادهم بعد أن كان قد استولى عليها . غير أن الرومان لم يتركوا البلاد المصرية وشأنها لتحكم نفسها بنفسها ، بل على العكس رأينا أن مجلس الشيوخ بعد أن انتزع مصر من بين براثن « أنتيوكوس » أخذ يعمل على تقويض العمل الذى أحدثته ثورة « الإسكندرية » ، وذلك بأن يعيد للسلطة الملكية وحدتها . وتدل ظواهر الأحوال على أن السياسة الرومانية كانت تمتاز بدورها فى تاريخ العالم الذى يتمثل فى القول المأثور « فرق تسد » ، ومن ثم كان لزاماً عليها فى حالة مصر أن تفيد من الانقسام الذى كان موجوداً والذى لم تكن فى حاجة لإثارته . وعلى ذلك استمر كل من الملكين الأخوين يحكمان البلاد سوياً . وكان الوئام بينهما سائداً لدرجة أنه لم يكن للملك إلا لقب واحد رسمى ، وكذلك لم يكن هناك إلا ملكة واحدة وهى زوج « بطليموس » الأكبر « فيلومتور » .

وفى الحق ليس فى استطاعتنا أن نضع فكرة واضحة عن هذه الحكومة التى كان يشترك فيها ملكان أو كما شاهدنا على الآثار كان يحكمها ثلاثة ملوك

رجلان وامرأة . يدل على ذلك نقش بالإغريقية على شرف الملك «بطليموس» أخ الملك « بطليموس » والملكة « كليوباترا » الآلهة المحبين لأمهما[١] . يضاف إلى ذلك أن نقود الملكين لا تحمل إلا « بطليموس بازيليكس » فى حين أنها تحمل نسرين بدلا من نسر واحد[٢].

وقد كانت أول نتيجة لنظام الحكم الجديد أن برزت على مسرح الحكم فى البلاد الملكة الوحيدة التى لم تكن فقط ملكة بوصفها زوج ملك ، بل كانت وصية تحمل نفس اللقب الذى يحمله كل من الملكين . ولا نزاع فى أن هذا الحادث كان فتحاً جديداً للجنس اللطيف فى ميدان السياسة البطلمية ، وقد عرفت الملكات اللائى جئن بعدها فى هذه الأسرة كيف يمكنهن المحافظة على هذه المكانة . ومن الغريب أننا لا نعرف كيف كانت السلطة موزعة بين هذين الملكين . وعلى أية حال لم يكن هناك تقسيم فيما بينهما من حيث أرض الدولة . وهذه طريقة قد أصبح من الضرورى تحديدها لأجل عدم الارتباك فى الحكم المشترك . وكان الجدال فى هذا الموضوع يتجه بصورة خاصة إلى مسألة التأريخ بسنى حكم كل من الملكين . وهذا أمر هام عند فحص الآثار ، وإن كان لا يهم المؤرخ كثيراً . وعلى أية حال فان هذا الموضوع غامض .

ولا نزاع فى أن ما كان لا بد من حدوثه فى مدة خمس السنوات التى ظل فيها هذان الملكان يحكمان سوياً ، قد أمكن التنبأ به من مجريات الحوادث ؛

---

(١) راجع Strack n. 86.

(٢) راجع Svoronos, pp. 234-236.

إذ كانت فترة خمس السنوات هذه تعتبر فترة استعداد لحروب أهلية شبت بين الأخوين . فقد كان « فيلومتور » فى أعماق نفسه ينطوى على بعض الصفات الإنسانية والاستقامة الخلقية ، غير أنه فى الوقت نفسه كان ينقصه النشاط واستقامة الرأى . أما أخوه « ايرجيتيس » الثانى فقد كان أكثر قوة إرادة وذكاء ؛ ومن جهة أخرى كان منذ صباه ميالا للرذائل والقسوة ، هذا إلى أنه كان طموحاً إلى حد الإفراط وكانت له كنية يعرف بها عند الشعب وهى الشرير ، كما كان ينابذه الشعب « الإسكندرى » بالبطين (أبو كرش) وفى هذا منتهى السخرية والاستخفاف والاستهزاء برجل يحكم البلاد[1] . .

ويلحظ أن ما كان بين هذين الرجلين من تناقض فى الأخلاق والطباع كان لا بد أن ينتهى بقيام نزاع مرير بينهما . وفعلا اشتد الخلاف بين الأخوين وتحرج الموقف حتى أدى إلى أن طرد « ايرجيتيس الثانى » أخاه « فيلومتور » من « الإسكندرية » بالقوة عام ١٦٤ ق . م[2]. ولا بد أن طرد « فيلومتور » من البلاد كان يعتبر بمثابة ترويح عن نفوس المصريين ؛ وذلك لأن الخلاف الذى كان متوطناً فى البلاط كان قد بدأ يضرب باعراقه فى البلاد . فمنذ عام ١٦٧ أو ١٦٦ ق . م ظهر فى أفق السياسة المصرية رجل صاحب شخصية ممتازة من أرومة مصرية صميمة يحمل اسما مصرياً وهو « بتوسرابيس » واسما آخر إغريقياً وهو « ديونيسيوس » . وكان ينظر إليه بأنه حامى « بطليموس » الصغير من شرور أخيه الكبير . ومن أجل ذلك أشعل نار فتنة كان عليه أن

---

(١) راجع Strab., XVII, p. 795.

(٢) راجع Liv., Epit. XLVI.

يخمد أوارها بحرب جبارة . وكان « ديونيسيوس » هذا قد نال شهرة عظيمة بما اتصف به من شجاعة نادرة بين مواطنيه . والواقع أنه كان قد فكر فى أن يفيد من النزاع الذى كان قائماً بين الأخوين وبخاصة لأنه كان يحتقرهما لصغر سنهما وقلة تجاربهما . وكان يعد العدة للتخلص من « بطليموس فيلومتور » ، وذلك باستغلال ما كان لأخيه الصغير من شهرة ومحبة لدى الشعب الإسكندرى كما كان يرغب فى أن يفيد من « بطليموس ايرجيتيس الثانى » بالالتجاء إلى وطنية الشعب المصرى وبذلك يصل إلى عرش الملك .

وكان أول عمل قام به هو أنه أثار خواطر الشعب « الإسكندرى » لدرجة أنه كاد يودى بحياة « فيلومتور » ؛ وكانت نتيجة ذلك أن عرض «فيلومتور» على أخيه الصغير عرش البلاد بمفرده ، غير أن « ايرجيتيس » احتج على اتهامه بالاشتراك فى التآمر على أخيه ، وبعد ذلك تفاهم الملكان وخرج كل منهما يلبس تاج الملك أمام الشعب ليرى كل الناس أنهما على وفاق تام . وقد كان من جراء ذلك المظهر أن أفل نجم « ديونيسيوس » بعد أن كشف أمره ؛ غير أنه أخذ من ناحية أخرى يستحث الجنود الوطنيين فحرضهم على الانضمام إلى جانبه ؛ وكان يأمل من وراء القضاء على أسرة البطالمة أن يعود بالحكم إلى يدى مصرى . ونراه بعد ذلك قد ارتد بما لديه من جنود إلى « اليوسيس » (Eleusis) وهناك جمع كل الموالين للثورة ويبلغ عددهم حوالى أربعة آلاف مقاتل من الخارجين على البطالمة . وعندئذ سار الملك لملاقاة « بتوسرابيس » فى ساحة القتال فهزمه وقتل بعض أتباعه ثم قفى أثر الفارين ، وقد أجبر « بتوسرابيس » على أن يعبر النهر عارياً ، ومن ثم التجأ إلى بعض المصريين . وهناك أمكنه أن يثير عواطف مواطنيه وجعلهم يخرجون

على الملك . وقد أمكن هذا البطل المصرى بما كان يتمتع به من مكانة عظيمة فى نفوس المصريين أن يجمع حوله جمعاً غفيراً من أبناء مصر المتحمسين لوطنهم . وقد وطد الجميع العزم على أن يوثقوا عرى الاتحاد والصبر على النضال[1] حتى النهاية .

ومما لا شك فيه أن هذا الاتحاد كان طعما لهبوب ثورة قومية ، وهذا يذكرنا بالحالة التى كانت عليها البلاد فى عهدى « بطليموس الرابع » ، و « بطليموس الخامس » .

عزل بطليموس السادس بعد انتصاره

بعد ذلك نرى « فيلومتور » يزحف على رأس جيش نحو الوجه القبلى لمنازلة الثوار هناك وقد تمكن من أن يخضع بسهولة بعض العناصر الثائرة فى إقليم « طيبة » ، غير أن مدينة « بنابوليس » كانت على ربوة يصعب الوصول إلى مدخلها وكان قد تحصن فيها فريق نشط من الثوار . ولما علم « فيلومتور » ما كان عليه المصريون من عناد وشدة مقاومة ، هذا بالإضافة إلى حصانة المكان الذى لجئوا إليه فانه نصب حول المدينة حصاراً منظماً . وبعد مقاومة جبارة تحمل فيها الملك خسائر جسيمة استولى على المدينة فى آخر الأمر وعاقب الثوار الذين استسلموا إليه ، ثم ولى وجهه شطر مدينة « الإسكندرية » . غير أن الأمر الذى يدعو إلى الدهشة والعجب هنا هو أن « فيلومتور » لم يتمكن من دخول « الإسكندرية » بجيشه الذى عاد به من الصعيد مظفراً منتصراً . وعلى أية حال لا ندرى تماماً فى أى الأحوال اضطر هذا الملك إلى الخروج من

---

(١) راجع Diod., XXXI, 15a Dindorf.

« الإسكندرية » . غير أنه مما لا شك فيه أن « ايرجيتيس الثانى » كان محبوب الشعب « الإسكندرى » ، وهو الذى اختاره ملكاً على البلاد من قبل ؛ ومن ثم لا بد أنه قد انتهز الفرصة المواتية لطرد أخيه والاستيلاء على البلاد وحده ؛ وبخاصة أن « فيلومتور » لم يكن محبوباً من الشعب « الإسكندرى » ، يضاف إلى ذلك أنه كان جباناً رعديداً فقد شاهدناه يترك — بجبن وخور عزيمة — عرش البلاد أمام ظل من الخطر ، كما رأينا أنه قبل أن يصبح تحت حماية ملك « سوريا » ، وأنه فضلا عن ذلك سلمه ملك بلاده وحاصر معه « الإسكندرية ». وقصارى القول طرد « ايرجيتيس » أخاه « فيلومتور » من الإسكندرية فأصبح شريداً . وعندئذ لم ير الأخير مخرجاً له إلا الانقلاب إلى « روما » ليشكو لمجلس شيوخها ما حاق به من غدر وخيانة على يد أخيه . وكانت « روما » وقتئذ ملجأ الملوك المنفيين . ويقص علينا المؤرخ « ديدور » الذى كتب عن هذا العهد . فيحدثنا أن هذا العاهل الطريد جاء إلى « روما » ، وأنه عند ما كان يقترب من المدينة العظيمة سائراً على قدميه دون أن يكون فى رفقته إلا خصى وثلاثة عبيد ، رأى الأمير « ديمتريوس السليوكى » مقبلا لملاقاته — والأخير هو ابن أخ « أنتيوكوس الرابع » وكان حبيساً فى « روما » بمثابة رهينة — وقدم إلى « بطليموس » ملابس ملكية وتاجاً وجواداً مسرجاً بسرج فاخر ، لأجل أن يستطيع دخول « روما » بمظهر أقل حطة مما هو عليه ؛ ولكن « بطليموس » لم يعبأ بمثل هذه المظاهر الرسمية . فقد كان يريد أن يبعث — بالمظهر الذى هو عليه — الشفقة والعطف على حالته ؛ وبذلك يتمكن من قضاء حاجته التى جاء من أجلها . ومن ثم رجا « ديمتريوس » ألا يهتم به بل طلب إليه أن يبقى فى المؤخرة ليترك له المجال لتقديم نفسه بنفسه بالحالة التى تتناسب مع المصيبة التى حلت به .

بطليموس السادس فى روما

والواقع أنه عند ما وصل « بطليموس » إلى « روما » ذهب توا إلى مسكن حقير يملكه فرد يدعى « ديمتريوس » وهو رسام كان قد عرفه وآواه فى « الإسكندرية » . وقد كان من جراء تصنع « بطليموس » المسكنة والظهور بمظهر التواضع أنه غادر « روما » بعد أن حقق ما كانت تصبو إليه نفسه إذ أن مجلس الشيوخ اعتذر إليه عن عدم ارسال حاكم ليكون أمامه لاستقباله ، كما اعتذر إليه عن أنه لم يجهز له سكناً رسمياً ، وذلك لأنه لم يعلنه فى الوقت المناسب . إذ الواقع أن وصول الملك فجأة وخفية كان موضع دهشة كل الدنيا اللهم إلا أولئك الذين كانوا يعلمون بالأمر مثل الأمير السورى « ديمتريوس » . وبعد ذلك سكن « بطليموس » على حساب الحكومة الرومانية ووكل أمر العناية به إلى ضابط . وبعد ذلك دعاه مجلس الشيوخ إلى جلسة[1]. وقد قام كل من الطرفين بتمثيل دوره بصورة تامة .

وعلى أية حال فان كل هذه المجاملات التى تنطوى على اللطف وحسن المعاملة لم تأت بنتيجة مباشرة مرضية من قبل الرومان ، لأن مجلس الشيوخ لم يكن أبداً حذراً فى تعابيره المرضية إلا عند ما يكون قد حسب حسابه بأنه لن يتورط فى أمر لا يعود عليه بالنفع . ومن المحتمل أن « بطليموس » إذا لم يكن قد انتظر مدة طويلة لحضور جلسة مجلس الشيوخ لضاع عليه الحصول على جواب يحدد مقاصد الحكومة الرومانية معه . وعلى أية حال فانه لم يخبر بأن مجلس الشيوخ قد وجد الفرصة الممتازة ليقوم بقسمة السلطة الملكية بينه وبين أخيه بل كذلك لتقسيم البلاد نفسها فيما بينهما . ومن أجل ذلك نصح إليه مجلس

---

(١) راجع Diod., XXXI, 8, cf Val. Max. V, I.

الشيوخ على ما يظن أنه يذهب إلى قبرص وينتظر هناك مجرى الحوادث . ولا بد أن مجلس الشيوخ قد أرسل معه أو فى أعقابه بعثاً للتوفيق بين الأخوين على أن يقوم بمهمته على حسب الأحوال وهذا ما دعى للقول فيما بعد أن الرومان قد أعادوا الملك المخلوع إلى عرشه .

إعادة بطليموس السادس لعرش الملك

والواقع أن « فيلومتور » قد استدعاه الشعب « الإسكندرى » من « قبرص » بعد أن اتضح له بسرعة أن سفر « فيلومتور » قد أرخى العنان لغرائز « ايرجيتيس » . وقد كانت تنطوى نفسه على الشر والانتقام والأخذ بالثأر . وقد حدث ذلك على إثر قتله « تيموتيس » وهو شخصية معروفة كان قد أرسله من قبل « فيلومتور » فى بعث إلى روما عام ١٧١ ق . م . وقد كان من جراء ذلك أن نفد صبر « الإسكندريين » وجعلهم يقومون بتشتيت شمل البيت المالك واستدعاء « بطليموس فيلومتور » من « قبرص » . وهذا ليس بمستغرب على الشعب « الإسكندرى » . فقد كان مذاق طعم الثورات لا يفارق أولئك الذين تعودوا عليها ، وسكان « الإسكندرية » قد اعتادوا منذ زمن بعيد أن يولوا الملوك ويخلعوهم باعلان الثورة كلما وجدوا فى ذلك صالحهم

وعلى أثر هذه الثورة تدخل السفيران الرومانيان : « كانوليوس » (Canulius) و « مرسيوس فيليبوس » ، ولم يكن القصد من هذا التدخل مساعدة « فيلومتور » ، ولكن لأجل منعه من إساءة استعمال انتصاره ، وحماية « إيرجيتيس » الذى أثار غضب غمار الشعب عليه ، وكذلك ليحفظ له جزءاً من إرث والده . وقد شهد فيما بعد هذان السفيران أمام مجلس الشيوخ وباعتراف « فيلومتور » نفسه أن « ايرجيتيس » مدين لهما بملك « سيرينى » بل وبحياته ،

فقد بلغ كراهية الشعب له وحقده عليه إلى هذا الحد . ولذلك فانه لما رأى أن منحه ملك « سيرينى » لم يكن فى الحسبان بل كان أمراً دعى إلى دهشة الرأى العام ، فقبد قبله بسرور . وعلى ذلك أخذ يتبادل مع أخيه المواثيق على ذلك[٢]. حقاً كانت بين الأخوين قسمة فيا بينهما (غير أنه لم يكن هناك انفصال ، فقد كان ملك « سيرينى » لا يزال يحمل لقب « فيلومتور ») وعلى أية حال عقدت بين الأخوين معاهدة بمقتضاها تعزل « سرنيقا » عن مصر على أن تؤلف مملكة مستقلة يحكمها « إيرجيتيس » عام (١٦٣ ق . م) . وهكذا نرى أن السياسة الرومانية تحت ستار الصلح والتراضى بين الأخوين قد نقضت العمل العظيم الذى جاهد فى إتمامه البطالمة الأول ، فقد ضربت بمعولها البناء الذى كانوا قد أقاموه ؛ وكذلك نجد أنها قد إدخرت لنفسها الحق فى أن تثير عند الحاجة طمع أحد الأخوين عند ما يشعر أنه قد نال نصيباً أقل من ملك والده .

أما « فيلومتور » فانه على أثر هذا الإنقلاب أظهر حسن النية على الرغم مما حدث ، إذ قد سارع إلى إعلان عفوه عن أولئك الذين كان لهم ضلع فى نفيه ، وقد كان هذا الملك يأمل فى أن يعيش بعد ذلك بضع سنين فى هدوء وسلام ؛ غير أن « ايرجيتيس » لم يكد يعتلى عرش « سيرينى » حتى قام محتجاً على المعاهدة التى أبرمت بينه وبين أخيه وأخذ يشكو مر الشكوى من تصرفات « روما » على أثر الحوادث التى كانت تجرى فى « سوريا » . وذلك أن « أنتيوكوس ابيفانيس » ملك « سوريا » كان قد حضره الموت فى عام

---

(١) راجع Live Epit. XLVI.

(٢) راجع Polyb., XXX, 18.

١٦٤ ق . م بصورة علت بأنها انتقام إلهى ، وقد ترك بلاد يهودا فى يدى « يوداس مكابى » . أما عرشه فقد تولاه من بعده ابنه الصغير « أنتيوكوس الخامس يوباتور » . وفى الواقع كان يوجد مطالب آخر بعرش السليوكيين وهو « ديمتريوس » الذى كان ينادى منذ ثمانية عشر شهرا بأحقيته فى ملك «سوريا» ؛ لأنه ابن «سليوكوس الرابع» ، الذى تولى الحكم بعده «أنتيوكوس الرابع » كان بدون حق . وقد جاء الآن ابن الأخير وتولى عرش الملك وهو لا يزال رهينة فى روما ، ومن ثم إحتج « ديمتريوس » لدى مجلس شيوخ «روما» على هذا التصرف . غير أن المجلس الأخير كان يفضل أن يرى على عرش « سوريا » طفلا على « ديمتريوس » الذى كانت طباعه غير مرضية . ومن أجل ذلك أرسل بعث إلى الشرق فى أوائل عام ١٦٢ ق . م برياسة « أوكتافيوس » (Octavius) مهمته فحص سير الأمور فى «مقدونيا». وكان عليه وهو فى طريقه كذلك أن يحسم بعض الخلافات التى كانت بين « جالاتيس » (Gelates) وبين « أريارات » (Ariarathe) صاحب « كبادوشيا » . وأخيراً يتمم مأموريته الرئيسية . وذلك بأن يفض بصورة منظمة كل ما كان قد بقى لدى ملك « سوريا » من قوة حربية . وفى أثناء طريق هذا البعث للقيام بهذه المهام كانت شكاوى « بطليموس ايرجيتيس » الثانى قد وصلت إلى « روما » ؛ فأرسل مجلس الشيوخ أمراً للبعث بالذهاب كذلك إلى « الإسكندرية » لأجل أن يصلح بين الملكين الأخوين بقدر المستطاع . والواقع أن الصيغة التى وضع فيها أمر مجلس الشيوخ فيما يخص عمل صلح بين الملكين لا يشتم منها رائحة الرغبة الشديدة فى إصلاح ذات البين ، ومن أجل ذلك رأى البعث أن يفرض على الملكين المتخاصمين احترام الإتفاقات التى صودق عليها فى العام المنصرم على يد «كانوليوس » ، وأنه فى ذلك الكفاية . غير أن البعث الرومانى لم

يستمر فى طريقه حتى الإسكندرية لأن رئيسه « أوكتافيوس » قتل فى مدينة «لاوديسيا» من أعمال «سوريا» بيد رجل يدعى « لابتين » (Laptine) . ومن المحتمل أن هذا القاتل كان من الوطنيين الذين أحفظهم قتل الفيلة وحرق السفن الحربية على حسب أمر هؤلاء الرومان الذين جاءوا لتنفيذ ذلك[1] . وقد اعتبر هذا التعدى على جلالة الشعب الرومانى بمثابة « أعجوبة » .

إيرجيتيس الثانى يذهب إلى روما

غير أنه من جهة أخرى لوحظ أن صبر « بطليموس إيرجيتيس الثانى » كاد ينفد ؛ ومن أجل ذلك غادر « سيرينى » وفى حرسه فرد يدعى «بطليموس سيمبتيسيس» (Symptesis) . وقصد بشخصه « روما » ليشكو من أنه قد ضحى به من أجل أخيه ، وطلب إلى مجلس الشيوخ النظر فى إعادة تقسيم ملك مصر . وكان يرغب فى أن تضم إليه « قبرص » . على أنه كان من المعلوم أن مجلس الشيوخ قد سن قانوناً عام ١٦٦ ق . م حظر فيه على الملوك المجىء إلى « روما » .

غير أن المجلس رأى أنه من الصواب عدم تطبيق هذا القانون على « إيرجيتيس الثانى » الذى كان يعتبر فى حماية الرومان وبخاصة لأن هذا القانون العام لم يستخدم إلا مرة واحدة ، وهى حالة ملك « برجام » . وقد سنحت حينئذ الفرصة للملك « ايرجيتيس الثانى » أن يستعرض قضيته بحرية على مجلس الشيوخ ، مبيناً أنه كان مجبراً بحكم الضرورة على أن يوقع على القسمة التى أبرمت عام ١٦٣ ق. م. وأنه إذا استولى على « قبرص » بالإضافة إلى «سيرينى»

---

(١) راجع Polyb., XXXI, 12; 19, 1; XXXII, 7, 2. Appian Syr., 46.

يكون نصيبه متكافأ مع أخيه . ولكن « فيلومتور » كان فى تلك الفترة يرقب خطوات أخيه ، ومن أجل ذلك أرسل سفراء إلى « روما » على رأسهم « منيللوس » (Menyllos) للدفاع عن حقه . وقد عاضد « منيللوس » هذا فى دفاعه أعضاء مجلس الشيوخ الذين كانوا قد حضروا القسمة بين الأخوين . ومن ثم يمكن الاعتقاد بأن مجلس الشيوخ لم يكن فى مقدوره انكار ما قام به هؤلاء المفوضون . غير أن منطق الحكومة الرومانية كان له المكانة الأولى قبل كل اعتبار ؛ وأن تضحية حب الذات كانت أخف شىء يمكن الرومان أن يأتوه من أجل خدمة الوطن . وتفسير ذلك أن مصلحة روما كانت فى إضعاف مصر حتى لا تجعلها تستعيد وحدتها التى كانت فيما سبق تعتبر قوتها .

تدخل الرومان فى شؤون مصر

ومن أجل ذلك قرر مجلس الشيوخ أن يرسل بعثاً مؤلفاً من عضوين من مجلس الشيوخ وهما « توركاتوس» (Torquatos) و« ميرولا » (Merula) ليعيدا السلام بين « بطليموس فيلومتور » و « بطليموس ايرجيتيس الثانى » ، على أن تعطى « قبرص » للأخير ، وعلى أن يكون ذلك عن طريق المحبة ودون أى نزاع أو قتال . والظاهر من الفقرة الأخيرة من تعليمات مجلس الشيوخ أنه كان يقصد من ورائها الطاعة التامة التى يجب على المتخاصمين الخضوع لها . وكانت هذه الفقرة قد وضعت خوفاً من أن تكون هناك مقاومة من أحد الأخوين .

وعلى أية حال لم يكن « ايرجيتيس الثانى » مقتنعاً بأن أخاه سيذعن بما قرره مجلس الشيوخ . ولذلك نجد أنه عند ما وصل إلى بلاد الإغريق مع المبعوثين الرومانيين جند معه قوة كبيرة من الجنود المرتزقين وعلى رأسهم

اللص المقدونى «داماسيبوس» (Damasippos) . ومن هناك ، مر «برودس» و « بيروس » الرودسية ثم تقدم فى سيره على طول شاطىء « بامفيليا » ، وكان مستعداً وقتئذ بأن يقذف بجيشه الصغير على «قبرص» . غير أنه عند «سيدى» (Sidé) لوحظ أن مفوضى مجلس الشيوخ — اللذين كانا قد تركا «بطليموس» يفعل ما شاء حتى الآن — ذكراه بأنه محظور عليه استعمال القوة . وعلى ذلك قررا أن يصرف « ايرجيتيس » جنوده المرتزقة ، ثم ضربا معه موعداً عند حدود « سرنيقا » وحدود مصر حيث أخذا على عاتقهما أن يحضرا هناك « فيلومتور » ويقومان بعقد جلسة بين الأخوين المتخاصمين . وقد بقى « ميرولا » مع « إيرجيتيس » خوفاً من حدوث مخالفات جديدة ، أما « توركاتوس » فقد أبحر إلى « الإسكندرية » . وفى أثناء ذلك كان الملك « إيرجيتيس الثانى » فى طريقه إلى « سرنيقا » ماراً بجزيرة «كريت» . هذا ولم يفطن « ميرولا » (Merula) أن من واجبه منع « ايرجيتيس » من تجنيد ألف جندى آخر من أهالى «كريت» ، وقد ادعى الملك أنه يريد أن يؤلف منها حرساً لنفسه لا جيشاً . وعند ما نزل « ايرجيتيس » فى « أبيس» التى لا تبعد كثيراً عن الحدود المصرية انتظر هناك نتيجة المفاوضات التى كان يقوم بها « توركاتوس » فى « الإسكندرية » مع « فيلومتور » . ولكن انتظاره قد طال لأن « فيلومتور » لم ير لزاماً عليه أن ينزل عن كل ما تطلبه نزعات « روما » . فقد عارض كل الحاحات « توركاتوس » المعسولة وذلك تارة بالحجج وتارة أخرى بالرفض مما مد فى أجل المحادثات طويلا . ولما نفد صبر « إيرجيتيس » رجى « ميرولا » أن يذهب إلى « الإسكندرية » ليرى فيها سير الأحوال . وفعلا ذهب « ميرولا » إلى الإسكندرية ولكنه لم يعد منها وذلك لأن « فيلومتور » كان حريصاً على النظام الذى وضعه لنفسه تجاه الرومان

فقد طوق جيدهم بالهدايا ، يضاف إلى ذلك أنه أوحى إليهم بأنه سيخضع لأمر مجلس الشيوخ ، غير أنه كان يؤجل دائماً ، ومن ثم أبقاهما عنده كما يقال على الرغم منهما .

وفى أثناء ذلك كان « إيرجيتيس » قد أمضى أربعين يوماً مع جنوده الكريتيين دون عمل على البحر فى « سرنيقا » .

ثورة سيرينى على إيرجيتيس

وفى خلال ذلك طعن من الخلف طعنة نجلاء جعلته يسقط من عليائه وتطاح بآماله . فقد قامت ثورة فى « سيرينى » امتدت إلى الأقاليم الأخرى . وعندئذ شعر « سيمبتيسيس » قائده أنه لا حول له ولا قوة لاخضاع مثل هذه الثورة . ومن أجل ذلك رأى أنه من الخير له أن ينضم إلى الثوار . ولا نزاع فى أن هذه الثورة كانت هى العقاب الحق « لإيرجيتيس » على ما اقترفه من الأعمال الاستبدادية بل الجنونية التى كانت سبباً فى إيقاظ عاطفة الأسف والأسى لدى الأهالى على حريتهم التى فقدوها فى ظل حكم هذا الطاغية . والواقع أنه خيل للملك « ايرجيتيس الثانى » دون أى شك أن وزيراً من أرومة مصرية يمكنه أن يقوم مقامه أثناء غيابه فى رحلته ، وأنه لا يمكن أن يغرى على الاتحاد مع الأهالى فى بغضائهم للحكم الأجنبى ، ولكن الحوادث قد كذبت ما كان يأمل إذ أنه هو شخصه كان ممقوتاً مكروهاً فى « سرنيقا » .

وعلى أية حال فان « ايرجيتيس » على أثر قيام الثورة نسى « قبرص » والاستيلاء عليها وطار على جناح السرعة لانقاذ ملكه . فزحف بشجاعة مع فرقة جنوده التى كان قد ألفها من بين الكريتيين على « سيريى » . ومنذ

المراحل الأولى فى زحفه إلى « كاتاباثموس » (Katabathmos) العظيمة — وهو مكان صعب الوصول إليه — وجد الطريق مغلقة فى وجهه بحشود من اللوبيين والسيرينيين ، ولكنه تخلص بمهارة من هذا المأزق ، إذ أمر بانزال نصف جنوده فى سفن ، فأخذ هؤلاء اللوبيين من الخلف ، وذلك أثناء أن كان هو يهاجمهم من الأمام ، وبذلك استولى على الممر وعلى القلعة الصغيرة هناك ، وفى هذا المكان وجد الماء بكثرة وأمكنه أن يمد جيشه بالمؤن اللازمة لاختراق الصحراء التى كانت أمامه هناك . وقد أمضى سبعة أيام فى قطع هذه المفازة القاحلة تتبعه مراكب أهل « موخيرينوس » (Mochyrinos) . ولكن أهالى « سيرينى » من جهتهم كانوا قد وطدوا العزم على الدفاع عن أنفسهم . وعند ما اقترب جيش « بطليموس » من المدينة رأى أمامه حشرد جيش يبلغ ثمانية آلاف مقاتل من المشاة وخمسماية من الفرسان . ولقد كان من الطبعى أنه لم يكن لجيشه الصغير قبل لمقاومة هذا الجيش العظيم . ولذلك كان لزاماً عليه أن يتقهقر ؛ وعلى أية حال كان من حسن حظه أن الجيش السيرينى قد حصر همه فى الدفاع وحسب . وقد قابل « بطليموس » أثناء تقهقره « ميرولا » قادماً من « الإسكندرية » ليخبره أن أخاه « فيلومتور » لم يرد النزول عن شىء ، كما لم يرغب فى أن يغير أى شىء فى معاهدة القسمة التى عقدت بينهما[1] .

وعلى ذلك كان لا بد من بدء موضوع التوفيق بين هذين الأخوين من جديد ، ومن ثم أصبحت المعاهدة نفسها لاغية . لا سيما أن أهالى « سيرينى » اعترفوا بحكم « فيلومتور » ملكاً عليهم وكان لا بد من اعتراف « روما » به

---

(١) راجع Polyb., XXXI, 27.

فى هذه الحالة . وعلى أية حال عند ما عاد « ميرولا » إلى « روما » أرسل معه « إيرجيتيس » سفيريه « كومانوس » و « بطليموس » وهما اخوان و كلفهما بأن يضعا أمام مجلس الشيوخ ما وصل إليه أخوه « فيلومتور » من شره وغطرسة . أما « توركاتوس » فقد تبع زميله لأن « فيلومتور » فى خلال تلك الفترة كان قد سرحه فعاد بخفى حنين . هذا ولم يفت « فيلومتور » أن يرسل فى أعقابه بعثاً لمعارضة ما يطلبه أخوه . ووكل أمر الدفاع عنه إلى « منيلوس » مواطن « ألابندا » وهو السياسى الذى كان مثله فيما سبق أمام مجلس الشيوخ منذ المناقشة الأولى التى أثارتها تظلمات « إيرجيتيس الثانى » .

تدخل الرومان بين الأخوين

وقد شعر « فيلومتور » أنه فى تلك الفترة كان فى موقف لا يحسد عليه . إذ سيكون من الصعب على « روما » أن تغفر له رفضه لطاعتها بصورة علنية تقريباً . وذلك على الرغم من أن الموضوع قد حل بابرام عقد حقيقى تحت أعين « الرومان » بموافقة سفرائها . ومع كل ذلك فان « فيلومتور » لم يعمل شيئاً غير التمسك برأيه . ولم يعارضه أحد فى ذلك لأنه كان حقه . غير أنه لما كان مجلس الشيوخ يريد الآن أن يدخل فى عملية جديدة فانه نصح لسفرائه بأن يحلوا هذا الموضوع حبياً أى عن تراض من الطرفين المتنازعين . وفى خلال الجدال الذى أثير أمام الجمعية التى عقدت لسماع الوفدين المصريين لم يغب عن « منيلوس » أن يحبذ حججه قائلا إنه على حسب القانون لا يوجد جواب للخصم يثبت ما يدعيه . والواقع أنه لم يكن فى هذه الأيام رجال فتاوى فى مجلس الشيوخ ؛ ومن أجل ذلك قرر المجلس أن يتخذ من هذا النزاع مثالا يحتذى به . وكان كل من « توركاتوس » و « ميرولا » قد عاضد محامى

« ايرجيتيس » . غير أنه فى خلال المناقشة أخذ سوء خلقهما الدبلوماسى يلعب دوره . أضف إلى ذلك الانفعال الخفى الذى كان فى صدر الجمعية مما أحدث فى نهاية الأمر الانفجار الذى كان يتوقعه كل فرد هناك . إذ أخذت أصوات رجال مجلس الشيوخ فى الجلسة وعلى أثر ذلك أمر « منيلوس » أن يغادر « روما » فى خلال خمسة أيام[1] على أن يذهب ليخبر سيده بأن الشعب الرومانى لا يعترف به حليفاً .

أما « إيرجيتيس » فأرسل إليه مبعوثاً يعلنه رسمياً بقرارات مجلس الشيوخ . فسافر كل من « أبوستيوس » Apustius و «لنتولوس» Lentulus فى الحال إلى « سيرينى » حيث كان « ايرجيتيس » قد وجد وسيلة إلى العودة إلى مقر حكمه . ومن المحتمل أنه قد توصل إلى ذلك بادخال الرعب فى قلوب أهالى « سيرينى » بافهامهم أن الرومان قد تدخلوا فى الأمر . ويبدو أن ثورة أهالى « سيرينى » واستدعاء « ايرجيتيس » إلى ملكه قد وقعا فى عام ١٦١ ق . م

عودة إيرجيتيس إلى سيرينى بعد الثورة

وعلى أية حال فان أهالى « سيرينى » كان لديهم الوقت الكافى لوزن الأمور والتفكير فى مصيرهم . ولا نزاع فى أن ما كانت تصبو إليه نفوسهم هو أن يبقوا منفصلين عن مصر . هذا فضلا عن أن حرمان « ايرجيتيس » من حقه كان يعرضهم إلى حكم مصر من جديد من « الإسكندرية » .

والظاهر أن « فيلومتور » لم تروعه هذه الضربة المثيرة التى أنزلها به مجلس الشيوخ كالصاعقة ، ولم يحرك لها ساكناً . وعلى أية حال نجد أن مجلس

---

(١) راجع Polyb., XXXII, 1; Diod., XXXI, 28.

الشيوخ قد اكتفى بارسال رجال سياسته لتبليغ إنذاره إلى « فيلومتور » ؛ ولم يرسل معهم أى جنود لتكون تحت امرة « ايرجيتيس » لتنفيذ رغباته ، ولكنا نجد الأخير قد جند على جناح السرعة جيشاً لمحاولة الاستيلاء على «قبرص»[1]. غير أننا حال نجد من جهة أخرى أن سكان هذه الجزيرة لم يكونوا على استعداد لاستقبال الرجل الذى استبد بالسيرينيين حتى أصبحوا يمقتونه. وعلى ذلك لم يكن « فيلومتور » ليؤخذ على غرة بهجوم من أخيه . بضاف إلى ذلك أن « ايرجيتيس » الذى كان يستعد للحرب جهاراً لم يكن فى الواقع يرتكز إلا على مساعدة الرومان له ، تلك المساعدة التى لم تتجاوز حتى الآن إلا مظاهرات دبلوماسية . ولكن مجلس الشيوخ رأى أنه — بعد أن حاول تهديد « فيلومتور » — قد زاد دون شك عن حده فى مساندة فريق لم يكن الحق فى جانبه فيما ادعاه . ومن أجل ذلك فان سفراء « روما » بعد أن استقوا معلوماتهم فى هذا النزاع من مصادرها الأصلية رأوا أنه لا بد لهم من إيجاد سبب يغطى انسحابهم — الذى كان ضرورياً — من هذا المأزق . وقد انتهى رأى « ايرجيتيس » باقتناعه بأنه لا جدوى من المجهودات التى يبذلها فى هذه المسألة ، وعليه اذاً أن يبقى هادئاً فى عقر داره يترقب الفرصة التى بها يضع يده على « قبرص » . وكان الرومان قد سمحوا له بذلك على أن يتحمل هو كل ما عساه أن يحدث من أضرار من جراء ذلك .

فترة هدوء فى حياة بطليموس السادس

وهكذا نرى بعد كل هذا النضال أن « فيلومتور » أصبح هادىء البال لبضع سنين قام فى خلالها بعمل كل ما فى وسعه ليكون محبوباً عند الكهنة

(١) راجع Polyb., XXXII, 9.

والأجناد ، وذلك بطوافه مع الملكة « كليوباترا » زوجه لزيارة المعابد واغداق الهبات العظيمة عليها كما طاف على حاميات الوجه القبلى وتفقد أحوالها . يضاف إلى ذلك أنه زاد عدد رجال الدين الذين كانوا مخصصين لعبادة الأسرة فى مدينة « بطوليمايس » من ثلاثة إلى تسعة[1] بين عامى ١٥٩ و ١٥١ ق . م .

وأخيراً نعلم أنه فى عهد « بطليموس السادس » عادت حالة التفاهم والمهادنة مع اليهود وقد تحدثنا عن ذلك فى الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة ص ٧٦٤ . . . الخ .

وعلى أية حال لم يكن السلام الذى كان يتمتع به « فيلومتور » فى هذه الفترة إلا برقا خلباً وتراباً تحته وميض نار . فكان مثله كمثل الواقف على بركان يكاد ينفجر فى أية لحظة وذلك بالنسبة للسياسة الرومانية التى لم تكن قد نزلت قط عن رأيها رسمياً فى عدم أحقية « إيرجيتيس » فى « قبرص » . وقد كان الأخير يترقب الوثوب عليها عند ما تسنح الفرصة .

محاولة « ديمتريوس سوتر » الأول ملك « سوريا » الانقضاض على « قبرص »

غير أنه من سوء حظه ظهر منافس آخر وبعبارة أدق لص آخر يريد الاستيلاء عليها وأعنى بهذا اللص ملك سوريا الجديد « ديمتريوس سوتر الأول » . فقد كان بدوره يعد جزيرة « قبرص » بمثابة إقليم فى استطاعته الاستيلاء عليه . ولقد أفلح « ديمتريوس » هذا فى إغراء حاكم هذه الجزيرة ويدعى « أرخياس » (Archias) ليسهل له أمر الإستيلاء عليها ، ووعده

(١) راجع Beurlier De Divin honor., p. 66, Grenfell, Gr. Papyr. I, n. 25, II, nn 15 & 20..

مكافأة على ذلك بمبلغ خمسين تالنتا وبأمجاد فى بلاطه ؛ وفى اللحظة التى كانت ستتم فيها المؤامرة كشف أمر الخيانة لبلاط « الإسكندرية » . وعند ما علم « أرخياس » بافتضاح مؤامرته شنق نفسه تخلصاً مما عسى أن يلقاه من تنكيل وتعذيب (عام ١٥٥ ق . م) .

ومن المحتمل أن الخائن « أرخياس » هذا هو نفس الشخص الذى صاحب الملك « بطليموس السادس » فى رحلته إلى « روما » عام ١٦٤ ق . م . وعلى أية حال فلا بد أن هذا الحادث قد فتح عينى « بطليموس » وجعله أكثر يقظة . ولذلك أخذ يعمل على حراسة « قبرص » باهتمام أكثر من ذى قبل. وكان « ايرجيتيس » قد بدأ منذ هذه اللحظة يفهم أن آماله فى الاستيلاء على هذه الجزيرة قد تمتد إلى ما لا نهاية .

إدعاء إيرجيتيس الثانى محاوله قتله

ولا نزاع فى أن هذه المحاولة من جانب « ديمتريوس » قد أثارت ما فى صدره من شرور وأحقاد ، وأخذ يبحث عن طريقة أخرى يمكنه بها أن يجعل أنظار « روما » تتجه إلى شخصه ومصالحه . غير أن الطريقة التى دبرها كانت من نسج الخيال فقد علم ذات يوم فى « روما » أن « بطليموس الصغير » قد أفلت من الموت الذى كان قد دبره له أخوه بنصب أحبولة للقضاء عليه . والواقع أننا لا نعلم على وجه التأكيد إذا كانت هذه الأحبولة كلها من صنع « فيلومتور » أو أن « ايرجيتيس » أراد أن يفيد من حادث جاء عفو الخاطر ؛ ورغب بعد ذلك فى أن يلصقه بأخيه . وعلى أثر ذلك سارع « ايرجيتيس » فى الذهاب إلى « روما » ليطلع مجلس الشيوخ على الجروح التى أصابته ، وكان برفقته محامياه وهما « نولايداس » (Neolaidas) و « أندروماكوس »

(Andromachos) بغية اتهام «فيلومتور» بالشروع فى قتله وعندما سمع مجلس الشيوخ بهذا الحادث فرح فرحاً شديداً إذ أصبح فى استطاعته أن ينشر إجرام « فيلومتور » علناً بوصفه سفاح حاول قتل أخيه . ولا غرابة فى ذلك فان مجلس الشيوخ هذا كان يسعى منذ سنين مضت إلى وضع يده على أية غلطة تدين هذا العاهل وتجعل الرأى العام العالمى يثور عليه . هذا ولم يسأل «بطليموس إيرجيتيس الثانى » كيف عرف أن أخاه هو المحرض على ارتكاب هذه الجريمة النكراء بل اعتبرت جراحه البراهين التى لا يتطرق إليها الشك من حيث خيانة أخيه وغدره . وعلى أثر ذلك أمر مجلس الشيوخ سفراء « فيلومتور » بمغادرة « روما » فى الحال . أما « ايرجيتيس » فانه عاد إلى « سيرينى » وفى ركابه خمسة سفراء نخص بالذكر منهم «ميرولا» و « مينيسيوس ترموس » (Minicuis Thermus) . وكان هؤلاء المبعوثون من قبل مجلس الشيوخ مكلفين رسمياً بتتويج « ايرجيتيس الثانى » على عرش « قبرص » وفى الوقت نفسه أعطيت السلطة لحلفاء « الرومان » سواء أكانوا إغريقاً أم أسيويين بمد يد المساعدة القوية لتنفيذ أوامر مجلس الشيوخ . وقد أرسلت لهؤلاء الحلفاء رسائل تؤكد هذه الأوامر[١] (عام ١٥٤ ق . م) .

ولكن دلت شواهد الأحوال على أن « ايرجيتيس » فى هذه المرة قد وصل إلى نهايته . إذ الواقع أن « الرومان » كانوا قد غالوا هذه المرة كثيراً فى مساعدته حتى أصبح من العسير عليهم التراجع فيما قرروه ، وفى الوقت نفسه كان « ايرجيتيس » يعيش على ما للرومان من سلطان فى الشرق ؛ غير أن « الرومان » كانوا أحياناً يبيعون عزة نفوسهم بثمن بخس فكانوا لا

(١) راجع Polyb., XXXIII, 5.

يرددون أبداً فى ذلك عند ما تكون مصلحتهم فى كفة القدر ، ومع ذلك فان « ايرجيتيس » قد سولت له نفسه أن ينساق أمام وهم كاذب اشترك فيه وعاضده « الرومان » حياته . وقد دلت الأحوال على أن مجلس الشيوخ قد أساء معرفة كنه أخلاق « فيلومتور » ، عند ما تذكر تماماً أنه قد روئى فى « روما » فى حالة خضوع وذلة تدعو إلى الأسى والحزن . وعلى أية حال فان الرومان كانوا ينظرون إلى البطلمى على أنه سكير وجبان . ولكن « فيلومتور » الذى لم تجد معه المقاومة السلمية حتى الآن استمر على رأيه فى عدم التسليم لمطالب الرومان . ومن ثم فان المبعوثين الرومان — الذين لم يمكن تتبع أثرهم — لم يكن فى استطاعتهم زحزحة « إيرجيتيس » عن موقفه الصحيح كما لم يمكنهم غل يديه عن تحصين « قبرص » حتى تصبح قادرة على الدفاع عن نفسها . وقد أصبح الموقف أكثر حرجاً عند ما علم أن حلفاء « روما » الذين كتب إليهم لمساعدة « ايرجيتيس » لم يروا من المستحسن أن يظهروا غيرتهم لهذه المشكلة أكثر من الرومان أنفسهم . فنراهم يتظاهرون بأنهم لم يفهموا أن اعطاءهم حق التدخل فى موضوع « قبرص » إن هو إلا مجرد دعوة دعوا إليها وحسب ، يضاف إلى ذلك أنه كان لديهم سبب يدعوهم إلى إساءة الظن بتلك الدعوة وذلك لأن اللغة التى صيغت بها الرسائل التى أرسلت إليهم كانت خارقة للمعتاد لدرجة أنهم شكوا فى أن الدعوة كانت جد خطيرة .

الصلح بين الأخوين

وهكذا وجد « إيرجيتيس » نفسه قد أصبح وليس لديه سند يعتمد عليه إلا ما لديه من قوة حربية وعتاد ؛ يضاف إلى ذلك أن ولاء سكان « قبرص »

للملك « فيلومتور » قد جعل مشروعه فى غزو هذه الجزيرة أمراً مستحيلا . ومن ثم نجده قد حوصر فى مدينة «لابتوس» (Lapethos) ووقع فى قبضة أخيه . ومن الغريب أن موقف « فيلومتور » من الاتهامات التى اتهمه بها أخوه قد أتت بنتيجة على عكس ما كان منتظراً . فبدلا من معاملته معاملة الثائر الذى قبض عليه شاهراً سلاحه ويستحق بذلك القتل فانه عرض عليه أن ينسى الماضى ، ويعقد معه أواصر التحالف والأخاء من جديد وألا ينقض أبداً ما بينهما من روابط دم ومودة .

وكان من نتائج هذا الصلح أن أخاه لم يقف عند ترك « سيرينى » له بل عرض عليه كذلك الزواج من ابنته[1] كما وعده بأن يقدم له دخلا سنوياً من القمح بمثابة مهر الأميرة الصغيرة .

تسامح بطليموس السادس والإشادة بحسن أخلاقه

وهذا التسامح الكريم من جانب « فيلومتور » لم يأت عفو الخاطر ، بل لا بد أن الخوف من « روما » كان له دخل فيه . وعلى أية حال لا بد من الاعتراف بما كانت تنطوى عليه نفس « فيلومتور » من طيبة طبيعية هذا بالإضافة إلى روابط الدم التى كانت تربط الواحد منهما بالآخر . وعلى ذلك لا يتردد الإنسان فى الاعتراف بأن « فيلومتورا» كان رجلا تقياً كما كان من أرق الشخصيات الملكية فى التاريخ البطلمى . ومن أجل ذلك قدم له رفاقه فى السلاح — وهؤلاء هم الذين حاربوا جنباً لجنب معه فى قبرص واشتركوا معه فى تنفيـــذ أعماله الجليلة — إكليلا من الذهب فى معبد « ديلوس »

(١) راجع Polyb., XLII, 2; Diod., XXXI, 33.

كما قدموا له بهذه المناسبة شكرهم على حسناته لهم ولأوطانهم ، وقد أعجبوا بوجه خاص بطيبته وسمو نفسه التى ساعدت على قيام المحبة والسلام فى البلاد ؛ هذا بالإضافة إلى سعيه جهد الطاقة وراء الوصول إلى أن يكون على وفاق مع الرومان[1].

وعلى أية حال لم يتم مشروع الزواج الذى كان قد عرضه على أخيه من ابنته ، والسبب فى ذلك لا يزال مجهولا لدينا . أما « إيرجيتيس » فانه قد لازم الصمت منذ ذلك الحين .

وكان لديه من الوقت ما يسمح له بالقيام بدور الأمير الطيب فى « سيرينى » ، وكذلك القيام بمهام خاصة يرقى بها ببلاده مثل القيام بدور كهانة « أبو للون » السنوية مما هيأ له الفرصة ليقدم الهدايا لأسلافه[2].

هذا ولا يبعد أن مبعوثى الرومان قد ساعدوا — وهم فى حالة ضعف — على هزيمة من كان فى حمايتهم وإخضاعه . ومما لا ريب فيه أنهم عند عودتهم إلى « روما » عام ١٥٤ ق . م أو السنة التى تلت ذلك ، لم يعزوا عدم تنفيذ رسالتهم إلا إلى « فيلومتور » ، وقدموا فى الوقت نفسه مجموعة شكاوى جديدة تدين هذا الملك الجامح . غير أن « كاتو » المسن الذى كان يشغل وظيفة مراقب ، أهاجته هذه الدسائس المريبة ؛ ومن ثم أخذ يدافع عن « فيلومتور » فوصفه ملكا ممتازا ومحسنا كريما ثم أخذ يكشف عن دهاء « إيرجيتيس » وشره . وبعد ذلك أمر بعمل تحقيق مع « ترموس » نفسه أدى إلى إدانته ووصف بأنه غير موال لمجلس الشيوخ[3]. وقد كان أكثر غضبه — من

(١) راجع B C H XIII (1889), p. 230-232.

(٢) راجع Athon XII, p. 549 e-f, 550.

(٣) راجع B. L II. p. 45.

الأمور المتعلقة بمصر — هو أنها حولت الأنظار عن « قرطاجنة » .

وكان « كاتو » يسره أن يحول أنظار السفراء والجمعيات والبحوث التي كانت تجرى آنذاك لتكون بمثابة مقدمة لتنفيذ الأعمال الحربية التي كان يرمى إليها فى إفريقيـــا . وتدل الظواهر على أن تدخل « كاتو » مضافاً إلى ذلك الإستعدادات الخاصة بالحرب التأديبية الثالثة — بصرف النظر عن ظهور علامات تدل على قطع العلاقات قريباً بين «روما» والحلف الآخى — لم تساعد على خلاص « فيلومتور » من هم كان يشل مبادرته بالقيام بأى مشروع منذ خمسة عشر عاماً . والسبب فى ذلك واضح جلى ذلك أنه ما دام « الرومان » لم يقضوا قضاء مبرما على « قرطاجنة » فانه كان لديه الفرصة فى أن يكون حر اليدين . ومن أجل ذلك كان فى مقدوره أن يتناول من جديد الأعمال السلمية فى داخل البلاد كما سنرى بعد ، أما فى خارج مصر فانه كان يهتم بوجه خاص بالأرخبيل اليونانى وبالأحوال الجارية هناك . والمظنون أنه قد تعرف الباحثون على صورة للملك « فيلومتور » فى تمثال عليه نقش مصرى يمكن أن يكون الملك قد أعطاه « ازيس » فى « ميتانا »[1] . هذا ونعلم أن ايطالى «كريت» عند ما هاجمهم « البراسين » » (Parassens) دعوا « فيلومتور » للأخذ بناصرهم[2] وكان الكريتيون يفهمون دون شك أن « فيلومتور » من بين الملوك الذين يمكنهم أن يتحدوا مع الآخيين على الرومان .

وأخيراً نجد « فيلومتور » يحول أنظاره تجاه « سوريا » حيث كانت الأحوال مهيئة للبطالمة ليكون لهم أمل فى الأخذ بالثأر لأنفسهم بسبب ما حل بهم من غم ومصائب فى الماضى .

(١) راجع Ein Porträt des Ptolemaeus VI Philometor in Athen, Mittheil. X (1885), p. 212-222.

(٢) راجع CIG., II Add., 2561 b.

الحرب السورية السابعة

حالة « سوريا » قبل الحرب السابقة مع « مصر » :

رأينا فيما سبق أن « بطليموس فيلومتور » كان منتصراً على أخيه فى النضال الذى قام بينهما . وقد أراد أن يفيد من هذا النصر باسترداد « سوريا الجوفاء » . وكانت الأحوال السياسية فى العالم المتمدين وقتئذ مهيئة له لنيل أمنيته . فقد كانت قوة الامبراطورية السليوكية وقتئذ آخذة فى التدهور والإنحدار الشديد ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أمرين هامين : الأول ما كان يجرى فى داخلها من خلافات شديدة مما أدى إلى وقوع انشقاق على تولية العرش ، والأمر الثانى هو أنه منذ أن هزم الرومان السليوكيين أصبح مجلس الشيوخ الرومانى يراقبهم عن كثب هم وحلفاءهم ويدسون لهم الدسائس كلما رأوا أنهم أخذوا يفيقون من هزيمتهم .

وقد قامت الخلافات الداخلية فى أسرة السليوكيين على تولى العرش الذى كان وراثياً .

تدخل الرومان فى شئون السليوكيين

ولم نلبث أن رأينا الرومان يمدون أصابعهم إلى خرق هذا النظام الوراثى . وذلك أن « أنتيوكوس الرابع ابيفانس » قد خلف أخاه « سليوكيس الرابع » خارقاً بذلك قانون الوراثة الذى كان يعطى حق العرش لابن أخيه «ديمتريوس» الذى كان قد حل محله فى « روما » بمثابة رهينة . هذا وكان « إبيفانس » بدوره قد ورث العرش لابنه « أنتيوكوس الخامس » الذى لقب « يوباتور »

(Eupator) وذلك فى عام ١٦٤ ق . م . غير أن « ديمتريوس » فر من إيطاليا واستولى لنفسه على عرش الملك بعد أن قتل الوارث الصغير المغتصب للعرش وذلك فى عام ١٦٢ ق . م . والظاهر أن هرب هذا الأمير لم يكن مثار غضب أو حنق من قبل مجلس الشيوخ الرومانى ، بل ربما كان عن رضى منه.. ولقد كان من جراء هذا العمل الذى قام به « ديمتريوس » الذى لقب « سوتر الأول » أن قام لمناهضته حزب كان يترقب اللحظة التى يمكنه فيها القضاء عليه بمساعدة الملوك المجاورين له وهم الذين كان يهمهم الإسراع فى تشتيت شمل الإمبراطورية السليوكية ؛ هذا بالإضافة إلى أن « روما » كانت مشتركة سراً فى هذه الحركة ، وذلك بتغاضيها عما عساه أن يحدث لقلب حكومة «ديمتريوس» وقد عجل القضاء على هذا العاهل ما كان يتصف به من كبرياء وغطرسة مما أدى إلى كرهه وشجع المتآمرين عليه . والعقبة التى كانت تقوم فى وجه مناهضيه هى من سيرث العرش بعد القضاء عليه ؟ غير أن « ديمتريوس » كان قد فطن لذلك فقضى بحد السيف على كل نسل الأسرة المناهض له . على أنه لما أعوز.مناهضوه وجود وارث حقيقى للملك ، وجد مدع ليتولى العرش وأخذ على نفسه القيام بتمثيل هذا الدور .

الاسكندر بالاس وعرش سوريا

وآية ذلك أن الملك « أتالوس الثانى » ملك « برجام » الذى كان يعلم فيما مضى ما قام به « أنتيوكوس ابيفانس » من إغتصاب العرش ، قد كشف فى « أزميرنا » أو « رودس » عن وجود شاب فى مقتبل العمر يدعى « بالاس » (Balas) . وقد ادعى « بالاس » هذا أنه ابن « أنتيوكوس ابيفانس » ، ومن المحتمل أنه كان ابنه من إحدى حظياته .

هذا وقد أمر باحضاره إلى « برجام » واعترف به ملكاً على « سوريا » باسم « الإسكندر » . وبعد ذلك ألقى بخبر هذه الشعلة التى أوقدت نار الشقاق فوق حدود « كليكيا » عام ١٥٤ ق . م وعلى ذلك بدأت الثورة المنتظرة فى الحال . فقاد المدعى لعرش « سوريا » سياسى قديم يدعى « هيراكليدس » — وكان على استعداد لذلك — إلى روما وعاد منها بعد أن اعترف به ملكاً على الإمبراطورية السليوكية من مجلس الشيوخ عام ١٥٢ ق . م .

مساعدة بطليموس السادس للاسكندر بالاس

ولم يكن ينقص هذا المدعى الجديد إلا جيش لتثبيت عرشه . وقد لبى هذا الطلب « بطليموس فيلومتور » فجهزه بجيش كامل العدة . ولا غرابة فى ذلك فان مصر قد انتهزت هذه الفرصة لتنتقم لنفسها مما حاق بها من خزى وعار من جراء « سوريا الجوفاء » . على أن مصر من جهة أخرى كانت تقوم بذلك وهى آمنة مطمئنة من ناحية إغضاب « روما » . والواقع أن « بطليموس فيلومتور » لم ينس « لديمتريوس » الطريقة التى كانت تدل على عدم الوفاء عند ما حاول الاستيلاء على « قبرص » منه بالقوة . ومن الجائز كذلك أنه لم ينس ما دار بينهما من حديث فى « روما » سابقاً وكيف أنه احتقره هناك وهو فى حالة بؤس لا تليق بملك . وأفهم « فيلومتور » على أية حال أن الفرصة كانت مواتية فى هذه اللحظة للإستيلاء من جديد على « سوريا الجوفاء » .

والظاهر أن « فيلومتور » لم يشترك فى الحملة التى قام بها « بالاس » هذا والتى ختمت بهزيمة « ديمتريوس سوتر الأول » وموته عام (١٥٢ — ١٥٠ق.م) وحقيقة الأمر أن « بطليموس فيلومتور » كان قد وكل قيادة جيشه لصديقه

«جالاثستيس» (Galaestes) «الآتامانى» . أما «بالاس» فكان على رأس فصيلة من الجنود المصريين وصل بها إلى شاطىء «فينيقيا» . ولم يمض طويل زمن حتى فتحت حامية «بطلمايس» أبوابها له[١]. ومنذ هذه اللحظة أمكن التنبؤ بنتائج هذه الحملة . إذ أن أعداء «ديمتريوس» كانوا يرتكنون على عدم محبة الشعب لملكهم ، وأن عواطف الشعب لم تكن معه . هذا إلى أنه لم يكن فى مقدوره كسب محبة جنوده . وأخيراً لم يكن الملك مسيطراً حتى على عاصمة مملكته التى قامت بثورة عاتية عليه . ومع كل ذلك فانه وطد العزم على الدفاع عن نفسه ، وذلك على الرغم من أنه كان يشعر بسوء المنقلب ، ولا أدل على ذلك من اهتمامه بوضع ولديه فى مكان بعيد عن الخطر وهو بلدة «كنيد» (Cnide) وعلى أية حال فان إحساسه بالخطر لم ينتزع شيئاً من نشاطه . وفعلا كسب الجولة الأولى فى أول لقاء مع العدو لدرجة أن انتصاره كاد يكون كارثة لقرنه ؛ ولكن لم يلبث الملوك الذين كانوا يحاربون فى صف «الإسكندر بالاس» أن رقعوا الصدوع والثغرات التى حدثت فى صفوف الجيش ، وإن هى إلا هنيهة قصيرة حتى أخذ جنود «ديمتريوس» يفرون إلى جيش العدو بكثرة ، يضاف إلى ذلك أن اليهود الذين كانوا منذ عهد «إبيفانس» يحاربون فى صف ملوك «سوريا» قد انضموا إلى جانب المدعى الجديد للملك .

وانتهت المعركة بهزيمة «ديمتريوس» ووقوعه صريعاً فى ساحة القتال بعد أن قام بأعمال بطولة خارقة لحد المألوف[٢] . وعلى أية حال ترك هذا البطل

(١) راجع Joseph A. Jud. XIII, 2, I. I Macc. 10

(٢) راجع Justin. XXXV, 1-2. Macc. 10, 49-5, Joseph A. Jud., XIII. 2, 4

أمر الإنتقام له لأولاده . وكان لا يشك فى أن « بطليموس فيلومتور » سيساعدهما على هذا الإنتقام .

زواج بالاس من كليوبترا إبنة فيلومتور

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن « الإسكندر الأول بالاس » كان يعرف تمام المعرفة لمن هو مدين بتاجه . ومن أجل ذلك رأى أنه من حسن اللياقة والمهارة وفوق كل ذلك من السياسة الحاذقة أن يطلب إلى « فيلومتور » يد ابنته «كليوباترا » (تيا) . ولا نعجب إذا كان « بطليموس فيلومتور » يرغب فى الوقت نفسه بل اقترح هذا التحالف الأسرى بينه وبين « الإسكندر » . ومع ذلك يظهر أنه كانت توجد أسباب كثيرة تحمل على الظن أن « بطليموس فيلومتور » قد أتم هذا الزواج على الرغم منه بعض الشىء . حقاً لم يعد « فيلومتور » يأمل فى زواج ابنته هذه من أخيه « إيرجيتيس » ، بل ربما كان لا يرغب هو حتى فى هذا الزواج ، غير أن الأمر الذى كان يقلق باله هو أنه كان يشك فى أن « الإسكندر » هذا لم يكن من دم « سليوكى » ، وإن كان هو قد عامله على هذا الأساس للوصول إلى غرضه .

موقف بطليموس السادس من الحروب التى قامت على بالاس

وحقيقة الأمر أن غرضه الأصلى كان أن يأخذ منه «سوريا الجوفاء» بعد نصره بمثابة مكافأة على مساعدته له . ولكنه رأى بعد أن تم زواج « الإسكندر » من ابنته أنه قد أصبح من الصعب أن ينتزع « سوريا الجوفاء » من زوج ابنته . ولهذا فان سلوك « بطليموس » فيما بعد يفسر لنا بطريقة أوضح كيف

أن هذا التحالف الوثيق مع « الإسكندر بالاس » لا يمكن أن يمر دون أن يحدث بعض ارتباكات فى مشروعاته الاستعمارية .

تم الزواج فى مدينة « بطلمايس» بين الإسكندر « بالاس » و « كليوباترا » (تيا) إبنة « فيلومتور » حيث جاء الأخير بنفسه مع إبنته ، وقد تسلمت هذه الأميرة — بمثابة مهر — مبلغاً ضخماً من الذهب والفضة يليق بابنة ملك يضاف إلى ذلك أن الأمير اليهودى « جوناتان » قدم هدية لها ولكنه تسلم ثمنها فى الحال ، وذلك لأنه أتى بهذه الهدية ليطلب إلى هذا العاهل منحه استقلال بلاده استقلالا تاماً وقد حصل على ذلك فعلا[1] .

وعلى أية حال لم يبق « الإسكندر بالاس » ثابتاً على عرش ملك السليوكيين طويلا ، إذ على أثر عودته من ميدان القتال بدأت بوادر سقوطه تظهر بما قام فى البلاد من حروب داخلية . وذلك أن هذا المحدث الغر لم يكد يستقر به الملك حتى أخذ يلهو ويلعب ويقيم الولائم ويقضى وقته بين الحظيات من جهة وبين الفلاسفة الأدعياء والأساتذة أصحاب الأخلاق السهلة المنحلة ، وترك مقاليد أمور الدولة فى يد « أمونيوس » (Ammonios) يتصرف فيها كيف شاء . ومن ثم بدأ الشعب يظهر له العداوة والبغضاء والاحتقار أكثر من سلفه . وعلى ذلك فان ما كان ينتظر قد حدث ؛ إذ بدأ رد الفعل الناتج عن سوء سلوكه يحيي الآمال فى نفس « ديمتريوس الثانى نيكاتور » بن « ديمتريوس سوتر » ، فنجده قد نزل فعلا فى بلاد « كليكيا » بجيش صغير من الجنود الكريتيين المرتزقين (عام ١٤٨ ق . م) ؛ وفى تلك الأثناء كان « بطليموس فيلومتور » يرقب سير الأمور فى مملكة زوج ابنته « كليوباترا » (تيا) ، وعند ما تأكد أن

---

(١) راجع Athen. V. p. 211

المدعى الجديد أخذت كفته ترجح ، وأن الأمل فى انتصاره قد أصبح قاب قوسين أو أدنى ، تدخل فى الأمر ووضع نفسه موضع الحكم فى الموقف الذى نشأ جديداً ، ورأى أنه فى قدرته أن يصحح الأوضاع كما يشاء على حسب المعاهدات السابقة . ومن أجل ذلك زحف بجيش وأسطول على ساحل بلاد « فنيقيا » . وكان الشعب يقابله فى كل مكان بمظاهر الفرح والترحاب . وقد أخفى « فيلومتور » الغرض الحقيقى من زحفه . والآن يتساءل المرء : هل يا ترى كان الشعب يحييه بوصفه حليف «سوريا» ؟ أو أن أهل «فنيقيا» كانوا يرحبون به بوصفه سيدهم الجديد ، وأنه هو الذى سيضم بلادهم إلى الأملاك البطلمية التى كان يسودها وقتئذ السلام ؟ الحقيقة أن الجواب على ذلك لم يكن سهلا ميسوراً ، لأن « بطليموس » لم يفصح عن نواياه . ومن أجل ذلك ترك الشعب الفنيقى يتحدث بالحدس والتخمين ، وفى الوقت نفسه كان يظهر بمظهر ملك البلاد . يدل على ذلك أنه أخذ يستمع لشكاوى سكان « أشدد » التى خربها اليهود ؛ أضف إلى هذا أنه كان يتقبل خضوع « جوناتان » فى « يافا » . ولا بد أن أفعال « بطليموس » هذه قد ألقت الرعب فى سكان « أنطاكية » . ومن أجل ذلك أخذ « امونيوس » يستعد للقضاء على حياة « بطليموس » بيد أحد المجرمين الذين كلفوا حوله ، وبذلك يتخلص من شروره ويضمن لنفسه ولمليكه الخليع ، الثبات على عرش ملكه .

محاولة اغتيال بطليموس السادس فى سوريا

والثابت عن ذلك أن « بطليموس » عند ما وصل إلى « بطليمايس » السورية حوول اغتياله . وقد عزيت هذه الجريمة — سواء أكان ذلك بالحق أم بالباطل — إلى « أمونيوس » وزير « الإسكندر بالاس » . وعلى أثر ذلك أمر

« بطليموس فيلومتور » صهره أن يسلم المجرم . وعند ما رفض «الإسكندر» تسليمه ثار ثائر « بطليموس » ، واتهم صهره بأنه هو نفسه المدبر لهذه الجريمة . وعند ما اشتدت الحال إلى هذا الحد حاول أهالى «أنطاكية» عبثاً إرضاء « فيلومتور » بقتل « أمونيوس » الذى كان مبغوضاً من الشعب . غير أن ذلك لم يرض « بطليموس » . ومن ثم أصبح الملك «الإسكندر» هو المجرم فى نظره

بطليموس ينقض المعاهدة التى بينه وبين بالاس

واتخذ «بطليموس» ذلك ذريعة لنقض المعاهدة التى كانت بينهما . وقد ذكرت لنا المصادر اليهودية التى كانت موالية للملك «فيلومتور» وقتئذ أن «بطليموس» كان على حق فى كل ما فعله مع صهره ، ولم تذكر لنا أنه كان يقصد من وراء ذلك استرداد « سوريا الجوفاء » . ولا نزاع فى أن « بطليموس فيلومتور » كان يعلم على حسب ما مربه من تجارب أنه فى الإستطاعة إتهام إنسان زوراً وبهتاناً بارتكاب جريمة القتل وذلك بالدسائس والخداع . والظاهر أن « بطليموس » قد سارع إلى جعل مسئولية هذه الجريمة تقع على عاتق زوج ابنته الذى لم يكن له أية مصلحة فى التخاصم مع والد زوجته ، لا سيما أنه جاء فعلا بحافز حمايته من هذا المدعى للملك . وعلى أية حال فانه لمن الصعب على المرأ أن يفهم أن « بطليموس » قد قلب مشاريعه هكذا دون أن أن يكون لديه معلومات كافية حتى أصبح عدو حليفه وحليف من كان يحاربه ، اللهم إلا إذا كان قد سمح لنفسه أن يقلب ظهر المجن لصهره . ومهما يكن من أمر فانه يظهر أمامنا ما كان يكنه فى قرارة نفسه بصورة واضحة على ما يظن إذا عرفنا بأية وسيلة نجح « بطليموس » فى انتزاع ابنته من أحضان « الإسكندر بالاس » ، وهى التى لو كانت قد بقيت مع زوجها للعبت دور

الرهينة عنده . (ومما يؤسف له أن « بطليموس فيلومتور » هذا قد استعمل ابنته « كليوباترا » (تيا) بمثابة قطعة متاع يحركها كيف شاء فقد حدثتنا الأخبار أنه زوجها من ثلاث ملوك سوريين ، وكان أول أزواجها «الإسكندر بالاس » الذى نحن بصدده ، وبعد خلعها منه زوجها كما سنرى بعد من « ديمتريوس الثانى نيكاتور » وأخيراً زوجها من « أنتيوكوس السابع » سيديتيس (Sedites) .

بطليموس السادس يزوج ابنته « كليوبتراتيا » من « ديمتريوس » مقابل النزول عن سوريا الجوفاء

هذا ونجد أن « بطليموس فيلومتور » بعد انتزاع « كليوباترا » (تيا) من أحضان « الإسكندر بالاس » أراد أن يزوجها من « ديمتريوس » ، وذلك بعد وعده إياه باعادة ملك والده له . وبطبيعة الحال قبل « ديمتريوس » هذا العرض عن طيب خاطر ، إذ أنه لم يكن يحلم به . وقد طلب « بطليموس » فى مقابل ذلك من « ديمتر يوس » أن يعيد إلى مصر « سوريا الجوفاء » . ولا ندرى على وجه التأكيد إذا كان « بطليموس » قد أملى شروطه هذه قبل دخول « أنطاكية » أو بعدها . والمرجح أن ذلك قد حدث قبل دخول المدينة[1] . أما « الإسكندر بالاس » فانه لما رأى نفسه قد حرم من كل عون لم ير فائدة من المقاومة . وعلى أية حال لم يبق على خلعه والتخلص من شروره إلا إقناع سكان « أنطاكية » بألا يترددوا فى القضاء عليه . والواقع أن سكان هذه المدينة كان مثلهم فى هذا الموقف كمثل المستجير من الرمضاء بالنار حقاً لم يكن لديهم أية عاطفة حب « للإسكندر بالاس » ولكنهم من جهة أخرى

(١) راجع Polyb., XXXII, 9c.

كانوا يحملون فى نفوسهم أحقاداً دفينة « لديمتريوس سوتر » الذى استبد بهم ولاقوا فى حكمه الهوان . وكانت هذه الأحقاد تمتد بطبيعة الحال إلى خلفه . ومن ثم كانوا يخافون شراً مستطيراً من ابنه الذى كان سيتولى أمورهم . وقد حاول « بطليموس » فى حديثه مع السكان — بكل ما لديه من قوة — تأمين خوفهم . وفى النهاية حصل منهم على الموافقة بطرد « الإسكندر بالاس » الذى لجأ إلى « كليكيا » وهى التى كانت تعتبر المنفى العادى لكل أولئك الذين يخرجون على النظام المقرر . ومع ذلك نجد أن أهالى « أنطاكية » لم يكونوا راضين عن قبول تنصيب « ديمتريوس » ملكاً عليهم .

بطليموس السادس ينصب ملكا على سوريا

هذا وقد إقترح الوزيران اللذان عينهما « الإسكندر الأول بالاس » بعد موت «أمونيوس» وهما «هيراكس» (Hierax) و « ديودوتوس » (Diodotus) للتخلص من هذا المأزق — فكرة غريبة فى بابها وليست من الوطنية فى شىء فى الوقت نفسه ، وهى منح تاج «سوريا» «لبطليموس فيلومتور» نفسه . وعلى ذلك نرى أنه عند ما دخل ملك مصر «أنطاكية» عاصمة الملك لإنهاء المفاوضات قابله الشعب الإنطاكى بالهتافات مرحبين به واعترفوا به بصوت واحد ملكاً على «سوريا» . وهكذا تحقق حلم «أنتيوكوس ابيفانس» إذ تم اتحاد المملكتين سوريا ومصر تحت صولجان واحد ، ولكن بصورة معكوسة ؛ فقد كان هذا الاتحاد لصالح الملك البطلمى الذى كان قد حول فيما مضى اسقاطه من على عرشه . هذا وقد قبل « بطليموس فيلومتور » على الرغم منه وتحت ضغط الرأى العام السورى وضع التاجين على رأسه . غير أن « فيلومتور » فى غمرة النصر فاته أن يحسب حساب الدرس

الخطر الذى أحدثه هذا النبأ فى مجلس شيوخ « روما » . ولكن « فيلومتور » على ما يظهر أحس بالخطر الذى كان يتهدده من جراء هذه الخطوة الجريئة التى خطاها ، ولذلك فانه لما هدأت الأحوال قليلا من جراء هذا النبأ جمع الشعب الأنطاكى وأخبره بأنه سيكتفى بملك مصر وأنه كفيل بمراقبة « ديمتريوس » صهره الذى لم يكن أى ضغن فى نفسه لهم ، وأنه قد أخذ على نفسه ميثاقاً بألا يقدم على ارتكاب أية جريمة للانتقام من أعداء والده . وبهذه الكلمات المطمئنة أمكن « بطليموس » أن يجعل أهل « أنطاكية » يعترفون بتنصيب « ديمتريوس » ملكاً عليهم .

بطليموس السادس يتنازل عن عرش سوريا لديمتريوس

على أن سير الحوادث لم ينته عند هذا الحد ، لأن « الإسكندر بالاس » على الرغم من هزيمته لم يلبث أن ظهر ثانية على رأس جيش جديد جنده من أهالى « كليكيا » ، وأخذ يخرب به إقليم « أنطاكية » نفسه . وعند ما سمع « فيلومتور » بهذا النبأ سارع فى الحال لنجدة زوج ابنته « ديمتريوس » وشد أزره .

والظاهر أنه كان يحتفظ بجيش له معسكر فى « سوريا الجوفاء » . وقد وقعت فعلا بين الفريقين حرب عند شاطىء نهر « أونوبا راس » (Oenoparas) أحد روافد نهر الأرنت (نهر العاصى الحالى) . وقد دارت الدائرة على « الإسكندر بالاس » بانتصار « بطليموس » وصهره نصراً حاسماً ع .

موت بطليموس السادس متأثراً بجراحه

غير أنه مما يؤسف له أن « بطليموس فيلومتور » حمل من ساحة القتال

جرحاً بعد أن هشم رأسه وبقى فاقد الوعى مدة أربعة أيام حاول الطبيب فى خلالها جبر الكسر الذى حدث فى رأسه ، ولكنه مات أثناء العملية .

توفى « بطليموس السادس » وهو فى السنة السادسة والثلاثين من حكمه[1] . ويحدثنا المؤرخ اليهودى « جوسيفوس » أن « بطليموس فيلومتور » عاد إلى شعوره فى اليوم الخامس من سقوطه من فوق جواده وأمكنه أن يرى « الإسكندر بالاس » الذى أحضر إليه قبل مفارقته الحياة . وكان قد أرسله إليه أمير عربى يدعى « زباديل » وكان « الإسكندر » قد طلب إلى هذا الإعرابى أن يجيره . ويؤكد « جوسيفوس » أن منظر هذه الغنيمة الشنيع قد ملأ قلب « بطليموس » بالفرح وأنه مات وهو مرتاح النفس عام ١٤٥ ق . م غير أن هذا النبأ الذى أورده « جوسيفوس »[2] فيه شك إذ لا يتفق مع أخلاق « فيلومتور » . وأغلب الظن أنه أكذوبة من الأكاذيب التى اعتادهذا المؤرخ أن يحشرها فى ثنايا حوادث التاريخ الذى كان يكتبها على حسب ما يرضى الميول اليهودية

ولم تسر الأحوال على حسب ما كان يتمناه « فيلومتور » وذلك أنه مات وترك « سوريا الجوفاء » — التى كانت شغله الشاغل طوال مدة حياته — تحت رحمة « ديمتريوس » السليوكى زوج ابنته ، كما أنه ترك ابنه الصغير « يوباتور » الذى كان قد نصّبه حديثاً نائب ملك على جزيرة « قبرص » تحت رحمة أخيه « بطليموس ملك سيرينى » ؛ وكان الأخير يلوره كاظماً غيظه منذ زمن طويل لما لاقاه من عنت من أخيه الراحل ومن ثم كان يرقب الفرصة ليتولى عرش مصر من جديد .

(١) راجع Liv., Epit, L. II.　　(٢) راجع Joseph., A Jud, XIII, 4, 8

أخلاق « بطليموس فيلومتور »

والآن قبل أن نتناول الحديث عن الأحداث التى وقعت عقب وفاة « بطليموس فيلومتور » دعنا نستمع لما حدثنا به المؤرخ « بوليبيوس » معاصر هذا الملك عن أخلاقه[1].

« لقد مات « بطليموس » ملك مصر متأثراً بجراحه فى الحروب ، وهو فى نظر بعضهم جدير بالثناء الرفيع وبالمكانة العالية فى التاريخ ، ولكن آخرين يعتقدون خلاف ذلك . ولا نزاع فى أنه كان رجلا رقيق الطبع طيباً أكثر من أى ملك سبقه من أسرته . وأقوى برهان على ذلك هو أنه قبل كل شىء لم يأمر بقتل أى من أصحابه بسبب تهمة قدمت له ضده . ولا أعرف أن أى « إسكندرى » عوقب بالموت بسببه . يضاف إلى ذلك أنه على الرغم من أن اسقاطه من عرش الملك كان يرجع إلى أخيه كما كان المظنون ، فانه صفح عن جرمه ، وبعد ذلك تجد أخاه قد عاد للتآمر عليه مرة أخرى .

وعندما وقع فى قبضة يده فى «لابيتوس» (Lapethos) من أعمال «قبرص» وعلى الرغم من أنه كان قد أصبح صاحب التصرف فى جسمه وحياته فانه مع ذلك أبى كل الاباء أن يعاقبه كتآمر عليه بل أثقل كاهله بالهبات ، هذا فضلا عما كان يملكه فعلا بالمعاهدة ثم وعده بأن يزوجه من ابنته . وعلى أية حال عامله فى المواقيت التى كان يسعده فيها الحظ ويصحبه النجاح »يجنح إلى الدعة والضعف ، وكان ينتابه نوع من فقدان القوى والخمول اللذين كانا عادة ينتابان ملوك البطالمة ، وعندما كانت تنتابه هذه الحالة كانت تحل به المصائب » .

---

(١) راجع Polyb., XXXIX. 6, 3—7. The Loeb, Classical Library Vol. VI.

هذا ما قصه علينا « بوليبيوس » عن أخلاق « فيلومتور » ومنه يتضح أنه يطريه بصراحة ، ويعزز ما قاله بالأمثلة الحسنة ، ولم يأخذ عليه « بوليبيوس » أكثر من طيبة نفسه التي كانت طبيعة متأصلة فيه ، وذلك عند ما نظر إليها من الناحية السياسية . وعلى أية حال سنرى فيما بعد الفرق الشاسع بين أخلاقه وأخلاق أخيه الذي لعب دورا رهيبا شنيعا في مدة انفراده بحكم مصر .

الآثار التى خلفها بطليموس السادس أو عملت فى عهده

(١) الأوراق الديموطيقية

(١) عقد بيع أرض من عهد « بطليموس السادس فيلومتور » ومعه عقد تنازل[١].

عثر على هذه الوثيقة فى منطقة «الجبلين» أو ما جاورها فى مصر العليا . والوثيقة تحتوى على عقدين منفصلين،أحدهما عقد بيع أرض والآخر عقد تنازل عن نفس الأرض التى تبلغ مساحتها أربعة أرورات من الأرض العالية . وقد باعت هذه الأرض أختان لراعى الإله « منتو » إله الحرب . هذا وقد وجد على وجه البردية تأشيرة بالديموطيقية كتبت تحت عقد البيع ، ووجدت على ظهرها قائمتان بأسماء الشهود كل منهما تحتوى على ستة عشر شاهداً .

وهاك الترجمة — عقد البيع :

التاريخ :

السنة الخامسة الرابع عشر من برموده من عهد الملك « بطليموس بن بطليموس » و « كليوباترا » الإلهين الظاهرين (= بطليموس السادس فيلومتور = ١٧ مايو سنة ١٧٦ ق . م) ؛ عند ما كان كاهن الإسكندر والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين ، والفرعون « بطليموس » الذى يحب أمه ؛ والكاهنة حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة

(١) راجع A Demotic Papyrus from Pathyris, by Mustafa El Amir (Extrait des Etudes de Papyrologie. Tom VIII.)

أخيها ، وكاهنة « أرسنوى » محبة والدها على حسب ما قرر فى «رقوده» (= الإسكندرية — الإشارة هنا للكهنة المعاصرين للبطالمة) ؛ وعند ما كان « هيبالوس » (Hippalos) بن « ساس » (Sas) كاهن مقاطعة «طيبة» للملك « بطليموس » المخلص ، و « بطليموس » الإله « إبيفانس يوكاريستوس » ، وعند ما كان « كيناس » (Kineas) ابن « دوسيتوس » (Dositheos) كاهن الفرعون « بطليموس » و « كليوباترا » أمه ، والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : قالت المرأة « تاجمى » (Tadjeme) ابنة « باوهر » ، والمرأة « تابور » إبنة « باوهر » ، وهما امرأتان وأمهما هى « أوى » (Awe) بفم واحد .

الطرف الثانى : للراعى وخادم « منتو » سيد « أرمنت » « باوهر » بن « بامى » (Pane) وأمه هى « كلهيب » :

نص العقـــد : لقد جعلت قلبى يوافق على قطع الفضة الخاصة بأربعة الأرورات ملكنا من الأرض العالية وهى التى فى أرض وقف « منتو » ، أرض النجارين الواقعة فى الشمال الغربى من مقاطعة « بتيريس » (Pathyris) (الجبلين) بالإضافة إلى الزيادة فى مساحتها ، وحدودها هى :

الجنوب : حقل « تشنمونت » (Tshenmont) ابنة « جلب » (Geleb) وأخيها .

الشمال : حقل « باوهر » بن توت (Tuot) وهو فى ملك أولاده .

الشرق : شارع الملك .

الغرب : حقل « بتوسر بوخ » (Pateuserbukh) بن « بامى » وهو فى ملك أولاده .

هذه هى جميع الحدود الخاصة بالأرض العالية المذكورة أعلاه . لقد أعطيناها إياك وهى ملكك ، أرضك العالية التى مساحتها أربعة أرورات من الأرض مع الزيادة فى مساحتها المذكورة أعلاه . وقد تسلمنا ثمنها نقدا من يدك كاملا غير منقوص . وقلبانا مرتاحان لذلك . وليس لنا أى إدعاء مهما كان عليك باسمها ولن يكون فى استطاعة أى رجل مهما كان ولا نحن أن يستعمل سلطانه عليها إلا أنت من اليوم فصاعداً . وأن الذى سيأتى إليك بسببها باسمينا أو باسم أى شخص مهما كان فانا سنجعله يتنحى عنك . وإنا سنطهرها لك من كل كتابة ومن كل حجة ، ومن أى أمر مهما كان فى أى وقت . ومستنداتها ملكك وحججها فى كل مكان تكون فيه . وكل كتابة تكون قد حررت بخصوصها وكل كتابة تكون قد حررت لنا بخصوصها وكل كتابة يكون باسمها لنا حق فهى ملكك . هذا بالإضافة إلى حقها . وما لنا من حق باسمها فهو ملكك . واليمين أو الإثبات الذى سيفرض عليك فى محكمة العدل باسم حق المستند أعلاه وهو الذى حررناه لك ليجعلنا نؤديه ، فانا سنؤديه دون إدعاء أية حجة أو أى أمر مهما كان عليك .

كتبه « أمنحوتب » بن « توت » (Tuot) الذى يحرر باسم وكلاء كاهن « جمى » .

ترجمة التأشيرة :

إن راعى الإله « منتو » وخادمه المسمى « باوهر » بن « بامى » وأمه هى

«كلهيب» قد دفع ضريبة بلم عن هذا المستند المذكور أعلاه .

فى السنة الخامسة ١٤ برموده (= ١٧ مايو سنة ١٧٦ ق . م) . كتبه «حرباستيسى» إبن «خنستفناخت» بمثابة ضريبة «جمى» (مدينة هابو) عن عام ٥ (من حكم الملك) .

ترجمة عقد التنازل :

التاريخ :

السنة الخامسة ١٤ برموده من عهد الملك «بطليموس» و «كليوباترا» الإلهين الظاهرين (أى بطليموس السادس = ١٧ مايو سنة ١٧٦ ق . م) وكاهن «الإسكندر» ، والإلهين الأخوين ، والإلهين المخلصين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين ، والفرعون «بطليموس» الذى يحب أمه والكاهنة حاملة هدية النصر أمام «برنيكى» والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوى» على حسب ما قد قرره فى «رقودة» ، وعند ما كان «هيبالوس» بن «ساس» كاهن مقاطعة «طيبة» «لبطليموس» المخلص و «بطليموس» الإله «إبيفانس - يوكاريستوس» وعند ما كان «كيناس» بن «دوسبتوس» كاهن الفرعون .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : قالت المرأة «تاجمى» إبنة «باوهر» والمرأة «تابور» إبنة «باوهر» وهما امرأتان وأمهما هى «أوى» بفم واحد .

الطرف الثانى : لراعى الإله «منتو» وخادمة سيد «أرمنت» ، «باوهر» بن «ـ» وأمه هى «كلهيب» . لقد نزلنا لك عن الأرض

العالية التى مساحتها أربعة أروورات من الأرض مع الزيادة فى المساحة . وهى التى فى أرض أوقاف الإله « منتو » أرض النجارين الواقعة فى الشمال الغربى من مقاطعة « الجبلين » والتى حدودها هى :

الجنوب : حقل « تشنمونت » ابنة « جلب » وأخيها .

الشمال : حقل « باوهر » بن « توت » وهو الذى فى ملك أولاده .

الشرق : شارع الملك .

الغرب : حقل « بتو سر بوخ » بن « بامى » وهو الذى فى ملك أولاده .

وهذه هى حدود الأرض العالية المذكورة أعلاه ، والتى من أجلها حررنا لك مستنداً مقابل نقد فى السنة الخامسة ١٤ برموده من عهد الملك العائش أبدياً وهى ملكك وأرضك العالية والتى مساحتها أربعة أرورات من الأرض بما فيها من زيادة كما ذكر أعلاه .

وليس لنا أى ادعاء مهما كان عليك باسمها . وليس فى استطاعة أى رجل مهما كان ونحن كذلك بأن يستعمل سلطانه عليها إلا أنت من اليوم فصاعداً . وأن الذى سيأتى إليك بسببها باسمينا أو باسم أى شخص مهما كان فانا سنجعله يتنحى عنك . ولك الحق علينا باسم حق المستند بالنقد وهو الذى حررناه لك بخصوصها فى العام الخامس الرابع والعشرين من برموده (= ١٧مايو سنة ١٧٦ ق . م) من عهد الملك العائش أبدياً ليؤدى لك حقها فى أى وقت ، هذا بخلاف النزول المذكور أعلاه وبذلك يكون هناك مستندات وإنا سنؤدى لك حقوقها فى أى وقت دون أية ضربة .

كتبه « أمنحوتب » بن « توت » الذى يكتب باسم عملاء الكاهن خادم الإله فى « جمى » .

عقود زواج عثر عليها فى منطقة « الجبلين »

تدل أعمال الحفر التى قامت فى منطقة « الجبلين » فى أوائل القرن العشرين على أنه قد عثر على عدد عظيم من أوراق البردى التى ترجع إلى عهد البطالمة ؛ وقد كتبت بعضها بالديموطيقية وبعضها الآخر بالإغريقية . وقد نشرت معظم الأوراق الإغريقية، أما الأوراق الديموطيقية فلم ينشر منها سوى ما نشره الأستاذ « سبيجلبرج » من الأوراق الموجودة فى مكتبة « ستراسبورج » التى تحتوى على معظم الأوراق البردية البطلمية من هذه المجموعة . يضاف إلى ذلك الأوراق التى حصل عليها لورد « كروفورد » ، وكذلك الأوراق التى فى مجموعة « ريلندز » وهما من مجموعة واحدة[١] .

وقبل أن نتحدث عن هذه الأوراق التى وجدت فى «الجبلين» يجدر بنا أولا أن نذكر كلمة عن هذه البلدة وأهمية موقعها الجغرافى والتاريخى .

تقع مدينة «الجبلين» (بتيريس) على الشاطىء الغربى للنيل على مسافة ٣٥ كيلومتراً من الجنوب الشرقى لمدينة «طيبة» وعلى بعد ٢٠ كيلومتراً فى خط مستقيم من بلدة « أرمنت » الحالية . والواقع أن الطريق الموصلة إلى هذه البلدة طويلة جداً أكثر من ذلك . وهى تقع على هضبة من الأرض ترتفع منها قمتان تقترب الواحدة من الأخرى كثيراً نحو النهر . ويقول الأثرى « مسبرو »[٢] أن هذه الهضبة كانت فى العصور القديمة جزيرة بين فرعين للنيل ، غير أن المجرى الغربى سد منذ زمن طويل بتراكم غرين النيل سنوياً . وفى هذا المكان

(١) راجع Recel Archiv. II 520, Egyptologyque I. p. 211.

(٢) راجع Bibliothèque.

كانت تقع كل من مدينة « كروكوديلوبوليس » (جزيرة فى النهر قديماً) وهى بالديموطيقية تدعى « أمور » وهنا كان يعبد التمساح الذى سماه الإغريق « سوخوس » وهو بالمصرية « سبك » ، ثم مدينة بيت حتحور (برحور) وبالإغريقية « بتيريس » وهنا كانت تعبد الإلهة « حتحور » سيدة الصخرتين . وقد أطلق على اسم هذه المدينة اسم المقاطعة التى هى فيها لفترة فى عهد البطالمة (راجع جغرافية مصر القديمة ص ٣٦) . وفى قسمها الأسفل تقع مدينة « أرمنت » وفى قسمها العلوى تقع مدينة « كروكوديلوبوليس » و « بتيريس » نفسها . ومن المحتمل أن الجغرافى « سترابون » هو الكاتب الكلاسيكى الذى ذكر هاتين البلدتين ، وقد سمى الأخيرة « افروديتوبوليس » وهى الترجمة الحرفية للاسم المصرى القديم « بر - حتحر » (= بيت حتحور ، وكانت « حتحور » تعتبر عند المصريين ربة الجمال) .

أوراق « جون ريلندز » الديموطقية التى عثر عليها فى الجبلين

دل الفحص على أن أوراق « الجبلين » الموجودة فى مجموعة « جون ريلندز » ترجع إلى القرن الثانى وبداية القرن الأول قبل الميلاد . وأقدم هذه البرديات ترجع إلى عام ١٦٣ ق . م أى من عهد الملك « بطليموس السادس » وأحدثها ترجع إلى عام ٨٩ ق . م أى من عهد الملك « بطليموس الحادى عشر » و « كليوباترا برنيكى » .

وتنحصر الأوراق التى من عهد « بطليموس السادس » فى هذه المجموعة فيما يلى[1] :

(١) راجع Catalogue of The Demotic Papyri in the John Rylands Library by Griffith, Vol III. p. 131.

الورقة رقم ١٥ على حسب ماجاء في طبعة « جرفث »

١ — عقد بيع أرض وهو عبارة عن وثيقة بيع أو كما تسمى بالمصرية مستند بنقد ، وعقد تنازل . والعقدان كتبا على ورقة واحدة كما جرت العادة فى مثل هذه العقود .

أولا : عقد البيع .

التاريخ : السنة التاسعة عشرة ١٦ توت من عهد الملك « بطليموس » بن « بطليموس » و « كليوباترا » الإلهين الظاهرين الذين عملا أشياء طيبة وأولئك الذين قرروا فى « رقودة » (هذه الجملة تشير إلى الكاهن المعاصر الخاص بالملوك والملكات المتوفين من أول عهد « الإسكندر الأكبر » حتى عهد « بطليموس الأول ») .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : أن مديع ؟مائدة قربان « ازيس » فى متن (= طريق) «باحاركوش» (Paharekosh) المسمى «سيبمو» (Siepmu) بن « حارنعو » وأمه هى « تاتحوت » يقول

الطرف الثانى : للمرأة « كاهيب » الكبرى ابنة «حاراحتى» (Harapahti) وأمها هى « تبللى » (Tebellé) .

نص العقد : لقد جعلت قلبي يرضى بالنقد ثمن نصف نصيب الأرض المنتجة غلالا . وتبلغ مساحته $9\frac{1}{2}$ آرورات أى $9\frac{1}{4} + \frac{1}{8} + \frac{2}{32}$ آرورات ثانية على حسب مساحته تحت الزيادة والنقصان ، هذا بالإضافة إلى بستانه (؟) ومورد الحياة ؛ ونصف النصيب من البيت المقام فيه وهو الذى فى « تيابونى » (Tiaboni) التى فى أوقاف أرض « حتحور » سيدة « الجبلين » .

وحدوده هي :

الجنوب : أرض « حاراباختى » بن « خنحب » .

الشمال : أرض « بأمون » بن « باخنوم » (؟) .

الشرق : الحد الشمالى لجزيرة « حتحور » ومجرى الماء بينهما .

الغرب : شارع الملك .

هذه هي حدود جميع الأرض المذكورة أعلاه التى اشتريتها نقداً فى السنة السادسة ٢١ توت من عهد الملك «بطليموس» بن «بطليموس» العائش أبدياً .

من اليونانى الذى يتسلم جرايات بين رجال « يومنيس »(Eumenes) وهو المقيد فى الـ . . . . (. . . . . « أمونيوس » (Ammonios) ابن « باترون » (Patron) الذى يدعى « حاربثيسى » (ابن « بهيب » وأمه هي « تشنئيسى » (Tshenisi) .

(وإنى سلمتك مستند النقد ومستند نزع الملكية الذى عملهما لى مقابل نصف النصيب من الأرض المذكورة أعلاه ؛ وهى التى لم تقسم بعد . وإن كاهن «إورم» (=الخاص بعبادة « حتحور » فى الجبلين) وكاهن سم (=الخاص بعبادة الإله « سبك » فى « كروكوديلوبوليس » (وهو خادم الكا (الروح) للإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين « اسمن » بن «ترايس» وأمه هى « تاونبس » (Tauenbes) ، هو الذى يملك النصف الآخر ، ومساحته ٩ ½ آرورات أى ٩ ¼ + ⅛ + ٢/٦٤ آرورات ثانية تحت الزيادة والعجز . ومجموع الكل هو ١٩ آرورا ثانية (وهى التى لم تقسم بعد) .

لقد أعطيتك إياها وهى ملكك ونصفها نصيبك من الأرض الخصبة (؟)

مع نصف البيت المبنى فيها (المذكور أعلاه) . وليس لى أى حق على الأرض عليك باسمها . ولن يكون لأى رجل فى الدنيا ولا أنا نفسى كذلك القدرة فى أن يتسلط عليها إلا أنت من اليوم فصاعداً .

وإن من سيأتى إليك بسببها باسمى أو باسم أى رجل فى الدنيا فانى سأجعله يتنحى عنك . وإنى سأطهرها لك من كل مستند ومن أية براءة (؟) ، ومن كل كلمة فى الدنيا فى أى وقت .

وإن مستنداتها ملكك وبراءتها فى كل مكان تكون موجودة فيه ، وكل كتابة قد حررت بخصوصها ، وجميع الكتابات التى باسمها وأنا مستحق لها (أى هذه الملكية) فهى ملكك ، والحقوق المخولة لها . وأن ما أستحقه باسمها (أى المستندات) واليمين أو البينة التى ستطلب منك فى محكمة العدل باسم الحق الممنوح بالكتابة المذكورة أعلاه ، وهى التى حررتها لك لتجعلنى أؤديه فانى سأوديه (أى اليمين أو البينة) دون الرجوع إلى براءة أو أية كلمة فى الأرض عليك .

كتبه « تترتاوس » بن « نحتمين » (؟) الذى يكتب باسم كهنة « حتحور » سيدة « الجبلين » والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين ، الذين من طوائف الكهنة الخمس[1] .

---

(١) يلحظ هنا أن أسلوب الإمضاء باسم الكهنة المحليين بما فى ذلك كهنة الملوك المؤلهين التابعين لخمس طوائف الكهنة لم توجد طبعاً فى العقود قبل عهد الملك « بطليموس » السادس . ولا بد أن نذكر هنا أن الطائفة الخامسة من هؤلاء الكهنة لم تظهر قبل عهد « إيرجيتيس الأول » لأنه هو الذى أسس هذه الطائفة كما جاء ذلك فى مرسوم « كانوب » فى السنة التاسعة من حكمه وذلك على شرفه وشرف زوجه « برنيكى » .

وقد حررت الملحوظة التالية مع هذا العقد بالإغريقية وهاك ترجمتها :

السنة التاسعة عشرة الخامس من شهر بشنس: دفع لمصرف « أرمنت » الذى يديره « كاللياس » (Kallias) فيما يخص ضريبة ٥ من ثمن البيع ، وذلك على حسب تقرير « أسكلبيادس » (Asklepiades) جابى الضرائب ، وموقع عليه من « زمينيس » (Zmenis) وكيل « باكوبيبس » (Pakoibis) ، (والآخر) موقد من قبل « ديونيسوس » (Dionysius) الكاتب الملكى بوساطة « كاليبيس » (Kalibis) الأكبر ابنه «أراباتيس» (Arapathes) من أجل ٩ ½ آرورات من الأرض المنزرعة قمحاً والأرض البور التابعة لها والبيت المقام عليها على حسب نصيب النصف فى الدخل المقدس لأرض « أفروديت » ، والمساحات المجاورة لها قد ذكرت أعلاه فى العقد السابق . وهى التى اشتريتها من «سيبمو» ابن «أروجوس» (Aromgous) مقابل أربعة تالنتات (= ٢٠٠٠ درخمة من النحاس (وهى التى فرض عليها فرق قدره ١٣٠٠ درخمة فيكون المجموع ١٣٠٠ درخمة .

الامضاء : « كاللياس »

ويلحظ هنا أن هذه الإيصالات لا يعطيها محصل الضرائب بل يعطيها رجل المصرف المختص بذلك .

عقد التنازل كتب بنفس الكلمات التى جاءت فى عقد البيع . ويلحظ أن كل وثيقة منهما ، ولو أن العقدين قد ضما فى بردية واحدة ، قد كتبت بطريقة أنيقة مميزة وشهودهما منفصلة على ظهرها ، وكل من نفس الستة عشر شاهد قد وقع على كل من العقدين بنفس الترتيب إلا فى حالة الشاهدين الثالث عشر والرابع عشر فقد تبادل الواحد منهما مكان الآخر .

عقد زواج من عهد بطليموس السادس من أوراق « ريلندز » يحمل رقم ١٧

يوجد فى مجموعة « ريلندز » ما لا يقل عن ثمانية عقود زواج منها اثنان كاملان يحملان رقم ١٦ و ٢٠ على التوالى والعقد رقم ٢٢ كامل على وجه التقريب ، والعقد رقم ٢٧ ممزق والعقد ٢٨ كامل . أما العقد رقم ٣٧ فلم يبق منه إلا جزء والعقد ٣٨ كامل على وجه التقريب . وتاريخ العقدين ٣٧ و ٣٨ على التوالى مفقود فى كل منهما . وعلى أية حال فان صيغة العقد الأصلية لم تتغير كثيراً عما كانت عليه فى العصور السالفة .

والصيغة التى يمكن استخلاصها من هذه العقود تتلخص فيما يأتى :

١ — السنة .

٢ — الطرفان المتعاقدان : يقول فلان لفلانه .

٣ — لقد اتخذتك زوجة .

٤ — لقد أعطيتك كذا قطعاً من النقود أى كذا ستاتر أى كذا قطعاً من الفضة ثانية وكذا مكاييل من القمح ونصفها كذا مكاييل من القمح (؟) أى كذا مكاييل من القمح (؟) ثانية بمثابة مهرك .

٥ — وإذا هجرتك بوصفك زوجة وكرهتك واقتربت من امرأة غيرك أو أحببت امرأة أخرى أكثر منك فانى أعطيك الشعرة (حتى وزن الشعرة) من هذه القطع التى تبلغ كذا من الفضة وكذا من مكاييل القمح المذكورة أعلاه وهى التى أعطيتها إياك بمثابة صداقك .

٦ — وابنك البكر هو ابنى البكر من بين الأطفال الذين ستضعينهم لى وسيكون مالكاً لجميع كل شيء أملكه وما سأملكه .

٧ — تأملى قائمة أثاث جهازك الذى أحضرتيه إلى بيتى فى يديك : شعر مستعار قيمته ٢٠٠ قطعة من النقود . . . الخ .

٨ — ورصيد مهرك الذى يتألف من كذا قطعة من الفضة وكذا مكاييل من القمح .

٩ — مما يجعل ثمن ممتلكات جهازك الذى أحضرتيه إلى بيتى فى يديك كذا قطعاً من الفضة (= النقد (أى خمسة كذا ستاتر أى كذا قطعاً من النقد ثانية وبالعملة النحاسية بنسبة ٢٤ قطعة لكل قد تين من الفضة .

١٠ — وفضلا عن هذه كذا قطعاً من الفضة وكذا مكاييل من القمح المذكورة أعلاه وهى التى أعطيتها إياك بمثابة صداقك .

١١ — كل ذلك يكون ممتلكات عرسك وهى المذكورة أعلاه : كذا + كذا قطعاً من الفضة أى ٥قطع (كذا + كذا) ستاتر أى كذا + كذا قطعاً من الفضة ثانية وبالعملة النحاسية بنسبة ٢٤ قطعة من النحاس لكل قدتين من الفضة وكذا مكاييل من القمح (؟) .

١٢ — لقد تسلمتها من يدك تامة غير منقوصة .

١٣ — وقلبى راض بها .

١٤ — وعند ما تكونى فى داخل (البيت) فانك تكونين فى داخل البيت معها (أى ممتلكاتك) وعند ما تكونين خارج البيت فانك تكونين خارج البيت معها .

١٥ — وأنت المستعمله (؟) لها وإلى المحافظ عليها (؟) .

١٦ — وفى أى وقت سأهجرك فيه بوصفك زوجة أو تريدين أنت أن تفارقينى من تلقاء نفسك وبذلك لن تكونى ملك يمينى كزوجة ، فانى سأعطيك نسخة من ممتلكات عرسك المذكورة أعلاه أو ثمنها نقداً على حسب ما هو مدون أعلاه .

١٧ — ولن يكون فى استطاعتى الحصول على يمين منك فى بيت القضاء بسبب الغرامة الخاصة بمتاع عرسك المذكور أعلاه وذلك بأن أقول : إنك لم تحضريه معك فى بيتى فى يدك (أى معك) .

١٨ — بل إنك أنت التى لك الحق فى التنفيذ على فيما يتعلق به (أى جهاز عرسك) .

١٩ — دون الحاجة إلى أية براءة أو أية كلمة على الأرض تكون شاهداً عليك .

كتبه : فلان .

تعليق :

أورد الأستاذ « جرفث » قوائم بجهاز العروس فى عقود الزواج المختلفة التى ذكرناها فيما سبق ، وهذه القوائم تختلف من حيث عدد المواد ومن حيث الثمن باختلاف مركز العروس فى المجتمع المصرى ؛ ولكن يلحظ فى الوقت نفسه أن معظم محتويات كل قائمة تشمل مواد زينة العروس وبخاصة الشعر المستعار ، فقد كان يبتدأ بذكره فى كل قائمة جهاز ، وفى معظم الحالات يكون هذا الشعر المستعار أغلى شئ فى القائمة ، ففى عقد الزواج رقم (٨) نجد أن ثمن الشعر المستعار ٨٠٠ قطعة من الفضة وفى العقد (٣٨) بلغت قيمته

٦٠٠ قطعة من الفضة[1]. ومن ثم كانت أهم ما تحرص عليه المرأة قبل كل شيء زينتها .

ومما تجدر ملاحظته هنا كذلك أن صيغة البيوع الإغريقية تختلف جداً عن تلك التي نجدها في الديموطيقية مما يؤدى إلى تفاسير مختلفة . هذا إذا لم يكن هناك تشريع قانوني ، ولكن يوجد فاصل أوسع بين عقد الزواج الإغريقي وبين العقد الذي أوردنا مواده في المختصر الذي ذكر أعلاه . والإعتبارات الأساسية للمهر ونظام الحياة الزوجية قد عولجت بصورة مختلفة تماما على حسب ما إذا كانت المرأة متزوجة بعقد إغريقي أو بعقد ديموطيقي . وعلى أية حال فان العقد الإغريقي لم يكن يستعمل في العهد البطلمي إلا نادراً ، إذ في الواقع لم نعثر حتى الآن إلا على عقدين يرجع تاريخ أحدهما إلى القرن الثاني ق . م والآخر يرجع إلى القرن الأول ق . م[2]. هذا وفي عقود الزواج الإغريقية التي من العهد الروماني نجد أن أمتعة العروس يقدر ثمنها على حسب ما هو متبع في العقود الديموطيقية ، وخلافاً لذلك فان وجه الشبه قليل . وعلى ذلك فليس لدينا فيها ما يساعدنا على تفسير الصيغ الديموطيقية . ومما هو جدير بالذكر هنا أن أنموذج عقد الزواج الديموطيقي في العهد البطلمي المبكر قد كفل — بصورة لا شك فيها ولا غموض — المحافظة على حقوق المرأة وحمايتها ، وبذلك كان بينه وبين صيغة الزواج الإغريقية بعض أوجه الشبه . وقد كان المنتظر أن يحدث اندماج بين صيغ الزواج الإغريقية والديموطيقية ، غير أننا بدلا من ذلك نجد أن الاختلاف يتسع في هذه الحالة . وإذا قرنا عقود الزواج التي من العهد البطلمي المبكر بالصيغة المتأخرة فاننا نتعرف فيها الفقرات

(١) راجع Ibid. p. 136.

(٢) راجع Pap. Tebt. I, p. 449.

١ ، ٢ ، ١٩ بطبيعة الحال ولكن لا يظهر فى سائرها إلا الفقرات ٤ ، ٥ ، ١٦ ، ١٧ و ١٨ وهذه مع ذلك لا تظهر إلا فى صورة حدث فيها تغير بصورة ملحوظة .

وكذلك نلحظ فى عقود الزواج السابقة أهمية العملة النحاسية فى العهد البطلمى المتأخر الذى نحن بصدده ، فقد تعدد ذكر صيغة تحويل العملة الفضية إلى عملة نحاسية فيما يتعلق بالأثمان التى تقدر بها ممتلكات العروس بالعملة الفضية . والصيغة هى : بالعملة النحاسية ٢٤ (قطعة) عن كل قدتين من الفضة . وقد أشار « جرنفل »[١] إلى وجود نفس التعبير فى الإغريقية فى الجملة الآتية : « وسنتسلم ٢٤ أبولات عن كل ستاتر » . وقد وجد هذا فى قوانين الدخل التى وضعت فى عهد « بطليموس الثانى » . وهذه الجملة تعنى أن العملة النحاسية كانت تقبل بما يعادلها من الفضة دون حطيطة أو فرق عملة . ولا نزاع فى أن ذلك يقرر الحقيقة الهامة التالية : وهى أن الأبول كان فى هذا الوقت هو وزن العملة النحاسية . وعلى ذلك لم تكن هناك حاجة إلى الإيضاح أكثر من ذكر « قطعة نحاس » كما يعبر عن العملة الفضية بذكر « قطعة من الفضة » ، والمعنى المقصود من ذلك أن دبنا من الفضة يحتوى على عشرة قدات . هذا ونعلم أنه فى عصر الرعامسة (١٣٠٠ — ١١٠٠ ق . م) كان الدبن النحاس هو العملة العادية المتفق عليها . والمعتقد أن الدبن الرسمى كان يزن ما بين ١٤٠٠ و ١٥٠٠ حبة (= ٩٠,٧ — ٩٧,٢ جراماً) ، على أنه كانت توجد دبنات أخرى . وكان نفس المعيار ١٤٠٠ إلى ١٥٠٠ حبة كان يستعمل على ما يظن لكل دبن من الفضة . وكان يقابل ما قيمته خمسة

---

(١) راجع Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus, Appendix III, pp. 200-10.

ستاتر من المعيار الأثيني والمقدوني (٢٧٠ حبة = ١٧,٥ جراماً) . وهذه المعادلة التي تجعل كل خمسة ستاتر مقابل كل دبن أو قدتين لكل ستاتر كانت قد حددت تماماً حتى أنه عند ما استعمل البطالمة المعيار الفينيقي الذي يبلغ حوالى ٢٢٥ حبة (= ١٤,٥ جراما) لكل ستاتر كانت لا تزال متبعة . هذا وكان الأستاذ « ريفيو » — الذي يعد أول من كشف عن صيغة تحويل العملة : ٢٤ قطعة من النحاس = قدتين من الفضة — قد اعتقد أن قطع النحاس كانت دبنات وبنفس الوزن مثل دبنات الفضة . وكانت النتيجة المعادلة التالية ١ = ١٢٠ وذلك للقيمة النسبية للنحاس بالنسبة للفضة .

وفى عام ١٨٩٦ م على أية حال قد شك « جرنفل » فى طبعة « قوانين الدخل» للبلاد المصرية فى عهد «بطليموس الثانى» واعتقد بأنه وقعت غلطة خطيرة فى موضوع هذه المعادلة ، غير أنه لم يجسر أحد على عدم الأخذ بالبرهان الديموطيقى وتفسيره الذى قوبل بالموافقة العامة . ومنذ ذلك الوقت نجد « جرنفل » بالاشتراك مع الأستاذين « هنت » و « سميلى » ، أخذ يفحص بوجه خاص معدل سعر تغيير العملة من النحاس والفضة فى العهد البطلمى المتأخر . وقد أسفرت جهود هؤلاء العلماء عن الإماطة عن حقائق جديدة فى هذه المسألة . فقد برهن على أن الدرخمة تمثل أوزاناً مختلفة فى الفضة وفى النحاس . فكانت التبادلات فى المعدنين تختلف من ٥٠٠ (وفى بعض الأحيان من ٦٠٠) إلى أقل من ٤٠٠ درخمة من النحاس لكل درخمة واحدة من الفضة . ومما يؤسف له أنه لم يمكن تقدير الأبول بما لدينا من بيانات فى الأوراق الإغريقية . ولكنه بدهى أنه كان عملة . وإذ حكمنا بأن المبالغ المذكورة لدينا هى حاصل ضرب خمسة درخمات دائماً فان أصغر عملة كانت

على ما يظن تساوى خمسة درخمات، ومن ثم فان الأبول كان أما يساوى هذه القيمة أو يساوى حاصل ضربه فى خمسة . يضاف إلى ذلك أن موازين النقد النحاسى الحقيقية لا تساعدنا كثيراً على تقرير حقيقة هذه المسألة . وذلك لأنها كانت كثيرة التقلبات . ولكن نجد فى الوقت نفسه بعض نقود عليها علامات تدل على قيمتها ، وأعنى بذلك نقوداً تختلف فى وزنها من ١٥٫٨ إلى ٢٠ جراماً و ٧٫٨ إلى ١٠ جرامات . والظاهر أن كلا منهـــا تساوى ٨٠.٤٠ قطع درخمات على التوالى .

هذا ويمكن تكوين سلسلة حاصل ضربيات وتقسيمات من هذه دون صعوبة كبيرة من الموازين التى تبلغ حتى ٤٠٠ درخمة (؟) صعوداً من جهة ونزولا من جهة أخرى حتى خمسة درخمات .

وكذلك هناك تسليم عام فى جانب نسبة الفضة والنحاس على وجه التقريب ٣٠ : ١ وقد نتج ذلك من مقارنة بيان الأوراق البردية والعملة النحاسية .

وإذا كان هذا الرأى — الذى لا يخرج عن كونه تخمينى — صحيحاً ، فانه من البدهى أن الدرخمة من النحاس لا يزن مثل وزن الدرخمة من الفضة نصف قدت من معيار الدبن الفضة بل أكثر بما يقرب ١/٢٥ أو بلهمنه .

ولكن نجد فى بعض العقود أن اسم « قطعة » النحاس قد علمت برمز يظهر أن الأستاذ «بركش» قد برهن على أنه كان يستعمل أحياناً للدلالة على القدت (من الفضة) ، ومن الممكن أن هذا الرمز هو الشكل التام لكتابة كلمة قدت فى حين أنه فى العادة يستعمل اختصارا .

(١) راجع Tebtunis Papyri I, Appendix pp. 580 Sqq.

وعلى حسب هذا فان الأبول (ὀβολος) أو قطعة النحاس تكون قد من النحاس وإذا كانت تزن الوزن العادى للقدت المصرى أى ١٤٠ – ١٥٠ حبه (= من ٩ إلى ٩,٧ جرامات) فانها تتفق تماماً مع كل العملة التى تساوى ٤٠ درخمة والتى اقترحناها فيما سبق = ٧,٨ – ١٠ جرامات . ولكن إذا عادلنا وزنه بوزن القدت الفضى فان ذلك يعطينا قيمة تبادل أى وزن مقابل وزن ما يعادل فقط ١٢ : ٠١, والأحسن جداً جعله ضعفى وزن الفضة ، وبذلك يساوى وزن قطعة قيمتها ٢ قدت أو ستاتر الذى نستعمله فى صيغة المعادلة . وعلى ذلك فان ٢٤ قطعة من النحاس تقابل قدتين (من الفضة) توضح نسبة النحاس للفضة بما يعادل ٢٤ : ١ وهى بمثابة نسبة رسمية يظهر أنها تقرب من النسبة التقريبية ٣٠ : ١ للتبادلات الحرة وغيرها . وعلى ذلك فان الأبول يمكن أن يكون قطعة النقد التى تساوى ٨٠ درخمة المقترحة وهى التى تساوى من ١٥,٨ إلى ٢٠ جراماً . وهذا هو التفسير الذى يميل إليه « جرنفل » ومساعدوه . وعلى ذلك فان ٢٤ من هذه القطع تساوى ما قيمته ستاتر واحداً أى أن كل درخمة من الفضة يساوى ٤٨٠ درخمة من النحاس على حسب الصيغة المستعملة .

عقد زواج من عهد بطليموس السادس[1]

التاريخ : السنة التاسعة والعشرون السابع من برمهات) = ٣٠ أبريل عام ١٥٢ ق . م) من عهد الملك « بطليموس » و « كليوباترا » أخته وابنى « بطليموس » و « كليوباترا » الإلهين الظاهرين والملك « بطليموس » ابنهما

---

(١) راجع Rylands III. P. 139.

الأكبر[١] الإله « يوباتور »[٢] ؛ وكاهن الإسكندر والإلهين المخلصين ، والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين والإلهين اللذين يحبان والدتهما والإله « يوباتور »[٣] ؛ والكاهنة حاملة هدية النصر للملكة « برنيكى » المحسنة ؛ والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها ؛ وكاهنة « أرسنوى » محبة والدها على حسب أولئك الذين وطدوا فى « رقوده » و « بوزى » التى فى إقليم « نى » (= طيبة) وذلك عند ما كان « هرمياس » (Hermias) بن « كريتون » (Kriton) كاهن « بطليموس سوتر » ، و « بطليموس » بن « بطليموس »[٤] كاهن « بطليموس » المحب لوالدته ، وعند ما كان « ليزانياس » (Lysanias) بن «هيرونوموس» (Hieronomos) كاهن الملك « بطليموس » ابنهما الأكبر وهو الإله « يوباتور » ، وعند ما كان «سقراطيس»(Sokrates) بن « نيكاندروس » كاهن « بطليموس » محب أخته ، وعند ما كان « هرماس »(Hermas) (؟) بن « ديمتريوس » كاهن « بطليموس » المحسن ، وعند ما كان « اسنوس » بن « ليكوفرون » (Lykophron)) كاهن «بطليموس» محب والده ؛ وعند ما كان « ديديموس » (Didymos) بن « أبولونيوس »(Apollonius) كاهن الملك « بطليموس » الإله الظاهر الذى عمل أشياء طيبة ، وعند ما كانت « كليو »

---

(١) أى الوارث للعرش .

(٢) هذا الاسم منقول عن الاغريقية كما هو ومن المحتمل أنه كان قد أنعم عليه بلفظه من الاغريق لا من قبل جماعة طائفة الكهنة المصريين كما كانت العادة . ويلحظ أنه فى كل الأمثلة التى أتت بعد ، قد استعملت لها ترجمة ديموطيقية : الذى والده شريف أو عمل شريفاً.

(٣) كل هذه الألقاب خاصة بكاهن واحد خاص بعبادة الملوك المقدونيين بالاسكندرية .

(٤) من المحتمل أن الملك نفسه كان كاهن ألوهيته .

(Kleio) إبنة « كتيسيون » (Ktesion) كاهنة الملكة « كليوباترا » ؛ وعندما كانت « دمتريا » (Demetria) ابنة «ليزيماكوس » (Lysimachus) كاهنة « كليوباترا » الأم الآلهة الظاهرة ، وعند ما كانت « تروفينياس » (Trophinias) إبنة «نيكانور» (Nikenor) ابن« تريفون » (Tryphon) حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : أن البلمى المولود فى مصر (المسمى) « خنستوت » بن « حاربئيسى » ، وأمه هى « تسحنبوور » قد إعترفت للمرأة .

الطرف الثانى : « شبتيت » (Shebtit) إبنة « حارسئيسى » وأمها هى « تاثيسى » .

نص العقد : لقد جعلتك زوجة ومهرك هو ٤٠٠ قطعة من الفضة = ٢٠٠٠ ستاتر وعشرة مكاييل من القمح (؟) وإذا طلقها وتزوج من أخرى فانه سيعطى ٣٠ قطعة من الفضة إضافية = ١٥٠ ستاتر وثلث ممتلكاته التى يملكها أو سيكسبها،وابنك البكر هو إبنى البكر من بين الأطفال الذين ولدتيهم لى ، وأنه (؟) ومعه الأطفال الذين ستلدينهم لى هم ملاك جميع كل شىء أملكه وما سأملكه[١] ، وممتلكات العروس هى :

---

(١) معنى هذه الجملة غامض ويجوز أن هذا الزواج قد عقد بعد المعاشرة الجنسية وولادة أطفال للزوجين .

شعر مستعار (؟)	٢٠٠ قطعة من الفضة
شعر مستعار آخر (؟)	١٠٠ » » »
ملبس	١٢٠ » » »
أسورة معصم	٩٠ » » »
زاوية (؟)	٥٠ » » »
....	٣٠ » » »
صناجة كبيرة	١٠٠ » » »
صناجة صغيرة	٦٠ » » »
هاون	٤٥ » » »
وطاب (؟)	٥ » » »
طوق (؟)	قطعة واحدة من الفضة النقية[1].
كيس نقود (؟)	١½ من عملة الذهب الصغيرة
قمح (؟)	عشرون أردباً
ابريق (؟)	(وزنه) دبناً من الفضة النقية

فيكون المجموع ٨١٠ قطعة من الفضة أى ٤١٠٠ ستاتر ، وبالعملة النحاسية بنسبة كل ٢٤ قطعة مقابل قدتين . . . الخ .

وذلك بالإضافة إلى المهر وهو ١٢١٠ قطعة من الفضة أى ٦٠٥٠ ستاتر

---

(١) من المحتمل أن التقديرات السابقة لمتاع هذه المرأة كانت بعملة عيار قطعها النقد الفضى منخفض أى بنسبة كل ٥ ستاتر تحتوى على حوالى ٢١٨ حبة لكل قطعة نقد من الفضة . ولكن الدبن المصرى الحقيقى يزن من ١٤٠٠ — ١٥٠٠ حبة . ومن الجائز أن هذا الدبن كان قد استعمل فى وزن الفضة النقية . وهذه الفضة النقية قد حسبت على انفراد فى ممتلكات العروس (راجع Ibid. P. 135)

وبالعملة النحاسية بنسبة ٢٤ قطعة من النحاس مقابل كل قدتين من الفضة وذلك بالإضافة إلى ١½ قطعة صغيرة من الذهب ودبناً واحداً من الفضة الخالصة و ٣٠ مكيالا من القمح (؟) .

فيكون مجموع ممتلكات العروس المذكورة أعلاه ....

وقد تسلمتها فى يدى كاملة غير منقوصة .

وقلبى راض عنها .

وعند ما تكونى فى الداخل (أى فى بيتى) فانك تكونى معها (أى الممتلكات) ، وعند ما تكونى فى الخارج (أى خارج بيتى) فانك تكونى فى الخارج معها .

وأنك أنت التى ستستعملها وأنا الذى أحافظ عليها (؟) .

وفى أى وقت سأهجرك فيه بوصفك زوجة أو سترغبين فيه أن تتركينى من تلقاء نفسك وعندئذ لن تكونى ملك يمينى فانى سأعطيك نسخة من ممتلكات زواجك المذكورة أعلاه أو ثمنها فضة على حسب ما هو مدون أعلاه ولن يكون فى استطاعتى أن أطلب منك يميناً فى بيت القضاء فيما يخص غرامة ممتلكات العرس المذكورة أعلاه بأن أقول : إنك لم تحضريها إلى بيتى فى يدك .

وأنك أنت التى لك حق التنفيذ على فيما يخصها .

دون أية براءة أو أية كلمة على الأرض جىء بها ضدى .

كتبه « تترتايس » بن «نختمين» (؟) الذى يكتب باسم كهنة « حتحور » سيدة الجبلين والإلهين والأخوين والإلهين المحسنين ، والإلهين المحبين لوالدهما

والإلهين الظاهرين والإلهين المحبين لوالدتهما والإله « يوباتور » ، الخاصين بطوائف الكهنة الخمس .

وعلى ظهر الورقة امضاءات ستة عشر شاهداً .

تعليق :

تنحصر أهمية عقد الزواج هذا فى نقطتين هامتين الأولى وليست الأهم أنه يقدم لنا صورة عن جهاز العروس عند الطبقة الغنية كما يمكن أن يلاحظ ذلك فيما جاءت به العروس من جهاز يمتاز عما صادفناه فى العقود التى مرت بنا حتى الآن .

أما النقطة الثانية وهى الأهم فهى ذكر « يوباتور » فى المقدمة الطويلة التى جاءت فى هذا العقد . والأمر المدهش أنه ذكر لنا هنا بوصفه ملكاً حياً يرزق . والواقع أن « يوباتور » هذا لم يذكر اسمه فيما كتبه أى مؤرخ من المؤرخين القدامى . وقد كشف عن اسمه للمرة الأولى فى قائمة البطالمة المؤلهين فى بردية كتبت بالإغريقية محفوظة فى متحف « ليدن » وقد عثر عليها فى عام ١٨٢١ م . وقد كانت موضع جدال منذ ذلك الوقت . وموضع هذا الملك فى قائمة الملوك البطالمة على حسب الترتيب التاريخى كان من الأمور التى يصعب الوصول إليها ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن كشوفاً أخرى قد أظهرت أن القوائم الملكية قد وضعته قبل الملك « بطليموس السادس » ، غير أن هذه القوائم الخاصة بالكهنة الملكيين لبلدة « بطلمايس » لم تكن الكهنة مرتبة ترتيباً تاريخياً فيها . ومن ثم فان ذلك لم يكن ذا أهمية كما أشار إلى ذلك منذ زمن بعيد الأثرى « لبسيوس » ؛ ولكن بوجه عام وضع هذا الملك

إما قبل « بطليموس السادس » مباشرة أو بعده مباشرة . وأقدم ذكر له جاء فى السنة الواحدة والثلاثين من حكم هذا الملك الأخير . هذا ولدينا نقش من « قبرص » وهو عبارة عن إهداء تمثال الملك الذى دلت البراهين على أنه كان إبن « بطليموس فيلومتور » والملكة « كليوباترا »[1]. والأدلة التى استنبطت من هذه الوثيقة كان قد استخلصها « جرنفل » بحق هو ومساعدوه عام ١٩٠٢[2] غير أن بيانهم قد أغفله المؤرخون الذين أتوا من بعدهم ، وذلك لأنهم عدوا « يوباتور » خليفة الملك « بطليموس السادس »[3]. والمعروف أن « فيلومتور » ولد عام ١٨٦ ق . م وتولى عرش الملك عام ١٨١ ق . م وكانت أمه وصية عليه حتى ماتت عام ١٧٣ ق . م . وحوالى عام ١٧٢ ق . م عند ما كان « بطليموس فيلومتور » فى الرابعة عشرة من عمره ، تزوج من أخته « كليوباترا » التى كانت أصغر منه سناً . والآن نجد أنه فى الأول من شهر برمهات من العام التاسع والعشرين من حكمه أى فى ٢٨ مارس عام ١٥٢ ق . م قد اشترك معه هو وزوجه ابنهما « يوباتور » فى حكم البلاد . وعلى أية حال لم نجده مشتركاً مع والديه فى العام التاسع عشر من حكمهما كما تبرهن على ذلك الورقة ١٥ من مجموعة « ريلندز » ولا فى العام الواحد والعشرين من حكمهما[4] كما يثبت ذلك من المقدمات التاريخية التامة جداً فى البرديتين المحفوظتين بمتحف باريس رقمى ٢٤١٦ و ٢٤١٧ . وكل

---

(١) راجع Detteuberger OGISI, No. 128,

(٢) راجع Gebt. I, p. 554.

(٣) راجع B.L. II, p. 56.

(٤) راجع Pap. Leyden 378.

منهما مؤرخة ١٨ بشنس عام ٢٨ أى ١٥ يونية عام ١٥٣ ق . م (؟)[1] من حكمهما . وعلى ذلك يظهر أن اشتراك « يوباتور » مع والده يقع حتى حوالى العام العشرين بعد الزواج .

هذا ولم نجده فى ٤ طوبه من السنة الواحدة والثلاثين بعد فى الحكم ، بل كان يعد بين البطالمة المؤلهين[2] ؛ ومن ثم فان مدة حكمه كانت لا تزيد على عامين ونصف العام .

والواقع أن المصادر التى فى متناولنا تشير إلى أن مدة حكم « يوباتور » القصيرة قد انتهت بموته المبكر . يدل على ذلك فحص الاختلافات فى مكانه فى قوائم البطالمة وهى التى كانت تظهر حتى الآن محيرة ، وقد اكتفى المؤرخون بتفسير أن السبب فى ذلك يرجع إلى جهل الكتاب التام بمعرفة مكانه الصحيح فى التأريخ — ولكن الحقيقة قد كشف عنها الآن .

ففى الورقة التى نحن بصددها نجد أن « يوباتور » بوصفه أحدث ملك يأخذ مكانه فى نهاية سلسلة الملوك فى كهنة « الإسكندرية » وكهنة « حتحور » المحلية .

هذا ونجد فى برديات متأخرة من نفس عصر الملك « بطليموس السادس » من العام الواحد والثلاثين والعام السادس والثلاثين (من برلين وستراسبرج)[3] أنه وضع قبل « فيلومتور » . وذلك على زعم أنه قد سبقه إلى عالم الآخرة ؛ غير أنه بعد موت « فيلومتور » نجد أنه بوصفه والد قد

(١) راجع Revillout Chrest. pp. 343, 351.

(٢) راجع Dem. Pap. Berlin No. 3097, p. 9.

(٣) راجع Laqueur Quaestiones p. 31

أعيد إلى مكانه القديم هكذا (فيلومتور — يوباتور) فى معظم الأوراق الديموطيقية التى من عهد « بطليموس الثامن » (راجع .Berlin, John Ryl XVII etc.)فى حين نجد فى أوراق أخرى (راجع Ibid XVIII, XIX) أن الترتيب قد بقى كما كان : « يوباتور » — « فيلومتور » . وبعد موت « ايرجيتيس الثانى » نلحظ أن الأغلبية العظمى تضع « يوباتور » فى المكان الأول ، غير أنه توجد بطبيعة الحال اختلافات كثيرة .

هذا ونجد فى مجموعة نقوش « دتنبرجر » سلسلة اهداآت من هذا العصر للملك « بطليموس السادس » وأخته وابنهما « بطليموس » ، كما يوجد إهداء خاص بالملك « فياومتور » وكلاهما عثر عليه بالقرب من الشلال الأول . وفى جزيرة « قبرص » عثر على ثلاثة اهداءات باسم « يوباتور » وحده[1] .

ومن الجائز على ما يظهر أن « قبرص » قد عنيت بوصفها الدائرة التى كان يحكم فيها « يوباتور » . وعلى أية حال لا تزال توجد مشكلة هامة لا بد من فحصها . وذلك أنه توجد نقود نسبت لحكم « فيلومتور » و « يوباتور » المشترك ، وذلك فى السنة السادسة والثلاثين من حكم الأول وهى التى تقابل السنة الأولى من حكم الآخر . وفى عام ١٩٠٤ أظهر «سفورونوس» (Svoronos) فى كتابه العظيم الذى وضعه عن نقود البطالمة أنه يمكن تفسير ذلك بطريقة أخرى . فقد نسب النقود التى أرخت بعام ٣٦ إلى عهد « ايرجيتيس » الثانى وقد ضربت لتتداول فى بافوس (Paphos) وفى « الإسكندرية » أو مصر[2] .

---

(١) راجع Dettenberger Ibid. 1, 121, 122, 123, 125, 126.

(٢) راجع Svoronos I. c.

غير أن الكشوف كانت تسير بخطى واسعة ، فقد نشر نقش جنازى عثر عليه فى الفيوم فى نفس الوقت تقريباً وفيه تأريخ بطلمى وهو السنة السادسة والثلاثين =السنة الأولى . وقد نسب المؤرخ « ستراك »[1] وتبعه « ريكى »

(Ricci)— دون أى تردد — هذا التأريخ للملكين « فيلومتور » و « يوباتور » . ومن المعقول حقاً أن « يوباتور » بعد أن منح نصيباً فى حكم مصر حوالى العام التاسع والعشرين من حكم والده « بطليموس السادس » قد أخلى سبيله ، ثم نصب ملكاً منفرداً على « قبرص » وقد اقترح أن السبب فى تعيينه ملكاً على « قبرص » كان الغرض منه هو تقوية الحكومة من جراء التهديد بالهجوم عليها من قبل « بطليموس البطين » كما حدث فعلا فى عام ١٥٤ ق . م يضاف إلى ذلك أن فصل « قبرص » عن مصر كان على حسب هوى السياسة الرومانية . وقد كان من صالح « فيلومتور » إرضاء « روما » وبخاصة عند أمسية تدخله فى سوريا لمساعدة « الإسكندر بالاس » . ومما يؤسف له جد الأسف أن البراهين الدالة على وجود « يوباتور » فى « قبرص » ليست مقنعة تماماً[2] هذا وسنتحدث عن « يوباتور » فيما بعد .

---

(١) راجع Strack Archiv. III. 128.

(٢) راجع George Hill, A History of Cyprus Vol. II. p. 194 note 3.

أوراق البردى التى من عهد بطليموس السادس الموجودة بالمتحف المصرى

من أهم الأوراق البردية التى عثر عليها فى منطقة الفيوم سلسلة أوراق خاصة بنظام جمعيات دينية تعاونية يرجع أقدمها إلى عهد « بطليموس الثالث » ، وقد تحدثنا عنها فى الجزء الخامس عشر من هذه الموسوعة ص ٣٣١ ـ ٣٣٨ ، وقد عثر على هذه الأوراق فى بلدة « جعران » .

هذا وقد أسفرت أعمال الحفر فى بلدة « أم البرجات » من أعمال الفيوم كذلك عن كشف مجموعة أخرى من هذه الأوراق الخاصة بنظم جمعيات دينية تعاونية تحدثنا عما كان فى نفوس المصريين من روح التعاون والأخاء فى كل مواقف الحياة الحرجة التى يحتاج فيها الإنسان لأخيه الإنسان بوازع الضمير والدين الذى كان يلعب دوراً عظيماً فى تقويم الأخلاق عند المصريين القدامى .

ونخص بالذكر من هذه الوثائق ما يأتى :

١ ـ بردية عثر عليها بجوار مومية تمساح فى « أم البرجات » مؤرخة بالسنة الخامسة والعشرين من عهد « بطليموس السادس » .

نظم جمعية دينية

الترجمة :

التاريخ : فى السنة الخامسة والعشرين اليوم الثامن والعشرين من شهر مسرى من عهد الملك « بطليموس » و « كليوباترا » وهما اللذان أنجباهما « بطليموس » و « كليوباترا » ، وعند ما كان كاهن « الإسكندر » والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين والإله الذى والده شريف والإلهين الذين يحبان أمهما ، « نتيانيانيس » Ntianens بن « أكسانتيكوس » Xantlhicos3) ؛ وعند ما كانت المرأة « كلانيجا » (Klaniga) إبنة « ارتيابس » (Artias) حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » الإلهة المحسنة ، وعند ما كانت المرأة « كليوباترا » ابنة « اسوكراتيس » (Isokratis) حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها ، وعند ما كانت المرأة « أبوللونيا » (Appollonia) إبنة « اسوكراتيس » كاهنة « أرسنوى » محبة والدها .

نص قانون الجمعية :

القانون الذى وافق عليه أعضاء الطائفة السادسة والكاهن قائد عموم الشعب الخاص بالتمساح المقدس ، وهم الذين إجتمعوا أمام « سبك » والآلهة « سبك » فى حقل فى عيد « سبك » وموكبه والآلهة « سبك » فى مأوى التمساح المقدس سيد بلدة « تطون » (على مقربة من « أم البرجات » ومن المحتمل أنها

---

(١) راجع Spiegelberg. Cat. Gen. Caire No. 30605, Tafel, X, XI, XII.

موحدة ببلدة تبتنيس القديمة) فى قسم « بولمون » (Polemon) فى مقاطعة « أرسنوى » وذلك عند ما قالوا :

إنا ننفذه (اى القانون) من الثانى من شهر مسرى من السنة الخامسة والعشرين حتى الثامن من شهر مسرى من السنة السادسة والعشرين أى لمدة ١٢ + ½ شهراً أى سنة ثانية وقالوا جميعاً : لقد اجتمعنا رسمياً أمام « سبك » والآلهة « سبك » فى عيد « سبك » وموكبه ، والآلهة « سبك » وأيام الأعياد التى وافق عليها رجال المؤسسة . وقد اجتمعنا فيها رسمياً . وندفع نقود العضوية كل شهر ، وندفعها إلى يد رئيس المؤسسة كل شهر ، هذا فضلا عن ثمن الماشية الصغيرة الذى يجب علينا أن ندفعه أيضاً . وإن الذى من بيننا لم يدفع اشتراك العضوية فى كل شهر بشرط أن يدفعه فى يد رئيس المؤسسة كما هو مدون أعلاه فعلى رئيس المؤسسة أن يذهب إلى بيته ويأخذ ضماناً بالنقد المذكور ، ويجب أن يجبر هذا الرجل على أن يدفع غرامة قيمتها خمسة وعشرين دبناً من الفضة ، وسيطارد حتى يدفع دينه . وكذلك يجبى كراميون (مكيال) من النبيذ بمثابة ضريبة على كل واحد منا . وأن الذى يأتى بها يجب عليه أن يوردها لرجال المؤسسة وأحياناً يورد كرامينين من النبيذ عن كل واحد منا عند ما يكون الكراميون يساوى خمسة دبنات من الفضة . ويجب عليه أن يقدم رهناً من الملح والعطور والأكاليل والأزهار (؟) والزيت والشحم (؟) للنقد (المستحق) للمؤسسة .

وإن الذى منا يقال له إحضر نقوداً لأجل أيام العيد ولا يحضرها يجب عليه اذاً أن يدفع غرامة قدرها خمسة وعشرون دبناً من الفضة . وإن من سيقترف ذنبا فانه سيطارد ثانية إلا من كان مريضاً أو سجيناً أو من كان

يحارب من أجل الملك . وعلينا أن نقرب الشراب والقربان المحروقة للملكين «بطليموس» و «كليوباترا» ، و «بطليموس» و «كليوباترا» هما الإلهان الظاهران اللذان أوجدا الملك العائش أبدياً بالإضافة إلى القربان المحروق والشراب للإله «سبك» والآلهة «سبك» فى خلال العيد والموكب المذكور أعلاه . ونحن نربى الآلهة «سبك» (أى التماسيح) ونحن نرافقها حتى مكان دفنها كما كانت الحال فى الأزمان السالفة . وأن من لا يخرج منا لأجل تربية الآلهة التماسيح ، وأن من لا يرافقها منا إلى مكان دفنها فان غرامته يجب أن تكون ثلاثين دبنا من الفضة . وعلى ذلك فان غرامة الآلهة التماسيح كذلك تطلب منه باستثناء الناس الذين نوهنا عنهم أعلاه .

وعند وفاة واحد منا فانا نحزن عليه ، ثم نرافقه جميعاً فى الجمعية[1] . وأن من لا يحزن عليه ولا يقوده إلى الجمعية فان غرامته تكون خمسة دبنات من الفضة مع استثناء الناس الذين ذكروا أعلاه . وعند ما يتوفى واحد منا خارج المدينة فعلينا أن نعين عشرة أعضاء من المؤسسة ونجعلهم يمشون خلفه ، ويعملون له كل ما هو مدون أعلاه . وعند ما يكون واحد منا من الذين كلفوا بالمشى خلفه من المؤسسة لم يذهب ، فان غرامة كل فرد (لم يفعل ذلك) يجب أن تكون عشرة دبنات من الفضة باستثناء الناس الذين ذكروا أعلاه .

وعند ما يكون والد واحد منا أو أمه أو أخته أو إبنه أو بنته أو أولاد زوجه أو والد زوجه أو زوجه قد مات فعلينا أن نحزن من أجله ونصحبه فى

(١) لابد أن المقصود هنا أن الأعضاء كانوا يجتمعون فى الجمعية حزناً عليه كما تقام ليلة الجناز فى زمننا للتعزية .

الجمعية جميعاً . وعند ما لا نحزن عليه ولا نصحبه فى الجمعية فان الغرامة تقدر بخمسة دبنات من الفضة (على كل فرد) باستثناء الأفراد المشار إليهم أعلاه . وأن الواحد منا الذى يتوفى إبنه وهو صغير جداً . . . . مع شرب الجعة ويجعل قلبه فرحاً مع سائر الناس الذين عينّهم المؤسسة ليحتسوا معه الجعة (أى يقيمون وليمة) . وأن الذى منا يصبح عدو الإله (أى به مس من الشيطان أو كما يعبر عنه العامة يركبه عفريت = ملبوس) أو أسير معبد الإله فيجب أن يبقى معه رئيس المؤسسة ؛ وعلينا أن نعطيه خمسة كرامين (من النبيذ) . وأن الذى منا سيتّهم فى قضية سيئة فانه علينا أن نقف بجانبه وترد إليه نقود الإشتراك ، ويقرر رجال المؤسسة إعادتها له . وإن من يأتى بسوء منا أمام قائد أو صاحب سلطان قبل أن يتهمه أمام المؤسسة فان غرامته يجب أن تصل إلى خمسين دبنا من الفضة . ولكن الذى يتّهم منا بعد أن يكون قانون المؤسسة قد نفذ ويكون قد أدانه ، فان غرامته تبلغماية دبنا من الفضة . وأن الذى من بيننا يقول لواحد منا : إنك مجذوم ولا يكون مجذوماً فان غرامته تبلغ ماية دبنا من الفضة . وأن الذى من بيننا يسب واحداً منا فان غرامته تبلغ خمسة وعشرين دبنا من الفضة ، وأن من يكرر ذلك يدفع غرامة قدرها ٧٥ دبناً من الفضة . وإن سب آخر يعادل أربعين دبناً ؛ وإن من يكرر ذلك يدفع ستين دبناً من الفضة . وإن سب فرد عادى يساوى ستين قطعة من الفضة ، ومن يكرر ذلك يغرم تسعين دبناً . وأن من يضرب من بيننا واحداً منا فان غرامته تبلغ خمسين دبناً . والإضرار بالكاهن الرئيس الأعلى غرامته خمسة وستين دبناً ، ومن يكرر ذلك يدفع غرامة قدرها خمسة وثمانين دبناً . والإضرار بالغير يساوى خمسة وثمانين دبناً ؛ وأن من يكرر ذلك يدفع غرامة قدرها ٧٥ دبناً ، والإضرار برجل عادى يعادل ٨٠ دبناً وإذا تكرر ذلك

فالغرامة قدرها ماية دبنا فضة . وأن الذى منا يجد واحداً منا فى الطريق ؟ .... أو يقول ليتنى أعطى نقداً لأنى فى ضائقة . ولا يعطه شيئاًيغرم ٢٥ دبناً باستثناء الناس الذين يحلفون يميناً أمام « سبك » مؤداه : « أنه لم يكن فى إستطاعتى إعطاءه شيئاً » . وأن الذى من بيننا يلحق ضرراً برئيس المؤسسة ويكون فى يده ما يرشيه به فان غرامته تبلغ ٢٥ قطعة من الفضة . وأن الذى منا يوافق عليه رجال المؤسسة ليعين فى إدارة المؤسسة ولا يقبل فان غرامته تكون ٣٥ دبناً فضة باستثناء الناس الذين ذكروا أعلاه . ويطالب ثانية الإنسان بأن يدفع دينه .

والمشرف على المؤسسة يقرر كل كلمة تكلمها معنا باسم كل كلمة أعلاه وعلينا أن نؤديها على حسب أمره قهراً وبدون ابطاء .

كتبه « بتوزريس » بن « سوكونوبيس » (Sokonopis) (؟) .

يأتى بعد هذا النص أسماء أعضاء المؤسسة واسم والد كل منهم والمبلغ الذى يدفعه بصفة اشتراك فى هذه المؤسسة . وقد وردت هذه الأسماء فى عمودين الأول يحتوى على ثلاثين اسما ، والعمود الثانى يحتوى على اسمين وهما اسم المشرف على المؤسسة واسم الكاتب . ثم كتب أسفل هذا بالإغريقية مجموع مبلغ الإشتراكات وقدره ١٦٦ $\frac{٢}{٣}$ دبناً شهرياً ونصفها ٨٣ + $\frac{٢}{٦}$ + $\frac{١}{٣٠}$ دبناً من الفضة .

٢ — ولدينا وثيقة ثانية عن مؤسسة دينية تعاونية أخرى مؤرخة بالسنة الرابعة والعشرين من حكم الملك « بطليموس السادس » وكل مواد هذه الوثيقة وألفاظها تكاد تكون طبق الأصل كألفاظ المؤسسة السابقة وليس هناك

اختلاف بين الوثيقتين إلا فى أسماء الأشخاص المشتركين . وقد عثر على هذه الوثيقة فى « أم البرجات »[1] .

٣ — وأخيراً لدينا وثيقة ثالثة تبحث فى نفس الموضوع ويرجع عهدها إلى « بطليموس السادس » أيضاً مؤرخة بالسنة الثالثة من حكمه وقد ألفت على غرار الوثيقتين السابقتين .وليس فيها من جديد غير ما ذكر من أسماء المواد التى جاءت على ظهر الورقة وهى أسماء المواد التى كانت لازمة للتحنيط[2] .

تعليق :

لا نزاع فى أن الغرض الأساسى من مثل هذه الجمعيات كان دينياً قبل كل شىء وهو إقامة الشعائر لإله المنطقة وهو الإله « سبك » الذى كان يمثل فى صورة تمساح ثم امتدت مواد مبادىء هذه الجمعية إلى التعاون الصادق بين أفرادها والأخذ بناصر كل من نابه نائبة سواء أكانت فى ماله أم فى أهله . وقد كان النظام فيها قائماً على أسس المساواة فى المعاملة فقد كان العقاب الذى يفرض على كل من يخالف قوانين الجمعية يطبق على جميع أفرادها دون استثناء إلا من كان مريضاً أو كان يؤدى خدمة لبلاده فى ميدان القتال أو كان فى غياهب السجن . والواقع أن ما جاء فى مواد هذه الجمعية يكاد يمثل النموذج المثالى للحديث الشريف « الدين المعاملة » . فهذه المواد التى نقرؤها فى قانون هذه المؤسسة تفرض على كل الأفراد المشتركين فى هذه الجمعية أن يعامل كل إنسان مما يحب أن يعامل به وألا يتنابذ بالألقاب كذباً وبهتاناً . هذا

(١) راجع Spiegelberg, Cat. Gen. I, p. 26-29

(٢) راجع Ibid., p. 286-90.

ويلفت النظر بوجه عام أن العقوبات التى كانت تفرض على كل من خالف القانون بالتعدى على حقوق المؤسسة وعلى كرامة أعضائها كان رادعاً ، وذلك لأن كل مذنب كان عليه أن يدفع الغرامة نقداً مما كان يؤثر فى حياته وحياة أسرته . وأخيراً نجد أن من كان يتعدى على فرد آخر خارج الجمعية كانت غرامته على ذلك أكبر من الغرامة التى كان يدفعها لو تعدى بنفس الجرم على أحد أفراد المؤسسة . وعلى أية حال فان مثل هذه الأنظمة الرادعة لا نجدها عند قوم أخر إلا عند الرومان فى أول قيام جمهوريتهم .

عقد بيع من عهد بطليموس فيلومتور [1]

كتب هذا العقد باللغتين الديموطيقية والإغريقية والنسخة الإغريقية استولى عليها المستر « جرى » وهى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى [2]. هذا ويلفت النظر أن الورقة رقم ١٨ بالمتحف الوطنى بباريس هى عبارة عن صورة طبق الأصل من هذا العقد وهى مؤرخة بالثامن من شهر هاتور عام ٣٦ من حكم هذا الفرعون .

ترجمة :

التاريخ : السنة السادسة والثلاثون الرابع عشر من هاتور من عهد الملكين « بطليموس » وأخته « كليوباترا » ابنى « بطليموس » و « كليوباترا » الإلهين الظاهرين ؛ ومن عهد كاهن « الإسكندر » والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين والإله « يوباتور » والإلهين المحبين لأمهما ؛

---

(١) راجع Brugsch, Thesaurus, 880-885; Spiegelberg, Dem. Pap. Berlin, p. 10 & Pl. XVII-XVIII. Trans. p. VI, Inhalt und Erlauterung.

ومن عهد الكاهنة حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة ومن عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها ؛ وكاهنة « أرسنوى » محبة والدها . أنه على حسب ما هو معمول به فى مدينة «رقوده» (الإسكندرية) وعلى حسب ما أمر به الملك فيما يخص فرد فى مقاطعة « طيبة » الكاهن المنتخب للملك « بطليموس سوتر » وكاهن الملك « بطليموس فيلوباتور » وكاهن الملك « بطليموس » محب أخته وكاهن « بطليموس ايرجيتيس » ، وكاهن « بطليموس » محب والدته وكاهنة الملكة « كليوباترا » وكاهنة « كليوباترا » زوج الملك والكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول حارس معبد « أمونوبى » الواقع على الشاطىء الغربى « لطيبة » المسمى « أونوفريس » بن « حور » وأمه هى «سنوبوتزيس» (Senopoesis) صاحب القوام المعتدل وعمره أربعون سنة والضخم ذو اللون الأسود والأصلع ومن عيناه جميلتان .

الطرف الثانى : لحارس معبد « أمونوبى » الواقع فى الجانب الغربى من «طيبة» المسمى « منتوس » بن « حور » وأمه هى « سنوبوتزيس » .

نص العقد : قد حاسبتنى وانشرحت بالنقود مقابل حقى القانونى عن الأموات الذين يثوون فى « تينابونون » (Thynabunun) الواقعة فى غربى « طيبة » ، وعن نصف الثلث نصيبى من أجل أشغالها . . . وهى $\frac{1}{6}$ وأوصافهم هى : سبوتوس (Spotus) وأولاده وأهله ، و « حربوخراتيس »

---

(١) راجع Revillout, Chrest. Demotique, p. 62 sq.

بن « نختمومونتيس » وأولاده وأهله و « بتمستوس » بن « نختيس » ، و « حارسائزيس » بن « سمينيس » (Zminis) ومعه أولاده وأهله ، و « أوزورروثريس » (Osoroeris) بن « حور » وأولاده وأهله و « سبوتوس » ابن « حابوحوسبس » حفار الرموز الهيروغليفية وأولاده وأهله ، وهم الذين يمتلك منهم حانوتى الجانب الغربى من « طيبة » المسمى « حور » بن « حور » وأمه هى « سنبوثزيس » النصف الثانى من الثلث الذى هو حق المتوفين قانوناً وهو المذكور أعلاه والسدس الذى بعته فى السنة السادسة والثلاثين فى شهر هاتور من عهد الملك العائش أبدياً مقابل بيع بنقد وهو مع الثلث نصيبى يكمل النصف من الحق القانونى للموتى فى مكان « بدينوفرتم » وأهله أولئك الذين يثوون هناك ، مع نصف حقى الشرعى من مكان « بوخونسيس » بائع اللبن مكان « فكسو » (Phekzo) الوالى المذكور أعلاه . وقد تسلمت منك من أجل ذلك الثمن كاملا غير منقوص وأنى أقول بأنى مسرور بذلك وليس عندى أى اعتراض فى العالم بسببها عليك ؛ وكذلك ليس لأى واحد فى العالم . وأنا الذى منذ اليوم فصاعداً سأدافع عنك كما هو متفق عليه أعلاه . وكل فرد سيأتى إليك بسببها باسمى فانى سأقصيه عنك دون أية مقاضاة ولا أية كلمة فى العالم يتبادلها معك .

كتب هذا « حور » بن « فانيس » الكاتب باسم كاهن « أمون » ملك الآلهة والآلهين المتحابين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإله « يوباتور » والإلهين المحبين لوالدتهما من أجل الطائفة الخامسة من الكهنة .

يلحظ فى هذا العقد أن الملك « يوباتور » بن « بطليموس السادس » قد جاء هنا بوصفه مشتركا مع والده فى الملك ، ولكن حقيقة الأمر أنه كان قد توفى بعد أن حكم معه مدة قصيرة على ما يقال كما شرحنا ذلك من قبل .

رسائل بالديموطيقية من عهد بطليموس السادس

لدينا قطعة من رسالة مؤرخة بالسنة العشرين من عهد الملك « بطليموس السادس » (= ٢٠ يناير عام ١٥٩ ق . م) .

وهذه القطعة من البردى يقول عنها الأستاذ « ريفيو » بحق (١) أن لها علاقة وطيدة بثلاث رسائل أخرى محفوظة بالمتحف البريطانى (٢) وقد كتبت جميعها فى شهر واحد وبعنوان واحد (٣) . وقد بحث هذه الأوراق الأستاذ « زيته » وسنكتفى هنا بترجمة ما تبقى من الرسالة الأولى .

وهاك ترجمة الخطاب الأول :

إن « حار - ت - دوتف » (= المنتقم لوالده وهو لقب لحور) بن « حور » الذى يقول : لقد تعودت أن أسأل جميع الناس الذين يأتون نحو الجنوب عن صحة القائد ، وقد عرفت منهم أنه ليس هناك أية شائبة عنك ، وقد فرح قلبى كثيراً ، ولكن تأمل لقد أرسلت فعلا رسالات كثيره نحو الشمال فيما يخص « بدى خنس » بن « با - سا - عا » الذى من طرفنا دون أن يصل إلى ردك ، فى حين أنه بسبب ذلك رجوتك قائلا : إذا حدث أن الأمر يحتاج إلى ضمان أو شيء آخر فانه سيكون فى استطاعتى أن أكون معك فى الحال . وعند ما يحتاج الأمر لذلك فيمكن أن ترسل خبراً لى بذلك . ومن ثم حدث

---

(١) راجع Rev. Egypt. Tom V. p. 64.

(٢) راجع British Museum, 10405 = Corp. Pap. II, 1 ; 10231 = Corp. Pap. II, pl. 3 ; 10406 = Corp. Pap. II, pl. 4.

(٣) راجع Sethe, Abh. der Gott. Ges. d. Wiss. Phil., hist. Klasse Neue Folge Bd. XIV, No. 51, p. 86 ff.

بأنى لم أسرع منحدراً فى النيل حتى اللحظة . وإنى على ذلك أرجو أنه إذا حدث ما يوجب تقديم ضمان أو أى شيء آخر فانى مستعد لذلك . وأن غرضى فيما يخص « بدى خنس » ينحصر فى إخراجه من السجن ، ويمكن إرسال خبر لى بذلك وقد بدأت استعداداتى (للسفر) لأجل أن أسرع منحدراً فى النيل . وقد أرسلت « أبوللوفانيس » الفتى ليسأل عن صحة « بدى خنس » وعن مصاريف الإقامة (مدة) شهر . والمهم الآن هو إرسال أخبار عن صحتكم وعن الأحوال التى تجرى هناك . إلى الملتقى القريب جداً (= حرفياً إلى أن تسمح الآلهة بأن أرحب بك) وأنت فى حالة جيدة .

كتب فى عام ٢٢ الشهر الرابع من فصل الفيضان (٢٢ كيهك) .

ومضمون هذه الرسالة هو أن « بدى خنس » كان تابعاً ومستخدماً عند كاتب الرسالة وقد كان مسجوناً لسبب ما كما يظهر فى المكان الذى يسكن فيه المرسل إليه الرسالة . والظاهر أن كاتب الرسالة كان قد أرسل عدة رسائل وأبدى فيها استعداده لضمان السجين غير أنه لم يصل إليه أى رد على خطاباته . والآن نجد الراسل يلجأ إلى قائد شرطة كبير فى خطاب يبدى فيه من جديد استعداده لضمان السجين ويوضح له أنه مستعد فى كل وقت للحضور بنفسه لإجراء اللازم .

٢ — الرسالة الثانية وهى مؤرخة فى ٢٠ فبراير عام ١٥٩ ق . م فى عهد الملك « بطليموس السادس »[1] . وهى ممزقة لا يمكن استخلاص شىء منها .

---

(١) راجع: Sethe Demotische Urkunden zum Burgschaft srechte, p. 488 ff.

أوراق السرابيوم الديموطيقية والإغريقية

تحدثنا فى غير هذا المكان عن موقع السرابيوم وما حوله من المبانى الدينية وأهمية هذه المبانى . والواقع أنه كشف فى سرابيوم « منف » هذا عن ملف من الأوراق البردية الإغريقية والديموطيقية يحتوى على أكثر من ستين بردية منها ما هو مسودات ومنها ما هو نسخ عن موضوع التوأمين وموضوع « بطليموس » والرهبان الذين كانوا يسكنون فى هذه المنطقة المقدسة . وقد كشف عن هذا الملف منذ عام ١٨٣٠ م وأوراق هذا الملف مبعثرة فى متاحف أوروبا . وقد قام بفحص هذه الأوراق وبخاصة الإغريقية منها عدد كبير من العلماء وقد قام أخيراً العالم « فلكن » بجمع شتاتها ونشرها فى الجزء الأول من كتابه المشهور المسمى وثائق عصر البطالمة[1]، هذا وقد تناول الأستاذ « ريفييو »[2] فى بعض مقالات له عن الأوراق الديموطيقية التى يحتويها ملف السرابيوم . وأوراق السرابيوم أو ملف السرابيوم كما يسميه بعض المؤرخين هو عبارة عن أوراق خلفها لنا متعبد أو راهب كان يعيش فى معبد السرابيوم يدعى « بطليموس » وكان أبوه يدعى « جلوسياس » . وكان الأخير على ما يظهر من الجنود المرتزقين الذى كانوا يملكون قطع أرض لزراعتها مقابل خدماتهم العسكرية . وكانت أرض « جلوسياس » هذا فى قرية « بسيشيس » (Pisichis) من أعمال مقاطعة أهناسيا . وفى حوالى أكتوبر عام ١٧٢ ق . م أصبح « بطليموس » هذا ضمن الذين انقطعوا للعبادة فى السرابيوم . وقد

---

(١) راجع Wilcken Urkunden der Ptolemaerzeit.

(٢) راجع Rev. Egypt. Tom. I, p. 160 ; Tom. II, p. 166

وصفه بعض المؤرخين بأنه كان موحى إليه أو به مس من الجن وهو ما يعبر عنه فى أيامنا هذه بالرجل المسكون (أو كما تقول العامة «عليه عفريت» أو «يركبه عفريت» أو «عليه أخته»). وكان على كل من كان فى حالة « بطليموس » هذا لا يغادر حرم المعبد . ومن الغريب أن بعض المؤرخين قد فسر عدم مغادرة « بطليموس » هذا حرم المعبد بأنه كان مديناً ولم يكن فى قدرته أن يدفع ما عليه من دين ، من أجل ذلك لجأ إلى المعبد ليكون فى حماه . كما فسر بعضهم حبسه فى المعبد بأنه عقاب وقعه عليه رئيسه فى الجيش . والواقع أن « بطليموس » قد لجأ إلى معبد السرابيوم ليعبد الله ويخلص نفسه مما كان يدور حوله من شرور وثورات كانت منتشرة فى طول البلاد وعرضها فى تلك الفترة . وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق . ولم يكن « بطليموس » هذا هو الوحيد الذى كان قد ترهبن بل كان هناك غيره من المصريين والإغريق فى سرابيوم « منف » . وتدل الوثائق التى فى متناولنا على أن « بطليموس » هذا قد بدأ رهبنته منذ عام ١٦٤ ق . م . هذا ونجد فى آخر الوثائق التى وصلت إلينا من ملفه وقد أرخت بعام ١٥٢ق . م بأنه كان لا يزال فى رهبنته سجين نفسه . وليس هناك من شك فى أن « بطليموس » على الرغم مما أنتجه خيال المفكرين من تفاسير متناقضة كان رجلا تقياً ورعاً متعلقاً بعبادة الإله « سرابيس » الذى أملى إرادته عليه بوساطة أحلام أو وحى بأن يبقى فى ساحة الإله يتعبد إليه . وقد كان دائماً يذكر « بطليموس » هذا فى شكاياته بالسنين العدة التى قضاها فى عزلته وهى تتراوح ما بين عشر سنوات وخمس عشر سنة . وتدل الظواهر على أن عزلة « بطليموس بن جلاسياس » فى السرابيوم كانت غاية فى الشدة ، فلم يكن فى مقدوره أن يغادر صومعته وحسب ، بل أنه أكثر من ذلك عند ما كان الملك نفسه أو بعض كبار من

عظماء الدولة يطلع لزيارة معبد السرابيوم فانه كان لا يحادث أحداً منهم إلا من خروم خليته . وقد حصل — لأجل القيام بمصالحه — أن عمل على أن يقيد أخاه فى إحدى فرق الجيش المعسكرة فى « منف » وعلى أن يتسلم مرتبه دون أن يكون ملزماً بالقيام بأى عمل عسكرى ، وذلك لأجل أن يكون دائماً تحت تصرفه وليحميه عند الضرورة . وهذه كانت العادة المتبعة مع أمثال « بطليموس »[1]. وذلك لأنه على ما يظهر على الرغم من صبغته الدينية وما هو عليه من ورع وتقى كان عرضة لكراهية الكهنة المصريين وحقدهم عليه بوصفه إغريقياً ويعتبر دخيلا عليهم . وقد شكى فعلا من ذلك للملك[2].

والواقع أن جزءاً عظيماً من أوراق السرابيوم هو عبارة عن مسودات تحتوى على شكاوى لأولى الأمر وتظلمات ومكاتبات خاصة بأمور تتعلق بمصالح « بطليموس » . وكان معه دائماً أخوه « أبولونيوس » الذى كان كذلك مقيداً بالمعبد بأمر من الإله لمدة قصيرة . وكان يعمل أميناً لأخيه فى صيف عام ١٥٨ ق . م . وقد كان « أبولونيوس » هذا عالماً فقير الحال ولا يزال فى شرخ الشباب . هذا وتشير أوراق « بطليموس » إلى مسائل عدة مختلفة ، ففى عام ١٦٤ ق . م . أرسل شكوى للملكين خاصة بفتاة تدعى « هيراكليس » كانت قد احتمت بمعبد السرابيوم وكان قد تبناها هو وقد أخذت منه عنوة وأصبحت رقيقة فى « منف » . وفى عام ١٦٣ ق . م نجده فى رسالة يشكو أولا لحاكم المقاطعة الحربى ثم إلى الملك « بطليموس السادس فيلومتور » من أنه كان قد حبس فى خلية خاصة فى المعبد على يد أصحاب

(١) راجع Rev. Egypt. T.I.P. 161, note 3.

(٢) راجع Ibid., p. 161.

السلطة هناك ، ومن بعض رجال الشرطة من نقطة شرطة معبد الأنوبيوم (أى معبد أنوبيس) من أنهم انقضوا على خليته واستولوا على أمتعته بحجة أنهم كانوا يبحثون عن أسلحة قد تكون مخبأة فى خليته . وفى تلك الأثنا كانت الثورات قائمة على قدم وساق فى مصر . والواقع أنه فى تلك الأيام كانت العداوة بين الإغريق وبين المصريين قد اشتدت لدرجة عظيمة بسبب الثورة التى كان يقوم بها البطل المصرى « بتوزيريس » ليحرر البلاد من النير البطلمى . ولا غرابة فى أن نرى أن « بطليموس » قد عومل معاملة سيئة فى المعبد الذى كان فى يد المصريين لأنه كان إغريقى المنبت ، وكذلك تدلنا الوثائق على أنه فى عام ١٦٣ ق . م هوجم فى خليته وامتهن لأنه إغريقى وعلى ذلك أرسل شكوى أخرى إلى حاكم المقاطعة العسكرى . وكذلك نجده فى عام ١٥٨ ق . م قد هوجم ثانية وضربه بعض المصريين ضرباً مبرحاً بوساطة زمرة من سائقى الحمير ، وذلك لأنه كان قد تدخل غاضبا بسبب شجار قام بخصوص شراء بعض البوص لعمل السلات من بائع لهذه السلعة فى ساحات المعبد . وعلى ذلك رفع شكوى أخرى إلى حاكم المقاطعة العسكرى . وهكذا كانت شكاياته تترى ؛ ولكن دل الفحص بين أوراق « بطليموس » على أن أكبر مجموعة من أوراقه كانت خاصة بفتاتين توأمتين من أصل مصرى إحداهما تسمى « تاويس » (Thaures) والأخرى تدعى « تاوس » . وموضوع هاتين الفتاتين معروف لدى علماء الآثار المختصين بالأوراق البردية فى عهد البطالمة . وهاتان الفتاتان التى يحتمل أن والدها كان مصرياً وقد كان مع ذلك صديق « بطليموس » المقدونى الأصل . وقد حدث أن والدتهما فرت مع جندى إغريقى ، ومن ثم فر والدها إلى « إهناسيا المدينة » خوفاً من أن يقتله هذا الجندى الإغريقى الذى فرت معه زوجه ، ومات فى هذه البلدة .

وقد لجأت الفتاتان إلى « بطليموس » بحكم صداقة والدهما له ليحميهما فى معبد السرابيوم . وفعلا أوجد « بطليموس » للتوأمين عملا فى المعبد بوصفهما كاهنتين فى درجة ثانوية ، وقد أقام « بطليموس » نفسه مشرفاً على شؤونهما ومعيشتهما . وكان قد عين لهما قدراً محدداً من الزيت والخبز من الخزانة الملكية بوصفهما كاهنتين للملك . وعلى حسب النظام الموضوع كان الزيت يورد مباشرة للكهنة والكاهنات من المخازن الملكية. أما الخبز فكان يورد لأصحاب السلطة فى المعبد ليوزعونه مباشرة . غير أنه حدثت ملابسات دعت إلى عدم صرف مرتب التوأمين مما دعى إلى إرسال شكاوى عدة وتظلمات كثيرة أرسلها « بطليموس » باسم التوأمين أو كتبها هو باسمه دفاعاً عن حقوقهما . ولما كانت هذه التظلمات والشكاوى تكشف لنا عن سير الأحوال فى مثل هذه الموضوعات فقد أصبح لزاماً علينا أن نشرح تظلمات هاتين الفتاتين بعض الشيء لدى القارىء ليرى كيف كانت الأمور تسير فى طريق ملتوية لا يصل السائر عليها إلى الحق إلا بعد جهد ولأى لو استمر فى مطالبته بحقوقه المشروعة بارسال الشكاوى والتظلمات دون إنقطاع . (ما ضاع حق وراءه مطالب) .

والواقع أن معظم الشكاوى وقتئذ مهما كان القصد منها كانت ترسل إلى حاكم المقاطعة الحربى ، وكانت هناك شكاوى تصل إلى السكرتير المالى أو حتى للملك نفسه والواقع أن « بطليموس المقدونى » المنعزل فى معبد السرابيوم قد أمطر الإدارة الحكومية بوابل من الشكاوى موجهاً اللوم فيها أحياناً لأمين المؤسسة وأحياناً يعود باللائمة على مراقبها أو على المشرف عليها . وكان يوجه شكاياته أحياناً لحاكم « منف » العسكرى وأحياناً إلى السكرتير المالى بالإسكندرية حيث كان مقر الحكم .

وعند ما كان يضيق ذرعاً نجده يوجه ظلامته مباشرة « لبطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » ، وكان يوجه هذه الشكاوى إلى عدة سلطات فى آن واحد . وبذلك كان يعدد مساعيه بارسال تقارير وتسلم أخرى من كل صنف على حسب الأحوال . كل ذلك كان لأجل أن يجبر رجال إدارة السرابيوم على أن يصرفوا للتوأمين المتعبدتين ما يستحقانه من أجر ، وكذلك لأجل أن يضطروا زوج والدهما على أن تعيد لهما إرثهما من أبيهما . ومن أجل ذلك نجد أن الإدارة الحكومية كانت فى حركة مستمرة بسبب قضية هاتين الفتاتين . فكانت المكاتبات تنتقل من مرحلة إلى أخرى فى المراحـــل الإدارية المتعددة المتشعبة . وكان « بطليموس » يطلب حقوق التوأمين من السلطات العليا ، ويتسلم الجواب عن طريق صغار الموظفين . وعلى أية حال فان شكوى التوأمين لم تبلغ إلى مرتبة اعتبارها قضية بالمعنى الحقيقى للكلمة حتى توضع أمام المحكمة ، بل كانت فى واقع الأمر مجرد شكوى تحل على يد السلطة الإدارية . يضاف إلى ذلك أن جهل الشاكيتين بالرسميات كان له دخل دون شك مما جعلهما تطرقان كل باب على غير هدى للحصول على حقوقهما المضيعة .

وهذه المسألة كانت قد بدأت فى عام ١٦٤ — ١٦٣ ق . م بارسال شكوى موجهة للسكرتير المالى فى « منف » من التوأمين « تاويس » و « تاوس » وقد طلبتا إلى وكيل وزير المالية أن يأمر بصرف الزيت المستحق لهما عن هذا العام كما هو المتبع مع التوائم الأخريات فى هذه المنطقة ، كما أشارتا بأنهما لم تتسلما أجراً عن خدماتهما الدينية منذ العام الثامن عشر (= ٣ أكتوبر عام ١٦٤ ق . م) . ولما رأت التوأمان أن طلبهما لم يسفر عن نتيجة كتبتا — إلى

الملك « بطليموس فيلومتور » وإلى الملكة « كليوباترا » — شكوى ملؤها الحزن والأسى معددة فيها ما لقيتا من سوء معاملة من زوج أبيهما التى تدعى « نفوريس » (Nephoris) والتى استولت عنوة على ميراثهما من أبيهما لدرجة أنها لم تترك لهاتين الفتاتين البائستين أى مأوى تلتجئان إليه إلا المعبد حيث مد لهما « بطليموس » يد المساعدة ، وذلك لما كان بينه وبين والدهما من ود وصداقة . ومما زاد الطين بلة أن إبن زوج أبيهما ويدعى « بانخارتيس » (Panchartes) قد نهب كل متاعهما وحمل لوالدته البطاقة التى كان يتسلم بها التوأمان مكيال الزيت المقرر لهما . على أن اللوم فى ذلك يرجع إلى سوء تصرفهما لأنهما كانتا قد اتخذتا من ابن زوج أبيهما خادماً لهما . وهذا المكيال من الزيت كان جراية عام لهما . هذا وقد طلب التوأمان أن تعاد الشكوى إلى حاكم المقاطعة الحربى المسمى « ديونيسيوس » . وقد كتب الأخير فى ذلك بدوره للوكيل المسمى «منيدس» (Mennides) أمين المؤسسة وإلى المراقب المسمى « دوريون » (Dorion) . وكانت الشكوى ممهورة بخاتم حامل الخاتم الملكى . ثم سلمت باليد فى ١١ مسرى عام ١٩ (= ٨ سبتمبر عام١٦٣ ق. م) إلى « سرابيون » (Sarapion) الذى كان قد حضر ليتعبد فى معبد السرابيوم[١]. وقد كلف « سرابيون » هذا « منيدس » بتتبع الشكوى . ولكن «منيدس»بناء على تقرير موظفيه كان لابد له من الرجوع منجديد إلى « سرابيون » . وسبب ذلك أن رئيس الإدارات وجد أن الطلب كان قد ألغاه « بانخارتيس » ، ومن أجل ذلك لا يمكن أن يعمل به فى صالح التوأمين . ومن المحتمل أنه كان قد وجد اعتراضاً آخر نجهله . غير أن « بطليموس »

---

(١) راجع Pap. Brit. Mus., 1, n. 21, P. 18. L. 1-7.

الراهب لم يرد أن يعرف شيئاً عن ذلك . ولهذا نجده يرجو « سرابيون » أن يوحى إلى « منيدس » بالأمر بالتنفيذ . وقد كان عليه أن ينتظر الرد . غير أن إدارة الختم الملكى كانت فى شغل شاغل عن الرد بما لديها من أعمال كثيرة . وفى هذه الأثناء كان الملك « بطليموس السادس » قد أعيد لملكه ومن ثم جاء بنفسه ليقدم فروض الشكر ويقدم الأعمال الخيرية فى معبد السربيوم[1] . وقد أفاد « بطليموس » الراهب حامى التوأمين من هذه الزيارة ، إذ وضع فى يد الملك نفسه شكوى جديدة ذكر فيها طلبه الذى حرره فى طلبه الأول . وفى هذه المرة نجد أن الملك قد أمر وزير المالية المسمى «أسكليبيادس» (Asclipiades) أن يهتم بالموضوع ، وعلى أثر ذلك أرسل « اسكليبيادس » الشكوى بالبريد إلى « سرابيون » الذى قام بطلب تقرير من المراقب « دوريون » وعلى ذلك بدىء التحقيق فى الأمر من جديد . والواقع أن « دوريون » قدم تقريراً إلى « اسكليبيادس » مؤرخ ٣ توت عام ١٩ (= ٥ أكتوبر عام ١٦٣ ق . م) وقد أبان فيه أن التوأمين لهما الحق فى متأخر العامين السابقين . ومع ذلك نجد أن الإدارات التى كان فى أيديها تصريف الأمور قد ماطلت ثانية . غير أن صاحبتى الحق اللتين كانتا تريدان دون شك الإسراع فى عمل الرسميات رأتا أن رجال الإدارة فى المؤسسة كانوا يصرفونهما بالوعود والكلمات المعسولة ويذكرون لهما أنهم يقدرون موقفهما ولكن دون عمل أى شىء إيجابى غير المواعيد العرقوبية . ومن أجل ذلك شكتا مر الشكوى فى التماس ثالث للإلهين المحبين لأمهما أى « بطليموس السادس » و « كليوباترا » الثانية واستحلفتهما

---

(١) راجع Pap. Par. n. 29 ; cf. n. 20, 1, 18.

بأن يضعا شكايتهما فى يد حاكم المقاطعة الحربى المسمى « ديونيسوس » ، لأجل أن يكتب هذا الأخير إلى الوكيل « أبوللونيوس » الذى كان زميل « منيدس » ويقوم الآن بأعماله ، وتكليفه بأن يعمل أمر الصرف بالمواد المستحقة لهما ، ويحدد التواريخ والأشخاص الذين سيقومون بذلك ، ويجبرهم على توريد ما هو مستحق للتوأمين .

أما « بطليموس الراهب » فانه من جهته سلم لأخيه الصغير مذكرة جديدة سلمها الأخير بدوره إلى « سرابيون » مؤرخة بأول بابه (= ٢ نوفمبر عام ١٦٢ ق . م) . وقد كتب فيها من جديد يرجوه أن يتتبع تقرير « دوريون» وقد أعيدت الرسالة ثانية للأمين « منيدس » فى ٢ هاتور وإلى الكاتب المختص فى ٣ منه (٤ ديسمبر سنة ١٦٣ ق . م) بالأمر بالتوريد بعد الفحص[١]. وأخيراً نجد فى هذه المرة أن الأمر قد صدر فعلا بالتوريد ، وذلك أن « منيدس » عند ما رأى تقريراً مختصراً حررفى إداراته بتاريخ ١٣ هاتور (= ١٤ ديسمبر (أمر الصراف « تيون » (Theon) فى ١٧ هاتور بأن يحرر أذونات الصرف كما ينبغى من أجل أنواع الزيت الذى سيورد على حساب السنتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ، وأرسل « تيون » أذونات الصرف للخازن « ديمتريوس » ، وهو جندى قديم (كان جندياً كريتيا يعمل فى فصيلة الفرسان بقيادة «يومنيس») ، فقام بتوريد الكميات والأنواع المبينة إلى « كراتيروس » (Grateros) وهو موظف من موظفى « دوريون » مدير البنك فى ٢٥ هاتور ، وذلك بحضور « أريوس » (Areus) المنتدب

---

(١) راجع Pap. Brit. Mus. I, n. 20 p. 9 ; cf. n. 21, L. 15-15

من قبل التوأمين . وقد أعطى « بطليموس » بدون إيصال نيابة عن التوأمين اللتين كانتا فى حمايته بالتسلم .

وبذلك أصبح موضوع الزيت وقد صفى حسابه نهائياً دون وقوع حادث آخر يطيل فى أجل مناقشته. غير أن « بطليموس » لم يكن راضياً عن ذلك . فقد كان يريد أن يبدل مكيالى زيت (Kiki) اللذين تسلمتهما التوأمين بمكيالين من زيت السمسم . ولكن عمال « دوريون » رفضوا هذا الطلب . ومن أجل ذلك قدم « بطليموس » شكوى شديدة اللهجة إلى « منيدس » فى حق هؤلاء الكتاب الجامحين الذين تجاسروا على عدم طاعة الأمين والملك والملكة نفسهما . وإذا فرضنا أنه قد أفلح فيما ذهب إليه ، فان الأمر لم يقتصر على ذلك، لأن المتأخر للتوأمين لم يكن قاصراً على الزيت وحده ، إذ كان يجب أن تتسلما كذلك من السرابيوم المصرى وكذلك من الاسكليبيون الإغريقى أربعة أقراص من خبز الذرة البيضاء يومياً لكل منهما . وهذا يعنى ثمانية أرادب من الحبوب شهرياً. وقد كان هذا الحساب مستحقاً لها ولم يصرف بعد . وقد أمهل «بطليموس» نفسه ليحصل على معلومات فى هذا الصدد .

وقد وجدناه فيما بعد قد استعرض بصورة ثابتة أنه لأجل الفترة التى تبتدىء من أول شهر توت حتى ٧ أمشير من عام ٢٧ (أى ٣ أكتوبر عام ١٦٤ حتى ٨ مارس عام ١٦٣ ق . م) كانت التوأمان تتسلمان جرايتهما من الخبز ، ولكنهما لم تتسلما شيئاً منذ ٨ مارس حتى نهاية السنة . ومن ثم كان متأخرا لها ما يعادل ٥٦ أردباً . وفى عام ١٩ تسلمتا فترة كاملة من أول شهر

---

(١) راجع Pap. Brit. Mus. nn 17 a-c (pp. 10-11), 31 (pp. 15-16).

توت حتى الثلاثين من مسرى (من ٣ أكتوبر سنة ١٦٣ حتى ١٣ مارس سنة ١٦٢ ق . م) وكذلك الفترة التى أتت بعد ذلك من أول برمهات حتى ٣٠ بشنس (أول إبريل حتى ٢٩ يونيه) تسلمتا نصف الجراية فقط ، وفى الشهر التالى تسلمتا نصف الجراية وفى أيام النسىء الخمسة لم تتسلما شيئاً أبداً . وفى العام العشرين سارت الحال على نفس المنوال مما أدى جوع إلى التوأمين المسكينتين ، فمن أول شهر توت حتى العاشر من كيهك (٣ أكتوبر عام ١٦٢ حتى ١٠ يناير عام ١٦١ ق . م) تسلمتا سوياً ستة أرغفة بدلا من ثمانية أرغفة يومياً . ومنذ الحادى عشر من كيهك حتى هذا التاريخ لم تتسلما شيئاً[١] .

وهكذا بدأت المضايقات التى تنطوى على عدم الأمانة والإزعاجات المؤلمة بصورة أشنع مع التوأمين ، فنرى أن الإدارة قد قطعت عنهما جراياتهما فلم يورد لهما لا خبز ولا زيت . وعلى ذلك نجد أن « بطليموس » قد بدأ من جديد يتخذ اجراءاته . وقد احتاط فى شكاويه فلم يخلط بين ما تستحقه التوأمان من جراية الزيت وجراية الخبز فقد كانت الجراية الأولى من الزيت مستحقة من أول عام ١٨ فى حين أن جراية الخبز كانت مستحقة من أول العام العشرين من حكم « بطليموس السادس » . وعلى ذلك فانه بعد مرور أقل من شهرين على المحاسبة فيما يتعلق بالزيت كتب إلى « سرابيون » الذى كان يأمل أن يزوره ليخبره بأن التوأمين لم تتسلما شيئاً أبداً من الزيت المستحق لهما ورجاه أن يكتب بنفسه للأمين « منيدس » . ولكن الطلب أعيد فى ٢٦ كيهك عام ٢٠ (٢٦ يناير سنة ١٦١ ق . م) إلى « دوريون » الذى بدوره ضم إليه — بتاريخ ٢٩

(١) راجع Pap. Brit. Mus., n. 18, pp. 22-24.

كيهك — تقريراً ظهر منه أنه لم يصرف شيء للتوأمين عن عام ٢٠ . ومن ثم كان لهما متأخر جراية أربعة أشهر .

وقد اتفق أن تقرير « دوريون » وقع فى السادس من شهر طوبه (٥ فبراير) تحت نظر كاتب متشكك لأجل أن يحدد الجراية المطلوبة ومقدارها « خوس » من الزيت شهرياً أى ما مقداره مترَيت عن كل سنة . وقد اقتضت الضرورة معرفة مقدار ما تسلمتاه التوأمين فى العام الماضى . ومن أجل ذلك اقتضى الأمر فحص الموضوع . وقد اتضح من الفحص أن التوأمين لم تتسلما شيئاً عام ١٩ ؛ ولكن فى هاتور عام ٢٠ قد تسلمتا ما تستحقانه عن السنتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة أى أنهما تسلمتا مكيالين من[1] الزيت ، وبمقتضى ذلك أرسل « منيدس » تقريراً إلى « سرابيون » فأعاده بتأشيرة غير مفهومة أو على الأقل لم تفهمها التوأمان . وكل ما فهمتاه هو أن « منيدس » قد طلب إليه أن يحقق التقرير الذى وضعه كتابة ، أو بعبارة أخرى تأجيل الموضوع ، وعلى أثر ذلك أرسلت التوأمان إلى وكيل وزارة المالية تظلماً به اعتذار على الحاحهما ، وطلبتا فيه ما تستحقانه . ولكن هذا التظلم لم يأت بنتيجة سريعة يدل على ذلك أن التوأمين أرسلتا فى نهاية السنة أو فى بداية السنة التالية استعجالا باكياً إلى عناية الإلهين العظيمين جداً المحبين لأمهما (= بطليموس السادس والملكة « كليوباترا » الثانية) يقولان فيه أنهما تسلمتا المكيالين من الزيت عن عام ١٩ ، غير أنهما لم تتسلما لا زيت كتان ولا زيت سمسم عن عام ٢٠ . وعلى ذلك فانهما تطلبان تحويل شكواهما إلى حاكم المقاطعة الحربى

---

(١) راجع . Pap. Brit. Mus., n. 84, p. 18, L. 14-28.

« ديونيسوس » الذى سيأمر الأمين « أبوللونيوس » أن يصرف ما تستحقانه ، وكذلك ليأمر باتخاذ الاحتياطات لأجل المستقبل .

والآن يتساءل الإنسان هل إنتهى الأمر بأن العناية الملكية قد نفذ صبرها بتحويل الموضوع على الإدارات المختصة ؟ وتدل شواهد الأحوال على أن الاتصال الذى حدث بين « بطليموس » بعد ذلك والجهات المختصة من أجل تسهيل شؤونه الخاصة وكذلك شؤون أخيه على أنه كان مرتاحاً من الاجراءات التى اتخذها كما كان معتزاً بما له من شأن . ومما يدل كذلك على عظمته أنه إذا أخفق مرة فى أمر فان ذلك لم يفل من عزيمته أو يضعف من شجاعته عن القيام بحملة جديدة ليصل إلى هدفه كما فعل ذلك عند ما قام بالمطالبة بصرف جرايات الخبز التى كانت قد أوقفت دون مبرر لمدة ثلاث سنوات .

أما زيت الكتان فكان المتأخر منه هائلا لدرجة أن « بطليموس » على ما يظهر قد تردد فى إثارة موضوعه خوفاً من أن يتعارض ذلك مع صالح مالية البلاد . وعلى ذلك نجده قد قرر فى نهاية الأمر أن يطالب به عند ما وجد الطريقة التى جعل بها خزينة الدولة غير مسؤولة .

هذا ونجد أن « سرابيون » بناء على مطالبة أولى أرسلتها التوأمان ، واستعجلتها بأخرى قد وافق على طلبهما وكلف « منيدس » بتنفيذ أمره على يد « بسنتائس » (Psenthaes) غير أن الأخير كان ماهراً فى فن المماطلة والتأجيل ، ومن أجل ذلك أصم أذنيه . وقد كان ذلك داعياً لتدخل «بطليموس» بنفسه فى الأمر فنراه بعد أن أثبت حساب الصرف الذى حذف عن عامى ١٩ و ٢٠ يكتب إلى « سرابيون » رسالة لم تكن قاصرة على المطالبة بحق

التوأمين فحسب بل كانت فضلا عن ذلك تعتبر إتهاماً رسمياً وذلك أنه لم يكتف بالقول كما هو المتبع أن التوأمين قد أصبحتا ضحية رجال إدارة المعبد ، بل أكد أنهم يسرقون مال الملك لأنهم يبيعون بذر الكتان الذى ينهبونه بسعر الأردب ثلاثماية درخمة ، كما أعلن أن « بسنتائس » هو الرجل الذى يجب أن يجبر على إعادة ماية وستين أردباً من الغلة وهى التى تستحقها التوأمان .

وعلى أية حال فانه مما يؤسف له أن المصادر التى بين أيدينا والخاصة بهذه المسألة قد انقطعت ، ومن ثم لا نعرف من جهة كيف انتهى موضوع التوأمين الذى كما يظهر للقارىء العادى لا يستحق كل ما ذكر عنه من تفاصيل ، غير أنه من جهة أخرى بالنسبة للمؤرخ يعتبر موضوعاً غاية فى الأهمية نظراً للمعلومات التى بين أيدينا عن سير الأحوال فى مثل هذه العهود القديمة التى تعوزنا فيها التفصيلات التى تكشف الغطاء عن حالة البلاد من الوجهة الإدارية والإجتماعية فى تلك الفترة من تاريخ مصر فى عهد البطالمة . ولا نزاع فى أن هذه المسألة هى مثال محزن عن عدم أمانة الموظفين الذين كانت تساعدهم التعقيدات الإدارية الرسمية ، والصعوبة التى كانت تعترض الأشخاص الذين أصابهم الضر إلى درجة تجعلهم يلجأون إلى الفصل فى حقوقهم إلى رجال المصالح الحكومية . ومع ذلك يجب ألا يغيب عن ذهننا أنه فى فحص هذه المسألة لم نسمع إلا صوت الذين يتهمون وحسب . ولا نزاع فى أن هؤلاء بطبيعة الحال كانوا أناساً قد أثارت سخطهم وحنقهم هذه الرسميات ، وكانت كذلك فى الوقت نفسه تثير سخط رجال الإدارة وذلك برجوع أصحاب الحاجات والمظالم إلى السلطات العليا . فنجد أنه منذ بداية هذا

الموضوع أن حذف أمر صرف عادى كان هو السبب فى تعقيد سير الأمور ، وفضلا عن ذلك نجد أن جراية التوأمين كان من الممكن نسبتها جزئياً إلى السربيوم المصرى وإلى معبد « اسكلبيون » الإغريقى ؛ وقد أفضى ذلك دون أى شك إلى ارتباك فى المكاتبات والإهانات التى لحقت بالمتظلمين بالنسبة لتوجيه المسئوليات لهم . يضاف إلى ذلك أن التوأمين على ما يظهر كانتا قد دخلتا فى المعبد فى اللحظة التى تقام فيها مراسيم الحزن على العجل « أبيس » المتوفى عام ١٦٥ ق . م ، وأنهما لم تقوما بخدمتهما بصورة صحيحة ، وأن جرايتهما بعد التحكيم قد خصصت لحارس الثور المتوفى لأنه هو الذى سهر على خدمته وقام بتقديم القربان له بدلا من التوأمين . ولكن لما كان حارس الثور قد غاب بدوره فان التوأمين أجابتا على ذلك بارسال طلب لإعادة حقوقهما فى هذا الصدد وقالتا أن كتاب الاسكلبيون سيضعون هذا الطلب أمام الملك إذا حدثت مناقشة تعارض ذلك .

هذا ويلحظ أن البردية التى تحتوى على ذلك قد ذيلت بأرقام خاصة بجرايات العامين الثامن عشر والتاسع عشر من عهد « بطليموس السادس » . وتوجد على ظهر الورقة بداية نسخة خاصة بشكاية موجهة من التوأمين لوكيل المالية «سرابيون» تشكيان فيها عدم تنفيذ الأوامر فيما يخص حب «أولين» (Olyne) ومع هذا ملحوظة بيد كاتب آخر خاصة بطلب الجرايات عن السنتين المذكورتين أعلاه .

وليس ببعيد أن هذا النزاع الذى ينطوى على سوء النية يمكن أن يكون قد قام فى اللحظة الأخيرة بين رجال الإدارة وبين التوأمين ، وأنه من الممكن أن نفرض أن حارس العجل « أبيس » كان هو الآلة التى استعملت بمثابة

سلاح فى أيدى الإدارات الحكومية لمحاربة التوأمين ، غير أن كسب حارس الثور المقدس القضية من التوأمين قد أظهر أن هناك أموراً كانت تدور فى الخفاء مما جعل الشاكيتان تسكتان عن طلباتهما ، وفضلا عن ذلك يحتمل أن حماية « بطليموس بن جلوسياس » للتوأمين قد لعبت دوراً فى الإرتباكات التى وقعتا فيها ، وذلك عند ما كان يساعدهما على الخروج مما حل بهما من ظلم .

وعلى الرغم مما تحلى به « بطليموس بن جلوسياس » هذا من فضائل دينية فانه لم يكن بالرجل الذى يشتم منه رائحة القداسة عند رجال الدين الذين كانوا يسيطرون على معبد السرابيوم . وهذا ما نفهمه من شكاياته الخاصة بأحواله الشخصية وقد ذكرنا منها فيما سبق بعض الوقائع .

ولا نزاع فى أن ما تركه لنا « بطليموس بن جلوسياس » من وثائق ديموطيقية يدل صراحة على أنه كان رجلا صاحب أخلاق فاضلة وذلك على الرغم مما قيل عنه بما ينافى ذلك على لسان رجال السرابيوم . فقد ترك لنا نصائح تدل على صلاحه وورعه وما أوتى من حكمة بالغة تدل على طول باعه فى معرفة الناس والحياة وما تنطوى عليه من مصاعب ينبغى ملافاتها : وقد ترجم لنا بعضها الأثرى « ريفييو » نقتبس منها ما يأتى[١] :

« أصغ إلى كل كلام توبيخ لأنك تعرف ما يقال حسناً »

« إن السعادة لا تسعى أبداً لمن فى صدره أفكار إجرامية »

« لا تجعل ابنك يتزوج من إمرأة إلا على حسب قلبه هو »

---

(١) راجع Rev. Egyptol. I, p. 162 f.

« لا تبن بيتك بما جنيته من مظالمك »

« لا تقتل حتى لا تقتل »

« لأجل أن تكون بيتاً سعيداً أبسط ما فى يدك (كن كريما) »

« إن الرجل الذى يسيطر على المارق هو الرجل صاحب البأس »

« لا تصاحب الأحمق ولا تقف لتنصت إليه »

« ولا تسب من لا تعرفه »

« لا تقم بيتك بجوار قبرك » .

« إن الذى يقول ليس فى استطاعتى تقبل ملحوظة فليترك وحده » .

الآثار التى خلفها بطليموس السادس أو عملت فى عهده

لم نعثر حتى الآن على لوحات نقشت بالمصرية القديمة والديموطيقية والإغريقية معاً من عهد الملك « بطليموس السادس » . أما اللوحات التى نقشت بالهيروغليفية فقط فلدينا من عهده لوحتان للعجل « بوخيس »، عثر عليهما فى الحفائر التى عملت فى منطقة « أرمنت » فى مدافن العجل « بوخيس » كما عثر على لوحات أخرى فى جهات متفرقة من القطر غير أنها ليست عديدة .

١ — لوحة العجل « بوخيس » من عهد الملك بطليموس السادس

هذه اللوحة مصنوعة من الحجر الرملى ويبلغ ارتفاعها ٧٠ سنتيمترا[1].

وقد وصف فيها العجل « بوخيس » بأنه : الروح الحية للذى فى تابوته مظهر « رع » والإله (؟) الشريف والإله العظيم رب « أرمنت » .

وفى هذه اللوحة يشاهد الملك واقفاً أمام العجل « بوخيس » وهو يقدم البخور له باحدى يديه والقربان السائلة بالأخرى .

وتحت المنظر الذى فيه الملك والعجل « بوخيس » جاء المتن التالى الذى يتألف من ثمانية أسطر :

« السنة التاسعة عشرة ٧ طوبة فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وريث الإلهين إبيفانيس صورة « بتاح » المختار من « رع » والذى يعمل الحق «لآمون») ابن «رع» (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) محبوب

---

(١) راجع The Bucheum vol. II, p. 5, pl. XL.

« أوزيربوخيس » . فى هذا اليوم صعد إلى السماء جلالة هذا الإله السامى روح « رع » الحية ومظهر « رع » والذى ولدته « تى ـ خنومت » . ومدة حياته كانت سبعة عشر عاماً وتسعة أشهر وستة أيام وإحدى عشرة ساعة . وكان قد ولد فى السنة الخامسة والعشرين من فصل برت (= فصل الزرع) اليوم الثانى (؟) من حكم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (اوع نثر ـ وى خبر بتاح ستب رع ، ار ـ ماعت امن) ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) العائش أبدياً فى المدينة الجنوبية . وقد وصل إلى « طيبة » فى السنة الثانية ١٥ بابه . وقد كان هناك هجوم كثير من الممالك الأجنبية على مصر فى السنة الثانية عشرة ، وقامت حرب داخلية عارمة فى مصر . وجدار «طيبة» العظيم كان قد حاصرته الأجانب . وعندئذ أتى سكان « أرمنت » إلى «طيبة» القوية وقد فزعت قلوبهم خوفاً من أجل هذا الإله . وقد قاموا بشعائر نقله إلى « أرمنت » فى السنة الثانية شهر أبيب فى اليوم الثالث من أيام النسىء . ليته يبقى على عرشه أبد الآبدين .

تعليق :

هذه اللوحة على الرغم من قصر متنها تحتوى على عدة حقائق هامة فى تاريخ هذا الملك . إذ الواقع أن تواريخ هذه العجول تساعد كثيراً على تفهم الحوادث الغامضة فى تاريخ البلاد وهاك أولا استعراض لتواريخ العجل « بوخيس » الذى نحن بصدده :

(أ) ولد فى العام الخامس والعشرين من عهد « بطليموس الخامس » عام ١٨٠ ق . م .

(ب) وصل العجل إلى « طيبة » فى السنة الثانية ١٥ بؤونه عام ١٧٩ ق . م

(ج) الحرب الأهلية : السنة الثانية عشرة عام ١٦٩ ق . م

(د) تنصيب العجل : السنة الثانية عشرة شهر أبيب اليوم الثالث من أيام النسىء عام ١٦٩ ق . م .

(هـ) موت العجل السنة التاسعة عشرة ٧ طوبة عام ١٦٢ ق . م

(و) عمر العجل : ١٧ سنة وتسعة أشهر وستة أيام وإحدى عشرة ساعة .

والحرب الداخلية التى حدثت فى عام ١٦٩ ق . م هى الحرب التى قامت بين الملك « بطليموس السادس فيلومتور » وبين أخيه « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » وهى التى انتهت بأن حكما سوياً على عرش مصر كما أوضحنا ذلك سابقاً . أما « هجوم الأراضى » العدة فيشير لغزو « أنتيوكوس الرابع » للبلاد المصرية فى عام ١٦٩ ق . م وقد تحدثنا عن ذلك أيضاً (راجع ص ٢١٤)

(٢) لوحة بطليموس السادس فيلومتور وبطليموس السابع ايرجيتيس الثانى[1]

هذه اللوحة مصنوعة من الحجر الرملى ويبلغ ارتفاعها ٨٤ سنتيمتراً وهى مستديرة فى أعلاها وقد مثل فى الجزء الأعلى قرص الشمس المجنح . يتدلى منه صلان على رأس كل منهما قرص الشمس وفى الجزء الأسفل عدة نقوش أفقية أهمها :

---

(١) راجع Ibid., p. 6 (pl. XLd).

كلام تنطق به « إزيس » و « نفتيس » ، وسيدة الجبانة « حتحور » العظيمة سيدة الغرب .

كلام ينطق به « أوزير - بوخيس » ، «أتوم» بقرنين على رأسه ، الذى يكرر (يعيد) حياة التاسوع ، الإله العظيم الحى ، رب بيت « أتوم »(1) .

وفى أسفل هذه النقوش منظر يشاهد فيه الملك يقدم للعجل « بوخيس » محتويات آنيتين . .

وبعد ذلك يأتى فى الجزء الأسفل من اللوحة المتن الرئيسى . ويلحظ أنه غامض وغير كامل .

الترجمة :

السنة السادسة والثلاثون المقابلة للسنة الخامسة والعشرين ٢٧ مسرى الساعة الحادية عشرة ليلا عند ما انبثق فجر يوم ٢٨ فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (اوع نتر - وى بر - وى ، خبر بتاح ، ستب رع ، ار - ماعت امن) (= وارث الإلهين ابيفانس، صورة « بتاح »، المختار من « رع » ، الذى يعمل الحق « لآمون ») بن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) ومحبوب « أوزيربوخيس » ، والروح الحية للذى فى تابوته (يقصد أوزير) ، والذى يجدد حياة جميع الآلهة . فى هذا اليوم صعد إلى السماء جلالة هذا الإله الشريف « بوخيس » ، روح « رع » الحية ومظهر « رع » ، وهو الذى قد وضعته (البقرة) « تى - خنومت » . وطول حياته هو سبعة عشر عاماً وخمسة أشهر وعشرون يوماً . وكان قد ولد فى السنة

---

(١) بيت « أتوم » هو اسم البوخيوم أى المكان الذى كان يدفن فيه الثوربوخيس

التاسعة عشرة الثالث من برموده فى الحقل الشمالى من بيت . . . . . وقد أقتيد إلى مقاطعة « حت سنفرو » (= أصفون) . وبعد ذلك حضر الكهنة والمفتشون الملكيون وجنود البيتين العظيمين إلى « أصفون »[1]. وأحضر إلى «تنن» (الواقعة بالقرب من « أرمنت » وبين الأخيرة و«أصفون») . وعندئذ أقلع الكهنة خدمة الآلهة وكهنة الساعة فى المعبد والمفتشون الملكيون وكل ناس « أرمنت » إلى « تنن » ، وقد قربت هناك قربات عظيمة ، فنصب موقد وطهى عليه ساق ثور وقربت القرابين ؛ وبعد ذلك نقل على النيل هذا الإله الطيب « بوخيس » الجميل «آمون » الذى يمشى على أربع إلى هذه المدينة الطيبة العظيمة مكان تتويجه منذ الأزل . وقد أخذ إلى « حت نب » (= جزء المعبد الذى كان يحفظ فيه الصور المقدسة) فى « ابت » ؛ لأنه لم يعد بعد هناك أى أجانب من « يه » (إحدى ضواحى منف) فى معبد « أمون »[2] وقد أقيم حفل تنصيبه على يد كهنته هو . . . . وقد حرر مرسوم رسمى فى حضرة جلالته[3]. وبعد ذلك أقلع الملك والذين كانوا فى ركابه إلى «طيبة» . وظهر « امنوبت » إله المدينة فى موكب . وسار جلالته أمامه ؛ ووقف الإله « امنوبت » قبالة هذا الإله ، وكذلك الملك ومعه رجال حاشيته ؛ والكهنة خدمة الإله والكهنة وكتاب بيت رجال الحكمة وكل جنود البلاد . وقد أتوا

(١) المقصود من حضور هؤلاء ليروا أن العجل « بوخيس » توجد فيه كل العلامات المميزة التى يجب أن تكون فيه .

(٢) يشير هنا إلى إحتلال « أنتيوكوس الرابع » لمصر ، وقد أخذت الاضطرابات التى كانت قائمة وقتئذ تقل وسحبت الحامية الأجنبية من البلاد ولم يعد بعدذلك أى خوف على حياة «بوخيس» أثناء وجوده فى «طيبة» .

(٣) يفهم من ذلك أن الملك قد نصب كهنة خاصين لهذا العجل « بوخيس » .

فى ركابه إلى « طيبة » . وقد نصب هذا الإله الطيب فى السنة الرابعة والعشرين من عهد « فيلومتور » فى اليوم الأخير من شهر بابه . وبعد ذلك أقلع (هذا الإله الطيب ؟) إلى « أرمنت » فى شهر بشنس فى السنة الأولى (؟) وقد ظهر على عرشه فى حياة . ليته يعطى كل الصحة لابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « رع ») .... الإلهان المحبان لأمهما » .

تعليق :

على الرغم مما فى متن هذه اللوحة من صعوبات لغوية وجغرافية فانه يمكن تلخيص ما جاء فيها على الوجه الآتى :

(أ) ولد هذه العجل فى السنة التاسعة عشرة ٣ برمودة عام ١٦٢ ق . م

(ب) ونصب فى السنة الرابعة والعشرين ٣٠ بابه عام ١٥٧ ق . م

(ج) ومات فى العام ٣٦ = عام ٢٥ فى السابع والعشرين من شهر مسرى = عام ١٤٥ ق . م .

(د) وكان عمره ١٤ + س سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً .

أما سير الحوادث فى حياة هذا العجل فيحتمل أنها كانت كالآتى بعد الدرس .

١ — ولد العجل « بوخيس » وأحضر إلى « أصفون » بعد ذلك .

٢ — يذهب بعث خاص إلى « أصفون » لفحص العجل « بوخيس » ولما وجد أنه يحمل كل العلامات الدالة على أنه « بوخيس » أصيل أحضره البعث إلى « تنن » .

٣ — وعلى أثر ذلك نجد أن عدداً أكثر من الكهنة والجنود ومن سكان

« أرمنت » يذهب إلى « تنن » ويؤدى ثلاثة احتفالات على شرف الإله الجديد .

٤ — وقد أحضر « بوخيس » إلى « واست نخت » (طيبة القوية) وهناك إقتيد إلى معبد الأقصر على يد كهنته هو ، وهم الذين كان قد عينهم الملك .

٥ — ثم يقلع الملك ورجال بلاطه مصعدين فى النيل إلى « طيبة » ، وهناك أقيم الحفل الثانى الخاص بتنصيب العجل « بوخيس » وقد قام فيه الإله « امنوبت » بدور بارز .

٦ — وأخيراً أحضر « بوخيس » ثانية إلى « أرمنت » بالنيل .

لوحة للعجل أبيس عثر عليها فى الجهة الشرقية من السرابيوم بمنف

هذه اللوحة مؤرخة بالسنة السادسة من حكم « بطليموس السادس » وذلك عند ما كان يحكم بالاشتراك مع « بطليموس السابع » أخيه و « كليوباترا الثانية » . وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر .

وهاك ترجمة ما جاء على هذه اللوحة مع حذف الألقاب الطويلة التى جاءت عليها فقد ذكرناها فى غير هذا المكان مراراً وتكراراً[١] .

« السنة السادسة (.........) من عهد جلالة الملك « بطليموس السادس» وأخيه « بطليموس السابع » وأخته الملكة حاكمة الأرضين « كليوباترا » (..........) . الآلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين والالهة المحبين لأمهما . فى هذا اليوم حنط هذا الآله الفاخر « أوزير أبيس » بيدى « أنوبيس » فى « قمت » بالقرب من « روستاو »

(١) راجع Brugsch, A.Z. XXII. P. 125.

(جبانة منف) فى تابوت مزدوج من الجرانيت الأسود وبعد ذلك عملت له كل شعيرة البيت الطاهر (أى مكان التحنيط) خلال السبعين يوما على يد « أنوبيس » رب الأرض المقدسة (الجبانة) . وبعد أن ولد جلالة هذا الإله فى مدينة «دمنهور» وهى التى تقع فى مقاطعة «سايس» على الجانب الغربى من النهر العظيم . وفى العام التاسع عشر فى الثالث عشر من كيهك فى عهد الملك « بطليموس الخامس » توج فى مدينة « بتاح » وأجلس على عرشه فى « منف » فى السنة الواحدة والعشرين فى اليوم الثانى من شهر توت فى عهد جلالة الملك « بطليموس الخامس » وقد صعد نفس هذا الإله إلى السماء فى السنة السادسة فى السادس من شهر برمهات . وكان عمر هذا الإله اثنين وعشرين عاماً وشهرين وثلاثة وعشرين يوما .

وقد أقام له (هذا) الملك « بطليموس السادس » . وأم نفس الآله كانت البقرة المقدسة (المسماة) « تا - رنن » .

تعليق

ومن متن هذه اللوحة نعلم أن العجل « أبيس » الذى من أجله أقيم هذا النصب التذكارى ولد فى بلدة « دمنهور » فى ١٣ كيهك فى السنة التاسعة عشرة من حكم الملك « بطليموس الخامس » . وعلى ذلك يكون العجل سلفه قد مات منذ عام أو عامين قبل ذلك التاريخ ، أى فى العام الثامن عشر أو السابع عشر من عهد « بطليموس الخامس » نفسه . وعلى أية حال نجد أن تواريخ العجول المقدسة كانت تساعد على ضبط تواريخ الملوك وبخاصة عند ما يكون هناك تتابع تاريخى فى هذه اللوحات . يضاف إلى ذلك أن إقامة

ملوك البطالمة مثل هذه اللوحات للعجول المقدسة فى أنحاء البلاد يقدم لنا برهاناً محساً على مقدار إهتمام الملوك بعبادة الحيوان فى تلك العهود المتأخرة وسنتحدث عن ذلك فيما بعد فى فصل خاص .

٤ — لوحة من عهد « بطليموس السادس » محفوظة بالمتحف المصرى يتعبد فيها لآلهة « تانيس »[1] . هذه اللوحة محفورة فى الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعها ٩٠ سنتيمتراً . عثر عليها فى تل « القلعة » « بميت رهينة » . ويشاهد فى الجزء الأعلى قرص الشمس المجنح يتدلى منه صلان أحدهما على رأسه تاج الجنوب والآخر عليه تاج الشمال .

وفى أسفل من هذا نشاهد منظراً مزدوجاً مثل فيه « بطليموس فيلومتور » يتعبد لآلهة . ففى المنظر الذى على اليسار يشاهد الملك لابساً التاج المزدوج يعلوه قرص الشمس المحلى بصلين ويقدم آنية تعلوها الريشة التى ترمز للعدالة ثم يأتى بعد ذلك المتن التالى : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين الظاهرين وصورة «بتاح» المختار من «رع» والذى يعمل الحق لأمون) ابن «رع» (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) محبوب والدته «موت» . ومن يقدم العدالة لوالده الذى خلقه ، معطى الحياة .

والآلهة الذين تقدم لهم القربات هم :

١ — الأله «آمون» يلبس على رأسه ريشتين . ومعه المتن التالى : «آمون

---

(١) راجع Kamal. Stèles Pharaoniques et Romaines (Cat. Gen. Caire. Pl.LXIV; PP. 187-188; Textes Daressy Notes et Remarques in Rec. Trav. XXIV. P. 166 (CCIII).

رع » رب تيجان الأرضين الآله العظيم رب السماء يجيب الملك قائلا : إنى أعطيك أعياداً ثلاثينية عديدة جداً .

٢ — الآلهة « موت » وتلبس التاج المزدوج : « موت » العظيمة ربة «أشرو» (معبدها بالكرنك) سيدة كل الآلهة ، وعين « رع » ، وربة السماء تقول : إنى أمنحك السلامة وكل انشراح القلب .

٣ — الآله « خنسو » فى صورة مومياء ويلبس على رأسه قرص القمر وفى يده صولجان مؤلف من الرموز التى تدل على الثبات والحياة والسلطان والحكم وجاء معه المتن التالى : إنه « خنسو » طيبة « نفرحتبت » ، و « حور » الذهبى المنشرح الصدر والآله العظيم الذى يعيش من العدالة . يقول : إنى أمنحك انشراح صدر والدك « رع » .

والمنظر الذى على الجهة اليمنى من المنظر السالف جاء فيه :

يشاهد فى الجهة اليمنى الملك لابساً نفس الملابس ويحمل نفس الألقاب ، ويقدم رمز العدالة إلى :

١ — «حور » رب « مسنت » (« زارو » ، أى « سيلة » القريبة من القنطرة) وهذا الآله يقول للملك : إنى أعطيك القوة والنصر .

٢ — آلهة ترتدى على رأسها القرنين الطويلين وقرص الشمس وريشتين وتسمى الآلهة العظيمة الوحيدة (لقب للألهة «حتحور») سيدة «خنت إيابت» (= عاصمة المقاطعة الرابعة عشرة وهى التى كانت تقع مكان « تل أبو صيفة » الحالى على بعد أربعة كيلومترات من القنطرة الحالية) ربة « مسنت » : وتقول للملك إنى أمنحك الملك العظيم مع انشراح الصدر .

٣ — إلهة تدعى « نب حتب حمت » التى فى إقليم « ارى نفرت » التى تظهر فى حقل «زعنت» (= صان الحجر[1]) تقول : إنى أعطيك كل الحياة والثبات والقوة وكل انشراح الصدر .

هذا وقد وجد الجزء الأسفل من اللوحة — وهو الذى كان قد جهز لنقش المتن الأصلى الطويل عليه — لم ينقش . ولا يرى الإنسان فى هذا الجزء من اللوحة إلا بعض أسطر نقشت بصورة خشنة بالديموطيقية . ويظهر أنها نقشت فيما بعد . على أنه ليس هناك ما يدعو إلى الدهشة فى عدم نقش متن هذه اللوحة ، وذلك لأن عصر هذا الملك وعصر الملك الذى سبقه كذلك كانا مليئين بالثورات والحروب الأهلية فى كل من الوجهين ، القبلى والبحرى كما أشرنا إلى ذلك من قبل . هذا ويلفت النظر هنا بوجه خاص فيما تبقى لنا من نقوش على هذه اللوحة أن « بطليموس السادس » كان يتقرب بالعبادة إلى آلهة « تانيس » (صان الحجر) . وذلك كما سنرى بعد لأن كهنة الوجه البحرى كانوا أكثر ولاء له من كهنة الوجه القبلى . هذا ويلحظ كذلك أن هذه اللوحة لم يعثر عليها فى شرق الدلتا كما كان المنتظر ؛ وعلى ذلك فانه من المحتمل أنها كانت مخصصة لتوضع فى معبد من معابد « تانيس » ؛ ولكن فى الوقت نفسه كان قد طلب إلى أحد المصانع المختصة بالحفر فى « منف » لصنعها لأن « منف » كانت تعتبر موطناً لصناعة الحفر منذ أقدم العهود ، لا سيما أن الحجر الجيرى الأبيض — الذى عملت منه هذه اللوحة وهو الذى كان من السهل حفره — يوجد فى هذه المنطقة وأعنى بذلك منطقة « طره » و « المعصرة »

---

(١) راجع D.G. G. Tom. VI. P. 111.

المعابد التى بناها بطليموس السادس والمبانى والاصلاحات والاضافات التى قام بها فى المعابد المصرية

مقدمة :

تدل شواهد الأحوال على أن « بطليموس السادس » لم يقم بمبان كثيرة كالملوك الذين سبقوه . وقد يرجع السبب فى ذلك إلى الحروب الداخلية التى قامت فى عهده وكذلك إلى الحروب الخارجية وغزو البلاد المصرية على يد « أنتيوكوس الرابع » . والواقع أن الأوراق البردية والنقوش لم تحدثنا بشىء كثير عما كان يجرى فى الأيام الأخيرة من عهد « بطليموس «فيلومتور » ، وكل ما وصل إلينا حتى الآن عن نشاطه فى هذه الفترة أنه فى أكتوبر عام ١٦٣ ق . م قام بصحبة الملكة بزيارة لتفقد أحوال البلاد . وتحدثنا الأوراق البردية التى عثر عليها فى « سرابيوم منف » أنهما كذلك زارا فى هذا الوقت المحراب القديم الموجود بجوار العاصمة ، وأنهما زارا السربيوم كرة أخرى فى أكتوبر عام ١٥٨ ق . م ، وأنهما فى نفس الرحلة زارا معبد الفيلة[1] . وفى «إدفو» نعلم أن « فيلومتور » قد أضاف باباً عظيما فى معبد «حور» العظيم فى عام ١٧٧ — ١٧٦ ق . م . وقد أعاقته — كما ذكرنا من قبل بطبيعة الحال — الحرب مع « سوريا » من الاستمرار فى بناء المعبد وتزيينه ، ولكنه أخذ فى العمل فيه من جديد كما تحدثنا بذلك النقوش فى عام ١٥٠ — ١٤٩ ق . م . هذا وقد ترك « فيلومتور » اسمه بوصفه بان أو مصلح أو مزين لمعابد على

---

(١) راجع L.D. IV. 28.

مؤسسات عدة ، غير أن النقوش لم تحدد لنا تاريخ قيامه بها . ففى مدينة « انتاوبوليس » (Antaeopolis) (= «قاو الكبير» الحالية) نعلم أن «بطليموس فيلومتور» و« كليوباترا » أهديا قاعة عمد صغيرة للإله « أنتايس » (Antaeus) وهو الإله المصرى للمعبد غير أن اسمه ليس بمعروف ، ويظن أنه كان ينطق باسمه كالنطق الإغريقى[1]. هذا ويقال أن « بطليموس الخامس » قد بدأ إقامة معبد « كوم أمبو » وأن « بطليموس السادس » استمر فى بنائه ؛ غير أنه ليس لدينا ما يدل على أن « بطليموس الخامس » قد بدأه فعلا كما سنرى بعد . وعلى أية حال لدينا آثار تدل على أن « بطليموس السادس » قد ترك لنا اسمه على معابد أخرى تدل على ما قام به من خدمات نحو الآلهة المصرية . وسنحاول فيما يلى أن نذكر ما أمكن الوقوف عليه من تلك الآثار .

معبد «كوم أمبو» (أمبوس)

يقع معبد « كوم أمبو » فى بقعة جميلة على الشاطىء الشرقى لنهر النيل حيث ينحنى النيل انحناءة واسعة من الجنوب إلى الغرب . وتدل الظواهر على أن هذا المعبد يقع على تل مؤلف من بضع مبان يحتمل أنها كانت فى الأصل لمعبد وبلد قديمين . ويلحظ أن الجانب الجنوبى للمعبد مهدد دائماً بماء النهر الذى ابتلع جزءاً كبيراً من مدرجه . وقد اتخذت الاجراآت لإيقاف عبث النهر . وعلى أية حال يقع المعبد فى بقعة واسعة من أخصب بقاع القطر المصرى فى الوجه القبلى .

ومما يؤسف له جد الأسف أننا لا نعرف إلا القليل جداً عن تاريخ هذا

---

(١) راجع O.G.I., No. 109.

المعبد . والاسم « أمبوس » مأخوذ من الكلمة القبطية « مبو » وكانت المدينة قبل العصر الرومانى يطلق اسمها على أقصى مقاطعة فى مصر العليا فكانت بذلك تحل محل «ألفنتين» بوصفها عاصمة المقاطعة واسمها بالمصرية «نبيت»[1] . وقد ترجمت كلمة « نبيت » بمدينة الذهب على زعم أنه كانت تخرج من عندها طريق يخترق الصحراء الغربية لأجل الوصول إلى مناجم الذهب فى بلاد النوبة . هذا وقد ذكر اسم « نبى » بوصفه أحد البلاد التى كان يحصل منها « رعمسيس الثالث » على الذهب وذلك فى نقوش مدينة « هابو » .

هذا وكان الاسم المقدس لهذه المدينة يدعى « مدينة العينين المقدستين » ، وذلك بالإشارة إلى هاتين العينين اللتين كانتا تعبدان فى معبد هذه المدينة . ولا نزاع فى أن هذه البلدة كانت صاحبة ثراء منذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة ؛ ومن ثم لا بد أنها كانت موجودة منذ الأسرة الثانية عشرة على ما يظن . ولا جدال فى أن هذه المدينة قد اشتقت أهميتها من البقعة الخصبة التى تقع فيها . هذا فضلا عن أنها كانت ملتقى طرق للواحات وإلى مناجم الذهب ؛ ومن ثم أخذ يعظم شأنها بين البلدان المصرية ؛ وكذلك ارتفع برفعتها الآلهة المحلية التى كانت تعبد فيها . يضاف إلى ذلك أن هذه البلدة منذ الأسرة الثامنة عشرة كانت محاطة بجدار عظيم سميك . وتدل كل الشواهد على أنها كانت مستعملة قلعة . ومنذ عهد الملك « أمنحوتب الأول » كان يوجد فيها معبد عثر على بعض قطع من الحجر من مبانيه . وهذا المعبد لا بد أن معظمه كان قد ابتلعه النهر . ومن عهد الملك « تحتمس الثالث » والملكة « حتشبسوت » عثر على مدخل بوابة عليه اسما هذين الملكين فى داخل الجدار المحيط بالمدينة .

(١) راجع Ancient Egyptian Onomostica, II. P. 5.

(٢) راجع G. Dec. Georgr. III. P. 83-84.

ولانزاع فى أن الملك «رعمسيس الثانى» وغيره من الملوك قد أصلحوا أو أضافوا إلى هذا المعبد ، غير أنه اختفى الآن وجدد كله فى عهد البطالمة .

الآلهة التى كانت تعبد فى معبد «كوم أمبو»

الواقع أننا قد وجدنا فى معظم الأحوال أن المصريين القدامى كانوا يتخذون آلهتهم فى بادىء الأمر من طبيعة البيئة التى كانوا يعيشون فيها مراعين فى ذلك ما كان يفيدهم من هذه الآلهة سواء أكان ذلك بكشف الضر عنهم أو جلب الخير لهم . ففى بيئة «كوم أمبو» مثلا —التى نحن بصدد الحديث عنها— نلحظ أنه كانت توجد قبالة معبد «كوم أمبو» جزيرة تتألف فى معظمها من كثبان مهيلة من الرمال . وهذه الجزيرة كانت فى الأزمان القديمة متصلة بشاطىء النيل الشرقى ، وكانت حتى الأزمان الحديثة مأوى للتماسيح ، ومن ثم نعلم أن سكان بلدة «نبيت» كانوا قد أخذوا يعبدون هذا الحيوان على ما يظن . وعلى أية حال فانه يلحظ فى طبيعة هذا الحيوان شىء من الغموض والسرية . ومهما يكن من أمر فان هذه الحيوانات قد جعلت النهر فى هذه البقعة غير مأمون الجانب بل كان خطرا على كل من يقترب منه ، إذ كانت التماسيح تنقض هناك على الآدميين وتبتلعهم . ومن أجل ذلك أخذ أهالى مدينة «نبيت» — أولا — يستعطفون هذا الحيوان بتقديم الطعام له وبعد ذلك اتخذوه إلهاً لهم . وقد كان يسمى عندهم «سبك» سيد «نبيت» . وقد دلت الآثار على أن هذا الآله كان يعبد فى منطقة جبل السلسلة فى خلال الأسرة الثامنة عشرة وكان معبده يسمى «بيت سبك» . ولا غرابة فى ذلك فان منطقة السلسلة هذه هى البقعة التى كان يظن قدماء المصريين — وبخاصة فى عهد الدولة الحديثة — أنها المكان الذى ينبع منه النيل . ولذلك كانت تكثر فيها التماسيح وأصبحت تعبد

فى صورة الآله « سبك » . غير أن عبادة الآله « سبك » هذا تطورت بتطور الديانة المصرية فأصبح يطلق على هذا الإله اسم « سبك رع » .

ومنذ ذلك الحين أصبح يتصف بكل الصفات التى كان يتصف بها الإله « رع » ومن شاكله . ولدينا أنشودة تتغنى بصفاته وقدرته فتقول : إنه الروح الالهية للعظيم[١]. ثم استمرت الأنشودة تذكر أن صورته العظيمة هى صورة خالق الأرض ، وإنه هو الذى خلق المحيط فى حينه ؛ والآله العظيم الذى خرج من عينيه النجمين الشمس والقمر ؛ وعينه اليمنى تضىء نهاراً وعينه اليسرى تضىء ليلا . . . والريح يأتى من فمه وريح الشمال يأتى من أنفه ، والنيل يسيل منه بمثابة عرقه ويجعل الحقول خصبة وإنه يفزع العدو فى صورته باسمه « سبك رع » . وهو الذى فى بحيرته » . هذا ونجد أنه على الرغم من ذلك كان يظهر فى صورته القديمة بوصفه محاربا للعدو والمسيطر على الماء فكان يقال عنه « أنه صاحب الفم الثائر على العدو » .

وكان من أبرز صفاته أنه كان يظهر بوصفه الآله القديم والخالق . وفى هذه الحالة كان يدعى مثلما كان يدعى « آتوم » أو « نون » والد الآلهة وحاكم التاسوع الآلهى ، والذى صنع ماهو موجود والذى خلق ماهو كائن[٢]. وكذلك يقال عنه أنه والد الآلهة الذى جاء من المحيط ، ومن لا يعرف الإنسان صورته[٣] (وهو هنا مثل « آمون ») ؛ وإنه رب الحقول وحاكم النباتات ومن تنبع الأرزاق من جوفه .

وفى هذه الحالة يتضح لنا أن الآله « سبك » فى معبد « كوم أمبو » قد

(١) راجع Junker, A.Z. 67, S. 54 f.

(٢) راجع Ombos. I. P. 195.

(٣) راجع Ombos. I. P. 285.

انتقل من إله ماء إلى إله الأرض ، أى أنه أصبح مثل الأرض « جب »[1] أحد آلهة التاسوع الهليوبوليتى (عين شمس) .

ولا غرابة فى ذلك فقد وجدناه منذ العصر المتوسط الأول فى متون التوابيت يوصف بأنه « سبك » الذى يخرج من باطن « جب » السرى[2].
ومن جهة أخرى نجد أن الإله « سبك » قد جاء ذكره فى متون الأهرام بوصفه ابن الإلهة « نيت » . وأنه قد أتى من عظم وعرق العظيم الذى فى الضوء اللامع » .

يضاف إلى ذلك أن عبادة التمساح كانت منتشرة فى كل أنحاء البلاد بوصفه إله الماء والخالق لكل شىء حتى أصبح يعتبر أن كل من أكله التمساح شهيد ، وكذلك يكون مثل الإله « أوزير » الذى غرق فى الماء وأصبح شهيداً . ومن ثم أصبح كل غريق شهيداً (A.Z. 46. p. 132) أما الإلهان اللذان كانا يكملان ثالوث هذا الإله فهما الإلهة « حتحور » والإله « خنسو ـ حور » .

الإله « حور ـ ور »

كان معبد « كوم أمبو » مقسما قسمين منفصلين من حيث العبادة على غير العادة . ويدل تصميم المعبد على أنه قد حدث اتفاق بين كهنة كل من الإلهين المحليين . فكان الإله « حور ـ ور » يحتل القسم الشمالى والإله « سبك رع » يحتل القسم الجنوبى . ولا شك فى أن من يرسل نظرة من باب هذا المعبد المزدوج فانه يرى فى نهاية المعبد قدس الأقداس دون كبير عناء .

---

(١) راجع Ombos. I. P. 355.

(٢) راجع Excavations at Saqqara II. Texte Rel. 23; Cf. Kees, Art. Suchos in Pauly — Wissowa R.E. sp. 553198.

ولا ريب فى أن هذين الإلهين المشتركين فى هذا المعبد المزدوج يعتبران فى الأساطير القديمة بأنهما إنما يمثلان إله السماء « رع » الذى له عينان. غير أن هذين الآلهين كانا فى الأصل يظهران على الأرض بصورتين مختلفتين . ولا نزاع فى أن التطور الدينى فى مصر كان يسير سراعاً وعلى حسب التقلبات العمرانية والسياسية ، فكان الكهنة يتحكمون فى تكييف آلهتهم المحلية على حسب الأحوال . ولا غرابة فى أن نجد هنا أن الإله « سبك » الذى كان يمثل التمساح ويخاف الناس شره قد أصبح إلهاً عالمياً ، ومع ذلك فان صفاته الأولى كانت دائماً تبقى عالقة به كما شاهدنا من قبل . والسبب فى ذلك يرجع إلى أن المصرى كان يحافظ على كل ما هو قديم .

أما الإله «حور - ور» (أى حور الكبير) فهو إله الشمس المرتبط بعبادة الإله « رع » الهليوبوليتى . فقد جاء فى الأساطير أنه إبن « رع » وأنه لعب دوراً هاماً فى الأزمان الغابرة . ومن ثم قد أصبح يعتبر من أعضاء التاسوع الهليوبوليتى . والعلامة المميزة للإله « حور - ور » إله « امبوس » قدمها لنا الأستاذ « ينكر » فى كتابه المسمى أسطورة « أونوريس » فقد قال أن أساس أسطورة هذا الإله ترجع إلى عقيدة بلدة « ليتوبوليس » (أوسيم الحالية) فقد كان إله هذه البلدة يدعى « حور » ليس له عينان . ومن الجائز أن ذلك قد حدث باتفاق وترتيب مع عباد « حور » بلدة «ليتوبوليس » . هذا وكان يعبد كذلك فى بلدة « قوص » القريبة من « كوم أمبو » ، ومن ثم انتقل إليها . وقد كان إله « كوم أمبو » يدعى بنفس اسم إله « قوص » . ومن أجل ذلك كان يلبس تاج الوجه القبلى . وعلى أية حال فان المتون المصرية لا تنكر شيئاً من ذلك بل تدل على أن هذا الإله أصله من « ليتوبوليس » . فمثلا نجد أنه كان يحتفل بعيد فى اليوم الثانى من الشهر الثانى من فصل الفيضان (شهر بابه) ، وهو

عيد « حور » الوحيد فى بلده عند ما كان فى الوجه البحرى (أى فى «أوسيم ») وهذا الإله « حور ـ ور » هو نفس الإله الذى كان يعبد فى « أدفو » فى صورة خاصة . وكانت أشكال « حور » هذه ترجع إلى أصلها الهليوبوليتى (عين شمس) ، حيث كانت العبادة الأصلية للإله « رع » . ومن هنا انتشرت فى جميع نواحى مصر . هذا ويمكن الإنسان فضلا عن ذلك أن ينسب أسطورة عبادة « كوم أمبو » مباشرة إلى أنها أنموذج من التطور السحيق فى القدم للعقيدة الشمسية ، كما جاء ذلك فى نقوش معبد « كوم أمبو » فاستمع إلى ذلك(١) : « إن مدينة « أمبوس » كانت مدينة الإله « شو » فى الأزل . وقد أتى إليه والده وأخفاه هناك من أمام عدوه ، وعند ما أتى الشر ليبحث عنه (أى « ست ») أخذ الإله « شو » صورة « حور » وهو الذى كان يقبض على حربته بساعده الضارب (مثل «أونوريس» !) وقتله فى الحال فى هذه المقاطعة . وقد كان قلب « رع » منشرحاً بما عمله له إبنه « شو » . وقد أصبح بذلك عظيما على كل الآلهة ومسيطراً على التاسوع الآلهى . وقد سمى « شو » الصقر بسبب ذلك فى هذه المدينة » .

وكذلك أتت الإلهة « تفنوت » مع أخيها « شو » عند ما كانت عائدة من « يو جم » (بلدة فى الجنوب الشرقى) . وقد استقرت فى هذه المدينة ، وقد كان « رع » معها و « تحوت » خلفها لأجل أن يقفا فيما بينها وبين أخيها « شو » وهناك تحدث الإله «تحوت» إلى هذه الآلهة قائلا : لقد أصبحت طيبة فى هذه المدينة (ومن هنا) أصبحت تسمى الآلهة « تفتوت » فى هذا المكان « تاسنت ـ نفرت » أى الأخت الطيبة (وهى أحد أفراد ثالوث « حور ـ ور » فى معبد « كوم أمبو ») .

(١) راجع Junker, Auszug der Hathor-Tefnut aus Nubien (Abh. Berl Akad 1911). P. 56 f. Nach Ombos II. P. 67 (nr. 618).

هذا وقد أصبح « حور » « كوم أمبو » بوصفه مثل « شو » فيما يخص لوازم الحياة كما نظمها فى المذهب الهليوبوليتى : « فى صورته الحقيقية بوصفه الهواء الذى بين السماء والأرض . . وأنه هو الذى يعطى الحياة للآلهة ، والإلهات . . والذى يأتى بالفيضان (النيل) ويجعل الحقول تنمو ويجعل الخضر تعيش ، وذلك عند ما يرفع لها بيديه الهواء » .

وثالوث « حور - ور » هو : « حور - ور » (حاروئريس) و « تاسنت نفرت » (سنوفيس) و « خنس » .

ومما سبق نفهم أن هذين الإلهين « حور - ور » و « سبك رع » كانا فى الأصل إلهين محليين ، ثم رفعا إلى مكانة علية بنهوض بلدة « كوم أمبو » واحتلالها مكانة عظيمة بين بلدان القطر . ولأجل أن يصبح لكل منهما قيمته المرموقة فى أعين الشعب حاول الكهنة أن ينسب كلا منهما إلى الإله « رع » إله الشمس العظيم وبالغوا فى ذلك حتى أصبح كل منهما يفوق الإله الأعظم « رع » . ولكن عند ما نعود إلى بحث كنه كل منهما نجد أنه كان إلهاً محلياً فى بيئته ، له صفات خاصة وسمات معلومة .

المناظر التى جاء فيها اسم بطليموس السادس وزوجه كليوباترا فى معبد « كوم أمبو » :

تدل النقوش التى على جدران معبد « كوم أمبو » على إن أول ملك قام ببنائه هو الملك « بطليموس السادس فيلومتور » . والظاهر أن الجزء الشرقى الخاص بالإله « سبك » قد بدىء ببنائه أولا . له ولثالوثه ، ثم أقيم الجزء الغربى للإله « حور - ور » وثالوثه ، ولدينا نقش إغريقى فى المعبد يبين أن الجنود الذين كانوا معسكرين فى منطقة « امبوس » فى هذا الوقت قد أقاموا على حسابهم

الخاص بعض أجزاء مبانى المعبد ، وذلك على شرف الإله « حور - ور » . ولم يذكر اسم « سبك » فى هذا النقش . والظاهر أن بناء معبد الإله « سبك » كان قد فرغ منه إذ كان هو الجزء الذى أقيم أولا . وفى عهد « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » استمر العمل فى المعبد وفى تزيينه ،ولم يبق إلا تزيين قاعة العمد التى تم العمل فيها فى عهد « بطليموس نيوس ديونيسوس » (Neos Dionysos). وفى عهد الامبراطور « تبريوس » أى فى بداية العهد المسيحى أقيمت الردهة الأمامية للمعبد وزينت ؛ وقد تمت اللمسات الأخيرة فى عهد الإمبراطور « دوميشيان » . وعلى أية حال فان آخر أسماء وجدت منقوشة على هذا المعبد كانت للأباطرة « جيتا » و « كاراكلا » ثم « ماكرينوس » .

ويلحظ أن المعبد لم يكن قد تم بصفة نهائية ، إذ نجد بعض حجره أو بعض تاج عمود لم تكن قد تمت ، والظاهر أن فقر الكهنة وعدم قدرتهم على الصرف على إتمام هذا المعبد بصفة نهائية كان السبب فى إيقاف العمل . كما يظهر أن الوقت الذى استغرقه بناء هذا المعبد من البداية حتى النهاية يبلغ حوالى أربعمائة سنة تقريباً .

وسنحاول هنا أن نذكر بقدر المستطاع النقوش التى باسم « بطليموس السادس » وهى التى تركها لنا على جدران المعبد . وتدل الظواهر على أنه قد بنى الجزء الأعظم من المعبدين مبتدئاً بقدس الأقداس . حتى قاعة العمد الداخلية اللهم إلا إذا كان قد امتدت مبانيه إلى أكثر من ذلك ؛ غير أنه لم يزينها بالمناظر والنقوش .

قاعة العمد الداخلية :(١)

المدخل الشمالى :

(٦٠) و (٦١) يشاهد على سمكى الباب خمسة صفوف نقش مثل فيها « بطليموس السادس » أمام إلهين كما يشاهد متن عمودى عند القاعدة .

الدهليز الخارجى « بطليموس فيلومتور » :

الواجهة :

(٧٨) (٧٩) (٨٠) : يشاهد هنا بقايا ثلاثة صفوف تشمل مناظر قربان .

المدخل الشمالى :

(٨١) (٨٢) يشاهد على العتب الخارجى منظر مزدوج يلاحظ فيه الملك يجرى نحو « حور - ور » ويقدم صورة « ماعت » لثالوثى « حور - ور » و « سبك » ؛ ثم يجرى ومعه السكان (حاب) والمجداف نحو الآله « سبك - رع » ويشاهد على قائمتى الباب خمسة صفوف يشاهد فيها الملك أمام إلهين ، ومنقوش معه أناشيد للإلهين « حور - ور » و « سبك - رع » على قاعدة الجدار .

(٨٤) (٨٥) : يشاهد على سمكى الباب خمسة مناظر يرى فى كل منها « بطليموس السادس » يقدم لإلهة (مهشمة) .

(٨٦) (٨٧) : يشاهد هنا على العتب الداخلى منظر مزدوج يرى فيه الملك يقرب نبيذاً للآلهة « سبك » و « حتحور » و « حور - ور » و «سنوفيس» كما يشاهد على قائمتى الباب خمسة صفوف يرى الملك فى كل أمام آلهة ؛ وهناك متون تذكر المعبد وأناشيد للآله « حور » والآله « سبك » على القاعدة

(١) أنظر الرسم الخاص بمعبد كوم امبو

المدخل الجنوبى :

(٨٨) (٨٩) : يشاهد على العتب الخارجى مناظر مزدوجة يرى فيها « بطليموس السادس » يجرى ومعه آنيتان يقدمهما للإله « حور - ور » كما تشاهد « كليوباترا » الثانية تقدم النبيذ لثالوث « حور - ور » ، على الجانب الأيمن . وعلى قائمتى الباب تشاهد خمسة صفوف يرى فيها الملك فى كل أمام إلهين .

(٩٢) (٩٣) : مثل على العتب الداخلى منظر مزدوج يشاهد فيه الملك يقدم أزهاراً للآلهة « حور - ور » و « سنوفيس » و « سبك » و « حتحور » . ويشاهد على قائمتى الباب المهشمتين خمسة صفوف مثل فيها الملك أمام إلهين ، كما تشاهد متون جاء فيها ذكر المعبد على القاعدة .

الداخل :

(٩٤) : يشاهد هنا الملك يقدم نبيذا لإله وآلهة . وهناك منظر مهشم يشاهد فيه الملك يطهره كل من « تحوت » و « حور » ، وعند القاعدة تقويم .

(٩٥) : يشاهد هنا ثلاثة صفوف يتعبد فيها الملك للإله « سبك » ويقدم صلين للإله « سبك - رع » وصناجة للإلهة « حتحور » كما نشاهد أنشودة مؤلفة من عشرة أعمدة عند القاعدة .

(٩٦) : يشاهد هنا صفان من النقوش يرى فيهما الملك يقدم الصولجان « حتس » لإله مهشم ويصب رملا أمام كل من « حور - ور » و « سنوفيس »

(٩٧) : يشاهد فى الصف الأسفل هنا الإله « خنوم » من منظر مهشم يقود الملك ، كما يرى الملك يعانقه « سبك » . وعند القاعدة يشاهد كل من الملك و « كليوباترا » الثانية يتبعهما إله النيل وأفراد يحملون قربات .

الحجرات التى حول الدهليز :

الحجرة الأولى :

(٩٨) — (١٠٠) : يشاهد على الجزء الأسفل من الجدار آلهة نيل تربط رمز « سما » (= علامة توحيد الأرضين) على سمك الجدار ، كما يشاهد بقايا أفراد يحملون قربات على الجدار الشمالى .

الحجرة الثانية :

(١٠١) : المدخل (a, b, c, d) : يشاهد هنا على قائمتى الباب وسمكيه متون نقشت عمودية .

(١٠٢) : يقدم هنا الملك ساق ثور للإله « سبك » ويصب قرباناً سائلة أمام إله وآلهة .

(١٠٣) المدخل الشرقى (e) : يشاهد على العتب الخارجى الملك يقدم زهورا لثلاثة آلهة ، وعلى القائمة اليمنى ثلاثة صفوف متون .

(١٠٤) المدخل الجنوبى : يوجد هنا متون على سمكى الباب .

(١٠٥) : يشاهد هنا الملك (مهشما) أمام الإله « خنسو » (؟) وعلى القاعدة يرى الملك والملكة « كليوباترا » يتبعهما آلهة نيل وإلهات حقول .

الحجرة الثالثة :

(١٠٦) المدخل (j, k, l) : يشاهد على العتب الخارجى الملك أمام « حور » و « سبك - رع » و « سنوفيس » ؛ وتشاهد على القائمة الجنوبية والجدار الذى بجانب المدخل متون عمودية

(m, n, o) يرى على سمكى الباب متون عمودية تشمل متن عطور من شعائر معبد .

(p, q) ويوجد فوق المدخل وعلى يمينه فى أعلى بقايا منظر ، ووصفة للعطور والشعائر وسطر من النقوش فى أسفل .

الدهليز الأوسط :

الواجهة :

(١٠٧) : يشاهد فى الصفين الأعلى والثانى بقايا مناظر ، وفى الصف الثالث يشاهد الملك (مهشما) ومعه الآلهة « سشات » تقيس المعبد يتبعهما « حور - ور » ، وتقويم على القاعدة .

(١٠٨) : يشاهد هنا ثلاثة صفوف يرى فيها الملك يقدم صدرية « لحور - ور » و « سنوفيس » كما يقدم رموزاً « لأوزير وننفر » ، و «إزيس» و « نفتيس » ، ومع « امنوتف » وأعلام . ويطهر المعبد أمام « حور - ور » . وعلى القاعدة يوجد متن يذكر أسماء المعبد والبرك المقدسة وأشجاراً وأعياداً ويشير إلى أسطورة الإلهين « شو » و « تفنوت » .

(١٠٩) : يرى هنا الملك يقدم قرباناً سائلة أمام « سبك » (؟) ؛ وعلى القاعدة يخاطب « حور - ور » كما يوجد متن ذكر فيه إعادة بناء المعبد على يد « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية »[١].

(١١٠) — (١١١) : يشاهد هنا على عتب الباب منظر مزدوج مثل فيه الملك يجرى ومعه آنيتين نحو إله ، وتتبعه « كليوباترا » الثانية ويقدم أفاويه (حزو) وآنيتين (حنات) للآله « حور - ور » ولثالوث « سبك » ؛ ويشاهد على قائمتى الباب خمسة صفوف يرى فى كل منها الملك أمام إلهين ومعه نقش يخاطب به كلا من « حور - ور » و « سبك » عند القاعدة .

(١) راجع Rec. Trav. XV. 187-8; Correction of text id. ib. XVIII 155-6.

(١١٢) و (١١٣) : توجد متون على سمكى الباب جاء فيها ذكر « بطليموس السادس » .

(١١٤) و (١١٥) : يشاهد هنا على العتب الداخلى وعلى قائمتى الباب بقايا مناظر قربان .

المدخل الجنوبى :

(١١٦) و (١١٧) يشاهد على الطرف الشمالى للعتب وعلى قائمتى الباب بقايا مناظر قربان . وعلى القاعدة خطاب موجه لكل من « حور - ور » و « سبك » ، وفوق ذلك متن جاء فيه ذكر المعبد .

(١١٨) و (١١٩) : بقايا متون على سمكى الباب لنفس الملك .

(١٢٠) و (١٢١) : يشاهد على العتب الداخلى بقايا نقوش على الطرف الشمالى يرى فيها الملك يتعبد لثلاثة أصلال واحد منها برأس كوبرا والثانى برأس صقر والثالث برأس تمساح ويشاهد على قائمتى الباب بقايا أربعة صفوف فى كل منها ترى ثلاث آلهات كل منها برأس أسد ، ويوجد على القاعدة متن .

الداخل :

(١٢٢) : يوجد هنا ثلاثة صفوف يرى فيها الملك فى منظر مهشم ، كما يشاهد الملك يقدم مائدة للآله « حور - ور »،ويقف أمام « حور» (مهشما) ومعه قائمة قربان وكذلك يوجد فى أسفل متن يعظم الملك .

(١٢٣) : تشاهد هنا ثلاث صفوف مثل فيها « بطليموس السادس » يقدم نطروناً للإله « سبك » ، والآلهة « إزيس » ، ويسقط كتلا من الشحم على مائدة القربان للالهين « سبك » و « نبتاوى » ، ويقدم خبزاً للإله « سبك - رع » وعلى القاعدة أنشودة .

(١٢٤) و (١٢٥) : يشاهد هنا على الصف الأسفل تقويم ، وعلى القاعدة يوجد متن يصف المعبد ، وخطاب للأله « سبك - رع » .

(١٢٦) : يشاهد هنا بقايا صفين من النقوش مثل فيهما الثور « كاكاو - تابحموت » وبقرتان مقدستان وآلهة حقل على القاعدة (وهى ضمن موكب)

الحجرة السادسة :

(١٢٧) (a-d) : تشاهد هنا فوق المدخل الخارجى قائمة نعوت آلهة ومعها متون تطلب الإله لقربانه على كل من جانبى الباب وعلى قائمتيه . (e) وعلى سمك الباب يشاهد الملك يقدم نبيذاً «لحور - ور » ، كما يوجد متن فى أسفل يعظم الملك (f) وعلى مدخل الباب من الداخل يوجد منظر مزدوج مثل فيه الملك بوصفه بوهول .

(١٢٨) - (١٣٢) : توجد هنا خمسة مناظر (بعضها مهشم) يشاهد فيها الملك أمام إله كما يشاهد الملك ومعه صناجة أمام آلهة ؛ وكذلك يرى الملك يقدم « حح » (ملايين السنين) للآله « حور » وجعة لإلهة ، كما يشاهد وهو يهرول ومعه ثلاثة سيقان من البردى نحو إله .

وعلى القاعدة يرى الملك و « كليوباترا الثانية » يتبعها آلهة نيل وإلهات حقول .

(١٣٣) المدخل الغربى (a) : توجد على عتب الباب صورتان لتمثالى بوهول (b) . يوجد على سمك الباب متن (c) . يشاهد على سمك الباب هنا زينة كما تشاهد الالهتان « نخبيت » و « بوتو » فى صورتى صلين مجنحين ومعهما طغراءات ورمز توحيد الأرضين وعلى القاعدة صورة إله النيل .

(١٣٤) المدخل الشرقى (a) و (b) : يشاهد على سمكى الباب متون .

الدهليز الداخلي :

الواجهة :

(١٣٥) : يشاهد فى الصف الأعلى والثانى بقايا مناظر قربان ؛ وفى الصف الثالث الملك (مهشما) أمام « حور » (؟) و « سبك » ؛ وعلى القاعدة مثل « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » مع قربان .

(١٣٦) : تشاهد فى الصف الأعلى وفى الصف الثانى مناظر قربان مزدوجة ، وفى الصف الثالث « سماور » (= العجل بوخيس) يتبعه الملك ومعه خبز ويحضر مائدة أمام « سبك » و « حتحور » وعلى القاعدة متن مؤلف من عشرين عمودا يشير إلى أسطورة الإلهين « شو » و « تفنوت » .

(١٣٧) : يشاهد صفان من النقوش يرى فيهما إلهة من منظر مهشم و « إبيس » برأس ثور يتبعه الملك وهو يجهز مائدة قربان أمام « حور - ور » و « سنوفيس » ، وعلى القاعدة « بطليموس السادس » و « كليوباترا » وإله النيل الخاص بالوجه القبلى (تابع للمنظر المستمر من (١٢٦)) .

المدخل الشمالى :

(١٣٨) و (١٣٩) : يشاهد على عتب الباب منظر مزدوج يرى فى النصف الشمالى منه الملك يقدم زهوراً للالهين « حور - ور » و « خنسو » كما يرى مع الملكة « كليوباترا » الثانية وهو يقدم صورة « ماعت » للالهين « سبك » و « حتحور » ، وقد مثل على قائمتى الباب ثلاثة صفوف تشمل مناظر قربان ، ويوجد كذلك متن يصف المعبد عند القاعدة على القائمة الجنوبية .

(١٤٠) و (١٤١) : يشاهد على سمكى الباب بقايا متون نقشت عمودية

(١٤٢) : يشاهد على سمك الباب رمز زينة ومتن أفقى .

(١٤٣) و (١٤٤) : يشاهد على العتب الداخلى منظر مزدوج يرى فيه « بطليموس » يجرى ومعه آنية نحو « سبك - رع » و « حتحور » ، كما يشاهد ومعه السكان (حاب) والمجداف وهو يجرى نحو « حور - ور » و « سنوفيس » ، ويشاهد على قائمتى الباب أربعة صفوف مثل فى كل منهما مناظر قربان ، وعلى القاعدة متن يعظم فيه الملك .

المدخل الجنوبى :

(١٤٥) و (١٤٦) : يشاهد على العتب بقايا نقوش فى الطرف الشمالى ويرى هناك « بطليموس » يصحبه عجل ، ويجرى بآنيتين نحو « سبك » ، كما تشاهد أربعة صفوف فى كل منها مناظر قربان وعلى القاعدة يوجد متن يصف المعبد .

(١٤٧) و (١٤٨) : يوجد على سمكى الجدار متون .

(١٤٩) و (١٥٠) : يشاهد على عتب الباب الداخلى منظر مثل فيه « بطليموس » يقدم (حح) رمز الأبدية للالهين « حور - ور »و « سنوفيس » كما يقدم رموزاً للإلهين « سبك - رع » و « حتحور » ويشاهد على قائمتى الباب أربعة صفوف عليها مناظر قربان فى كل ، وعلى القاعدة يوجد متن يعظم فيه الملك .

الداخل :

(١٥١) : بقايا ثلاثة صفوف من النقوش عليها مناظر قربان .

(١٥٢) : تشاهد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها « بطليموس السادس » أمام « حور - ور » و « حقات ورت » وأمام « حور » و «حتحور» ثم أمام « حور - ور » و « حتحور » .

(١٥٣) : بقايا ثلاثة صفوف من النقوش عليها مناظر قربان .

وعلى القاعدة آلهة النيل وحاملو قربات .

الحجرات التي حول الدهليز الداخلي :

المدخل للحجرة رقم ٨

(١٥٤) (a), (b) : يشاهد على قائمة الباب الخارجية والسمك بقايا متون.

الحجرة رقم ١٠

(١٥٥) (a), (b) : يشاهد على قائمة الباب الخارجية وعلى السمك بقايا متون

(١٥٦) : يشاهد هنا الجزء الأسفل من منظر يرى فيه الملك أمام الإله « مين » (؟) والهتين .

المحاريب

الواجهة :

(١٥٧) : يشاهد هنا الجزء الأسفل من صف من النقوش مثل فيه الملك أمام « حور - ور »

(١٥٨) : يشاهد في الصف الأعلى منظر مزدوج مثل فيه الملك يقدم نبيذاً للإله « سبك - رع » ، كما يقدم صدرية للإله « حور » . وفي الصف الثاني منظر مزدوج مثل فيه الملك يقدم الزهور للإله « سبك » كما يقدم آنية عطور على شكل بولهول للآله « حور - ور » ، وفي الصف الثالث يرى الملك ومعه « كليوباترا الثانية » أمام « خنسو » يكتب على جريدة نخل ، وكذلك « حور - ور » و « سبك - رع » .

المحراب الشمالي :

(١٥٩) و (١٦٠) : المدخل الخارجي : يشاهد على العتب (معظمه مهشم) منظر مزدوج مثل فيه « بطليموس السادس » تتبعه « كليوباترا الثانية »

كما تشاهد الالهة « سشات ورت » تكتب على عصا « حب سد » (العيد الثلاثيني) أمام ثالوث « حور - ور » وأمام ثالوث « سبك » ، ويشاهد على قائمتي الباب أربعة صفوف من النقوش يشمل كل منها مناظر قربات وعلى القاعدة متون .

(١٦١) و (١٦٢) : يشاهد على سمكي الباب متون .

(١٦٣) و (١٦٤) : يشاهد على العتب الداخلي منظر مزدوج مثل فيه الملك يقدم طعاماً للإلهين « سبك - رع » و « نبتاوى » ، ويقدم رموزاً للإلهين « حور - ور » و « خنسو » . ويشاهد على قائمتي الباب متون .

(١٦٥) و (١٦٦) : بقايا مناظر يرى فيها الملك ومعه مائدة ، كما يرى ومعه البخور والقربات السائلة .

المحراب الجنوبي :

(١٦٧) و (١٦٨) : المدخل الخارجي . يشاهد على العتب بقايا نقوش فى الطرف الشمالي حيث ترى « كليوباترا الثانية » تتبعها الآلهة « بوتو » مع عصا « حب سد » ؛ ويشاهد على قائمة الباب الشمالية أربعة صفوف من النقوش ، وعلى القائمة الجنوبية أربعة مناظر قربات ، كما تشاهد متون على القاعدة .

(١٧٣) يشاهد هنا بقايا منظر يمثل فيه الملك ومائدة قربان .

على ظاهر المحاريب :

يشاهد على الجدران الشمالية والشرقية والجنوبية آلهة نيل وحاملات قربان وآلهة حقل .

الحجرات التي خلف المحرابين :

الحجرة ١٣ :

(١٧٤) و (١٧٥) بقايا مناظر .

الحجرة رقم ١٧ :

(١٧٦) (b) ,(a)يشاهدعلىالقائمة الجنوبية الخارجية وعلى سمك الباب بقايا متون (c) . يشاهد على قاعدة جدار القائمة الجنوبية آلهة نيل وإلهات حقـــل .

الحجرة رقم ١٨ :

(١٧٧) (a) - (e) : نشاهد هنامتوناً على قائمتى الباب من الخارج وعلى سمكى الباب ، كما نشاهد جزءاً من متن شمالى المدخل .

(١٧٨) و (١٧٩) و (١٨٠) : يشاهد هنا « بطليموس السادس » يتعبد للالهة « ترموتيس » وإلى آلهة أخرى على هيئة ثعبان على قاعدتين كما تشاهد بقايا منظرين من القرابين .

تعليق :

أن أول ما يلفت النظر فى مناظر هذا المعبد وما جاء فيها من نقوش ومتون هو أن « بطليموس السادس » لم يدع أنه هو الذى أسس هذا المعبد بل يقول صراحة أن هذا المعبد كان موجوداً من قبل وأنه هو الذى أعاد بناءه[1]. ومن أجل ذلك نجد أن الكهنة قد أوردوا متوناً كثيرة فى وصف المعبد وتعظيم الملك « بطليموس السادس » بوصفه بانيه من جديد والآلهة التى يخاطبهم الملك فى هذه المناظر ويقدم لهم القربان هم بطبيعة الحال الإله « حور ـ ور » وثالوثه والإله « سبك ـ رع » وثالوثه . وقد كان أهم قربان يقدم لهم هو « تمثال » الالهة « ماعت » التى تمثل العدالة وفى آن واحد تمثل الطعام الحقيقى ، غير أن الآلهة كانوا يرغبون فى أن يعيشوا على الصدق والعدل فى حين أن الكهنة

(١) راجع Porter & Moss VI. P. 191. No. 109.

كانوا يريدون المادة الحقيقية ومن أجل ذلك جعلوا تمثال « ماعت » يمثل العدالة والمادة معاً .

ولما كان « سبك - رع » —أحد الإلهين اللذين يعبدان فى المعبد— آله ماء وبخاصة أن مكان معبد « كوم أمبو » يقع بجوار المكان الذى ينبع منه النيل على زعم المصريين القدامى وهو منطقة جبل السلسلة ، فقد كان المفروض أن رخاء البلاد ونعيمها يتوقف على ما يغدقه النيل من خيرات على البلاد ، لهذا كان الإله يجعل النيل يفيض عالياً كل سنة مما يسبغ على الحقول بهجة ونضارة ورزقاً وفيراً . ومن أجل ذلك نجد أنه جاء ذكر إله النيل « حعبى » كما جاء ذكر آلهات الحقول اللائى كن يقدمن خيراتهن ، وكذلك جاء ذكر الإله «خنوم» وهو إله الشلال والصانع للمخلوقات . وأخيراً جاء ذكر آلهة الحصاد « ترموتت » التى كانت تقدم للبلاد الغذاء الوفير .

وقد جاء فى متون هذا المعبد آلهة أخرى كانت لها منزلة كبيرة فى تلك الفترة من تاريخ البلاد وكلها كانت لها علاقة بثروة البلاد وسعادتها نذكر منها الآله « مين » رب الخصب والنماء . هذا ولما كانت عبادة الحيوان منتشرة نامية فى هذا العهد فقد جاء فى نقوش هذا المعبد ذكر الإلهين « سماور » و « أبيس » والأول هو العجل الذى كان يعبد فى أرمنت باسم « بوخيس » والثانى هو العجل الذى كان يعبد فى « منف » باسم « أبيس » .

(٢) معبد المدمود :

يظهر أن « بطليموس السادس » أقام بوابة فى معبد « المدمود » الذى أقيم فى عهد البطالمة ، فقد وجدت قطعة حجر من بوابة باسمه فى أساس مبنى [1]

(١) راجع Porter & Moss V. P. 139.

هذا ونجد فى الردهة الشمالية على سمك باب المعبد رموزاً زخرفية ومتونا[١]؛ وكذلك نشاهد الملك أمام آلهة . وفى أسفل من ذلك يشاهد الملك يصب القربات السائلة ؛ ونقش بجانبه أنشودة «لآتون»[٢]. وكذلك نجد على الجدران التى بين الأعمدة بقايا مناظر[٣]. ويلحظ أخيراً أنه قد وجدت بقايا طغراءات للملك « بطليموس السادس » لا يعرف مكانها بالضبط .

(٣) معبد « هو » :

يظهر أن « بطليموس السادس » قد أقام معبداً فى هذه البلدة ، فقد وجدت قطع من الحجر عليها أجزاء من مناظر تمثل « بطليموس فيلومتور » وهو يقدم قربات للآلهة « أزيس » وقد نقش عليها طغراء هذا الملك .

(٤) معبد « اسنا » :

تدل الآثار التى فى متناولنا على أن معبد « اسنا » الذى أقيم على شرف الإله « خنوم » يرجع عهده إلى الدولة الحديثة على أقل تقدير ، وقد أعيد بناؤه فى عهد البطالمة كما ذكرنا آنفاً وقد ترك « بطليموس السادس » نقوشاً على جدران هذا المعبد تدل على أنه أسهم فى انجاز هذا المعبد .

وهذه النقوش هى :

واجهة قاعة العمد :

(٣٢) و (٣٣) : يشاهد هنا ثلاثة صفوف من النقوش يحتوى كل منها على ثلاثة مناظر ، يشاهد فى المنظر الثانى فى كل صف « بطليموس السادس » يتعبد إلى الآلهة « منحيب - نبت - ور » (وهى آلهة تعبد فى إسنا مثلت فى

(١) راجع Rapport sur les Fouilles de Madamoud. Inscriptions 1925. P. 28. (45)

(٢) راجع Ibid. PP. 31-2 (58-59) Fig. 5.

(٣) راجع Porter & Moss V. P. 107.

صورة آدمى برأس لبؤة) ، كما يتعبد أمام الالهة « نبت ـ ور ـ منحيت »[١]. هذا ونشاهد أمام الالهة « نيت » صناجة . ونقرأ على الجزء الأسفل من هذا الجدار أنشودة للاله « خنوم » ومعها طغراء « بطليموس السادس »[٢].

(٣٤) : يشاهد على هذا الجزء من الجدار الخارجى لقاعة العمد«بطليموس السادس » ممثلا أمام الآلهة « نيت » (ربة سايس) فى الصف الأسفل .

(٣٥) : وكذلك يشاهد على نفس الجدار ثلاثة صفوف أخرى مثل عليها « بطليموس السادس » أمام الالهة « منحيت نبت ـ ور ـ منحيت » و « أزيس نبت ـ ور » والإله « خنوم »[٣].

(٥) معبد « أدفو » :

تدل النقوش التى خلفها « بطليموس السادس » على جدران معبد « ادفو » . على أنه أسهم بقسط وافر فى نقوشها وفى رفع شأن كهنة هذا المعبد باغداق الهبات الكثيرة عليهم .

قاعة العمد الخارجية :

الواجهة :

(٥٦) : يشاهد هنا الآله « تحوت» يكتب أمام الإلهين « بتاح » و «حور» وقد نقش بجواره ستة أعمدة من النقوش الهيروغليفية باسم الملك « بطليموس السادس »[٤].

المدخل :

(١٠٢) و (١٠٣) : نقش على سمكى الباب لمدخل قاعة العمد متن مؤلف من ستة أسطر باسم الملك « بطليموس السادس » .

(١) آلهة فى اسنا — راجع L.D. Text IV. P. 25; Wb. II. 282.
(٢) راجع Rec. Trav. XXVII. P. 83-9.
(٣) راجع L.D. Text IV. P. 25.
(٤) راجع Chassinat, Edfu III Pl. t. Left PP. 6-9, 96.

الحجرات التى حول قاعة العمد الداخلية :

حجرة النيل :

(١٢٥) المدخل من قاعة العمد الداخلية : يشاهد على العتب الخارجى لهذه الحجرة طغراءات « بطليموس السادس » والملكة « كليوباترا الثانية » كما يشاهد على قائمتى الباب نفس الملك يصحبه « حور » و « حتحور » ؛ وعلى سمك الباب يشاهد الملك يتقبل رمز الحياة من الآله « حور » . وعلى القاعدة يشاهد « بطليموس » و « كليوباترا » الثانية أمام « حور » و « أزيس » .

(١٢٦) المدخل من الدهليز : يشاهد هنا « بطليموس السادس » يقدم الماء للآله « حور » ، وكذلك يشاهد على القاعدة وعلى سمك الباب « بطليموس » و « كليوباترا الثانية » يتبعهما آلهة نيل .

المعمل (الحجرة رقم ٢) :

(١٣٤) المدخل (a) (b) : يشاهد على العتب الخارجى « بطليموس » تتبعه « كليوباترا الثانية » وهو يقدم تماثيل صغيرة .. الخ . لثالوث « ادفو » .

(١٣٥) : يشاهد هنا فى الصف الأعلى « بطليموس السادس » يقدم عطوراً للإله « أوزير » ولآلهتين ؛ وفى الصف الثانى نقرأ وصفة طبية ويشاهد الملك يقدم عطوراً « لحور » .

(١٣٦) : فى الصف الأعلى متن نقرأ فيه وصفة طبية، ويشاهد الملك وهو يقدم آنيتين للآله « مين » وللإلهة « اريس » ، وفى الصف الثانى يرى الملك يتبعه « شتزمو » (إله النبيذ) بالعطور ويقدم قرباناً أمام « حور » و « حتحور » وفى الصف الثالث متن وصفة طبية ؛ ويرى الملك تتبعه « نبت نترو » (سيدة الآلهة ؟ اسم إلهة) ومعه عطور . ويقدم قرباناً أمام « حتحور » .

(١٣٧) : يرى « بطليموس السادس » فى الصف الأعلى يطلق البخور

أمام « حور » و « حتحور » ، وفى الصف الثانى متن وصفة طبية . ويشاهد الملك يقدم زيتاً للآله « حور » ، وفى الصف الثالث نشاهد منظرين يقدم فيهما الملك للالهين « حور » و « حتحور » .

(١٣٨) نقرأ فى الصف الأعلى وصفة طبية كما نشاهد « بطليموس » مع الإله « احى » الصغير يتبعهما الإله « شزمو » (إله النبيذ) ويقدم للآلهة « حتحور » والإله « حورسماتوى » (موحد القطرين) ؛ وفى الصف الثانى متن وصفة طبية ، ويرى الملك يقدم أنواعاً مختلفة من النطرون للآلهة « حور » و « حتحور » و « نخبيت » و « بوتو » . وفى الصف الثالث وصفة طبية طويلة تشمل اثنى عشر سطراً بجانب المدخل . ويشاهد الملك يتبعه الإله « شزمو » ويقدم عطور المر للإله « حور » والإلهة « حتحور » . هذا ويشاهد « بطليموس السادس » ممثلا على قاعدة الجدار هو و « كليوباترا الثانية » يتبعهما حاملو القرابين أمام « حور » و « حتحور » ومع كل منهما سطر من النقوش .

دهليز قاعة الخزانة :

(١٣٩) (c)-(d) : نقرأ هنا على سمكى الباب متون باسم « بطليموس السادس » (e) . وكذلك نشاهد على سمك الباب « بطليموس السادس » يتقبل رمز الحياة من « حور » (g)-(f) وعلى العتب الداخلى نشاهد « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » أمام الآلهة « حور » و « حتحور » و « نبى »[١] و « خنمت »[٢] و « نون رع »[٣] (؟) و « منقت »[٤] . و « نيوبوت »[٥]

(١) نبى = صفة من صفات إله الشمس = نبى الاثلى .
(٢) خنمت = الالهة المنشئة لأطفال الإلهات .
(٣) نون رع : اله أزلى .
(٤) منقت = إلهة الجعة .
(٥) نيوبوت (؟) .

و « حتمت »[1]. وعلى قائمة الباب اليسرى نشاهد صفين من النقوش مثل فيهما الملك وهو يقدم خبزاً ويقرب فطيراً للأله « حور » ؛ وعلى القائمة اليمنى نشاهد خمسة أعمدة من المتون والملك فى أسفل .

(١٤٠) (d) (c) : على سمكى الباب متون باسم « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » وهو يقدم طعاماً للأله « حور » وعلى القاعدة يشاهد ثلاثة من حاملى القربان واسم الباب الذى دخلوا منه فوقهم (f)-(g). يشاهد على العتب الداخلى الملك يقدم قرباناً أمام « حور » و « حتحور » و « خنوم » و « سخت »[2] و « شزمو » و « نب نترو » و « حز تحتب » و « تايت » (= إلهة النسيج) . ويشاهد على قائمة الباب اليسرى متن مؤلف من أربعة أعمدة من الكتابة مثل تحتها الملك . وعلى القائمة اليمنى يشاهد صفان من النقوش مثل فيهما الملك وهو يقدم أضحيات وقربات للإله « حور » .

ويشاهد على الجدار الشمالى لهذا المدخل ثلاثة صفوف من النقوش وهى مناظر قربان يشاهد فيها « بطليموس السادس » .

وعلى القاعدة حول الجدران وعلى سمك الجدار (e) (١٣٩) يشاهد « بطليموس السادس » و « كليوباترا » يتبعهما بعض مقاطعات الوجه القبلى والوجه البحرى أمام « حور » و « حتحور » على كل من الجانبين مع سطر من الكتابة فوق كل هذا مع ذكر اسم الباب . وعلى إفريز المدخل متن باسم « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » .

حجرة الخزانة (رقم ٤) .

(١٤١) المدخل (a) يرى على العتب الخارجى « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » وهو يقرب قرباناً أمام الآلهة « حور » و « حتحور »

---

(١) « حتمت » إلهة فى صورة حيوان مفترس تذكر مع الأسود والفهود .
(٢) إلهة الحقل .

و«إحى» (ثالوث ادفو)؛ كما يشاهد كذلك ممثلا على قائمة الباب اليسرى وهو يقدم البخور والقربان السائلة أمام «احوتب». وكذلك نقرأ على سمكى الباب متوناً «لبطليموس السادس» و «كليوباترا الثانية». وعلى سمك الجدار مثل الملك وهو يقدم قرباناً للأله «حور»، كما صور على قاعدة الجدار وهو يقدم البخور والقربان السائل.

(١٤٣) — (١٤٥) : يشاهد هنا ثلاثة صفوف من النقوش تحتوى على مناظر قربات، هذا بالإضافة إلى متن يتألف من سبعة أسطر عمودية نقشت على الجانب الأيمن من المدخل. وعلى قاعدة الجدار يشاهد الملك على كلا الجانبين تتبعه صور تمثل البلاد التى تنتج الذهب والأحجار الكريمة وعلى رأسها الإله «سبد» من جهة والإله «حا» من جهة أخرى، وهو واقف أمام «حور» و «حتحور». هذا ويشاهد على إفريز الحجرة متون باسم «بطليموس السادس» و «كليوباترا الثانية».

الدهليز الذى حول المحراب :

(١٧٨) (e) يشاهد «بطليموس فيلو متور» يقدم قرباناً للإله «حور» ومعه متن على القاعدة.

الحجرات التى حول المحراب :

الحجرة رقم ١١٠ :

المدخل عند (٢٢٧) (f) يوجد على سمكى الباب متون «لبطليموس السادس» و «كليوباترا الثانية» هذا بالإضافة إلى متون أفقية باسم هذا الملك.

الحجرة الخارجية للإله سوكارى رقم ١١٣ :

المدخل عند (٢٣٣) (c) (d) (e) (f) يوجد على سمكى الباب متون باسم «بطليموس السادس».

الحجرة الداخلية للآله « سوكارى » :

المدخل عند (٢٥٧) (f) (e) : يوجد على سمكى الباب متون باسم « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » .

(٢٦٠) -(٢٦٣) : يشاهد على الجدار الشرقى على الجزء الأيمن وعلى الجدار الجنوبى متون ساعات الليل فى مأساة « أوزير » ، كما يشاهد على الجدار الشرقى الجزء الأيسر وعلى الجدار الشمالى متون ساعات النهار فى أسرار « أوزير » . ويرى الملك على الجدار الغربى فى الصف الأعلى يقدم عصا شعيرة فتح الفم للإله « أوزير » وإلى « شنتايت » فى الناووس ، ويقدم رموزاً « لأوزير » و « نفتيس » فى الناووس ، وفى الصف الثانى مثل الملك وهو يقدم البخور « لأوزير » و « ازيس » فى الناووس ، ويقدم قربات سائلة « لأوزير » و « نفتيس » فى الناووس . وفى الصف الثالث يقدم الملك صورة « ماعت » لحور » وإلى « حور » و « حتحور » .

حجرة الساق الخارجية :

المدخل (٢٤١) (f) (e) (d) (c) : يوجد على سمكى الباب متون خاصة بكل من « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » .

السلم الشرقى :

المدخل من الدهليز الخارجى عند (١٥٩) (b)-(a) : مثل على العتب الخارجى أربع بقرات مقدسة وثور « كاكاو - تايحوت » ومعه سبع بقرات مقدسة ، كما يشاهد على قائمة الباب الشمالية أصلال ؛ ويشاهد الملك على سمك الباب ممثلا يتقبل رمز الحياة من « حور » .

(٢٨٤) المدخل من قاعة العمد الداخلية (b) ,(a) : يشاهد على عتب الباب الخارجى طغراءات « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » .

النقوش الاهدائية التي على جدران حجرة كنز معبد « ادفو » :

خلف لنا « بطليموس السادس » متوناً هامة على جدران حجرة كنز معبد « ادفو » تحدث فيها عما قام به من أعمال جليلة للآله « حور » وب « ادفو » كما أشار إلى أعماله العظيمة فى مدة حكمه . وهذه النقوش الاهدائية حفرت على الجزء الأسفل من جدران حجرة الخزانة وتحتوى على أربعة نصوص وهى :

النص الأول :

« يعيش الآله العظيم والمسيطر الكبير على سكان الأراضى العالية ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الآلهين الظاهرين صورة « بتاح » المختار من « رع » والذى يعمل الحق « لأمون ») الذى يقود « الأونتيو » (Iountiou) ، وضارب الـ « كسنتيو » والذى يجمع قبائل بلاد آسيا ، والباسط ذراعيه عند ما يحمى مصر مثل آله « ادفو » صاحب الريش المبرقش ، ملك مصر ، ورئيس سكان الشمال ، المخترق (أو الواطىء بقدميه) الـ «أبل» (Abel) بقوته ؛ وسكان لبنان تصرع بقوته ، وهو الذى جعل بدو « آسيا » يرتعدون ، وأهل « أونتيو » بوصفهم رعايا جلالته يحملون محاصيلهم إلى بيته ، وجزائر وسط البحر كلها فى ابتهاج بسببه ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين الظاهرين صورة « بتاح » المختار من « رع » والذى يعمل الحق «لأمون») ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») ومعه أخته وزوجه المحبوبة الملكة ، سيدة الأرضين « كليوباترا » الإلهان المحبان لوالدتهما ومحبوبا « حور » « إدفو » الآله العظيم رب السماء صاحب الريش الملون الخارج من الخارج من الأفق ، والجعران المجنح المبجل الذى على رأس محاريب الجنوب والشمال » .

النص الثانى :

« يعيش الآله ، الثور القوى ، عظيم البطش ، وصاحب الساعدين القويين مثل آ له « ادفو » الملوح بالسيف مثل سيد « مسنت » (إدفو) كبير الانتصارات ، شديد القوى ، المنتصر فى الجوار الذى يمكن أن يسكن فيه . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين الظاهرين صورة « بتاح » والمختار من « رع » ، الذى يعمل الحق لآمون) . والذى يهزم «القنبتو»، والذى يدوس بالقدمين العابثين والمظفرين «الفنخو» (الفنيقيين) ، عظيم القوة مثل الرجل الفتى الجميل الوجه ، عظيم النفوذ ؛ والقوى بالخوف الذى يبعثه ، والشجاع فى مناجم الصحراء ؛ وأولئك الذين فى الجبال يهابونه خوفاً منه ، ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») مع أخته وزوجه التى يحبها ، الملكة على الأرضين « كليوباترا » محبوبة « حور » ادفو الإله العظيم رب السماء و « حتحور » سيدة « دندرة » وعين « رع » القاطن فى ادفو

النص الثالث :

« أنه « حور » تاتنن فى جسده ، الذى يتحد مع « أبيس » العائش فى مهدهما ، وقد جعله والده فى الواقع يظهر ملكاً للوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين الظاهرين صورة «بتاح» المختار من « رع » والذى يعمل الحق لوالده «آمون ») ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») لقد عمل هذا الأثر الجميل فى المكان العظيم (المحراب الرئيسى) لجلالة « رع » وهو خزانة (حرفياً مكان قربات من الغذاء) ثمينة مزودة بمتاعه . والتى تحتوى على جميع محاصيل الأراضى لتجهيز محراب الحقل المقدس ، « حور ادفو » سماتوى (= موحد الأرضين) سيد السماء و « حتحور » العظيمة سيدة « دندرة » و « حور سماتوى » الطفل ابن « أونيت » (=حتحور)

وأنه ملك الوجه القبلي والوجه البحرى الثابت على عرشه على رأس أرواح العائشين أبدياً » .

النص الرابع :

« إنه « حور » الذهبي ، عظيم البأس ، سيد الأعياد الثلاثينية مثل والده « بتاح تاتنن » ، والد الآلهة والملك مثل « رع » ، وابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») ومعه أخته وزوجه الملكة وسيدة الأرضين « كليوباترا » ، الإلهين المحبين لأمهما ، لقد عمل هذا العمل الجميل لإله « ادفو » ، الآله العظيم رب السماء ؛ وأنه المكان الجميل (يقصد الخزانة) الممونة بالذهب والفضة أيضاً ، وبكل شيء وبالأحجار الكريمة (المستخرجة) من المناجم التي أمامه حقاً ؛ وهو « حور » ادفو الآله العظيم رب السماء و « حتحور » سيدة « دندرة » في وسط ادفو (أي زائرة ادفو) و « إحى » الابن العظيم لسيدة « دندرة » وأنه صقر ثابت على عرش أرواح الاحياء أبدياً[1] » .

تعليق :

هذه المتون الأربعة إن دلت على شيء من الوجهة البطليمية فانها تحدثنا عن أن « بطليموس السادس » كان صاحب سلطان على البلاد الأجنبية وبخاصة في آسيا أي بلاد الشمال كما عبر عنها في هذه المتون ، هذا مع العلم بأن بعض هذه الأماكن مشكوك فيه ، وذلك لأن بلاد « كنست » مثلا قد وضعت هنا على ساحل البحر الأحمر ، وقد ذكرت في نفس الوقت الذي ذكرت فيه

(١) راجع Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, Tom. L. P. 84. ff.

بلاد « پنت » ، ولكن على حسب المتن الذى نحن بصدده لا بد من وضعها فى آسيا ، غير أن ذلك فيه شك .

وعلى أية حال فان هذه المتون تظهر ما كان للملك « بطليموس السادس » من قوة وسلطان خارج مصر ، وذلك بفضل الآلهة الذين قدم لهم الهدايا والقربات ومون لهم خزانة المعبد فى « ادفو » بكل غال وثمين . واعتقد أن كل ذلك كان من عمل الكهنة الذين كانوا لا يريدون إلا المحافظة على مكانتهم وثرائهم . ولذلك فان كل ما تحدثوا عنه من عظمة وفخار وامتداد سلطان ونسبوه للملك « بطليموس السادس » لا يطابق الحقائق التاريخية التى ذكرناها فيما سبق . وعلى أية حال فان « بطليموس السادس » من جانبه كان يريد بعطاآته هذه استمالة الكهنة لأنه كان يعرف أنهم هم المسيطرون على أرواح عامة الشعب فى تلك الفترة من تاريخ البلاد التى كانت الحروب الداخلية ضاربة أطنابها فى كل أنحائها . هذا فضلا عن تهديد البلاد بالغزو الأجنبى .

(٦) الآثار التى جاء عليها اسم بطليموس السادس فى منطقة طيبة :

(أ) معبد الكرنك : المدخل إلى قاعة العمد (أنظر رسم المعبد جزء ٢ ص ١٠ Porter & Moss) .

المدخل الغربى :

(١٩) : يوجد هنا أربعة صفوف من النقوش مثل فى الصف الأول « بطليموس الخامس » و « بطليموس السادس » أمام آلهة ، وفى الصف الثانى مثل « بطليموس السادس » أمام آلهة الغناء « مرت » ويرى كذلك نفس الملك يتعبد أمام « بطليموس الخامس » و « كليوباترا »[1] .

---

(١) راجع L.D. IV 21 b. Champ. Mon. CCCXI (4); Porter & Moss, II. P. 15.

(ب) معبد آمون — المجموعة الوسطى — البوابة .

معبد « بتاح » — البوابة الأولى : أقام هذه البوابة « بطليموس السادس » وغيره ممن جاء بعده من ملوك البطالمة .

ويشاهد على واجهة هذه البوابة من الخارج « بطليموس السادس » فى الصف الثانى من المنظر الثالث ومعه لوحة كتابة وهو يقف أمام الآله « بتاح » والآلهة « ماعت »[١] . وكذلك مثل هذا الملك على الواجهة الخارجية أيضاً واقفاً أمام الالهين « خنسو » و « موت »[٢] ، وعلى الواجهة الداخلية لهذه البوابة يرى « بطليموس » فى الصف الثالث وبيديه صناجتين .

(ج) دير المدينة : يوجد بدير المدينة معبد من عهد البطالمة أقامه « بطليموس الرابع » ويوجد فى الطرف الشمالى الغربى منه عمود برأس « حتحور » جاء عليه اسم « بطليموس السادس » وألقاب « حتحور » . وفى قاعة العمد الصغيرة لهذا المعبد يشاهد تحت النافذة فى الصف الأعلى « بطليموس السادس » أمام الالهة « حتحور »؛ والآلهة « ماعت » . وفى المحراب الأوسط يشاهد على الجدار صفان من النقوش مثل فى أحدهما « بطليموس السادس » أمام الآلهة[٣] .

٧ — معبد الفيلة :

تدل النقوش التى جاء فيها اسم « بطليموس السادس » فى معبد الفيلة على أنه كان مهتماً كأسلافه بهذا المعبد . والواقع أن البطالمة فى هذه الفترة من تاريخهم كانوا مهتمين بهذا الجزء من ممتلكاتهم لما كان يتأتى فيه من أحداث

(١) راجع L.D. VI. 22 b, Porter & Moss. II. P. 66.

(٢) راجع L.D. texte III. P. 5.

(٣) راجع Ibid.

جسام كما شرحنا ذلك من قبل . هذا فضلا عن اهتمامهم بعبادة الآلهة «ازيس» وبخاصة «بطليموس السادس» كما سنرى بعد .

وهاك بعض ما تركه لنا هذا الملك من نقوش على جدران هذا المعبد .

المدخل الغربي لمعبد «ازيس» :

(٩٣) و (٩٤) المدخل الخارجي : يشاهد على عتب الباب مناظر مزدوجة، فعلى الجانب الأيسر مثل الملك مع «كليوباترا الثانية» وهو يقدم اللبن للآله «حربوخراتيس» ؛ كما يشاهد الملك وهويقدم نبيذا «لأوزير» و «إزيس» ؛ وعلى الجانب الأيمن مثل الملك ومعه الملكة . وهو يقدم لبناً «لحربوخراتيس» ، كما يقدم النبيذ للالهين «خنوم» و «حتحور» . هذا ويشاهد على قائمة الباب الغربية أربعة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم صورة العدالة (ماعت) للآله «أمون رع» والآلهة «موت» زوجه ؛ كما يقدم لوحة كتابة للإله «شو» والآلهة «سخمت» ، ويقف أمام أمير «بوهن» و«نفتيس» . كما يقدم طعاماً للآله «أوزير - وننفر» والآلهة «إزيس» ويشاهد على قائمة الباب الشرقية أربعة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم آنية للإله «خنوم» والآلهة «ساتيس» (؟) ، كما يقدم جرة على هيئة بولهول فيها عطور للإلهين «شو» و «تفنوت» ، كما يقدم العين السليمة لكل من «حور» و «حتحور» ، وخبزاً «لأوزير - وننفر» و «ازيس» . هذا ونشاهد قوارب على القاعدة على كل من قائمتى الباب .

(٩٥) يوجد هنا على سمك الباب أربعة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم عطوراً للآله «بتاح» فى ناووس كما يقدم نسيجاً للإله «جب» والآلهة «نوت» ، ويقدم أوراقاً للإله «مين» والآلهة «وبست»

(وهى آلهة تحرق بنارها الأشرار وهى بوجه خاص آلهة جزيرة « بيجة ») ويقدم الحقل « لأوزير ـ وننفر » و « حور » .

(٩٦) و (٩٧) يشاهد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل عليها الملك وهو يقدم كنزاً « لإزيس » وهى ترضع « حور » وإلى الآلهة « بوتو » والآلهة « نخبيت » (؟) ، ويرى الملك مع « كليوباترا الثانية » وهو يقدم صناجة « لإزيس » ولإلهين ، كما يشاهد وهو يقدم نبيذاً « لأوزير » (على يسار المدخل) ومعه متن على المدخل وعلى يمينه .

(٩٨) و (٩٩) : يشاهد هنا عمود من الكتابة على سمكى الباب .

(١٠٠) : يشاهد على سمك الباب فى الصف الأعلى ، الملك يقدم طوقاً « لإزيس » و « حور » الصغير و « حتحور » وثلاث صور « لإزيس » و « أمون رع » و « نيت » . ومثل فى الصف الثانى الملك ومعه نبيذ ومتن طويل ، كما مثل مرتين مع أرواح « ب » و « نخن » أمام « حتحور » و « حرسائيسى » الصغير و « أرسنوفيس » . وفى الصف الثالث مثل الملك راكعاً على رمز الوحدة تتبعه سبع بقرات « حتحور » وهو يقدم النبيذ « لأوزير ـ وننفر » و « إزيس » . وفى الصف الرابع نشاهد « كليوباترا الثانية » ومعها صناجة والملك يقدم إكليلا للآلهة « مرت » الخاصة بالوجه البحرى ومعها عود ، ولآلهة صغار معهم صناجات ؛ وكذلك يقدم الملك قرباناً أمام « إزيس » وإلهين ، و « حربوخراتيس » ؟ و « حور » .

(٩٥) ، (٩٦) ، (١٠٠) : يشاهد هنا على قاعدة الجدار « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » يتبعهما صور مقاطعات نوبية .

(١٠١) : مثل على سمك الباب هنا أربعة صفوف من النقوش يشاهد فيها الملك يقدم البخور للإله « بتاح » و الآلهة « عنقت » كما يقدم النبيذ لكل من

« حور » و « حتحور » (؟) ويقف أمام « إزيس » و « حاربوخراتيس » .

(١٠٢) : على سمك الباب يشاهد الملك فى الصف الأعلى وهو يقدم النسيج « لأزيس » و « حربوخراتيس » و « سفخت - عبو » ، و « تفنوت » و « حتحور » و « ماعت » و « خنوم » و « حرت » (آلهة) ؛ وفى الصف الثانى مثل الملك يلبس شريطاً على رأسه يتقدمه ثمانية قردة متعبدة أمام « إزيس » و « حربوخراتيس » و « إيحوتب » ؛ وفى الصف الثالث يشاهد الملك يقدم رمز الأبدية (حح) للإلهين « أوزير » و « إزيس » ، وكذلك أربع صور للإله « حور » و الآلهة « حقات - ورت » ؛ وفى الصف الرابع يرى الملك تتبعه « كليوباترا الثانية » وهو يقدم القربات أمام « إزيس » (؟) والطفل المقدس و « حتحور » و « حربوخراتيس » و « مرت » الوجه القبلى (آلهة الغناء) .

(١٠١) و (١٠٢) : يشاهد علـــى القاعدة « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » يتبعهما صور مقاطعات نوبية .

(١٠٣) و (١٠٤) الباب الداخلى : يشاهد على عتب الباب مناظر مزدوجة مثل فيها الملك على الجانب الأيسر يقدم صورة « ماعت » « لحور — إدفو » كما يقدم عطوراً (؟) للإلهة « حتحور » ؛ وعلى قائمة الباب الشرقية ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم طوقاً للآلهة « إزيس » وأزهار بشنين للإله « حور سماتوى » ولازورد للآلهة « إزيس » ؛ كما يشاهد اثنان من محضرى القربات على القاعدة . وعلى القائمة الغربية للباب توجد ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم صناجات للآلهة « حتحور » وأحجاراً كريمة للإله « حربوخراتيس » وذهباً للآلهة « حتحور » كما يشاهد إله نيل وآلهة حقل على القاعدة .

مديح فى إيزيس فى معبدى فيله وكلابشة

يشاهد على خدى الباب الذى فى الشمال من الصرح الشرقى للبوابة الكبيرة لمعبد « إزيس » بالفيلة نقش مؤلف من ثلاثة أسطر من عهد « بطليموس السادس » . غير أنه مما يؤسف له أن هذا النقش فى حالة سيئة من الحفظ . وتدل مجريات الأمور على أن هذا المتن —مما تبقى منه— ليس بالمتن العادى الذى يصادفنا كل يوم . ومن أجل ذلك كان لا بد من البحث عن مقابل له أو بعبارة أخرى رواية ثانية له ، وبذلك يمكن بها ملء الفجوات الموجودة فيه . ولحسن الحظ وجدت رواية لنفس المتن نقلها «بركش» فى كتابه المسمى الذخيرة[1] نقلها من معبد «كلابشه»، وبطبيعة الحال كان لا بد من الرجوع للكتاب الذى نقل فيه « جوتيه » معبد كلابشه[2] .

ففى الفيلة نجد هذا النقش على خدى الباب ، وعلى كل خد منهما نجد فى نهاية المتن خاتمة خاصة تعبر عن التمنيات الطيبة للملك . أما فى «كلابشه» فنشاهد أن هذا النقش يحتل كل النصف الجنوبى من الجدار الغربى ثم الجدار الجنوبى وينتهى فى وسط الجدار الشرقى فوق الباب آت من حجرة الاستراحة وهو من عهد القيصر « أغسطس » .

وهذا المتن يحتوى على مديح للآلهة « إزيس » التى تعد الآلهة الرئيسية للفيلة التى تقع على بعد خمسين كيلومتراً جنوبى «كلابشه» ، وكانت هذه الآلهة تعبد فى الجهات البعيدة عنها حتى السودان . وهذا المديح لم يوضع فى صورة أنشودة موجهة للآلهة العظيمة ، ولكنه عبارة عن مجموعة من بيانات تمثل

---

(١) راجع Brugsch, Thesaurus P. 772.

(٢) راجع Gauthier, Les temples émergés, Kalabschah. P. 118.

ببساطة صفاتها وصبغتها ، كأنها حبات عقد منظوم . وفى النهاية يتضرع لها أن تحفظ الملك الحاكم وتحميه .

على أن ما يلفت النظر فى هذا المديح هو أنه لا يشبه كثيراً صورة المدائح القديمة المعتادة التى يذكر فيها أنها أخت « أوزير » وزوجه المخلصة وأم إبنه « حور » .

ففى هذا المتن نجد أنه قد جاء ذكرها مرة واحدة بوصفها زوجة وأم . وقد جاء ذلك فى بداية المتن وقد كان ذلك أمراً ضرورياً بحسب البيئة . وذلك لأن «إزيس» كانت سيدة «أباتون» المجاورة لمعبد الفيلة الذى يأوى فيه « أوزير » ، وكذلك كانت حجرة الإله « أوزير » مقامة على سطح معبد الفيلة ، كما أن بيت ولادة « حور » يقع خلف الصرح الغربى لبوابة معبد الفيلة . غير أننا لا نسمع هنا فى هذا المتن شيئاً أبداً عن « إزيس » آلهة الموسيقى والتبيذ والرقص والحب ، وكلها وظائف هى مدينة بها للآلهة « حتحور » عند ما وحدت بها . ومن ثم نجد فى هذا المتن أن « إزيس » تحتل المكان الأول بوصفها الآلهة المهيمنة ، سيدة السماء والأرض والعالم السفلى ، والتى تصدر الأوامر لتاسوع الآلهة والتى ترشد النجوم فى سيرها ؛ والتى تمنح الأرض وسكانها الحياة وتحفظها ، والتى ترفع الملك على عرشه ، والتى تصير أقدار البلاد . وهذه الوظائف التى تنسب فى هذا المتن للآلهة « إزيس » قد بدأ استعمالها وتطورها بصورة تامة فى العصر المتأخر من تاريخ مصر مما جعل لها سلطاناً عالمياً ، فانتشرت عبادتها فى أعماق أوروبا ولعبت دوراً ليس بالضئيل فى معتقداتها الدينية .

الترجمة :

« إزيس » العظيمة أم الآله « حور » المانحة الحياة ، سيدة الفيلة ، وأميرة

« أباتون » حاكمة « بيجه » النائحة ومن حافظت على جسم أخيها « أوزير » .

والعظيمة والقوية ، وأميرة الآلهة ، ومن اسمها رفيع أمام الآلهات .

وعظيمة السحر ، وصاحبة التصميات الممتازة ، ومن تصد (آله العاصفة) « أبوفيس » ، ومن بغير تدخلها لا يمكن لأى فرد أن يطأ القصر (بوصفه ملكا) . ومن يكون تحت تصرفها تتويج الحاكم . واسم قرينها . سيدة الحياة ، فى حين أنها تعطى الأرض الحياة ، وكل الناس تحيا بإرادة روحها ، سيدة المكان المقدس (أباتون) حتى مكان « ببا » .

ومن الجميع يختم بخاتمها ، ومن بدونها لا ينفذ أى تصميم من أول السماء حتى الأرض والعالم السفلى .

الجبارة فى « طيبة » ، العظيمة فى « دندرة » ، والممتازة فى « منف » .

وأم الآله فى « قفط » ، والسيدة العالية فى « أخميم » وأميرة كل المقاطعات

ومن جماعة الآلهة تتلقى الأمر منها وتحكم على حسب نطقها .

« العظيمة » فى السماء وسيدة النجوم ومن تقوى النجوم فى مسالكها .

« إزيس » مانحة الحياة سيدة « أباتون » أميرة فيلة وسيدتها ، وسيدة الأراضى الأجنبية الجنوبية ، ليتك تعطى النصر للملك « بطليموس السادس »

تعليق :

وخلاصة القول أن هذا المتن يعد بمثابة مقدمة لانتشار عبادة الآلهة « إزيس » التى أصبحت فيما بعد آلهة عالمية تعبد فى كل العالم المتمدين وقد تحدثنا عنها فيما سبق فى الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة . ويلفت النظر فى عبادتها أنها كانت تتفق مع العذراء فى كثير من الوجوه حتى ذهب بعضهم فوحدها بها .

(٨) بيت الولادة :

الردهة الأمامية :

لم يدون « بطليموس السادس » على بيت الولادة فى معبد « إزيس » إلا نقش واحد .

(١٥٩) و (١٦٠) المدخل الخارجى : يشاهد على قائمتى الباب «بطليموس السادس فيلومتور » ومعه آله النيل فى أسفل على كل من القائمتين (والمنظر بعضه مهشم) .

(٩) معبد حتحور :

يقع معبد « حتحور » مباشرة شرقى البوابة الثانية لمعبد « إزيس » ويحتوى هذا المعبد على قاعة ، وقاعة عمد . والحجرات الأخرى التى كان يحتويها المعبد هشمت . وتشتمل القاعة على ستة عمد على كل من جانبيها جدار ساتر يربط العمد بعضها ببعض ؛ ولكن العمد لم يتبق منها قائماً إلا أجزاء . وعند ما يدخل الإنسان القاعة يشاهد فى الطرف الجنوبى من الجدار الجنوبى منظراً مهشما يرى فيه الملك يتعبد للإلهتين « موت » و « حتحور » ؛ وفى الجهة المقابلة ترى ثانية الآلهة « حتحور » ، ويشاهد على الجدار الجنوبى ، ماراً فى محاذاة الصف الأسفل من الغرب إلى الشرق ، المناظر التالية : إنسان ينفخ فى أرغول ، كما يشاهد الملك يقدم « توجا » للآلهة « إزيس » ، وكذلك يشاهد إنسان يضرب على عود والملك يقدم أزهاراً للآلهة « نفتيس » . وترى صورة صغيرة للاله « بس » يدق طبلا ، والملك يقدم صناجتين للآلهة « سخمت » ؛ هذا ويشاهد الآله « بس » بكل وجهه يضرب على العود ، كما يشاهد الملك يقدم توجاً للآلهة « حتحور » ، ويرى قرد يلعب على الجيتار ، والملك يقدم نبيذاً للآلهة « إزيس » وعلى الجدار الشمالى مثل إنسان ينفخ فى أرغول

مزدوج ، ويشاهد هناك إنسان يضرب على عود كما يشاهد إنسان آخر يحمل على كتفيه غزالا مزيناً بالأزهار ، والملك يقدم تعويذة قرد للآلهة « ساتيس » ويقدم تمثال إنموذجياً لـ « بوالهول » إلى الإلهة « تفنوت » . كما يشاهد الآله «بس» بوجه كامل يضرب على عود ويرقص، وقرد يضرب على الجيتار، والملك يقدم نبيذاً للآلهة « حتحور » . ولا يخفى أن هذه المناظر الدالة على الفرح والبهجة تلفت النظر . ولا غرابة فى ذلك فان « حتحور » كانت تعد آلهة الجمال والمسرات . وهذه المناظر دون شك كان القصد منها أن تبعث فى نفوس عباد هذه الآلهة أحاسيس السرور التى كانت تدخل البهجة على هذه الآلهـــة .

وهناك مناظر أخرى فى هذه القاعة يرى فيها الملك أمام « حور » و « ارسنوفيس » و « حتحور » .

هذا ويوجد مدخل على كلا جانبى القاعة ؛ كما يوجد فى الطرف الشرقى شبه بوابة مزينة برؤوس تؤدى إلى قاعة العمد الصغيرة وسقف هذه القاعة محمول على عمودين والمناظر التى فى قاعة العمد هذه لم تكمل بعد ، ولكن يظهر فيها الملك أمام الآلهة المعتادين .

وهاك بعض المناظر التى ظهر فيها « بطليموس السادس » .

مدخل القاعة الخارجية :

(٢١) و (٢٢) يشاهد على قائمتى الباب رأس « حتحور » وصورة الملك فى أسفل وإله النيل على القاعدة على كل من القائمتين .

(٢٣) و (٢٤) أعمدة من النقوش « لبطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » فى داخل القاعة .

(٢٥) و (٢٦) الخارجة : متون « لبطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » .

(٢٧) و (٢٨) يشاهد فى الصف الأعلى الملك يطعن بحربته العدو أمام فرعون مؤله وآلهة ويقدم قوساً للآلهة « ساتيس » والآله « بجوز » ؛ وعلى الصف الأسفل مثل الملك وهو يقدم للآلهين « حور » و « نفتيس » ، كما يقدم لوحة كتابة للإله « تحوت » والآلهة « نحم عوات » زوجه .

(٢٩) : يشاهد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يتعبد للآلهة « أوزير » و « إزيس » و « حربوخراتيس » ؛ ويقدم صورة العدالة « لأمون رع » والآلهة « موت » ويقدم رمز الحقل « لإزيس » و « بجوز » .

(٣٠) و (٣١) يرى فى الصف الأعلى الملك يقدم طوقاً للآلهة « أرسنوفيس » والآلهة « تفنوت » ويوجد متن خاص بالآلهة « نيت » .

(٣٢) : يشاهد فى الصفين الباقيين على هذا الجدار الملك يتعبد لثالوث الشلال وهم « خنوم » و « ساتيس » و « عنقت » كما يقدم نبيذاً للإلهين « حور » و « حتحور » .

المدخل للقاعة الداخلية :

(٣٣) و (٣٤) : يشاهد على العتب الخارجى لهذه القاعة مناظر مزدوجة على الجانب الأيسر مثل فيها الملك واقفاً أمام « آمون رع » ، كما مثل وهو يجرى نحو الآله « أوزير » والآلهة « إزيس » ، ومثل على الجانب الأيمن واقفاً أمام « حور » ويجرى نحو الإله « خنوم » والآلهة « حتحور » . ويشاهد على قائمتى الباب أربعة صفوف من النقوش على كل منهما مثل الملك يقدم نبيذاً ، ويقدم نطروناً وقرباناً سائلا ، ويقدم بخوراً وقرباناً سائلا . وفى أسفل بقايا منظر .

(٣٥) و (٣٦) : يشاهد على سمكى الباب فى الصف الأعلى ، الملك تتبعه الملكة (يلحظ هنا أن طغراء الملكة غير منقوش) . وهو يقدم عطوراً للآلهة « إزيس » والآلهة « حتحور » على الجانب الأيسر ؛ كما يقدم صورتى « حتحور » على الجانب الأيمن .

١٠ — هذا وقد وجد فى « فيلة » قاعدة من الجرانيت لتماثيل « بطليموس السادس » و « كليوباترا الثانية » وابنهما « بطليموس يوباتور » وعليها نقوش إغريقية وديموطيقية عثر عليها فى « الحصة » وقد وضعها « ويجول » بالقرب من المدخل الغربى للجزء الداخلى لمعبد « إزيس »[١]. ويلحظ هنا أن اسم المهدى قد محى ووضع مكانه اسم الإلهين « حور » و « إزيس » ، غير أن ذلك لا يؤدى أى معنى ، ولا نزاع فى أن المهدى كان موظفاً من حزب « فيلومتور » وغضب عليه فيما بعد فى عهد « ايرجيتيس الثانى » .

(١١) الآثار التى خلفها « بطليموس السادس » فى بلاد النوبة

معبد « أبو حور » شرق « أعجولا » :

عثر فى هذه الجهة على الجزء الأعلى من لوحة مصنوعة من الحجر الرملى « لبطليموس السادس » وكانت من بين قطع أخرى[٢].

(١٢) معبد الدكة : وجدت بقايا متون على أعمدة مدخل معبد الدكة جاء فيها ذكر « بطليموس السادس » (راجع .L.D. IV, 38 g, h) .

(١) راجع Weigall, A Report on the Antiquities of Lower Nubia, P. 56; Bevan. Hist. of Egypt. P. 298.

(٢) راجع Blackman, The Temple of Dendur, Pl. CIII, P. 61.

عهد بطليموس السابع ايرجيتيس الثانى



١ — اوع — ن — نتروى — بروى — ستب — نى — بتاح — ار — ماعت رع سخم عنخ — ن — امن (= الوارث للآلهين الظاهرين المختار من « بتاح » والذى يعمل العدل « لرع » والصورة الحية « لآمون ») .

٢ — بطليموس — عنخ — زت مرى بتاح (= بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») .

مدة حكمه: حكم هذا الملك — كما يدعى هو — نحو أربعة وخمسين عاماً متجاهلا كل الفترات التى لم يحكم فيها البلاد بمفرده . وعلى ذلك يكون قد بدأ حكمه فى ١٢ نوفمبر سنة ١٧٠ ق . م إلى ٢٨ يونيه عام ١١٦ ق . م .

مقدمة :

تدل كل الظواهر على أن تاريخ ملوك البطالمة قد دخل منذ نهاية عهد « بطليموس السادس فيلومتور » فى مرحلة غامضة مبهمة لقلة المصادر . وقد أنجب « فيلومتور » ولدين أحدهما يدعى « يوباتور » الذى أشرنا إليه فيما سبق وسنتحدث عنه فيما بعد . وقد اشترك مع والده منذ عام ١٥٣ ق . م حتى عام ١٥٠ ق . م وهو تاريخ موته ، وذلك على أرجح الأقوال .

أما ابنه الثانى فكان يدعى « نيوس فيلوباتور » وقد حكم البلاد تحت وصاية أمه ، وهو الذى يطلق عليه بعض المؤرخين « بطليموس السابع » . وفى

تلك الفترة كان « لبطليموس » ملك « سيرينى » وقتئذ أعوان — كما ذكر بعض المؤلفين — بين أهالى الإسكندرية كما كان له أصدقاء فى « روما » . وكانت « كليوباترا » الوصية على العرش تعتمد على حزب الأشراف فى الإسكندرية وكذلك على طائفة اليهود التى كانت كثيرة العدد فى تلك الفترة .

هذا ونعلم أن آخر عمل قام به « بطليموس السادس فيلومتور » بعد أن انقلب على زوج إبنته « كليوباترا تيا » ، هو الإستيلاء على « سوريا الجوفاء » التى كانت مطمع آماله وحلم من سبقه من ملوك البطالمة ؛ وقد كانت الحروب قد نشبت من أجلها منذ أزمان بعيدة واستمرت حتى تلك الفترة .

نيكاتور يسترد سوريا الجوفاء :

غير أن « ديمتريوس الثانى نيكاتور » ملك « سوريا » عند ما علم بموت « فيلومتور » نقض المعاهدة التى كانت قد أبرمت بينه وبين « فيلومتور » ؛ ومن ثم عادت « سوريا الجوفاء » ثانية إلى ملك « السليوكيين » . على أن « ديمتريوس نيكاتور » لم يكتف بالغاء المعاهدة بل أخذ فضلا عن ذلك يعمل على الإستيلاء على جنود الجيش المصرى الذين كانوا مرابطين فى « سوريا » . وتدل الظواهر على أن الجنود المرتزقين الذين كانوا يعملون فى الجيش المصرى هناك قد انضموا فعلا إلى جيش « ديمتريوس » دون كبير عناء ؛ لأنهم فى كلتا الحالتين كانوا مأجورين . هذا ونعلم على أية حال أن « ديمتريوس » استولى على فيلة الجيش المصرى التى كانت فى « سوريا الجوفاء » . ولا يبعد أنه كان يترقب سير الأحوال فى الإسكندرية لينفذ ما كانت تنطوى عليه نفسه من خطط تدل على عدم الوفاء وسوء النية من جهة مصر .

قلة المصادر عن هذا العصر :

ومما يؤسف له جد الأسف أن الحوادث التي وقعت في الإسكندرية في تلك الفترة كانت غامضة مبهمة يكتنفها الشك المطبق في نظر المؤرخين القدامى . ويرجع السبب الأصيل في ذلك إلى أن المصادر المصرية البحتة (ونعني بذلك الأوراق الديموطيقية) أو المصادر الإغريقية (ونعني بذلك الأوراق الإغريقية وما كتبه المؤلفون القدامى) لم تسعفنا كلتاهما بشيء يوضح تاريخ هذه الفترة . فالمصريون وقتئذ لم يكونوا مندمجين في سياسة البلاد العامة التي كانت في يد المستعمرين من إغريق ومقدونيين وغيرهم ، وكل ما وصل إلينا هو ما كتب بالديموطيقية . والواقع أنه لم يصل إلينا من هذا المصدر إلا نتف لا تشفي غلة . ومن جهة أخرى لم يصل إلينا من المصادر المعاصرة الإغريقية شيء ما ، وذلك لأن مصدرنا الأصلي وهو « بوليبيوس » الذي اعتمدنا عليه في كتابه تاريخ البطالمة في عهدي كل من « بطليموس الخامس » و«السادس» قد انقطع ووقف عند هذه الفترة . ومن أجل ذلك نجد أن أولئك الذين كتبوا في تاريخ هذه الفترة قد ملأوا الفجوات التاريخية التي كانت تعترضهم بالأساطير والعبارات التي لا تمت إلى التاريخ الحقيقي بشيء . والواقع أن المؤرخين الذين كتبوا عن هذا العصر ليس لديهم مصادر إلا ما كتبه كل من « جوسيفوس » (يوسف) المؤرخ اليهودي وهو مؤرخ متحيز إلى حد بعيد فيما تركه لنا من مؤلفات تاريخية . وهذه المؤلفات تكاد تكون عقود مدح وإطراء لليهودية أو من ينحاز إليها . ثم لدينا المؤرخ « جوستين » الذي عاش في القرن الخامس بعد الميلاد ، وقد نقل كل ما كتبه عن المؤرخ « ترجوس بومبيوس » (Torgus Pompeius) . غير أن هذا المؤرخ قد نقل لنا ما راق في نظره هو وحسب في كتابه الذي خلفه لنا باللاتينية

(Justine Hisoriarum Philippicarum) [1]. أما المؤرخ « جوسيفوس فلافيوس » السالف الذكر فقد ولد فى النصف الأول من القرن الأول الميلادى حوالى عام ٣٧ م فى عهد الامبراطور الرومانى « كاليجيولا » (Caligula). وقد كان واسع الإطلاع وتقلب فى عدة مناصب دينية وحربية، وكانت كل كتاباته كما قلنا تدل على التحيز لليهودية . وأهم كتاب له هو تاريخ حرب اليهود وتاريخ الآثار اليهودية فى عشرين مجلدا أتمها عام ٩٣ ميلادية .

والبحث فى تقصى الأحداث التى وقعت فى أعقاب موت « بطليموس فيلومتور » قد يطول الحديث عنه دون طائل إذ لا تزال توجد عقبات تصادف المؤرخ كما ذكرنا من قبل لقلة المصادر ، ومن ثم لا بد من الاكتفاء مؤقتاً بما لدينا من معلومات ضئيلة إلى أن تكشف لنا تربة أرض الكنانة عما تخفيه فى جوفها من مصادر كثيرة لا تزال دفينة تحت الأرض .

وعلى ذلك سنأخذ بالرأى القائل أن الفرد الذى ورث عرش « فيلومتور » فى الإسكندرية هو ابنه « بطليموس نيوس فيلوباتور » وسنحاول — فيما بعد على ضوء ما لدينا من معلومات — الكشف عن شخصيته .

كليوباترا الثانية وموقفها من ايرجيتس الثانى

وقد كان هم « كليوباترا الثانية » بعد موت زوجها « فيلومتور » هو أن تضمن عرش ملك مصر لابنها بزواجه من أخته « كليوباترا الثالثة » متبعة فى ذلك سنة الزواج فى أسرتها . وكان فى امكانها بهذه الوسيلة فقط أن تبقى النظام الحاضر وبخاصة فصل مصر عن « سرنيقا » التى كان يحكمها « بطليموس ايرجيتيس الثانى » الذى كانت تخشى « كليوباترا الثانية » الوصية على العرش

(١) راجع A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology Vol. II. P. 610-614.

قيامه بحركة لتولى عرش مصر الذى كان قد طرد منه كما أسلفنا القول فى ذلك وقد زاد من خوفها أن الحشد المصرى كان بعيداً عن مقر الحكم إذ كان كما قلنا لا يزال فى « سوريا الجوفاء » ولم يسمع عنه شىء بعد وفاة « فيلومتور » . ومن هنا كانت ترى « كليوباترا » أنها هى وابنها الملك الفتى قد أصبحا تحت رحمة هجوم « ايرجيتيس الثانى » . وفى هذه الفترة لم يكن لديها ما يحميها من شر « إيرجيتيس الثانى » إلا فريق من أهل الإسكندرية فى صفها . إذ أن أهالى الإسكندرية بما تعودوا عليه من تدخل فى الثورات التى كانت تقوم فى القصر الملكى كانوا يعتبرون الملكية المصرية فى نظرهم وظيفة لا يمكن التصرف فيها إلا بموافقتهم . وعلى أية حال كانت الإسكندرية وقتئذ منشقة على نفسها فريقين أحدهما كان هواه مع « كليوباترا الثانية » وابنها ، والفريق الآخر كان مواليا لمليكهم القديم « ايرجيتيس » ويتحرق شوقاً لإعادته إلى عرش البلاد المصرية . وعلى الرغم من أن أعظم سكان الإسكندرية ذكاء وثقافة كانوا لا يرغبون فى عودة « ايرجيتيس الثانى » ملكاً عليهم فان « كليوباترا » لم تفد من ذلك باتباع سبيل المهادنة معهم بل هاجمتهم وانتهى الأمر باتساع شقة الخلاف بينها وبين عظماء رجالات الإسكندرية . وفى غمرة هذه الحوادث نجد فضلا عن ذلك أن الطبقة الدنيا من شعب الإسكندرية كانت قد نسيت ما كان عليه « ايرجيتيس الثانى » من استبداد تجاه شعبه ، وما كان يبديه من خضوع واستسلام للرومان . والواقع أن كل ما كان قد بقى فى أذهان جماهير الإسكندرية هو أنه قد تربع على عرش ملك مصر فيما سبق بثورة سياسية ، وعلى ذلك فان إعادته ثانية على عرش مصر تعتبر فرصة لإظهار ما لهم من قوة وإرادة وذلك على نقيض ما كان يفكر فيه المخادعون الذين يدعون حقوقاً شرعية على ملك مصر .

ميل كليوباترا لليهود ساعد على عودة ايرجيتيس الثانى للملك:

وقد زاد فى اشتداد سوء الحال بالنسبة للملكة « كليوباترا » وابنها أنها قد أعلنت جهاراً مساعدتها وميولها لحزب اليهود الذى كان مكروهاً ممقوتاً مرذولا فى طول البلاد وعرضها ، وبخاصة فى الإسكندرية ، فقد كانت هذه الفئة الضالة التى لا وطن لها تسعى إلى نيل كل الحقوق المدنية التى كان يتمتع بها أهالى الإسكندرية وحدهم . ولقد كان ميل « كليوباترا » شديداً لليهود لدرجة أنهم كانوا يمثلون فى البلاط بقائدين للجنود فى الجيش المصرى وهما « أونياس» و« دوسيتى » (Dosithe) وقد تحدثنا عنهما فيما سبق[1]. ويحدثنا « جوسيفوس » بأنه كانت هناك بداية حرب أهلية ، وأن هذين القائدين قد أدارا هذه الحرب التى انتهت بهزيمة الثوار . وكذلك أخبر « أونياس » باقتراب « ايرجيتيس الثانى » ، غير أن « جوسيفوس » لم يذكر قط « إيرجيتيس الثانى » الذى كان قد غادر « سيرينى » ليخلع « بطليموس نيوس فيلوباتور » من عرش الملك . وقد عمل « إيرجيتيس » على دخول الإسكندرية بجيش صغير وأعلن حرباً على المغتصب .

أما المؤرخ جوستن[2] فلم يحدثنا فى تلك الفترة إلا عن وفد ذهب من الإسكندرية إلى « سيرينى » ليقدم تاج مصر إلى « ايرجيتيس » وكذلك ليقدم له يد « كليوباترا » . ويقال أنه دخل الإسكندرية دون حرب واستولى على عرش أخيه .

تدخل الرومان لمساعدة ايرجيتيس الثانى :

وتدل شواهد الأحوال على أن « روما » كان لها ضلع فى هذه المؤامرة ؛

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٤ ص ٧٦١ — ٧٦٣ .

(٢) راجع Justin XXXVIII, 8, 2.

لأنه لم يكن من باب الصدفة أن الشريف الرومانى « لوسيوس منيوسيوس » (Lucius Minucius) الذى كان دائماً فى جانب « ايرجيتيس الثانى » كان موجوداً فى الإسكندرية فى تلك الأيام بالذات ، ومما سبق يتضح أن كلا من المؤرخين سالفى الذكر يخالف الواحد منهما الآخر . ولكن إذا فرضنا أن كلا منهما قد قص علينا بعض الحقيقة — وقصتاهما فى ظاهرهما متناقضتان — فانه من السهل — على أية حال — التوفيق بين رأييهما . فالمؤرخ « جوستن » يقول أن ابن « فيلومتور » قد نصب فعلا ملكاً ، وذلك بوساطة أمه وكذلك بوساطة عظماء الإسكندرية ، أى أن الذين نصبوا الملك الجديد هم أشراف المقدونيين . أما المؤرخ « جوسيفوس » الذى كان دائماً يهتم بأمر اليهود أهله فقد عزا أمر قيادة حزب « كليوباترا » إلى اليهود وقد كان هؤلاء يناصرون الحزب الشرعى فى البلاد ، ومن أجل ذلك كان يمجد الملكة وابنها الذى على عرش البلاد . وعلى الرغم من أن الملك هو صاحب الحق الشرعى فى العرش إلا أننا نلحظ أن « جوسيفوس » قد اشتط فى معاضدته .

أما « ايرجيتيس » فانه — من جهة — كان مرشح حزب الشعب الذى كان يمقت الأرستقراطية كما كان فى الوقت نفسه يكن البغض الدفين لليهود ، هذا إلى أنه كان مندفعاً بوازع الوطنية لضم شمل المملكة المصرية التى كانت موزعة وقتئذ بين ملكين متخاصمين . ومن أجل ذلك أسرع الشعب الإسكندرى إلى إستدعاء ملك « سيرينى » إلى الإسكندرية لتولى العرش . على أن ذلك لم يكن المقصود منه طرد الملك الصغير من الحكم جملة بل كان فى امكانه أن يشترك مع عمه فى الملك ، أو على الأقل يكون الوارث للعرش من بعده . وعلى أية حال فان زواج « إيرجيتيس » من أرملة أخيه « فيلومتور » قد حفظ حقوق الملكة أم الملك الصغير وكذلك حقوق إبنها . ولا نزاع فى أن مثل هذه الحلول كانت قد سبق أن أفلحت فى «مقدونيا» فى حالات أخرى مثل

زواج « أنتيجونوس دوسون » من أرملة « ديمتريوس » بوصفه مربى « فليب الخامس » ملك مقدونيا[1] .

سياسة روما تجاه مصر فى تلك الفترة :

وعلى أية حال تدل الشواهد على أنه لم يكن هناك ما يدل أبداً على وقوع حرب بين الحزبين المتخاصمين ، وبخاصة عند ما نعلم أن « روما » كانت ترقب سير الحوادث عن كثب ، وأرسلت من تدخل للتوفيق فى إصلاح ذات البين قبل وصول « إيرجيتيس الثانى » إلى الإسكندرية . ولا غرابة فى ذلك فقد كانت قوة « روما » يشار إليها وقتئذ بالبنان ، وبخاصة أنها كانت قد تخلصت فى تلك الفترة من كل ما كان يشغل بالها من جهة «قرطاجنة» بما أحرزته من انتصارات حربية حاسمة عليها ، وكذلك فضت ما كان بينها وبين الحلف الآخى من مخاصمة ونزاع . ومن ثم أخذت « روما » من جديد تتفرغ لشؤون مصر وما كان يدور فيها من منازعات أسرية . والظاهر أن سياسة « روما » فى تلك الفترة بالنسبة لمصر كانت ترمى إلى فصل « سرنيقا » عن أملاك الدولة المصرية . غير أن « ايرجيتيس الثانى » كان له فى « روما » موالون يعاضدونه بكل ما لديهم من نفوذ وقوة . وكان فى وسعهم أن يقدموا حججاً تقوض ما يرغب فيه « نيوس فيلوباتور » وأمه ، وبخاصة أن « فيلومتور » لم يخضع لأوامر « روما » فيما سبق وتمادى فى ذلك دون أن تنزل به أى عقاب . ومن أجل ذلك لم يجد معضدو «ايرجيتيس» فى « روما » أى حرج فى إعادة جمع شمل ممتلكات مصر من جديد لصالح رجل كان دائماً يعمل عميلا « لروما » ، لا سيما أنه أصبح الآن مكروهاً من أهل البلاد ولا يمكنه

---

(١) راجع B. L. I. P. 280.

المقاومة دون أن تشد « روما » عضده . وفضلا عن ذلك رأى الرومان أن يدعوا — لأجل تغطية موقفهم وما يرغبون فيه — بأنه لا مأرب لهم ولا غرض إلا العمل على الصلح بين الحزبين المتخاصمين .

الحكم المزدوج فى مصر :

وقد وعد « ايرجيتيس الثانى » نزولا على تنفيذ سياسة « روما » بأن يكون خير عون للملك الصغير[1] وأنه فضلا عن ذلك غير مغرض . والواقع أن « ايرجيتيس » قد أظهر الرضى التام عن كل ما طلب إليه ، بالرغم من أنه فى قرارة نفسه كان يظهر غير ما يبطن ، إذ كان قد وطد العزم على عدم التمسك بأية ارتباطات من جهة الملك الصغير . وعلى هذا عاد « ايرجيتيس » إلى الإسكندرية التى طرد منها فيما مضى وهو يضمر فى نفسه مشاريع تنطوى على الغدر والخبث والشر الدفين ، والواقع أنه إنما كان يخشى حزب أشراف الإسكندرية وكذلك الطائفة اليهودية التى كانت تنظر إلى عودته للملك نظرة الخائف المتوجس شراً .

بطليموس السابع لا يعترف بحكم بطليموس السادس منذ عام ١٧٠ ق.م — قتل الملك الصغير :

ولم يكد يتولى زمام الحكم فى البلاد حتى بادر الشعب بعدم اعترافه بأن أحداً قد خلفه على عرش ملك مصر وممتلكاتها منذ أن طرد من البلاد فى عام ١٧٠ ق . م . وهو العام الذى نصبه فيه الشعب ملكاً على البلاد مؤيداً له ومناصراً . ويقول المؤرخ « جوستين » أن « ايرجيتيس » بدأ انتقامه بأن أعمل السيف فى حزب الملك الصغير ابن أخيه . ومن الجائز أنه استفتح انتقامه

---

(١) وقد كان أول عمل قام به أن قتل «بطليموس نيوس» فى نفس الليلة التى تزوج فيها من « كليوباترا الثانية » .

بعد قتل الملك بالهجوم على الأشراف الذين كانوا يناصرون الملك « نيوس فيلوباتور » المقتول ويرون أحقيته فى تولى الملك بدلا منه . وفضلا عن ذلك فانه لا بد قد صب سخطه وعذابه على طائفة اليهود التى كانت تميل كل الميل إلى « كليوباترا » وابنها « نيوس فيلوباتور » .

انتقام ايرجيتيس من اليهود وأعدائه :

على أن ما ألحقه « إيرجيتيس » باليهود من تنكيل وتعذيب وتشريد قد كان يقوم به وهو يعلم أنه بذلك يدخل السرور والفرح والبهجة على الشعب المصرى وبخاصة أهالى الإسكندرية الذين كانوا يبغضون اليهود أشد البغض . ولا بد أن نلحظ هنا ما قام به « ايرجيتيس الثانى » من الأعمال الوحشية كتنفيذ حكم الإعدام فى عدد كبير من أعدائه أو نفيهم أو الاستيلاء على أملاكهم ، هذا فضلا عن المذابح التى كانت تحدث فى الشوارع ، وكذلك ظهور النقص فى عدد سكان الإسكندرية بما كان يرتكبه جنوده من جرائم بشعة شنيعة ، وقد قدم لنا المؤرخون كل ذلك فى صورة رهيبة ؛ ولا بد أن كل ذلك لم يكن قد حدث فى فترة واحدة ، بل لا بد أن كل هذه الجرائم كانت قد ارتكبت فى فترات متعددة طوال مدة حكمه الطويل الذى كان غنياً بأمثال هذه الفجائع المحزنة الفظيعة . وعلى أية حال فان المؤرخ « جوستن » قد صور لنا الإسكندرية منذ السنين الأولى من حكم « ايرجيتيس الثانى » بأن سكانها قد نقصوا بصورة محسة بسبب ما حل بأهلها من تقتيل وتعذيب ونفى وهجرة ، وبعد ذلك أخذ يسكنها أجانب[1].

---

(١) راجع Justin, XXXVIII, 8, 7.

العلماء يفرون من الاسكندرية خوفاً من اضطهاد ايرجيتيس الثانى :

هذا وقد قيل عن هذه الفترة — ولكن بصورة يشتم منها رائحة المبالغة — أن علماء « المزيون » قد هجروا الإسكندرية فى تلك الفترة . حقاً قد يكون من الجائز أن بعض هؤلاء العلماء قد نزحوا من البلاد ، ولكن لم ينزحوا جميعهم منها — كما قيل — دفعة واحدة . ويحدثنا فى هذا الصدد المؤرخ « أثنا » الذى نقل قوله عن عالمين عظيمين وهما « منكليز » (Menecles) البرقى و« أندروت» الإسكندرى ، أن عملية الاضطهاد ، كان أثرها فى العهد الرومانى كالأثر الذى وقع فيما بعد عند ما استولى الترك على «القسطنطينية» عام ١٤٧١ م وهو العهد الذى شتت فيه شمل علماء النحو والفلسفة والهندسة والموسيقى والرسم ثم المعلمين والأطباء وجم غفير غيرهم من المفتنين وأصحاب الحرف . وهؤلاء العلماء قد صاروا فى حالة فقر مدقع فى عهد « إيرجيتيس الثانى » لدرجة أنهم أصبحوا يعلمون ما فى صدورهم من علم مقابل الحصول على لقمة العيش التى تحفظ كيانهم . ولا نزاع فى أن هؤلاء كانوا يؤلفون مجموعة من أعلام العلم والمعرفة الذين حرمتهم الإسكندرية المكث فى مهد العلم والعرفان فى تلك الفترة من تاريخ البشرية .

أهم العلماء الذين عاصروا ايرجيتيس

ونخص بالذكر من هؤلاء العلماء الذين هجروا الإسكندرية — العالم النحوى « أرستاركوس » (Aristarchus) ، وقد كان مربى « بطليموس إبيفانس » و« بطليموس ايرجيتيس » البطين نفسه . وهذا العالم كان قد تلقى علومه فى الإسكندرية فى مدرسة « أريستوفانيس » البيزنطى ، وبعد ذلك أسس مدرسة للأجرومية للنقد كان لها شهرة عظيمة لمدة طويلة فى الإسكندرية أولا وبعد ذلك فى « روما » . وعلى أية حال فانه هجر الإسكندرية

بسبب سوء المعاملة التى لاقاها هو والفلاسفة الذين كانوا معه على يد « ايرجيتيس الثانى » الذى كان يلقب بالبطين. وقد ولى وجهته شطر «قبرص» حيث مات هناك وهو فى الثانية والسبعين من عمره عام ١٤٤ ق. م. وكان أكبر علماء عصره فى النحو والنقد حتى أنه كان يلقب بأمير النحاة وقد كان أول من فسر شعر « هومر » فى نسخة صحيحة لم يسبق إليها[1].

الثورات فى عهد ايرجيتيس :

حدثت عدة ثورات فى الإسكندرية قام بها الأهالى من غير الموالين للملك « ايرجيتيس الثانى » الذى قام بقمعها بسفك الدماء ، وكلما إزدادت تلك الثورات اشتد هذا الطاغية فى اخماد نارها بكل ما لديه من قوة وبطش ، وقد استمر على هذا المنوال إلى أن أصبحت البلاد فى سلام ، غير أنه لم يتأت له ذلك إلا بعد أن طهر البلاد من سكانها الهيلانستيكيين الذين كانوا حرباً عليه وسنرى فيما بعد أن ما ارتكبه من جرائم قد ولد — بطبيعة الحال — الكره والحقد والضغينة عليه . ومن أجل ذلك كان الأهالى لا ينفكون ينفجرون من وقت لآخر بثورات جديدة ؛ وكان هو بدوره يعمل السيف فى رقابهم دون مراعاة أية شفقة أو رحمة . هذا ويلحظ أنه بعد أن هدأت الأحوال أخذ يتتبع أثر الرجال البارزين الذين كانوا موضع ثقة عند « فيلومتور »، وكان ذلك تحت ستار أسباب مختلفة . فمن بين هؤلاء « أثامانيس جالاتيس » (Athamanes Galates) الذى كان قد عاد من « سوريا » من غير جيش ، فقد اتهمه بأنه سلم كل الجيش عن طيب خاطر لأعداء مصر وعلى أثر تجريده من كل شىء التجأ الأخير إلى بلاد الإغريق حيث انضم إليه عدد من المحكوم عليهم بالنفى .

(١) راجع A Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology I, P. 290.

ومن الغريب أن « إيرجيتيس » قد قام بهذه الاضطهادات وبخاصة العلماء مع أنه كان أديباً فقد كتب مؤلفاً عن ذكريات منوعة ، منها ما دونه عن خرافات عمه « أنتيوكوس إبيفانس » .

انفراد ايرجيتيس الثانى البطين بالحكم والصراع بينه وبين كليوباترا الثانية

وصف بطليموس السابع :

تحدثنا كل المصادر القديمة بأن « بطليموس السابع » كان ملكاً جائراً فظاً غليظ القلب جعل الناس ينفضون من حوله . والواقع أنه كان مجرداً من كل عاطفة إنسانية حقة ؛ هذا فضلا عن أنه كان قبيح الوجه منتفخ الجسم بطيناً يثير شكله الضحك ويوحى بالسخرية ؛ ومن أجل ذلك أطلق عليه سكان الإسكندرية –الذين كانت لا تخطئهم النكتة– لقب البطين. ولا نزاع فى أن بدانته وترهل جسمه كانا يفوقان حد المألوف بدرجة عظيمة فقد . حدثنا « بوزيدونيوس » عن ضخامة جسمه نقلا عن لسان معلمه « باناتيوس » (Panae tius) الذى رآه فى الإسكندرية[1] . ومما زاد فى قبح منظره ما حدثنا به « جوستن »[2] المؤرخ إذ يقول أنه كان يرتدى ثوباً شفيفاً ينم عن كل تفاصيل جسمه المنتفخ مما زاد فى قبحه وسماجته .

قتل الملك الصغير وزواج بطليموس السابع من كليوباترا الثانية :

وهذا العاهل على قبح خلقه – رأيناه بعد دخوله الإسكندرية يكشف عما كانت تنطوى عليه نفسه من آثام وشرور ، فقد أكد لنا المؤرخ « جوستن »

(١) راجع Athen. XII 549c.

(٢) راجع Justin, XXXII, 8, 4.

أنه فى نفس اليوم الذى أقام فيه الاحتفال بزواجه من « كليوباترا » ذبح ابن أخيه « نيوس فيلوباتور » وهو بين ذراعى والدته « كليوباترا » ؛ ولكن الأدهش من ذلك أن هذه المرأة كان عليها أن تلقى بنفسها فى أحضان القاتل فى سريرها وهو ملطخ بدم ابنها ولا غرابة فى ذلك للمطلع على تاريخ البطالمة فهذا الحادث يذكرنا بحادث مماثل لهذا الذى نحن بصدده وأعنى بذلك قتل « بطليموس » « كرانيوس بن أرسنوى فيلادلف » وقد تحدثنا عن هذا الحادث فى الجزء الرابع عشر من مصر القديمة (ص ٣٥٥ — ٣٦٠) ولكن مع الفارق أن « أرسنوى » عند ما علمت بجريمة زوجها فرت هاربة إلى « ساموتراس » . ولا نزاع فى أن استسلام « كليوباترا الثانية » لهذا الحادث البشع قد أثار فى النفوس عدم الثقة فى هذا الرجل وخيانته بما لم يمكن مقاومته مهما كانت الأسباب ، حتى أن الزواج الذى كانت قد عقدت أواصره بين « بطليموس البطين » و « كليوباترا » لم يكن إلا زواجاً دون معاشرة جنسية كما يقول المؤرخ « مهفى » ، لأن موقف الأم كان يدعو إلى الدهشة ، بل يوحى بأنها كانت قد سلبت كل شعور إنسانى ، إذا كان هذا قد وقع فعلا على مرأى منها .

وعلى أية حال فان الزواج كان قد حدث فعلا ، وأن الابن وريث « فيلومتور » قد مات بعد ذلك مباشرة . وذلك فى أحوال يحتمل أن تبقى غامضة لدرجة ما مما ترك مجالا للخيال يلعب دوره عن سبب اختفاء هذا الأمير أو عن الفرد الذى ارتكب هذه الجريمة بصورة خاطفة . والواقع أن الجرائم التى ارتكبها « ايرجيتيس الثانى » فيما بعد تقشع عن عيوننا ظلمات هذا الشك ، إذ علم الناس ما كان يجرى وراء جدران القصر الملكى من آثام وجرائم لا حصر لها . وقد كان هذا الحادث مقدمة لجريمة أبشع وأشنع كما سنرى بعد .

وعلى أية حال فان أخلاق « كليوباترا الثانية » التى عرفت بها من قبل لا تدع مجالا للظن بأنها استسلمت لهذا الطاغية كأنها فريسة لا حراك فيها فى أحضان رجل مفترس أثيم . والواقع أنها قد وافقت على هذا الزواج لأنها كانت واقعة تحت تأثير شهوة الحكم لا لأن تكون زوج قاتل إبنها دون ريب أو شك .

بطليموس السابع يذهب الى « منف » ليتوج فيها

بعد أن استتب الأمر «لايرجيتيس» وأصبح آمناً على عرشه أوبعبارة أخرى عند ما اعتقد أنه عاقب أهل الإسكندرية بما رأى فيه الكفاية للانتقام من أعدائه فى خلال عام ١٤٤ ق . م ، أراد أن يستعطف الشعب المصرى الأصيل ، ومن ثم ولى وجهه شطر « منف » ليتوج نفسه على حسب الشعائر المصرية القديمة إرضاء للكهنة والمصريين معاً .

ولادة بطليموس المنفى ابن بطليموس السابع :

وفى خلال إقامة الشعائر والأحفال الخاصة بعيد التتويج ، رزق مولوداً ذكراً أسماه — تيمناً وإرضاء للمصريين — « المنفى » نسبة إلى « منف » التى ولد فيها ، فكانت صدفة سعيدة .

ومما يؤسف له جد الأسف أن هذا الأمير الجديد الذى كان ضحية فى المستقبل ضحى به والده ارضاء لشهوة الحكم ؛ وقد أقيمت بمناسبة ولادة هذا الأمير الأفراح ، وكان من جرائها الحكم بالإعدام على أفراد آخرين من جديد ممن حضروا الحفل . وآية ذلك أنه كان فى حاشية الملك بعض رجال من أهالى « سيرينى » كانوا قد حضروا معه إلى مصر من هذه البلدة ، وذلك بسبب ما كانوا قد أدوا له من خدمات ولاخلاصهم وولائهم له . على أن هؤلاء كانوا قد تجرؤا — بما كان لهم من مكانة ودالة — على أن يعلنوا صراحة عدم

رضاهم عن تصرفات حظية الملك ، التى تدعى « إيرن » فى مثل هذه المناسبة المحترمة . غير أن الملك عند ما علم بهذا أمر باعدامهم فى الحال .

ولكننا نجد أن الملك أراد بعد ذلك أن يستغفر عن فعلته هذه فأصدر قرارات إنسانية بمثابة هبات لهذا التتويج البهيج . وكان غرضه إعادة الطمأنينة إلى نفوس أصحاب الأملاك الذين كانت ممتلكاتهم مهددة بالضياع ، وذلك على غرار ما يحدث عند خروج الناس من العهود التى سادها الاضطراب والفوضى [1] إذ يرون فى كل إحسان مهما قل مكرمة عظيمة .

على أن « كليوباترا » كانت قد ظنت أنها اشترت ما حصلت عليه بصورة أكيدة وهو اشتراكها فى الملك بما أدته من ثمن دفعته بكل ما عندها من قوة احتمال ومن سوء معاملة تفوق حد الوصف ، فانها مع ذلك لم تلبث أن استيقظت من غفلتها وثابت إلى رشدها . إذ ترى « ايرجيتيس » الرخو السمين من جهته قد بدأ — بعد أن صفا له الجو كما كان يظن — فى الإنغماس فى اللذات والشهوات كما يحب ويريد ، وفى الوقت نفسه أخذ يعمل على أن يشعر الشعب ومن حوله من رجال البلاط بأنه هو السيد المطاع . ويقال أن جل همه وقتئذ كان البحث عن ارتكاب جرائم ومخاز ؛ هذا إلى أنه كان من دواعى سروره وغبطته أن يحارب الرأى العام وتقاليده .

زواج بطليموس السابع من كليوباترا ابنة اخته :

وقد ضرب فى ذلك أرذل الأمثال وأوضعها . فقد كان كما نعلم متزوجاً من أخته «كليوباترا الثانية » . وقد كان هذا النوع من الزنا تبيحه له العادة التى كان يسير على نهجها ملوك مصر القدامى ، غير أن ذلك لم يكفه ، بل نجده

(١) راجع Pap. Turin., I. P. 9, 21 in the date of year XXVI (144 B.C.).

قد افترع إبنة زوجه وأخته « كليوباترا » ، وبعد ذلك تزوج منها وأصبحت تدعى « كليوباترا الثالثة » . وقد كان معنى هذا الاعتداء على ابنة زوجه أنه لفظ الأم ليتزوج من إبنتها (حوالى عام ١٤٣ ق . م[١]) . والظاهر أنه لم يحتفل بالزواج فى الإسكندرية على نطاق واسع ولكن بعد نهاية رحلة قام بها لقضاء شهر العسل فى « ادفو » حيث أهدى المعبد هناك للآله « حور » رب « ادفو » ، بعد بداية العمل فى وضع أساسه منذ ٩٥ عاما مضت ؛ وكان ذلك فى ١٨ مسرى من السنة الثامنة والعشرين من حكمه (٥ سبتمبر سنة ١٤٢ ق . م) وقد قدمت هناك الأضاحى وأقيمت الولائم والأفراح من كل نوع .

والواقع أن « ايرجيتيس » بزواجه من إبنة أخته قد بلغ النهاية التى ما بعدها نهاية فى الخروج على التقاليد والفجور السافر ، هذا فضلا عما كان عليه من وقاحة واستهتار مما أدى إلى فقدانه أية رابطة عطف تربط بينه وبين شعبه وذويه .

أما « كليوباترا الثانية » فاننا إذا رجعنا إلى الوراء ونظرنا فى ماضيها لوجدنا أنها كانت قد عملت كل ما فى طاقتها لتقضى على كل ما كان هناك من خلافات ومخاصمات بين أخويها « بطليموس فيلومتور » و « بطليموس إيرجيتيس الثانى » . ومنذ ذلك العهد كان الشعب الإسكندرى يعطف عليها ، ومن ثم فان محبة الشعب واشفاقه عليها قد ازدادت بالأحداث الأخيرة ، وأصبح لها منزلة مرموقة فى قلوب الإسكندريين . وعلى ذلك فان هجر « إيرجيتيس » لها بهذه الصورة المشينة كان السبب المباشر لقيام الثورة المقبلة ، وكان عليه أن يدافع عن نفسه ويقدم شريعة تعطيه حق النصر .

(١) راجع Justin, XXXVIII, 8, 5.

قيام الحكم الثلاثى فى مصر ونتائجه :

والواقع أن « ايرجيتيس » لم يكن فى مقدوره أن ينتزع من أخته « كليوباترا الثانية » لقب ملكة البلاد كما أراد ، وكذلك لم يستطع أن يغتصب منها حق الصدارة ليمنحه لابنتها زوجه الجديدة . ومن ثم نشأ نظام غريب فى بابه فى حكم أرض الكنانة وهو ذلك النظام الذى يتألف من ثالوث الملك . والمدهش أنه لم يكن يتألف من ملكين وملكة كما حدث فى عهد « فيلومتور » الذى كان يحكم فيه الأخوان والأخت ، بل فى الحالة التى نحن بصددها كانت تحكم البلاد بملك وملكتين . فكان يحكم : الملك والأخت الملكة وهى « كليوباترا الثانية » والملكة الزوجة وهى « كليوباترا الثالثة » . وكان جميعهم يدعون الآلهة « ايرجيتيس » (أى المحسنين) . وكان من الطبيعى فى هذه الحالة أن يتنبأ الإنسان بأن الطموح الممزوج بالغيرة لا بد أن يدب دبيبه بين الملكتين ومن ثم تولد التنافس بينهما ؛ وأن الذى يفيد منه هو الملك العاتى الذى كان يضارب الواحدة منهما بالأخرى ، ومن ثم كان يظهر ميله وحبه للتى يرى أنه من صالحه أن يكون فى جانبها . وذلك على حسب تيار الأحوال السياسية التى كانت وقتئذ تتغير وتتشكل على حسب أهوائه ونزعاته ومزاج الشعب الاسكندرى وميوله السياسية .

وقد برهنت الحوادث على أن هذا الانقلاب الذى أحدثه هذا الملك فى نظام الأسرة البطلمية قد أحيا نار الكراهية الدفينة التى كانت تضطرم فى نفوس سكان الاسكندرية للملك البطين من جديد . ومن جهة أخرى نلحظ أن آمال أولئك المهاجرين —الذين كانوا قد أفلتوا من إنتقامه عند ما رأوا سير الأحوال فى الإسكندرية — قد انتعشت ودب فى نفوسهم دبيب الأمل ، .

ظهور القائد «أتامانيس جالاتيس» والمدعى الجديد للملك :

ونرى أن هؤلاء المهاجرين التفوا حول قائد قديم كان صديقاً للملك «فيلومتور» الراحل؛ وهذا القائد هو «أتامانيس جالاتيس» السالف الذكر، وكان «إيرجيتيس» قد جرده من كل أمجاده وعامله معاملة سيئة مما جعله يضطر إلى الإلتجاء إلى بلاد الإغريق. وكان أول عمل قام به هذا القائد لهدم «إيرجيتيس» أنه نشر شائعة مؤداها أن الملك «فيلومتور» قد وكل إليه أمر آخر ذكر من نسله الشرعى وأمه هى الملكة «كليوباترا الثانية». وقد ضمن القائد إثبات حق هذا المدعى الجديد بشدة، واستعد فعلا لإحضاره إلى مصر، بعد أن يعمل على ما يكفل استيلاءه على تاج الملك[1]. وتدل الأحوال على أن الفرصة كانت مواتية لخلع «ايرجيتيس» هذا الملك الطاغية إذ كان الكل يجمع على مقته وبغضه؛ ومن ثم أصبح تحت رحمة الجنود المرتزقين الذين كانوا سنده الوحيد. غير أن هؤلاء بدورهم كانوا قد أظهروا له كل وقاحة وتمرد. يبرهن على ذلك أنه اتفق ذات يوم أن الخزينة الملكية كانت مفلسة، ولم يكن فى مقدورها صرف مرتبات هؤلاء الأجناد؛ وقد كان من جراء ذلك أن سمعت أصوات إحتجاجاتهم تدوى عالياً مهددة بسوء العاقبة لدرجة أن هؤلاء المرتزقين وعدوا بانضمامهم إلى القائد «جالاتيس» الذى كان يهدد بسقوط ملك «إيرجيتيس» ولكن فى هذا الموقف الحرج قام أحد الحكام العسكريين الذى يدعى «هيراكس» (Hierax) بتقديم المبلغ اللازم لصرف أجور الجنود. ومن ثم أوقف انفجار الثورة على الملك.

وعلى الرغم من تزعزع عرش «إيرجيتيس الثانى» فانه بقى مدة طويلة لم يصبه أذى. والواقع أننا لم نسمع أى شىء بعد عن الحركة التى قام بها

(١) راجع Diod., XXXIII, 20.

« جالاتيس » ولا عن المدعى الجديد لعرش البلاد الذى كان فى حيازته ومن المحتمل أن عدم نجاح مؤامرة هؤلاء المهاجرين هو قلة المال الذى يمكنهم من أن يشرعوا فى إشعال نار حرب أهلية . ومما يؤسف له أنه قد مرت بضع سنوات دون أن تمدنا المصادر التى بين أيدينا بأية حوادث فى هذا الصدد .

سير الأحوال فى سوريا :

والظاهر أن أنظار المؤرخين وقتئذ كانت قد تحولت نحو سير الأحوال فى « سوريا » حيث كانت الأحداث هناك قد أقضت مضجع « كليوباترا » كبرى بنات الملك «فيلومتور » فعانت من المصائب أكثر مما كانت تعانيه أختها « كليوباترا الثانية » فى مصر .

وتفسير ذلك أن زوج « كليوباترا تيا » الثانى وهو « ديمتريوس الثانى نيكاتور » كان قد قضى الست سنوات التى جاءت بعد انتصاره (عام ١٤٦ — ١٤٠ ق . م) فى محاربة رعاياه الذين فرض عليهم حقوق الفاتح المنتصر بكل قسوة ، وعلى الثائرين الذين كانوا يقفون فى وجه استبداده وعتوه . وقد كان من جراء ذلك أن رجلا يدعى « ديو دوتوس » وهو الذى كان يلقب « تريفون » (Tryphon) ، قد جاء ومعه إبن « اسكندر بالاس » و « كليوباترا تيا » من عند النباطيين وأعلنه ملكاً على « سوريا » عام ١٤٦ ق . م باسم الملك « أنتيوكوس السادس إبيفانس ديونيسوس » . وقد أصبحت سوريا منذ ذلك الحين مقسمة فريقين أحدهما معسكر « تريفون » والملك الجديد واتخذ « أنطاكية » مقراً له . وكان يعارض هذا الفريق فى فلسطين أمراء اليهود ، أما الفريق الآخر فكان على رأسه « ديمتريوس » الذى كان يسيطر على سائر البلاد وعلى « سليوس » الواقعة على نهر العاصى (الأرنت) ، وهى التى اتخذها « ديمتريوس » عاصمة لملكه مؤقتاً . وعلى أية حال لم تمض مدة طويلة حتى

تخلص « تريفون » من « أنتيوكوس السادس » (عام ١٤٣ — ١٤٢ ق . م) ليحكم هو مكانه . والظاهر أن هذا الملك الفتى كان قد توفى على أثر عملية جراحية[1] . ولا نزاع فى أن « تريفون » كان قد أخذ درساً عن « إيرجيتيس » الذى كان قد قدم تفسيراً مقبولا عن موت « بطليموس نيوس فيلوباتور » .

ديمتريوس ملك سوريا وغرامه بالأميرة روديجين ونتائجه :

وفى خلال تلك الفترة أحس « ديمتريوس » أنه بسبب هذه الاضطرابات قد تصبح أقاليمه التى فى الشرق عرضة للوقوع نهائياً فى يد البارثيين (ايران) ؛ ومن أجل ذلك قام بحملة على هؤلاء الغزاة لاسترداد « إيران » ، غير أن الحظ خانه هناك وهزم هزيمة منكرة ، وأخذ أسيراً . وقد عزاه — فى خلال مدة أسره — الحب الذى نشأ بينه وبين الأميرة « روديجين » إبنة الملك « مترادانيس » قاهره (١٣٨ — ١٣٧ ق . م) .

وعند ما كان « ديمتريوس » يمنى نفسه بالآمال فى العودة إلى ملكه الذى حرم منه ، وذلك بمساعدة ملك « بارثيا » ، وقد حاول الإفلات من أسره من وقت لآخر — نجد أن « أنتيوكوس » السيدى (أنتيوكوس السابع السيديّ) كان مستمراً فى محاربة « تريفون » . أما « كليوباترا تيا » التى كانت حبيسة مع إبنها وأطفالها فى مدينة « سليوس » فقد وهبته نفسها وعرش الملك عند ما علمت أن زوجها قد تزوج من الأميرة « روديجين » .

وبذلك حل « أنتيوكوس السابع » محل أخيه بوصفه ملكاً وزوجاً ، فكان بذلك بديلا لأخيه من غير إكراه . والواقع أنه كان يعد نفسه بمثابة حارس لكل ما كان سيسلمه يوماً ما إلى الملك الشرعى الأسير (١٣٩ — ١٣٨ ق . م) والظاهر أن « أنتيوكوس السابع » أخذ بعد ذلك يلتفت إلى « تريفون » ،

(١) راجع Liv., Epit., LV; Joseph A. Jud., XXIIX, 7, 1.

وبخاصة أنه كان وقتئذ قد أصبح مكروهاً فى « أنطاكية » ، هذا فضلا عن قيام خلاف بينه وبين اليهود ؛ وفوق كل ذلك كان مجلس الشيوخ الرومانى قد أظهر جفوته له وتغاضيه عنه ، وذلك على الرغم من تقربه منه ؛ ومن ثم ألقى بنفسه إلى التهلكة بما أظهره من قلة الحزم وعدم الروية. وفعلا أدت كل هذه الأسباب مجتمعة إلى أن « تريفون » هذا قد أسر ثم أعدم بعد أربعة أعوام من إغتصابه ملك سوريا (عام ١٣٨ ق . م) . أما « أنتيوكوس » فانه على الرغم مما أظهره من الميل إلى إعلان الحرب على « البارثيين » من أجل خلاص أخيه فانه لم يكن فى استطاعته القيام بهذه الحرب فى تلك الفترة ؛ إذ كان عليه قبل أن يقوم بهذا العمل الجبار أن يحول مجهوده نحو اليهود ويرقبهم عن كثب ، ثم يعلن عليهم الحرب فى اللحظة المناسبة ؛ أما اليهود فانهم على الرغم مما كان بينهم من مشاحنات وخلافات داخلية ، فانهم أفادوا من المنازعات الخارجية التى كان « أنتيوكوس » مشغولا بها لأجل أن يوطدوا استقلالهم الذاتى ؛ هذا وكان اليهود قد تعودوا الالتجاء إلى مجلس الشيوخ عند ما كانت تحل بهم كارثة أو تصيبهم مصيبة .

مجلس الشيوخ يرسل بعثاً إلى الشرق لتفقد أحواله يرأسه سبيون :

على أن مجلس شيوخ « روما » — الذى كان يعتبر المهيمن على سياسة العالم وقتئذ — أراد أن يقف على جلية الأحوال فى الشرق ، وذلك بعد أن وردت إليه أخبار متضاربة ؛ ومن أجل ذلك كلف بعثاً من عظماء رجاله ليأتى إليه بالمعلومات الصادقة حوالى عام ١٣٦ — ١٣٥ ق . م . وهذا البعث كأن يتألف من « سبيون أمليان » (Scepion Emelien) قاهر «قرطاجنة» وبصحبته « مؤميوس » الأخى والقنصل « ميتلوس » (Metellus) أخ « ميتلوس » المقدونى . وكان كل هؤلاء من الشخصيات الذين يحتلون مكانة

فى الصف الأول فى مجلس الشيوخ . وقد كانت مهمتهم تنحصر فى بحث أحوال الممالك المحالفة لروما . ولا بد أن نشير هنا إلى أن تاريخ هذا البعث كان موضع نقاش وجدال[1] .

البعث يبتدىء بزيارة مصر

وتدل الشواهد على أن هـــذا البعث الرومانى قد بدأ عمله بزيارة مصر . وقد وصف لنا بعض المؤرخين التناقض العجيب الذى ينطوى على سخرية لاذعة ؛ وأعنى بذلك التناقض الذى مثل فى الصورة التى وضعت لكل من « سبيوس » ، و « بطليموس البطين » فى كفتى الميزان ، وذلك عند ما تقابلا سوياً فى الإسكندرية . فقد ظهر البطل الرومانى الجمهورى بمظهر الرجل البسيط فى ملبسه والوقور فى أخلاقه ، ومعه صديقه الفيلسوف « بانيتيوس » (Panetios) وبعض الخدم الذين كانوا يرتدون ملابس محترمة تدل على ذوق سيدهم ، فى حين أن « بطليموس إيرجيتيس الثانى » قد ظهر بوجه سمج وجسم مثقل بالكسل ، تبدو عليه علامات الانهماك فى اللذات ، يجر ساقيه المتراخيتين ويبرز أمامه كرشه المنتفخ مما جعله يستحق دون جدال أن يطلق عليه لقب « البطين » . هذاونلحظ أنه عند ما رست السفينة التى كانت تقل البعث الرومانى سار « سبيوس » إلى الأمام وقد غطى رأسه بعباءته لأجل أن يحجب نفسه عن أنظار العامة ولكى يتفادى حب استطلاعهم ، غير أنه لم يلبث أن اضطر إلى استجابة طلب الشعب الذى كان يهرع لرؤياه وكشف عن وجهه وتابع سيره بين الهتافات المعبرة عن الاعتراف بالجميل .

(١) راجع Justin, XXVIII, 8, 8.

وصف زيارة البعث لمصر

أما « إيرجيتيس الثانى » فنراه وقد أسرع فى السير أمام ضيوفه . والواقع أن أهالى الإسكندرية قد فرحوا برؤيته وهو مرتد ثوباً خفيفاً يكاد يكون شفيفاً . وكان العرق يغمره وأنفاسه تتلاحق بسرعة كما كان يبذل مجهوداً جباراً للحاق برجال البعث الذين كانوا قد أرادوا أن يهزأوا منه عند ما رأوا أنه كان يجر ساقيه جراً فى شوارع الإسكندرية بسبب بدانته . وفى خلال سير الموكب مال « سبيوس » على زميله « بانيتيوس » وهمس فى أذنه قائلا : لقد أفاد فعلا أهالى الإسكندرية من زيارتنا إذ يرجع الفضل إلينا فى أنهم قد رأوا مليكهم يتنزه على قدميه .

ولقد كان من الطبيعى أن يستقبل « بطليموس » هؤلاء المبعوثين الرومان بكل أبهة وحفاوة وبكل ما لديه من جاه . والواقع أنه أقام لهم ولائم فاخرة ، كما أطلعهم على النفائس التى كانت تحتويها الخزانة الملكية ، وذلك أثناء جولاته معهم فى قصره . ومما يلفت النظر فى أخلاق المبعوثين الرومان أنهم كانوا يميزون بما جبلوا عليه من فضائل كريمة فلم يتناول واحد منهم مما قدم إليه من الطعام إلا ما كان ضروريا، هذا مع ترفعهم عن الأطعمة الغالية التى تدل على البذخ والاسراف ، زعماً منهم أنها تفسد الروح والجسم معاً . أما الثروات والنفائس التى كان الملك يعجب بها ويعرضها أمامهم ، فإنهم لم يأبهوا بها أبداً بل كانوا فى الواقع يغضون من أبصارهم عنها أثناء سيرهم فى جنبات القصر ، ولكن من جهة أخرى كانوا يقبلون على مشاهدة ما كان يستحق الالتفات فعلا . فمن ذلك أنهم فحصوا عن كثب موقع المدينة وأهمية

الفنار وخصائصه . وبعد ذلك نجد البعث يصعد فى النيل حتى مدينة « منف » الخالدة . وفى خلال تلك الرحلة لمسوا مقدار خصوبة أرض مصر وقدروها حق قدرها ، كما قدروا ما يسبغه فيضان النيل السنوى على البلاد من نفع ؛ وكذلك عرفوا عدد مدن مصر وما فيها من سكان يخطئهم العد ، كما عرفوا موقع مصر الحصين وأحوالها الممتازة التى تؤكد قيام إمبراطورية عظيمة وتضمن أمانها . وبعد أن رأوا —والدهشة تملأ نفوسهم— جموع السكان الفقراء وكذلك تخطيط الأماكن المصرية ، أجمعوا على أن هذه البلاد يمكن أن تصبح دولة قوية عظيمة إذا وضع على رأسها أسياد جديرون بتولى شؤونها .

مغادرة البعث مصر وتقريرهم عنها

وبعد أن انتهت جولة البعث فى أرض الكنانة غادروها قاصدين جزيرة « قبرص » ؛ ومن ثم ولوا وجوههم شطر « سوريا » . والآن لا يسعنا فى هذا المجال إلا أن نترك لرجال البلاغة والبيان العناية بنظم عقود المديح فى فضائل رجال هذا البعث الذين اكتفوا من الحياة بأكل ما يسد رمقهم ، ولم يغرهم ما عرض أمام أعينهم من النفائس والقناطير المقنطرة من الذهب . وعلى أية حال يمكن الإنسان أن يكون على يقين من أن رجال هذا البعث المتزنين قد دونوا ملاحظاتهم عن كل ما شاهدوه ، وأن التفاتهم لم يكن بأية حال من الأحوال يرمى إلى غرض حتى لا يفهم أنه كان شهوة أو رغبة شخصية . وقد حملوا معهم إلى « روما » الاعتقاد بأن بلاداً تزخر بالثراء مثل مصر لا يجب أن تفلت من يد الرومان ، أما من جهة النصيحة الطيبة التى أمكنهم أن يقدموها إلى « بطليموس » بسلوكهم هذا فلا نعلم لها من أثر فعال ، إذ الواقع

أن « إيرجيتيس » ظل يعيش بين ندمائه الذين كانوا يشاطرونه متعه الرخيصة ، وكذلك بين جنوده القدامى المدنسين ، هذا وقد كان مكروهاً من أهالى الإسكندرية أكثر مما كان فى سائر بلاد القطر . اذ أن رجال الدين الذين عرفوا فيه الغيرة على إقامة المعابد وكما أن الأهالى بوجه عام تعرف فيه ميله لتخفيف عبء السخرة عنهم ، ومن أجل هذا كانوا يميلون إليه بعض الميل .

زيارة البعث أتت بنتيجة عكسية

وما لا شك فيه أن زيارة السفراء الرومان لمصر لم تأت إلا بنتيجة عكسية وذلك أنها زادت فى غضب مدينة الإسكندرية التى جبلت من أول نشأتها على الكبرياء، فقد أحس الأهالى من هذه الزيارة أن ملكهم الطاغية كان يستند على مساعدة الأجنبى له . وقد انتهزت « كليوباترا الثانية » التى كان يحبها الشعب الإسكندرى هذه الفرصة وحركت النار التى كان وميضها متأججاً تحت الرماد ، وذلك للإنتقام لنفسها بما كانت تكنه من حقد دفين بين جوانحها لهذا العاتى الذى ارتكب معها أبشع جرائم القتل إن صح ذلك .

قيام ثورة فى البلاد وهرب إيرجيتيس إلى « قبرص »

وعلى هذا لم تلبث الثورة التى كانت منتظرة منذ زمن طويل أن اندلع لهيبها أخيراً عام ١٣١ — ١٣٠ ق . م . وعلى قدر ما يمكن أن نحكم به بما لدينا من تأريخ غير مؤكد فيما يخص هذه الحوادث المحزنة نفهم أن الملك البطين أراد أن يقضى على بوادر هذه الثورة ، وذلك بنشر الذعر والهلع فى نفوس سكان الإسكندرية . فمن ذلك ما قيل أنه ذات يوم أحاط ملعباً رياضياً

مكتظاً بالشباب وذلك بطائفة من رجال شرطته الذين ما لبثوا أن أشعلوا فيه النار وقضوا على الذين نجوا من الحريق بالقتل[1]. غير أن هذا العمل الأخير جعل الكيل يطفح والأمور تتأزم حتى بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين ولم يبق فى القوس منزع لدرجة أن الشعب الذى خرج عن شعوره صمم على حرق هذا الطاغية فى مقره واشعال النار فى قصره . غير أن « إيرجيتيس » كان قد أحس بالخطر ولم ينتظر حتى ساعة إنزال العقاب به . إذ نراه قد أفلت سراً مع زوجه الفتاة وأولادها وولد آخر كان قد رزق به من زوجه الأولى « كليوباترا الثانية » وهو الذى يسمى « المنفى » والذى كان لا يزال فتى ، وقدر له أن يكون بمثابة رهينة عنده . وقد علم بعد فرار « بطليموس إيرجيتيس» بمدة وجيزة أنه هرب إلى «قبرص»،وأنه جمع حوله هناك جيشاً من الجنود المرتزقين تمهيداً لعودته على رأس هذا الجيش إلى الإسكندرية . ولا بد أن نلحظ هنا أن ثورة الشعب الإسكندرى لم تهب على أسرة البطالمة بل كانت ثورته بالذات على « بطليموس إيرجيتيس الثانى » شخصياً ، وعلى ذلك فقد كان على الشعب أن يعلن سقوط هذا الملك الهارب . وفى الوقت نفسه يعترف بالملكة « كليوباترا الثانية » ملكة على مصر . غير أنهم أرادوا بعد ذلك أن يسيروا على نهج العادة المتبعة التى كانت تحتم وجود ذكر على عرش الملك ومن أجل ذلك أخذوا يبحثون فى الأسرة المالكة عن ذكر يمكن أن يقوم بدور الزوج للملكة « كليوباترا » سواء أكان ذلك حقيقة أم رمزاً على حسب قانون وراثة العرش . ومما يؤسف له أنه لم يوجد فرد تتوافر فيه الشروط المطلوبة . لأن أولاد « بطليموس السابع » الذين أنجبهم من « كليوباترا الثالثة »

(١) راجع Val. Max., IX, 2, Ex. 5.

لم يقبل الإسكندريون ترشيح واحد منهم للملك . ولكن كان هناك ممثل واحد ذكر من الأسرة جدير بأن يقوم بهذا الدور وهو بكر أولاد « بطليموس السابع » الذى أنجبه من زواج غير شرعى من امرأة تدعى « ايرن » . ومن المحتمل أنه هو الذى كان قد وكل إليه حكومة « سرنيقا » . هذا ولم يكن لدى أهالى الإسكندرية غير هذا المخرج .

بطليموس السابع يقتل ابنه انتقاماً من والدته كليوبترا الثانية

ولكن « بطليموس البطين » علم بالخبر وأفسد عليهم خطتهم بارتكاب جريمة جديدة وذلك أنه طلب إلى ابنه ملك « سرنيقا » أن يحضر عنده فى « قبرص » ، وعلى أثر وصوله إلى « قبرص » قضى على حياته . وعند ما سمع أهل الإسكندرية بهذا النبأ المفجع قاموا بتهشيم تماثيل « بطليموس السابع » تهشيما تاماً . وقد كان جواب هذا الملك اللعين أفظع وأنكى على هذه الإهانة التى إدعى أن « كليوباترا الثانية » هى المسئولة عنها . فقد قام فى الواقع بانتقام خسيس دنىء ماكر كالذى نسمع عن أمثاله فى الأساطير وبخاصة فى قصة « أوزير » و « ست » عند ما قطع الأخير جسم الأول ونثره فى أنحاء أرض الكنانة . وذلك أن « إيرجيتيس » أمر بقتل ابنه المنفى على مرأى منه ثم قطعه إرباً إرباً ثم وضع أشلاؤه فى صندوق أرسله إلى أمه « كليوباترا » زوجه وأم الطفل القتيل إلى الإسكندرية بمثابة هدية لها فى يوم عيد ميلادها[1] . وإذا كان هذا الحادث قد وقع فعلا على يد هذا البطين فان انشراحه قد كان يبدو بطبيعة الحال أكثر كمالا إذا كان قد أمكنه أن يقدم لحم ابنه وابنها طعاماً لها

---

(١) راجع Diod., XXX-XXXV

كما حدث فى الأسطورة التى تروى لنا قصة « أترى » (Atree) — ابن «بولبس» وملك « ميسينى » المشهورين — الذى كان يكره أخاه « تيست » (Thyeste) فانتقم منه أشنع انتقام يمكن تصوره ، وذلك أنه ذبح تانتال (Tantale) و « بليستين » (Plisthene) إبنا « تيست » وقدم لحمهما طعاماً لوالدهما فى وليمة . ولكن على أية حال نجد فى هذه القصة أن الجانى قد قتل بيد « اجيست » (Egisthe) وهو ابن آخر من أولاد « تيست » . والواقع أن غضب الشعب الإسكندرى وحنقه على « بطليموس البطين » قد بلغ أقصى مداه عند ما سمع بهذه الجريمة التى لا يمكن أن تجارى فى شناعتها وشدة هول وقعها فى نفوس الشعب .

والآن يتساءل الإنسان ماذا ستكون نتيجة الصراع الذى أصبح الآن بين أهالى العاصمة الذين لم يكن لديهم من القوة إلا ما ملكت أيديهم وحسب ، لا سيما بعد أن أصبح من المؤكد أن سائر أهالى القطر لا يهمهم أمر هذه المنازعات التى كانت بين الإسكندريين وبين هذا البطين العاتى الحانق الذى جمع فى « قبرص » أسطولا وجيشاً ليدخل بهما الإسكندرية كرة أخرى ويستولى على عرش الملك الذى طرد منه . والجواب على هذا السؤال ليس فى الإستطاعة تقديمه هنا لأن المصادر القديمة التى فى أيدينا لا تسعفنا قط . غير أن المؤرخ الكبير « بوشيه لكلرك » أجاب على هذا السؤال مستفهماً بدوره هل يجب علينا أن نتعرف على « إيرجيتيس الثانى البطين » بأنه هو « بطليموس الكبير » أو العجوز (أى بطليموس سوتر) الذى على حسب ما ورد فى قطعة من « ديدور » قد أرسل القائد « هيجيلوكوس » (Hegelachos) ليحارب الإسكندريين الذين كان يقودهم رجل يدعى « مارسياس » (Marsyas) ،

وأنه بعد أن هزم أهل الإسكندرية هزيمة منكرة أظهر كرماً وحسن معاملة لم تكن منتظرة لمناهضة « مارسياس »

وعلى أية حال يحدثنا « ديدور » أن « بطليموس البطين » أخذ فى تغيير اتجاهاته[١]، إذ بدأ يظهر بمظهر الإنسان بتهدئة غضب الأهالى عليه . وكذلك يتساءل « بوشيه لكلرك » هل يكون « هيجيلوكوس » هذا هو الموظف الذى يسمى «لوكوس» (Lochos) بن«كاليميديس» (Callimedes) الذى كان فى حمايته التجار الإغريق منذ استيلاء الملك « بطليموس » الإله المخلص (سوتر) على الإسكندرية وقد أقاموا له تمثالا فى « ديلوس » ؟[٢] والواقع أننا نعرف أن « لوكوس » هذا قد أصبح حاكماً حربياً على منطقة « طيبة » ويحمل ألقاباً تدل على عظم مكانته (راجع
CIG., 4896 A-B = Strack 103 (Obelisque of Philae.

انفراد كليوبترا بالملك

وعلى أية حال فان ما جمع من مصادر متفرقة عن هذه الفترة المظلمة يدل على أن « كليوباترا الثانية » قد انفردت بملك مصر باسم « كليوباترا فيلومتور سوتيرا » (= كليوباترا محبة أمها الآلهة المخلصة) . غير أنه لم يكن لها من ناصر غير أهالى الإسكندرية وغير جزء ضئيل من أرض الكنانة، إذ يبدو أن أهالى مدينة « طيبة » قد اعترفوا بها ملكة على غرار ما فعله أهل الإسكندرية

ومما لا شك فيه أن هذه الحركة التى قامت على « ايرجيتيس » فى « طيبة »

---

(١) راجع .Diod., XXXIV-V, 20 والواقع أن « بطليموس سوتر » الذى نسب إليه هذا هذا الحادث لم يعرف عنه أبداً أنه دخل الاسكندرية فاتحاً والمحتمل أن هذه هفوة قلم .

(٢) راجع B.L. II. P. 74.

وجعلتها تناصر « كليوباترا » كان سببها غياب حامية هذه المدينة وانهماكها في اخماد عصيان فلاحي بلدة « أرمنت » الواقعة على الضفة الأخرى من النيل . وقد أخمد هذا العصيان فعلا في مهده على يد الجيش الذي بقي على ولائه للملك « إيرجيتيس الثاني البطين » . هذا ولدينا رسالة تحدثنا عن هذا العصيان مؤرخة بالثالث والعشرين من شهر كيهك من العام الخمسين من عهد « بطليموس إيرجيتيس الثاني » (= ١٤ يناير سنة ١٣٠ ق . م) . كتب هذه الرسالة جندي يدعى « استالداس » (Esthaldas)[1] كان عليه أن يذهب لينضم إلى فرقة حرس المقدمة في « أرمنت » . وكان قد وصل إلى مسامع هذا الجندي أن الحاكم الحربي لمقاطعة « طيبة » المسمى « باوس » سيقود — إلى « أرمنت » في الشهر القادم (طوبة) — قوة كافية لقمع عصيان أهالي « أرمنت » ومعاملتهم معاملة الخارجين على السلطة الشرعية في البلاد .

ثور طيبة على بطليموس السابع

هذا وحوالي شهر أكتوبر عام ١٣٠ ق . م خرجت مدينة « طيبة » على « إيرجيتيس الثاني البطين » ، ولكن حامية مدينة « قفط » وكذلك الجزء الأعظم من الجنود الذين كانوا تحت إمرة « باوس » الحاكم في هذه الجهة قد بقوا دائماً على ولائهم للملك « البطين » ولزوجه وأولاده .

وعلى أية حال لم تعرف المدة التي ظلت خلالها « طيبة » تقاوم « بطليموس البطين » . أما ثورة « أرمنت » فقد قضى عليها على أكثر تقدير في ربيع عام ١٢٩ ق . م ؛ ويظهر أن ثوار « طيبة » لم يلقوا سلاحهم في نفس الوقت .

---

(١) راجع Pap. du Louvre. Ap. Révillout Mélanges. P. 295.

على أنه لدينا بردية مؤرخة بالثامن من شهر كيهك عام ٤٣ من حكم « بطليموس البطين » (= ٩ يناير سنة ١٢٧ ق . م) وهذه الورقة تتحدث عن كهنة وكاهنات خاصين بعبادة الأسرة المالكة . ومن ثم على أية حال يمكن أن نأخذ بما استنبطه المؤرخ « ماير »[1] القائل بأن المناوشات استمرت قائمة فى « طيبة » ، غير أنه لا يستنبط من ذلك أن « البطين » لم يكن قد استولى فعلا على الإسكندرية من جديد .

الصلح بين كليوبترا وبطليموس السابع

والواقع أن حكم « كليوباترا الثانية » قد بدأ بوصفها ملكة منفردة على البلاد ثم إنتهى فى الإسكندرية لمدة قصيرة جداً إذ يظهر أنها قدمت خضوعها نهائياً فى خلال عام ١٢٩ ق . م لمجريات الأمور .

ولا نزاع فى أنه كان من الغريب بل من المدهش حقاً أن نرى « إيرجيتيس الثانى البطين » بعد دخوله الإسكندرية دخول الظافر المنتصر كما حدثنا بذلك المؤرخ « ديدور » أخذ يظهر لين جانب وحسن معاملة لم تكن متوقعة منه أبداً على حسب ما صوره لنا المؤرخون الذين قالوا عنه أنه كان محباً للانتقام فتاكاً بخصومه . ومن أجل ذلك نجد أن الإسكندريين قد ذهلوا لهذه المعاملة السمحة حتى أنه لم يكد أحد يصدق أنه مخلص فيما يظهره من تغير مفاجىء لم يكن فى الحسبان . أما من جهة « كليوباترا » فكان لديها من الأسباب الخاصة ما لا يجعلها تعتمد على سماحة « البطين » التى كانت فى ظاهرها الرحمة. وفى باطنها العذاب ؛ ومن أجل ذلك فرت إلى جوار زوج ابنتها

---

(١) راجع Beitr., Z. Alt. Gesch. II (1902), P. 477-79.

« ديمتريوس الثانى » ملك «سوريا» حاملة معها ما فى خزانتها من نقود ومتاع . وقد أمرت أن توضع كل ثروتها معها فى السفينة التى أقلعت بها إلى محبها الجديد . وكانت « كليوباترا » تأمل فى أن تجد فى«أنطاكية» ملجأ مأموناً كما كانت تأمل أن تجد هناك العون والنجدة التى كانت قد طلبتهما فى العام المنصرم ولكن دون جدوى[1].

(١) راجع Justin, XXXVIII, 9, 1.

الموقف السياسي والحرب في سوريا

عندما رأى ملك « بارثيا » أن « أنتيوكوس السابع سيدتيس » قد قام بحملة على بلاده لتخليص أخيه « ديمتريوس » من الأسر ، فطن لذلك وأطلق سراحه . وعلى أثر ذلك أتى « ديمتريوس » إلى بلاده ، غير أنه وجد نفسه فى موقف غريب حقاً . وتفسير ذلك أن الملك « فرات الثانى » (Phrate) ملك « بارثيا » كان يعتمد على ما عساه أن يحدث من إضطرابات بسبب المنافسة بين الأخوين على الملك . إذ الواقع أنه لم يكن هناك فى «سوريا» إلا عرش واحد وامرأة واحدة مشتركة بين الأخوين وذلك لأن « أنتيوكوس السابع » كان قد تزوج من « كليوباترا تيا » بعد وقوع أخيه فى الأسر وكانت فى الوقت نفسه لا تزال على ذمة أخيه الأسير . ولما كان « أنتيوكوس السابع » محبوباً من الشعب بقدر ما كان أخوه مكروهاً ، فانه من أجل ذلك لم يكن فى استطاعته أن ينزل لأخيه عن الملك حتى لو أراد ذلك . ولكن موت « أنتيوكوس السابع » على يد أهل « بارثيا » قد حل المشكل ، وعلى الرغم من ذلك فان هذا الحادث لم يجعل « ديمتريوس » يروق فى أعين الشعب ، بل الواقع أن الشعب قد زاد كرهه له فى تلك الآونة أكثر من قبل أسره . يضاف إلى ذلك أن زوجه التى أراد أن يعيد معاشرتها من جديد كانت تمقته ، وذلك لأنها كانت لا ترى فيه إلا زوج « روديجين » إبنة ملك « بارثيا » . هذا فضلا عن أنه كان يظهر أمام الشعب بمظهر المتكبر العاتى . ويلحظ أنه فى تلك الفترة كان قد أرخى لحيته على الطريقة الشرقية ومن ذلك يفهم أنه كان مرتداً عن الهيلانستيكية[1]. ولقد بلغ من كره الشعب

(١) راجع Justin XXXIX, 1, 3.

« لديمتريوس » بسبب سوء أخلاقه أن أصبحت دائرة حكمه محصورة فى قصره ؛ ومن ثم كانت الحروب الداخلية قاب قوسين أو أدنى ، وأنه بقيام هذه الفتنة يمكن طرده من البلاد . وتدل الأحوال على أن « كليوباترا تيا » كانت هى التى تدبر العدة بنفسها لهذه الحرب ، للخلاص من هذا الخائن لعهوده معها . وتفسير ذلك أنها قد آوت « سيزيك » (Cyzique) آخر ابن رزقته من « أنتيوكوس السابع » فى مكان أمين ليتولى عرش الملك فى اللحظة المناسبة وهو الذى عرف بعد توليه العرش « بأنتيوكوس التاسع » . وكان يطلق عليه لقب « سيزيك » . وقد كان هذا الأمير مؤهلا تماماً لتولى عرش الملك فقد كان حزب والده يعاضده ، وقد كان العزم على الأخذ بهذا الرأى فى حالة بقاء بكر أولادها وهو « سليوكوس » ومعه أخته « لأوديس » فى « بارثيا » كما كان له الحق فى الملك ويعاضده تماماً حزب والده .

كليوباترا الثانية تصل إلى انطاكية

غير أن وصول « كليوباترا الثانية » ملكة مصر إلى « أنطاكية » فى هذه اللحظة المشحونة بالمتاعب والعقبات والاضطرابات ما لبث أن حول سوء الحال إلى حالة أحسن ؛ إذ من المحتمل أن هذه الملكة قد عملت جل طاقتها لإصلاح ذات البين لتجعل الأمور تعود إلى مجاريها بين « كليوباترا تيا » ابنتها وبين زوجها ، وذلك بما يتفق مع خطتها التى رسمتها لنفسها وبما يتفق مع رأى « ديمتريوس » أن قيام حرب بينه وبين مصر يكون فيها خلاصه . وذلك لأن الجنود — الذين لم يجرؤ على جعلهم يزحفون على « جان هيركان »

«وأدوم» فى « فلسطين » خوفاً من أن يخونوه — كان من المحتمل أن يتبعوه عند ما يهيىء لهم فتح مصر وإطلاق أيديهم فى نهبها .

وصول ديمتريوس فى زحفه على مصر حتى « بلوز » وارتداده

وقد أفلحت « كليوباترا » فى الوصول إلى تنفيذ خطتها ؛ كما أفلح « ديمتريوس » فى الزحف بجيشه حتى « بلوز » ؛ غير أنه عند ما لاقى بعض المقاومة تخاذل جنوده الذين كانوا يعقدون الآمال ويبنون القصور فى خيالهم بما ينتظرهم من ثراء وفير دون عناء . وقد عصا الجنود أوامره[1] ومن ثم كان لزاماً عليه أن ينكص على عقبيه مذموماً مدحورا .

قيام ثورة فى أنطاكية

وقد زاد الطين بلة أنه فى خلال هذه الفترة اندلعت نار الثورة فى « أنطاكية » ، وحذت حذوها « أبامى » . وعلى أثر ذلك امتدت الثورة شيئاً فشيئاً إلى المدن الأخرى . ولم يمض طويل زمن حتى سمعنا أن الثوار اتصلوا بالملك « إيرجيتيس الثانى » يرجونه أن يرسل إليهم ملكاً يختاره هو على شريطة أن يكون من سلالة « السليوكيين »[2]. ولقد كان من أكبر دواعى سرور « إيرجيتيس الثانى » من المفاجآت السارة أن يسمع ويرى أنه يوجد ملك آخر فى العالم غيره مكروهاً من شعبه أكثر منه ، كما أنه اغتبط برؤية العاصفة التى كانت ستنقض عليه قد أخطأته وانقضت على رأس أعدائه .

---

(١) راجع Euseb. I. P. 254-258.

(٢) راجع Joseph. A. Jud., XIII, 9, 3.

مساعدة إيرجيتيس للثوار فى سوريا

وسرعان ما عمل « البطين » على إجابة طلب أهل « أنطاكية » ، غير أنه لما لم يجد فى متناوله أميراً من « السليوكيين » الحقيقيين فانه أرسل وريثاً للملك من صنع يديه . إذ اختار شاباً مصرياً إبن تاجر يدعى « بروتاركوس » (Protarchos). وهو على حسب مارواه المؤرخ « جوستن »(١) قد رشح بوصفه أنه إبن كان قد تبناه « أنتيوكوس السابع » . أما المؤرخ « يوزيب »(٢) فيقول أنه كان إبن « الإسكندر بالاس » . وعلى أية حال أطلق « بطليموس إيرجيتيس الثانى » على صنيعته إسم « الإسكندر » . وهذا الإسم يعيد للذاكرة اسم « الإسكندر بالاس » الذى رشحه للملك فيما مضى فى أحوال مشابهة « بطليموس فيلومتور » ، وقد جهزه بجيش جرار . وفعلا أبحر هذا المدعى الجديد قاصداً « أنطاكية » وعند وصوله رحب به الشعب . ولم يمض على توليه العرش مدة حتى صك نقوداً مثلت عليها صورته عام ١٢٨ ق . م . وعلى الرغم من تولى هذا الدعى عرش الملك ، فان الأحوال لم تستقر له إلا بعد ثلاث سنوات قضاها فى حرب مع مناهضه . وفى نهاية الأمر هزم « ديمتريوس » فى « دماس » ، كما هجرته « كليوباترا تيا » . فقد أوصدت أبواب « بطلمايس » فى وجهه بعد أن أتى إليها فاراً من ساحة القتال . وبعد ذلك نجده قد قتل فى مدينة « صيدا » بأمر من الحاكم هناك ، وذلك عند ما كان يحاول الإبحار ليلتجىء إلى معبد « ملقارت »(٣) (Melqart) عام ١٢٥ ق . م

---

(١) راجع Justin, XXXIX, 1, 4-5.

(٢) راجع Euseb., I. P. 257-8 schoene.

(٣) راجع Justin, XXXIX, 1, 8.

وبعد هذه الحروب نرى « الإسكندر الثانى » الذى لقب « زابيناس » (Zabinas) (أو العبد الذى اشتراه سيده من السوق) ، قد أصبح ملكاً على «سوريا» دون منازع . ولم يبق أمامه إلا إخضاع « فينيقيا » حيث كانت « كليوباترا تيا » لا تزال تحكم فيها باسم الأسرة الشرعية .

وتدل الأحوال أن الحظ قد ابتسم للملك « إيرجيتيس الثانى » أكثر مما كان يأمل عند ما أراد أن يحذو حذو أخيه « فيلومتور » ، وتفسير ذلك أن « الإسكندر زابيناس » ملك سوريا كان مثله كمثل « الإسكندر بالاس » قد أعتبر نفسه صنيعة ملك مصر . ومن المحتمل أن الملك « البطين » أراد أن يسير فى تقليده لأخيه حتى النهاية، فحاول أن يستغل خدماته للملك «سوريا» الجديد بأن يجعله ينزل له عن «سوريا الجوفاء» غير أن « الإسكندر زابيناس » لم ينزل على إرادة الملك « البطين » . وعندئذ رأى « بطليموس البطين » أن يفيد من سوء تقديره للأحوال التى كانت تجرى حوله ؛ ومن أجل ذلك وجد أنه من الخير له أن يعقد صلحاً مع أخته « كليوباترا الثانية » وعلى أثر ذلك ولت وجهها شطر الإسكندرية لتأخذ مكانها على عرش مصر فى الإسكندرية بوصفها الملكة الأخت بجوار ابنتها « كليوباترا الثالثة » الملكة الزوجة ، وذلك فى عام ١٢٤ ق . م[١] .

سياسه كليوباترا تيا فى سوريا بعد قتل أبيها

وهذا الصلح أو التراضى الرسمى كان من آثاره انقلاب فى مجرى السياسة المصرية . وذلك أن « بطليموس البطين » عرض وقتئذ على ابنة أخته

---

(١) راجع Justin, XXX, 2, 1-2.

« كليوباترا تيا » أن يعيد لها كل ملك « سوريا » وذلك بخلع « الإسكندر زابيناس » . على أن « كليوباترا تيا » لم تعد بعد بالمرأة المستسلمة الخاضعة التي تنتقل من يد إلى يد أخرى بحد السيف ، لأن مرارة تجارب الحياة وما قاسته من أهوال خلال حياتها التعسة قد جعلها تتحول إلى امرأة طموحة ومن ثم أرادت أن تكون هي الآمرة بعد أن سئمت الاستسلام(١)، ومن ثم قبلت عرض « إيرجيتيس الثاني » .

ونحن نعلم أنها خانت زوجها « ديمتريوس » ولم تعارض في قتله ، وبعد ذلك نجدها قد أمرت بقتل إبنها الأكبر « سليوكوس الخامس » الذي كان قد استولى على لقب ملك دون إذن منها عام ١٢٥ ق . م ، وفعلت فعلتها هذه لتعطى تاج الملك لابنها الثاني ابن « ديمتريوس الثاني » ، وقد سمى « أنتيوكوس الثامن » وهو الذي كان يلقب « جريبوس » (Grypos) (أي صاحب الأنف المعقوف) ؛ وكان قد وعدها الأخير بأن يكون طوع بنانها وأن يتركها تحكم البلاد بدلا منه . ويقول المؤرخ « أبيان »(٢)أن سبب قتلها لابنها « سليوكوس » الخامس كان لأحد أمرين ، أما لأنه كان يريد أن ينتقم منها لقتلها والده أو لأنها كانت ثائرة على الكل . وعلى أية حال فان ارتكاب مثل هذه الجرائم لم تكن تدعو الملك « البطين » لأن يبتعد عنها إذ أنها في الواقع كانت تسير على نهج إجرامه فكلاهما سفاك . . وعلى أثر توقيع المعاهدة بينها وبين « إيرجيتيس » بما عرضه عليها نجد أنه قد حافظ على عهده ووضع جيشاً تحت تصرف « أنتيوكوس الثامن » إبنها ؛ هذا فضلا عن أنه زوّجه من إبنته

---

(١) راجع Appien, Syr. 68.

(٢) راجع Appien, Syr. 69.

« كليوباترا تريفانا » (Tryphaena) وذلك ليبرهن لسكان البلاد أنه قد وطد العزم على ألا يتخلى عن مرشحه لملك « سوريا » .

والظاهر أن السوريين عند ما رأوا أن الحظ كله قد تحول إلى « أنتيوكوس جريبوس » أسرعوا إلى الانفضاض من حول « الإسكندر زابيناس » وتخلوا عن معاضدته ، وفعلا دارت عليه الدائرة فى أول واقعة التقى فيها مع عدوه . وقد حاول أن يقاوم فى « أنطاكية » ، غير أنه لما لم يكن لديه مال للاستمرار فى الحرب فقد عرج على خزائن المعابد فاستولى على ما فيها . وقد كان من جراء التعدى على حرمة المعابد أن هب القوم فى وجهه لانتهاك قدسية تلك المعابد . وقد كانت نتيجة ذلك أن فر « الإسكندر زابيناس » ؛ ولكنه وقع فى يد الناهبين الذين سلموه بدورهم « لأنتيوكوس الثامن » الذى أنهى الحروب الداخلية هذه بقتل مناهضه عام ١٢٣ ق.م. (راجع Justin, XXXIX, 2, 3-6.)

ومما تجدر ملاحظته هنا أنه منذ أن استتب الأمر فى «سوريا» لم نر « إيرجيتيس الثانى » — على ما يظهر — يهتم بأحوال هذه البلاد . ولا مراء فى أنه كان فى مقدوره أن يتتبع سير الأحوال فى «سوريا» بما فطر عليه من برود الرجل الخبير بالدسائس الإجرامية التى كانت قائمة هناك وهى التى أدت فى النهاية إلى إنزال العقاب الإلهى على « كليوباترا تيا » عام ١٢١ ق . م ، إذ لاقت حتفها بيدها هى .

موت كليوباترا تيا بالسم

وذلك أن هذه الملكة السفاكة الطموحة بعد أن ضحت بدم زوجها ومن بعده بدم إبنها ، أرادت — تلبية لإرضاء شهوة الحكم التى كانت تسيطر

عليها — أن تقضى على حياة إبنها « أنتيوكوس » (الأعقف الأنف) بدس السم له فى كأس قدمته له ، غير أنه كان قد علم بذلك من قبل ورفض تجرع الكاس ، وفى الحال أجبرها على أن تشربها وبذلك قضت نحبها بيدها[1] فكان جزاءاً وفاقاً .

والظاهر أن « بطليموس إيرجيتيس الثانى » — الذى كان قد أخذ يطعن فى السن — أمضى السنين السبع التى بقيت له من عمره فى تنظيم أحوال أسرته بعد أن تدخل سنين عدة فى شؤون «سوريا» دون نتيجة فعالة (١٢٣—١١٦ ق . م) كما أخذ يكفر عن سيئاته وما ارتكبه من آثام .

(١) راجع Justin, Ibid 7-8; Appien Syr. 69.

سياسة إيرجيتيس الثاني في الفترة الأخيرة من حياته

بطليموس السابع ينقلب إلى إنسان ويصدر القوانين العادلة

من المدهش حقاً أن ما وصل إلينا من المؤرخين القدامى عن الفترة الأخيرة من حياة «إيرجيتيس الثانى» يكاد يناقض تماماً ما عرفناه عنه فى خلال مدة حكمه الأولى ، فقد ظهرت لنا أخلاقه ومعاملاته للشعب فى ثوب جديد يدعو إلى الدهشة إذا ما قرن بأيام حكمه فى بادىء عهده . وتدل الأحوال على أن ضميره قد استيقظ بصورة جلية . فكان أول ما قام به أنه أخذ يلتفت إلى إدارة البلاد والسهر على راحة الشعب وتخفيف عبء الحياة عن المظلومين بين أفراده . ومن ثم أخذ يتقبل بصدر رحب شكاوى رعاياه وتظلماتهم كما أخذ يحميهم من تعسف الموظفين . ولا أدل على ذلك من التظلم الذى قدمه كهنة الآلهة «أزيس» صاحبة معبد الفيلة فقد قدموا ظلامة بأنهم أجبروا على القيام بتقديم كل لوازم الموظفين والأجناد الذين كانوا يمرون بهم أثناء تأدية أعمالهم ، ومن ثم أصبح هؤلاء الكهنة فى حالة خراب شامل من جراء ما إبتز منهم من أموال ظلما وعدواناً . وقد كانت هذه الحالة المحزنة ناشئة من الانقسام فى حكم البلاد أيام الاضطرابات التى وقعت بين هذا العاهل وبين «كليوباترا الثانية» . ومن أجل ذلك أصدر «إيرجيتيس» — حسما لكل المنازعات والشكاوى والتظلمات ، ولوضع الأمور فى نصابها — مرسوماً فى عام ١١٨ ق . م لتنظيم كل الأحوال فى طول البلاد وعرضها .

وهذا المرسوم صدر باسم الملوك الثلاثة (أى بطليموس إيرجيتيس الثانى وكليوباترا الثانية أخته وكليوباترا الثالثة زوجه) . ومن ثم نفهم أن المرأة قد بدأت تشترك فى حكم البلاد بصورة جدية منذ هذه الفترة من عهد البطالمة . وهذا المرسوم وصل إلينا مدوناً فى ورقة عثر عليها فى بلدة «أم البرجات» «تبتنيس» وقد نشرها العالمان «جرنفل» و «هنت» عام ١٩٠٢ ميلادية . وهذه البردية تعتبر من أهم الوثائق التى تضع أمامنا صورة واضحة عن سير الحكومة البيروقراطية فى عهد البطالمة المتأخر .

ويعتقد المؤرخ «بريسكه» (Preisicke) بحق أن هذا المرسوم يعد بمثابة اتفاق بين «كليوباترا الثانية» والملك «بطليموس البطين» . وسنرى أن «بطليموس» قد نزل عن أشياء كثيرة من حقوقه . ولا نزاع فى أن الارتباك الذى كان ضارباً أطنابه فى البلاد وقتئذ يرجع سببه بدرجة عظيمة إلى الهبات التى كانت قد أعطيت أيام الشقاق الذى كان سائداً بين الحكومتين المتناهضتين وأتباعهما ، وكانت تلك الهبات لم يصدق عليها إلا من حكومة واحدة . ومن ثم وجد أن كثيراً من الأهلين كانوا يملكون أراضى فعلا دون مستند أكيد معتمد يثبت ملكيتهم لهذه الأراضى ؛ يضاف إلى ذلك أن معابد مصرية كانت قد انحازت لإحدى الحكومتين وتسلمت منها هبات من الأراضى ، وكذلك امتيازات من الملك «إيرجيتيس الثانى» أو الملكة «كليوباترا الثانية» . كل ذلك كان لا بد من إعادة النظر فيه من جديد . وعلى أية حال كان الغرض الذى يرمى إليه المرسوم أن يضرب صفحاً عما حدث فى فترة الانشقاق وأن تعتبر الممتلكات الحالية فعلية من الوجهة القانونية الصحيحة . وعلى ذلك فانه كان لزاماً على الملكة «كليوباترا الثانية»

أن تعترف بالهبات التى وسبها « إيرجيتيس الثانى » لأتباعه أو بعبارة أخرى أعداء « كليوباترا الثانية » ، كما يجب على « إيرجيتيس الثانى » بدوره أن يعترف بالهبات التى وهبتها « كليوباترا الثانية » لأتباعها أى لأعداء « إيرجيتيس الثانى » ؛ وأن يأخذ كل من الطرفين على عاتقه بألا يتدخل فى شئون الآخر.

هذا ويلحظ أن هذه الوثيقة قد عنونت بعبارة عفو شامل . ولم يستثن من هذا العفو إلا القتلة وأولئك الذين خرقوا الحرمات المقدسة ؛ وكل الجرائم والأحكام الجنائية حتى ٩ برموده العام الثانى والخمسين من حكم الملك « إيرجيتيس الثانى » (= ٢٨ مارس عام ١١٨ ق . م) .

وهاك بعض ما جاء فى هذا المرسوم من مواد هامة :

أولا : إعلان عفو شامل لكل الجرائم التى أرتكبت فى البلاد قبل شهر برموده من العام الثانى والخمسين ، ولا يستثنى من ذلك إلا القتلة ولصوص المعابد .

ثانياً : الأفراد الذين اشتركوا فى النهب وهربوا بسبب ذلك سيسمح لهم إذا عادوا إلى وطنهم أن يزاولوا حياتهم التى كانوا عليها من قبل ذلك وما بقى من أملاكهم لا تستولى عليه الحكومة .

ثالثاً : يلغى كل المتأخر من الضرائب إلا فى حالة المزارعين الملكيين الذين يزرعون نصيبهم بمقتضى إيجار وراثى .

رابعاً : النزول عن ديون الحكومة التى كان قد فرضها الحاكم العسكرى فيما يتعلق بتوليهم الوظيفة ؛ (ومن المحتمل أن كل الموظفين أصحاب المكانة كان عليهم أن يدفعوا مبالغ ضخمة مقابل وظائفهم[١]) .

---

(١) راجع Grenfell and Hunt. Tebtunis I. P. 88.

خامساً : يجب أولا على محصلى العوائد فى الإسكندرية ألا يستولوا على البضائع التى كانت فى منطقة « إكزهايرسيس » (Exhairesis) (وهى التى يمكن أن تحضر إليها السلع دون ضريبة إلى المدينة) وأية بضاعة محرمة إستولى عليها فى « إكزهايرسيس » يجب أن تورد إلى إدارة السكرتير المالى ، ولن يكون المسافرون على الأقدام من المدينة إلى داخل البلاد عرضة لأى ضريبة يجمعها جباة العوائد ، باستثناء العوائد القانونية (يحتمل أن ذلك يعنى البضائع التى كانت تحمل على ظهور الحمير والجمال) ويجب أن تفحص بأيدى مراقبى الضرائب ، ولكن البضائع التى يحملها الإنسان على رأسه أو على ظهره أو فى يده من الأشياء التى توجد مع الفقراء فانه يسمح أن تمر دون أخذ ضريبة عليها . وعلى أية حال فان الأفراد الذين يسيرون على الأقدام عليهم أن يدفعوا عوائد عن الأشياء التى تنقل بالقوارب من شاطىء لآخر ، ولا يستولى على البضائع التى ترد مهربة إلا عند البوابة التى تؤدى من الميناء إلى المدينة (Xenixkon emporion) .

سادسا : فى مقدور كل أولئك الذين يملكون أراض فعلا وكانوا قد استولوا عليها بطريقة غير قانونية فى خلال الاضطرابات أن يضموها إلى ملكيتهم بأن ينزلوا أولا عن الأرض للملوكهم فيدفعون إيجار سنة من المحصول ، ثم يتسلمون الأرض ثانية من الملوك بوصفها هبة قانونية . هذا ولن يفرض عليهم غرامات عن السنين السابقة لسنة ٥٢ الحالية . كما يثبت الوطنيون المصريون الذين استولوا بصورة غير قانونية على أراضى من أراضى الجنود المرتزقة وتصبح هذه الأراضى ملكاً لهم .

سابعاً : تلغى بعض الخدمات التى كان على الجنود المرتزقة أن يفرضوها على أصحاب الأراضى الذين ذكروا فى الفقرة السابقة .

ثامناً : تثبت دخول المعابد الفعلية وتصبح ملكها ، وكذلك الأراضى التى تديرها المعابد بنفسها فانها تستمر فى إدارتها دون تدخل أى فرد (والواقع أن هذا مشروع وضعه الملك يجب بمقتضاه ألا يتدخل عماله فى أمور المعابد) .

تاسعاً : تلغى الضرائب المتأخرة على المعابد .

عاشراً : تدفع مصاريف دفن العجول المقدسة من الخزانة الملكية .

حادى عشر : تثبت ملكية وظائف الكهانة التى أشتريت من الحكومة

ثانى عشر : يثبت امتياز اللجوء لتلك المعابد التى تتمتع به .

ثالث عشر : يجب أن تفحص المخالفات فيما يخص المكاييل والموازين التى يستعملها محصلو دخل الحكومة النوعى .

رابع عشر : أولئك الذين يزرعون من جديد أرض الكروم أو أرض بساتين الفاكهة التى كانت قد أصبحت بوراً سيملكون هذه الأراضى دون ضرائب لمدة خمس سنوات ؛ أما فى السنين الثلاث التى تلى ذلك فيدفعون ضرائب مخففة . أما الأراضى التى تقع فى الإقليم المرتبط بالإسكندرية فان زارعيها يعطون ثلاثة أعوام أخرى دون ضريبة .

خامس عشر : تبقى الأراضى أو المنازل التى أشتريت من التاج ملكاً شرعياً للمشترين (ويظن المؤرخ « بريسكه » أن المقصود من هذه الفقرة هو

أن كلا من « إيرجيتيس » و« كليوباترا الثانية » قد اتفقا على تبادل الاعتراف فيما يخص العقود والمعاملات بين جيران كل منهما) .

هذا ويلحظ أن الأسطر التي أعقبت الفقرة السابقة قد وجدت مهشمة من أول السطر ١٠٢ حتى السطر ١٣٣ ولا يمكن استنباط شيء منها يمكن الأخذ به . ثم يأتي بعد ذلك .

سادس عشر : إن أصحاب البيوت التي حرقت أو دمرت يمكنهم أن يعيدوا بناءها كما كانت (أي دون استصدار أمر آخر كان يجب أن يحصل عليه فيما يتعلق ببناء جديد) . وكذلك المعابد يمكن إعادة بنائها (والمعابد الصغيرة دون شك التي أقامها أفراد أو قرى وذلك لأن الأحزاب المتناحرة كانت على ما يظهر لم تسكت عن هدم مباني بعضها بعضاً) . ولكن على شرط ألا يزيد ارتفاعها عن عشر أذرع . ويستثنى من هذا التنازل بلدة « بانوبوليس » (ولا بد أن هذه البلدة كانت مركز حركة ثورية . ويقترح كل من الأثريين « جرنفل » و « هنت » أن القطعة التي جاءت في « ديدور » وهي التي تتحدث عن « بانوبوليس » بمثابة معقل وطني للثورة في عهد « بطليموس فيلومتور » قد أسيء وضعها وأن الحصار الذي كان قد ضرب حولها كان قد وقع فعلا فقط قبل عام ١١٨ ق . م بقليل . ولكن المؤرخ مارتن يضع هذا الحادث في عام ١٣٠ ق . م[1] والظاهر أنه يحتمل أن مكاناً مثل ذلك كان مركزاً للثورة الوطنية في عهد « فيلومتور » وقد ظل مكاناً ملائماً بمثابة معقل حصين للثوار . ومن المحتمل أن المادة التي حرمت على « بانوبوليس » (Panopolis)

---

(١) راجع V. Martin, Les Epistratèges P. 49.

أن تقيم معابد لا يزيد ارتفاعها على خمس عشرة قدماً قد كانت اجراءاً لضمان الأمن لا عقاباً . وذلك لأن المبانى بالحجر التى تبلغ هذا الارتفاع كان من الممكن استعمالها لحرب الشوارع) .

سابع عشر : إن أولئك الذين يعملون مزارعين أو عمال مصانع فى خدمة الملك قد أصبحوا محميين من اضطهادات الموظفين مثل الحاكم الحربى للمقاطعة والسكرتير المالى وضباط الشرطة وغيرهم .

ثامن عشر : لا ينبغى لحكام المقاطعات الحربيين وكذلك الموظفين الآخرين أصحاب الرتب العالية أن يستولوا لأنفسهم على أرض جيدة ، ويزرعوها لا سيما إذا كانت تزرع فعلا من قبل بوصفها جزء من أرض التاج بزراع ملكيين .

تاسع عشر : لا ينبغى لطبقات خاصة من الناس أن يوطنوا عندهم جنوداً مرتزقين وهذه الطبقات تشمل : (١) الإغريق الذين يعملون فى الجيش ، (٢) الكهنة ، (٣) الزراع الملكيون ، (٤) أولئك الذين يشتغلون ببعض صناعات مرخص لهم بها بتصاريح من التاج مثل نساجى الصوف وصناع النسيج ورعاة الخنازير ومربى الأوز وصناع الزيت والجعة والنحالين . وفى الأماكن التى يكون فيها لأى عضو من الطوائف المذكورة بيت آخر خلافاً للبيت الذى يسكن فيه فانه يكون للجنود المرتزقين أصحاب الأطيان الحق فى أن يسكنوا فيها بشرط ألا يحتلوا أكثر من نصف البيت المذكور .

عشرون : لا ينبغى لحكام المقاطعات الحربيين ولا للموظفين الآخرين

أصحاب الوظائف العالية أن يجبروا أى فرد من الناس على أن يشتغل لحسابهم دون أجر .

واحد وعشرون : هذه الفقرة معناها غامض غير أنه يفهم منها أنها تعفى رجال الشرطة والحرس فى كل البلاد من التزامات يمكن أن تفرض عليهم بسبب ارتكاب مخالفات حدثت فى الماضى .

اثنان وعشرون : ترفع الغرامات التى فرضت على أولئك الذين لم يؤدوها على حسب القانون وذلك فيما يخص احتكار الزيت .

ثلاثة وعشرون : تلغى الغرامات التى وقعت على أولئك الذين لم يقوموا بتوريد الحسك والبوص لإصلاح الجسور (جسور النيل) .

أربعة وعشرون : تلغى الغرامات التى وقعت على أولئك الذين لم يزرعوا قطع أرضهم على حسب القانون حتى عام ٥١ (من حكم هذا الملك) . أما عن عام ٥٢ وما بعده فان القانون يطبق .

خمسة وعشرون : تلغى الغرامات التى وقعت على أولئك الذين قطعوا أشجاراً فى حوزتهم دون إذن من الحكومة .

ستة وعشرون : هذه الفقرة تحدد موضوع السلطة القضائية عند الإغريق وعند السكان المصريين . والقانون هنا يحدد أنه فى الحالات التى يكون فيها حزب إغريقى يتنازع مع حزب آخر مصرى فان المسألة يحدد الفصل فيها على حسب اللغة التى دونت بها الوثائق فاذا كانت الوثائق باللغة الديموطيقية فان القضية ينظر فيها أمام قاض مصرى ليحكم فيها على حسب القانون المصرى وإذا كانت الوثائق بالإغريقية فان القضية تقدم أمام قاض إغريقى (Chrematistaie)

وإذا كان الفريقان المتخاصمان مصريين فان القضية يفصل فيها أمام قاض مصرى (Laokritai) وقد تحدثنا عن هذا الموضوع فى غير هذا المكان.

سبعة وعشرون : لا ينبغى أن يحجز على أشخاص المزارعين الملكيين ، وكذلك العمال الذين يعملون فى المعامل التى يكون فيها للتاج مصلحة بسبب دين إذ يمكن الحجز على سلعهم . ولكن ذلك لا يطبق على الآلات اللازمة لأعمالهم .

ثمانية وعشرون : لا ينبغى أن يجبر عمال النسيج على العمل للموظفين دون أجور مجزية .

تسعة وعشرون : لا يجوز لأى موظف أن يستولى على قوارب لاستعماله الشخصى .

ثلاثون : لا يجوز لأى موظف أن يسجن أى فرد من أجل مخاصمة شخصية أو من أجل دين له . وإذا كان لديه أية تهمة يوجهها لأى شخص فعليه أن يرفع دعواه أمام المحكمة المختصة[١].

هذه هى مواد مرسوم العفو الشامل الذى أصدره « بطليموس السابع » وشريكتاه فى الملك « كليوباترا الثانية » أخته و « كليوباترا الثالثة » زوجه . ومن بين سطوره نفهم ما كانت عليه حالة البلاد من الناحيتين القضائية والإدارية ؛ ولحسن الحظ لدينا قضية عن ملكية وقعت أطوارها فى عهد هذا الملك وتعتبر فى الواقع المصدر الأصلى للمعلومات الخاصة بالنظام القانونى فى عهد البطالمة بوجه عام . ومن أجل ذلك كان لزاماً علينا أن نذكر شيئاً عن هذه القضية الفذة فى بابها وأعنى بذلك قضية « هرمياس » .

---

(١) راجع Tebtunis I, No. 5.

قضية هرمياس وأطوارها

الواقع أن القليل الذى نعرفه عن الاتجاه الذى كان يتخذ فى المحكمة أمام القضاة الإغريق والتعابير الخاصة بسلطتهم القضائية فيما يتعلق بسلطة الموظفين الإغريق ، نحن مدينون به لملف قضية « هرمياس »، تلك القضية التى رفعها الأخير على بعض حانوتى « طيبة » . وهذه القضية يمكن تتبع خطواتها مدة عشر سنين أى من السنة الرابعة والأربعين حتى السنة الرابعة والخمسين من حكم الملك « بطليموس ايرجيتيس الثانى البطين » (١٢٥ — ١١٧ ق . م) . وفى خلال تلك المدة نشاهد كل مصادر هذه القضية الشهيرة ، والأوراق الخاصة بها قد حررت باللغتين الديموطيقية والإغريقية . وقد عثر عليها جميعاً فى حجرة حوالى عام ١٨٢٠ ميلادية . ولما كانت هذه البرديات قد بيعت على مرات ، كما هى العادة فى مثل هذه الأحوال التى تباع فيها الآثار خلسة إذا لم تأت عن طريق حفائر منظمة ، ومن ثم أصبحت مبعثرة فى متاحف أوروبا . والغريب أن فحص كل أوراق هذه القضية لم ينته بعد[١] والواقع أننا لم نجد فى مجاميع أوراق البردى التى كشفت عنها أعمال الحفر مجموعة مثلها من الأوراق تضع أمامنا قضية كاملة متصلة الحلقات تبحث فى موضوع قضائى يقدم لنا معلومات محسة عن موضوعات لا نعرف عنها إلا القليل فيما يخص مجلس المحكمين والموظفين ، كما تكشف لنا الاجراآت الملتوية فى القضايا المدنية .

---

(١) راجع Revillout, Le Procès d'Hermias d'après les Sources Dématiques et Grecs. Paris, I, 1884, II, 1903, 210. PP. 4. (Traduction du Pàp. Taur., I PP. 183-194.

وسنحاول هنا أن نقدم تحليلا موجزاً عن تقلبات هذه القضية . ولأجل أن نصل إلى ذلك لا بد أن نرجع إلى الوراء من الناحية التاريخية لنربط خيوط هذه القضية بما كان يجرى قبل وقوعها .

فالظاهر أنه فى بداية عهد الملك « بطليموس الخامس » كان إقليم « طيبة » كما نوهنا عن ذلك من قبل فى ثورة عارمة ، وكان جنود الملك قد اكتسحوا العدو نحو الحدود الأثيوبية . يضاف إلى ذلك أن الأجانب من مقدونيين وإغريق وفرس قد عوملوا معاملة سيئة وطردوا . ومن بين هؤلاء كان فارسياً يدعى « بطليموس » ، وكان متزوجاً من حفيدة فرد يدعى « هرمون بن هرمياس » وكان « بطليموس » هذا يعمل فى حامية « بطيبة » . وكان عليه أن يترك بيته والحرم الخاص به فى « طيبة » لرئيس زوجه . ونجده بعد ذلك لم يهتم بالعودة إلى سكنى بيته هذا الذى نهب وأصبح خراباً . ومن المحتمل أن « بطليموس » هذا قد استوطن هو وزوجه فى « امبوس » حيث نجد ثانية أن ابنه « هرمياس » يعمل ضابط فرسان فى الحامية المصرية هناك .

وقد مرت السنون دون أن يعلن « بطليموس » هذا ملكيته للبيت وحرمه ؛ ومن أجل ذلك ظن أولاد عم «بطليموس» أنه فى مقدورهم والحالة هكذا أن يقسموا هذا البيت وحرمه لأنه ليس له صاحب . وقد حدثت فعلا تقسيمات وبيوع قام بها أولاد الذين استولوا على البيت وأحفادهم مما جعل عدد ملاكه يختلف من جيل لجيل . وأخيراً بعد أن قسم هذا الإرث إلى أجزاء ، بيع على التوالى بالتجزئة إلى أسرة حانوتيين . وبعد أن أصبحت هذه الأسرة الأخيرة هى المالكة لكل أرض البيت وحرمه أو ما يقرب من ذلك بنى أفرادها البيت من جديد ووضعوا فيه أدواتهم . وفى أثناء ذلك عرف المدعو

« هرمياس » بن « بطليموس » متأخراً أنه قد وقع بصرف بهذه الصورة فى متاعه . ونجده قد أفلح فى إلغاء أحد البيوع الذى كان قد تم مؤخرا . وهو البيع الذى كان قد عقده « أبوللونيوس » بن « داموت » لكاهن « آمون » المسمى « هرمياس » بن « نحمنيس » ووضع يده بذلك على قطعة أرض من البيت المتنازع عليه تبلغ مساحتها عشرين ذراعاً وهى التى كان يملكها « أبوللونيوس » .

ولكنه لأجل أن يصل إلى ذلك لجأ إلى القضاء وحصل على شهادة من كاتب الملك ، وذلك بمقتضى تقارير قدمها لكاتب المركز وكاتب القرية للإقليم . وقد اعترفا فيها بأن الأرض المتنازع عليها كانت مسجلة فى سجل المساحة باسم « هرمون » بن «هرمياس» جد أم «هرمياس» المدعى . غير أنه لم يدع آنئذ أكثر من ذلك ، ويحتمل أن ذلك يرجع إلى أنه قد فطن فى خلال سير القضية إلى أنه قد يكون من الصعب عليه أن يطرد من البيت الحانوتية الذين كان بأيديهم مستندات كان يجب عليه أن يفترض صحتها .

غير أنه ظهر أحد أقارب « هرمياس » وكان أشد منه مراساً وعزيمة . وتفسير ذلك أنه فى عام ٤٤ من حكم الملك « إيرجيتيس الثانى » (عام ١٢٧ — ١٢٦ ق .م) ظهر فارس من الجنود المرتزقين فى حامية « طيبة » يدعى «أبوللونيوس» واسمه بالمصرية «بسمونت» (Psmont) بن «هرمياس» الذى يسمى بالمصرية « بتينبهوت » (Petenephot) وأمه هى « لوبايس » (Lobais) وقد تنبه «أبوللونيوس» هذا إلى أنه وارث المرحوم والده ، وعلى ذلك لابد أن يكون بذلك الوارث على أقل من نصف ($\frac{7}{24}$) من هذا البيت الذى يحتله الحانوتية .

وقد ذهب بناء على ذلك فى شهر توت عام ٤٤ من حكم « إيرجيتيس البطين » (أى عام ١٢٧ ق. م) يطالب أولئك المنتدين بحقه، فأجابوه بالسب والضرب . وقد كان من جراء هذا الدرس الذى تلقاه عملياً من أيدى المعتدين أن أصبح فى حيرة من أمره مدة عشرة أشهر . وأخيراً قرر أن يكتب شكاية للملك . وكان ذلك فى أبيب عام ٤٤ (يوليو — أغسطس عام ١٢٦ ق . م) وقد أشار فى شكايته إلى أنه يرغب فى أن يحيله الملك إلى قضاة أكفاء من الذين يقومون بالفصل فى القضايا فى كل إقليم « طيبة » . وفى هذه اللحظة بالذات كان القضاة الإغريق يعقدون جلسة أو فى طريقهم إلى ذلك فى مدينة « بطليايس » ، وكان « أبوللونيوس » قد وضع شكايته هناك فى صندوق الرسائل الخاص بهذه المدينة . ومن المحتمل أنه كان يقصد بذلك أن يكون المحكون قد ابتعدوا عن «طيبة» لأجل أن يفاجىء الحانوتية بأن يفرض عليهم إجراآت مستعجلة ، وذلك بأن يكلفهم مشقة الانتقال الذى كان متعباً لحضور الجلسة ، كما كان يرمى فى الوقت نفسه إلى إدخال الرعب فى قلوبهم بأن يشعرهم بأن المسئولية القانونية تحتم بأنه سيكون فى استطاعته أن يقدم شكوى أخرى يطلب فيها معاقبتهم على ضربهم له وإحداث جروح فى جسمه .

غير أن الحانوتية لم يجبنوا أمام تهديداته إذ قد جمعوا معلوماتهم وواجهوا بها « أبوللونيوس » بقوة لدرجة أنه تخلى عن شكواه تماماً . ويحتمل أن ذلك قد حدث بسبب بعض هدايا صغيرة قدمت له . وكان ذلك فى الشهر التالى ٢٥ مسرى من عام ٤٤ من حكم الملك (=١٣ سبتمبر سنة ١٢٦ ق . م) أمام « هيراكليديس » الخبير الزراعى فى منطقة طيبة . على أنه قد كان ممكناً أن يكون أكثر مهارة إذا واجه القضية وأفحم هذا الخصم الأول ، وذلك

بدلا من جعله يسحب شكواه كأنه كان يخاف أن توضع حقوقه تحت الفحص بوساطة قاض .

ومن أجل ذلك نجد أن القائد « هرمياس بن بطليموس » وهو فارسى الأصل جدد القضية لحسابه وتابعها بكل حماس مدة عشر سنوات . ويتساءل الإنسان هل كان « هرمياس » هذا مقتنعاً بصحة حقه الذى تركه ساقطاً بسبب اهماله لمدة أربعين عاماً أو أنه كان يأمل فى أن يجعل الحانوتية يقررون بأن يشتروا السلام ؟ والواقع أن هذا هو ما لا يمكن الإجابة عليه . وعلى أية حال كان « هرمياس » هذا يأتى من «أومبوس» إلى «طيبة» فى خلال العام الأربعين كأنه رجل قد أخبر حديثاً بأن بيته — وهو بيت والده الموروث عن الأسرة — قد احتله دون حق الحانوتية « حور » و « بزنخونسيس » و « خنوبريس » (Chonopres) وزوجاتهم ، وهؤلاء كانوا يدعون حق ملكية البيت ، لأنهم اشتروه من «لوبايس» (Lobais) ابنة «إريوس» (Erieus) . هذا ونجد أن « هرمياس » بدلا من أن يقاضى هؤلاء الحانوتية هاجم « لوبايس » ، وهى كما سنرى بعد لم تكن إلا واحدة من الأفراد المسؤولين بالنسبة للمشترين ، وقد كانت الطريقة القانونية المثلى كما قال محامى الحانوتية ، هى أنه كان عليه أن يذكر أمام القضاء الملاك الأصليين الذين لهم الحق وحدهم فى أن يدعوا بصفة ضامنين للبائعين . هذا وقد وضع « هرمياس » شكوى فى «طيبة» نفسها فى الصندوق الخاص بالشكاوى بعنوان قاضى منطقة «طيبة» الذى كان يرأسها « ديونيسوس » . وقد أعلن الطرفان لحضور جلسة شهر بشنس (مايو — يونيه عام ١٢٥ ق . م) . وفى الجلسة اعترفت « لوبايس » بأنه لم يكن لها أبداً حق ملكية فى هذا البيت المتنازع عليه . وهذا الاعتراف هو الذى ثبت على الأقل

حق إدعاء « هرمياس » . ومن المحتمل أن « لوبايس » قد أعلنت أنها غير مسئولة أمام المدعى ، أو أنه لم يكن فى مقدورها أن تبرز فى الحال مستندات كانت مشتبكة فى عدد من التغيرات والتبديلات التى حدثت قبل هذا الوقت مثل عقود القسمة والبيع التى عملت بالتجزئة ، وأن القضاة رأوا على أثر ذلك أنه ليس لديهم معلومات كافية ، ولذلك فانهم أجلوا النظر فى القضية .

ومهما يكن من أمر فقد ظهر أن القضية قد رتبت أو على الأقل هذا ما تظاهر به « هرمياس » . وبعد ذلك عاد إلى « أومبوس » . ولكنه فى العام التالى أخبر بأن الحانوتية كانوا لا يزالون يحتلون البيت وأنهم هيأوه لصناعتهم الدنسة[1] وقد أكد أن هذا البيت الذى أقاموا فيه هذه الصناعة الدنسة (التحنيط) يجاور محرابى الآلهة « هيراو » Hera (وهى الآلهة « موت » عند المصريين) والآلهة دميتر Demeter (= زيس) . وهاتان الآلهتان تفزعان من الجثث . وأخيراً وجد المدعى فى ذلك البرهان الذى سيقدمه منذ الآن بعناد ، وذلك على الرغم من كل التفنيدات وهى أن قواعد الصحة العامة تحرم على الحانوتية أن يمارسوا حرفتهم أو حتى يسكنوا على الشاطىء الأيمن للنيل ، وأنه يجب عليهم ألا يتعدوا مع عملائهم الموتى موقع « مومنيا » الكائن على الشاطىء الأيسر للنيل وذلك مثل المحنطين الذين يريد أن يخلطهم بهم . ومعروف دون شك أن الحانوتية كانوا يمارسون فى « طيبــة » نفسها مهنة كهنية ، وأنهم هم الذين كانوا يقومون بقيادة الموكب السنوى العظيم الذى كان ينقل قارب آمون إلى الضفة الأخرى للنيل ثم يعود بالإله « آمون » إلى معبده بعد انقضاء بضعة أيام ، وأن هــذه الرحلة الرمزية

---

(١) صناعة التحنيط

فى النيل تؤلف جزءاً من المواكب الجنازية للعملاء (الزبائن) الذين يقودون لهم جنازهم . وأخيراً لم يكن فى مقدوره أن يخفى ضعف هذه الطريقة لاثبات حقه . وبعد أن برهن على أن الحانوتية قد استعملوا البيت لغرض منكر فانه لم يبرهن فى الوقت نفسه على أنه هو المالك الشرعى له .

وعلى أية حال نجد أن « هرمياس » لم يفكر بعد ذلك فى أن يلجأ إلى القضاة الذين كان يعتقد أنهم معنتون متزمتون أكثر مما يجب . ولما عاد إلى « طيبة » قدم فى عام ٤٦ مذكرة إلى الحاكم العسكرى « هرمياس » الذى كان ينتظر أن يكون فى صفه لبعض أسباب لا نعرفها على وجه التأكيد . غير أن الحانوتية لم يجيبوا على الادعاء الذى وجه إليهم . ومن ثم أخذوا يماطلون ويسوفون القضية . وعلى ذلك لما ثبطت همة « هرمياس » بهذه الكيفية لزم الصمت مدة ثلاثة أعوام فى حامية « أمبوس » ، وفى نهاية العام التاسع والأربعين (١٢١ ق . م) سنحت له فرصة حسبها أنها فرصة منقطعة النظير فى صالحه ؛ وذلك أن الحاكم العسكرى الذى كان على ما يظهر فى أغلب الأحيان يقوم بجولات فى المقاطعتين أو ثلاث المقاطعات التى كانت تحت سيطرته قد حضر إلى «طيبة» فأسرع « هرمياس » إلى مقابلته فى شهر مسرى (أغسطس — سبتمبر عام ١٢١ ق . م) . ومن ثم توصل إلى أن يجعل الحاكم العسكرى يعمل كل ما لديه من سلطان فى موضوع قضيته ؛ ولكن لما كان خصومه غائبين فانه أمر « هرموجين » الذى كان يعمل معه قائداً فى هذه الفترة بأن يسلمه البيت ، غير أنه على أثر سفره ثانية من « أومبوس » شوهد أنهم قد اندفعوا إلى البيت الذى كانوا لا يزالون يسكنون فيه حتى الآن وكأنهم سيل العرم . والواقع أن الحانوتية لم يهتموا إلا قليلا جداً بدسائسهم

الباطلة التي كانوا يأتونها فيما بينهم فى تلك الخطة . وهى التى كانت تنحصر فى أعمال تقسيم وبيع هذه الملكية المتنازع عليها وكذلك عمل ترتيبات كان من نتائجها أن أصبح « حور » هو المالك الرئيسى للبيت المتنازع عليه من بين الحانوتية .

وفى هذه الأثناء نجد أن « هرمياس » أخذ ينكر هذه الطرق الملتوية التى كان يقوم بها خصومه وقرر أن يضع قضيته أمام المجلس الأعلى القانونى الذى يشرف عليه قائد القوة الحربية لكل المقاطعة . ففى شهر أمشير من العام الخمسين من حكم « بطليموس السابع » (= فبراير — مارس ١٢٠ ق . م) قدم « هرمياس » مذكرة إلى « هيراكليديس » الذى كان من بين رؤساء الحرس ورئيس الخيالة والحاكم العسكرى لكل قوات منطقة «طيبة» . وقد استعرض فيها مظلمته وما اتخذ من تصرفات فى القضية من قبل . وعلى اثر ذلك أمر « هيراكليديس » باعلان الحانوتيـــة بالحضور على يد المحضر « أرتيميدوروس » ، غير أن الحانوتية ظلوا مثابرين على خطتهم فى المماطلة فقد تسلموا نسخة من الإعلان ، ولكنهم لم يحضروا أمام الحاكم العسكرى . ولما لم يحضروا ظن «هرمياس» أنه بعدم حضورهم يخدعونه لترك البيت لهم كما كانت الحال من قبل . ولكن من المحتمل أن الحانوتية كانوا يعرفون أن « هيراكليديس » سيرحل من هذه المنطقة ، وأنه سيحل محله آخر فى القريب العاجل ، وبذلك فان طلب حضورهم سيسقط من تلقاء نفسه . غير أن « هرمياس » كان قد فطن لذلك فقدم تظلماً جديداً لخلف « هيراكليديس » وهو قائد جنود المقاطعة المسمى « بطليموس » . وكان يحمل لقب السمير الوحيد وقائد الفرسان . وأخيراً تولى هذا القائد قضية « هرمياس » بصفة

جدية . ففى الثامن من شهر بؤونة عام ٥١ (= ٢٦ يونيه عام ١١٩ ق . م) عقد « بطليموس » جلسة فى المحكمة يساعده فيها «بطليموس» بن « أجاتاركوس» و « إرينى » ابن « إرينى » ويحمل نفس الرتبة التى يحملها الرئيس و «أمونيوس » Ammonios الفارسى و« سيسوسيس » Sesoosis العقيد وغيرهم من القضاة . ثم فتحت الجلسة . وقد حفظت لنا بردية موجودة بمتحف اللوفر التحقيق الذى جرى فى هذه الجلسة . هذا ولم يتخلف الحانوتية هذه المرة ، فقد حضر « حور » وشركاؤه ومعهم محاميهم المسمى « دينون » . ولم يكن « هرمياس » فى حاجة إلى الكلام إذ قرأ أمام أعضاء المحكمة المذكرة التى أودع فيها كل مظلمته . وقد وردت منها نسخة فى المحضر . وقد جاء فيها كيف أن « حور » و « بنسخونيس » و « باناس » وزوجاتهم قد أفادوا مما أجبره عليه سوء طالعه وهو نقل مسكنه إلى مكان آخر مما أدى إلى اجتياح بيته بالقوة الغاشمة ، وهو الذى كان قد ورثه عن أجداده ، ومن ثم أصبح هؤلاء الحانوتية يتصرفون فيه على حسب أهوائهم . وقد حاول مرات عدة استرداده ولكن دون جدوى . وها هوذا الوقت قد حان أخيراً لطرد هؤلاء المعتدين الذين تجاسروا على إحضار جثث موتى فى مسكنه الذى اغتصبوه منه ظلما وعدواناً .

على أن محامى الحانوتية لم يجد كبير عناء فى هدم ما أقامه المدعى « هرمياس » من حجج . فقد طلب إلى « هرمياس » — إذا كان فى استطاعته — أن يقدم بعض براهين تثبت أن هذا البيت المتنازع عليه كان فعلا إرثاً جاء إليه عن أجداده . وعند ما اعترف « هرمياس » بأنه ليس لديه أية حجة فانه بذلك قد أظهر أنه كان يلف عبثاً حول « حور » وشركائه لأجل أن يخيفهم ويقودهم إلى الخسران . وقد اقتبس المحامى « دينون » الاجراءات القانونية التى عملت

أخيراً بين الحانوتية بعضهم بعضاً ، وفضلا عن ذلك ذكر مرسوم العفو الشامل الذى أصدره الملك « بطليموس السابع » وهو الذى بمقتضى مواده يمكن الاستيلاء على البيت حتى دون وجود مستندات فى حوزة الحانوتية . وأخيراً أربك محامى الحانوتية المدعى التعس باحراجه ، وذلك بأن طلب إليه أن يبرهن بأية وسيلة من الوسائل على أن أحداً من أقاربه أو هو نفسه قد سكن أبداً فى «طيبة» أو أن هذا البيت موضع النزاع هو ملك لأسرته . ولما لم يكن فى استطاعته الجواب على ذلك فقط استنبط دون أى شك أنه قد ألف شكوى من قبيل التمحيك والإعنات الكاذب . وعلى ذلك فان القائد « بطليموس » أصدر حكماً مخيباً لادعاءات « هرمياس » ، وفى الوقت نفسه جاء الحكم مثبتاً لحق « حور » ورفاقه فى ملكية البيت المتنازع عليه . ومن البدهى أنه إذا كان الحكم الذى أصدره القائد هو حكم يجب نفاذه فانه بمقتضاه كان لزاماً على « هرمياس » أن يفض قضيته ، غير أنه كان من المفهوم أن « هرمياس » كان يريد بوضع قضيته أمام القائد بوصفه محكماً لا قاضياً ليفصل فى مسألته ، ومن أجل ذلك كان له أن يحتفظ لنفسه بحق المعارضة فى هذا الحكم إذا لم يكن فى صالحه .

وعلى أية حال نجد أن « هرمياس » لم يظهر بعد هذا الحكم بمظهر المغلوب إذ نراه بعد ذلك يعود ثانية كما كانت الحال من قبل إلى كبار الموظفين الذين يمكنهم أن يثيروا قضيته من جديد ويستعملون سلطانهم التنفيذى لأجل أن يجعلوا هؤلاء الحانوتية يفرون من البيت المتنازع عليه . وقد سنحت له فرصة ، وذلك أنه فى شهر أمشير عام ٥٣ (= فبراير — مارس ١١٧ ق . م) انتهز « هرمياس » فرصة مرور القائد الأعلى « ديمتريوس » لإقليم « طيبة »

بهذه المدينة فوضع بين يديه شكايته ، غير أن « ديمتريوس » هذا أمر باحضار الحانوتية ، ولكنهم على حسب عادتهم لم يحضروا . ولما لم يكن لدى القائد « ديمتريوس » الوقت للفصل فى قضيته أعاد إليه شكايته بالبريد . ولما عاد « هرمياس » إلى بيته وجد أن شكايته قد ردت إليه . فأهاجه ذلك . ولكنه فى الشهر التالى (مارس — إبريل) ذهب بها إلى « لاتوبوليس » (اسنا) حيث كان يوجد وقتئذ الحاكم العسكرى « هرمياس » . وتدل شواهد الأحوال على أن الحاكم العسكرى قد كتب إلى القائد « بطليموس » ليرسل إليه الحانوتية المتهمين وقد كان « هرمياس » يأمل من وراء ذلك أن يكبد خصومه مشقة سفر متعب ؛ ولكن أمله لم يحقق إلا فترة وجيزة . والواقع أن القائد العسكرى كان يعرف دون أى شك كيف يستطيع أن يقف أمام هذا الحماس المصطنع من جانب رئيسه ، يضاف إلى ذلك أنه كان لا بد قد تكدر عند ما رأى إعادة بحث شكاية كان قد حكم فيها ، وبالاختصار فان هذا القائد لم يحرك ساكناً فى هذا الأمر. وبعد انقضاء ثلاثة أشهر على ذلك أى فى شهر (يونيه — يوليه) كان قد زار الحاكم العسكرى للمقاطعة المسمى « هرمياس » وكذلك القائد « ديمتريوس » مدينة «طيبة». وذلك بمناسبة الاحتفال بموكب الآله الأعظم جداً « آمون » وكان « هرمياس » هناك ، فقدم للحاكم العسكرى نسخة من المذكرة التى كان قد علق عليها من قبل ، وهى التى كان قد قدمها « هرمياس» له فى « اسنا » . وعلى ذلك نجد أن الحاكم العسكرى فهم أن هذا الرجل اللحوح قد بدأ يتعبه من جديد ؛ ومن أجل ذلك أمر باحضار الحانوتية، غير أنهم بدورهم قد أصموا آذانهم لطلبه كما هى العادة ولم يحضروا . وعلى ذلك ركب سفينته وعاد ثانية إلى المقاطعات الجنوبية وقد كان فى صحبته الشاكى المخدوع .

وفى هذه الأثناء لم يتطرق اليأس مع ذلك إلى نفس « هرمياس » . والواقع أن الحانوتية كما يظهر قد خالفوا أوامر رجال السلطة الذين كان فى وسعهم فى نهاية الأمر أن يحاسبوهم بسبب موقفهم الوقح . وكان « هرمياس » يعلم أن القائد « بطليموس » الذى كان قد خيب أمله فى قضيته منذ عامين مضيا ، قد حل محله القائد « هيراكليديس » . وها نحن أولاء نجد أن « هرمياس » قد قام بمخاطرة أخرى فقدم مذكرة جديدة للقائد « هرمياس » ذكر فيها كل الاجراءات التى عملها منذ عشرة أعوام ، وبطبيعة الحال لم يذكر الحكم الذى أصدره هذا القائد فى غير صالحه عام ٥١ ، وقد أبرز فى مذكرته عناد الحانوتية فى ادعائهم . وطلب « هرمياس » هذه المرة وضع قضيته أمام المجلس الأعلى الذى كان يرأسه القائد « هيراكليديس » . وعلى ذلك سلم الحاكم العسكرى للمقاطعة الوثيقة التى قدمها « هرمياس » بتاريخ ٢١ بابه عام ٥٤ (= ١٠ نوفمبر عام ١١٧ ق . م) إلى « هيراكليديس » الذى كان يحمل لقب رئيس الحرس والقائد الأعلى فى إقليم « طيبة » ، والمشرف على دخل المقاطعة .

هذا وقد فتحت الجلسة للمناقشة أمام هذا الرجل العظيم الذى كان يساعده آخرون من أصحاب الرتب وهم « بطليموس » رئيس الحرس و « هيراكليديس » آخر يحمل كذلك لقب رئيس الحرس ، أبوللونيوس و « هرموجين » ويحمل كل منهما لقب السمير و « بانكراتوس » Pancratos ويحمل لقب قائد الفرسان و « بانيسكوس » Paniscos وآخرون كثيرون وقد ترافع محامى كل من الطرفين المتخاصمين . فترافع « فيلوكيس » عن « هرمياس » كما ترافع « دينون » عن الحانوتية .

هذا ونعرف المناقشات وكذلك الوثائق المتعلقة بهذه القضية والأدلة التي أثيرت على حسب القوانين والسوابق من الملخص الذي وضعه الرئيس « هيراكليديس » وهو الذي وجهه لمساعديه . وهو ملخص يشمل الأشياء المنتظرة والبواعث للحكم الذي كونه .

وقد رأينا فيما سبق من مناقشات عام ٥٠ أن « هرمياس » لم يكن لديه مستند يثبت ملكيته للبيت المتنازع عليه ، وهو الذي يقول عنه أنه ورثه عن والده ، في حين أن خصومه قد قدموا تراجم باللغة الإغريقية لعقد بيع حرر باللغة الديموطيقية يرجع عهده إلى ما قبل قيام هذه القضية ، ويثبت أن البيت الذي عليه النزاع — ويدعى « هرمياس » ملكيته — كان قد اشتراه أباء المدعى عليهم على دفعات . ولما لم تكن لدى « فيلوكليس » محامى « هرمياس » حجج مقنعة فانه جنح إلى المعارضة في قيمة الوثائق التي قدمت للمحكمة وقال بأنها لا قيمة لها من وجهة القانون المصري من جهة أنها لم تسجل بمقتضى القانون الإغريقي في الماضي . وأخيراً طلب تطبيق القواعد التي تحتم إبعاد الصناعات القذرة التي يقوم بها المحنطون على الحانوتية المغتصبين للبيت ، وبمقتضى هذه القواعد يصبح الحانوتية غير قادرين على الحصول على بيت « هرمياس » بالشراء أو بالاحتلال مدة طويلة . وقد اقتبس — لتبرير دعواه — أحكاماً قضائية خاصة مشفوعة بحجج مكتوبة مقدمة من كهنة « آمون » ، بتقارير ورسائل من كتبة المراكز وحكام المقاطعات ، وكل هذه سوابق تثبت أن الحانوتية يجب أن يطردوا ويغرموا على يدى الرئيس دون محاباة .

أما محامى الحانوتية « دينون » فانه حلل دفاعه بطريقة مفصلة بعض الشيء إذ نجده قد دحض اعتراضات الخصم نقطة فنقطة ، والواقع أنه كان قد درس

تماماً ملف القضية ، وذلك لأنه كان قد ترافع من قبل عن الحانوتية أمام القائد « بطليموس » . وقد أظهر « دينون » أنه منذ اليوم الذى غادر فيه والد « هرمياس » طيبة أى منذ بداية حكم « بطليموس الخامس » مع جنود آخرين ليستوطنوا الوجه القبلى أى منذ ثمان وثمانين سنة ، فانه لا هو ولا إبنه « هرمياس » قد سكن البيت المتنازع عليه . يضاف إلى ذلك أن هذا البيت المذكور كان فعلا فى يد ملاك آخرين ، وهو البيت الذى اشتراه الحانوتية فى العام الثامن والعشرين من حكم الملك « بطليموس السادس » (عام ١٤٣ — ١٤٢ ق . م) أى قبل رفع الدعوة الحالية بسبعة وثلاثين سنة ؛ وأن الحانوتية قد تمتعوا بملكية هذا البيت طوال هذه المدة دون معارض ، وأن عقود البيع قد أصبحت لا قيمة لها وذلك لأن مدة الملكية الطويلة هذه قد أكدت الملكية وأسقطت كل حق . وعلى أية حال فانه ليس هناك حاجة إلى الرجوع إلى هذه الحجة الأخيرة بالنسبة لموكليه ، وذلك لأن عقود البيع كانت قانونية بسبب أنها قد استوفت شروط نقل الملكية لإدارة الضرائب على البيوع .

أما من حيث مستندات البائعين فليس هناك ما يدعو للبحث عنها مع وجود مرسوم العفو الشامل (وهو الذى أوردنا فقراته فيما سبق) . وفضلا عن ذلك يوجد حق الملكية بطول حق الاستعمال الذى نظم فيما سبق موقف الملاك الذين ليس لديهم مستندات كما أعفى هؤلاء من تقديم براهين مدونة تثبت حقوقهم . و « هرمياس » لم يقدم أى مستند . وإذا كان هذا البيت إرثاً فقد كان من الواجب عليه أن يقوم بتسجيل مستنداته ويدفع الضرائب . وبسبب أنه لم يفعل ذلك فانه سيكون ملزماً بوساطة هذا الرئيس أن يدفع غرامة قدرها ألف درخمة مع سقوط حقوقه . وأخيراً فان التأخيرات التى منحت لاسترداد

الحقوق المغتصبة كان لا يمكن أن تستمر أكثر من ثلاث سنوات على أكثر تقدير ، وذلك لأولئك الذين لهم حق . والواقع أن لا « هرمياس » ولا والده قد إحتج أبداً على اغتصاب هذا البيت .

هذا وقد امتدت القضية حتى ٢٢ هاتور عام ٥٤ من حكم الملك « بطليموس السابع » (= ١١ ديسمبر ١١٧ ق . م) يضاف إلى ذلك أنه لما كان القائد « هيراكليديس » قد صادق على الحكم الذى حكم به سلفه « بطليموس » فانه بناء على ذلك قد أصدر الحكم التالى : نحن نأمر « هرمياس » بأن يتخلى عن أعمال العنف ، وكذلك أمرنا « حور » ورفاقه بأن يستمروا فى ملكية البيت الذى كان فى أيديهم من قبل » .

وقد فهم « هرمياس » هذه المرة أنه لا فائدة من القيام بملابسات فيما يخص قيمة الحكم أو أن يحتج بعدم إختصاص الذين أصدروا الحكم . والواقع أنه لم يعتمد فى تقديم شكايته إلا على ثقته بالحكام ولطفهم معه . غير أن هؤلاء قد ساءهم إلحاحه فى رد أحكامهم . ولقد كان من البدهى أنه منذ ذلك الوقت لن يعطيه أى قائد أو أى حاكم عسكرى أى حق أكثر من الحق الذى كانت البراهين العدة تشهد به .

ومما تجدر ملاحظته هنا عن القضاة الإغريق فى هذه القضية أنهم لم يظهروا إلا فى الذيل . والواقع أنهم كانوا حكاماً يميلون إلى التساهل فى حقوقهم . ويمكن القول أنهم كانوا محكمين قد تركوا كل شيء عن طيب خاطر لرجال السلطة الإدارية الذين كان قد وكل إليهم أمر العناية بترتيب الأمور التى كانوا قد أعطوا رأيهم فيها .

والواقع أن « هرمياس » لم يتجه إليهم بشكواه إلا مرة واحدة ، وذلك

عند ما أراد أن يجعل القانون فى جانبه . وفى نهاية الأمر نجد أنه قد صد عن ادعاءاته بما حكم به قائد كل قوات المقاطعة . ولا نزاع فى أن هذا الإجراء المرتبك الذى سارت فيه هذه القضية قد أدى إلى نتائج لم يكن فى الاستطاعة بموجبها عمل توفيق بين الفريقين المتخاصمين :

وذلك أنه إذا كانت محكمة القضاة الإغريق تعتبر محكمة استئناف فلماذا لم يلجأ إليها « هرمياس » فى أول الأمر منذ بداية النزاع ؟ ومن جهة أخرى نجد أن « هرمياس » عند ما ردت دعواه فى المرة الأولى بحكم القائد «بطليموس» التجأ إلى القيام بمناورات كان الغرض البين منها هو إلغاء الحكم السابق . وعلى أية حال نجد من الغريب أن أصحاب السلطة يسلمون له بذلك ويتركونه يعارض فى صحة الحكم القانونى الذى نطقت به أعضاء محكمة نظامية . وحقيقة الأمر أن تحيزهم لم يكن فوق الشك . ففى بادىء الأمر تدخل حاكم المقاطعة العسكرى المدعو «هرمياس» لحظة وجعل الحانوتية يفرون ، ومن الجائز أنه كان يوهم بأنه ينفذ قرار القضاة الإغريق ، الذى فسره ضابط يوثق بكلامه . ولكن كيف حدث فيما بعد أنه لا هو ولا القائد الأعلى لم يعارض الشكاوى الملحة التى قدمها « هرمياس » بأنها مخالفة للقانون ؟ فهل السبب الوحيد فى ذلك هو المجاملة أو لأجل ألا يكون هناك جحود نحو مواطن إغريقى يناضل مصريين بائسين ، وإن كلا منهما كان يظهر بمظهر الغيور على منفعته مع أصرار كل منهما فى قرارة نفسه على ألا يعمل شيئاً مخالفاً للقانون ؟ وخلاصة القول أن هذا الإجراء الملتوى الذى اتبع فى هذه القضية لا يقدم لنا فكرة رفيعة عن النظام القضائى فى مصر فى خلال القرن الثانى قبل الميلاد كما أنه لا يمدنا كذلك بقدر ما كنا نأمل عن العلاقات الخاصة بين القضاة الإغريق

وبين القضاة المصريين والموظفين — الحكام العسكريين وقواد جيش المقاطعة — وهؤلاء هم الممثلون القضائيون الذين كان فى مقدورهم أن يفصلوا فى قضايا الناس .

والواقع أن ما نستنبطه بوضوح من قضية « هرمياس » هو أنه فى إقليم «طيبة» الذى كان لا أكثر ولا أقل يعتبر إقليما محكوماً حكماً عسكرياً ، ومن ثم على ما يظهر كان فى حالة حصار مستمرة ، كان عمل القضاة فيه ينحصر فى أنهم كانوا يعملون بمثابة رجال فتاوى قانونية ، فى حين أن الأحكام التنفيذية كان يصدرها القائد الحربى للمقاطعة ومعه مساعده . وعلى أية حال نستطيع أن نفهم بعد سرد قصة هذه القضية وما فيها من ملابسات وتحايل على القضاء أن المرسوم الذى وضعه « إيرجيتيس الثانى » و « كليوباترا الثانية » و« كليوباترا الثالثة » بالعفو عن الكثير من الأشياء التى كان يئن تحت عبئها أفراد الشعب قد أفاد الحانوتية اللذين كانوا من أصل مصرى لكسب قضيتهم التى رفعها « هرمياس » وأراد أن يكسبها بوصفه إغريقى بأية حال من الأحوال ؛ غير أنه على الرغم من إنتشار الفساد والرشوة سارت العدالة فى مجراها وظفر أصحاب الحقوق بحقوقهم فى النهاية على الرغم من أنهم من أرومة مصرية .

هذا ولدينا قضية أخرى من نفس هذا العهد ومن نفس المكان غير أنها فى هذه المرة رفعها مصرى على مصرى آخر وتتلخص فى أن المحنط (Paraschiste) « بتنيفوتيس» Petenphotes رفع دعواه على زميله « آمينوتيس » وقد قدم شكواه لنفس حاكم المقاطعة العسكرى[1]. ولما كان المتنازعان من أصل

(١) راجع Pap. Taur., VIII.

مصرى فان مناقشة القضية كان لا بد أن تكون أمام قضاة مصريين ، هذا إذا لم يكن العقد الذى حرر بينهما — فى ١٣ بؤونه من العام الخمسين من حكم « بطليموس السابع » (= أول يوليو عام ١٢٠ ق . م) وهو الذى انتهك حرمته « امينوتيس » لم يكن قد حرره كاتب إغريقى ، وعلى ذلك كان لا بد أن يحقق أمام القضاء الهيلانى . وهكذا نرى أن الإغريق كانوا يتدخلون فى المسائل القضائية بقدر المستطاع حتى يكون زمام الأمور فى أيديهم حتى ولو فى أتفه الأشياء . ومن أجل ذلك كانت العداوة مستحكمة بين المصريين والإغريق وبسبب ذلك قام المصريون منذ أواخر حكم « بطليموس الرابع » حتى نهاية الحكم البطلمى بعدة ثورات كان الغرض منها محاربة الظلم والعنصرية والقضاء على الاستعمار جملة من كل البلاد .

نهاية عهد بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى

تحدثنا النقوش التى على جدران معبد ادفو أن « ايرجيتيس الثانى » فى آخر حياته أى العام الرابع والخمسين من سنى حكمه (١١ بؤونه = ٢٨ يونيه عام ١١٦ ق. م) قد وضع أسس الجدار الكبير الذى يحيط بالمعبد وكذلك بواباته. وفى خلال العمل فى وضع هذه الأسس وافته المنية[١] وخلفه ابنه على عرش الملك كما سنرى بعد. وتدل الظواهر على أن « بطليموس » هذا قد عاش عيشة هينة لا مشقة فيها ولا تأنيب للضمير حتى عام ١١٦ ق. م وهو العام الذى حضرته فيه الوفاة، وهو فى حوالى الخامسة والستين من عمره، أى بعد أن حكم مع أخيه أو وحده مدة ٥٤ عاماً، تاركاً وراءه ذكريات جرائمه البشعة التى لا مثيل لها فى تاريخ الإنسانية إلا النذر اليسير. هذا إذا صدقنا كل ما قيل عنه، وقد أدهش علماء الأخلاق كيف أنه مات على فراشه دون أن تنتقم منه العناية الإلهية فيموت ميتة المجرمين وقد ذهبوا فى تفسير ذلك كل مذهب.

أما « كليوباترا الثانية » شريكته فى الملك فلسنا على يقين من أنها قد حضرتها الوفاة قبله كما يصرح بذلك المؤرخ « جوستن » دون شك. وقد كان هذا هو الرأى المحتمل على حسب ما جاء فى بيان رسمى مؤرخ ٢٢ مايو

---

(١) راجع Dumichen. A. Z. VIII (1870) P. 4 & 11. حيث يقول المتن. « وفى نهاية حياته فى السنة الرابعة والخمسين من حكم هذا الملك الحادى عشر من شهر بئونة وضعت أسس جدار الحرم والبوابة، وفى أثناء العمل فى ذلك من كل الجهات (فى هذا الجزء من المعبد) مات الملك ».

عام ١١٨ ق . م حيث لم يوجد اسمها فيه بوصفها شريكة له فى الملك[1]. غير أن اسم « كليوباترا الثانية » قد ظهر فى أوراق « تيتنيس » بعد ٢٨ أبريل و ٧ ديسمبر من عام ١١٨ ق . م ، يضاف إلى ذلك أنه قد اقتبس من ورقة بردية مؤرخة ٩ بابه السنة الثانية (٢٩ أكتوبر عام ١١٥ ق . م) من عهد الملكة «كليوباترا » و الملكة « كليوباترا » والملك « بطليموس سوتر » . وعلى ذلك فان « كليوباترا » لم تمت قبل « بطليموس ايرجيتيس » اللهم إلا إذا كان هناك خطأ ارتكبه الكاتب فى تكرار كلمة « كليوباترا » .

هذا وكان آخر عمل قام به « إيرجيتيس الثانى » لإرضاء طموح زوجه « كليوباترا الثالثة » — وهذا العمل كان فى الوقت نفسه يعتبر خطأ سياسياً من حيث مبدأ أسرته — أنه ترك عرش البلاد تحت تصرف « كليوباترا » هذه ، فقد أعطى لها حق اختيار من توليه من ولديها عرش البلاد ليكون لها شريكاً فى الملك ، ومعنى هذا أن « بطليموس إيرجيتيس الثانى » لم يتمسك بأية حال من الأحوال بالقاعدة التى كانت تحرم زواج ولى العهد قبل توليه الملك ، فقد كان ابنه الأكبر « بطليموس سوتر الثانى » متزوجاً فى حياة أبيه من أخته « كليوباترا الرابعة » . وعلى أية حال فانه ترك « لكليوباترا » أن تختار من تشاء من ولديها لتولى عرش الملك دون تفرقة بين الصغير والكبير[2] ويرجع السبب فى ذلك إلى أنه هو نفسه كان فى حرب على أخيه من جراء هذه الفكرة.

وقد امتد أجل هذه الحرب لهذا السبب مدة خمسة وعشرين سنة ، هذا فضلا عن أنه كان يرجع فى نظريته فى أمر تولى الملك من يستحقه من أولاده

---

(١) راجع Strack. P. 200, 20.

(٢) راجع B.L. II, P. 85 and note 3.

إلى « بطليموس سوتر الأول » . وعلى ذلك كلفت « كليوباترا الثالثة » بأن تقرر إذا كان نظام الأحقية هو الذي يجب أن يتبع أو نظام السن هو الذي يؤخذ به . وقد كان من البدهي مهما كان اختيار « كليوباترا » أن الحرب الداخلية كانت لا بد آتية بعد فترة قصيرة . ولا شك أن إختيارها كان معناه الاستعداد لحرب داخلية . هذا ويمكن القول — حتى بعد إقصاء الإبن الأكبر إلى « قبرص » — أن المناوشات العدائية قد ابتدأت . والواقع أن « بطليموس إيرجيتيس الثاني » كان على مقدار عظيم من الذكاء لدرجة جعلته يتنبأ بهذا المستقبل القريب ، وأن في ذلك ما يكفي للدلالة على أنه كان محباً لنفسه لدرجة جعلته لا يهتم بالعرش ومن سيتولاه بعده .

ومما زاد الطين بلة أنه قد ارتكب عملا أكثر ضرراً ؛ وذلك أنه في فقرة من فقرات وصيته التي كانت تتنافى مع الأخلاق ومع مصلحة البلاد في وقت واحد ، أوصى هذا العاهل بملكه القديم في « سرنيقا » لابنه غير الشرعي المسمى « بطليموس إبيون » وهو ابن حظيته « إيرن » على ما يظن[1]. والآن يتساءل الإنسان هل كانت « سرنيقا » قد منحت له بوصفها إقطاعاً لمدة الحياة أو بمثابة ملكية يمكن نزعها ؟ . والواقع أننا لا نعرف شيئاً عن هذا الموضوع من الوجهة القانونية ، إلا ما جاء في تفسير رجال القانون في « روما » . وهؤلاء قد حكموا فيما بعد أن تكون « روما » هي الوريثة « لبطليموس إبيون » . ولكن وجود نقود في « سرنيقا » مضروبة باسم « بطليموس سوتر الثاني » (١١٦ — ١١٧ ق . م) يبرهن على أن الوصية — إذا كانت حقيقة موجودة — تترك بعض الشك في شروط الوصية التي عملت لصالح « بطليموس

---

(١) راجع Justin, XXXIX, 5, 2.

إيبون » ، وأن ملك مصر كان فى إمكانه التسلط على « سرنيقا » ما دام لم يقهره أخاه المناهض له .

ولا بد أن « إيبون » كان فعلا حاكماً أو نائب ملك على « سيرينى » فى مدة حياة والده « إيرجيتيس الثانى » ، وأنه كان لا بد من اشعال نار حرب للاستيلاء منه على عرش « سرنيقا » . ولا بد أن « روما » التى كانت قد فرغت من حروبها الداخلية الطويلة وهى التى كانت قد شغلتها بعض الوقت عن تنفيذ أطماعها فى الخارج ، قد أخذت تفكر فى فتح بلاد الشرق، وذلك بعد أن أصبحت قدمها راسخة فى « برجام » بوصفها الوارثة لملوكها .

ولا نزاع فى أن الأحوال كانت مهيئة للرومان فى تلك الفترة لتنفيذ أغراضهم . فقد كانوا فى مصر هم الحاملين لمدة طويلة للملك « إيرجيتيس الثانى » ، كما رأينا من قبل ؛ ولا أدل على ذلك من أنهم قد تركوه هادئاً مطمئناً لمدة ، وكانوا فى خلال ذلك مصوبين أنظارهم إلى الجزء الذى يمكن فصله من المملكة البطلمية — أى « سرنيقا » — دون أن يقضوا على كل بنائها .

حكم المؤرخين على إيرجيتيس الثانى

إن من يتتبع تاريخ « إيرجيتيس الثانى » فى أول أمره يجد أنه — على حسب ما رواه الكتاب القدامى — كان سلسلة جرائم من أبشع ما عرفه التاريخ ، ولكن نجد أنه بعد أن تقدمت به السن ظهر بمظهر الرجل المدقق اليقظ الذى كان يعمل على راحة شعبه والنظر فى شكاوى رعاياه عن طيب خاطر ، فكان يحميهم من عبث الموظفين ومظالمهم . والواقع أن من يقرأ مرسوم العفو الذى أصدره فى عام ١١٨ ق . م وهو الذى أوردناه فيما سبق ، يجد أنه على طرف نقيض بالنسبة للصورة التى صورها لنا المؤرخون عن أخلاقه والتى تناقلها الكتاب الأقدمون ؛ ومن ثم تعد صورة كاذبة أو على الأقل تعتبر صورة مبالغ فيها إلى حد بعيد . ففى هذا المرسوم نجد بدلا من الملك الطاغية الذى قتل أولاده وحصل على كل ما كان يريد أن يصل إليه بالدس والقتل كما ذكرت لنا التقاليد التى وصلت إلينا ، قد مثل فى صورة الإنسان الذى كان يسهر على راحة شعبه بوضع الإصلاحات الممتازة ، كما كان يبذل جل همه فى إقامة العدل بين الإغريق والمصريين على قدم المساواة ؛ بل كان يقوم بنفسه فى فحص شكوى الأفراد . وفى إعتقادى أن ما نسب إليه من قسوة وغلظة وتقتيل وتعذيب قد يكون بعضه صحيحاً . ويشفع له فى ارتكاب مثل هذه الإجراءات — إلى حد ما — ما كانت عليه حالة البلاد من فتن داخلية واضطرابات متعددة ومفاجآت خارجية جعلته يقسو ويخرج عن حدود الإنسانية . وعلى أية حال فان معظم ما نسب إليه من تقتيل وتعذيب لا يرتكن إلى حقائق تاريخية أكيدة محسة فى عدد من الأحوال .

ومن الأشياء التى تدعو إلى الدهشة ما روى عنه من تناقض فى سلوكه، وأبرز مثال لذلك أنه بعد الذى حكى عنه من تشتيت شمل علماء الإسكندرية الذين فروا من البلاد المصرية خوفاً من عنفه وقسوته وسوء معاملته لهم ، أن نعلم أنه كان أديباً كبيراً وأنه من تلاميذ العالم النحوى الناقد « أريستاركوس» ، وأنه كان صاحب ذوق، عالماً بالمناقشات الخاصة بالألفاظ اللغوية وبالشعر والأساطير الهومرية . يدل على ذلك أنه قد اقتبس عنه تصحيح بيت شعر للشاعر «هومر» . والواقع أن هذا الاتجاه كان هو النحو المتبع فى عصره . فقد كان معاصره من الملوك هو « أتالوس الثالث فيلومتور » ملك «برجام» وعلى الرغم مما اشتهر به من رذائل كان فى آن واحد يتصف بنفس الذوق الأدبى الذى اتصف به « بطليموس السابع » . ولا غرابة إذن أن نجد « بطليموس » قد لقب نفسه باللغوى ، وهذا اللقب كان بلا نزاع يعتبر أشرف الألقاب التى كان يحملها . والواقع أنه اهتم بتنمية المكتبة والميزيون وحماهما من المنافسة . وذلك مما ذكر عنهمن منع تصدير البردى إلى الخارج وإضافة كتب من مؤلفاته إليها ؛ فقد ذكر أنه ألف مذكرات فى أربعة وعشرين مجلداً وتعتبر هذه المجلدات موسوعة كدس فيها — على غير نظام — معلومات منوعة ؛ هذا بالإضافة إلى بعض قطع خاصة بترجمته لنفسه وحكايات عن معاصريه ؛ كما دون فيها كل ما يعرفه من معلومات فى التاريخ الطبعى والجغرافية وعلم السلالات[1]. وقد قص علينا فى موسوعته ، هذه الأمور الشاذة والخلاعة التى كان يظهر بها عمه « أنتيوكوس إبيفانس » ، كما وصف أدوات المائدة الخاصة بملك النوقديين « ماسينيسا » (Massinissa) ومدرسته للأطفال، كما كان يتبجح

(١) راجع Fragments, extraits Athenée in Carl Muller Historicum Graecorum III, P. 186-189.

بذوق « بومنيبس » للخنازير السمينة التى كان يدفع عن الواحد منها ٤٠٠٠ درخمة ، وغير ذلك من السخافات . هذا وكان « بطليموس السابع » مؤلف كتب فى السحر أيضاً[١]. وقد قيل عن « بطليموس البطين » هذا ، أنه كان يرغب فى أن يحل بمفرده محل العلماء الذين جعلهم يفرون من الإسكندرية . على أنه كان قد بقى بعضهم بالإسكندرية ولم يكن لديهم ما يشكون منه من سوء تصرف «بطليموس» نخص بالذكر منهم « باناريتوس » (Panaretos) تلميذ « أرسيسيلاس » (Arcesilas) وكان يتقاضى مرتباً سنوياً قدره إثنى عشر تالنتا ؛ وقد كان مشهوراً بصغر جسمه ، وكان صديقاً حميما «لبطليموس إيرجيتيس الثانى » . أما أستاذه « أرسيسيلاس » فهو المؤسس للأكاديمية الجديدة . وقد عاش فى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد . هذا ويقول « بوزيدونيوس » الذى نقل عنه « سترابون » مع بعض الشك ، أن الملك « إيرجيتيس الثانى » هو الذى صرف على رحلة أرسلت لإرتياد بلاد الهند وكان يقودها الجغرافى «يدووكس» (Eudoxe) من أهالى«سيزيك» (Cyzique) ، ويقال أنه عاد بسفنه محملة عن آخرها بالعطور والأحجار الثمينة ، غير أن « إيرجيتيس الثانى » خيب آماله لإستيلائه على كل ما جلبه معه[٢].

ومن الجائز أن « بطليموس السابع » قد يمكن أن يكون أكثر سخاء لو لم يكن فى حاجة إلى مبالغ باهظة للصرف منها على المبانى التى كان يقيمها فى طول البلاد وعرضها وقد كان يشجعه على ذلك ميله لإقامة المبانى الدينية ،

---

(١) راجع Dieterich in Jahrbb., f. Kl. Phil., Supplb. XVI (1886). P. 754, 9.

(٢) راجع Strab., II, P. 98.

هذا فضلا عن أنه كان يريد أن يرضى الكهنة الذين كان فى أيديهم زمام الشعب المصرى كله وسنتحدث عن مبانيه فى فصل خاص .

ولا نزاع فى أنه بعد موت « بطليموس السابع » أخذت مصر تنحدر نحو هاوية سحيقة إلى حتفها . ومن ثم فان ما بقى من عهد البطالمة لم يكن إلا فترة نزاع موت طويلة إمتد أجلها حوالى أقل من قرن من الزمان كانت فى خلالها الأسرة الحاكمة قد لحق بها الدمار ، وكان مثلها فى ذلك كمثل دولة السليوكيين . فقد كانت كل من هاتين الدولتين جريحة بجراح لا يرجى برؤها . وهذه الجروح ترجع فى أصولها إلى المنافسات الأسرية . وقد كان « إيرجيتيس الثانى » هو الذى سبب لها هذه الجراح الفتاكة التى أصبحت لا يرجى شفاؤها بعد موته وانتهى أمرها بالقضاء على الأسرة نهائياً وبخاصة عند ما نعلم أن الرومان قد صوبوا أنظارهم نحو مصر وأرسلوا البعوث لفحص كل نواحى حياتها وما فيها من خيرات لا تجارى ووضعوا التقارير عنها ، ومن ثم أخذوا يتدخلون فى شؤونها بصورة سافرة حتى وضعوا أيديهم عليها وأصبحت درة فى تاج الامبراطورية الرومانية كما سنرى بعد .

والآن قبل أن نتحدث عن آثار هذا الملك التى خلفها فى مصر يجب أن نقف هنا وقفة قصيرة لنفحص بعض الشىء مكانة شخصيتين غامضتين وإن شئت ثلاث شخصيات اختلط أمرهم على المؤرخين ولا يزال الوصول إلى حل مرضى بشأنهم من الأمور المستعصية فى تاريخ البطالمة وأعنى بهم « يوباتور » و « نيوس فيلوباتور » وأخيراً « بطليموس المنفى » وسنستعرض فيما يلى كل ما وصلت إليه معلوماتنا عن هؤلاء الأشخاص حتى يومنا هذا :

بطليموس الثامن يوباتور (؟)

لم يثبت مما لدينا من وثائق أن هذا الأمير قد حكم أرض الكنانة منفرداً . وقد ورد ذكره فى جملة نقوش هيروغليفية وإغريقية وديموطيقية ، غير أنه على الرغم من كثرة المعلومات التى تمدنا بها هذه النقوش فانها مع الأسف لا تساعدنا على تبسيط تاريخه بصورة واضحة جلية . وعلى ذلك فان التفسيرات المختلفة التى أمكن الوصول إليها من هذه المعلومات يجب أن توضع هنا أمام الباحثين الذين يريدون معرفة شىء عن حياة هذا الملك الغامض الذى تضاربت فيه الأقوال .

كان أول من وضع يده على أول خيط من خيوط تاريخ هذا الأمير هو الأثرى « لبسيوس » وذلك فى عام ١٨٢١ ميلادية عند ما عثر على بردية كتبت بالإغريقية فى متحف «ليدين» حيث دون فيها قائمة بملوك بطالمة مؤلهين بعد موتهم ومن أجل ذلك كانت تقام لهم عبادة بوصفهم آلهة[١]. وهذه البردية نشرها العالم « بوك » عام ١٨٢١ ثم نشرها ثانية «لمان» عام ١٨٤٣ ميلادية .

يأتى بعد ذلك نشر ورقة إغريقية محفوظة فى باريس تدعى ورقة « كاساتى » رقم ٥[٢]حيث نجد هذا الأمير قد ذكر باسم « الإله يوباتور » (Deos Eupator) وقد وضع من حيث الترتيب بين « بطليموس إبيفانس »

---

(١) راجع Gauthier L.R. IV. P. 335 note 2.

(٢) راجع Ibid. P. 335.

و « بطليموس فيلومتور » . وقد استنبط « لبسيوس » من هذا الوضع منذ عام ١٨٥٢ ميلادية أن « يوباتور » كان الإبن الأكبر للملك «إبيفانس»، فى حين أن « فيلومتور » لم يكن إلا الإبن الأصغر لنفس « إبيفانس » . ومن أجل ذلك سماه « بطليموس السادس » فى سلسلة ملوك البطالمة وجعل « فيلومتور » « بطليموس السابع »[1]. هذا وتوجد عدة برديات تؤكد هذا النظام بذكر « بطليموس » الإله « يوباتور » بين « إبيفانس » و « فيلومتور »[2]. يضاف إلى ذلك أن المؤرخ « مهفى » قد قبل الترتيب الذى وضعه « لبسيوس »[3] وقد نهج على مناهجه كل من « بركش»[4] و « بدج »[5]. ومن الغريب أن « بدج » قد ذهب إلى التأكيد بأن هذا الأمير كان مشتركاً مع والده فى حكم البلاد لبضع سنين قبل موت « إبيفانس » غير أنه لم يقدم لنا دليلا واحداً على صحة ما قال . ثم أضاف أنه بعد ذلك قد حكم بعد موت والده بضعة أشهر أو على الأقل بضعة أسابيع .

ومع ذلك فانه كانت توجد عقبة كأداء تقف فى وجه هذه النظرية . وذلك أن النقش الإغريقى الذى عثر عليه فى خرائب معبد للإله « أبوللو » (فى جزيرة قبرص) يعون صراحة أن الملك « بطليموس » ، الإله « يوباتور » قد أنجبه الملك « بطليموس » والملكة « كليوباترا » (الثانية) الإلهان المحبان

---

(١) راجع Cf. Abhandlungen der Konigl. Preuss. Akad. der Wiss., 1852, P. 456 et seq.

(٢) راجع British Museum Papyrus 20 Greek pap. by Grenfell.

(٣) راجع The Empire of the Ptolemics (1895) P. 329.

(٤) راجع Thesaurus, P. 863-4.

(٥) راجع A History of Egypt. VII, P. 23.

لوالدتهما[1] يضاف إلى ذلك أن المؤرخ « ستراك » يضع — فى عام ١٨٩٧ ميلادية بحق — « يوباتور » بعد والده « فيلومتور » ويقول عنه أنه « بطليموس السابع »، فى حين أن « فيلومتور » يعتبر « بطليموس السادس »[2] غير أنه يلحظ فيما ذكره « ستراك » بعض عدم التثبت فى موضوع تاريخ إختفاء « يوباتور » من الحكم : فنراه بعد أن أكد على حسب عملة « بافوس » بأنه كان مشتركاً فى الملك مع والده فى عام ٣٦ من حكم الأخير (١٤٥ ق . م) وعلى حسب ما جاء فى فقرة فى المؤرخ « جوستن »[3] بأنه دون أى شك حكم بضعة أيام بعد والده « فيلومتور » ، يعلن فى مكان آخر من كتابه أن « يوباتور » لم يحكم بعد وفاة « فيلومتور » ، ولكن كان حكمه فى نفس الوقت الذى كان عائشاً فيه كل من والديه « فيلومتور » و « كليوباترا الثانية »[4]. ويقول « جوتييه » أن هذا التفسير الأخير هو الصواب ، وهذا ما ستؤكده لنا الآثار المؤرخة بحكم « فيلومتور » حيث نجد بوضوح أن « يوباتور » قد كان مشتركاً فى عرش الملك مع والده . غير أن هذه الآثار لا ترجع قبل عام ٢٩ من حكم والده (١٥٢ ق . م) . ولما كان الأخ الأصغر « لبطليموس فيلومتور » ، وهو « بطليموس إيرجيتيس الثانى » قد أصبح ملكاً للمرة الأولى فى عام ١٧٠ ق . م أى قبل « يوباتور » بثمانية عشر عاماً ، وقد عد دائماً سنى حكمه من أول عام ١٧٠ ق . م ، فانه يجب

---

(١) راجع Ph. Le Bas, Voyage Archéologique en Grèce et en Asie Mineure. t. III P. 642, No. 2809, Strack. Die Dynastie der Ptolemaer. P. 198 n. 101.

(٢) راجع Ibid. 37-8.

(٣) راجع Justin. XXXVIII, 8, 8.

(٤) راجع Strack Ibid. P. 188.

ــ على ذلك فى الواقع ــ أن يسمى « بطليموس السابع » ، وعلى ذلك يجب علينا أن نمنح ابن أخيه لقب « بطليموس الثامن » فى سلسلة ملوك البطالمة . وهذه كانت من قبل فكرة المؤرخ « وادنجتون » (Wadington) ، وقد أخذ المؤرخ الكبير « بوشيه لكلرك » بهذا الرأى وعززه بالبرهان القاطع حيث استعرض كل وجوه المسألة[1].

ولكن « جوتييه » يرى أن المؤرخ « لكلرك » قد غالى فى حديثه فى هذا الصدد عند ما أراد أن يعتبر أن « بطليموس الثامن يوباتور » كان فعلا قد نصب نائب ملك أو ملكاً فى حياة والده « فيلومتور » وبوصفه الخلف المباشر لهذا الملك الأخير على عرش مصر . وأنه كان قد حكم بكل الحق الشرعى فى الإسكندرية لمدة بضعة أيام على الأقل ، ثم ذبحه بعد ذلك عمه « إيرجيتيس الثانى » ؛ وعلى أثر عودته من « سرنيقا » تزوج والدته وبدأ عهد حكمه الثانى[2]. والظاهر أن موت إبن « بطليموس فيلومتور » ووريثه على العرش كان قد بقى على أية حال سراً خفياً فى هذه الأحوال حتى لا يشك أهل الإسكندرية فى أن الملك الجديد كان هو المحرض على إرتكاب الجريمة . هذا هو رأى المؤرخ « بوشيه لكلرك » ، فى حين نجد أن « جوتييه » ينحاز إلى رأى كل من « جرنفل »[3] والأستاذ « جرفث » الذى تحدثنا عنه فيما سبق[4] ، وذلك على الرغم من المعارضات الذى أقامها « بوشيه لكلرك » فى وجه هذا الرأى

---

(١) راجع Histoire des Lagides tome II. P. 56 note 2.

(٢) راجع Ibid., II, P. 56 et 62-63.

(٣) راجع The Tebtunis Papyri, Vol. I. P. 554.

(٤) راجع Catalogue of the demotic Papyri in the J. Rylands Library. Vol. III, P. 140142.

القائل أن « يوباتور » قد مات وهو لا يزال أخضر العود فى خلال حكم والده أى أنه بعد العام الواحد والثلاثين من عهد « فيلومتور » لم يظهر « يوباتور » فى الوثائق الرسمية بأنه حى يرزق ، بل ظهر بأنه مؤله (أى مات وأصبح مؤلهاً) . وقد حشر فعلا قبل موت أبيه فى المكان الطبعى الذى يجب أن يحتله فى سلسلة ملوك البطالمة المؤلهين أى أنه وضع بين الملك « بطليموس الخامس إبيفانس » و « بطليموس السادس فيلومتور » .

بطليموس يوباتور وقبرص

ذهب بعض المؤرخين إلى الزعم بأن « يوباتور » بن الملك « بطليموس فيلومتور » و « كليوباترا الثانية » كان قد نصب نائب ملك بل وقيل أنه توج ملكاً على « قبرص » . ونحن نعلم من الأوراق البردية أنه كان قد اشترك مع والده فى حكم مصر منذ إبريل عام ١٥٢ ق . م غير أنه من المحتمل أنه لم يكن مشتركاً معه في يناير عام ١٥٠ ق . م رأنه فى يولية من نفس العام حضره الموت . وقد اقترح أنه كان قد توج ملكاً على « قبرص » لأجل أن يقوى حكومتها بسبب التهديد بالهجوم عليها من قبل « بطليموس إيرجيتيس الثانى » أو « البطين » كما كان يدعى . وقد قام فعلا هذا الهجوم عام ١٥٤ ق . م كما ذكرنا آنفا . يضاف إلى ذلك أن فصل « قبرص » عن « مصر » كان يتمشى مع رغائب السياسة الرومانية . وكان من فائدة « فيلومتور » أن يرضى الرومان ، وبخاصة عند ما نعلم أنه كان على أبواب القيام بالتدخل فى شؤون سوريا فى جانب « الإسكندر بالاس » . ولكن مما يؤسف له أن وجود « يوباتور » فى « قبرص » وقتئذ لم تقم عليه دلائل قاطعة ، وقد تحدث عن هذه الأوراق البردية الأثرى « جوتييه »[1]. وعلى أية حال نجد أن « جوتييه » قد قبل وجود عملة — كما سنذكر بعد — تدل على أن السنة الأولى من عهد « يوباتور » تقابل السنة السادسة والثلاثين من عهد الملك « فيلومتور »[2].

---

(١) راجع Gauth. L. R. IV. PP. 335 ff.

(٢) راجع Ibid. P. 297 No. 1.

أما عن النقوش التى دونت على شرف الإله « يوباتور » فان واحداً منها يبرهن على أنه كان ابن « فيلومتور » و « كليوباترا الثانية »[١]. هذا وقد تحدث « باريتى »[٢] عن ثلاثة نقوش أرخها بعامى (١٥٣ — ١٥٢ و ١٥١ — ١٥٠ ق . م) مدعياً أنها تبرهن على وجود « يوباتور » وقتئذ فى « قبرص » ، والواقع أنها لا تبرهن على ذلك ، غير أنه يمكن القول أنه من الأشياء التى تلفت النظر أن ثلاثة التماثيل التى مثل فيها « يوباتور » بوصفه ملكا كانت كلها قد أقيمت فى « قبرص » فى حين أنه لم يعرف له حتى الآن أى تمثال فى مصر . ومما يؤسف له أنه فى كل من هذه التماثيل الثلاثة قد محى اسم المهدى . والمسلم به بوجه عام أن هذا المحو كان قد عمل بعد تولى « إيرجيتيس الثانى » ، وذلك تمشياً مع سياسة انزال اللعنة على ذكرى « فيلومتور » ونسله .

هذا ونجد من جهة أخرى أن الأثرى « أوتو »[٣] (Otto) قد وضع أمامنا استنباطاً غاية فى الفطنة فقد قال أن ما تدل عليه أوراق البردى هو أن « يوباتور » قد ظهرت عبادته بوصفه إلها فى عام (١٥٣ — ١٥٢ ق . م) ، وفى أبريل عام ١٥٢ ق . م نجد أنه كان مشتركاً مع والده . وفى يناير عام ١٥٠ ق . م . لم يكن مشتركاً مع والده فى الحكم . غير أنه لم يمت إلا بعد ذلك ، لأنه على مايظهر ، على حسب نكتة فاه بها « انتباتور » الصورى منسوبة

(١) راجع O.G. 1 S. 125, 126, 127.

(٢) راجع L. Parete, Ricerche sui Tolemi Eupatore e Neo Filopatore in Atti Acad. Torino, XLIII, 1907-8, 497-519.

(٣) راجع W. Otto, zur Gesch. der zeit des 6 Ptolemaers in Abh. Bayer. Akad. Phil-hist. Abt., N.F. Heft XI, (1934) PP. 119 ff.

(٤) راجع Anth Pal. VII, 241.

إليه جعلت موته يقع فى وقت واحد مع كسوف كلى للقمر رؤى فى مصر . وهذا الكسوف يشير إلى الثالث من يولية أو الثامن والعشرين من ديسمبر عام ١٥٠ ق . م . وعلى ذلك فان النقوش الثلاثة تقع فى الفترة ما بين (١٥٣ — ١٥٢) إلى ١٥٠ ق . م . ولما كانت هذه النقوش تذكر « يوباتور » وحده ولم تذكر والده فان « أوتو » قد استنبط من ذلك أن هذه النقوش عند ما حفرت لم يكن « يوباتور » بعد مشتركاً مع والده فى الملك بل كان ملكاً منفرداً . وعلى ذلك فان والده لم يعد بعد حاكماً «لقبرص» . ومن ذلك نفهم أن « يوباتور » بعد انقضاء وقت مابعد أبريل عام ١٥٢ ق . م قد أصبح لا يشترك فى حكم كل الدولة المصرية ، بل أصبح حاكماً مستقلا أى ملكاً على « قبرص » وذلك لأن « فيلومتور » قد نزل عن « قبرص » له . وقد اقترح أن « أميليوس لبيدوس » (Aemilius Lepidus) هو الذى نصب «يوباتور» بمثابة ملك فى عام ١٥٢ ق . م . وأن هذا هو موضوع عملة إغريقية مشهورة[1] وقد استعمل « أنتيباتور » كلمة ανοξ وهى اللفظة القديمة التى كانت تطلق على أمراء « قبرص » لتصف « يوباتور » بأنه حاكم « قبرص » غير أن البيان الذى قدمه لنا « أوتو » هنا ينطوى على نقطتى ضعف . فقد ذكر لنا المؤرخ « دتنبرجر » (Dittenberger) أنه فيما يخص قاعدة تمثال « ابيفانس »[2] فان تماثيل الحكم المشترك يمكن أن تقام كل منها على الفراد وأن النقش يشير لكل منهما على انفراد باسم صاحبه .

ومن جهة أخرى لا يمكن أن نبنى قضية تاريخية على نكتة شعرية .

---

(١) راجع Hill. Hist. Rom. Coin. PP. 51 ff.

(٢) راجع O. GIS, 93.

ولكن على أية حال مهما كان غرض الخطة سواء أكان « يوباتور » قد نصب ملكاً على « قبرص » أم لا فانها قد أسفرت على لا شيء وذلك بسبب القضاء على الملكية المشتركة لسبب مجهول وموت « يوباتور » وهو غض الأهاب . على أن هذا الموضوع قد أحيي من جديد . وذلك أنه عثر على عملة فى بافوس (Paphos) عليها تاريخ مزدوج يوحد السنة الأولى — للملك اشترك حديثاً فى الملك — بالسنة السادسة والثلاثين من عهد الملك « فيلومتور » . وذلك يبرهن على أنه فى عام (١٤٦ — ١٤٥ ق . م) لا بد قد نصب إبناً آخر معه على عرش الملك ليكون شريكاً له . وقد كان هذا الحادث دون شك فى أمسية سفره على رأس الحملة التى قام بها إلى «سوريا» وهى التى كان فيها القضاء على حياته . وهذه الحملة كما ذكرنا من قبل كانت لمساعدة « الإسكندر بالاس » لا عليه . وقد كان هذا الإبن الذى نصب شريكاً له هو الذى يعرف عند المؤرخين باسم « نيوس فيلوباتور » ، وهو الذى يقال أن « بطليموس إيرجيتيس الثانى البطين » قد قضى على حياته فى نفس اليوم الذى تزوج فيه من أمه « كليوباترا الثانية » .

بطليموس فيلوباتور نيوس

والواقع أن كل ما لدينا من معلومات حتى الآن ليست بكافية لكشف النقاب عن شخصية هذا الأمير الذى لم يحكم البلاد أبداً ، وأن ما تحوم حول شخصيته من شكوك هى نفس الشكوك التى لفت شخصية « يوباتور » فى ظلام دامس .

والغريب أن هذين الأميرين كثيراً ما يختلط الواحد منهما بالآخر وسنحاول فيما يأتى أن نذكر المصادر الأثرية التى جاء فيها ذكر هذا الأمير وما قيل عنها من آراء متضاربة ثم نختم الكلام برأى الأستاذ « شاسينا » فى موضوع توحيده مع « بطليموس المنفى » على حسب متن جديد وجد بين نقوش معبد « ادفو » الكبير . ويرجع الفضل فى حل معناه إلى هذا الأثرى الكبير .

ظهر اسم هذا الأمير للمرة الأولى فى بردية ديموطيقية محفوظة الآن بمتحف « برلين » ومؤرخة بالثالث أو الخامس من بشنس من العام الثانى والخمسين من عهد الملك « إيرجيتيس الثانى » (= ١١٨ ق . م) أى بعد الأمير « يوباتور » بحوالى أربعين عاماً .

هذا وكان الأثرى « لبسيوس » يعرف هذه البردية منذ عام ١٨٥٢ م غير أنه عارض فى أهميتها التاريخية وذلك بقوله أن الأمير « نيوس فيلوباتور» قد ذكر فى المتون الهيروغليفية التى فى معبدى « طيبة » و « أمبوس » (كوم أمبو الحالية) ؛ ولا بد إذاً أنه كان قد حشر اسمه فى سلسلة الملوك الشرعيين ، وكان يعبد رسمياً قبل عام ٥٢ من عهد الملك « البطين إيرجيتيس

الثانى »[١]. ومن ثم نلحظ أن « لبسيوس » قد أخطأ فى توحيد الأمير « نيوس فيلوباتور » بابن «فيلومتور» و « كليوباترا الثانية » الذى يحتمل أن « إيرجيتيس الثانى » قد قتله (؟) . وقد وحده « جوتييه » بالأمير « يوباتور » هذا ونجد من جهة أخرى أن الأثرى « جرنفل »[٢] قد أعلن صواب رأى « لبسيوس » . أى أن « فيلوباتور نيوس » هو « يوباتور » . هذا ونجد ثانية أن الأثرى « ريفيو » (Revillout) قد رفض رفضاً باتاً هذا التوحيد وقال أن « نيوس فيلوباتور » هو ابن « إيرجيتيس الثانى » و « كليوباترا الثانية » وعلى ذلك كان أخ « يوباتور » من أمه ، ولكنه لم يوحده بالأمير المنفى الذى ولد فى « منف » خلال الاحتفال الرسمى بتتويج « إيرجيتيس الثانى » ويقول « ريفيو »[٣] أنه إذا كان هذا الأمير قد حشر بين شهر أمشير وشهر بشنس من السنة الثانية والخمسين فى سلسلة الملوك المؤلهين ، فان ذلك لم يكن إلا بمثابة إصلاح الخطأ جاء متأخراً وعمله هذا الملك لأجل الملكة العجوز « كليوباترا الثانية » التى رأت ابنها الثانى بوصفه وارثا للعرش . ومن ثم كان إشراكه فى عرش البلاد (ما بين عام ١٢٤ و ١١٨ ق . م) بمثابة ترضية نهائية لكبريائها من جانب « إيرجيتيس الثانى » عام ١٢٤ ق . م غير أن « كليوباترا الثالثة » كانت قد أكلت الغيرة صدرها من هذا الأمير وعملت على التخلص منه حتى لا يرث العرش . هذا وقد اعتبر المؤرخ

---

(١) راجع Uber einige Ergebnisse der Aegyptischen Denkmaeler fur die Kenntnisse der Ptolemaer-Geschichte P. 14.

(٢) راجع Grenfell (Greek Pap. in the Brit. Mus. Vol. I, P. 53.

(٣) راجع Revue Egyp. III, P. 6-8.

« مهفى » [١]أن « فيلوباتور نيوس » هو إبن خالة « يوباتور » الذى كان يعتبره هـــذا المؤرخ إبن « بطليموس الخامس إبيفـــانس » . وكان كما يقول « مهفى » ابن « فيلومتور » و « كليوباترا الثانية » . والأخيرة قد وضعته على عرش الملك بعد موت « فيلومتور » عام ١٤٦ ق . م وذلك بمساعدة حزب اليهود فى الإسكندرية . و « بطليموس فيلوباتور نيوس » هذا هو الذى نسب إليه « مهفى » النقش الإغريقى الذى وجد للإله « أبولو » (فى جزيرة قبرص)[٢]على نقش عثر عليه فى بلدة «بافوس» (Paphos) [٣]. وأخيراً نسب إليه النقش الذى عثر عليه فى جزيرة « حصه » وهو الذى كشف عنه الأثرى « سايس » (Sayce) عام ١٨٩٥[٤]. وكذلك قال أنه هو الذى قتله « إيرجيتيس الثانى » لا « يوباتور » فى نفس اليوم الذى تزوج فيه من « كليوباترا الثانية » أرملة « بطليموس السادس » عام ١٤٥ ق . م اللهم إلا إذا كان قد مات ميتة طبيعية وهذا ممكن كما يقول « مهفى »[٥]

أما الأثرى « بدج »[٦]فقد اعتنق بطبيعة الحال — بما عرف عنه من عدم الاهتمام فى المناقشات النقدية البعيدة الغور — أفكار المؤرخ « مهفى » فسمى هذا الأمير كما سماه « مهفى » « بطليموس الثامن » . كما أضاف أنه كان

---

(١) راجع Empire of the Ptolemaic, P. 32, No. 2 and P. 374 and note 1, P. 376.

(٢) راجع G. L. R. IV, P. 339, § V.

(٣) راجع Ibid. P. 207 note 1.

(٤) راجع Ibid., P. 339, § VI

(٥) راجع Empire of the Ptolemies, P. 380, No. 2.

(٦) راجع Budge Hist. of Egypt, Vol. VIII. P. 39 and Book of Kings II. P. 130.

يدعى على حسب بعضهم « يوباتور الثانى » وعلى حسب بعضهم الآخر « نيوس فيلوباتور » . ثم استمر فى خلطه بين هذين الأميرين ما شاء له الخلط .

أما الأثرى « ستراك » (Strack)[1] فانه يعتبر « نيوس فيلوباتور » « بطليموس التاسع » ولم يقتبس له أى نقش إغريقى .

وأخيراً أعلن « بدج » كذباً وبهتاناً بأنه لا يوجد أى نقش مصرى لهذا الملك ، على أن ذلك لم يمنعه على أية حال فى كتابه عن ملوك مصر أن يقتبس خمسة أمثلة عن لقب «فيلوباتور نيوس» بالمصرية القديمة منسوبة إلى مصادرها (راجع Ibid. P. 262) .

رأينا فيما سبق أن الأثرى « ريفييو » قد اعتبر « فيلوباتور نيوس » بأنه ليس ابن « فيلومتور » بل ابن « إيرجيتيس الثانى » . وهذا هو نفس الرأى الذى أخذ به « ستيوارت بول » (Stuart Poole) فى كتابه عن النقود الإغريقية فى مصر وكذلك كان هذا هو رأى « ستراك » . وقد ذهب الأخير إلى أبعد من هذا ووحد هذا الأمير بالأمير « بطليموس المنفى » الذى ولد فى عام ١٤٤ ق . م فى « منف » فى خلال انعقاد أعياد تتويج « إيرجيتيس الثانى » ، وأعدم عام ١٣٠ ق . م بيد والده نفسه وذلك عند ما كان الأخير قد طرد مؤقتاً من عرش الملك على يد أهالى الإسكندرية[2] . وهذا الرأى هو الذى اعترف به المؤرخ « بوشيه لكلرك » إلى أن تصل معلومات أكثر دقة كما يقول ، غير أنه مع ذلك اقترح حلا آخر مؤداه أن « نيوس فيلوباتور » هو الإبن البكر للملك « إيرجيتيس الثانى » و « كليوباترا الثالثة » لا ابن

(١) راجع Die Dynastie der Ptolemaer. P. 253.

(٢) راجع Die Dynastie der Ptolemaer, P. 179 note 1.

« كليوباترا الثانية » أى أنه كان الأخ الأكبر « لبطليموس العاشر سوتر الثانى » الذى ولد حوالى عام ١٤٣ ق . م أو ١٤٢ ق . م وأنه مات قبل والده (وهذا يفسر أنه لم يحكم) . وهذه النظرية الأخيرة هى التى يميل « جوتييه » للأخذ بها . ويقول أنها هى النظرية الوحيدة التى يمكن أن يفسر بها لماذا لم يظهر « فيلوباتور نيوس » فى النقوش التى على الآثار قبل عام ٥٢ من عهد « إيرجيتيس الثانى » (١١٨ ق . م) .

ومن كل ما سبق نرى أن المؤرخين الأحداث لم يتفقوا على رأى واحد فى تحديد مكانة « بطليموس فيلوباتور نيوس » فى التاريخ . غير أن الأثرى « شاسينا » كما ذكرنا من قبل قد طلع علينا برأى جديد استنبطه من نقش كشف عنه فى معبد « ادفو » وهـذا الرأى يتفق مع رأى كل من المؤرخين « ستراك » و « بوشيه لكلرك » فى جملته ، وسنضع ملخصاً لهذا البحث هنا لما فيه من طرافة ودقة وعمق فى التفكير . واعتقد أنه هو الرأى الصواب . وسنرى أن هذا الحل بما جاء فيه من أسانيد يدحض الرأى الذى اعتنقه الأثرى « جوتييه »[1] .

(١) راجع Gauthier. L.R. IV. P. 343.

لغز بطليموس المنفى وبطليموس نيوس فيلوباتور

لقد بقى موضوع قصة « بطليموس المنفى » إبن « بطليموس إيرجيتيس الثانى » و « كليوباترا الثانية » مثار جدل ومناقشات لم تنته بعد بصورة قاطعة . وقد كان آخر من تحدث عن هذه المسألة المعقدة الأستاذ « شاسينا » فى مقال رائع له . وسنحاول أن نتناول فحص هذا الموضوع من جديد مستعينين بكل ما كتبه المؤرخون فى هذا الصدد وبخاصة ما كتبه كل من من المؤرخ العظيم « بوشيه لكلرك » . والأثرى « شاسينا » وبخاصة الأخير الذى أمضى طوال حياته فى البحث فى نقوش البطالمة ونقلها .

والواقع أن الأستاذ « شاسينا » أراد أن يصل إلى حل لغز « بطليموس المنفى » من منظرين لفتا نظره فى محراب معبد « حور » فى « ادفو » . وهذان المنظران قد مثلا على الجدارين الشرقى والغربى لهذا المحراب على التوالى وهما يشغلان مكاناً موحداً عند الطرف النهائى للصف الثانى من النقوش(١) .

والمنظر الذى على الجدار الشرقى يظهر فيه الآله « تحوت » يقدم صولجاناً (ماكس) وثلاث جريدات من جريد النخل يتدلى من كل منها رمز العيد الثلاثينى للملك « بطليموس إيرجيتيس الثانى » وخلفه الملكة « كليوباترا الثانية » التى كانت تحمل الألقاب التالية : الإبنة الملكية والأخت والزوجة

---

(١) راجع E. Chassinat, Le Temple d'Edfu, T. IV. P. 91-93 et 248-249; T. X, Pl. LXXXVIII et XCIII; T. XIII, Pl. CCCCXXXIX et CCCXLVI; Mélanges Maspero I, P. 513 etc.

الملكية والأم الملكية والحاكمة ربة الأرضين « كليوباترا » الآلهة المحسنة الأخت والزوجة لإبن « رع » (بطليموس معطى الحياة أبدياً محبوب بتاح) .

والواقع أن هذا المنظر كما يقول الأستاذ « شاسينا » ليس فيه ما يلفت النظر لأنه لا يتميز عن المناظر الأخرى ، إذا لم يكن المفتن قد خالف المعتاد هنا ووضع بين الملك « إيرجيتيس الثانى » وزوجه « كليوباترا الثانية » صورة طفل يرتدى على رأسه تاج مصر المزدوج وعلى جبينه الصل ، ويلبس نفس اللبس الذى يلبسه « بطليموس » وهو العباءة الواسعة . يضاف إلى ذلك أن صفة هذا الطفل فى هذا المنظر التى ميزت فعلا بالمكانة التى يحتلها فى هذا المنظر وبالرموز الملكية التى يتحلى بها ، قد حددت كذلك بنقش حفر بالقرب من صورته جاء فيه : الوارث الملكى لمن أنجبه والملكة ، وهو الذى يوجه سير السيد الأوحد ، (وهذا التعبير يعنى إحدى الوظائف التى كان مكلفاً بها فى العبادة التى كانت تؤدى لوالده . وكان الملك نفسه يقوم بأدائها بوصفه كاهنا للآلهة المختلفين) والإبن الملكى البكر محبوب الملك « بطليموس » ابن « بطليموس إيرجيتيس الثانى » الآله المحسن . هذا ولدينا متن آخر وضع فوق الزوجين الملكيين بصورة واضحة يفسر علاقة هؤلاء الأشخاص الثلاثة وهو : « الملك والملكة وابنهما » .

والمنظر المقابل لهذا المنظر الذى وصفناه يوجد على الجدار الغربى للمحراب وهو صورة طبق الأصل من الأول مع رواية تختلف اختلافاً بسيطاً فى التفصيل : فيشاهد هنا « تحوت » وفى يده أربع جريدات نخل ويكتب المدائح الملكية أمام « بطليموس إيرجيتيس الثانى » الجالس : ملك الوجه القبلى (وارث الإلهين الظاهرين والمختار من « بتاح » الذى يعمل العدالة «لرع»

تمثال آمون الحى) الإله المحسن بن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) والآلهة المحسنة « كليوباترا الثالثة » الحاكمة ربة الأرضين « كليوباترا » الزوجة الملكية لابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) .

والنقش الخاص بالأمير الفتى جاء فيه : « الروح (كا) العائشة للملك والروح النضرة والنطفة الإلهية لسيد هذه الأرض ، والإبن الملكى الذى يحبه الملك العظيم إبن « بطليموس إيرجيتيس الثانى » . وهنا كذلك نجد أن الرابطة الأسرية قد وضحت فى متن أفقى وضع خلف الملكة . . . . المتعبدة الآلهية بجواره (أى بجوار الملك) وابنهما « شو »[1] أمامهما » .

ولا نزاع فى أن وجه الشبه هنا بين هذين المنظرين ليس ظاهراً . وسنحاول فيما يلى أن نعرف ما هى أوجه الخلاف بينهما بوساطة شخصيات الأسرة الملكية الذين مثلوا فيهما .

وقبل أن نتحدث عن ذلك يجب أن نشير هنا إلى أن الأثرى « بروكش » قد نقل جزءاً من المنظر الأول ولكنه أساء فهمه تماماً[2] كما سنرى بعد .

والواقع أن المتون كما تقرأ على جدران المعبد لا تدع مجالا لأى شك . وذلك لأن المطلع عليها لا يجد أى مجال لتصحيح فى المتن لأن ناقشها كما هو واضح لم يسىء استعمال لقب ، كما أنه لم يخلط بين أشخاصها . فالألقاب : الإبنة الملكية والأخت زوج الملك والأم الملكية هى ألقاب الملكة « كليوباترا الثانية » فقد كانت « الإبنة الملكية » لإنها إبنة « بطليموس الخامس » وكانت

(١) « شو » بن « رع » يلعب دور الملك هنا .

(٢) راجع Brugsch. Thesaurus. P. 886.

« الأخت الزوجة » بزواجها من أخيها « بطليموس فيلومتور » ، وفيما بعد بزواجها من أخيها « بطليموس إيرجيتيس الثانى » ؛ وأخيراً كانت « الأم الملكية » لأنها أنجبت « بطليموس يوباتور » و « كليوباترا كوكى » وهما اللذان أنجبتهما من زوجها الأول ؛ و « بطليموس المنفى » الذى رزقت به من زوجها الثانى « إيرجيتيس الثانى » وعلى ذلك فان الأمير الصغير ليس « بطليموس فيلومتور » كما يقول « بركش » ، بل هو ابن أخيه أى إبن « بطليموس إيرجيتيس الثانى » . غير أنه لسوء الحظ لم يأت مع اسمه وصف يميز نسبه ؛ ومن ثم كان من المستحيل أن تميزه فى أول الأمر .

وعلى أية حال عزى « لبطليموس إيرجيتيس الثانى » أربعة أولاد ذكور وهم « بطليموس المنفى » وهو الذى أنجبته له أخته « كليوباترا الثانية » بعد موت « بطليموس السادس » وزواجها منه ، و « بطليموس سوتر الثانى » و « بطليموس الحادى عشر الإسكندر » وقد أنجبتهما له زوجه الثانية « كليوباترا الثالثة » وأخيراً « بطليموس نيوس فيلوباتور » .

والمؤرخون بوجه عام لم يتفقوا حتى الآن على بنوة الأخير من حيث الأم فأحياناً ينسبونه إلى « كليوباترا الثانية » وأحياناً ينسبونه إلى « كليوباترا الثالثة » وبعضهم يخلطون شخصية هذا الأمير بشخصية « بطليموس المنفى »[1].

والواقع أنه إذا قبل الإنسان النظرية القائلة بأن « نيوس فيلوباتور » هو الإبن الأصغر للملك « إيرجيتيس الثانى » فانه من المستحيل أن يوحده بالطفل الذى مثل فى المنظر ، وذلك لأنه يميز فيه بأنه الإبن البكر وهو الذى نعرف

(١) راجع B.L.T. II, P. 82 note 1.

بأنه يدعى « المنفى » الذى ولد فى عام ١٤٤ ق . م فى أثناء الإحتفال بعيد التتويج الذى أقيم لوالده فى « منف » . والواقع أن نعت « الوارث الملكى » يمكن أن يعود حقاً على « نيوس فيلوباتور » بعد الموت المفجع الذى لاقاه « المنفى » وحتى يمكن أن ينسب إليه لقب الإبن البكر كما كانت الحال مع « بطليموس العاشر سوتر الثانى » كما نعرف ذلك من النقش العظيم التاريخى الذى حفر على معبد « ادفو » وذلك بمناسبة موت « بطليموس إيرجيتيس الثانى » حيث يقول المتن : إن الصقر « بطليموس السابع » قد طار إلى السماء وابنه البكر « سوتر الثانى » جلس على عرشه[1]. غير أنه ليس من المحتمل أن تكون « كليوباترا الثانية » قد أنجبت إبناً آخر فى الفترة القصيرة التى تفصل بين ولادة ابنها « المنفى » وبين زواج « إيرجيتيس الثانى » من إبنة أخته فى عام ١٤٣ أو عام ١٤٢ ق . م . أو قبل هذا الزواج . ومن ثم يمكن أن نفرض ولو مؤقتاً إن الطفل الممثل بالقرب من زوجة « بطليموس إيرجيتيس الثانى » الأولى هو « بطليموس المنفى » ولدينا حقائق كثيرة تساند هذا الفرض : أولا نجد أن الولدين الممثلين فى المنظرين كانا فعلا كبيرين . والواقع أنه لم يكن المقصود هنا عند وضع هذين المنظرين هو تفسير إصلاحى محض ، وذلك لأننا نعلم أن أوجه المحراب الخارجية كانت لا تزال عارية من النقوش عند ما بدىء فى سبتمبر عام ١٤٢ ق . م بافتتاح المعبد وهو حفل أسهم فيه «بطليموس إيرجيتيس الثانى» ومعه كل من زوجيه . وكان المنفى فى هذا التاريخ يبلغ السادسة عشرة من عمره ، وكان الإبن الأول للملكة « كليوباترا الثالثة » قد ولد أو على وشك أن يولد . وثانياً نجد أن حالة الخصومة السافرة . كانت تسود

---

(١) راجع E. Chassinat, Le Temple d'Edfu, T. VIII, P. 9.

منذ هذه اللحظة بين « إيرجيتيس» الثانى و «كليوباترا الثانية » . وقد كان من جراء ذلك قيام الإسكندريين على ما يظهر بثورة فى صالح الملكة ، وهذه الثورة أسفرت عن هرب « إيرجيتيس ال نى » فى عام (١٣١ — ١٣٠ ق . م) . غير أنها لم تكن لتحدث عند هذا عاهل تأثيراً حسناً بالنسبة لعدوه اللدود وابنها الذى كانت قد شرعت فى جعله يعلن ملكاً مكان والده . والواقع أن خطف « المنفى » بمثابة رهينة ثم قتله ، وهو ما حدث بعد فترة وجيزة كان الغرضى منه حرمان « كليوباترا » من سلاح سياسى خطر تحارب به « إيرجيتيس الثانى » ويقول « ديدور الصقلى » أن « المنفى » كان لا يزال صغيراً جداً عند ما أعدم إذ كان لا ينبغى وقتئذ أن يكون أكثر من ست عشرة سنة[1] .

وعلى ذلك فان إنجاز المنظر الذى نحن بصدده لا بد أن يكون — بضرورة الحال — قد تم بعد الصلح الذى أبرم بين « بطليموس إيرجيتيس الثانى » و « كليوباترا الثانية » وهو الذى يؤرخ بعام ١٢٤ ق . م[2] وهو العام الذى أقيم فيه الإحتفال باتمام المحراب الذى اشتركت فيه الملكة المسنة بالحضور . فقد ظهر اسمها فى نقش الإهداء وكان مقروناً باسم الزوجة الثانية للملك « بطليموس إيرجيتيس الثانى » أى « كليوباترا الثالثة » .

هذا ونعلم أن تزيين المحراب من الخارج لم يكن إلا فى بداية عهد « بطليموس الرابع »[3] ، ولم يستأنف العمل فيه إلا متأخراً ، والمحتمل جداً أن

(١) راجع Diod., XXXIV.
(٢) راجع B.L. T. II, P. 81.
(٣) راجع Ibid. T. IV, P. III-IV.

ذلك كان بعد عام ١٢٤ ق . م على يد « إيرجيتيس الثانى » . فقد إهتم هذا العاهل أولا ببناء قاعة العمد الأولى الصغيرة (١٤٠ — ١٢٠ ق . م) وقد انتهى العمل فى الجزء الداخلى منها تماماً فى مدة حكمه . وبعد ذلك شرع فى القيام بنقش أوجه المعبد الخارجية ، غير أنه لم يمتد به الأجل ليرى نهاية هذا العمل .

وتدل شواهد الأحوال على أن جدران المحراب حيث يوجد المنظران اللذان تفحصهما هنا قد تم العمل فيها قبل موته . أما جدران قاعة العمد الأولى فقد تم تزيينها فى عهد « بطليموس سوتر الثانى » وكذلك فى عهد « بطليموس الحادى عشر الإسكندر »[1]. والمنظران اللذان نحن بصددهما والممثلان لإبنى « إيرجيتيس الثانى » يؤرخان على ذلك بنهاية حكم هذا الملك . ومن ثم يجب أن ينسبا إلى الفترة التى ما بين عام ١٢٤ و١١٧ ق . م من حكمه . ويصرح المؤرخ « بوشيه لكلرك » أن « إيرجيتيس الثانى » أمر بوضع « بطليموس المنفى » فى قانون العبادات الأسرية باسم « نيوس فيلوباتور » ، وذلك لأجل إرضاء « كليوباترا » الثانية » . وهذا يعد بمثابة تحية قدمها لذكرى ابنه بعد وفاته[2]. على أنه لم يصل إلينا حتى الآن أى برهان يمكن أن ترتكز عليه هذه النظرية التى تعتبر أكثر قبولا من بين النظريات العدة التى وردت عن هذا الموضوع . والظاهر أن تأكيد هذه النظرية قد جاء إلينا عن طريق واحد من هذين المنظرين ولو جزئياً على الأقل .

ويلحظ فقط أن اسم ابن « كليوباترا الثانية » قد تبعه نعت : « الإله

(١) راجع Ibid. T. IV, P. 327-402; Ibid. IV. P. IV.

(٢) راجع B. L. II. P. 82.

المحسن » : ابن الملك ، الأمير محبوب الملك (بطليموس بن بطليموس العائش أبدياً) الإله المحسن . وهذا النقش لم يظهر بعد طغرا ابن « كليوباترا الثالثة » : الذى كان ينعت روح الملك الحية . . . (بطليموس بن بطليموس العائش أبدياً محبوب بتاح) وهذا النعت لا يمكن أن ينسب لوالد « إيرجيتيس الثانى » ، وإلا لكان قد كرر فى المنظرين . وفضلا عن ذلك ، فانه لما لم يكن هناك فى النقش الخاص بالإبن الأكبر ما يدل على أنه كان لا يزال على قيد الحياة ، فان النقش الخاص بالإبن الآخر ينعته بأنه « روح الملك الحية » ، وعلى ذلك فانه ليس من غير المعقول أن يستنبط أن « بطليموس بن بطليموس محبوب بتاح الإله المحسن » هو بلا شك « المنفى » الذى كان قد مات فعلا وأله فى اللحظة التى عمل فيها هذا المنظر وهو الذى يوحد أحياناً بالملك « نيوس فيلوباتور » .

وعلى أية حال فان هذا الاستنباط يقوم فى وجهه اعتراض فيما يمس توحيد « بطليموس المنفى » بـ « نيوس فيلوباتور » فان أولها ينعت « بالإله المحسن » والآخر ينعت بالطفل الإلهى محبوب والده . وعلى ذلك يظهر من الصعب أن نفسر أنه من الممكن أن نطبق هذين النعتين على شخص واحد بعينه . وأعتقد أنه من الجائز وجود حل لهذه المعضلة التى فى ظاهرها تعتبر غير ممكن حلها ، عند فحص الحوادث التى تميز عصراً من أظلم عصور حكم « إيرجيتيس الثانى » ؛ وترتكز معرفة هذه الحوادث بكل أسف على وثائق ناقصة وغير كافية مما أدى إلى وجود فجوات عدة فى تاريخ هذه الفترة تفرض على الباحث فى أغلب الأحيان أن ينهج تفسيراً خيالياً مرتجلا . فمن ذلك أن المؤرخ « بوشيه لكلرك » استعرض حل هذه المسألة بصورة واضحة

فى ظاهرها ؛ غير أن منظرى معبد « ادفو » اللذين نحن بصددهما الآن يحتمل أن يسمحا بتغيير بعض ما جاء فى هذا الاستعراض أو تكميل ما جاء فيه ناقصاً فى بعض النقاط .

وتوضيح ذلك أن أهالى الإسكندرية بعد أن أعلنوا سقوط « إيرجيتيس الثانى » والاعتراف « بكليوباترا الثانية » بمثابة ملكة عليهم ، كانوا قد فكروا على ما يظن إحتراماً للعادة المرعية فى مثل هذه الحالة أنه لا بد من البحث فى الأسرة الملكية عن وارث ذكر للعرش لأجل أن يكون زوجاً شرعياً سواء أكان حقيقياً أو اسمياً . ويقال أنه قد وقع اختيارهم على إبن أكبر له من حظيته « إيرن » ، وهو بالطبع ابن سفاح ، ولكن والده لما علم بذلك أحضره من « سيرينى » ثم أمر بقتله وقد هاج أهالى الإسكندرية عند السماع بهذه الجريمة ، وعلى أثر ذلك كسروا تماثيل هذا الملك المبعد عن العرش . وقد كان جوابه على هذا التحدى الذى نسبه إلى « كليوباترا الثانية » أن قتل إبنه « المنفى » وأرسل أشلاءه هدية لأمه فى يوم عيد ميلادها .

وهذه القصة يعتمد جزء منها على ما ذكره لنا المؤرخ « جوستن »[١] وحده ولم يشاركه فيه مؤرخ آخر . وقد نسب إلى « كليوباترا » دور يدعو إلى الدهشة بالنسبة لها إذ نعلم أنها كانت على جانب عظيم من النشاط . والواقع أن الذين درسوا أخلاقها قد خالجهم الشك فى أن تكون قد أقحمت نفسها فى مؤامرة كان من نتائجها حرمان إبنها « المنفى » من حقوقه الشرعية . حقاً نعلم أنها بطبيعة الحال قد أسهمت فى الاسراع فى سقوط « إيرجيتيس الثانى » الذى كان فعلا غير محبوب وذلك بشعور الحقد عليه من جهة ، ولكن دون

---

(١) راجع Justin, XXXVIII, 8, P. 11-13.

شك كذلك لأجل أن تبعد أولاد « كليوباترا الثالثة » من تولى عرش الملك ، وكانت تخاف من نفوذها . ولا نزاع فى أن العناية التى بذلتها لتمجيد ذكرى ابنها لتظهر أنها على الرغم من أنها قد خاب ظنها فى أطماعها بالحوادث التى جاءت على عكس ما كانت تصبو إليه فانها لم تكن تجهل كذلك أن موتاً قبل ميعاده كان من الممكن أن يحدث . ويتساءل الإنسان كيف يمكن أن ترضى بقبول فكرة تقسيم السلطة مع خلف غير شرعى للملك « إيرجيتيس الثانى » ؟ والواقع أن المتن الذى اقتبسه « بوشيه لكلرك » نقلا عن « جوستن » يقدم لنا سبباً للجريمة الأولى وهو خوف « إيرجيتيس الثانى » من أن يحل محله آخر على عرش الملك ؛ هذا إلى أنه لم يشر بأية إشارة إلى مشروع محالفة زوجية سواء أكانت فعلية أم اسمية . وفضلا عن ذلك فان « المنفى » وهو الإبن البكر والوارث الطبيعى للملك « إيرجيتيس الثانى » كان فى مقدوره على الرغم من صغر سنه أن يحكم تحت وصاية أمه ، ومثل هذه الحالة قد مرت بنا فيما يخص « بطليموس السادس فيلومتور » الذى كان يبلغ من العمر ست سنوات عند موت والده . ولم يكن لدى أهالى الإسكندرية أية حجة لحرمان ابن ملكة محترمة لأجل فائدة إبن سفاح من ظهر الملك الذى طرد من البلاد . وعلى أية حال فانا نجهل كل شىء عن هذا الأمير المجهول الإسم الذى لم يذكره أحد من المؤرخين إلا « جوستن » ، وهو الذى فى الوقت نفسه جعلنا منه إبناً لحظية الملك « إيرن » ، دون الإدلاء بأى برهان يثبت ذلك . على أن إبعاد « المنفى » الذى اختطفه والده منذ هربه إلى « قبرص » لا يمنع أبداً أن ينصب ملكاً على البلاد على الرغم من أن ذلك لا يمكنه من الحكم بصورة فعلية . وهذا ما كان يجب أن يحدث ، وإذا كان موت « المنفى » قد أكده كثير من الكتاب القدامى ، فانه ليس لدينا إلا مؤرخ واحد قد أشار إلى موت ابن الحظية

« إيرن » المزعوم . وعلى أية حال — دون أن نلقى ظلا من الشك على حسن نية « جوستن » — فان الشك قد غامر المؤرخ الفاحص فى دقة هذا الخبر . إذ يجوز أنه قد غشه أحد أولئك القصاصين الذين لا يعتمد على آرائهم ، أو أنه قد ضل السبيل بين التقارير المفككة والمتضاربة العديدة التى كانت تروى عن جرائم « إيرجيتيس » وأسبابها . وهذه الجرائم كانت تنقل من فم إلى فم بصورة مبالغ فيها ولعب فيها الخيال دوراً هائلا . ولا نزاع اذاً فى أن جريمتين شنيعتين كهاتين اللتين ذكرناهما ، وجاءت الواحدة تلو الأخرى فى مدة قصيرة ، وكان لكل منهما علاقة بالأخرى ، لا بد أن تكونا قد تركتا أثراً فى الأذهان . ومع ذلك فان المؤرخين الذين كانوا يصغون كثيراً إلى من يتهمه « جوستن » بأنه ارتكبهما لم يحافظوا إلا على واحدة . على أن صمت المؤرخين فى ذلك يدعو الإنسان إلى أن يفكر فى أنهم قد أهملوا الأخرى لأنهم يعرفون أن الإتهام كان كاذباً .. وعلى ذلك فانه حسب هذه النظرية يظهر أن المأساة التى كان سببها الانفعال السياسى الذى بلغ أشده فى الإسكندرية قد زاد فى عظم خطرها بسخاء حتى صور منها أسطورة شنيعة وسنحاول أن نسلسل حوادثها بالصورة الآتية :

عند ما أصبحت « كليوباترا » صاحبة السلطان فى الإسكندرية فانها لا بد كانت قد نصبت إبنها « المنفى » بوصفه خلفاً لوالده « إيرجيتيس الثانى » ولقبته « نيوس فيلوباتور » ، وبعد ذلك أمرت بكسر صور الملك المخلوع لأجل أن تؤكد فقدان حقوقه فى الملك بوصفه ملكا مخلوعا . وقد كان قتل الطفل « المنفى » الذى كان قد استولى عليه والده كرهينة عند ما احتمى فى « قبرص » ، هى النتيجة الأولى من أعماله ، وبذلك نرى أن « إيرجيتيس

الثانى » قد أزال العقبة الوحيدة التى كانت حائلة بينه وبين عرشه المفقود ، وقد كان يتخذ الأهبة فعلا لاسترجاعه بمساعدة جيش من الجنود المرتزقين .

وبعد مضى ستة أعوام على هذا الحادث أى فى عام ١٢٤ ق . م عند ما قرر — لأسباب ليس للعواطف فيها دخل يذكر ، بل دعت إليها الأحوال السياسية بعد أن تهادن مع « كليوباترا الثانية » — أن يمنح أمجاداً إلهية للطفل الذى كان قد قتله . وهذه الأمجاد هى التى تظهر أمامنا ممثلة فى متن « ادفو » الذى نحن بصدده . ولم يكن فى مقدوره ، خوفاً من أن يظهر راضياً عن عمل مرتبط بسقوطه المخزى ، أن يعترف رسمياً بالتسمية التى منحت لمناهضه المؤقت ، لذلك عندما كرمه والده بعد مماته بلقب الإله المحسن ، وهو لقب كانت تحمله كل من أخته وزوجه وهو بالمثل ، فانه قد بقى فى التقليد محجوباً بظل من الكتمان حقبة مؤلمة دامية فى عهده . وهذا التوافق ، وكذلك كل المصادفات التى نبتت عن موضوع توحيد « نيوس فيلوباتور » بالمنفى لا تقدم لنا الحل الواضح والنهائى فى مسألة يخيم عليها حقيقة الغموض . إذ أن ذلك يترك أمامنا دون تفسير ذكر « الآله نيوس فيلوباتور » فى المتون الهيروغليفية والديموطيقية والإغريقية التى كان ينبغى أن تحذف منها ، إذا كان الرأى الذى استعرضناه فيما سبق على أساس . حقاً ظهرت هذه التسمية متأخرة وذلك على ما يظهر فقط فى نهاية حكم « إيرجيتس الثانى » حوالى العام الثانى والخمسين من حكمه وبوجه خاص فى عهد خلفه « بطليموس العاشر سوتر الثانى » فى نقوش دير المدينة[١].

---

(١) راجع Daressy Bull. de l'Inst. Franç. D'archeolog. Orientale, T. VI,

والآن هل ينبغي علينا أن نستنبط أن الملك المسن قد استسلم لتضرعات « كليوباترا الثانية » ورضى فى النهاية — بعد أن عاد إلى صوابه أو لثقل السنين على كاهله — ليعيد إلى « المنفى » الإسم الذى كان ينبغي أن يحكم به ويكتب اسمه فى قانون الآلهة الأسرين بوصفه الآله « نيوس فيلوباتور » ؟

وتدل شواهد الأحوال على أن تاريخ البطالمة ملىء بالمواقف أكثر مما يجب التى لم يكن فى الحسبان وقوعها وهى التى نجد فيها حتى أصبح الشاذ مقبولا لدرجة تجعل مثل هذا التغير جائزاً . على أنه لا يمكننا أن نصدق ذلك دون تحفظ عند ما تعوزنا الأدلة .

والتردد فى ذلك على أية حال طبيعى ، وذلك لأن القدامى أنفسهم لم يكونوا متأكدين من المكان الذى يليق بأن ينسب إلى الآله « نيوس فيلوباتور» ليوضع فيه فى القوائم الملكية . وهذا التردد الغريب يحتمل أن ينسب بصورة أكيدة إلى التغييرات التى عملت فى هذه القوائم على أثر الإدراج المتأخر المصحح لضحيتى « إيرجيتيس الثانى » وهما الآله « يوباتور » والآله « نيوس فيلوباتور » والأخير قد حل محل « المنفى » بوصفه الآله المحسن . وهذا التغيير الأخير قد سبب فى بادىء الأمر بعض التردد فى نفس أولئك الذين لا يعرفون الأسباب الحقيقية التى كانت التدابير قد اتخذت لمنع إذاعتها بين الناس . ومهما يكن من أمر فانه قد حصل على حقيقة جديدة مؤكدة ؛ ويرجع الفضل فى ذلك إلى المنظر الذى حفر على واجهة جدار محراب معبد « ادفو » ، وهذه الحقيقة هى رفع ابن « إيرجيتيس الثانى » و « كليوباترا الثانية » إلى مرتبة الآله المحسن (إيرجيتيس) بعد موت الأول .

أما تفسير المنظر الذى يقابل السابق وهو الذى ظهرت فيه « كليوباترا

الثالثة » فليس فيه أية صعوبة ومعناه واضح ، وذلك أن الطفل الممثل فيه هو « بطليموس العاشر سوتر الثانى » . وشخصية الملكة فى هذا المنظر مؤكدة باللقب الذى تحمله وهو « زوج الملك » وهو اللقب الذى يميزها من « كليوباترا الثانية » التى كانت تحمل لقب الأخت الزوجة ، وذلك فى الفترة التى تلت مدة شقاقها مع « إيرجيتيس الثانى » .

وعلى أية حال فان « إيرجيتيس الثانى » عند ما قدم تكريماً لزوجه الأولى بوصفها أما ، فانه لم يكن فى استطاعته أن ينسى أنه مدين إلى زوجه الثانية بالإبن الذى دعى ليكون خليفته على ملك أرض الكنانة . ومن الجائز أنه كان يأمل كذلك من وراء هذا العمل الذى منح ترضية عادلة لكل من زوجيه قد جلب فى هذه الأسرة الغريبة التى تتألف من زوج وامرأتين الهدوء والسلام الظاهرين اللذين لم يذق طعمهما أبداً على وجه التأكيد هذا الملك إذا كان كل ما نسب إليه صحيحاً .

وخلاصة القول أن هذا التفسير الذى أوردناه هنا لحل هذا الارتباك الأسرى من حيث ترتيب ملوك البطالمة لا يخرج عن كونه نظرية فى ظاهرها مقبولة غير أن الحل النهائى الحاسم لا يزال نفتقر إليه وقد لا يكون بعيداً ظهوره لأن جوف أرض مصر ملىء بالمفاجآت التى لا ينقطع معينها .

الآثار التى خلفها بطليموس السابع فى مصر

لا نزاع فى أن ما تركه لنا « بطليموس السابع » من آثار فى أنحاء القطر المصرى يضعه فى الصف الأول من ملوك البطالمة الذين اهتموا باقامة المبانى الدينية وإصلاح ما كان منها مخرباً أو آيلا للدمار فى عهده . والواقع أنه أقام معابد عدة فى كل أنحاء البلاد وبخاصة فى الوجه القبلى على حسب ما هو ظاهر أمامنا ، وليس ببعيد أنه قد أقام كذلك مبان كثيرة فى الوجه البحرى قد عفا عليها الزمن وتلاشت بسبب طبيعة هذا الجزء من البلاد . وعلى أية حال نجده قد ترك لنا بعض الآثار التى تشهد له بفضله على رجال الدين .

أسباب اهتمام « بطليموس السابع » باقامة المبانى :

وقد يتساءل الإنسان لماذا إهتم « بطليموس السابع » كل هذا الإهتمام باقامة الآثار الدينية العدة مع ما كان مشهوراً به من قسوة وسوء أخلاق ؟ والجواب على ذلك سهل ميسور : فقد علمنا من قبل أن أرض الكنانة فى عهده وفى عهد سلفيه كذلك كانت فى حمة من الفتن والاضطرابات ، بل والثورات والمؤامرات الداخلية ، وأخيراً الحروب الخارجية . وكان لا بد للملك الحازم فى هذه الأحوال من وجود حزب قوى الشكيمة عظيم النفوذ فى البلاد يمكنه أن يركن إليه ليكون سنده الأصيل عند قيام الفتن واندلاع الثورات فى الداخل وعوناً له ونصيراً فى حروبه الخارجية إذا اقتضت الأحوال ذلك . وكان أكبر حزب يمكن الملك أن يستند عليه فى مصر فى كل عصورها التاريخية هو حزب رجال الدين الذين كان بيدهم زمام

الشعب من الناحية الروحية . ومن أجل ذلك نجد أن فراعنة مصر كانوا دائماً يستميلون رجال الدين إلى جانبهم ويضمونهم إلى صفهم . وقد كانت هذه هى السبيل التى سلكها « بطليموس السابع » . ومن هنا عمل على إرضائهم بكل وسيلة . ولم يكن هناك أحب إلى رجال الدين من العمل على تعظيم آلهتهم والإعلاء من شأنهم ، وذلك باقامة المعابد وحبس الأوقاف عليها . ولا يبعد أن « بطليموس السابع » الذى كان يعد من علماء ملوك البطالمة العظام قد قرأ تاريخ الأسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين وما قام به بعض ملوكهما من مناهضة رجال الدين والافتئات على حقوقهم وسلب كنوزهم ؛ فكانت النتيجة أن خلعوا من عروشهم بسبب تعديهم على أموال المعابد وأوقافها . وفى الوقت نفسه قد وجدنا أن الملوك الذين أحسنوا إلى رجال الدين واتخذوهم إلى جانبهم وأقاموا المعابد العدة فى طول البلاد وعرضها فى نفس هاتين الأسرتين قد فازوا فوزاً عظيما . ولا أدل على ذلك من المبانى العظيمة العدة التى تركها فراعنة هاتين الأسرتين وبخاصة فراعنة الأسرة الثلاثين وقد فصلنا القول فى هذا الموضع فى الجزء الثالث عشر من مصر القديمة (ص ٤٨٤ — ٤٩٣) ولا نزاع فى أن « بطليموس السابع » كان فى حاجة إلى رجال الدين فى الفترة الأخيرة من حكمه، ولذلك نجده لا يألو جهداً فى إرضائهم باقامة المعابد وإصلاح المهدم منها . وسنرى فيما سنستعرضه هنا من الآثار التى أسسها هذا العاهل أو وجد اسمه عليها ، أنه كان صاحب باع طويل فى إقامة المبانى الدينية .

والواقع أن ملوك البطالمة كانوا يتأثرون فى ذلك خطى الفراعنة العظام .

نقوش إهداء «لبطليموس ايرجيتيس الثانى»
على البوابة الثانية لمعبد الكرنك[1]

تدل المتون التى نقشها « بطليموس إيرجيتيس الثانى » على الجزء الأسفل من خدى الباب فى كل جهة من جهتى الباب الأوسط من البوابة الثانية للكرنك ، على أن هذا العاهل كان على صلة طيبة بالآله «آمون» وبأهل إقليم « طيبة » بوجه عام ، وذلك على الرغم من أن هذا الإقليم كان منذ الأسرة الواحدة والعشرين يعتبر كأنه دولة مستقلة بذاتها ، وأن ملكه كان الآله «آمون» . غير أن هذا الاستقلال كان يسير على حسب ما لملوك مصر من قوة وسلطان على البلاد . وقد كانت سياسة البطالمة كما ذكرنا مراراً وتكراراً هى مهادنة الكهنة والعمل على إرضائهم لما كان لهم من قوة روحية على أهل البلاد . ومن أجل ذلك كان ملوك البطالمة يقيمون المبانى الدينية أو يصلحون ما كان قد تهدم منها بقصد إرضاء الكهنة وجعلهم فى جانبهم . وقد سار « بطليموس إيرجيتيس الثانى » على نهج هذه السياسة وبخاصة بعد أن رأى ما حدث فى عهد أخلافه من حروب طاحنة نشبت بينهم وبين أهل مصر . والمتن الذى نقشه هذا العاهل على بوابة الكرنك الثانية يدل دلالة واضحة على مقدار ما كان للآله «آمون» ولمدينة « طيبة » من سلطان فى البلاد ؛ كما يظهر فى الوقت نفسه كيف أمكن « إيرجيتيس الثانى » أن يضم الكهنة إلى جانبه بعد نضال مرير حدث فى عهد أسلافه بل وفى عهده هو نفسه .

---

(١) راجع A.S. Tome XLIV. P. III ff.

النقش الذى على الحد الشمالى

— إهداء الباب :

يعيش الآله الكامل (وارث الآلهين الظاهرين المختار من « بتاح » ومن يعمل العدالة « لرع » وصورة « آمون » الحية) .

لقد جدد آثار الباب العظيم جداً والفاخر البهيج الذى يضىء الأفق فى هذه التى هى فى وجه سيدها (= طيبة) . وهى مكان البداية ومصب ماء « نون » لهذا الذى اسمه خفى (= آمون) .

٢ — خلق تربة «طيبة»

لقد صنعها (= طيبة) ونشأها وسواها بلهيب عينه فى الأرض وعلى شاطىء الماء وجعلها (حتى الآن) تتمتع بحرارة الصل العظيم اللهب .

٣ — خلق العالم :

لقد أعلن الأشياء التى ستتأتى ، وقد حدثت فى الحال . وقد خلق ما قاله بصوته ونظم القوانين التى تترتب على ذلك . ولم يأمر أبداً بأشياء معيبة .

٤ — خلق الشمس :

لقد برأ « تاتنن » ، وضع الثامون (ثمانية الآلهة التى تعبد فى الأشمونين) ، وشكل جسمه على هيئة طفل إلهى خرج من زهرة « البشنين » فى وسط « نون » (= المحيط الأزلى) وأضاء الأرضين بعينيه (= الشمس والقمر)

٥ — خلق الناس والآلهة :

وفطر الناس والآلهة

٦ — تنظيم الآلهة :

لقد نظم تاسوع الآلهة وأسس الثامون (أى ثمانية الآلهة فى الأشمونين)

بوصفه الأب الإلهى لخدامه ، وجعل الآله « شو » بمثابة كاهن يحمل الناووس فى المواكب والآلهة « تفنوت » تخدمه بمثابة زوج إلهية .

٧ — تنظيم « طيبة » بوصفها عاصمة :

لقد نظم المدينة التى تحمى : « هذا الذى فيها » (= يقصد الملك الذى يحكم فيها) ، والذى يحكم الأرض لوالده الذى أنجبه (= آمون) .

٨ — حكم « آمون » ملك الآلهة وأخلاقه على الأرض :

لقد ظهر بوصفه ملكاً معافاً أمام الآلهة ، وبوصفه ملكاً آمناً على عرشه ، وقد اتخذ اسم « آمون ملك الآلهة » منذ اللحظة التى حكم فيها الخليقة . وقد تجدد بوصفه ملكاً على الوجه القبلى والوجه البحرى وسيد التيجان للأرضين مكان « أوزير » ، وأعطى الدخل المقدس للآلهة والالهات ، ووضع القوانين فى المعابد .

٩ — ثراء « طيبة » وتعدده :

لقد جعل « طيبة » أعظم ثراء من كل المدن مجتمعة ، لأنها ملكتها ، ووعاء مليون (يقصد الآله « آمون » لأنه يظهر فى عدد لا يحصى من المخلوقات) وقاعة جلسات ملك الآلهة (= آمون) التى يلمع فيها فى هيئة اللامعين (= الشمس والقمر) .

وقاعة « تاتنن » .

وعرش الكبير (= حور أختى) .

وعش الرياح لكل الأنوف .

والهرم الصغير (بن بنت) لسيد السادات (= آمون) .

والتل الأزلى (الذى تستند عليه) العين المقدسة فى الأزل إلى أن أصبحت الأرض غطاء «نون» ، وإلى أن أصبح ارتفاعها (= الأرض) إرتفاع « طيبة »، وإلى أن امتص السماء نشاط الآلهة لدرجة أن الصلين (= العينين) قد امتلئتا ، وإلى أن ابتهجت عين « حور » (= طيبة) .

وهى عماد هذا الذى لا يعرف أحد كنهه (=آمون) .
وبوابة الحياة (=آمون) .
ومحبوب . . . . الآلهة (=آمون) .
وواجهة محراب العزيز (=آمون) .
ومحراب آلهة العناصر .
والمدينة الأبوية والبلدة الأموية لذكر الآلهة (=آمون) .
والمكان اللائق لولادة « هذا الذى يظلل محراب الأرضين » (=آمون)
وحامية المدن ، ومعلمة المقاطعات .
. . . .
مخزن غلال . . . .
ومقاطعة ثمانية الآلهة (التى تعبد فى الأشمونين) .
ومدينة الصولجان للقويين (الشمس والقمر) .
ومعبد الآلهة والآلهات للأرضين .
ومهد « أونوفريس » (أوزير المتوفى) الذى يظهر فيه النور .
وأرض الأجداد « لنون» العظيم (=آمون) .

وبلاط ملك الآلهة (حور أختى) والعاهل (حور أختى) الذى يعيش أبدياً .

النقش الذى على الحد الجنوبى :

١ — إهداء الباب :

يعيش الآله الكامل ابن « آمون » والذى وضعته « موت » سيدة السماء ، ابن « رع » « بطليموس » العائش أبدياً محبوب « بتاح » الآله المحسن . لقد جدد الباب العظيم دون أن يكون له مثيل فى مصر ، فالمصراعان اللذان يغلقانه مصنوعان من خشب أرز « لبنان » الحقيقى ؛ وقد كسى بنحاس أسيوى ، ونقشهما غاية فى الجمال وارتفاعه الكلى ٥٣ ٢/٣ ذراعاً ، وعرضه ٢٠ ١/٤ ذراعاً . ويبتهج الإنسان برؤيته فى النور . وارتفاع كل من المصراعين هو ٣٦ ذراعاً . وهذا يكفى (لعمل) بابين باسمه باب الأبواب الفاخرة مضيئاً مدينة صولجان « آمون رع » ، عظيم المساكن (يقصد آمون) فى وجه عين « رع » ، وسيد الاحترام فى الكرنك ؛ وملكة المدن والمقاطعات ، وشاطىء مرصد الآله الأزلى ، والعين اليمنى لسيد العالم ؛ وسماء هذا الذى أوجد نفسه (=آمون) .

٢ — «طيبة» أكمة الخليقة (أى المكان الذى ظهر للمرة الأولى فى المحيط الأزلى عند بدء الخليقة) .

لقد حدث عندما كان جلالته (=آمون) قد أخفى رأسه تجاه حدودها (= طيبة) ، وعند ما كانت الأرض فى قاع الفيضان ، فانه (=آمون) قد وضع قدمه عليها (= طيبة) فخلع عنها خمودها كلية عند ما جلس على وجهها وكانت هناك الأرض التى أصبحت مثل التل الصلد الذى برز فى البداية .

٣ — «طيبة» عاصمة كل المدن :

وعند ما ولدت الجنيات الإناث (حموس — وت) فان تربتها

(= طيبة) كانت قد قسمت بين جميع المدن . وعندما وجدت المدن نفسها عملت الأقطار باسمها (أى أن الأقطار سميت باسم المدن) أى باسم عواصمها التى أوجدتها .

٤ — «طيبة» القطب الذى تدور عليه الأرض قاطبة :

وتسمى مدار الأرض قاطبة ، وأحجارها ذات الزوايا قد وضعت فى الأعمدة الأربعة (أى الأعمدة التى تحمل عليها السماء) فهى اذاً مع الرياح (أى فى جهات العالم الأربع) وهى تحمل سماء «هذا الذى أخفى» (= آمون)

٥ — بقايا الشارات الأثرية المحفوظة فى «طيبة» :

أنها تحتوى على العصا المقدسة ملك قوة القوى (= آمون) وكذلك على صولجان «حور أختى» .

٦ — وظيفة «طيبة» النظرية :

ويطلق عليها اسم «طيبة» المنتصرة سيدة الشجاعة لأنها حمت كل الآلهة . وجلالها (= طيبة) فوق ملوك الوجه القبلى والوجه البحرى منذ أن قال «رع» : فليعمل على احترام قوانين السماء فى «طيبة» وبالتبادل (أى يعمل على احترام قوانين «طيبة» فى السماء) ، وأنها تحمى أطفاله على الأرض (أى أطفال «رع» وهم الملوك) فى عالمنا الحاضر بمثابة صوره (أى صور «آمون» الحيّة) على رأس الأحياء .

٧ — «طيبة» الأم العالمية :

إن الآلهة والآلهات الذين من البطن الأول الذين ولدوا فيها ، هم أولئك الذين أوجدوا المخلوقات (لأنه) عندما وجد «كنبح» (يقصد بهذه اللفظة

آلهة الأشمونين ومعها « رع ») أصبحت هى الأم ، وملكة « بوتو » وسماء مصر وملكة « حتحور » الأرضين .

٨ — «طيبه» مدينة أبدية :

إن جلالتها ستدخل لتملك نهاية الأبدية ، وشمسها هى « أمونوريس » ، وقمرها هو الذى يشرف على « بنبنت » (= خنسو) وسكانها نجوم السماء تحت إمرة الآله « منتو » المنتصر . وأنها عين « رع » ملك الآلهة الذى فيها وهى رمزه فى العالم .

٩ — «طيبة» وفيضان النيل :

والماء يرتفع بأمر صورته الإلهية (يقصد آمون) وهو الذى بقوته يكون الحصاد (آمون) ، والمكان الذى يصل إليه « نون » (= آمون) . وأن جلالة « حور أختى » الذى يقود إليه الموج بفطنة سريعة . وعند ما تجف تربة مدينة الحياة ، فان النيل يأتى (= بتاح) . . . . الأبدية . . . .

. . . .

ومعابد « طيبة » فى بحبوحة . والمذابح الخاصة بـ . . . . (آمون) يأتى بعد ذلك متن مهشم .

. . . . الخيرات لآلهته لدرجة أنه لن يكون هناك هم يشغل أولئك الذين ينامون فى قلبها . . . . محاصيلها . والأطعمة تصنع على حسب رغبتها (= طيبة) فما أكبر وما أشرف هذا الذى يكون فى صحبتها ، ويرى ما يمكن أن يتصوره قلبه . وجلالته (= آمون) مرتاح . . . .

فى معابدهم . ومصر مزدهرة بالحياة و « سخمت » (آلهة الوباء) لا تقذف وباءها ، والفيضان ينبسط ويغمر الأرضين . وليس هناك نقص فى السرور ،

ولا فى الابتهاج عند الناس ، وحصاد الحقول لم يكن متأخراً . والأمير مطمئن على عرشه وجميع البلاد الأجنبية تحت موطىء قدميه سرمدياً .

١٠ — طيبة مقبرة « أوزير » :

توجد « طيبة » على رأس الأقاليم المصرية ، لأن الذى أنشأها موجود فى تربتها (= أوزير) ، وفيها عضو فى كل الأماكن (التى دفنت فيها أعضاء «أوزير») والضواحى تطأطئ الرأس . وإن الذى يشرف على « الدب الأكبر » (يقصد الآله «ست») قد حرم من إقطاعه فيها (أى طيبة)

آلهة « طيبة » وأعيادها :

إن القويه (= « وسرت » = اسم آلهة ظهرت منذ الدولة الوسطى) مع والدها فى صورتها السامية « أمونت » العظيمة بين . . . . وتاج الجنوب وتاج الشمال ، وكذلك خصائص الآلهة ذكوراً وأناثاً . وفى أثناء أعياد الكرنك نعلم أن العدد مئاة الآلاف بالحساب . . . .

١١ — «طيبة» هى الملكية المسيطرة :

إن الكاهن « سمت »يتضرع إليها ، وكذلك أطفاله لأجل أن يطلبوا أن يصبح فى صحة جيدة وأنه يرفع الصوت . . . .

المنتقم للآلهة والآلهات ، الآله الحالى . . . .

القبة الزرقاء . وقد منح « بتاح » اسمه على حسب منزلته ، لأجل أن يجعله أكثر قوة من كل الآلهة مجتمعة . . . .

الذى يشرف على الكرنك ، سيد السماء وملك الآلهة . . . .

وكل أولئك الذين يتنفسون هم رعاياه ، وأنه مطمئن على عرشه . وليس له مثيل . ولا يوجد هناك من هو أعظم منه على رأس الملوك . . . .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الآلهين الظاهرين المختار من « بتاح » ومن يعمل العدالة « لرع » والصورة الحية « لأمون ») وزوجه الملكة سيدة الأرضين « كليوباترا الثانية » ، الآلهين الظاهرين ليتهما يعيشان مثل « رع » أبد الأبدين .

تعليق :

لا نزاع فى أن هذا المتن يرجع فى أصله إلى أقدم عهود التاريخ المصرى القديم ، وذلك لأنه يحتوى على معلومات كثيرة ذكرت فى الدراما المنفية التى تحدثنا عنها فى عهد الملك « شبكا » أحد الملوك الكوشيين[1]. وإذا دققنا النظر فى تطور الأفكار الدينية فى هذا المتن فانا نشاهد وجود تعابير تثبت دون أى جدال التطرر المعروف فى الديانة المصرية القديمة من حيث صفات الآلهة ونعوتها . وتفسير ذلك أنه فى خلال العهود الأخيرة بوجه خاص كان الآله إذا احتل مكانة عالية فى نفوس القوم نجده يجمع لنفسه كل الصفات المرموقة التى كان يتحلى بها الآلهة الآخرون . ومن أجل ذلك نشاهد أن بعض الآلهة وبخاصة «آمون» كان يحل محل كل الآلهة التى كانت شائعة فى عهده . وهذا السبب هو الذى أوحى لكاتب المتن الذى نحن بصدده فى عهد « بطليموس إيرجيتيس الثانى » فكرة إضافته كل الأسماء الآلهية أو غالبيتها على الأقل المخصص المميز للآله «آمون» ، وذلك بقصد إثبات أن كل هذه الآلهة قد توحدت فى هذا الآله الأعلى . فنجد فى الأنشودة التى وردت فى المتن الذى نتحدث عنه هنا إن آله القمر « خنسو » قد وحد بالآله «آمون» ، وفضلا عن

(١) راجع مصر القديمة الجزء الحادى عشر ص ٧٨ — ٩٩ حيث تجد أوجه شبه بين المتن الذى نحن بصدده الآن وبين متن الدراما المنفية وبخاصة بين « منف » و «طيبة» وبين «بتاح» و « آمون » .

ذلك نشاهد أن « طيبة » قد سميت تربة الأجداد للآله « آمون » ، ومن الجائز كذلك أن مخصص الآله « آمون » كان قد أضيف هنا لاسم « نون » بيد الكاتب البطلمى .

وهذا المذهب الذى يدعو لتوحيد كل الصفات الخاصة بالآلهة فى إله واحد يرجع إلى عهد سحيق فى القدم على ما يظهر . وقد وضح لنا ذلك الأستاذ « ينكر »[١] عندما وضع لنا ترجمة حديثة للدراما المنفية التى وجدت على الحجر المنسوب للملك « شبكا » الكوشى . فقد برهن لنا على أن هذه كانت الفلسفة الدينية لهذا المتن القديم . وقد أرخ « ينكر » هذه الدراما بصورة قاطعة بعهد الأسرة الخامسة المصرية .

وفى هذه اللوحة نجد أن الآله « بتاح » إله « منف » قد وحد عن قصد بالآله نون (المحيط الأزلى) كما وحد بآلهة أخرى ، وهى التى على حسب الأسطورة القديمة قد لعبت دوراً هاماً فى خلق الكون منذ الفوضى أو اللاشئ الأولى حتى ظهور الشمس وخصائصها ، وكذلك الكونيات التى مهدت لولادة هذا النجم ، وحتى زهرة البشنين التى تخرج من هذا النجم (= الشمس)[٢] . وقد تعرف الأستاذ « ينكر » فى هذا المذهب الدينى استمرار الفكرة القديمة جداً القائلة بوجود إله عالمى سيد السماء يدعى « ور » (= العظيم = أوريس)[٣] . وقد ورد ذكره فى تركيب بعض الأسماء فى الدولة القديمة ، هذا بالإضافة إلى ظهوره فى بعض الألقاب الكهنية العتيقة وتدل الأحوال على أن الآله « آتوم » لم يكن إلا تسمية لهذا الآله الخاص بمدينة

(١) راجع Junker, Die Gotterlehre von Memphis Schabaka Inschrift. Abhandl. Preus Akad, Wissensch. 1939 Phil. Hist. kl. 23

(٢) راجع Ibid. p. 17-20, 39 and 77.

(٣) راجع Ibid. p. 25-30.

« هليوبوليس »[1]. ويقول الأستاذ « ينكر » أن نشاط هذا التقليد وحيويته التى وصلت إلينا من أعماق عهود ما قبل التاريخ كانت قوية جداً لدرجة أنه لم يكن فى استطاعة أى إله محلى أبداً فى خلال مجرى التاريخ المصرى أن يصل إلى المرتبة العليا دون أن يوحد ضمناً (ولو ظاهراً كما يبرهن على ذلك الأسماء المركبة تركيباً مزجياً مثل « بتاح أوريس » ، و « حور أوريس » و « آمون أوريس ») بالآله العظيم « أوريس » ويشكل أسطورته على غرار أسطورة « أوريس » هذا . وهكذا كان لا بد للآله « آمون » أن يمر بهذا الدور[2]. وعلى أية حال فان جمع الصفات الآلهية كلها فى آله واحد هى التى أوحت إلى المؤلف البطلمى أن يحمل أكثر — مما يجب — مخصص الآله « آمون » . فقد جعله يشمل على وجه التقريب كل الأسماء الآلهية التى وردت فى هذه النقوش التى نحن بصددها ؛ وهذا لم يكن فى الواقع نهاية تطور فى الآراء الدينية، بل كان فى حقيقة الأمر يدل على التعبير عن علم لاهوت يرجع إلى عهد قديم جداً . وعلى ذلك فانه ليس لدينا ما يدعو للدهشة إذا وجدنا الشاهد على ذلك فى أقدم الوثائق . ولا نزاع فى أن هذه الوثائق القديمة لا بد كانت محفوظة فى مكتبات المعابد القديمة منذ أزمان بعيدة جداً ، وإن الكهنة كانوا يخرجونها من أماكنها عند الحاجة وبخاصة عندما كانوا يريدون أن يجعلوا الملوك يؤمنون بعقائدهم المتوغلة فى القدم . وقد تجلى ذلك فى العقائد التى كانت منتشرة فى عهد البطالمة بصورة بارزة ، إذ من البدهى أن المطلع على ألقاب البطالمة وأسمائهم لا يكاد يجد طغراآتهم خالية من أسماء الآلهة العظام الثلاثة التى كانت صاحبة الشأن الأعظم فى كل عصور التاريخ

(١) راجع Ibid. P. 82-86.

(٢) راجع Ibid., P. 81-82.

المصرى بوجه عام وأعنى بذلك الآلهة « رع » و « حور » و « بتاح » و « آمون رع » .

وفى اعتقادى أن هذه المتون التى نقشها « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » على البوابة الثانية لمعبد « آمون رع » قد وضعت عن قصد ، فقد كانت على أغلب الظن ضمن سياسة رسمها « إيرجيتيس الثانى » لنفسه وكان الغرض منها ضم كهنة « آمون » إلى جانبه لأنهم كانوا قوة جبارة فى البلاد فى عهده كما كانوا فى العهود التى سبقته ، وباعترافه بمذهبهم الدينى وبخاصة تعظيم إلههم العظيم « آمون » قد أرضاهم كل الرضى وبخاصة لأن نزعة كهنة « آمون » كانت نزعة استغلالية طموحة منذ الأسرة الواحدة والعشرين الفرعونية .

الآثار التي خلفها بطليموس السابع في «طيبة» بوجه عام

كان من عادة فراعنة مصر منذ احتلت «طيبة» مكانة مرموقة في التاريخ المصرى أن يخلدوا ذكراهم في تلك البقعة إما باضافة بعض المبانى أو باصلاح بعض المعابد المتهدمة أو حتى باضافة اسمهم وحسب ليحفظ في سجل الخالدين .

١ — معبد الكرنك :

ففى معبد الكرنك العظيم نجد أن «بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى» قد نقش متن إهداء للآله «آمون رع» ملك الآلهة ، وذلك عند مدخل البوابة الرابعة[١] .

٢ — وكذلك وجدت قطعة حجر مثل عليها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى» في صورة بوهول يقدم صورة العدالة للإله «تحوت»[٢] .

٣ — معبد خنسو :

المدخل للمحراب .

(٧٦) و (٦٨) : يشاهد هنا على سمكى الباب من الخارج بداية متن يدل على تجديد المعبد والمحتمل أنه للملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى» .

---

(١) راجع Porter & Moss. II. P. 28; L.D. Texte III, P. 21.

(٢) راجع Porter & Moss Ibid., P. 66.

٤ — الدهليز الذى حول المحراب :

(٦٩) : يشاهد هنا فوق الباب « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » (مهشما) أمام «آمون رع» «كاموتف» (= ثور أمه) وأمامه «إبت» (آلهة الأقصر) ، وكذلك أمام آلهة العناصر . والمتن الذى يصحب الآلهة «أبت» هو : قول «إبت» العظيمة التى ولدت الآلهة والحامية العظيمة فى «ابت الجنوبية» (أى الأقصر) والأم الإلهية لثور أمه (= لقب للآله آمون)[1].

٥ — المدخل لقاعة قائمة على أربعة عمد :

(٧٧) الخارجة : يشاهد هنا فى النصف الأعلى صف طويل من الآلهة . ويلحظ فى هذا المكان أن الباب قد أصلحه « بطليموس إيرجيتيس الثانى » ، ونقرأ هنا من بين الآلهة المذكورة على قائمتى الباب الآله « جب » إله الارض على اليسار والآله « سبك » (= التمساح) .

٦ — معبد « إبت »[2] :

وهذا معبد صغير أقامه « بطليموس السابع » ويقع بجوار معبد الآله « خنسو » .

ويشاهد فوق باب هذا المعبد « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » أمام الآله « أوزير » .

---

(١) راجع L.D.T. P. 82.

(٢) راجع Porter & Moss II P. 86 (Plan).

الحجرة الشمالية رقم ٨ :

(١١) و (١٢) : يشاهد هنا « بطليموس إيرجيتيس الثانى » فى ثلاثة مناظر أمام آلهة .

(١٣) : يشاهد هنا « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » فى صفين مع آلهة .

(١٩) : مثل هنا « بطليموس السابع » مع صفين من النقوش أمام آلهة .

(٢٠) : فى صفين من النقوش هنا نشاهد « بطليموس السابع » ممثلا ، كما يرى الطفل « حور » ، وكذلك الطفل « حور » ترضعه « إزيس » أم الآلهة . وفى الصف الأعلى نرى صورة الآله « آمون رع » والطفل « حور » ، كما نشاهد الملك أمام « آمون رع » و « خنسو » فى المنظر الذى على اليمين .

(٢١) : مثل هنا « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » أمام آلهات وآلهة فى صفين من النقوش على التوالى .

(٢٣) : نقرأ هنا متناً خاصاً « ببطليموس السابع و « كليوباترا الثانية » .

(٢٤) : ونجد هنا متناً خاصاً « ببطليموس السابع » و « كليوباترا الثالثة » زوجه .

المحراب :

(٢٥) و (٢٦) : مثل هنا فى الصف الأعلى « بطليموس السابع » أمام آلهة .

(٣٢) و (٣٣) و (٣٤) : مثل الملك « بطليموس السابع » أمام صورتين من صور الآلهة « إبت » وأمام علم .

تعليق :

ويستدل من نقوش هذا المعبد على أن الذى أقامه برمته هو « بطليموس إيرجيتيس الثانى » ؛ ولكن لا بد أن يلحظ هنا أن زينته قد عملت فى تواريخ مختلفة ؛ فالقاعة التى تقع فى الشمال قد أهديت « لبطليموس الثامن » (؟) وحده . ولا يمكننا أن نحدد تاريخها لأنه — كما نعلم — لم يحكم البلاد بمفرده . أما المحراب والقاعة الجنوبية فانهما أهديا إلى « بطليموس السابع » و« كليوباترا الثانية » ، وذلك لأن الأخيرة سميت هنا أخته . ولما كانت « كليوباترا الثانية » هذه قد حكمت مرتين مع « إيرجيتيس الثانى » فان زخرفة هذه القاعات يمكن أن تكون قد تمت ما بين عام ١٧٠ وعام ١٦٤ ق . م . وهذه هى الفترة الأولى لحكم الملك « إيرجيتيس الثانى » ؛ أو ما بين عام ١٤٦ و١٣٤ ق . م وهذه هى الفترة التى تمثل حكمه الثانى حتى اليوم الذى تزوج فيه من « كليوباترا الثالثة » . والمرجح أنها عملت فى العهد الأول ، لأنه قد جاء فيه ذكر الملك « نيوس فيلوباتور » وهو الذى مات فى عهد « بطليموس السابع » قاتله كما يقال .

وتدل الشواهد أن هـــذا المعبد كان موجوداً قبل عهده ، وأنه هو الذى جدده كما يقول متن نقش على جدرانه جاء فيه : « لقد بنى مسكنها (أى الآلهة إبت) من جديد بعمل ممتاز خالد وإنه قد أصبح جميلا جداً كما كان من قبل » .

والظاهر أن « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » لم يتم زخرفة هذا المعبد من الداخل ولم يقم أحد من خلفائه باتمام هذا العمل .

وفيما بعد نجد أن « بطليموس فيلوموتور فيلادلف » (نيوس ديونيسوس) أمر فقط بنقش قائمتى الباب الخارجيتين لباب الدخول لأجل أن يكون للمعبد

واجهة . وأخيراً نجد أنه فى عهد الامبراطور « أغسطس » تم زخرفة خارج المعبد حيث توجد سلسلة من النقوش على الجدار تحتوى على عشرة مناظر .

وقد سمى هذا المعبد بصورة عامة : « بر - ور » (= البيت العظيم أو المكان العظيم)

هذا وقد جاء فيما كتبه الاثرى « روشمنتيكس » آن هذا المعبد هو معبد الآلهة « إبت » العظيمة ، ويقع فى الجهة اليسرى لمعبد الآله « خنسو » ويعبر عن اسم هذا المعبد بصورة مختصرة بأنه « بيت إبت » العظيمة . وكذلك كان يسمى هذا المعبد : « المكان الذى ولد فيه أوزير » . ولم يأت فى نقوش هذا المعبد إلا ذكر عيد واحد دون أن يذكر ميه التاريخ الذى كان يقام فيه هذا العيد الذى يسمى : « نزهة الثور الظاهر فى حقله » . (وذلك يعنى نزهة « آمون أوزير » الممتد على سريره الجنازى أو نعشه) .

هذا ونشاهد الملك ممثلا مرة عند دخوله المعبد و « حور » يستقبله مرة أخرى وهو يمشى بذراعيه على جانبيه ويتقدم على مهل نحو « أوزير » ؛ وكذلك وهو يتعبد إليه . وفى كل المناظر الأخرى نشاهد الملك وهو يقدم القربات للآلهة « إبت » كما ذكرنا من قبل[1].

معبد « موت » بالكرنك (راجع Porter and Moss Vol. 2. p. 90)

يظهر أن « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » قد قام بعمل بعض إضافات فى معبد الآلهة « موت » الملاصق لمعبد الكرنك إذ نشاهد على جدرانه ما يأتى :

---

(١) راجع Rec. Trav. XX, P. 101 ff; Porter & Moss II, P. 84 ff.

المدخل

(١) و (٢) و (٣) و (٤) : يشاهد هنا « بطليموس السابع » وقد مثل مع سبع مقاطعات من مقاطعات الوجه القبلى وست مقاطعات من مقاطعات الوجه البحرى[١].

معبد « مدينة هابو » الصغير (راجع Porter and Moss II. p. 166)

أقيم هذا المعبد الصغير التابع لمدينة « هابو » فى عهد الملك « تحتمس الثالث »[٢]. وتدل الأحوال على أنه تمت فيه بعض إصلاحات فى عهد « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » وقد نقش اسمه على الاصلاحات التى أتمها ونخص بالذكر منها :

فى الداخل — مدخل الباب

(٣) : يشاهد على عتب الباب « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » ومعه « كليوباترا الثانية » كما يشاهد معه « كليوباترا الثالثة » أمام آلهة .

هذا وقد قام باصلاحات أخرى فى المحراب .

مدخل المحراب من الداخل

(٢٩) و (٣٠) تقرأ على عارضتى الباب متون باسم « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » من الخارج .

---

(١) راجع Ibid. P. 91

(٢) راجع L.D.T. III, 154; Porter & Moss. Vol. 2, P. 167.

(٤٠) : نشاهد على مدخل الباب متوناً « لبطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » .

وعلى الإفريز متون تذكر الإصلاح الذى قام به « بطليموس السابع »(١) جاء فيها : تجديد هذا الأثر الجميل الذى أتمه « بطليموس السابع » وأخته الحاكمة ربة الأرضين « كليوباترا »(٢) وقبالة هذا ، متن آخر جاء فيه : جدد هذا الأثر الجميل الذى عمله ابن « رع » « بطليموس » العائش أبدياً محبوب « بتاح » وزوجه الحاكمة ربة الأرضين « كليوباترا » الآلهة المحسنة . . . الخ . هذا ويلحظ أنه فى هذا المعبد مثل الملوك : « بطليموس » الثانى والثالث والرابع أجداد « بطليموس إيرجيتيس الثانى » وهو يتعبد إليهم .

معبد « تحوت » قصر العجوز

(راجع Porter and Moss Vol. II. p. 193)

يقع هذا المعبد جنوبى مدينة « هابو » ويحتوى على ردهة أمامية وقاعتين ومحراب ؛ وقد أقامه « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » وأهم ما جاء فيه من نقوش ما يأتى :

المدخل — القاعة الثانية

(١) : يشاهد على السقف نسر مجنح ومعه متن ذكر فيه « بطليموس السابع » .

---

(١) راجع Porter & Moss Ibid 169.

(٢) راجع L.D.T. IV. 8207-8.

القاعة الثانية

(٤) : يشاهد على قائمة الباب فى المنظر الأول الآله « خنسو- تحوت » برأس صقر .

(٦) : وفى الصف الأعلى يشاهد هنا أمام الملك الآلهة « رعت تاوى » (مؤنث رع) الكائنة فى « طيبة » .

(٧) : يشاهد هنا فى الصف الأعلى الملك أمام الآلهة « تحوت » و « حو » و « سيا » ويخاطب الملك كلا منهم فيقول : « تحوت » المزدوج العظمة رب الأشمونين نزيل « زامتت » الذى يهدىء الآلهة وصانع الحب للآلهات .

ويخاطب حو : « حو » رب الأغذية الفاخر . . . تابع « تحوت » فى « الأشمونين » .

ويخاطب « سيا » : مخاطبة « سيا » رب الأغذية العظيم . . . . والأسماك التابع « لتحوت » وفى الصف الأسفل يشاهد « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » يقدم قرباناً أمام « آمون » وآلهة .

(٩) و (١٠) : يوجد هنا صفان من مناظر القربات . ففى الصف (٩) عند القاعدة مثل الملك والملكة يقدمان القربات لإلهين . وعند القاعدة (١٠) نشاهد أشكال مقاطعات .

(١١) : يشاهد هنا صفان من القربات[1].

(١٢) : مثل الملك فى الصف الأعلى أمام الآلهة « تحوت » و « حتحور » و « ماعت »[2]. هذا ويشاهد على الافريز متن إهداء جاء فيه أن « بطليموس

---

(١) راجع L.D. Texte III, P. 187.

(٢) راجع L.D.T. III, P. 187 B.

السابع » و « كليوباترا الثانية » و « كليوباترا الثالثة » زوج الملك قد أقاموا أثرهم هذا لوالدهم « تحوت ستم » الإله العظيم نزيل « يات ـ ثامت »[1] (= الجزء الجنوبى من جبانة « طيبة » وبوجه خاص الإقليم المجاور لمعبد مدينة « هابو ») .

المحراب :

(١٦) : مثل هنا فى الصف الأعلى « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » أمام « بطليموس الثانى » و « أرسنوى » المؤلهين وكذلك أمام « بطليموس الثالث إيرجيتيس الأول » و « برنيكى » .

(١٧) مثل « بطليموس السابع » فى الصف الأسفل أمام « تحوت » .

(١٩) : وكذلك يشاهد هنا الملك فى الصف الأعلى أمام « تحوت » .

(١٨) و (١٩) : يشاهد الملك فى الصف الأسفل ممثلا وهو يطلق البخور أمام قارب « تحوت » .

(٢٠) و (٢١) : يشاهد هنا فى الصف الأعلى ستة مناظر مثل فيها « بطليموس السابع » والملكة أمام آلهة نخص بالذكر منهم «تحوت » و «ماعت» و « خنسو » و « أزيس » و « نحم عوات » .

(٢٠) : وفى الصف الأسفل هنا مثل « بطليموس » أمام آلهة العناصر الأربعة كما يشاهد ممثلا أمام الإلهين «آمون » و « موت » .

(٢١) : مثل فى الصف الأسفل منظران يشاهد فيهما « بطليموس » يقدم « لآمون رع » و « خنسو » ولأربعة آلهة .

(٢٢) : يوجد هنا منظران مثل فيهما « بطليموس السابع » أمام آلهة نخص بالذكر منهم «آمون رع » و « رعتاوى » و « تحوت »

(١) راجع L.D.T. III, PP. 189-190.

(٢٣) و (٢٤) : يشاهد هنا مناظر قربان . ففى الصف الأعلى يشاهد « بطليموس السابع » يتعبد أمام « بطليموس الرابع فيلوباتور » و « أرسنوى الثالثة » ، وأمام « بطليموس الخامس إبيفانس » و « كليوباترا » . وفى الصف الأسفل يشاهد الملك أمام ثلاثة آلهة .

وعلى الإفريز نقرأ إهداء آخر للمعبد ، أهداه ثلاثة الملوك الذين كانوا يحكمون البلاد وقتئذ سوياً وهم « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » و « كليوباترا » الأخت و « كليوباترا » زوج الملك . ومعنى ذلك أن هذا الأثر كان قد أقيم فى الأيام الأخيرة من حكم هذا الملك وشريكتيه ، عند ما هدأت الأحوال فى البلاد بعض الشىء .

« قفط » :

عثر فى مدينة « قفط » على قائمتى باب من معبد عليهما اسم « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » . فيشاهد على القائمة اليمنى منظران مثل فيهما « بطليموس السابع » أمام الآلهين « مين » و « حتحور » ، وأمام «حربوخراتيس» و « إزيس » . وقد عثر على هاتين القائمتين فى أساس صرح عربى وهما الآن فى متحف « بوستون » بأمريكا(١) .

أرمنت :

وجدت بعض آثار للملك « بطليموس السابع إيرجيتيس » فى فناء معبد « منتو » بأرمنت(٢) .

---

(١) راجع Reisner, Excavations in Egypt and Ethiopia in Boston Mus. Bull. June (1925), P. 28 (Lower)

(٢) راجع Porter & Moss, V. P. 157.

البوخيوم:

أو مدافن العجل « بوخيس » بالقرب من « أرمنت » .

عثر فى البوخيوم على لوحة من عهد الملك « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » ، وهى مصنوعة من الحجر الجيرى ، ويبلغ ارتفاعها ٦٦ سنتيمتراً .

نقش فى أعلاها : « بوخيس » روح « رع » الحية ومظهر « رع » ، الذى ولد فى « تى - حت » . وفى أسفل من هذا يشاهد الملك واقفاً أمام العجل « بوخيس » يقدم له الحقول .

والمتن الذى يصحب هذا المنظر يقول: تقديم الحقول لوالده مثل « رع » أبدياً وفى أسفل المنظر السابق جاء المتن التالى :

السنة الخامسة والأربعون ، العشرون من شهر بابه من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الإلهين الظاهرين صورة « بتاح » . . . .) ابن « رع » (بطليموس . . .) ومعه زوجه الحاكمة سيدة الأرضين « أرسنوى» (sic) محبوبة « أوزير - بوخيس » الآله العظيم سيد بيت « آتوم » . والآلهين الأخوين المتحابين والآلهين المحبين لوالدهما والآلهين الظاهرين والآلهين المحبين لوالدهما . . . أن روح هذا الآله « بوخيس » صعدت إلى أعلى إلى السماء ، وهو روح « رع » ، ومظهر « رع » الذى ولد فى . . . . واليوم الذى ولد فيه من أمه كان فى السنة السادسة والعشرين فى العاشر من طوبة (؟) فى المدينة الجنوبية . . . . فى مكان تنصيبه ، وهو الذى قد جاء إلى الوجود قبل الميقات، بجانب والده «نون» القديم . وقد نصبه الملك نفسه .

الذهاب على قارب « آمون » مع قوارب الملك وكل أهالى « طيبة » و « أرمنت » ، والكهنة خدم الآله وكان رؤساء الكهنة معه . وقد وصل إلى « أرمنت » مكان سكنه . وكان قد ولد فى « تى - خرتيت » ، وروحه

صعدت إلى السماء (مثل رع ؟) . وطول حياته كانت ثمانية عشر أعواما وعشرة أشهر . . يوماً . وقد وضعه على عرشه لأجل أن يمنح كل البأس والقوة لإبن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») مثل « رع » أبد الأبدين[1] .

تعليق :

يلحظ فى هذه اللوحة أن صيغة المتن ليست مفهومة تماماً أو متطورة إذ نجد أن طول حياة العجل هنا قد وضعت فى غير موضعها الطبيعى ، كما أن كل ما يشير إلى دفنه قد حذف .

وتتلخص اللوحة فيما يأتى :

ولد العجل فى عام ٢٦ فى العاشر من طوبة = ١٤٤ ق . م .

ومات هذا العجل فى عام ٤٥ فى العشرين من بابه (؟) = ١٢٥ ق . م .

فيكون عمره ١٨ سنة وعشرة أيام .

ويلحظ أن هذه اللوحة هى الوحيدة فى مجموعة هذه اللوحات التى جاء فيها ذكر يوم الولادة ، هذا إلى أن عدد الأشهر يمكن أن يقرأ أحد عشر بدلا من عشرة أشهر .

الجبلين — معبد الآلهة « حتحور » :

عثر فى هذا المعبد على قطع من البازلت الأسود من تمثال وجد ملقى على الأرض وهو من ناووس « لبطليموس إيرجيتيس الثانى »[2] (؟) .

---

(١) راجع The Bucheum Vol. II, P. 9-10.

(٢) راجع Frazer P.S.B.A. XV, PP, 497-8.

الكاب :

يوجد بالكاب معبد من عهد البطالمة بدأه « بطليموس السابع ». وهو غير معبد الكاب ، وهو منحوت فى الصخر ويصل إليه الإنسان بسلم . وتدل الظواهر على أن هذا المعبد لم يكن قد تم بعد . ويلحظ أن الجزء الأمامى منه كان مبنياً . أما المحراب فمنحوت فى الصخر . وهاك المناظر الباقية على جدرانه :

(٢) : مثل الملك « إيرجيتيس الثانى » على سمك الباب أمام الآلهة « نخبيت » : وتسمى « نخبيت » الأم العظيمة ربة « اشرت » .

(٧) و (٨) : يشاهد على هذا الجدار فى المحراب منظران مهشمان مثل فيهما « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » و « كليوباترا الثالثة » أمام آلهة وكذلك مثل « بطليموس » فى نفس المنظر يطهره كل من « تحوت » و « حور »[1].

معبد الفرعون امنحوتب الثالث :

يوجد معبد صغير مقام من الحجر الرملى للملك « امنحوتب الثالث » ويقع جنوب الكاب فى الوادى خلف المدينة . وكان « امنحوتب الثالث » هذا — كما هو معروف — يعبد فى عصره واستمرت عبادته فى الأزمان المتأخرة . وقد نقش « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » اسمه على سقف هذا المعبد : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » محبوب « بتاح » ابن « رع » (وارث الإلهين الظاهرين المختار من « بتاح » والذى يعمل العدل

---

(١) راجع. L.D.T. IV, P. 39 & 40; P. & M. V, P. 187.

« لرع » تمثال « آمون » الحى) . وهذا المعبد قد أتم بناءه « بطليموس العاشر » و « بطليموس الحادى عشر »[1] (؟) .

المدمود :

أقام « بطليموس السابع » خارجة فى معبد « المدمود » الذى يرجع عهده إلى الدولتين الوسطى والحديثة ولا تزال هذه الخارجة قائمة حتى الآن . (راجع P. & M. V. P. 138) .

(٢٥ — ٢٨) : مثل على الجدران التى بين العمد « بطليموس السابع » أمام آلهة .

(٣٠) : يشاهد على سمكى الباب أعمدة من النقوش عليها لقب الآله « منتو » ولقب « بطليموس السابع » .

(٣١ — ٣٨) فى الداخل : نشاهد هنا على هذه الجدران متن أفريز وبقايا مناظر . فنرى « بطليموس السابع » أمام آلهة وموكب آلهة نيل ، هذا بالإضافة إلى أنشودة . وأهم ما يرى فى المتن الذى على الإفريز إهداء المعبد[2]

طود :

يوجد فى بلدة «الطود» معبد يرجع عهده إلى الدولة الوسطى وقد أضاف « بطليموس السابع » إلى هذا المعبد معبداً صغيراً .

فيشاهد فى قاعة هذا المعبد متن خاص بآلهة نذكر منها الآلهة « منتو » ، « رعتاوى » « مين » صاحب قفط و « حربوخراتيس » ، هذا ونشاهد هناك طغراآت « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى »[3] .

---

(١) راجع L.D.T. IV, P. 43; P. & M. V. P. 189.

(٢) راجع Porter and Moss, V, P. 140-141; L.D. T. II, P. 201 (middle).

(٣) راجع Porter and Moss V, P. 168: L. D. T. IV, P. 12.

أسوان :

عثر على قطع من الحجر مستعملة فى مبان بأسوان عليها اسم « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى »[١].

جزيرة الحيسا :

عثر فى الطرف الأقصى لهذه الجزيرة على ناووس من الجرانيت الأحمر للملك « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى »[٢].

معبد دندره :

بيت الولاده :

وجدت طغراءات « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » على عمد قاعة العمد[٣].

معبد اسنا :

وجد فى معبد « اسنا » فى واجهة قاعة العمد منظر مثل فيه « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » يقدم قربات سائلة أمام والديه « بطليموس الخامس » و « كليوباترا الأولى »[٤].

---

(١) راجع L. D. T. IV, P. 116.
(٢) راجع Weigall, A Report on the Antiquities of Nubia. P. 56.
(٣) راجع Porter and Moss VI, P. 105.
(٤) راجع Ibid. VI, P. 116; L.D. IV, P. 22, C.

معبد ادفو :

تدل ما لدينا من وثائق على أن « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » (البطين) قد اهتم اهتماماً عظيما باتمام معبد «ادفو» بعد أن كانت قد أوقفت فيه الأعمال بسبب اندلاع الثورات فى طول البلاد وعرضها وبخاصة فى الوجه القبلى . وقد كان أول عمل ابتدأه هو بناء السور الخارجى للمعبد والبوابة وقد وافته المنية أثناء سير العمل فى إتمام هذا المعبد . وقد دون هذا الحادث على جدران المعبد الخارجية بواسطة خلفه وابنه « بطليموس سوتر الثانى » وفى ذلك يقول المتن : وفى نهاية حياته فى الرابعة والخمسين من حكم هذا الملك فى الحادى عشر من شهر بؤونه وضع أساس جدران السور والبوابة ، وفى أثناء سير العمل فى كل النواحى (فى هذا الجزء من المعبد) حضر الموت الملك وخلفه ابنه الأكبر على عرشه ونقش باسمه حجرات المعبد الخارجية بوصفه « بطليموس سوتر الثانى فيلوماتور الثانى » . وسنرى فيما يلى أنه قد أتم زخرفة حجرات كثيرة وغطى جدران المعبد بالنقوش[1]. وسنحاول فيما يأتى أن نعطى صورة عن المناظر التى ظهر فيها « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » وما يتبعها من متون لتكون دليلا لأولئك الذين يريدون أن يفحصوا هذا المعبد ببعض التفصيل وذلك جرياً على عادتنا مع الملوك الذين سبقوه[2].

---

(١) راجع Dumichen, A.Z. VIII, P. 1-18; Porter and Moss, P. 120 ff.

(٢) راجع مصر القديمة — الجزء الخامس عشر ص ٤٨٨ شكل ب

قاعة العمد الخارجية (راجع Porter & Moss. VI. P. 130)

الواجهة :

(٥٦) : يشاهد على قاعدة هذا الجدار إله نيل وآلهة حقل وطغراآت « الملك بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » .

(٥٧ — ٥٩) و (٥٩) و (٦٠) : يشاهد على هذه الجدران التى بين العمد « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » يقف أمام الآله « حور » ، كما يرى وهو يقدم للآلهة « حتحور » عصابة رأس وأربع أوان للآله « حور » . وكذلك مثل هذا الملك أمام الآله « حور » وهو يقدم آنية عطر على هيئة بوهول للآلهة « حتحور » وأربع أوان للآله « حور » . هذا ويجب أن نلحظ هنا فى وصف هذه المناظر أن الآله الأعظم فى هذا المعبد كان الآله « حور » العظيم سيد « ادفو » . ثم يليه فى الأهمية الآلهة « حتحور » زوجه التى كانت تسكن معبد « دندره » وأخيراً ابنهما الآله « أحى » الصغير ، ومن هذه الآلهة الثلاث كان يتألف ثالوث « إدفو » .

المدخل :

(٦٥) و (٦٦) : يشاهد فى مدخل الباب هنا شبه خارجات مثل عليها الملك فى هيئة بوهول أمام الآله « حور » . هذا ويشاهد على قائمتى الباب أربعة صفوف من النقوش مثل فيها « بطليموس السابع إيرجتيس الثانى » أمام آلهة ، وعلى قاعدة الجدار (أى الجزء الأسفل من الجدار) يرى الملك يتبعه آله نيل على كل جانب ، هذا بالإضافة إلى سطرين من الكتابة فى أعلى ، ذكر فيهما اسم الباب الذى يدخل منه الزائر .

(٦٧) و (٦٨) و (٧٠) — (٧٢) : يشاهد هنا على أسماك الجدران وعلى كل جانب ثلاثة عمد من المتون وكذلك رموز زينة مع متون أفقية ، وعلى الكرنيش طغراآت « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » . وعلى الافريز يشاهد منظران مهشمان مثل فيهما الملك يقاد نحو آلهة .

(٧٣) و (٧٤) مدخل الباب من الداخل : يشاهد هنا شبه خارجتين على كل منهما منظر مثل فيه « بطليموس السابع » راكعاً بين « تحوت » و « حور » ومعه صوبلجان عيد « حب - سد » (أى العيد الثلاثينى) كما يشاهد على قائمتى الباب أربعة صفوف من النقوش مثل فيها « بطليموس السابع » أمام آلهة . وعلى قاعدة الجدار يشاهد الآله « تحوت » على الجانب الشرقى والآله « حور » على الجانب الغربى وهما يصبان القربات السائلة .

(٧٥) و (٧٦) : حفر هنا سطران من الكتابة وقد مثل « بطليموس السابع » على الجانب الخارجى لكل من قائمتى الباب .

في داخل قاعة العمد الخارجية :

(٧٧) و (٧٨) : يشاهد هنا على الجدران التى بين العمد منظران يمثلان أحفال تأسيس المعبد وقد مثل فيهما « بطليموس السابع » وهو يغادر القصر الملكى مع الكاهن « انموتف » واعلام ، كما يرى وهو يقيس أبعاد المعبد مع الآلهة « سفخت عابو » (صفة لآلهة الكتابة « سشات ») أمام « حور » الذى من أجله بنى المعبد .

(٨٠) و (٨١) : يشاهد على هذا الجدار فى الصف الأعلى ستة مناظر مثل فيها « بطليموس السابع » وهو يطعن ثعباناً بحربة أمام الآلهين « حور » و « حتحور » ، كما يشاهد وهو يذبح وعلاً أمام الآله « خنسو » . ويقدم

العين السليمة (وزات) للآلهة « حتحور » . ويقدم إلى « بطليموس الرابع » المؤله وإلى « أرسنوى الثالثة » زوجه ، كما يقدم عصابة رأس للآله « أوزير» وأخيراً مثل واقفاً ومعه « عصا الحقل » أمام « حور » . وفى الصفين الثانى والثالث ستة مناظر مثل فى كل منها « بطليموس السابع » أمام آلهة ؛ وفى الصف الرابع ستة مناظر كذلك تشتمل على مناظر وضع أساس المعبد والأحفال الخاصة به . فمن ذلك صورة الملك وهو يحفر الأرض ويصب الرمل ، وبعد ذلك يضع حجر الأساس ، ثم يطهر المعبد ، ويقدم « حتس » (وهذا رمز يدل على وضع أساس المعبد) .

(٧٩) و (٨٠) : يشاهد على قاعدة هذا الجدار « بطليموس السابع » مع آله النيل وآلهة الحقل وحاملو قربات كما يشاهد إله النيل وآلهة الحقل أمام ثالوث معبد « ادفو » .

(٨٣) و (٨٤) : يشاهد على هذا الجدار من أول الصف الأعلى من النقوش حتى الصف الثالث ، ستة مناظر فى كل صف ، وقد ظهر فى كل « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » أمام آلهة نذكر من بينها « حور » و « حتحور » . وفى الصف الرابع توجد أربعة مناظر تحتوى على أحفال تأسيس المعبد التقليدية . فيظهر الملك وهو يغادر قصره مع الكاهن « إنموتف » والأعلام ؛ كما يشاهد وهو يضع لبنة ويقيس أبعاد المعبد مع الآلهة « سفخت-عابو » ويقدم صناديق من النسيج الأحمر ؛ وكذلك مثل الملك وهو يجرى وبيده مجداف .

(٨٣) و (٨٤) : يشاهد هنا على هذا الجدار فى أسفل عند القاعدة « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » ممثلا مع « كليوباترا الثانية » أمام ثالوث معبد « ادفو » .

(٨٥) و (٨٦) منظر تأليه الملك : يرى على هذا الجدار بين الأعمدة منظران خاصان بأحفال التأليه ، فقد مثل فيهما « بطليموس السابع » وهو يغادر قصره ومعه الكاهن « إنموتف » وأعلام . ويقوم بتطهيره كل من « حور» و « تحوت » .

(٨٨) — (٩١) : يشاهد على هذين الجدارين فى الصف الأعلى حتى الصف الثالث، ستة صفوف مثل فى كل « بطليموس السابع » أمام آلهة نخص بالذكر منها « حتحور » و « رع حور - أختى » وفى المنظرين الثانى والرابع من الصف الأعلى مثل « بطليموس السابع » يقدم لوح كتابة ومحبرة للآله « تحوت » كما يقدم « لبطليموس الثانى » وزوجه « أرسنوى الثانية » .

(٨٨) و (٨٩) و (٩٠) و (٩١) : يشاهد هنا فى الصف الرابع أربعة مناظر وهى عبارة عن أحفال تأليه الملك ، فقد مثل فيها الملك « بطليموس السابع » أمام الآله « حور » كما مثل تحمله أرواح « ب »و « نخن » (= أى الملوك القدامى الذين أصبحوا آلهة) ، وكذلك يرى الملك وهو يسير نحو الآله « حور » كما يرى وهو يقاد أمام « حور » و « حتحور » .

(٨٦)—(٨٩) و (٩٠) و (٩١) : يشاهد هنا على قاعدة هذين الجدارين (المهشمين) « بطليموس السابع » ومعه « كليوباترا الثانية » وبينهما آله نيل وآلهة حقل ومحضرو قربات ، كما يشاهد كذلك آله نيل وآلهة حقل أمام ثالوث معبد « ادفو » ؛ وفوق ذلك سطران من المتون .

(٩٣) و (٩٤) : مثل فى الصف الأعلى هنا حتى الصف الثالث، ستة مناظر ظهر فى كل منها الملك « بطليموس السابع » أمام آلهة . وفى الصف الرابع ظهرت خمسة مناظر خاصة بأحفال تأسيس المعبد . فيظهر الملك هنا

وهو يغادر القصر ومعه الكاهن « إنموتف » وأعلام ؛ ثم يرى وهو يضرب الأرض بمعوله ويقيس أبعاد المعبد ، ثم يقدم أربعة عجول ويجرى ومعه أنية « حس » .

(٩٣) و (٩٤) : يشاهد هنا على نفس الجدار فى أسفل عند القاعدة « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » يتبعهما آلهة نيل وإلهات حقول ، وسبعة أرواح للإله وسبع « حمسوت » (مؤنث روح) أمام ثالوث معبد « ادفو » .

إفريز فلكى من عهد « بطليموس السابع » :

يشاهد هنا فى قاعة العمد الخارجية التى نحن بصددها على الجدارين الغربى والشرقى فى الجزء الأعلى قوارب شمسية وقوارب قمرية ، كما يشاهد أربعة عشر إلهاً تمثل القمر وهو فى مرحلته الثانية أى فى النصف الثانى من الشهر عندما كان آخذاً فى النقصان شيئاً فشيئاً ، وفى الجزء الأسفل زينة تتألف من صقور مجنحة وطغراآت .

هذا ونشاهد على الجدارين الجنوبى والشمالى بين الخارجتين مناظر تمثل ساعات النهار ومعها متن مؤلف من ثلاثة أسطر نقشت فوقها . وفى وسط الجدار الشمالى يشاهد جعل يجثم على العلامة التى ترمز للأفق بين صقرين مجنحين ؛ كما يظهر الملك أمام آلهة على كل من الجانبين . ويشاهد على الجدار الشمالى فى أسفل المنظر الأخير الستة والثلاثون إلهاً التى ينقسم إليها السماء ، كل واحد منها فى قاربه وكذلك نشاهد الآلهة التى تمثل أسابيع السنة وعددها ٣٦ أسبوعاً كل منها يحتوى على عشرة أيام[1] ومجاميع النجوم

(١) راجع Dictionnaire de la Civil Egyp. P. 80, cf. Reallexikon, P. 158.

والكواكب ، كما يرى أربعة عشر إلهاً تتأهب إلى صعود سلم القمر للآله «تحوت» وكذلك أيام القمر والأشهر وآلهة تسند السماء[١].

الأعمدة التى فى قاعة العمد الخارجية :

يشاهد على الخارجات هنا الملك يقدم قرباناً لآلهة تشمل «حتحور» وتاسوع «إدفو» وثامون «الأشمونين» كما يقدم إلى «تحوت» سبعة «زاسو» الخاصة به (= وهى سبعة آلهة كل منها برأس كبش) وأحد عشر أرواحا خاصة بالآله «رع»[٢].

المكتبة — بطليموس السابع

كان لكل معبد من المعابد الكبيرة مكتبة صغيرة نقشت على جدرانها متون ومناظر تتحدث عن محتوياتها .

(٩٦) : النقوش التى على الخارج والمدخل : (a, b) يوجد هنا متنان . هذا ويوجد على المدخل الأيسر (d, e) متن مؤلف من أربعة أسطر مثل فيها «أمحوتب» أمام «حور» وفى أسفل على يمين المدخل نقش متن مؤلف من خمسة أسطر ، كما مثل الملك فى أسفل أمام «حور» . ويشاهد على عتب الباب أربعة من آلهة «الأشمونين» الثمانية .

(٩٧) : (i) يشاهد هنا صفان من النقوش مثل فيهما الملك يقدم لوح كتابة ومحبرة للإله «تحوت» . ويضرب كرة من الطين أمام «حتحور» (j) يشاهد فى الصف الأعلى الملك «بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى» يقدم رمز العيد الثلاثينى (حب - سد) للآلهة «سفخت - عبو» ، كما يشاهد متن

(١) راجع L. D. Texte IV, P. 61; Brugsch., Thesaurus, P. 18-23, 147-50.

(٢) راجع Chassinat Ibid. III. P. 312, 314-15, 317, 320.

مؤلف من ستة أعمدة ويحتوى على قائمة كتب . وفى الصف الأسفل يشاهد كاهن مرتل يطعن الأعداء بحربة أمام الملك ، كما يشاهد الملك وهو يطعن سلحفاة بحربة أمام « رع حور أختى » (k) يرى فى الصف الأعلى هنا منظر مزدوج ظهر فيه الملك يحمل صوبلجانات أمام صور من صور « حور » ؛ وفى الصف الأسفل منظر مزدوج يشاهد فيه الملك يطعن تمساحاً ، ويطعن فرس بحر أمام شكلين من أشكال « حور » (L) ويشاهد هنا فى الصف الأعلى سبعة عمد من النقوش تحتوى على قائمة كتب حول خزانة ، وقد صور الملك وهو يحرق أربعة أعداء فى موقد مستطيل أمام الآله « حور » فى صورة صقر ؛ وفى الصف الأسفل ظهر الملك وهو يطعن حيواناً بقرنين أمام « أوزير » .

حجرة الملابس :

(٩٨) (q - r) : يشاهد هنا على يسار باب المدخل صفان من النقوش مثل فيهما الملك ومعه أعلام ، وكذلك الكاهن « أنموتف » . وعلى يمين المدخل يوجد صفان من النقوش ظهر فيهما الملك وهو يتقبل رمز الحياة من الآله « منتو » ومن الآله « حورسماتوى » (وهو الذى يوحد الأرضين) وعلى عتب الباب مثلث أرواح « ب » و « نخن » .

(١٠٠) و (١٠١) المدخل : ظهر كل من « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » أمام « حور » و « حتحور » .

حجرة النيل (رقم ١) :

(١٢٦) : نقشت طغراآت « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » على إفريز حجرة النيل .

(١٢٧ — ١٢٩) و (١٣٠ — ١٣٣) : يشاهد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها « بطليموس السابع » يقدم لآلهة قربات معظمها من البخور والسوائل ، كما يرى فيها الملك وهو يجرى ومعه آنية « حس » فى الصف الثانى على الجدارين الشمالى والجنوبى ؛ كما يظهر الملك يتبعه آله النيل « حعبى » أمام « حور » وجماعة القضاة على الجدار الغربى .

حجرة المعمل (رقم ٢) :

(١٣٤) : يشاهد على قائمتى الباب « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » أمام الآله « حور » رب « ادفو » .

ساحة الخزانة (رقم ٣) :

(١٤٠) : المدخل من الممر (a,b) ظهر هنا على عتب الباب من الخارج « بطليموس السابع » ومعه « كليوباترا الثانية » أو الثالثة وهو يقدم قرباناً لثالوث « ادفو » . ونقش على قائمتى الباب ثلاثة صفوف مثل فيها « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » وهو يقدم بخوراً وقربات سائلة وطعاماً وحقلا أمام « حور » . ويرى على قاعدة الجدار فى أسفل ، آله نيل وآلهة حقل على كلا الجانبين .

قاعة الآله « مين » :

(١٨٣) (c, d) : نقشت هنا على سمكى الباب متون إهداء المعبد من « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » .

الحجرة رقم ٨ — تحت السلم :

(١٩٥) : يشاهد هنا فى الجزء الذى تحت السلم على الجانبين وعلى السقف نسور مجنحة ومتون باسم « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » (البطين) .

(١٩٦) : مثل على عتب الباب الداخلى هنا « بطليموس السابع » تتبعه أربعة أشكال للآلهة « ترمو - تيس » (آلهة الحصاد) (مهشمة) ، كما يظهر وهو يقدم قرباناً لكل من « حور » و « حتحور » وعلى قائمة الباب الشرقية . يقدم للبقرة « إحت » (وهى صورة من صور « حتحور ») أمام مائدة قربات .

الممر الذى حول المحراب :

(١٨٢) المدخل الغربى (a,b) : يشاهد هنا على قائمتى الباب متن مؤلف من ثلاثة أعمدة على كل من الجانبين كما يوجد متن على القاعدة . ويشاهد (c, d) على سمكى الباب متون باسم « بطليموس السابع » ، كما يرى وهو يقدم نطروناً وقرباناً للآله « حور » ، ويظهر الملك كذلك عند القاعدة وهو يقدم القربات لأربع جنيات فى صور حيات ومن بينها الآلهة « ترموتيس » آلهة الحصاد ، وكذلك نقش اسم الباب .

السلالم — السلم الغربى :

الجدران : يشاهد على جدران هذا السلم «بطليموس السابع» و « كليوباترا الثانية » أو الثالثة . كما نشاهد المواكب نازلة وتتألف من كهنة يحملون أعلاماً ومحاريب صغيرة . هذا ونجد متوناً خاصة بالكهنة الذين يحملون قربات ونواويس .

السلم الشرقى — المدخل :

(٢٨٤) : المدخل من قاعة العمد الداخلية يظهر على سمك الباب « بطليموس السابع » يقدم قرباناً سائلة للإله « حور » .

(f, g, h, i) : يظهر « بطليموس السابع » على جدران السلم الثانى يتبعه آلهة نيل على كل من النصفين .

الجدران :

الجدار الأيمن (من عند بداية السلم) يظهر الملك فى موكب من الكهنة ومعهم أعلام وناووس ، وحاملو قربان وآلهة .

الجدار الأيسر (من عند بداية السلم) يظهر الملك و « كليوباترا الثانية » ومواكب نازلة من الكهنة والأعلام والنواويس وحاملى القربات والآلهة .

هذا ويشاهد على الإفريز متون خاصة بالملك و « كليوباترا » .

القاعة الجنوبية بالقرب من القمة :

توجد هنا متون باسم الملك « بطليموس السابع » .

خارج المعبد الأصلى :

(٢٩١ — ٢٩٤) : يشاهد فى الصف الأعلى سبعة عشر منظراً يظهر فيها « بطليموس السابع » أمام الآلهة : « حور » و « أوزير » و « حرمرتى » (إله بلدة « هربيط » من أعمال الدلتا) والآلهة « منبيت - ورت » (آلهة السرير والعرش) (W.b. 11. 63) و « حتحور » و « رع » وثامون مدينة « الأشمونين » ، و « بتاح » و « خنسو » والآلهة « سبقت » (اسم للآلهة حتحور) و « شو » و « تفنوت » و « خنوم » و « نفتيس » . هذا ويشاهد « بطليموس السابع » فى المنظر الخامس عشر يقدم بخوراً وقرباناً سائلة أمام « بطليموس الثانى » و « أرسنوى الثانية » المؤلهين .

(٢٩١ — ٢٩٤) : يشاهد فى الصف الثانى ميازيب ماء على هيئة أسود

ومعها مناظر ومتون . ويوجد سبعة عشر منظراً مثل فيها « بطليموس السابع » أمام الآلهة : « حور » آله معبد « ادفو » الكبير والآلهة « مرت » آلهة الموسيقى للوجه البحرى والآله « إحى » و « حتحور » ، والتاسوع ، و « اتوم » و « سكر - أوزير » و « محيت » (آلهة طينة فى صورة لبوة) و « خنت يابنت » و « ثننت » و « أنيت »[1] (اسم بقرة من أسماء بقرة السماء) . وفى المشهد الخامس عشر يظهر « بطليموس السابع » ومعه آنية ونسيج أمام « بطليموس الثانى» و « أرسنوى » المؤلهين (سميت فى المتن « كليوباترا » خطأ) .

(٢٩١ — ٢٩٤) : يوجد فى الصف الثالث على هذا الجدار ثمانية عشر منظراً مثل فيها « بطليموس السابع » أمام الآلهة : « حور » و « حتحور » وأولاد « رع حور أختى » (= «منديس» و « حرسافيس » و « منحى » و « حارشدف ») و « نترعمسمتف » (Neteraemsemtef) و « نبسحنو » (Nebshenu) و « بانرتى » (Banerti) و « خنتى - بحددت » و « نبحتاو » - وعرت » ، و « رع حور أختى » و « أحى » و « بتاح » و « سفخت - عبو » و « خنسو » و « نخبت » و « تحوت ». (هذا بالإضافة إلى إقامة عمودين للآله « منيفس »[2] فى المنظر التاسع وتقديم لوحة كتابة فى المنظر الرابع عشر، كما يظهر « تحوت » يكتب أمام « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثالثة » ومعهما « بطليموس العاشر » الطفل .

(٢٩١) و (٢٩٢) و (٢٩٣) و (٢٩٤) : يشاهد على هذا الجدار فى أسفل على القاعدة « بطليموس السابع » ومعه « كليوباترا الثانية » أو الثالثة يتبعه

---

(١) اسم بقرة مقدسة للالهة « حتحور » .

(٢) الثور المقدس فى عين شمس .

صور مقاطعات الوجه البحرى ، وأقاليم مستقلة بأقسامها ، وكذلك اثنين من محضرى القربان أمام ثالوث « ادفو » .

(٢٩٥) و (٢٩٦) : يشاهد هنا ميازيب فى صور أسود ، ومناظر ومتون . هذا ويوجد من الصف الأعلى حتى الصف الثالث ستة مناظر فى كل صف ، وقد مثل فيها « بطليموس السابع » يقدم القربان لآلهة وتشمل هذه الآلهة إبنين للآله « حور » وجنيتين خاصتين بدندرة وكل منهما برأس حية ، وكذلك جنيتين خاصتين بأدفو كل منهما برأس حية من المنظر الثالث فى كل صف . ويرى فى المنظر الأول من الصف الرابع « بطليموس السابع » يغادر قصره مع أعلام ومع الكاهن « أنموتف » . ويظهر الملك « بطليموس السابع » فى المناظر من الثانى حتى السابع وهو يقدم للآلهين « حور» و«حتحور» ويشمل ذلك تدشين المعبد وتقديم حربة .

(٢٩٥) و (٢٩٦) : يشاهد على القاعدة « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » يتبعهما موكب آلهة النيل مع آلهة أخرى وقربان أمام ثالوث «ادفو» .

(٣٠٢ — ٣٠٥) : يشاهد على هذا الجدار فى الصف الأعلى سبعة عشر منظراً مثل فيها « بطليموس السابع » أمام الآلهة : « حور » ، « أوزير » و « وتست - حور » (= عرش حور = اسم مقاطعة ادفو) و « نحم - عاوت» (زوج تحوت) ، و « آمون كاموتف » (= آمون زوج أمه) وثمانية أرواح للأله « رع » (مع أسماء أربعة عشر) و « تحوت » و « سفخت - عابو » (؟) و « جب » و « نوت » و « منديس » و « نفتيس » و « حتحور » . وفى المنظر الخامس عشر يظهر « بطليموس السابع » ومعه بخور وآنية قربان سائل أمام « بطليموس الرابع » و « أرسنوى الثالثة » المؤلهين .

(٣٠٢ — ٣٠٥) : يشاهد فى الصف الثانى ميازيب فى هيئة أسود ومناظر ومتون ، وسبعة عشر منظراً يظهر فيها الملك « بطليموس السابع » أمام الآلهة : « حور » آله معبد « ادفو » الكبير و « أوزير » و « مرى » الوجه القبلى (آلهة الموسيقى) و « حتحور » و تاسوع « ادفو » الصغير ، و « مين » و « حورسماتوى » و « منتات » (=آلهة فى صورة لبؤة) و « أنوبيس » و « خنت - يابت » (= المقاطعة السابعة عشرة من الوجه البحرى) ، و « سوتيس » (الشعرى اليمانية) و « عنقت » ويشمل هذا المنظر الملك مع الملكة بجران قارب « سوكارى » على زحافة . وفى المنظر الخامس عشر يشاهد « بطليموس السابع » يقدم آنية ونسيجاً « لبطليموس الخامس » والملكة « برنيكى » .

(٣٠٢ — ٣٠٥) : يشاهد فى الصف الثالث ثمانية عشر منظراً كما يشاهد «بطليموس السابع » أمام الآلهة : « حور » و « حتحور » و «بوباستيس» والأرواح الحية فى « ادفو » « منديس» ، « حارسفيس » « منحى » (=آلهة فى صورة لبؤة) و «حارشدف » (Harshedef) و «نترعسمتف » و «نبسحنو» (Nebshenu) وطائر«بنو» (= روح رع) و« خنتبحدت» (Khentibehdet) و« نبحتوعرت » (Nebhetwaert) و « أمون - رع »،و« أوزير » و « إحى و « رع حور أختى » و « سخت عبو » ، و « خنسو » و « بوتو » . يضاف إلى ذلك تقديم أسرى بمثابة قربان فى المنظر الثالث وضرب الأسيويين المجدلين فى المنظر الرابع ، والملكة « كليوباترا » تطعن بحربة الثعبان « أبوفيس » فى المنظر الخامس وكذلك سوق عجل فى المنظر التاسع وشعيرة فتح الفم فى المنظر العاشر ، ثم منظر الآله « تحوت » ومعه جريد نخل أمام

« بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » والطفل « بطليموس المنفى » فى المنظر السادس عشر[1].

(٣٠٢) و (٣٠٣) و (٣٠٤) و (٣٠٥) : يشاهد على طول هذا الجدار فى الصف الرابع ، ثمانية عشر منظراً ، تحتوى على أحفال تأليه ومناظر قربان مثل فيها الملك وهو يغادر القصر مع أعلام والكاهن « أنموتف » ويطهره كل من « تحوت » و « حور » كما تتوجه كل من « الآلهتين « بوتو » و « نخبت » » ، وتقوده الآلهة «حتحور» والآله «آتوم» والآله «منتو » والآله « حربوخراتيس» فى المناظر الأربعة الأول ، كما يشاهد وهو يطعن بحربة حيواناً فى المنظرين الثامن والتاسع .

المنافذ :

يشاهد عليها متون .

(٣٠١) — (٣٠٣) و (٣٠٤) و (٣٠٥) : مثل هنا على قاعدة الجدار « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » يتبعهما صور مقاطعات الوجه القبلى ومراكز مستقلة مع أجزائها كما يشاهد ثلاثة آلهة نيل وثلاث آلهات حقل أمام ثالوث « إدفو » . هذا ويشاهد فوق القاعدة سطران من النقوش خاصان « ببطليموس السابع » .

(٣٠٦) و (٣٠٧) : ميزاب على هيئة أسد مع مناظر ومتون . ويشاهد من الصف الأعلى حتى الصف الثالث، ستة مناظر مثل فى كل « بطليموس السابع » أمام آلهة بما فى ذلك قربنين للإله « رع » ، وكذلك أربع جنيات « لادفو » بروؤس حيات . وفى الصف الرابع يشاهد فى المنظر الأول

(١) راجع Mélanges Maspero I, PP. 513-14.

« بطليموس السابع » يغادر القصر ومعه أعلام ، والكاهن « إنموتف » ، وفى المناظر من الثانى حتى السابع مثل الملك يقدم للإلهين « حور » و « حتحور » ، وكذلك نشاهد تقديس المعبد وتقديم حربة .

(٣٠٦) و (٣٠٧) : يرى على قاعدة الجدار كلا من « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » يتبعهما آلهة نيل وآلهات حقول وآلهة مع قربان أمام ثالوث « ادفو » .

ويشاهد على الكرنيش زينة مع « نخبت » و « بوتو » فى صورة صلين مجنحين وطغراآت « بطليموس السابع » . . . الخ .

(٣١٨) و (٣١٩) : يشاهد هنا فوق القاعدة متون بناء المعبد عملها « بطليموس الحادى عشر » وقدم لنا تواريخ بناء هذا المعبد وتزيينه فى عهد البطالمة الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعاشر والحادى عشر[1]

معبد رعمسيس الثالث جنوبى معبد « حور »

البوابة الجنوبية : (راجع الشكل رقم ٨) .

(٨) و (٩) : يشاهد على قائمتى الباب بقايا مناظر ومتون « لبطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية »

بيت الولادة (مميزي) بادفو (راجع Porter & Moss. Vol. 6. P. 170)

يقع بيت الولادة التابع لمعبد « إدفو » فى الركن الجنوبى الغربى فى المساحة التى أمام المعبد وأقدم نقوش على جدران هذا المعبد ترجع إلى عهد « بطليموس السابع » .

(١) راجع A.Z. VIII., Pls. I, II, cf. PP. 2-5; Brugsch, Thes. 252-7 (B), A.Z. VIII, 109-10.

المحراب — المدخل

(٧٩ (و (٨٠) : يشاهد على سمكى الباب رمز زينة وألقاب للملك « بطليموس السابع » .

(٨١) و (٨٢) : يشاهد فى مدخل الباب من الداخل « بطليموس السابع » وعلى عتب الباب نقش صفان مثل فيهما إلهات القرين و « حمسوت » (مؤنث القرين) وكل من هذه الآلهة تمسك بطفل وبصورتين لآلهة فرس البحر ومع هؤلاء « إحى » الصغير و « حورسماتوى » . هذا ويشاهد على قائمتى الباب ثلاثة صفوف من النقوش مثل فى كل « حتحور » وهى ممسكة بالآله «حورسماتوى » بين الآلهتين « نخبت » و « بوتو » ؛ كما يشاهد الملك وهـو يقدم العين السليمة للإله « حور » كما مثل واقفاً أمام « حور » .

(٨٣) — (٨٦) : يشاهد هنا فى الصف الأعلى فى المنظر الأول الآله « خنوم » يقدم الطفلين « حورسماتوى » و « بطليموس السابع » للآله « حور » الذى بيده طفل وفى الصف الثانى مثل الآله « تحوت » يكتب أمام الآله « بتاح تانن » مع « حورسماتوى » و « حتحور » يمسكان طفلا ، وفى الصف الثالث يشاهد الآله « أنوبيس » ومعه طبل أمام « انى » و « أزيس » التى ترضع طفلا فى أدغال من البردى ، وفى المنظر الرابع يشاهد طبقات الشعب المصرى الذى يتألف من الأشراف (بعت) والطبقة الدنيا (رخيت) ومن عامة الناس « حمموت » وأرواح بلدة « ب » وأرواح بلدة « نخن » (أى الملوك المتوفين) ، أمام الآلهين « تحوت » و « حور » ومعهما « حورسماتوى » . هذا ويشاهد فى الصف الثانى : المنظر الأول الآله « خنوم » يصور الطفل « حورسماتوى » على عجلة صانع الفخار كما تشاهد الآلهة

« حتحور » وهى تمنحه الحياة ، وفى المنظر الثانى نشاهد الآلهة « حقت » تركع أمام « خنوم » وهو يصور الطفلين « حورسماتوى » و « بطليموس السابع » ؛ وفى المنظر الثالث مثلت الآلهة « سشات - ورت » وهى تكتب أمام الآلهة « نخبت » وهى قابضة على الطفلين « حورسماتوى » و « بطليموس السابع » وكذلك نشاهد الآلهة « بوتو » ممسكة بالطفلين « إحى » و « بطليموس السابع » وفى المنظر الرابع مثلت الآلهة « حتحور » وهى تقدم الطفل « حورسماتوى » إلى ثالوث « إدفو » وهم ممسكون بأطفال . وفى الصف الثالث مثل فى المنظر الأول « بطليموس السابع » يقدم صدرية جعل للآلهين « حور » و« حورسماتوى » وفى المنظر الثانى مثل « بطليموس السابع » يقدم صدرية للآلهين « حور » و « حتحور » ؛ وفى المنظر الثالث مثل الآله « تحوت » يكتب اسم « بطليموس السابع » أمام « بطليموس السابع » المؤله (وذلك على غرار الفراعنة القدامى مثل « رعمسيس الثانى » فى معبد أبو سمبل) ، و « بطليموس العاشر سوتر الثانى » .وهو لا يزال طفلا ، و « كليوباترا الثانية » و « كليوباترا الثالثة » ؛ وفى المنظر الرابع مثل « بطليموس السابع » وهو يطلق البخور أمام قارب « حور » الموضوع على قاعدة .

(٨٧) — (٩٠) : يشاهد هنا فى الصف الأعلى فى المنظر الأول الآله « حقاو » يقدم الطفلين = « حور سماتوى » و « بطليموس السابع » للأله « حور » الذى يمسك بطفل . وفى المنظر الثانى مثل « بطليموس السابع » أمام الآله « مين » . وفى الصف الثالث نشاهد كلا من « حتحور » و « رع حور أختى » كلاهما ممسكا بأطفال ؛ وفى المنظر الرابع نشاهد سبع بقرات معها طبول صغيرة ؛ كما يشاهد طفلان و « إحى » الصغير أمام الآلهة « حتحور » وهى ترضع طفلا و « إحى » . ويشاهد فى الصف الثانى فى المنظر

الأول « آمون رع » جالساً على أريكة مستندة على « نخبت » ، وآلهتان أخريان على أريكة فى أسفل ؛ وفى المنظر الثانى نشاهد « حتحور » على أريكة مع « حور سماتوى » بين « بوتو » و « نخبت » مستندتين على الإلهتين على أريكة فى أسفل ؛ وفى المنظر الثالث نشاهد « حتحور » و « نخبت » على أريكة مع « هسيس » و « سخت حور » ترضعان أطفالا ، كما تشاهد بقرتان مقدستان فى أسفل ؛ ومثل « بطليموس السابع » ومعه صناجات أمام سبع بقرات « حتحور » ترضع أطفالا . وفى الصف الثالث توجد خمسة مناظر يشاهد فيها « بطليموس السابع » يقدم بخوراً للآله « آمون رع » ، و « نخبت » ويقدم ملابس « لحتحور » التى ترضع ولدها ، ويقدم رمز الخلود للآله « آمون رع » ، ويقدم لبناً « لحتحور » على قاعدة .

وعلى قاعدة الجدار فى النصف الجنوبى مثل « بطليموس السابع » يتبعه عشرون إلهاً ؛ ويرى وهو يقدم البخور « لحتحور » التى ترضع إبنها ؛ وكذلك يشاهد « بطليموس السابع » مع « كليوباترا الثانية » والآلهتان « ترموتيس » فى صورتى ثعبانين ؛ ويقدم قرباناً « لحور » و « حتحور » التى ترضع ولدها و « حورسماتوى » .

وفى النصف الشمالى مثل « بطليموس السابع » يطلق البخور و « كليوباترا » تحمل صناجتين ويتبعهما أربع وعشرون آلهة مع صناجات أمام الآلهة « حتحور » التى ترضع طفلها . وكذلك مثل « بطليموس السابع » مع « كليوباترا الثالثة » وآلهتان « ترموتيس » فى هيئة ثعبانين ، وهو يقدم القربان للآله « حور » والآلهة « حتحور » التى ترضع ولداً و « إحى » .

أعمال بطليموس السابع فى معبد «كوم أمبو»

تدل شواهد الأحوال على أن « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » قد ترك نقوشاً كثيرة فى معبد « كوم أمبو » كما سنرى فيما يلى[1] .

قاعة العمد الداخلية (راجع Porter & Moss. VI. P. 186)

الواجهة :

(٥١) — (٥٣) : يشاهد فى الصف الأعلى ثلاثة مناظر مثل فيها « بطليموس السابع » (مهشما) أمام الآلهة « سبك » و « حتحور » و « خنسو » كما يشاهد وهو يقدم العين السليمة للإله « حور » وللإله « بانبتاوى » ، ويقدم النبيذ للإلهين « حور » و « سنوفيس » ، وكذلك مثل « بطليموس السابع » فى الصف الثانى وهو يقدم صورة العدالة للإله « حور - ور » و « سنوفيس » و « بانبتاوى » .

وفى الصف الثالث نشاهد ثلاثة مناظر مثل فيها « بطليموس السابع » وهو يقدم طعاماً للآلهين « سبك رع » و « حتحور » ، ويبارك المعبد أمام « حور » وآلهة (مهشمة) .

(٥٤) : يوجد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها « بطليموس السابع » يقدم عطوراً للآله « حور » وأزهاراً للآله « سبك رع » ، وسكيناً للآله « حور - ور » . وعلى قاعدة الجدار نقشت أنشودة لعين « أوزير » .

(٥٥)—(٥٧) : يشاهد هنا فى الصف الأعلى ثلاثة مناظر مثل فيها « بطليموس السابع » (مهشما) واقفاً أمام « حور - ور » و « سنوفيس »

(١) راجع شكل رقم (٣) .

و « بانبتاوى » ، ويقدم طوقاً للآلهين « سبك » و « خنسو » كما يقدم بخوراً للآلهين « سبك رع » و « حتحور » (مهشمة) .

وفى الصف الثانى ثلاثة مناظر مثل فيها « بطليموس السابع » وهو يقدم زهوراً للآلهين « جب » و « نوت » ، كما يقدم لبناً لكل من الآلهين « شو » « تفنوت » وفى الصف الثالث ثلاثة مناظر مثل فيها « بطليموس السابع » واقفاً أمام ثالوث « سبك » ؛ وكذلك مثل وهو يطهر المعبد أمام « حور - ور » و « سنوفيس - تفنوت » ، ويبارك المعبد أمام « سبك » وآلهة .

(٥١) — (٥٣) و (٥٥) — (٥٧) : يشاهد هنا على قاعدة الجدار موكب مثل فيه ، « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » يسبقهما متون طويلة عمودية تحتوى على أناشيد ويتبع ذلك آله نيل وآلهة حقل .

المدخل الشمالى :

(٥٨) — (٥٩) : مثل على عتب الباب هنا منظر مزدوج ظهر فيه « بطليموس السابع » وهو يقدم بخوراً للآله « حور - ور » على الجانب الأيسر ، ويقدم للآله « سبك رع » البخور ، وكذلك على الجانب الأيمن ، ويقدم مع كليوباترا البخور لثالوث « حور - ور » على الجانب الأيسر ، ولثالوث « سبك » على الجانب الأيمن . ويشاهد على قائمتى الباب خمسة صفوف ظهر فيها « بطليموس السابع » أمام آلهة ؛ وعلى القاعدة خطاب للآلهين « حور - ور » و « سبك رع » .

المدخل الجنوبى :

(٦٤) — (٦٥) : مثل على عتب الباب من الخارج منظر مزدوج

ظهر فيه « بطليموس السابع » يقدم نبيذاً للآله « سبك رع » كما يظهر مع « كليوباترا الثانية » يقدم صورة « ماعت » لثالوث « سبك » على الجهة اليسرى ، ويقدم نبيذاً للإله « حور - ور » ثم يقدم مع « كليوباترا الثالثة » صورة « ماعت » لثالوث « حور - ور » على الجانب الأيمن . وعلى قائمتى الباب خمسة صفوف يظهر فى كل « بطليموس السابع » أمام إلهين كما يظهر مع خطاب للآله « حور - ور » و « سبك رع » عند القاعدة .

(٦٦) و (٦٧) : نقش على سمكى الباب خمسة مناظر على كل جانب ظهر فيها « بطليموس السابع » أمام آلهة مع متن عند القاعدة .

(٧١) — (٧٢) : يشاهد فى الصف الأعلى « بطليموس السابع » يقدم العينين السليمتين للآلهين « حور - ور » و « سنوفيس » كما يقدم صورة العدالة للإله « آمون رع » وإله (مهشم) .

(٧١) — (٧٣) : الصف الثانى ظهر فيه « بطليموس » يقدم قربات سائلة للإلهين « سبك رع » و « حتحور » ، كما يقدم رموزا للآلهة « أوزير - ونفر » ، « حتحور » (؟) و « نفتيس » كما يشاهد منظران صغيران الواحد منهما فوق الآخر يشاهد فيهما «بطليموس» يقدم لحية على قاعدة وإلى آله برأس حية ، كما يشاهد واقفاً أمام ثلاثة آلهة إثنان منهما فى قارب . وفى الصف الثالث يشاهد جزء من أحفال تأليه ؛ وكذلك يرى « بطليموس » وهو يغادر القصر مع الكاهن « إنموتف » وأعلام ؛ ويرى الملك وكل من « تحوت » و « حور » يطهره ؛ وكذلك تتوجه الآلهتين « نخبت » و « بوتو » أمام « حور - ور » .

(٧٤) : يشاهد هنا فى الصفين الباقيين « بطليموس السابع » يتعبد لستة

آلهة قاعدين ، كما يشاهد ومعه « كليوباترا الثانية » و « كليوباترا الثالثة » يتسلم سيفاً من « حور - ور » وهو يحمل رمز العيد الثلاثيني .

(٧٥) — (٧٦) : يشاهد على هذا الجدار « بطليموس السابع » يقرب عينين سليمتين لثالوث « حور - ور » .

(٧٥) — (٧٧) : يرى هنا فى الصف الثانى على هذا الجدار «بطليموس السابع » يقدم طعاماً للآله « أوزير - وننفر » و « أزيس » و « نفتيس » ويقدم خبزاً للإلهين « سبك » و « خنسو » . كما يرى ممثلا أمام إله (مهشم) وفى الصف الثالث ظهر « بطليموس السابع » يقوده كل من الآلهين «آمون رع » و « حور » إلى الآله « سبك » وكذلك يقوده كل من الآلهتين « بوتو » و « نخبت » إلى الآله « سبك - رع » كما ظهر وهو يتسلم رمز العيد الثلاثيني من « حور » .

بيت الولادة (مميزي) فى معبد « كوم امبو »

يقع فى الركن الجنوبى الغربى من المعبد ويطل على النيل . ويلحظ هنا أن النصف الغربى من بيت الولادة فى « كوم أمبو » قد اكتسحه النيل (انظر الشكل رقم ٩) .

قاعة العمد : الواجهة

(٤) — (٥) : يشاهد هنا بقايا منظرين ظهر فيهما الملك أمام آله وآلهة ، كما ظهر وهو يقدم صدرية لإله .

(٦) — (٧) : يشاهد هنا على قاعدة الجدار بقايا أعمدة متون جنازية كما يشاهد « بطليموس السابع » ومعه قربان تتبعه « كليوباترا الثانية » ومعها طاقات أزهار . .

الدهليز الداخلي :

(١٧) : يشاهد على قائمة الباب من الخارج ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها الملك واقفاً أمام الآله « سبك » وآلهة (مهشمة) كما ظهر وهو يقدم صورة العدالة للآله « تحوت » وزوجه الآلهة « نحم ـ عاوت » ، كما مثل وهو يقدم الحقل للإلهين « سبك » و « حتحور » .

(١٨) – (١٩) : نقشت هنا على سمكي الباب متون مؤلفة من ثلاثة أعمدة كما ظهرت صورة كل من « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثالثة » .

(٢٠) : مثل على قائمة الباب من الداخل ثمانية صفوف إلهات فى صورة فرس البحر وتشمل صور « توريس » ، « ترموتيس » و « مسخنت » فى محاريب لها علاقة بشهور السنة وأيام النسيء ويتبعها آلهة مختلفة . وظهر على قاعدة هذا الجدار « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثالثة » ؛ وصورت ثلاث مقاطعات من مقاطعات الوجه البحرى .

فى الداخل :

(٢١) – (٢٢) : ظهر فى الصف الأعلى الملك فى منظرين وهو يقدم خبزاً للآله « سبك » ، وطيورا لآلهة ولآله صغير (كلها مهشمة) . وفى الصف الأسفل مثل الملك مع « حقاو » والآله « خدد » (إله صيد الطيور) فى قارب يسير بين نبات البردى ، ويشاهد معه فى القارب إله نيل ، وعند مقدمة القارب يقف طائر أليف ويطير البط البرى من بين نباتات البردى ، كما تشاهد صورة أسد صغير يتسلق أحد السيقان ! ويلحظ هنا أن الملك يرتدى شعراً مستعاراً مجعداً تجعيداً متقناً وقميصاً قصيراً ، هذا ويشرف

على المنظر الآله «مين» رب الحياة والنباتات والخصب . وهذا المنظر فى الواقع يعد مثلا من الأمثلة التى تدل على إنحطاط الديانة فى هذا العهد إذا ما قرن بالمناظر التى نراها ممثلة على جدران مقابر أمراء الأسرة الثامنة عشرة[1].

الممر :

(٢٢) — (٢٤) : يشاهد هنا بقايا منظر ظهر فيه الملك والملكة تتبعهما — البقرة « سخات حور » و« نبرت » (آلهة القمح) .

(٢٥) — (٢٦) : مثل هنا « بطليموس السابع » والملكة « كليوباترا الثانية » تتبعهما كل من « نايت » آلهة النسيج و « منقت » آلهة الجعة ومعهما قربات .

(١) راجع Weigall, Guide, P. 389.

معبد « إيزيس »

أضاف « بطليموس السابع » بعض النقوش والمناظر على أجزاء من معبد « إزيس » نخص بالذكر منها ما يأتى :

أولا نجد اسم هذا الملك على الأجزاء العليا من سيقان عمد هذا المعبد وتيجانها كما نقش متن على الخارجة وعلى الكرنيش ونقش اسم « كليوباترا الثالثة » فى قاعة العمد الثانية الشرقية[1].

البوابة الأولى والردهة الثانية : (أنظر شكل رقم ٥)

(٧٣) : تشاهد هنا المسلة الغربية التى أقامها « بطليموس السابع » أمام البوابة الأولى لمعبد « إزيس » فى جزيرة الفيلة . والجزء الأسفل من هذه المسلة محفوظ الآن فى (كنجستون لاسى دورست) (Kingston Lacy Dorset) أما قاعدة هذه المسلة فقد تركت فى مكانها الأصلى .

ويوجد على هذه القاعدة بقايا متن إغريقى .

(٧٤) : كانت توجد هنا المسلة الشرقية التى تقابل المسلة الغربية السالفة . وقد نقلها إلى إنجلترا « بلزونى » عام ١٨١٩ . وهى موجودة الآن فى نفس المكان الذى فيه المسلة الغربية أختها . وهاتان المسلتان مصنوعتان من الجرانيت . والملكة التى جاء ذكرها على هذه المسلة هى « كليوباترا الثالثة » على ما يظهر . والنقوش الإغريقية التى على قاعدة هذه

(١) راجع Porter and Moss Vol. VI, P. 219.

المسلة تشمل شكاوى كهنة معبد الفيلة للملك « إيرجيتيس الثانى » ورسالة الملك « لاخوس » (Lachos) .[١]

الردهة الثانية الشرقية :

نقش على الأجزاء العليا من سيقان العمد والخارجة والكرنيش اسم « بطليموس السابع » وكل من « كليوباترا الثانية » والثالثة (راجع (L.D. IV P. 39

الحجرة الخامسة : (انظر الشكل رقم ١٠)

المدخل الشرقى :

(١٤٤) — (١٤٥) : ظهر الملك « بطليموس السابع » هنا على العتب الخارجى فى منظر مزدوج تتبعه « كليوباترا الثانية » وهو يقدم نبيذاً لكل من الآلهة « أوزير - وننفر » و « أزيس » و « حور بوخراتيس » ويقدم كذلك للآلهة « خنوم » ، « حتحور » و « حرسئيسى » . وعلى قائمة الباب الجنوبية يوجد ثلاثة صفوف من النقوش ظهر فيها الملك وهو يقدم صورة العدالة للآله « آمون رع » والآلهة « موت » . كما يقـــدم لوحة للآله « تحوت » وإلى آلهة (مهشمة) ويقرب طعاماً للإله « أوزير - وننفر » و « إزيس » مع حاملتى قربات عند قاعدة الجدار ؛ ويشاهد الملك على قائمة الباب الشمالية وهو يقدم لإله وآلهة ، وكذلك يقدم عطوراً للإلهين « شو » و « تفنوت » . كما يقدم طعاماً لكل من « حور » و « حتحور » مع إلهى نيل عند قاعدة الجدار .

(١٤٧) : يوجد صفان من النقوش على سمك الباب يظهر فيهما

---

(١) راجع Gauth. L.R.IV. P. 323-4; Mahaffy, Empire P. 397-390; Porter and Moss. Ibid., P. 214.

« بطليموس السابع » وهو يقدم بخوراً وقربات سائلة للإلهين « أوزير ونفر » و « أزيس » ، كما يشاهد مع « كليوباترا الثانية » يقدم حقلا « لإزيس » .

باب الدخول المؤدى لممر ذى العمد :

(١٥٤) — (١٥٥) : الواجهة الداخلية : يشاهد هنا فوق مدخل الباب خمسة رءوس « حتحور » ، كما يشاهد على عتب الباب منظر مزدوج ظهر فيه « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » ، وهو يقدم للآلهة « أوزير » ، « إزيس » ، و « حربوخراتيس » طعاماً وكذلك للآلهة « خنوم » و « حتحور » و « حارسئيسى » .

ويشاهد على قائمة الباب الجنوبية ثلاثة صفوف ظهر فيها الملك يقدم العين السليمة للإلهين « حور » و « نفتيس » كما يقدم عطوراً للإلهين « شو » و « تفنوت » ، ويقرب الحقل للإلهين « أوزير » و « إزيس » . هذا ويشاهد على قائمة الباب الشمالية الملك يقدم صورة العدالة للإلهين «آمون رع » و « موت » ، ويقدم لوحة كتابة للآله « تحوت » والآلهة « وبست » (وهى آلهة تحرق الأشرار وتعتبر آلهة جزيرة « بيجه ») ، ويقدم حقلا للإلهين « أوزير - وننفر » و « أزيس » .

(١٥٦) — (١٥٧) : نقش على سمكى الباب هنا متن مؤلف من عمودين كما يوجد صفان من النقوش مثل فيهما « بطليموس السابع » يقدم نبيذاً للإلهين « حتحور » و « حرسئيسى » ، كما يشاهد « بطليموس السابع » أمام آلهة (الرؤوس هنا مهشمة) وعلى القاعدة يشاهد « بطليموس » وإله نيل وآلهة حقل .

بيت الولادة فى جزيرة الفيلة (انظر شكل رقم ٦)

بنى بيت الولادة فى هذه الجزيرة بين البوابة الكبرى والبوابة الثانية وهو يؤلف الجانب الغربى للردهة الأمامية لمعبد «إزيس» الكبير وقد بدىء فى عهد «بطليموس السادس» على ما يظن ، ولكن الجزء الأعظم منه أقامه «بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى» وأكمله أباطرة الرومان .

الردهة الأمامية :

(١٦٥) : تشاهد هنا ثلاثة صفوف ظهر فيها «بطليموس السابع» يقدم نبيذاً «لإزيس» و «نفتيس» ، كما يقدم الكتان للآله «خنوم» والآلهة «سوتيس» (الشعرى اليمانية) ، والآلهة «عنقت» وتتبعه الملكة «كليوباترا» الثانية (؟) ، ويقدم حقلا للإلهين «أوزير - وننفر» و «أزيس» .

(١٦٦) : نقش هنا ثلاثة صفوف يظهر فيها «بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى» يقدم طعاماً للآلهتين «إزيس» و «حتحور» ، كما يقدم قربانا للآلهة «شو» و «تفنوت» و «سخمت» ، كما يظهر كذلك تتبعه «كليوباترا الثانية» (؟) ويقدم حقلا للآلهين «إزيس» و «حور» .

فى الدهليز الداخلى :

(١٧٢) — (١٧٣) : المدخل الخارجى : يشاهد على عتب الباب منظر مزدوج مثل فيه «بطليموس السابع» يقدم نبيذاً للآلهة «أوزير - وننفر» و «إزيس» و «حربوخراتيس» ، كما يقدم صورة العدالة للآله «خنوم» و «حتحور» و «حربوخراتيس» ونقش على قائمة الباب الغربية ثلاثة صفوف ظهر فيها الملك يقدم أوراقاً للإله «مين» وعطوراً للآلهة «سخمت»

وحقلا للآلهة « إزيس » ؛ كما يشاهد الملك يتبعه آله نيل عند قاعدة الجدار لكل من القائمتين .

(١٧٤) : يوجد هناك على سمك الباب متن مؤلف من ثلاثة أعمدة . والمتن عبارة عن أنشودة للآله « حربوخراتيس » .

(١٧٥) — (١٧٦) : المدخل من الداخل : يشاهد على عتب الباب منظر مزدوج ظهر فيه الملك يقدم نبيذاً (الطغراء خال) للآلهة « خنوم » و « حتحور » و « حربوخراتيس » ؛ وكذلك يقدم للإلهين « إزيس »، و« حربوخراتيس » . هذا وقد نقش على قائمتى الباب ثلاثة صفوف يشاهد على كل منها الآلهة « حتحور » ومعها دف ، كما يشاهد الملك أمام « إزيس » .

(١٧٧) : يشاهد هنا على الجدار فى الصف الأعلى الآلهة « مرت » (آلهة الموسيقى) كما تشاهد « حتحور » ومعها دف ، وفى الصف الأسفل نشاهد الآلهتين « مرت » و « حتحور » (أى آلهة الموسيقى وآلهة الفرح والسرور تضرب على دفها) .

(١٧٨) — (١٧٩) : يشاهد هنا فى الصف الأعلى خمسة مناظر ولادة . فيرى فى الأول الآلهة «آمون رع » و « إزيس » على سرير مرفوع إلى أعلى بآلهات على أريكة ، كما يشاهد «آمون رع » مع « خنوم » ، والآله « خنوم » يصور الطفل مع الآلهة « حقات » ، وكذلك يشاهد « تحوت » مع « إزيس » و « إزيس » يقودها « خنوم » و « حقات » . وفى الصف الأسفل يشاهد موكب مؤلف من الآلهة : « شو » ، « تفنوت » و « جب » و « نوت » و « أوزير » و « إزيس » و « حور - ور » و « نفتيس » و « حور » ، و « حتحور » و « بتاح تننت » و « إنيت » و « تحوت » .

(١٨٠) : مثل الملك هنا فى ثلاثة صفوف وهو يقدم أوان « لأمون » وصناجات للآلهة « تفنوت » وتيجان للآلهة « بوتو » .

(١٨١) : يوجد هنا صفان من النقوش مثلت فيهما الآلهة « مرت » و الآلهة « حتحور » مع الدف ، فى كل من الصفين .

(١٨٢) — (١٨٣) : منظر ولادة : يشاهد فى الصف الأعلى ثلاثة مناظر يشاهد فيها آله و« حقات » ممسكة بطفل أمام خمسة عشر آلها : « أنوبيس » ومعه قرص ، و « إزيس » يقودها « خنوم » وحقا (؟) للإله « رع » مع « تفنوت » فى الخلف ؛ وفى الصف الأسفل نشاهد ثلاثة مناظر مثل فيها «آمون رع » و « مسخنت » يشرفان على منظر الولادة على أرائك ؛ ويشاهد «آمون رع » و « حتحور » مع الطفل المولود ، و « إزيس » و « نخبت هزيس » و « سخات - حور » ترضع أطفالا على أريكة .

(١٨٤) : يشاهد هنا ثلاثة صفوف ظهر فيها الملك يتعبد للإله «آمون رع » ، ويقدم مرايا للآلهة « ساتيس » ، وصولجاناً على هيئة ثعبان للآلهة « بوتو » .

(١٧٦) — (١٨٠) ، (١٧٥) ، (١٨١ — ١٨٤) : يشاهد هنا على قاعدة الجدران آلهة نيل راكعة وفى النهاية ترى أشجار .

المحراب :

(١٨٥) — (١٨٦) : المدخل الخارجى : نقش على عتب الباب منظر مزدوج ظهر فيه الملك وهو يجرى ومعه آنيتا (حس) نحو « أوزير » و « إزيس » و « حرسئيسى » ، وكذلك يشاهد وهو يجرى نحو « خنوم » و « حتحور » و « حربوخراتيس » . هذا ويشاهد على قائمة الباب الغربية

ثلاثة صفوف مثل فيها الملك يقدم البخور « لأوزير » ، كما يقدم كذلك « لحور » ، ويقرب حقلا للآلهة « إزيس » . وعلى قائمة الباب الشرقية يقدم الملك صورة « ماعت » للإله « رع » ، كما يقدم قربانا للإله « مين » ، ويقدم الطعام للآلهة « حتحور » . وعلى قاعدة الجدار يشاهد الملك راكعاً ومعه قربان على كل من القائمتين .

(١٨٧) و (١٨٨) : نقش على كل من سمكى الباب عمودان من الكتابة باسم « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثالثة » .

(١٨٩)—(١٩٠) : على مدخل الباب من الداخل : منظر مزدوج ظهر فيه الملك يقدم لبناً للآلهة « أوزير » و « إزيس » و « حرسئيسى » كما يقدم أوانى (حس) للآلهة « خنوم » و « حتحور » و « حربوخراتيس » . وعلى قائمة الباب الشرقية ثلاثة صفوف مثل فيها الملك يقدم ماء « لأمون رع » ومرايا للآلهة « موت » ويبارك القربات أمام « أوزير - وننفر » . وعلى قائمة الباب الغربية يقدم الماء للإله « شو » وللآلهة « تفنوت » ، ويبارك القربات أمام « إزيس » .

(١٩١) : يشاهد هنا ثلاثة صفوف مثل فيها الملك يقدم طعاماً للآله « أرسونوفيس » والقربات المحروقة لإله كما يقدم عصابة رأس للآلهة « حتحور » .

(١٩٢) — (١٩٣) : مثل هنا على هذا الجدار فى الصف الأعلى أربعة مناظر ظهر فيها الملك تتبعه « كليوباترا الثالثة » (؟) وهو يقدم آنية للآلهة ثالوث الشلال وهم « خنوم » و « ساتيس » و « عنقت » ، كما يقدم البخور (؟) للآله « تحوت » والعين السليمة للإله « حور » ، وصورة العدالة

لثالوث « طيبة » ، هذا ويشاهد هنا منظر صغير فى الوسط (تحت النافذة) ترى فيه الآلهة « نفتيس » وإله صغير على زهرة اللوتس . وفى الصف الثانى ثلاثة مناظر مثل فيها الملك يقدم صناجات لصورتى « حتحور » وللإله « حربوخراتيس » ، وصدرية للآلهة « حور » و « وبست » ، و « نخبت » ، و « بوتو » وعطور المر « لأوزير » ، و « إزيس » التى ترضع إلهاً صغيرا و « نفتيس » . وفى الصف الثالث خمسة مناظر ظهر فيها الملك تتبعه « كليوباترا الثالثة » ويقدم حقلا لآله وآلهة ، و « لحور » ؛ كما يشاهد الملك كذلك يقدم بخوراً « لأمون رع » وأوراقاً للإله « مين كاموتف » (مهشما) وطعاماً « لإزيس » التى ترضع إلهاً صغيراً ومرايا للآلهة « حتحور » مع إله صغير .

(١٩٤) : نقش هنا ثلاثة صفوف مثل فيها الملك يقدم صورة العدالة للآله « تحوت - بنوبس » ويقدم البخور للإله « أمحوتب » والكحل للإلهة « سشات » الكبيرة .

(١٩٥) — (١٩٦) يشاهد على هذا الجدار فى الصف الأعلى أربعة مناظر ظهر فيها الملك تتبعه « كليوباترا الثالثة » وهو يقدم نبيذاً للآلهة « حور » و « حتحور » ، و « حورسماتوى » ؛ كما يشاهد الملك يقف أمام الآلهة « نبت حتب » (آلهة تقابل الآلهة « نحمت - عواى » زوج « تحوت » فى الوجه البحرى[1]) ، ويقدم طوقاً لفرعون مؤله ، وصوبجاناً على هيئة صل للإله « رع - حورأختى » ، و « شو » و « تفنوت » . وفى الصف الثانى ، ثلاثة مناظر مثل فيها الملك يقدم زهوراً للآلهة « خنوم » و « سوتيس » و « عنقت » ولوحة كتابة للآلهة « تحوت » و « سخمت » و « بوباستيس » ، « نحمت

---

(١) راجع Hans Bonnet Der Reallexikon, P. 512.

عواى » ، ويقدم نسيجاً للآلهة «آتوم » و « جب » و « نوت » . وفى الصف الثالث خمسة مناظر ظهر فيها الملك مع « كليوباترا الثالثة » يبارك قرباناً أمام « حتحور » و « حرسثيسى » (؟) وكذلك يقدم النبيذ للإله « خنوم » ، ومحاصيل بلاد « نبت » للآله « بتاح » فى محراب صغير ، ويقدم الطعام « لإزيس » التى ترضع « حور » الصغير (مهشما) ، هذا إلى بقايا منظر تظهر فيه الهة برأس بقرة .

(١٩٧) — (١٩٨) : يشاهد هنا فى الصف الأعلى منظر مزدوج ظهر فيه الملك يقدم تيجاناً للآلهة « أوزير ـ وننفر » و « إزيس » و « حربوخراتيس » وعلامة الأبدية للآلهة « خنوم » و « حتحور » و « حربوخراتيس » ؛ وفى الصف الثانى نشاهد صور الآلهة « رع حور أختى » ومتن طويل وثعبان والآله « حور » فى صورة صقر فى دغل من البردى ، ورجلان يصلين على قضيب ، و« تحوت » مع خطاب للإله « حور » . وفى الصف الثالث نرى الآلهة « نيت » وخطابا للآلهة « بوتو » والآله « تحوت » ؛ كما نشاهد « إزيس » ترضع طفلا فى أدغال البردى بين « تحوت » و « بوتو » والإله « سيا » على جانب والآله « آمون رع » و « نخبت » و « حو » على الجانب الآخر . وخطب للإله « حو » و « آمون رع » ، و « نخبت » .

المعبد الرئيسي للآلهة إزيس

البوابة الثانية ـــ المدخل

(٢٥٠) ــ(٢٥١) الباب الخارجي : مثل فوق العتب في الجزء الأعلى نسر مجنح وطغراءات . وفى الجزء الأسفل نشاهد أربعة قردة على كل جانب من القرص المجنح مع متن يتألف من سطر أسفل كل جزء . ويشاهد على عتب الباب نفسه منظر مزدوج ظهر فيه الملك على الجانب الأيسر يقدم نبيذاً « لأمون رع » ، وكذلك يرى وهو يهرول مع دفه نحو « أوزير - وننفر » و « أزيس » ، وعلى الجانب الأيمن مثل الملك وهو يقدم نبيذاً للإله « حور » وهو يجرى ومعه آنية (حس) نحو الآلهين « خنوم » و « حتحور » . وعلى قائمة الباب الغربية أربعة مناظر ظهرت فيها « كليوباترا الثانية » تقدم طوقاً للآلهة « إزيس » والآلهة « نخبت » كما مثل الملك يقدم للإلهتين « موت » و «سخمت» كما يقدم مرايا للإلهتين « حتحور » و « تفنوت » و حقلا للالهتين « إزيس » و « وبست » . هذا وتقدم « كليوباترا الثانية » صناجات للآلهتين « تفنوت » و « بوتو » ؛ ويقدم الملك عطور المر للالهتين « سوتيس » ، و « عنقت » ويقدم كذلك لكل من « تفنوت » و « نوت » ، ويقدم حقـــلا للآلهة « إزيس » وإلى آ له آخر .

(٢٥٢) : حفر على سمكى الباب ثلاثة مناظر مثل فيها الملك واقفاً أمام الآله « بتاح » فى ناووس ، وكذلك يقدم صورة « ماعت » للآله « تحوت » ويطعن حيواناً بحربة (؟) أمام « حور » إله « ادفو » .

(٢٥٣) : يشاهد على سمك الباب صفان من النقوش ظهر فيهما الملك يقدم البخور والقربان السائلة للآله « أوزير . وننفر » و « ازيس » ، و « حربوخراتيس » وتتبعه الملكة « كليوباترا الثانية » ويقدم حقلا للآلهة « إزيس » .

(٢٥٥) : يوجد هنا على سمك الباب أربعة أعمدة من المتون ذكر فيها « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » وكل من « بطليموس الثانى » والثالث والرابع والخامس والثامن[1].

(٢٥٦) : يشاهد على سمك الباب ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » يقدم نبيذاً للآله « رع حور أختى » وكذلك يطعن ثعباناً بحربة أمام الآله « شو - رع » ويقدم قرباناً للإله « جب »

(٢٥٨) — (٢٥٩) على مدخل الباب من الداخل : يشاهد على عتب الباب « بطليموس السابع » مع « كليوباترا الثانية » يقدم آنية للإله « خنوم - رع » وللآلهة « حتحور » ، كما يقدم بخوراً للآلهين « أوزير - وننفر » و « إزيس » ، وعلى قائمة الباب اليسرى ثلاثة صفوف من النقوش ظهر فيها الملك يقدم جرة للآله « شو » ، ويقدم عقد « منات » فى هيئة بوهلول للآلهة « نفتيس » ويقف أمام « حتحور » ، وعلى قائمة الباب اليمنى كذلك ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها الملك وهو يقدم خبزاً للإله « آمون - رع » وكذلك للآلهة « إزيس » والنبيذ « لإزيس » أيضاً .

(٢٦٢) : يشاهد على هذا الجدار من الصف الثانى حتى الصف الرابع « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » يقدم صدرية للآله « آمون رع »

(١) راجع Porter and Moss VI, P. 232; L. D.IV, 86a; Brugsch, Thes, 855.

والآلهة « موت » ، كما يقدم طوقاً للإله « شو » ، والعين السليمة للإله « حور » والآلهة « حتحور » .

(٢٦٣) : عمود مربع : يشاهد على الواجهة الشمالية لهذا العمود أربعة صفوف يظهر فيها « بطليموس السابع » يقدم عطوراً للإله « رع حور أختى » ونسيجاً للإله « خنوم » ونبيذاً للآله « حور » ونطروناً للآله « حور » .

(٢٦٤) : يشاهد على هذا الجدار من الصف الثانى حتى الخامس « بطليموس السابع » يقدم صورة العدالة للآله « آمون رع » وللآلهة « موت » كما يقدم النبيذ للإله « رع حور أختى » ويقدم ضحايا للآلهة « تفنوت » وقرباناً محروقة للآلهة « إزيس »

(٢٦٦) : ظهر « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » على نقوش هذا الجدار من الصف الثانى حتى الصف الرابع وهو يقدم جرة للآله « أوزير - وننفر » والآلهة « إزيس » كما يقدم رموزاً للإله « أوزير » والإلهة « إزيس » كما يقدم الأبدية (حح) « لأوزير » المحنط مع تقديم خطاب « لأوزير » فوق مدخل الباب .

(٢٧٦) : عمود مربع : نقرأ على الواجهة الغربية عموداً من النقوش الهيروغليفية ، وعلى الواجهة الشمالية نشاهد أربعة صفوف مثل فيها « بطليموس السابع » يقدم البخور للإله « خنوم » ويقدم جرة عطور على هيئة بولهول للآله « أونوريس » والنبيذ للآله « حور » صاحب « بوهن » (وادى حلفا) واللبن « لحور » صاحب « أومبوس » هذا بالإضافة إلى متن أسفل .

(٢٦٨) — (٢٦٩) : يشاهد هنا من الصف الثانى حتى الصف الخامس « بطليموس السابع » يقدم عطوراً وقرباناً سائلة للآلهة « أوزير - وننفر »

و « إزيس » و « حور » و « نفتيس » ؛ كما يتعبد لكل من « أوزير - وننفر » و « حربوخراتيس » ويقدم زيتاً لكل من « إزيس » و « حربوخراتيس » ويصب القربات السائلة على المائدة التى أمام « أوزير - وننفر » المحنط و« إزيس » .

قاعة العمد

(٢٧٠) — (٢٧١) : ظهر الملك « بطليموس السابع » فى الصف الأعلى على هذا الجدار وهو يقدم بخوراً وقرباناً سائلا للآله « أوزير » والآلهة « إزيس » ، كما يقدم نبيذاً (؟) للالهين « حور » و « نفتيس » (المسماة هنا « إزيس ») . وفى الصف الثانى مثل الملك واقفاً أمام « أوزير - سوكارى » و « إزيس » ، ويقدم أربع أوان للالهين « أوزير - وننفر » و « إزيس » . وفى الصف الثالث ظهر الملك وهو يقدم حقلا للالهين « أوزير - وننفر » و « إزيس » .

(٢٧٢) عمود مربع : نقش على الوجه الجنوبى لهذا العمود متن مؤلف من عمودين ، وعلى الوجه الشرقى ثلاثة صفوف ظهر فيها الملك يقدم بخوراً « لأرسونوفيس » ، وصورة « رع » للآله « أمون » برأس كبش ؛ ويقدم طعاماً إلى « توتو » (إسم إله محلى فى صورة أسد)[1].

وعلى الوجه الشمالى أربعة صفوف يشاهد فيها أسد رابض وكلبان وإله برأس أسد واقف على ثعبان وآلهان برأس قرد ؛ هذا بالإضافة إلى متن مؤلف من خمسة أسطر أسفل كل صف ، كما نشاهد أربعة شياطين على القاعدة .

---

(١) راجع Wb V, P. 200.

(٢٧٣) — (٢٧٤) : ظهر فى الصف الأعلى ، الملك يقدم نبيذاً للاله « آتوم » وللآلهة « يوس عاس » كما يقدم أوزة لكل من الآله « جب » والآلهة « نوت » . وفى الصف الثانى يقدم الملك ماء للإله « خنوم » وللآلهة « حتحور » ، ويقدم أزهاراً لكل من « حور » و « نفتيس » . وفى الصف الثالث ظهر الملك تتبعه « كليوباترا الثانية » وهو يقدم أربعة عجول للاله « أوزير ـ ونفر » والآلهة « إزيس » ، كما يقدم ضحايا « لإزيس » و « سخمت » و « حرسثيسى » . وفى الصف الرابع بقايا مناظر من أعلى . والملك يغادر القصر .

العمد والمناظر التى عليها

(١) (a) : يشاهد فى الصفين الثانى والثالث الملك يقدم شهداً للآله « حربوخراتيس » ، وبخوراً للآلهة « نفتيس » (b) يشاهد فى الصف الثانى والثالث يقدم للإله « مين » وللإله « أوزير ـ سوكار » (c) ثلاثة صفوف يظهر فيها الملك يقدم صورة العدالة « لأمون رع » والطعام للإله « حرسثيسى » ، والنبيذ للآلهة « إزيس » .

(٢) (b) & (a) : يشاهد فى الصف الأعلى الملك ممثلا وهو يقدم صورة العدالة للآلهة « إزيس » وتقدمه لاله ؛ (d) & (c) يشاهد هنا فى الصف الأعلى الملك يقدم القوس والنشاب للآلهة « ساتيس » وعقد منات للآلهة « عنقت »

(٣) (b) يشاهد فى الصف الأعلى الملك يقدم حح (الأبدية) للآله « حور » وفى الصف الأسفل يرى عجل ومائدة قربان أمام « تحوت ». (c) يظهر الملك فى الصف الأعلى ومعه الصولجان أمام « حور » (d) - (c) فى الصف الأسفل يشاهد « تحوت » فى إدارته والملك خلف قرد على العرش .

(٤) (b) & (a) فى الصف الأعلى يظهر الملك تتبعه « كليوباترا الثانية » وهو يقدم بخوراً وقرباناً سائلة للآلهة « أوزير - وننفر » ، و « إزيس » و « حرسئيسى » (b) فى الصفين الثانى والثالث مثل الملك يقدم أوراقاً للإله « مين » ويطعن العدو بحربة مع فرعون[1] (d) نقرأ هنا متن إهداء .

(٥) (a) ظهر الملك فى الصف الأعلى يقدم أزهاراً للإله « حور » ، وفى الصف الأسفل نشاهد أربع بقرات « حتحور » معها طبول (b) فى الصف الأعلى الملك يقدم أوزتين للإله « حور » .

(d) - (c) فى الصف الأعلى الملك يقدم طعاماً للإله « حور » ويتعبد « لحور » ، وفى الصف الأسفل نشاهد الطائر إبيس والصقر والنسر على محاريب ومعها متن ؛ وفى أسفل نرى الملك يقدم عطوراً وقائمة شعوب .

(٦) (c) : يشاهد هنا ثلاثة صفوف مثل فيها الملك يقدم طعاماً للآلهات « إزيس » ، و « نفتيس » و « وبست » ، ويقدم صناجات « لإزيس » ويطعن العدو بحربة أمام « حور » الذى يحمل مقمعة وقوساً ونشاباً (d) يشاهد هنا متن إهداء المعبد من « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثانية » .

(٧) (a) ظهر الملك فى الصف الأعلى يذبح حماراً أمام « حور » ، وفى الصف الأسفل يشاهد صقر والطائر أبو منجل ونسر ومتن . (b) فى الصف الأعلى يطعن الملك أوزة بحربة أمام « حور » (d) فى الصف الأعلى مثل الملك وجزارون أمام « حور » وفى الصف الأسفل تظهر صور الالهات « حتحور » مع دفوف .

---

(١) راجع Porter and Moss VI, P. 235.

(٨) : على هذا العمود ثلاثة صفوف من النقوش (a) يشاهد هنا الملك يقدم زهوراً للإله « حور - س - أوزير » وعطوراً للإله « شو » وعطور المر للإله « حرسثيسى ». (b) الملك يقدم هنا لفرعون، كما يقدم صورة « ماعت » للإله « تحوت » ، وطعاماً للإله « خنسو » .

(c) : الملك يقدم لبناً للإله « حور » وخبزاً للإله « حو » (إله الغذاء) وأوراقاً للإله « مين » (d) مثل الملك هنا وهو يقدم بخوراً للإله « أونوريس - شو - رع » ؛ كما يقدم قرباناً سائلا للإله « سيا » وخمراً للإله « حورسماتوى »

(٩) : يشاهد هنا رءوس آلهة : (a) يشاهد فى الصف الأعلى الملك يقدم صولجانات على هيئة أصلال للآلهة « نخبت » (b) ظهر الملك هنا فى الصف الأعلى يقدم صناجات لإلهه .

(c) & (d) : يقدم هنا الملك فى الصف الأعلى مرايا للآلهة « سخمت » والآلهة « حتحور » .

(١٠)(a) :يشاهد الملك فى الصف الأعلى يذبح حيواناً أمام الإله « حور » ، وفى الصف الثانى يضرب الملك الثعبان « أبوفيس » أمام « تحوت » وفى الصف الثالث يشاهد قارب العجل « أبيس » وقرد على طوار مدرج يحمله كهنة (b) يظهر الملك على هذا الوجه من العمود وهو يطعن عدواً أمام « حور » كما يرى وهو يقدم أعداء على موقد بيضى الشكل للإله « تحوت » كما ترى كاهنات أمام « تحوت » . وفى الصف الثانى يظهر الملك وهو يطعن عدواً أمام « تحوت » .

النقوش التي على الوجهات الخارجة والسقف

الخارجات الأولى والثانية والثالثة :

يشاهد على هذه الخارجات قرص الشمس المجنح وطغراءات وفى أسفل نرى سفينة شمس يتعبد إليها الملك ومعه الآلهة « حو » و « سيا » والبصر والسمع وأرواح وقردة . كما نقش خطاب لقرص الشمس المجنح « عبى » على كل من جانبيه(١). وكذلك زينة مثل فيها قرص الشمس المجنح على السقف .

الخارجتان الرابعة والخامسة : عليهما طغراءات الملك وفى أسفلها متون(٢)

الخارجتان السادسة والسابعة : عليهما طغراءات الملك وفى أسفلها متون(٣).

الرسوم التى بين الأعمدة من واحد إلى خمسة وعلى الخارجتين الثامنة والتاسعة وتحتوى على ساعات النهار ، والرسوم التى بين العمد من السادس حتى العاشر والخارجات من العاشرة حتى الحادية عشرة تحتوى على ساعات الليل(٤).

الخارجات التى فى النصف الداخلى لقاعة العمد مثل عليها صور أسطورية(٥)

السقف : مثل فى الوسط نسور مجنحة وكذلك مثلت قوارب ومعها مناظر فلكية على الجوانب(٦).

---

(١) راجع Benedete, Le Temple de Philae in Mem. Miss., Arch. Fr XIII Pls. XLIII-XLIV, XL (3), PP. 129-31.

(٢) راجع Ibid. Pl. XLV fig. 1. PP. 131-2.

(٣) راجع Ibid. Pl. XLV fig. 2., P. 132.

(٤) راجع Ibid. LI-LVIII, PP. 137-42.

(٥) راجع Ibid, Pls LIX-LXV. P. 142-52.

(٦) راجع Ibid, Pls. XLI-L. P. 133-7.

هذا ونجد أحجاراً لم يعرف موقعها فى المعبد للملك « بطليموس السابع » نذكر منها :

صفان من النقوش مثل فيهما « بطليموس السابع » يقدم حقلا لكل من الالهتين « إزيس » و « حتحور » ويبارك كذلك قربات أمام « الآلهة إزيس » .

هذا ولدينا كذلك منظر من عمود يشاهد فيه « بطليموس السابع » يقدم البخور للآله « خنوم » .

آثار أخرى للملك بطليموس السابع فى الفيلة

(١) عثر للملك « بطليموس السابع » على ناووس فى معبد الفيلة ، عثر عليه الأثرى « روزيلينى » وهو محفوظ الآن بمتحف فلورنسا فى إيطاليا وقد جاء عليه : « حور » المسيطر على ست عظيم البأس رب الأعياد الثلاثينية والده « بتاح » والد الآلهة الذى يحكم مثل « رع » ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») وربة الأرضين « كليوباترا الثالثة » .

٢ — المتحف البريطانى : ناووس من الفيلة

عثر على ناووس جميل من الجرانيت فى خرائب الكنيسة القبطية بجزيرة الفيلة وهو الآن بالمتحف البريطانى وارتفاعه ثمانية أقدام وثلاث بوصات . ويتألف من قطعة واحدة ، وفيه حفرة مستطيلة فى الجزء الأعلى حيث كان يوضع تمثال الصقر المقدس أو أحد الآلهة أو الآلهات . وفوق هذه الحفرة كورنيش مؤلف من أصلال وثلاثة أصلال مجنحة وعلى الجوانب نقوش تحتوى على طغراءات « إيرجيتيس الثانى » وألقابه وزوجه « كليوباترا » ويرجع تاريخه إلى حوالى عام ١٤٧ ق . م .

وفى أسفل الحفرة كورنيش على هيئة جريد النخل وأقراص مجنحة وصورتا إلهين يحملان السماء على أيديهما المرفوعة[١].

٣ — المتحف البريطانى — لوحة من الكرنك

توجد بالمتحف البريطانى لوحة من الحجر الجيرى مستدير أعلاها حفر عليها منظر يمثل « بطليموس السابع » وأخته « كليوباترا الثانية » وزوجه « كليوباترا الثالثة ». وهم يتعبدون إلى ثالوث «طيبة». «آمون رع » و « موت » و « خنسو » . والمتن الذى فى أسفل هذا المنظر يحتوى على أسماء « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » و « كليوباترا الثانية » و « كليوباترا الثالثة » . وارتفاع هذه اللوحة قدمان وعرضها قدم وسبع بوصات وسمكها إحدى عشر بوصة[٢].

٤ — الفاتيكان : قطعة حجر[٣]

توجد قطعة حجر رملى عليها طغراء « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » بمتحف الفاتيكان: (وارث الآلهين الظاهرين المختار من « بتاح » والذى يعمل العدل « لرع » تمثال «آمون» الحى) .

٥ — معبد الفيلة :

لوحة تحتوى على مرسوم نقشت على الصخرة تحت البوابة التى فى شرقى معبد الفيلة الكبير . وهى مؤرخة بالسنة الرابعة والعشرين من شهر بريديوس المقدونى الذى يقابل شهر أبيب المصرى ، وقد جاء عليها :

(١) راجع Brit. Mus. Guide (1909). P. 271, No. 962; Ibid. Sculpture, P. 260-261.

(٢) راجع Ibid. P. 260.

(٣) راجع Gauthier, L.R. IV. P. 330.

السنة الرابعة والعشرون[1] شهر برديوس وهو الذى يقابل أول أبيب لأولئك الذين فى أرض تاميرا (مصر) الشهر الثالث من فصل الصيف فى عهدجلالة «حور» .. الخ» .

وقد دون فى هذا النقش هبة للمعبد مؤلفة من كمية كبيرة من الأرض كانت تقع بين الفيلة وأسوان علىالشاطىء الشرقى للنهر. وفوق النقش صورة الملك تتبعه زوجه تقدم حقلا بمثابة قربان للآله «أوزير» والآلهة «إزيس» صاحبة الفيلة كما يقدم بخوراً «لأزيس» وابنها «حور» فى دابود ... الخ .

---

(١) راجع L. D. IV, 27b = Text IV, P. 154-155. Budge Hist. VIII 37-38.

الآثار التى خلفها بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى فى بلاد النوبة

معبد دابود :

يقول « ويجول » أن الملك الذى نقش معبد « دابود » وعمل زخارفه هو الملك « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » .

وقد عثر فى هذا المعبد على ناووس مصنوع من الجرانيت الوردى[1]. وقد جاء به ذكر اسم هذا الملك واسم زوجه الملكة « كليوباترا الثالثة » وهاك المتن : ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») مع زوجه الحاكمة ربة الأرضين « كليوباترا » الآلهان المحسنان .

معبد الدكة :

أضاف « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » واجهة إلى معبد « الدكة » الواقع على الضفة الغربية وهو المعروف بمعبد « تحوت » صاحب « بنوبس » .

وأهم المناظر الباقية هى : (ينظر الشكل)

(١٠آ) الخارجة : يشاهد هنا ثلاثة صفوف من النقوش مثل فيها « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » مع الإلهين « شو » و « تفنرت » (مهشمة) ، كما يشاهد « بطليموس » وهو يقدم لوحة للاله « تحوت » وزوجه « نحمت - عواى » ، كما يقدم الماء للآله « خنوم - رع » والآلهة « حتحور » .

(١) راجع Roeder, Les Temples emmergés de la Nubie, Dabod bis Bab Kalabsche I, p. 26-27 & 106-108.

(١١) يشاهد هنا ثلاثة صفوف يظهر فيها « بطليموس السابع إيرجيتيس » مع إلهين وهما الآله «آمون - رع » والآلهة « موت » (كلاهما مهشم) . ويقدم « بطليموس السابع » العين السليمة لكل من « حور » (؟) و «حتحور » كما يقدم الحقل لكل من « أوزير » و « إزيس »[١] .

(١٠) و (١١) يشاهد على قاعدة الجدار هنا « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثالثة » يتبعهما إله نيل وآلهة حقل على كل جانب[٢] .

(١٢) و (١٣) : الجدران التى بين العمد (كلها مهشمة) . مثل « بطليموس السابع » و « كليوباترا الثالثة » أمام الآله « تحوت » على الجانب الأيسر ، وأمام « ازيس » على الجانب الأيمن[٣]

(١٤) و (١٥) المدخل من الخارج : يشاهد هنا بقايا إفريز كما تشاهد طغراءات « بطليموس السابع » وجعل مجنح مع متون ، ونرى قائمتى الباب (مهشمتين) . ويظهر الملك هنا أمام آلهة وإله النيل فى أسفل على كل من القائمتين .

(١٦) و (١٧) كان على سمكى الباب متن إهداء من « بطليموس السابع » للآلهة « إزيس » والآله « تحوت » جاء فيه : لقد أقمنا هذا الأثر لأمنا « إزيس » سيدة « فيلة » والأراضى الجنوبية . (على قائمة الباب الغربى) .

وجاء متن مماثل على الجانب الشرقى ذكر فيه إهداء المبنى للآله « تحوت »[٤]

---

(١) راجع Ibid., P.P. 108-112.

(٢) راجع Ibid., P.P. 98-100 .

(٣) راجع Ibid., P.P. 115-117.

(٤) راجع Roeder Ibid., P. 122.

آثار بطليموس السابع فى الوجه البحرى

١ — منف

لوحات السربيوم والأوراق الديموطيقية التى من عهد « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى »

عثر على بعض لوحات للعجل « أبيس » مؤرخة بعهد الملك « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » كشف عنها فى « سرابيوم » « منف » . وهذه اللوحات محفوظة بمتحف « اللوفر » ونخص بالذكر منها ما يأتى :

(١) لوحة مؤرخة بالسنة السادسة من عهد « بطليموس السابع »[١].

المتن : فى السنة السادسة التاسع من بشنس من عهد « بطليموس » بن « بطليموس » . . . العائش أبدياً : حدث أن العجل « أبيس » الذى ولدته البقرة « تا ـ رنى » قد صعد إلى السماء وهو الذى كان قد ظهر فى مدينة « دمنهور » فى اليوم السابع من شهر برموده . وقد فتح سرابيوم « أبيس » فى اليوم الرابع من شهر بشنس .

وهذا العجل « أبيس » كما ذكرنا من قبل ، كان قد أصبح إلها فى السنة الواحدة والعشرين من عهد الملك « بطليموس الخامس » حتى السنة السادسة من الحكم المشترك لكل من « بطليموس السادس والسابع » لأرض الكنانة . هذا ولدينا لوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر مؤرخة بالسنة الثامنة من عهد « بطليموس السابع » نفسه تؤكد لنا تاريخ « موت » هذا العجل جاء فيها :

---

(١) راجع A. Z. XXII. P. 131 ff.

« السنة الثامنة السابع من شهر بؤونه من عهد الملك « بطليموس » بن « بطليموس » وهى التى تقابل السنة الرابعة عشرة من عهد « أبيس » الحى الذى وضعته البقرة « تا - رننى » ، وهوالذى فى مدينة «دمنهور» (.........) « أبيس » الحى فى ضريحه فى شهر برمودة فى اليوم الثانى منه وفى اليوم الثلاثين » . ولحسن الحظ فان الجزء المهشم من هذه اللوحة يمكن ملؤه من بداية نقش تذكارى نقش على باب السرابيوم ، جاء فيه :

« فى السنة الثامنة فى الثانى من شهر بؤونه من عهد الملك « بطليموس بن بطليموس » وهى التى تقابل السنة الرابعة والعشرين من عمر « أبيس » العائش ، الذى ولدته البقرة « تا - رننى » . وقد كلل ضريح العجل « أبيس » فى اليوم الثانى وفى اليوم الثلاثين » . ومن ثم نفهم أنه كان قد مضى على وفاة العجل شهران ويومان أى قبل إقامة جنازه بثمانية أيام . وهذا الجناز قد وقع فى اليوم السادس عشر أو السابع عشر من شهر بشنس .

وهاتان اللوحتان بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا هما الأثران اللذان وصلا إلينا من عهد حكم كل من « بطليموس السادس والسابع » المشترك . ولما كان قد ذكر على اللوحة الديموطيقية — وهى التى كانت قد دونت قبل اللوحة الهيروغليفية بمدة ٦٢ يوماً — ملك واحد ، فى حين أنه قد ذكر على الأخرى ملكان ، فانه يمكن أن نقترح أنه ما بين ٧ برمهات و ٩ بشنس من السنة السادسة من حكم الأخوين المشترك قد انتهى حكمها معاً فى الإسكندرية[1]

هذا ولدينا لوحة مؤرخة بالسنة السابعة والعشرين ٢٦ بؤونه من عهد « بطليموس السابع » جاء فيها :

---

(١) راجع L.R. IV. P. 307-8.

« فى السنة السابعة والعشرين فى السادس والعشرين من بؤونه من عهد « بطليموس » العائش أبدياً، حدث وضع العجل « أبيس » بن البقرة « تاحور » وهو الذى ظهر فى مدينة « كرر - ن - حور » فى مقاطعة « باتا - حو - نفر »[1].

وقد برهن الأثرى « بركش » على أن العام السابع والعشرين المذكور فى اللوحة التى نحن بصددها ينسب إلى عهد الملك « بطليموس إيرجيتيس الثانى » ، وأن العجل « أبيس » المذكور أعلاه كان هو خلف العجل « أبيس » الذى مات فى العام السادس من حكم « بطليموس السادس » و « بطليموس السابع » المشترك . وقد خلف « أبيس » هذا فى العام الثامن عشر من عهد « بطليموس فيلومتور » ، وكان فى الواحدة والعشرين من عمره عند ما توفى .

هذا ولدينا تاريخان من عهد الملك « بطليموس السابع » قبل العام السابع والعشرين من حكمه ، الأول هو العام الخامس والعشرون من حكم الإلهين المحسنين (إيرجيتيس) .

والتاريخ الثانى هو السنة السادسة والعشرون جاء فى ورقة إغريقية[2].

لوحة العجل « أبيس » الذى خلف العجل السابق :

مؤرخة بالسنة الثامنة والعشرين من حكم « بطليموس السابع » .

هذه اللوحة مصنوعة من الجرانيت الأسود وهى محفوظة بالمتحف المصرى[3] وهى مؤرخة بالسنة الثامنة والعشرين فى الرابع والعشرين من طوبه

(١) راجع القائمة التى وضعها بركش لهذا الغرض فى A.Z. XXIV. P. 21.
(٢) راجع L.D.T. P. 73; Revillout, Rev. Egypt. IV, P. 158.
(٣) راجع N. 4206 du Cat. Mariette.

ومؤرخة بالسنة الثانية والخمسين من حكم « إيرجيتيس الثانى » .

وقد جاء على هذه اللوحة الحقائق التالية : (راجع A.Z. XXIV. P. 23)

(١) فى السنة الثامنة والعشرين فى الرابع والعشرين من شهر طوبه من عهد « بطليموس » وزوجه « كليوباترا » ولد العجل « أبيس » فى معبد « منف » .

(٢) : وقد عاش حتّى السنة الواحدة والثلاثين من شهر توت من عهد هذين الملكين عند ما شاركته أخته « كليوباترا الثانية » منذ هذا التاريخ .

(٣) : وفى العام الواحد والثلاثين فى العشرين من شهر توت اقتيد هذا العجل إلى « هليوبوليس » ثم إلى معبد النيل .

(٤) : وفى اليوم التالى أى فى ٢١ توت من نفس السنة إبتدأ عيد تتويج هذا العجل فى معبد الاله « بتاح » بمدينة « منف » وانتهى فى الثالث والعشرين

(٥) : وفى السنة الواحدة والخمسين فى الثانى والعشرين من شهر مسرى مات « أبيس » هذا .

(٦) : وفى السنة الثانية والخمسين فى الثامن والعشرين من شهر توت دفن .

(٧) : وعمر هذا العجل هو ٢٣ سنة وستة أشهر و ٢٩ يوماً .

وهذا العجل على ذلك قد مات فى عهد « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » بعد أن حكم خمسين سنه وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً .

وعلى ذلك فان العجل « أبيس » هذا كان قد ولد عند ما كان قد مضى

من حكم « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » سبعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً .

ومن ثم يكون هذا العجل قد عاش ٢٣ سنة وستة أشهر وثمانية وعشرين يوماً .

ترجمة اللوحة حرفياً

فى السنة الثانية والخمسين اليوم السابع والعشرين من شهر توت فى عهد جلالة . . . . . . مثل والده « بتاح » والد الآلهة ، والملك مثل « رع » ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الآلهين الظاهرين المختار من « بتاح » والذى يعمل العدالة « لرع » وصورة « آمون » الحية) ابن « رع » (بطليموس العائش أبدياً محبوب « بتاح ») مع أخته الملكة الحاكمة ربة الأرضين « كليوباترا الثانية » وزوجه حاكمة الأرضين « كليوباترا الثالثة » الآلهة المحسنين (الثلاثة) ابن وابنة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بطليموس » و « كليوباترا » الآلهة الظاهرين . فى هذا اليوم حمل جلالة هذا الآله الفاخر « أوزير - أبيس » إلى هذا القبر فى « كم » فى « روستاو » (جبانة منف) فى داخل التابوت المصنوع من الحجر الأسود ، وبعد أن عملت كل الشعائر فى المكان الطاهر (مكان التحنيط) بعد تمام سبعين يوماً باشراف « أنوبيس » رب الأرض العالية (الجبانة = جسر) ، وبجانب « إزيس » و « نفتيس » . وقد ولد جلالة هذا الآله فى « منف » فى المعبد فى السنة الثامنة والعشرين فى الرابع والعشرين من شهر طوبه من عهد ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (وارث الالهين الظاهرين المختار من « بتاح » والذى يعمل العدالة « لرع »

وصورة «آمون» الحية) ابن «رع» (بطليموس العائش أبدياً محبوب «بتاح») مع أخته وزوجه الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا» . وقد عاش فى معبد «منف» من عام ٢٨ حتى عام ٣١ أول توت من عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (بطليموس العائش أبدياً محبوب «بتاح») مع أخته الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثانية» ، ومع زوجه الملكة الحاكمة «كليوباترا الثالثة» . وفى العام الواحد والثلاثين فى العشرين من توت ذهب (العجل) إلى «أون» (هليوبوليس) فى معبد النيل هناك فى ٢١ توت . واستقبل فى اليوم الثالث والعشرين من توت من عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (بطليموس العائش أبدياً محبوب «بتاح») مع أخته الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثانية» ومع زوجه الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثالثة» . واتخذ مثواه فى «منف» عشرين عاماً وأحد عشر شهراً وواحدا وعشرين يوماً . وقد صعد هذا الآله إلى السماء فى السنة الواحدة والخمسين فى اليوم الثانى والعشرين من شهر مسرى فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (بطليموس العائش أبدياً محبوب «بتاح») مع أخته الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثانية» ومع زوجه الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثالثة». ومدة الحياة الجميلة لهذا الآله هى ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر وتسعة وعشرون يوماً . لقد أقامها (اللوحة) ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (بطليموس العائش أبدياً محبوب «بتاح») مع أخته الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثانية» ومع زوجه الملكة الحاكمة ربة الأرضين «كليوباترا الثالثة» الممنوحين كل الحياة والثبات والقوة وكل الصحة وكل انشراح الصدر وكل النصر مثل «رع» أبدياً .

ويفهم من هذا المتن أنه فى ٢٤ طوبة من العام الثامن والعشرين من حكم « إيرجيتيس الثانى » كانت أخته وزوجه الأولى — وهى « كليوباترا الثانية » أرملة «فيلومتور» — وحدها معه فى الحكم . وفى التاريخ الذى أتى بعد ذلك كان زواجه من « كليوباترا الثالثة » ابنة «كليوباترا الثانية » . وقد حدث هذا الزواج الثانى ما بين ٢٤ طوبة من عام ٢٨ شهر توت وعام ٣١ من حكمه .

اهم الأوراق الديموطيقية التى بالمتحف المصرى من عهد (بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى)

عقد اتفاق على زواج (= زواج عرفى) فى عام ١٢٤ – ١٢٣ ق . م

التاريخ :

فى السنة الثانية والأربعين من عهد الملك « بطليموس » والملكة « كليوباترا » زوجه ، الإلهين المحسنين وفى عهد كاهن «الإسكندر» ، والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين ، والإلهين المحسنين والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين ، والآله الذى والده شريف والإلهين الذين يحبان أمهما والإلهين المحسنين وفى عهد الكاهنة حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » الإلهة المحسنة وفى عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » المحبة لأخيها وفى عهد كاهنة « أرسنوى » محبة والدها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : الحاكم الوراثى (= إربعى ؟) . . . والالهان المخلصان والالهان الأخوان والإلهان المحسنان والإلهان اللذان يحبان والدهما ، والإلهان الظاهر ان « باحب » (= Paapis) ابن « باحب » و « تا - سبك - حعبى »

الطرف الثانى : للمرأة « تا - قد » إبنة « اربعى » و. . . الإلهان المخلصان والإلهان الأخوان والالهان المحسنان « وننفر » و « تا أست » .

نص العقد :

يقول الطرف الأول للطرف الثانى : لقد شرحت قلبى بمبلغ الواحد

والعشرين دبنا فضة عن النصيب المؤجر أى ٢٠ + $\frac{٥}{٦}$ + $\frac{١}{٢٠}$ + $\frac{١}{٣٠}$ + $\frac{١}{٤٠}$ + $\frac{١}{٦٠}$ دبنات من الفضة أى ٢١ دبناً من الفضة ثانية ، وهى النصيب من خزانة « بتاح » المأكول وهى نفقتك . والأطفال الذين ولدتهم لى يملكون جميع وكل شىء أملكه الآن وما سأكسبه فى المستقبل من بيت وحقل ومزرعة وما يتبعها ، وقطع أرض وكروم وخمائل وجدران ومؤونة (سعنخ) وعبد وأمة وثيران وحمير . . وكل ماشية صغيرة وكل شىء . . فى العالم وإنى أعطيك ٧٢ مكيالا من النبيذ = ٤٨ أردباً من القمح أى ٧٢ مكيالا من النبيذ ثانية و$\frac{٤}{١٠}$٢ دبناً من الفضة وهو النصيب الذى أجر من خزانة « بتاح » ٢ + $\frac{٣ + \frac{٥}{٦} + \frac{١}{٢٠} + \frac{١}{٣٠} + \frac{١}{٤٠} + \frac{١}{٦٠}}{١٠}$ دبنات من الفضة أى $\frac{٤}{١٠}$ ٢ دبنات من الفضة ثانية ، وذلك بمثابة مؤونتك وشرابك (نفقتك) سنوياً فى البيت الذى تريدينه . وإنى تحت تصرفك فيما يخص ضمان طعامك وشرابك اللذين وقعاً على عاتقى . وإنى أعطيها إياك ، وجميع ما أملكه الآن وما سأحصل عليه فى المستقبل هو ضمان لمؤونتك المذكورة أعلاه . ولا ينبغى لى أن أقول : خذى هذه المؤونة المذكورة أعلاه ، بل أعطيها إياك فى الوقت الذى ترغبين فيه . وعند ما يطلب منك يميناً فانه على أن أؤديه فى البيت الذى يكون فيه القضاة .

المسجل : المنجم (= إمن - ونو) لمعبد « تبتنيس » : « حرروزا » بن « حرماحس » .

كتبه « باحب » بن « حعبى » . لقد سرح المرأة .

كتبه . . . فى السنة الثالثة والأربعين (؟) فى الثالث والعشرين من

أمشير — ثلاثة عشر شهراً الأكل والشرب : تأملى أنه سيقطع مأكلك ومشربك من أول عشرة برمهات من عام ٤٣ وما بعد ذلك .

ومفهوم من هذه الملحوظة أن الزوج أو الطرف الأول فى العقد قد حل عقدة هذا الزواج بعد مضى سنة . وهذا ما يقابل عندنا فى الاسلام بالضبط زواج المتعة .

هذا ، وقد دون على ظهر الورقة ستة عشر شاهداً(١) .

٢ — عقد زواج عرفى (مستند بمصاريف النفقة) من عهد «بطليموس السابع إبرجيتيس الثانى»(٢)

التاريخ :

فى السنة السابعة والأربعين فى الرابع عشر من أمشير من عهد الملك « بطليموس » والملكة « كليوباترا » أخته والملكة « كليوباترا الثالثة » زوجه الآلهة المحسنتين ، وفى عهد كاهن « الإسكندر » والآلهين المخلصين والآلهين الأخوين والآلهين المحسنين والآلهين المحبين لوالدهما والآلهين الظاهرين والآله الذى والده شريف والآله الذى يحب أمه والآلهة المحسنين ، وفى عهد « هيروبولوس » كاهن « ازيس » السيدة ، وأم الآلهة والآلهة العظيمة .

وفى عهد الكاهنة حاملة مكافأة النصر أمام « برنيكى » الآلهة المحسنة فى « رقودة » وفى عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها وفى عهد كاهنة « أرسنوى » محبة والدها فى « رقودة » .

---

(١) راجع Spiegelberg. Cat. Gen. Demot. II, Text. P. 29 ff. No. 30007 (Tafel. XVI).

(٢) راجع Ibid. P. 32, No. 30008.

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : أن الحاكم الوراثى و .... المشرف على بحر « قما » والمشرف على بحر « رس ـ نب » ، الصغير بن باحعبى (= Paapis) الصغير بن « باحعبى » وأمه هى « تاسبك » .... « تاسوكونوبيس » (Tasokonopis) .

الطرف الثانى : يقول للمرأة « نب ـ ت ـ وزى » ابنة الحاكم الوراثى و .... « با ـ ور » (Sigeris) ولـ « تارننوتت » (= ترموتيس)

نص العقد :

لقد شرحت صدرى بمبلغ الواحد والعشرين دبناً من الفضة وهو النصيب المؤجر من بيت « بتاح » أى ٢٠ + (٩ + ٥/٦ + ١/٢٠ + ١/٣٠ + ١/٩٠ + ١/٦٠) / ١٠ دبنات من الفضة وهو النصيب المؤجر من بيت « بتاح » وأن الأطفال الذين وضعتهم يؤول إليهم جميع ما أملكه الآن وما سأحصل عليه فى المستقبل من بيت وحقل ومزرعة وقطع أرض وكرم وخميلة ومبان ، ومؤن وعبد وأمة وثيران وحمير ...... (؟) .... وكل حيوان صغير وكل مستند وكل أحكام قضائية . وإنى أعطيك ٧٢ مكيالا من النبيذ = ٤٨ أردباً من القمح أى ٧٢ مكيالا من النبيذ ثانية وكذلك ٢ ١/٢ دبناً من الفضة وهو النصيب المؤجر من بيت «بتاح» = ٢ + (٣ + ٥/٦ + ١/٢٠ + ١/٣٠ + ١/٩٠ + ١/٦٠) / ١٠ دبنات من الفضة أى ٢ ١/٢ دبنات من الفضة ثانية وهو النصيب المؤجر من « بيت بتاح » وهو بمثابة مأكولك السنوى ومشروبك فى البيت الذى تريديه . ولديك

المستند على ضمان طعامك وشرابك ، وهو الذى أصبح ديناً على . وإنى أعطيه إياك.. وجميع ما أملكه الآن وما سأحصل عليه فى المستقبل هو رهن لنفقتك المذكورة أعلاه . ولن يكون فى استطاعتى أن أقول خذى نفقتك المذكورة أعلاه بل الوقت الذى ترغبين فيه فانى أعطيك إياها (النفقة) . وعند ما يطلب منك حلف يمين على أن أؤديه فيجب على أن أؤديه فى البيت الذى يكون فيه القضاة .

المسجل :

منجم معبد « تبتنيس » : « حرروزا » .

وفى أسفل هذا العقد كتب بخط آخر غير الذى كتب به العقد ما يأتى :

كتبه « باحعبى » الصغير ابن « باحعبى » :

لقد سرح المرأة

وعلى ظهر البردية كتبت أسماء ستة عشر شاهداً .

مستند دفع للعقد السابق[1] :

التاريخ : فى السنة السابعة والأربعين فى الرابع عشر من شهر أمشير من عهد الملك « بطليموس » والملكة « كليوباترا » أخته (=كليوباترا الثانية ») والملكة « كليوباترا الثالثة » زوجه الآلهة المحسنين ،وفى عهد كاهن «الإسكندر» والآلهين المخلصين والآلهين الأخوين والآلهين المحسنين ، والآلهين اللذين يحبان والدهما والآلهين الظاهرين والآله الذى والده شريف ، والآله الذى يحب والدته والآلهة المحسنين . وفى عهد « هيروبوليس » كاهن « إزيس » السيدة وأم الآلهة ، و (فى عهد) حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » المحبة لأخيها فى « رقودة » .

(١) راجع بردية رقم ٣٠٦٠٩ .

الطرفان المتعاقدان

الطرف الأول : يقول الحاكم الوراثى و . . . . المشرف على بحر « قما » والمشرف على بحر « رس ـ نب ـ أمنت » للآلهين المخلصين والآلهين الأخوين وللآلهة المحسنين ، « باحعبى » الصغير ابن « باحعبى » وأمه هى « تاسوكونوبيس » (Tasokonopis) .

الطرف الثانى : للمرأة « نبت ـ وزى » إبنة الحاكم الوراثى و . . . . . « سيجريس » (Sigeris) و « تارموتيس » (Tharmutis) .

محتويات العقد :

لقد شرحت صدرى بالثمن . وجميع وكل ما أملكه الآن وما سأحصل عليه فى المستقبل من بيت وحقل ومزرعة وقطع أرض وكرم ونخيلة ومبان ، ومؤن وعبيد وأمة وثيران وحمير . . . وكل حيوان صغير ، وكل مستند وكل حكم قضائى وذهب وفضة ونحاس . . . وكؤوس ومعدات القبر وكل شىء فى العالم . . . وهو ملكك من اليوم المذكور أعلاه فصاعداً . ولن يكون لأى إنسان فى العالم ولا نفسى السلطة غيرك . وأن من سيأتى بسببها ضدك فانى سأبعده عنك قهراً وبدون تأخير . وإنى أضمنها لك أمام أى مستند أو حكم قضائى ، وكل كلمة فى العالم . وملكك كل كتابة حررت عنها ، وكل مستند يكون قد حرره والدى أو والدتى عن ذلك ؛ وكل كتابة أكون قد حررتها أنا عنها وكل كتابة تخصها فانى أحميك . وإنها ملكك مع حقوقها ؛ وإنك محمية فيما يتعلق بها . وأن اليمين أو البينة الذى تطالبيه فانى أؤديه . وإنى أعطيك مستندا الدفع المذكور أعلاه . ولك الحق أن تطالبينى بحق مستند النفقة

البالغ قدره واحداً وعشرين دبناً من الفضة وهو الذى سلمته لك . وإنى سأؤدى لك حقك بمقتضى مستند الدفع . المجموع مستندان . وإنى أوفى لك حقك .

المسجل : كالسابق .

وفى أسفل هذا المستند كتب بخط فرد آخر غير الذى كتب هذا المستند ما يأتى :

كتبه : « باحعبى » الصغير ابن « باحعبى » .

إنه سرح المرأة .

وعلى ظهر البردية ستة عشر شاهداً .

تعليق

يلحظ أن البرديتين رقمى ٣٠٦٠٨ و ٣٠٦٠٩ هما عبارة عن عقد واحد قسم قسمين أى عقد اتفاق وعقد دفع نقود . والأول يسمى هنا مستند نفقة (٣٠٦٠٨) والثانى مستند (وهو = ٣٠٦٠٩) والمستندان يتبع الواحد منها الآخر كما هى الحال فى عقود البيع التقليدية .

هذا ولدينا عقد بهذه الصورة من عهد « بطليموس العاشر » الإسكندر [1]

وعلى أية حال فان العقد الذى تحدثنا عنه رقم ٣٠٦٠٧ هو من هذا النوع ومن المحتمل أن مستند الدفع الخاص به قد ضاع .

والآن يتساءل الإنسان ما هو الفرق بين عقود الزواج التى تعقد بين الرجال والنساء كالتى ذكرناها هنا ، وبين عقود الزواج الشرعية العادية التى ذكرنا أمثلة كثيرة منها فيما سبق .

---

(١) راجع Ibid. P. 5.

إن أول من تناول هذا الموضوع بالبحث هو الأستاذ « ميتيس »[1] فهو الذى عرف الزواج الحقيقى هنا بأنه هو عقد الزواج المقدس الذى يتعهد فيه الزوج بالمعاشرة والشروط الخاصة بالمهر والممتلكات الأخرى التى تؤكد أواصر الروابط بين الزوجين ، وهى التى وإن كانت قد أكدت بعقد إلا أن كلا من الطرفين لم يكن مرتبطاً باستمرار هذه العلاقة . وسنحاول فيما يلى أن نتتبع الخطوات التى خطاها موضوع الزواج من الوجهة المصرية فى الوثائق التى بين أيدينا لنستنبط منها شيئاً يمكن الأخذ به .

ويرجع الفضل للأستاذ « جرفث »[2] فى أنه قدم لنا البرهان من حيث المتون الديموطيقية : إذ يقول أن كلمة امرأة كان يعبر عنها فى اللغة الديموطيقية بلفظين مختلفين أولهما هو كلمة « سحيمت » (وبالقبطية « سحمى ») والأخرى هى كلمة « حميت » (وهى بالقبطية « حيمى ») .

والكلمة الأولى معناها مجرد الأنثى أو المرأة والأخرى معناها الزوجة . وقد استمر هذا الاستعمال قائماً فى العهد القبطى . وكلمة « حميت » أى الزوجة تقابل فى المصرية القديمة « نبت - بر » (= ربة البيت) وقد دلت البحوث على أن كلمة « سحيمت » هى المرأة التى تعيش مع الرجل مؤقتاً بوصفها زوجة وينفق عليها أيضاً . وتسمى فى هذه الحالة المرأة التى تتقاضى نفقة . والوثائق التى جاء فيها ذكر المرأة التى تعيش مع الرجل مؤقتاً مقابل نفقة معينة معروفة . وتسمى الوثيقة التى تبرم بين الرجل والمرأة بهذه الصورة مستند نفقة . فى حين أن عقد الزواج الشرعى الذى يعقد بين الرجل وزوجه يسمى مستند زواج أو وثيقة زواج .

(١) راجع Metties Archiv. I. 346.

(٢) راجع Griffith, stories, p. 87.

وعقود الزواج الشرعية الكاملة كثيرة العدد وقد ذكرنا منها الكثير فى الأجزاء السالفة من هذه الموسوعة وفى هذا الجزء أيضاً . أما عقود زواج التجربة أو زواج المتعة المؤقتة فلم تكن معروفة حتى العثور على الوثائق التى نحن بصددها الآن . وهذه الوثائق كشف عنها الأثرى « جرنفل » ومساعده « هنت » فى قرية « أم البرجات » («تبتنيس» القديمة من أعمال الفيوم) ويقول عنها الأستاذ « سبيجلبرج » أنها اتفاقات أو عقود زواج مؤقتة ؛ ومن هذه العقود العقدان ٣٠٦٠٨ و ٣٠٦٠٩ وكل منهما يحتوى على مستندين .

ويرى فى النموذج التالى أن الرجل يعترف للمرأة بما يأتى :

١ — لقد أعطيتنى مبلغاً من المال بمثابة مصاريف نفقة .

٢ — والأولاد المنتظرون يجب أن تؤول لهم كل الممتلكات المنقولة وغير المنقولة .

٣ — وإنى أعطيك أشياء عينية ونقداً لأجل طعامك وشرابك ، وأضمن ذلك بكل أملاكى .

٤ — ويمكننك أن تتسلمى النفقة أو المصاريف فى أى وقت ترغبين فيه

٥ — يجب على أن أكون مستعداً فى كل وقت للإدلاء باليمين عند طلبك أمام المحكمة .

وفى الوثيقة ٣٠٦٠٩ نستخلص النموذج التالى :

١ — لقد أعطيتنى هذه الفضة (= النقود) .

٢ — وكل ممتلكات من عقار منقول وغير منقول يجب أن يكون ملك الرجل والمرأة مشتركين .

٣ — ضمان قانونى لحقوق المرأة فى هذا الصدد .

وإذا قرنا التجديد الأساسى الخاص بعقد الزواج القانونى الكامل على حسب عقود عهد البطالمة يكون النموذج كالآتى :

١ — لقد اتخذتك زوجة .

٢ — ودفعت لك أجرك (مهرك) .

٣ — التصديق على تسلم أثاث البيت الذى أحضرته المرأة معها ، وهو الذى يعتبر ملكاً خاصاً مضموناً للمرأة فى ذمة الرجل ، وكذلك دفع التعويض فى حالة الطلاق .

٤ — تحديد ما تتسلمه المرأة لقوام معيشتها فى بيت زوجها .

٥ — الابن الأكبر هو الذى يجب أن يرث ممتلكات الأب والأم .

٦ — الغرامة العادية التى يجب على الرجل أن يدفعها عند الطلاق .

ولا نزاع فى أن الفرق بين حالة الزواج المؤقت والزواج الشرعى ظاهر للعيان .

ففى حالة الزواج المؤقت لا نجد فى العقد اعترافاً للرجل بأنه اتخذ المرأة زوجاً له ، ومن أجل ذلك لا نجد فيه ذكراً لحالة الطلاق . ويجب أن يفهم الإنسان هنا أن الرجل فى حالة الزواج المؤقت لم يدفع للمرأة صداقاً أو أجراً أو بعبارة أخرى لم يشركها معه فى ثروته بل على العكس نجده قد تسلم منها مبلغاً ؛ ومن أجل ذلك نرى أن الرجل والمرأة مشتركان فى الملكية . وهنا نجد — دون جدال — التأكيد البين أن المرأة كانت متزوجة زواجاً مؤقتاً .

هذا ، ويلحظ أنه وجد — فى أوراق متحف القاهرة الثلاث السالفة الذكر — التوقيع التالى فى البردية رقم ٣٠٦٠٧ :

كتبه « باحعبى » بن « باحعبى » : إنه سرح المرأة « سحميت » فى السنة الثالثة والأربعين فى ٢٣ من أمشير — ثلاثة عشر شهراً . الأكل والشرب . تأملى : أنه سيقطع مأكلك ومشربك من أول العاشر من برمهات من عام ٤٣ وما بعده .

وفى البرديتين ٣٠٦٠٨ و ٣٠٦٠٩ كان التوقيع كالآتى :

كتبه « باحعبى الصغير » بن « باحعبى » : « لقد أبعد المرأة » .

فيظهر من التوقيع الأول أنه قد حدث فراق بين الرجل والمرأة ، ومن ثم نفهم أنه كان زواج متعة لمدة معينة وقدرها سنة . وفى مثل هذه الحالة كان لا بد من تحرير عقدين ، الأول كان يسمى عقد النفقة التى كانت لزاماً على الرجل أن يدفعها للمرأة طوال مدة هذا الزواج المؤقت ، وكان عليه على ما يظن أن يحرر فى مقابل ذلك على نفسه مستنداً آخر بالمبلغ الذى تسلمه من المرأة التى سيعاشرها إعترافاً منه بذلك . ومن ثم يمكن أن يفهم الإنسان ما جاء فى قصة « ستنى » التى أوردناها فى الجزء السابق من هذه الموسوعة[1]. وذلك عند ما قبلت « تابوبو » أن تكون زوجاً لـ « ستنى » وطلبت إليه أن يحرر وثيقة مزدوجة إحداهما بمثابة مستند بالنفقة والأخرى بمثابة دفع مبلغ . ومن ثم كانت بعيدة عن أن توصم بأنها حظية بمقتضى هاتين الوثيقتين وعلى حسب التفسير الذى أوردناه هنا يصبح من المستطاع فهم الفرق بين الزواج العرفى أو المؤقت وبين الزواج الشرعى .

وعلى أية حال لدينا عقد زواج آخر يظهر فيه أمامنا حالة ثالثة عن الزواج جمعت طرفاً من كل من الحالتين السابقتين وسنورد هذه الحالة هنا لأنها فى ذاتها تحتاج إلى تفكير وهى من نفس العهد الذى دونت فيه العقود الثلاثة السالفة الذكر والخاصة بالزواج المؤقت . وهاك النص :

التاريخ : فى العام الأربعين شهر توت من عهد الملك « بطليموس » و « كليوباترا » زوجه، الإلهين المحسنين ، وفى عهد كاهن «الإسكندر»

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء١٣، صفحة ٣٩٠ الخ .

والآلهين اللذين يطردان الشر والآلهين الظاهرين ، والآله الذى والده شريف ، والآلهين اللذين يحبان والديهما والآلهين المحسنين وفى عهد حاملة هدية النصر أمام « برنيكى » المحسنة ، وفى عهـــد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها وفى عهد كاهنة « أرسنوى » محبة والدها وهم الذين مع الملك .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول حامل الخاتم الآلهى « بيتزيس » (Petesis) ابن . . . . . وأمه هى « حروبستت » (Erabastis) .

الطرف الثانى : إلى المرأة (= سحيمت) « تاويس » ((Teos)) إبنة حامل الخاتم الإلهى « زحر » ((Taues)) وأمها هى « تا - اى - م - حتب » (Taimuthis) .

نص العقد :

لقد جعلت منك زوجة لى « سحيمت » وقد أرضيت قلبى بمبلغ سبعماية وخمسين دبنا فضة أى ما قيمته ٣٧٥٠ ستاتر أى سبعماية وخمسين دبناً من الفضة ثانية أى ما يساوى كركين (أى تالنتين) و١٥٠ دبناً (وعلى حسب الحساب بالأوبولات النحاسية : ٢٤ $\frac{٢}{١٠}$ أوبولا عن كل قدت من الفضة) . وقد تسلمتها من يدك ؛ وقد انشرح صدرى بها (أى رضى) وهى تامة (النقود) غير منقوصة . وإذا سرحتك بوصفك زوجى من اليوم المذكور أعلاه (أو) إذا ذهبت عنى من تلقاء نفسك فانى أعطيك مبلغ ٧٥٠ دبناً من الفضة التى ذكرت أعلاه فى مدة ثلاثين يوماً من اليوم الذى سرحتك فيه بوصفك زوجة . وهذا الوقت أحدده (؟) والوقت الذى تذهبين فيه عنى فعليك أن تحدديه

(؟) . وإذا لم أعطك مبلغ السبعماية وخمسين دبناً من الفضة وهى المذكورة أعلاه فى ظرف ثلاثين يوماً فانى أعطيك س مكاييل من النبيذ . . . .

وإنى أعطيك (؟) نصف هن (؟) زيتاً شهرياً و ٧ ٥/١٠ دبناً من الفضة أى ٣٧¼ ستاتر أى ٧ ٥/١٠ دبناً ثانية ، وأوردها شهرياً . والقيمة كلها تقريباً ؟ ؟ = ٢٠٠ دبن من الفضة أى ماءتا دبن ثانية — وبحساب العملة النحاسية : ٢٤ ٢/١٠ (أبولا عن كل قدة واحدة) وذلك بمثابة نفقتك (أو مصاريفك) السنوية فى المكان الذى ترغبين فيه . ولديك الأمر فيما يخص ضمان مؤونتك التى أخذتها على عاتقى . فلزاماً على أن أورد لك زيتك ونقودك . . . التى تحملتها . وإنى أعطيها إياك كلها . وأن ما أمتلكه الآن وما سأحصل عليه فى المستقبل هو رهن لكل تقدير ذكر أعلاه .

تأمل : إن المرأة « حر - وبستت » إبنة حامل الخاتم الآلهى سخت (؟) و . . . . . .

قال : تسلمى المستند أعلاه من يد حامل الخاتم الآلهى « بيتزيس » بن « بت » . . . . و « حر - وبستت » إبنى البكر المذكور أعلاه . وليته يعمل على حسب كل كلمة أعلاه بمقتضى ما هو مدون أعلاه . . . كل كلمة أعلاه . وأن قلبى متفق على ذلك . وإن الذى لا يعمل لك على حسب كل كلمة بمقتضى الكتابة أعلاه فانى سأنفذه لك قهراً وبدون تأخير(١) .

كتبه : . . . . . .

---

(١) راجع Leidner Papyrus 185; Rec. Trav. 28. P. 194 ff.

تعليق

هذا العقد كما يبدو لنا، يظهر أنه عقد زواج شرعى وذلك لأن الرجل اعترف فيه بأن المرأة قد أصبحت زوجه الشرعية ، ولكن من جهة أخرى نجد أن الاعتراف بما جاءت به الزوجة معها من متاع إلى بيت الزوجية لم يذكر فى العقد . وفى مقابل ذلك أعلنت المرأة أنها قد أعطت الرجل مبلغاً عظيما من المال وقد اعتبر هذا المبلغ بمثابة مهر بقى ملكها هى .

وهذه الإجراءات التى تعتبر رسمية محضة قد أفسدت المقصود من كل من نموذجى عقدى الزواج السابقين أى عقد الزواج المؤقت وعقد الزواج الشرعى ، ومن ثم لا يمكن أن ينسب هذا العقد إلى واحد من النموذجين السابقين ، ولكنه فى الوقت نفسه قد جمع بينهما فى بعض النقاط . وعلى أية حال فان تربة أرض مصر لا تزال مليئة بالمفاجآت ولعلها تجود علينا بأمثلة أخرى تكشف لنا الغطاء عن حقيقة أمثال هذه العقود من الوجهة القانونية فى نظر المصرى .

عقد إيجار من عهد « بطليموس السابع »[1] (٢ سبتمبر ١٢٤ ق م)

هذا العقد موجود الآن بمكتبة « هيدلبرج » من أعمال ألمانيا عثر عليه فى « الجبلين » .

الترجمة :

التاريخ : السنة السادسة والأربعون الشهر الرابع من فصل الصيف (مسرى) اليوم الخامس عشر من عهد جلالة « بطليموس » الإله المحسن ابن

(١) راجع K. Sethe, Demotischen Urkunden zum Agyptischen Burgschaftscreche etc. P. 155 ff.

« بطليموس » و « كليوباترا » ، الالهين الظاهرين ، والملكة « كليوباترا » زوجه الآلهة المحسنين وأولادهم اللذين يعيشون فى « رقودة » (الإسكندرية) وفى « بوزى » (= « بطلمياس ») والذين فى مقاطعة « نى » (= « طيبة »).

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول الرجل الفيلى (من أهالى فيلة) فى مقاطعة « امبوس » (= كوم أمبو) : « حور » ابن « بتى - حر - ور » وأمه هى « تتشنيور » ، والرجل الأسوانى « بتى - أتوم » بن « وننفر » وأمه هى « نخوتيس » وهما معاً شخصان ؛ بفم واحد .

الطرف الثانى : للكاهن خادم الآله وهو الكاهن الأكبر لعين شمس والكاهن الأكبر المؤله لمنف (وهذا اللقب يحمله كاهن معبد «الجبلين») ... الالهان المحسنان والإلهان اللذان يحبان والدهما والآلهان الظاهران ، والآله الذى والده شريف ، والآله الذى يحب أمه والآلهة المحسنون (المسمى) « نخوتف » (Nechuthes) بن « باتاوى » .

صيغة العقد : لقد أجرت لنا أرورا من الأرض من أرضك العالية التى تبلغ مساحتها أرورين . وهما اللذان يقعان فى أرض أوقاف « حتحور » من ماء (أى فيضان) عام ٤٦ حتى عام ٤٧ (أى حتى فيضان عام ٤٧ أى مدة سنة) . وحدودها (أى الأرض) هى كالآتى :

من الجنوب : أرض « بتوزيريس » بن « حرسئيسى » .

من الشمال : بقية أرضك .

من الشرق : جزيرة ساحة المعبد .

من الغرب : التل

وهذه هى جميع الحدود لكل الأرورا من الأرض العالية المذكورة أعلاه . ويجب علينا أن نعطيك ماء ، وسنمدك ببصل ونباتات بمثابة راحة للأرض (أى ستقدم له هذه النباتات لإراحة الأرض من زرعها بمحصول واحد كل عام) . وعلينا أن نحرثها لك ، وعلينا أن نملأها بالثيران وبذر الغلة وبالرجال وبكل آلات الزرع شتاء وصيفاً (أى فى فصل الزرع وفى فصل الحصاد) ؛ ولك أن تقاضى بتهمة ، المزارع الذى يحدث لك تلفاً فى الأرض ، والتلف الذى حدث فيما يخص الميقات المذكور أعلاه . وعند ما يحل وقت الحصاد فعليك أن تدفع بالكامل ضريبة المحصول لباب الملك من الغلة المذكورة أعلاه على حسب ما يقرره كاتب الملك علينا من دين يورد غلة . وعلينا أن نحضر حسابه بالدفع الكامل الذى دفعته باسمك . وعلينا أن نعطيك فائدة كمزارع باسم الأرض المذكورة أعلاه خمسة عشر أردباً من القمح نصفها ½٧ أرادب من القمح فيكون المجموع خمسة عشر أردباً من القمح ثانية[1] بمكيال « إنس مين » (وهو مكيال خاص عند فرد يدعى بهذا الاسم وكان يستعمله الناس لأنه كيل واف) من عام ٤٧ الشهر الأول من فصل الصيف (٣٠ بشنس) ، وكذلك أردبين من البصل نصفهما أردب واحد فيكون المجموع أردبين ثانية . وكذلك مائتى قطعة سلجم نصفها ماية قطعة ، فيكون المجموع مايتى قطعة سلجم ثانية . وكذلك خمسة مكاييل من الخيار فى يوم حصاد ناله ، كذلك كل القرطم وكل الترمس (Thrmws) وكذلك

(١) لا بد أن الأرورا فى أرض الجبلين كان مساحته أكبر بكثير من الأرورا العادى لأنه يكاد يكون من المستحيل أن ينتج الأرورا العادى خمسة عشر أردبا من القمح .

قصرية أزهار . ونحن سنقيم سوراً من طين النيل حول الأرض . وعليك أن تزرع عشرين شجرة وسنعطيك ماء من جديد (لريها) . ولن يكون فى استطاعتنا أن نعطى ميعاداً آخر فيما يخصها بعد الميقات المضروب أعلاه . ولن يكون فى استطاعتنا أن نقول أننا قد أعطيناك غلة أو أى شىء آخر فى العالم دون مخالصة يستند عليها . ولن يكون فى استطاعتنا أن نقول إننا قد أدينا لك حق التأخير ما دام الإيجار المذكور أعلاه فى يدك . ولن يمكننا بالنسبة لها (أى الأرض المؤجرة) إيجارها لسنة أخرى دون أن تكون قد أجرتها منا من جديد . وأن الذى يتخلى منا نحن الاثنان المتعاقدان (عن هذه الشروط) معك فعليه أن يدفع ثلاثة تالنتات للقربات المحروقة (التى تقدم) للملك وكذلك عليه أن يدفع ثلاثة تالنتات لرفيقه منا .

وانك ستطالب (أو تقاضى) من تريد منا نحن الاثنين لأجل أن يعمل على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه ثانية قهراً وبدون مقاومة .

ويقول « باتى » الكبير ابن « بتى - سبك » وهو الذى يتسلم الملابس والأطعمة كما هو مدون فى بلدة آمور « كروكوديلوبوليس » : إنى ضامن بأن أعطى القمح والأشياء الأخرى الباقية المذكورة أعلاه ؛ وإذا لم أدفعها كاملة فانى سأدفعها كاملة وأنك تصفى حسابك معى كما تصفى حسابك الذى ستعمله معه .

كتب هذه الوثيقة « نختمين بن نختمين » الذى يكتب باسم كاهن « حتحور » سيدة « انتاجى » (حتحور - نبت انتاجيس) من الطائفة الخاصة للكهنة .

عقد هبة بيت مرهون من عهد الملك « بطليموس السابع ايرجيتيس الثـانى »[1] :

هذا العقد هو عبارة عن هبة بيت وهبه « باتسعا » لابنه المسمى « نختوف » ، غير أن هذا البيت كان مرهوناً لزوج « باتسعا » التى تدعى « تشنبا هى » (Tshen Pahe) ومن المحتمل أن هذا البيت كانت تدفع عليه ضريبة عن قيمة المبلغ الذى رهن من أجله .

التاريخ : السنة الثانية والخمسون . العشرون من شهر أمشير من عهد الملك « بطليموس » المحسن بن « بطليموس » و « كليوباترا » الالهين الظاهرين والملكة « كليوباترا » أخته والملكة « كليوباترا » زوجه الآلهة المحسنين وأولادهم[2] ، وفى عهد كاهن«الإسكندر» والآلهين المخلصين والآلهين الأخوين ، والآلهين المحسنين ، والآلهين اللذين يحبان والدهما والآلهين الظاهرين والآلهين اللذين يحبان أمهما والآله الذى والده شريف ، وفى عهد حاملة هدية النصرلـ« برنيكى » المحسنة ، وفى عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » التى تحب أخاها ، وفى عهد كاهنة « أرسنوى » التى تحب والدها ،

---

(١) راجع Griffith. Rylands III. P. 142.

(٢) يقول الأستاذ « جرفث » أن الاشارة فى هذه الورقة والتى ستلى بعد عن اشتراك أطفال«إيرجيتيس الثانى»معه فى الحكم فى خلال السنة الخمسين حتى السنة الرابعة والخمسين ،كانت أول ما كشف عنه فى هذا الموضوع . والظاهرأن مثل هذه المراجع يبحث عنها بوجه خاص فى فى برديات «الجبلين ». وفى هذه يمكن أن تراجع إلى ما قبل عام ٥٢ من حكم هـذا الملك . والأولاد المشار إليهم هنا يحتمـل أنهم « فيلوباتور الثانى » وأولئك الذين حكموا باسم «بطليموس العاشر »والحادى عشر وأختاها«كليوباترا الرابعة» ، «وكليوباترا سلن» ، ولكن سنرى أن الأولاد المشار إليهم هنا هما بطليموس «المنفى نيوس فيلوباتورالثانى»و«بطليموس الاسكندر الأول » كما جاء حديثا على نقوش معبد « ادفو » .

والذين استقروا فى رقوده والذين استقروا فى « بوزى » (= المنشية) التى فى إقليم « نى » (= طيبة) .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : أن الكاهن وكاتب إقليم « نى » (طيبة) تشتّريس (الإقليم الجنوبى) (Tschetres) المسمى « باتسعا » بن « بهيب » (Phib) وأمه هى المرأة صاحبة الدخل (= الغنية) « تشينيزى » يخاطب

الطرف الثانى : الرجل الذى يتقاضى مرتباً بين رجال « لاخوس » والمقيد فى فرقة بلدة آمور (= مدينة التمساح) « نخوتف » المسمى « يونوس » (Eunous) بن « باتسعا » وأمه هى « تخونس » (Takhons) .

لقد وهبتك بيتى وهو الذى فوق بوابة البئر : المجهز بكتل الخشب والأبواب ، ويحتوى على حجرة ودهليز وسلم (؟) من أسفل إلى أعلى ، وهو مبنى ومسقوف ويقع فى الحى الشرقى من « باحتحور » التى تسمى البئر . والأراضى المجاورة له (أى الحدود) هى :

فى الجنوب : بيت « أورشى » (Uershe) (؟) بن « حور »

فى الشمال : بيت « بسحنبور » (Pshenpuer) بن « خنستحوت » وهو الذى يملكه أولاده .

فى الشرق والغرب : شارع الملك .

وهذه هى حدود البيت المذكور أعلاه المبنى والمسقوف ، المجهز تماماً بكتل الخشب والأبواب ويحتوى على حجرة (؟) وفناء وسلم من أسفل إلى أعلى (وهو الموصوف) أعلاه .

لقد أعطيتك إياه : وهو ملكك : وهو بيتك المبنى والمسقوف والمجهز تماماً بكتل خشب وأبواب ويحتوى على حجرة (؟) وفناء وسلم أسفل وأعلى (الموصوف) عاليه وليس لى أى حق فيها عليك باسمه (أى البيت) .

ولن يكون لأى رجل فى العالم السلطة عليه إلا أنت من اليوم فصاعداً . وأن الإبن أو الحفيد أو الأخ أو الأخت أو ابن العم الذى سيأتى إليك بسبب البيت المذكور أعلاه فان عليه أن يدفع خمسة عشر دبناً نقداً من قطع نقد خزينة « بتاح » النقية إلى القربات المحروقة الخاصة بالملك وسيكون لك مع ذلك الحق على من يدعيه أن تجعله يعمل على حسب كل كلمة ذكرت أعلاه .

والمرأة صاحبة الدخل ، صاحبة النقد (أى الدين) « تشنأمون » إبنة « بشور » (= الأشورى ؟) وأمها هى « تسحنا بحتى » (Tshenapaehte) ، زوجه تقول : تسلم مستنداً من الكاهن خادم الآله المذكور أعلاه وهو كاتب إقليم « نى » (طيبة) (فى ؟) تشتريس ، (المسمى) « باتسعا » ابن « بهيب » وأمه هى المرأة صاحبة الدخل « تسحنيزى » (Tshenesi) ، زوجى . وإن قلبى موافق على ذلك ، وليس لى الحق عليه بمقتضى مستند الدخل ومستند النقد وهو الذى حرره لى ليكون لى حق حاصلاته فى جميع الأزمان . وليس لى أى حق على « نخوتف » الذى يدعى « يونوس » (Eunous) بن « باتسعا » وأمه « تاخنس » فيما يخص بيته ، وأولئك الذين لهم حق ادعائه وهم الذين (وصفوا) أعلاه دون الرجوع إلى أية براءة أو أية كلمة فى العالم .

كتبه : « اسبنوتى » (Espnute) بن « جحو » وهو الذى يكتب باسم كهنة « سبك » سيد « أمور » التابع لطائفة الكهنة الخامسة .

ويأتى بعد ذلك الملخص الإغريقى وهو :

السنة الثانية والخمسون ، الواحد والعشرون من شهر بشنس : لقد دفع

لمصرف « كروكوديلوبوليس » الذى يشرف عليه « أبولونيوس » بمثابة ضرائب ½ من ثمن البيع وذلك على حسب تقرير « بانيسكوس » (Paniskos) و « كيبالون » (Kepalon) وهما محصلا ضرائب . وقد وقع ذلك « بوليديكيس » (Polydeukes) المراقب و « نيخوتيس » (Nikoutes) الذى يسمى كذلك « بوتوموس » بن «باتسيوس» (Pateseous) وذلك من أجل بيت مبنى ومجهز بأبواب وألواح خشب على البوابة . وهو الذى رهنه والده « باتسيوس » بمبلغ ٢٠٠ درخمة من النحاس وهى التى دفع عنها ٢٠٠ درخمة فرق عملة .

وعلى ظهر الورقة ستة عشر شاهداً .

عقد اتفاق بيع معه إيصال مصرف من عهد « بطليموس السابع »(١)

١٥ أكتوبر عام ١١٧ ق . م .

التاريخ : السنة الرابعة والخمسون الرابع عشر من شهر توت من عهد الملك « بطليموس » الآله المحسن ابن « بطليموس » و « كليوباترا » الآلهين الظاهرين والملكة « كليوباترا » أخته والملكة « كليوباترا » زوجه الآلهة المحسنين وأولادهم ، وفى عهد كاهن « الإسكندر » والآلهين المخلصين والآلهين الأخوين والآلهين المحسنين والآلهين اللذين يحبان والدهما ، والآلهين الظاهرين والآله الذى كان والده شريفاً والآله الذى يحب أمه والآله الذى يحب والده (نيوس فيلوباتور) والآلهة المحسنين ، وفى عهد حاملة هدية النصر لـ « برنيكى » الآلهة المحسنة ، وفى عهد حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » ..

---

(١) راجع Griffith. Rylands III, P. 145-17 Pap. No. XVIII.

محبة أخيها ، وكاهنة « أرسنوى » التى تحب والدها ، وأولئك الذين استقروا فى « رقودة » وفى « بوزى » ، التى فى إقليم « نى » (طيبة) .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : أن مرتل محراب « ازيس » فى « بحتحور » المسمى « بشنأنوب » (Pshenanup) بن « حور » وأمه هى « تمخاس » (Temkhas) يقول :

الطرف الثانى : للمرأة « مايتحوت » (Maithout) إبنة « بشنأنوب » وأمها هى « تشنأمون » (Tshanamun) .

محتويات العقد : لقد جعلت قلبى يتفق على نقد الثمن عن ذراع ونصف (يقصد قصبة ونصف) ومقدارها ١٥٠ ذراعاً أى ½ ١ ذراعاً من الأرض ثانية وهى التى فى وسط وغرب قسم « بحتحور » وحدودها هى :

فى الجنوب : شارع الملك .

فى الشمال والشرق : باقى قطعتى من الأرض البور (أى التى لا تزرع ولكنها صالحة للبناء) .

وفى الغرب : الأرض البور ملك « تشنأمون » إبنة « بليه » . وهذه هى كل الحدود للأرض البور ومقدارها ½ ١ ذراعاً (أى ١٥٠ ذراعاً معمارياً) .

لقد أعطيتها إياك ، وأنها ملكك الأرض المذكورة أعلاه . وأنى قد تسلمت ثمنها فضة منك كاملا غير منقوص ، وقلبى موافق عليها . وليس لى أى حق فى العالم عليك باسمها ؛ ولن يكون لأى إنسان فى العالم بما فى ذلك نفسى سلطة عليها غيرك من اليوم فصاعداً ، وأن الذى سيأتى إليك بسببها باسمى أو باسم أى رجل فى العالم فانى سأجعله يتنحى عنك . وإنى سأطهرها

لك من كل كتابة ومن كل براءة ، ومن كل حق مخول بأية كلمة (أى شىء) فى الأرض فى أى وقت ومستندها ملكك . وبراءتها فى أى مكان هى فيه ، وكل كتابة قد عملت خاصة بها ، وكل كتابة عملت لى بخصوصها ، وكل المستندات التى يكون لى ملكيتها بمقتضاها فانها ملكك ؛ وكذلك الحقوق المخولة بها . وأن الذى يجعل لى الحق باسمها (أى المستندات) فانه ملكك ، واليمين أو البينة الذى سيطلب منك فى محكمة العدل باسم الحق المعطى إياك بالكتابة المذكورة أعلاه ، وهى التى حررتها لك ليجعلنى أؤديه فانى سأؤديه دون الرجوع لأية براءة (؟) أو أية كلمة فى الأرض مضادة لك .

كتبها «نختمين» بن «نختمين» الذى يكتب باسم كهنة «حتحور» سيدة «إنت» للإلهين الأخوين ، والآلهين المحسنين ، والآلهين المحبين لوالدهما ، والآلهين الظاهرين ، والآله الذى والده شريف والآله الذى يحب والده والآلهة المحسنين ، من الطائفة الخامسة للكهنة .

مضمون العقد بالإغريقية :

فى الركن الأسفل من البردية على اليد اليسرى نلحظ أن الكاتب بدأ يجرب قلمه بكلمة ثم كتب ما يأتى :

فى السنة الرابعة والخمسين فى العاشر من شهر بابه : لقد دفع للبنك فى «كروكوديلوبوليس» ، وهو الذى يشرف عليه «بطليموس» قيمة ضريبة ألـ ١/٢٠ عن بيع أرض حسب تقرير «بانيسكوس» محصل الضرائب . وقد وقع على ذلك «أبولونيوس» مراقب الضرائب و «مايتوتيس» (Maithotis) ابنة «بزننوبيس» (Psenenoupis) عن أرض بور مقدارها أرورا ونصف وهى التى ذكرت حدودها فى العقد المذكور أعلاه وهى الأرض

التى اشترتها من « بزنتوبيس » بن « حور » مقابل تالنت من النحاس ؛ والضريبة بالعملة النحاسية التى أخذ عليها فرق عملة هى ٦٠٠ درخمة .

المجموع ٦٠٠ درخمة

الامضاء « بطليموس » مدير البنك .

وعلى ظهر الورقة ستة عشر شاهداً .

عقد اتفاق عن بيع نصيب من الأرض ومعه إيصالات من المصرف بالاغريقية[1]:

هذا العقد من عهد الملك « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » — (١٩ مارس عام ١١٨ ق . م) .

التاريخ : السنة الثانية والخمسون فى الثامن والعشرين من أمشير من عهد الملك « بطليموس » الآله المحسن ابن « بطليموس » و « كليوباترا » الآلهين (الظاهرين) والملكة « كليوباترا » أخته ، والملكة « كليوباترا » زوجه ، الآلهة المحسنين وأولادهم (فى عهد) كاهن«الإسكندر» والإلهين المخلصين والآلهين الأخوين ؛ والآلهين المحسنين والآلهين اللذين يحبان والدهما والآلهين الظاهرين ، والآله الذى والده شريف والآله الذى يحب أمه والآلهة المحسنين . وفى عهد الكاهنة حاملة غنيمة النصر« لبرنيكى» المحسنة،وفى عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » المحبة لأخيها ،وكاهنة« أرسنوى » التى تحب والدها وأولئك الذين استقروا فى « رقودة » وفى « بوزى » التى فى إقليم « نى » (= طيبة) .

---

(١) راجع Ibid. P. 147 f.

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : إن الرجل صاحب المرتب المقيد فى . . « حار ماحى » بن « حور » و « شلح » بن « حور » أخاه وأمهما هى « تا. . . » وهما شخصان قد أعلنا بفم واحد .

الطرف الثانى : للرجل صاحب المرتبالمقيد فى بلدة « آمور » (المسمى) « بشنمنخ » (Pshenmenkhe) بن « بانيخاتى » (Panekhate) وأمه هى «كلوزى» (Klûze) .

لقد جعلت قلبى يتفق على الفضة ثمن الثلث من نصيبنا من الأرض الشراق ، وهى التى فى الأرض الشراق(١) التابعة إلى .... فى أرض أوقاف الآلهة « حتحور » سيدة « أنت » ، وهى التى قد آلت إلينا من « حور » بن « باتو » (؟) والدنا وحدودها هى :

فى الجنوب : أرض « باتو » (؟) بن « بهيب »

فى الشمال : أرض « بوريبت » (Pueriebt).

فى الشرق : أرض « كلوز » بن « بهيب » .

فى الغرب : الصحراء .

وهذه هى حدود الأرض كلها .

نص العقد : لقد أعطيته إياك وهو ملكك ، أى ثلث المذكور أعلاه من نصيبنا فى الأرض الشراق وقد تسلمت ثمنه نقداً منك كاملا غير منقوص ، وقلبى متفق على ذلك . وليس لى أى حق فى العالم عليك باسمها ، ولن يكون لأى رجل فى الأرض ولا أنا بالمثل القوة على استعمال السلطة عليه إلا أنت

(١) الأرض الشراق هى الأرض العالية التى تحتاج إلى رى صناعى .

من اليوم فصاعداً . وإن الذي سيأتي إليك بسببه باسمي أو باسم أي رجل في الأرض ، فاني سأنحيه عنك . وإني سأطهره لك من كل كتابة ، ومن كل براءة ، ومن كل كلمة في الأرض في أي وقت . ومستنداته ملكك وبراءته في كل مكان يوجد فيه ، وكل كتابة قد عملت خاصة بها ، وكل كتابة قد عملت لي خاصة بها وكل جميع الكتابات التي باسمه ويكون لي بوساطتها الحق فيها (أي الأرض) ، فانها ملكك والحقوق المخولة بها . وأن الذي يخول إلى الحق باسمها (أي الكتابات) فانه ملكك . واليمين أو البينة الذي سيطلب منك في ساحة القضاء باسم الحق المخول بالكتابة المذكورة أعلاه التي حررتها لك لتجعلني أؤديه فاني سأؤديه دون أن أرجع إلى أية براءة (؟) ، أو أية كلمة في الأرض ضدك . (ومعنى الجملة الأخيرة بصورة أبسط هي : وإذا حتم عليك في ساحة العدل أن تحصل على أداء شهادة معززة بقسم أمام القضاء أو تجعلني أقدم دليلا يؤكد الحق المخول لك بمقتضى العقد المذكور أعلاه . وهو الذي حررته لك ويجبرني على أن أعمل لك هذه الأشياء ، فاني سأحلف اليمين أو أقدم البرهان) .

كتبه « نختمين » بن « نختمين » الذي يكتب باسم كهنة « حتحور » سيدة « انت » الخ . . . الآله الذي والده شريف والآله الذي يحب أمه والآلهة المحسنين ، التابعين (يقصد الكهنة) لطائفة الكهنة الخامسة .

هذا وقد كتبت توقيعات ستة عشر شاهداً على ظهر الورقة .

ويأتي بعد ذلك الملخص الإغريقي :

في السنة الرابعة ١٥ بؤونه دفع في بنك « كروكوديلوبوليس » الذي يشرف عليه أبوللونيوس » بمثابة ضريبة العشر عن نقل الملكية ، بمقتضى تقرير «بانيسكوس» جابي الضرائب (؟) من يد «بسمنخيس» (Psemmenkhes)

إبن « بانخاتس » (Panekhates) عن ½ من . . . . . الأرض الزراعية على اليابسة (؟) فى السهل الذى حول« الجبلين» وهو الذى اشتراه من « هارمياس » بن « حور » : بمبلغ تلنت واحد = ٢٠٠ درخمة .

تعليق :

يلفت النظر أن بداية بردية البيع هذه وجدت ممزقة ، ومن ثم ضاع الثلث من كل سطر من كتابتها ، وكذلك يلحظ أن اسمى البائعين قد ضاعا . وقد بقى فقط اسم المشترى وهو « بشنمنخى » ؛ غير أنه مما لا نزاع فيه أن هذه الوثيقة هى من عهد الملك « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » . وعلى أية حال فان الملخص الإغريقى يفهم منه أن مقدار الضريبة عن نصف الأرض المباعة قد دفع فى بؤونة من السنة الرابعة . غير أن هذا التاريخ لا يمكن أن يكون فى عهد « إيرجيتيس الثانى » . يضاف إلى ذلك أنه قد حفظ لنا هذا الملخص الإغريقى اسم أحد البائعين وهو « هرمايس » بن « حور » . ولكن لحسن الحظ عند ما فحصت البردية رقم ٢٤ المحفوظة بمجموعة ريلندز بواسطة العالم « جرفث» ؛ ظهر أنها خاصة بنفس قطعة الأرض التى نفحصها فى هذا العقد . والورقة رقم ٢٤ من نفس المجموعة تحتوى على براءة حررت فى حكم الملكة « كليوباترا الثالثة » و « بطليموس سوتر الثانى » عن بيع حرره «حرماحى» هو وأخوه « شلح » إلى « بشمنخى »(Pshemmenkhi) المذكور أعلاه . وهذه الوثيقة كانت قد حررت فى أمشير من العام الثانى والخمسين من حكم « إيرجيتيس الثانى » . وبدهى أن هذا البيع كان هو البيع الذى ورد فى البردية التى نحن بصددها وهى التى عرفنا منها التاريخ واسم البائع الثانى . هذا فضلا عن أنها أكملت وصف الملكية الممزقة . ومع ذلك فانه لا تزال لدينا صعوبة فى حل لغز تاريخ السنة الرابعة الذى جاء فى

الملخص الإغريقى ، وهو أربع سنوات بعد البيع الذى نتحدث عنه . والواقع أن تاريخ الورقة الرابعة والعشرين[1] قد وجد ممزقاً ، غير أنه كان فى شهر بؤونه فى سنة ما . ويظهر بدهياً أن البيع الذى حدث فى وثيقتنا التى نفحصها لم يكن قد تم قط (ويحتمل أنه كان فى الواقع رهناً) ؛ غير أنه لما كان هذا البيع قد ألغى أو كان على وشك الإلغاء (أو أن النقد الذى كان قد سلف مقابل رهن هذه الأرض قد رد ثانية) كانت الضريبة قد دفعت فى شهر بؤونه من العام الرابع ، ومن ثم فان (العام الرابع) شهر بؤونه يصحح فى أول الورقة الرابعة والعشرين . وبذلك نجد أن كلا من البرديتين تكمل الواحدة منهما الأخرى بطريقة مدهشة وذلك بوساطة البردية الإغريقية . والظاهر أن الضريبة كانت قد دفعت قبل فسخ العقد باثنى عشر يوماً . ومن المحتمل أنه لا يوجد مثال آخر معروف عن دفع الضريبة مؤخرة لمدة طويلة ثم تدفع بعد تأخيرها مدة أربع سنوات ؛ غير أن التفسير — الذى اقترحه الأستاذ « جرفث » هنا لحل هذه المسألة — يظهر أنه كاف .

ومما يجدر ملاحظته هنا كذلك أن الكاتب « نختمين » — الذى كتب الورقة التى نحن بصددها هنا — له بعض خاصيات فى أسلوبه تميزه عن « اسبنوتى » (Espniute) وأهمها هى أنه قد حافظ على مركز « يوباتور » من حيث القدم فى العبادة الملكية وذلك بوضعه قبل والديه الآلهين المحبين لوالدتهما أى « بطليموس السادس » وزوجه .

(١) من أوراق «شستربيتى» أى الورقة التى نتحدث عنها هنا .

عقد اعتراف بدين على سلفية من القمح والنقود من عهد «بطليموس السابع»[1] (٩ أغسطس سنة ١٢٧ ق . م)

التاريخ : السنة الثالثة والأربعون الشهر الثالث من فصل الصيف (أبيب) اليوم التاسع عشر من عهد الملك «بطليموس» الآله المحسن إبن الملك «بطليموس» والملكة «كليوباترا» زوجه الآلهين المحسنين (وفى عهد) كاهن «الإسكندر» والآلهين المخلصين والآلهين الأخوين والإلهين المحسنين ، والالهين المحبين والإلهين الظاهرين والإلهين اللذين يحبان والدتهما والآله الذى والده شريف والإلهين المحسنين ، والآلهة المحسنين ، وحاملة غنيمة النصر «لبرنيكى» المحسنة ، وكذلك الذين استقروا فى «رقودة» (= الإسكندرية)

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول حامل وطاب اللبن «لآمون جمى» (= مدينة هابو) «با - تم» بن «انس نا - خو منو» (Snachomneus) وأمه هى «ستو - توتى» (= Stotoetis) .

الطرف الثانى : للمرأة «شع - خبرى» (Sachperis) إبنة «امنحوتب» وأمه هى «تا - حبى» .

صيغة العقد :

يقول الطرف الأول للثانى : لقد طلبت إلى أربعة أرادب ونصف أردب من القمح ونصفها ٢¼ أردباً (المجموع) أربعة أرادب ونصف ثانية وبحساب سعر العملة النحاسية : ٢٤ قدتا من النحاس مقابل قدتين من

(١) راجع Sethe, Dem. Urk. Ibid. P. 205.

الفضة ٢٠٠ ، ومبلغ ٢٠٠ قطعة من الفضة تساوى ٢٠٠٠ ستاتر تساوى ٢٠٠ قطعة من الفضة ثانية ، وبسعر ٢٤ قدتا من النحاس عن كل قدتين من الفضة بما فى ذلك فائدتها ؛ وذلك باسم قطع النقود الفضية والقمح الذى أعطيته إياى . وعلى أن أرد إليك أربعة الأرادب والنصف من القمح ومائتى قطعة من النقود الفضية المذكورة أعلاه وذلك حتى عام ٤٤ الشهر الثانى من فصل الصيف (بؤونه) وتخصيصها هو : القمح فى السنة الرابعة والأربعين الشهر الرابع من فصل الشتاء (برموده) والنقود فى الشهر الثانى من فصل الصيف (بؤونه) ، على أن يكون قمحاً نقياً دون أن يكون فيه غلت (مادة غريبة) أو تبن وبمكيالك الذى تكيل به القمح وهو الذى يتمشى مع المكيال قوس ٢٩[1]. وعليك أن تحمله وعليك أن توررده إلى يد وكيلك فى بيتك «بطيبة» دون مصاريف أو أجور نقل أو أى شىء آخر فى العالم حتى عام ٤٤ الشهر الرابع من فصل الشتاء شهر برموده . والنقود حتى الشهر الثانى من فصل الصيف (بؤونه) . والنقود أو القمح الذى لا أورده من ذلك فى ميعادى الدفع المحددين المذكورين أعلاه ، فانه يحتم على أن أورد القمح فى صورة مبلغ ٣٠٠ قطعة من الفضة عن كل أردب من القمح أى ١٥٠٠ ستاتر أى ٣٠٠ قطعة من الفضة ثانية — بسعر كل ٢٤ قطعة من النحاس مقابل قدتين من الفضة — عن كل أردب من القمح . والنقود مع كل قطعة من الفضة خمس قدات لكل قطعة من الفضة فى الشهر الذى يجب فيه الدفع قهراً وبدون تأخير . ولن يكون فى استطاعتى أن أعطيك ميقاتاً آخر فيما يخص ذلك بعد اليوم المحدد المذكور أعلاه . ولن يكون فى قدرتى أن أقول

(١) وهذا مكيال متفق عليه كما هى الحال فى كثير من القرى المصرية الآن إذ توجد كيلة يتفق عليها بين أهل القرية وهى فى العادة كيلة وافية .

إنى أعطيتك قمحاً ونقدا من جديد أو أى شىء آخر فى العالم دون وثيقة دفع تثبت ذلك (. وتقول المرأة تشنباون (T. Se-n-ps-wn) ابنة « با ـ ون » وأمها هى « تشن ـ موت » : إنى ضامنة أن أدفع بدلا من « با ـ تم » ابن « انسن ـ نا ـ خو ـ منو » (Snuchomneus) ما هو مذكور أعلاه فيما يتعلق بالأربعة والنصف أرادب قمح والمايتى قطعة من النقد الفضة ثانية وميعادها المحدد المذكور أعلاه على حسب كل كلمة أعلاه . وإذا لم يردها إليك فانى أعطيها إياك فى الميعاد المعلوم أعلاه وعلى حسب كل كلمة أعلاه . وإنك تطالب الشخصين (الضامنين) ؛ وحق المستند أعلاه هو حق لك علينا وعلى أطفالنا . ولك أن تقاضى أو تطلب من أى منا نحن الاثنين من تحب بأن يفعل على حسب كل كلمة أعلاه .

ولكن عند ما تحب أن تطالبنا نحن الاثنين ، فان لك أن تفعل ذلك أيضاً . ووكيلك هو الذى يأخذ قهراً فيما يتعلق بكل الأشياء التى تحدثت معنا عنها باسم كل الأشياء المذكورة أعلاه . وإنى (؟) سأفعلها لك على حسب أمرك فى كل وقت دون أية مشادة .

كتب (هذا) « انس ـ مين » (Zminis) بن « با ـ باس » وهو الذى يكتب باسم كاهن « آمون » ملك الآلهة والالهين الأخوين والآلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما ، والإلهين الظاهرين والآلهين اللذين يحبان أمهما . والإله الذى والده شريف والالهة المحسنين ، التابعين لطائفة الكهنة الخامسة

عقد بيع قطع أرض من عهد «بطليموس السابع» عثر عليه فى «الجبلين»

التاريخ : فى السنة الثالثة والثلاثين من عهد الملك « بطليموس » الآله المحسن بن « بطليموس » و « كليوباترا » الإلهين الظاهرين والملكة « كليوباترا » أخته وزوجه الآلهين المحسنين ، وفى عهد كاهن «الإسكندر» والآلهين اللذين يطردان الشر ، والآلهين الأخوين والآلهين المحسنين والآلهين اللذين يحبان والدهما ، والإلهين الظاهرين ؛ وفى عهد حاملة غنيمة النصر « لبرنيكى » الآلهة المحسنة وفى عهد حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » المحبة لأخيها ، وفى عهد كاهنة « أرسنوى » التى تحب والدها ، وكذلك أولئك الذين يستقرون فى « رقودة » ، وأولئك الذين يستقرون فى « بوزى » (= المنشية ؟) فى مقاطعة « طيبة » ، وفى عهد كاهن « بطليموس سوتر » ، وفى عهد الملك « بطليموس » الذى يحب والده ، وفى عهد كاهن « بطليموس » الآله الظاهر الذى عمل الطيبات ، وفى عهد كاهن « بطليموس » الذى يحب أمه ، وفى عهد « بطليموس » الذى والده شريف ، والآلهين المحسنين ، وفى عهد كاهنة الملكة « كليوباترا » ، وفى عهد كاهنة « كليوباترا » الأخت ، وفى عهد كاهنة « كليوباترا » الأم الآلهة الظاهرة ، وفى عهد الكاهنة حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » المحبة لأخيها .

الطرفان المتعاقدان :

الطرف الأول : يقول الكاهن خادم الآله « ورم » والكاهن «سم» (= كاهن «حتحور» وكاهن «سبك» على التوالى) . وكاهن القرين (كا) للآلهين المحسنين وللآلهين اللذين يحبان والدهما وللإلهين الظاهرين ، وللإله الذى يحب أمه ، والذى والده شريف وللإلهين المحسنين المسمى « باتوس » بن « حرسئيسى » ، والمرأة التى تتسلم مرتباً المسماة « تامنوس » .

الطرف الثانى : لكاهن « حتحور » سيدة «الجبلين» « بسننزيس » (Psennesis) وابن « بسنتوتيس » (Psenthotes) وأمه هى « تاتوس » .

نص العقد :

لقد جعلت قلبى يوافق على ثمن الأرض التى مساحتها اثنتى عشرة ذراعاً (قصبة) = ١٢٠ ذراعاً مختومة = ١٢ ذراعاً أرضا (= قصبات) ثانية . وتقع فى قطع فى أرضى الصالحة للبناء فى الحى الجنوبى (أى الربع الجنوبى) من «الجبلين» وحدودها هى :

فى الجنوب الغربى : بقية أرضى الصالحة للزراعة .

فى الشمال : بيت «بسننوبيس» (Spenenupis) بن « بورتيس » (Portis)

فى الغرب : بيت « توتيس » بن « كوللوتيس » (Kolluthes)

وفى الشرق : طريق «آمون» .

تأمل : هذه هى كل حدود قطع الأرض الخاصة بكاهن «حتحور» بن « توتوبوتيس » (Totopoutis) ابن .... ويملك فيها « باتوس » بن با .... ثلثاً آخر . وعلى ذلك تملك أنت الثلث الآخر ومسطح القطعة كله هو أربع أذرع لكل قطعة وهو ما يؤلف الاثنتى عشرة قصبة أرض فى المجموع . وقد أعطيتها إياك ، وهى ملكك أى قطعة أرضك للبناء : المذكورة أعلاه وقد تسلمت ثمنها نقداً منك كاملا غير منقوص ، وقلبى منشرح لذلك . وليس لى أى شىء فى العالم أطلبه منك باسمها . وليس لأى إنسان فى العالم ولا نفسى سلطة عليها غيرك من اليوم فصاعداً . وإن الذى يأتى إليك بخصوصها باسمى أو باسم أى شخص فى العالم فانى أبعده عنك . وإنى سأظهرها لك من كل مستند ، ومن كل نزاع قضائى ، ومن كل

قانون ومن كل شيء فى العالم فى كل وقت . وكل مستنداتها ملكك ، وكذلك الأحكام القضائية فى كل مكان تكون فيه . وجميع الكتابات التى كانت قد حررت ، وكل كتابات كانت قد صدرت منى بخصوصها ، وكل كتابات يكون لى بمقتضاه حق ، فانها ملكك مع حقوقها ، وكذلك ملكك ما يجعل لى حق باسمها .

والكاهن « ورم » والكاهن « نم » وكاهن القرين (كا) التابع للالهين المحسنين و الآلهين اللذين يحبان والدهما وللآلهين الظاهرين وللآلهة الذى يحب أمه والآله الذى والده شريف وللالهين المحسنين (المسمى) « بتوزيريس » بن « حرسئيسى » وأمه « تاثزيس » (Taisis) يقول : تسلمت المستند أعلاهمن يد « باتوس » بن « حرسئيسى » والدى وقلبى موافق على ذلك . وعلى حسب ذلك استعمله فى كل وقت قهراً وبدون مماطلة وبدون رفض .

كتبه « توتورتايوس » (Tothortaios) بن نختمينيس » (Mechtminis) الذى يكتب باسم كاهن « حتحور » سيدة «الجبلين» والإلهين المحبين لوالدهما والإلهين الظاهرين والآله الذى يحب أمه والذى والده شريف والآلهين المحسنين التابع لطائفة الكهنة الخامسة .

وفى أسفل من هذا العقد كتب ملخصه بالإغريقية .

وأسماء الشهود الذين على ظهر البردية بلغ عددهم ستة عشر شاهداً .

ومضمون هذا العقد يمكن تلخيصه فيما يأتى :

هذه البردية عبارة عن عقد شراء جاء فيه أن الكاهن التابع لمعبد «الجبلين» وهو حانوتى الآلهة « حتحور » المبجلة فى هذا المكان ، واسم هذا الكاهن هو « بسنتزيس » وقد باع قطعة أرض مساحتها حوالى ٣٣٠ متراً . ولكن

الأخير. كان قد باع قطعتين أخريين مساحة كل منهما تعادل مساحة القطعة المباعة هنا فى هذا العقد ، وفى نهاية العقد نجد أن « بتوزيريس » وهو أخ البائع من أمه قد تدخل فى الموضوع بوصفه الضامن للبائع ، ومن ثم تكون شجرة نسب أفراد الأسرة كالآتى[١] :

تاثزيس + حرسئيسى + تامنوس

باتوس بتوزيريس

ومن ذلك نفهم أن « حرسئيسى » كان له زوجتان . هذا ولا نعلم إذا كانت المرأة « تامنوس » التى جاءت بهذا الاسم كانت زوجة مؤقتة فى قضية النزاع على الارث الذى جاء ذكره فى بردية ستراسبورج هى نفس المرأة التى نحن بصددها هنا . وقد تحدث عنها المؤرخ « جرادنوتز » . والواقع أن هذا الموضوع لا يزال معلقاً ، وإن كانت شواهد الأحوال تدل على أنه كانت توجد علاقة[٢] .

---

(١) راجع Rec. Trav. XXXV, P. 82-87.

(٢) راجع Gradenwitz; Eine Erbstreit aus dem Ptolemaischen Aegypten, P. 30.

نظم جمعية دينية من عهد (بطليموس السابع)
الديموطيقية عام ١٣٨ ق٠م

عثر على هذه الورقة فى «أم البريجات» من أعمال الفيوم وهى التى تسمى بالإغريقية «تبتونيس» .

وقد وجدت هذه البردية مهشمة ، ومن ثم سنجد فى الترجمة بعض الفجوات . وقد عثر على مثل هذه الوثيقة فى نفس هذا المكان فى عهد البطالمة الذين سبقوا «بطليموس السابع» .

التاريخ : فى السنة الثالثة والثلاثين الحادى عشر من شهر بؤونه من عهد الملك «بطليموس» و «كليوباترا» الإلهين المحسنين ، وهما اللذان أنجبا «بطليموس» و «كليوباترا» الإلهين الظاهرين ، وزوجه «كليوباترا» الآلهة المحسنة ؛ وفى عهد كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما ، والإلهين الظاهرين ، والآله الذى والده شريف ، والإله الذى يحب والدته ، والآلهة المحسنين ، (المسمى) «ديونيسوس» ابن «بريوس» (؟) (Berios) وعند ما كانت المرأة «بطوليما» (Ptolema) إبنة «بولينوس» (Pulinus) حاملة هدية النصر أمام «برنيكى» الآلهة المحسنة ، وعند ما كانت المرأة «ترموتى» (Trmuti) (؟) إبنة «مقنيس» (Maknis) حاملة السلة الذهبية أمام «أرسنوى» محبة أخيها ؛ وعند ما كانت المرأة «أرتما» (Artma) إبنة «سروتوس» (Srutus) كاهنة «أرسنوى» محبة والدها .

صيغة مواد النظم :

نسخة من القانون الذى وافقت عليه الطائفة السادسة فى المعبد وهم الذين وقعوا فى أسفل هذا بأسمائهم فى قسم « بولمون » من ١٥ برموده من عام ٣٣ حتى ١٢ برموده عام ٣٤ أى ثلاثة عشر شهرا + ½ (= شهر أيام النسىء) وقد تكلموا جميعاً (أى الأعضاء) : إنا نؤديه (أى القانون) عند ما نجتمع سوياً فى وليمة ، ويكون العيد والموكب قد نظم فى اليوم الذى قرر الإحتفال به فى المؤسسة ، وفيه نشرب — بصرف النظر عن العيد المبين أسفل — ونقدم القربات المحروقة والقربات السائلة للملك « بطليموس » والملكة « كليوباترا » الإلهين المحسنين اللذين أنجبا « بطليموس » و « كليوباترا » الإلهين الظاهرين وللملكة « كليوباترا » زوجه الإلهة المحسنة وللآلهة « أزيس » و « أوزير » و « فرع » ولأجل آلهة مصر وآلهاتها وللإله « سبك » صاحب « تبتونيس » وللآلهة « سبك » فنحن ندفنها ونحن نرافقها حتى مدافنها ، ونحن ندفع خمسة دبنات فضة عن كل فرد منا ، ونحن نشرب فى « تبتنيس » فى اليوم الثانى والعشرين من شهر بابه وفى ١٤ برموده . ونحن نشرب فى « ترموتيس » (= مكان الآلهة « رينوتت » ربة الحصاد) وفى الرابع والعشرين من شهر بشنس فى موكب الإله « سوكونوبيس » (؟) ونشرب فى . . . التاسع وفى الخامس من شهر طوبه ونشرب فى « ترموتيس » فى العاشر من شهر توت فى المواقيت المبينة أعلاه قهراً وبدون تأخير . وإن الذى منا لم يأت لأجل أن يشرب معنا والذى يعصى . . . الذى نحن . . . ، ونحن ندفع نقود وظيفتنا ونقود خدماتنا إلى يد المشرف على المؤسسة . وإن الذى لم يذهب منا إلى بيته فانه يجب عليه أن يذهب إليه ليحضر ضماناً للنقد المذكور . وإذا حاول

من هذه الناحية أن يرشى أحداً فان غرامته تكون ٣٠٠ دبن من الفضة ويجب أن يشدد عليه بألا يقصر فيما بعد فى واجبه . ونحن نبنى مجتمعاً ونعطى سوياً نصيبنا فى ٢ . . . وخمس سلات ، ونحن نعطى خمسة « أوش » عطوراً وأكاليل وزيتاً و (دهنا) (؟) . وإن الذى منا يعلن عنه أنه لم يدفع نصيبه أو أن نصيبه لم يكن قد دفع فان غرامته تكون ١٥٠ دبن من الفضة . ويجب أن يشدد عليه أن يدفع ما عليه فى المستقبل . وعند ما يعلن واحد منا بأن يأتى أمام القضاء فعليه أن يحضر . ولكن الذى لا يحضر فان عقوبته تكون ١٥٠ دبن من الفضة . وإن الذى يتهم منا فى قضية ظلما فانه يجب علينا أن نقف بجواره جميعاً حتى يكسب قضيته .

وإن الذى منا لا يقف بجانبه فان عقوبته تكون ٣٠٠ دبن من الفضة ، وإن من يموت منا فيدفع له ١٩ (؟) دبناً لأجل دفنه . وإن من يموت من بيننا والده أو أمه أو أخوه أو أخته أو حموه أو حماته فانا نعطيه «عل»(؟) فضة له . ونحن نرافقه فى الجمعية التعاونية ، ونحن نضيف جماعة أهله الذين رافقوه على حسب أمره . وأن الذى منا قد دعى ليحضر فى البلدة المذكورة ولم يحضر فانه يجب عليه ... يدفع لكل الجماعة (؟ ؟) . وإن الذى منا يأتى لأجل أن . . أمام الإله فانا نجعله يغرم خمسة دبنات فضة . وعند ما يزور واحد منا أهل البلد فلا بد أن يأتى واحد ليرشده إليها . ونحن نجعله عدد . . . . أناسا يمشون خلفه عند ما يكون قد مضى سنة فى بلدته (الباقى مهشم) . يأتى بعد ذلك قائمة بأسماء المشتركين فى الجمعية[1] وتبرعاتهم . ويشاهد أن فى العمود الأول قد ذكر أسماء الأعضاء على حسب أهميتهم . وأمام كل واحد منهم المبلغ

(١) راجع Spiegelberg. Cat. Gen. Dem. Text. P. 60 ff. (n. 30619)

الذى دفعه . وفى العمود الثانى جاء ذكر عشرة شبان جدد ، وقد وضع أمام الأخير منهم مبلغ ٧٨ قطعة من الفضة . وقد وضع نفس هذا المبلغ أمام اسم السادس فى العمود الثالث . والظاهر أن هذا قد أضيف فيما بعد بيد كاتب آخر وهذا الإسم السادس من العمود الثالث المسمى « جلوز » (ابن) « جلوز » (Kolluthes) ابن « حور » يظهر أنه آخر الأعضاء وأصغرهم سناً . وبعده يأتى اسم فرد ليس من أعضاء الجمعية بل يعتبر الضامن . وهاك المتن الذى ذكر معه : « حار - تو » بن «ماراس» (Marres) . إنه هو الضامن فيما يخص « جلوز » بن « حور »[1] .

ومن ثم نفهم أن أعضاء هذه الجمعية كانوا ينقسمون قسمين : أعضاء لهم مكانتهم فى المجتمع ويتبرعون بمبالغ محترمة وأعضاء شبان جدد كان لا بد لقبولهم فى الجمعية من ضامن كما يفهم من المتن .

---

(١) راجع Sethe, Ibid. P. 461.

نظم جمعية دينية تعاونية (عام ١٤٨ - عام ١٤٧ ق. م) (١)

التاريخ : فى السنة الرابعة والثلاثين فى السابع من شهر كيهك من عهد الملك « بطليموس » و « كليوباترا » وهما اللذان أنجبا الإلهين الظاهرين ، وعند ما كان كاهن «الإسكندر» والإلهين المخلصين والإلهين الأخوين والإلهين المحسنين والإلهين اللذين يحبان والدهما والإلهين الظاهرين والإله الذى والده شريف والإلهين الذين يحبان والدتهما « قليكليس » (Kallickles) إبن « تيوقرتس » (Tiukrts) ، وعند ما كانت المرأة « أرنياس » إبنة « أنكسندروس» (Anxandros) حاملة هدية النصر « لبرنيكى » الآلهة المحسنة،وعند ما كانت المرأة « أسكليبايس » (Asklebais) إبنة « بطليموس » إبن« أسكليبيادس » (Asclepiades) حاملة السلة الذهبية أمام « أرسنوى » محبة أخيها ، وعند ما كانت المرأة « أبولونيا » (Apolonia) إبنة « أسوكراتيس » كاهنة « أرسنوى » محبة أخيها .

مواد القانون :

القانون الذى وافق عليه أفراد الطائفة السادسة وكهنة التمساح المقدس وهم الذين إجتمعوا أمام « سبك » والآلهة « سبك » فى وليمة فى مثوى التمساح المقدس فى مدينة «سبك» سيد «تطون» فى قسم « بولمون » فى مقاطعة « أرسنوى » وذلك عند ما قالوا : نحن نؤديه (أى القانون) من شهر توت

---

(١) راجع Spiegelberg. Ibid., P. 290 ff.

من عام ٣٤ حتى آخر يوم من شهر مسرى وفى أيام النسىء (حرفياً أيام المصابيح) أى ما مقداره سنة = ١٢ شهرا وسدس أى سنة ثانية . وقد قالوا سوياً لقد إجتمعنا (= جلسنا) سوياً فى وليمة أمام «سبك» والآلهة « سبك » فى عيد «سبك» وموكبه وفى أيام الأعياد التى وافق عليها رجال المؤسسة(= البيت) لنو لم وليمة سوياً فيها . ونحن نعطى نقودنا المقررة علينا كل شهر ، هذا خلافاً لنقود الحيوان وهى التى علينا أن ندفعها أيضاً . وندفعها فى يد المشرف على المؤسسة ، وهى المحدد دفعها كل شهر . وإن الذى منا لا يدفع النقد المقرر عليه كل شهر ، على أن يدفعه فى يد المشرف على المؤسسة كما هو مدون أعلاه فى كل شهر ، فان المشرف على المؤسسة يجب عليه أن يذهب إليه ويأخذ منه ضماناً على النقود المذكورة . ويجب أن يشدد على هذا الرجل أن يدفع غرامته وقدرها ٢٥ دبناً . ويجب أن يطالب بأن يقوم بأداء واجبه من جديد . ونحن نجمع مكيالا من النبيذ بمثابة جزية على كل منا . وإن الذى . . . . أفراد المؤسسة فى أى وقت مكيالين من النبيذ من كل واحد منا وذلك حينما يكون كل مكيال يساوى خمسة دبنات من الفضة . وينبغى أن تعطى كفالة أو ضمان من الملح ومن العطور والأكاليل والزهور والزيت والشحم مقابل نقود المؤسسة . وأن الذى منا يطلب إليه دفع نقد لأجل أيام الأعياد ولا يدفعها فان غرامته يجب أن تكون (٢٥) دبناً من الفضة . ويجب أن يطالب بأن يقوم بواجبه من جديد ، ويستثنى من أولئك المريض والسجين أو من يحارب من أجل أشياء الملك . ونحن نقدم القربات المحروقة وقربات المشروبات للملك « بطليموس » و « كليوباترا » وهما اللذان أنجبا الإلهين الظاهرين العائشين أبدياً ، وكذلك القربات المحروقة والقربات السائلة « لإزيس » و « أوزير » و « فرع » ؛ وكذلك القربات المحروقة وقربات الشرب للآله « سبك » ،

والآلهة التى فى صورة « سبك » فى العيد والموكب المذكورين أعلاه . ونحن نجر الآلهة « سبك » ونحن نرافقها حتى دفنها . وإن الذى منا لا يخرج لجر الآلهة « سبك » وكذلك الذى لا يتبعها حتى دفنها ؛ فان غرامته تكون ٢٠+س دبناً من الفضة . وهذه الغرامة تطالب منه عدا من استثنوا ، كما هو مذكور أعلاه . وعند ما يموت واحد منا فانا نحزن عليه ، ثم نرافقه فى الجمعية التعاونية جميعاً ، ونعطيه النقود التى تقررها الجمعية من مال المشتركين ، لأجل دفنه فى قبره . وإن الذى منا لا يحزن عليه ولا يرافقه فى الجمعية ، فان غرامته تكون خمسة دبنات باستثناء الذين استثنوا أعلاه . وعند ما يموت واحد منا خارج المدينة فانا نقرر له عشرة رجال من المؤسسة ونجعلهم يسيرون خلفه ونعمل له كما هو مدون أعلاه . وإن الذى منا قد قرر أن يسير خلفه من رجال المؤسسة ولم يذهب ، فان غرامته ينبغى أن تكون عشرين دبناً من الفضة باستثناء الناس الذين ذكروا أعلاه . وفضلا عن ذلك فان من يتهم فى قضية ظلما فانا نقف بجانبه ونعطيه من مال الإشتراكات ثانية وهو الذى قرر رجال المؤسسة صرفها لتقدم إليه . ويجب أن يبقى المشرف على المؤسسة بجانبه ؛ وكذلك نعمل على جمع عشرة مكاييل من النبيذ له وأن الذى منا يصبح عدو الإله أو سجين معبد الإله يجب أن يبقى المشرف على المؤسسة بجانبه ، ونحن نجمع له خمسة مكاييل من النبيذ .

وإن الذى منا يموت والده أو أمه أو أخوه أو أخته أو إبنه أو ابنته أو حموه أو حماته أو زوجه ، فعلينا أن نحزن عليه ونعمل له كما هو مدون أعلاه . وإن الذى منا يموت إبنه وهو صغير جداً فعلينا أن نشرب معه جعة ونشرح صدره .

وإن الذى منا يعلنه واحد منا أمام قائد أو حاكم قبل أن يعلن بذلك لرجال المؤسسة فان غرامته يجب أن تكون خمسين دبناً ، ولكن إذا أعلنه بعد أن يكون قد طبق القانون . وفى هذه الحالة يكون قد نفذه فيمن إتهمه فان غرامته تكون مائة دبن من الفضة . وإن الذى منا يلحق بواحد منا أذى أمام قائد أو حاكم فان غرامته تكون خمسين دبناً . وإن الذى منا يقول لواحد من بيننا أنك مجذوم ولم يكن مجذوماً فان غرامته تكونماية دبن . وإن الذى منا يذهب مع زوجة واحد من بيننا فان غرامته يجب أن تكون ماية دبن ويجب أن يطرد من أجل ذلك من المؤسسة . وإن الذى منا يجد واحدا منا فى الطريق .... أو يقول ليت رجلا يعطينى نقوداً لأنى فى ضيق ولا يعطيه شيئاً فان غرامته تكون خمسة وعشرين دبناً مع استثناء الناس الذين يحلفون يميناً أمام الاله «سبك» بقوله لواحد منا : لم يكن فى مقدورى أن أعطيه . وإن الذى منا يشتم واحدا من بيننا فان غرامته يجب أن تكون خمسين دبناً . وشتم الكاهن الإدارى يقدر بخمسة وسبعين دبناً ، وإذا عاد الشاتم إلى ذلك ثانية فانه يدفع ماية دبن ، وسب آخر يقدر بستين دبناً . وأن الذى يكرر ذلك يدفع ثمانين دبناً . وسب الناس العاديين يقدر بتسعين دبناً ومن كرر ذلك يدفع ١٠٠ + س دبن . وإن الواحد منا الذى يلحق بواحد منا أذى فان غرامته يجب أن تكون ماية دبن ؛ وإصابة الكاهن الإدارى تقدر بماية وعشرين دبناً . وأن من يعود لمثل ذلك ثانية فانه يدفع ماية وخمسين دبناً وإصابة زميل تقدر بثمانين دبناً وأن من يعود إلى ذلك ثانية فانه يدفع تسعين دبناً . وإصابة الرجل العادى تقدر بماية دبن وإن الذى يعود إلى ذلك ثانية يدفع ١٠٨ (؟) دبناً . وإن الذى منا يسب المشرف على المؤسسة وكان يريد أن يقرب يده منه (أى أراد أن يرشيه) فان غرامته يجب أن تكون خمسين

دبناً ويجب أن يطلب إليه بأن يعمل فى المستقبل واجبه . والمشرف على المؤسسة هو الذى ينظم كل كلمة تكلمها معنا أى كل كلمة ذكرت أعلاه . ونحن على إستعداد لعملها على حسب أمره قهراً وبدون تأخير .

يأتى بعد ذلك أسماء أعضاء الجمعية وأمام كل فرد المبلغ الذى دفعه بمثابة إشتراك .

ثورة المصريين على الحكم البطلمي - أسبابها ونتائجها

حالة البلاد قبل قيام الثورة :

قامت فى مصر فى أواخر عهد الملك « بطليموس الرابع » ثورة عارمة . وهذه الثورة كانت ترمى إلى القضاء على الحكم الأجنبي الغاشم الذى ظل يرزح تحت عبئه الشعب المصرى الأصيل ، لما كان يلاقيه من مذلة وهوان وفقر وحرمان على أيدي المستعمرين بوجه عام . ولا غرابة فى ذلك فقد كانت سياسة ملوك البطالمة منذ أن وطئت أقدامهم أرض الكنانة هى استغلال أرض مصر وأهلها بكل الطرق والوسائل مهما كانت ظالمة مجحفة بأهل البلاد . . وذلك فى حين أن المستعمرين الذين جاءوا فى ركاب ملوك البطالمة من إغريق ومقدونيين وجنود مرتزقة كانوا أصحاب امتيازات خاصة يتمتعون بها على حساب الشعب المصرى المغلوب على أمره . ولقد شعر الشعب المصرى منذ بداية الحكم البطلمى بالامتيازات الهائلة التى كان يتمتع بها المقدونيون والإغريق من حيث المعاملة فى كل مرافق الحياة ؛ فكان المستعمر هو السيد فى كل شيء . وآية ذلك أن كل الوظائف الرئيسية كانت فى يد الأجانب المستعمرين كما كانت التجارة الرابحة فى أيديهم ، والمزارع المثمرة هم ملاكها ، والمساكن الفاخرة هم سكانها . وبلاط الملك يتألف من بينهم والجيش يتألف منهم وسفراء مصر فى البلاد الأجنبية ينتخبون من بين صفوفهم وذلك فى حين نجد أن أحقر الأعمال التى كانت تحتاج إلى الكد والكدح كان يقوم بها المصريون بل ويجبرون على ممارستها لكسب ما يسد أودهم . وكانت أحقر الوظائف الثانوية تسند إليهم ، ويشرف عليهم فى

تنفيذها أصحاب الوظائف العالية أسيادهم . ولم نسمع إلا نادراً أن مصريا كان يتقلد وظيفة كبيرة ، أو حتى متوسطة . وكذلك من حيث الحرف والصناعات فان الدنىء الخسيس منها كان لا يقوم بانجازه إلا المصريون . فكان ضارب الطوب مصرى ومربى الخنازير مصرى وصانع الفخار مصرى وراعى الماشية مصرى ، وهكذا . وفى أعمال الزراعة نجد أن زراعة الأرض وفلاحتها وجنى محاصيلها كان يقوم به الفلاح المصرى ، وكان يعانى من جراء ذلك مغارم ومظالم لا قبل له بها لدرجة أنه كان أحياناً يترك زراعته ويفر إلى المعبد حيث يلتجىء إلى حماه ، إذ كان المعبد هو المأوى الوحيد الذى يمكنه أن يحتمى فيه من الظلم والاضطهاد وسوء المعاملة التى كان يلاقيها على أيدى أصحاب المزارع ومن عمال الملك الذين كانوا يشددون عليه الخناق فى جمع الضرائب على كل شىء مهما كان تافهاً ، بل على غير المعقول منها . ولا أدل على ذلك من أنه — كما قيل — كانت هناك ضريبة على من كان يتمتع بالهواء الطلق فى فصل الصيف عند ما تشتد حرارة الجو فوق أسطح المنازل .

أما الضرائب التى كانت تجبى على الحرف والصناعات من المصريين فكانت مضرب الأمثال فى فداحتها لدرجة أن أصحاب هذه الحرف كانوا يضطرون أحياناً إلى تركها هرباً من فداحة الضرائب التى كانت تبتز منهم .

ولكن يتساءل الإنسان هل كان ما يقع على المصرى من ظلم واضطهاد هو لجمع المال لحكومة البطالمة وجشع المستعمرين ورغبتهم فى الثراء على حساب المصرى المغلوب على أمره ؟ حقاً كان هذا هو السبب الأول لذلك ؛ غير أنه كان هناك سبب آخر حدثتنا به بعض الوثائق وهو التفرقة العنصرية ، فقد جاء فى بعض أوراق « زينون » أن موظفاً تظلم من عدم دفع مرتبه وقد عزى ذلك

لأنه ليس هيلانى المنبت ، ولا يتكلم الإغريقية فيقول أنه لم يدفع له مرتبه ولم يعط نبيذاً ، بدلا من النبيذ الحلو كما يعطى الإغريق . ويحدثنا فى ذلك بالحرف الواحد : حتى لأموت من الجوع وذلك لأنى لا أتكلم الإغريقية أو بعبارة أخرى لأنى لست مثل الإغريق . ويقول : ولكنهم يحتقروننى لأنى لست إغريقياً . والمدهش أن كاتب هذه الرسالة عربى الأصل .

وعلى أية حال نجد أنه على الرغم من سيطرة المستعمرين على المصريين فانهم مع ذلك كانوا لا يشعرون دائماً بالأمان فى الريف المصرى . ولا أدل على ذلك من أن أحد كبار الموظفين الإغريق قد كتب إلى « زينون » يقول أن محصول الكروم قد بدأ ، ويطلب إليه إرسال عشرة حراس على الأقل ثم ترحيل الموجودين عنده حتى لا يحدث ما لا تحمد عقباه . هذا ولدينا جزء من رسالة من إغريق أرسلوا لحراسة الكروم وقد طلبوا إما إرسال مدد أو أن يعفوا من أعمالهم ، وذلك لأن أحد الناس قد قال لهم أن من خطل الرأى استخدام شبان مصريين . ونقرأ فى وثيقة أخرى أنه من جهة العلاقات مع الإدارة، كان الإغريق أحياناً حذرين من الموظفين المصريين[1] . وكانت الإدارة الإغريقية على أية حال لا تفكر — من حيث العلاقات الرسمية أو غير الرسمية — إلا فى الفوائد التى كان يمكن انتزاعها من عمل السكان المواطنين . وقد كان من نتائج هذه المعاملة التى تفرق بين الإغريقى والمصرى أن أخذ بعض المصريين يتكتلون فيما بينهم إلى أن ظهر بينهم فعلا تضامن فى مواقف معروفة وبخاصة عند مانعلم أن الشعب المصرى الأصيل لم ينس أبداً أن الإغريق وأسرة البطالمة لم يكونوا إلا أجانب ودخلاء على بلادهم ، وذلك على الرغم من

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء ١٤ ص ٦٨٣ — ٦٨٤

أنهم كانوا أحياناً يلعبون — بكل سرور — دور المحامى الكريم فانهم كانوا بوجه عام لا يفعلون ذلك إلا لأن أهل البلاد كانوا فى نظرهم قوة عاملة لا غنى عنها لقيام إمبراطوريتهم ، وأنه يجب من أجل ذلك استغلالهم بقدر المستطاع وبكل الطرق . ومن ثم نجد أنهم كانوا يحتقرونهم ، ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا يخافون شرهم وبأسهم . ولم يكن لدى المصرى فى هذا الموقف سلاح يحارب به هؤلاء الأجانب المغتصبين إلا العمل على وحدة الأسرة وتضامن الشعب ، وبخاصة طبقة الفلاحين ، وبذلك أصبح عند المصريين قوة يحاربون بها الإدارة الإغريقية بقدر ما تسمح به الأحوال . وهذا التضامن القومى كان يتمثل بوضوح فى غالب الأحيان فى المقاومة السلبية التى كانت تتجلى فى أفراد الشعب عن تدبير وروية ؛ فكانوا فى كثير من الأحيان ينالون مطالبهم على طول الخط . هذا وقد أسهبنا الحديث عن العلاقات الإغريقية والمصرية من كل الوجوه فى فصل خاص فى مصر القديمة الجزء الرابع عشر ص ٦١٢ — ٦٨٩ .

أول ثورة قامت فى عهد البطالمة :

ولقد ظل أفراد الشعب المصرى يتحملون كل مظالم البطالمة وعسفهم يعاونهم فى ذلك رجال حكومتهم وأهل اليسار منهم من الإغريق والمقدونيين بل وحتى اليهود إلى أن سنحت الفرصة التى مهدت لهم القيام بثورة كانت أولى الثورات فى مصر البطلمية التى وصلت عنها معلومات إلينا حتى الآن .وهذه الثورة وقعت فعلا فى الفترة القصيرة التى تسنم فيها البطالمة قمة مجدهم وامتداد سلطانهم إلى درجة لم يبلغها حتى فراعنة مصر العظام فى عهد الأسرة الثامنة

عشرة . ولسنا فى حاجة إلى أن نتساءل مع المؤرخين الأحداث[1] — الذين سبق أن كتبوا عن أسباب هذه الثورة — لا سيما أنهم ذهبوا فيما أتوا من أسباب قيامها كل مذهب ، فالأسباب معروفة الآن بعد فحص ما جاء فى أوراق « زينون » من وصف الحياة المصرية وما كان بين المصريين والإغريق من مواقف إقتصادية وعنصرية وهذا ما ألمحنا إليه هنا وما فصلناه فى الفصل الخاص الذى كتبناه فى الجزء الرابع عشر من هذه الموسوعة .

الثورة فى عهد بطليموس الثالث :

لقد كان الشعب المصرى مهيئاً للقيام بأى عمل يظهر فيه غضبه وعدم رضاه عن موقفه بالنسبة للملوك البطالمة والمستعمرين الذين كانوا مسلطين على المصريين من إغريق ومقدونيين . وقد أتيحت هذه الفرصة عند ما قام « بطليموس الثالث » فى السنة الأولى من حكمه — مضطراً — لمساعدة أخته « لاوديسيا » وابنها ملك « سوريا » كما فصلنا القول فى هذا الموضوع من قبل ، وكان قد تقدم فى زحفه فى إمبراطورية السليوكيين حتى وصل إلى بلاد الهند[2] على ما يظن .

وفى الفترة التى كان فيها « بطليموس إيرجيتيس الأول » غائباً عن مقر ملكه بدأت أول حركة ثورية . وقد كانت هذه الثورة بمثابة إيذان له أن الشعب المصرى ليس براض عن حكم أسرته . وكان من جراء قيام هذه

---

(١) نخص بالذكر منهم الآنسة « كليربرييو » منذ كتبت عن الثورة المصرية فى عهد البطالمة بطريقة خاصة (راجع Chronique d'Egypte (1936) PP. 522 ff.

(٢) راجع Bolyen, VIII, 50.

الثورة أن اضطر « بطليموس الثالث » إلى العودة إلى بلاده دون إتمام ما كان عازماً عليه من فتوح شاسعة . ولا نزاع فى أنه لولا شبوب نار هذه الثورة لكان فى استطاعته أن يستولى على كل الامبراطورية السليوكية . كما عبر عن ذلك المؤرخ « جوستن » ومن بعده « سانت جيروم »[1].

والظاهر أن « بطليموس الثالث » عند ما عاد إلى البلاد وهدأ الثورة أخذ يفطن إلى ما كانت تنطوى عليه نفوس الشعب المصرى من كراهية وحقد بالنسبة للبطالمة والمستعمرين معاً . وقد كان من أبرز الأسباب التى دعت إلى تذمر المصريين فداحة الضرائب وكثرة توزيع الأراضى الزراعية على أسرى الحروب[2] الاسيوية والجنود المرتزقين من الإغريق والمقدونيين الذين كانوا يفدون إلى مصر لمدد قصيرة ، غير أنهم لا يلبثوا أن يستولوا على أراض زراعية ويستغلونها لحسابهم بأيد مصرية. هذا وتحدثنا المصادر أن « بطليموس إيرجيتيس الأول » قد وقع فى أيامه قحط كاد يودى بحياة الشعب فى عهده وكان ذلك فى أول حكمه للبلاد ، ومن المحتمل أن هذا الحادث قد قضى على البقية الباقية مما عند المصريين من صبر على ما هم فيه من ضنك وضيق . وذلك على الرغم من أن هذا الملك اشترى لمصر الحبوب من الخارج لسد حاجتها وتلافياً للقحط .

ولدينا بردية عثر عليها فى « تبتنيس »[3] (= أم البرجات) يمكن ارجاع نوع كتابتها إلى النصف الثانى من القرن الثالث . فاذا نسبنا هذه البردية إلى

---

(١) راجع Justin XVII, 1, 9.

(٢) راجع Pap. Petrie II, XXIXe P, 101.

(٣) راجع P. Tebtynis 703.

عهد « بطليموس الثالث » فانه فى الإمكان أن يتخيل المرء — مما جاء فيها — حالة الاضطرابات التى كانت موجودة وقتئذ فى مصر . وهذه الوثيقة تحتوى على منشور يتحدث عن إدارة حكومية كانت قد تحولت عن مجراها الأصلى . وهذا المنشور مثله كمثل المنشورات التى كان يسير الشعب على هديها ، وذلك لأنها تشير إلى سوء تصرفات بعض الموظفين[١] مع المصريين كما تظهر لنا غرور الجامعين ؛ يضاف إلى ذلك أن هذا المنشور جاء فيه تلميحات عن تهرب الجنود من الانخراط فى سلك الجندية أو بعبارة أدق خيانة الجنود المصريين . والواقع أن هذا المنشور قد أوضح لنا رد الفعل على الحكومة المركزية فيما له علاقة بالضرر المزدوج الذى كان ينخر فى أصول نظام الإدارة المصرية . والمقصود بذلك سوء التصرف الإدارى والتراخى المنتشر بين عامة الشعب فيما يخص أداء واجباتهم نحو بلادهم . غير أن توافق ما جاء فى هذا المنشور على إثر موقعة «رفح» لا يجعل فى استطاعتنا والحالة هذه أن نقرر فيما إذا كان ينبغى علينا تأريخ هذا المنشور بأوائل حكم « بطليموس إيرجيتيس الأول » أو فى بداية حكم خلفه « بطليموس الرابع »[٢]. وعلى أية حال فان هذا المنشور يكشف لنا عن حالة الاضطرابات التى تميز بها النصف الثانى من القرن الثالث ق. م. وأخيراً إذا صدقنا ما قصه علينا العالم الروسى « ستروف »[٣] فانه من المحتمل أن قصة وحى صانع الفخار قد ألفت على ما يظن فى عهد

---

(١) راجع Ibid. 41. 40-49.

(٢) راجع هذا الموضوع فى المقدمة التى كتبها العالم « روستوفتزف » فى أول ورقة «تبتنيس» : P. Tebt. 703.

(٣) راجع Streuve, Zum Toperorakel, Raccolta Lumbroso 1905, PP. 273-281.

« بطليموس الثالث » . وهذه القصة هى عبارة عن تنبأ وضع بالديموطيقية ؛ وقد حفظت لنا منه نسخة كتبت بالإغريقية ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد . وهذا الأثر يميط لنا اللثام عن كراهية شديدة للإسكندرية تكنها قلوب الشعب المصرى للاغريق سكان هذه المدينة الواقعة على البحر ، مما يمكن أن يؤدى إلى إنفجار ثورة مصرية وطنية . وقد تساءل بعضهم فيما إذا كان هذا الكره الذى جاء ذكره فى وحى صانع الفخار ، كان المقصود به « بطليموس الثالث » وبطانته . هذا ونجد من ناحية أخرى أن ما ذكره المؤرخ « أتو »[1] من تلميحات جاءت فيما يتعلق بالحملات الباهرة والخيرات التى أغدقها هذا الملك — وهى التى تشير من بعيد إلى التماثيل المصرية التى كان قد اغتصبها الأعداء « المتمنطقين بأحزمة » — أنها ليست إلا مجرد عبارات فخار ومدح لا ترتكز على حقائق تاريخية صحيحة بل مجرد عبارات كان يتناقلها ملوك البطالمة الواحد عن الآخر وذلك على غرار ما كان يفعله الفراعنة وبخاصة فى العهود الأخيرة . وليس أدل على ذلك من قوائم الممالك التى فتحها فراعنة مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة والتى أخذ الفراعنة المتأخرون ينقلونها كأنها من عملهم وأنهم قد قاموا بهذه الفتوح كرة أخرى أو أنها من عملهم لا عمل من سبقهم .

وعلى أية حال فان الحقائق التى تشهد بوجود قلاقل واضطراب فى البلاد كانت تتجمع أسبابها وتظهر بوادرها مما لا يجعلنا نميل إلى رأى كل من المؤرخين « جوستن » و « سنت جيروم » وهما اللذان يدهشان ويستبعدان

(١) راجع W. Otto, Beitrage zur selurkidengeschicht, P. 69, No. 5.

قيام ثورة وطنية فى تلك الفترة التى كان فيها ذلك الملك المظفر — الذى فتح «آسيا» — يحيط نفسه وبلاده بهالة من الفخار الحربى الذى كان ينبغى للمصريين أن يرفعوا به رؤوسهم عالياً . وقد تحدثنا عن هذه الفتوح فى غير هذا المكان . ومهما يكن من أمر فان هذه الثورة التى كانت كل الأحوال فى البلاد مهيئة لها ، لم يكن سببها فى بادىء الأمر قاصراً على كره المصريين للمستعمرين وحسب ، بل كان كسب لقمة العيش وضيق الحال من أهم الأسباب التى دعت إلى اشتعال لهيبها .

وعلى أية حال لا نعرف على وجه التأكيد مدى انتشار الثورة فى البلاد ، ولا أمد استعارها . ولما مات الملك « بطليموس الثالث » عام ٢٢١ ق. م. لم يترك وراءه خلفاً صالحاً لتولى العرش فى فترة كانت البلاد فى حاجة إلى ملك حازم . والواقع أن ابنه « بطليموس فيلوباتور » لم يكن الملك الذى تتطلبه مصر فى هذه اللحظة ، وبخاصة عند ما نعلم أنه كان على عرش السليوكيين فتى فى مقتبل العمر ممتلئاً نشاطاً وقوة عزيمة فى حين كان على عرش مصر شاباً غراً لا يهتم قبل كل شىء إلا بالتمتع بملاذ الحياة ومباهجها . وقد وصفه لنا « بوليبيوس » بأنه كان ملكاً خاملا وفى الوقت نفسه يعرف من كل شىء طرفاً كما كان مغرماً بالبحث فى الأمور الدينية الخفية . ولم يكد ينقضى على موت « بطليموس الثالث » إلا فترة وجيزة حتى ظهرت علامات حرب أكيدة كان لا مناص من وقوعها فى مديريات «آسيا الصغرى» التابعة للامبراطورية البطليمية . وقد تحدثنا عن هذه الحروب ملياً فى غير هذا المكان .

وفى هذه الفترة كان الرجل الذى يقوم بأعباء الوزارة هو « بطليموس »

المسمى « سوسيبيوس » وكان سياسياً محنكاً . ومن ثم مد أجل المفاوضات مع « أنتيوكوس الثالث » بقدر ما وسعته الحيل . وكان فى خلال ذلك يعمل على تمرين جيش عظيم من أبناء الشعب المصرى للمرة الأولى فى تاريخ البطالمة . هذا وكانت الجنود المرتزقة تجند بأموال باهظة فى حين كان الجنود المصريون يدربون على فنون الحرب على الطريقة المقدونية[١]. غير أنه مما يؤسف له أن روح الخيانة كانت تحلق فوق رءوس الجميع ، وما لبثت أن ظهرت هذه الروح الخبيثة فى علية القوم وفى الأغريق الذين كانوا مقربين من الملك والذين كانوا فى ضيافته . وقد فطن لذلك « سوسيبيوس » فى الحال وأمر بأن يقضى عليهم سراً . هذا وقد رأينا فيما سبق أن ملك سبارتا « كليومنيس » والذى كان لائذاً ببلاط الإسكندرية بعد نفيه ، لما رأى أنه قد صدم فى آماله ولم يساعده « بطليموس » على استرجاع ملكه خرج عن عزلته وسار فى شوارع الإسكندرية ومعه فئة قليلة من أتباعه منادياً الشعب المصرى بالقيام بثورة باسم الحرية . وقد كان أشد خطراً من ذلك تلك الخيانة التى قام بها « تيودوتوس » (Theodotos) حاكم « سوريا » فقد كان من جراء ذلك خيانة الجنود وخروجهم على مصر . وذلك أن ما أحرزه هذا الحاكم من انتصارات فى بادىء الأمر على « أنتيوكوس » قد أثارت عليه حقد رجال بلاط الإسكندرية المقربين من الملك ، لدرجة أنه خاف أن يبعد عن سلطانه بل خشى أن يغتال . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان على حق .

والدليل القاطع على ذلك هو الاستعراض الذى وضعه أمامنا المؤرخ « بوليبيوس » وهو الخاص بالمنافسات التى ساقت حاكم « سوريا الجوفاء » هذا

---

(١) راجع B. L. Hist. I. Pl. 304-6.

ـ الذى نحن بصدده ـ إلى خيانة « بطليموس » مليكه فإن الإنسان يفهم منها ـ من الوجهة النفسية ـ مفعول إحدى القوى التى تعد من أعظم الأخطار التى قضت على كيان الدولة البطلمية . والمقصود من ذلك هو عادة اتباع سياسة شخصية والسير على مقتضاها عند عظماء رؤساء الإغريق سواء أكانوا موظفين أو رؤساء مرتزقين ، ولا غرابة فى ذلك فان الخيانة فى صفوف الجنود المرتزقين كانت من الأمور العادية فى الممالك الهيلانية التى كانت تستخدم هؤلاء الأجناد فى شؤونها الحربية . ولا أدل على ذلك من المواد المريبة التى نقرؤها فى العقد الذى أبرمه « يومنيس » ملك « برجام » (٢٦٣ ـ ٢٤١ ق. م) مع بعض رؤساء الجنود المرتزقين حيث نرى كيف أن هؤلاء القواد كانوا مستقلين فى تصرفاتهم وأنه بمقتضى هذه المواد كان من أسهل الأمور عندهم خيانة من كانوا فى خدمته[١] . ـ

ولم يقتصر الأمر على ذلك إذ نجد أن الحملة التى لعب فيها المصريون دور بطولة للمرة الأولى وكان لهم فيها القدح المعلى فى إحراز النصر ، كانت لحمتها وسداها تلك الخيانات على يد أولئك الأجناد الإغريق الذين وهبهم ملوك البطالمة أراض شاسعة فى أنحاء القطر مقابل خدماتهم الحربية . فقد رأيناهم فى وقت تجمع الحشود لشن الحرب على العدو ، قد أخذت غيرتهم تنطفىء وحميتهم تتزعزع وعزيمتهم تخور . فمن ذلك ما نقرأه فى بردية محفوظة الآن بمتحف « فرنكفورت » من أن هؤلاء الأجناد المرتزقين الذين كانوا يملكون أراض فى مصر وفى « سوريا » أصبحوا يفضلون البقاء فى أراضيهم الزراعية على

(١) راجع W. Dittenberger, Grientis Graeci Inscriptiones selectae. P. 266.

الذهاب إلى ساحة القتال مع العلم بأن هذا كان واجبهم الأول ، والذى من أجله جلبهم ملك مصر من بلادهم .

هذا وقد فصلنا القول فى المصادر التى يمكن الاعتماد عليها فيما يخص موقعة « رفح » الفاصلة فيما سبق .

موقعة « رفح » ونتائجها :

والواقع أن قصة هذه الواقعة قد وصلت إلينا من مصدرين رئيسيين أولهما ما رواه المؤرخ « بوليبيوس » المؤرخ البطلمى الذى كان معاصراً للملك « بطليموس الخامس » وابنه « بطليموس السادس » . وقد حدثنا عن هذه الموقعة فى كتابه الخامس ؛ والمصدر الثانى هو ما جاء فى الرواية الديموطيقية التى وردت فى مرسوم كتب بثلاث لغات وهى المصرية القديمة والديموطيقية ثم الإغريقية وهذا المرسوم أصدره مجلس « منف » الكهنى بعد انتصار المصريين فى هذه الموقعة فى ٢٢ يونيه عام ٢١٧ ق . م وقد فصلنا القول فيه فيما سبق . ومما يلفت النظر فى هذا المرسوم هو أنه على الرغم من أن الكهنة المصريين كانوا قد أصدروه كغيره من المراسيم للتمدح بمناقب الملك وما له من أياد بيضاء على الكهنة وأهل البلاد عامة ، فانه لم يفتهم هنا ذكر بعض التفاصيل التى وقعت أثناء المعركة . فمن ذلك أنه أشير فى المتن عن خيانة قام بها القواد مما يوحى إلى أنه كانت هناك فكرة القيام بعصيان فى صبيحة النصر الذى أحرزه المصريون ، مما اضطر الملك أو القائمين بالأمر إلى عقد صلح مشوه عزى المؤرخ « بوليبيوس »[1] سببه إلى رخاوة الملك وجبنه . ولسوء الحظ نجد أن متن المرسوم عند هذه النقطة غامض أو لم نصل إلى فهمه حتى

(١) راجع Polyb., V. 7, 8-9

الآن (سطر ٢٥ فى الأصل) وقد زاد الطين بلة أن كلا من المتنين الهيروغليفى والإغريقى وهو المقابل للمتن الديموطيقى قد ضاع عند هذه النقطة . ومن أجل ذلك نجهل إذا كانت الجملة الآتية وهى : « وعلى أثر خيانة القواد قد مهد ذلك « لأنتيوكوس » لأن يؤلف جيشه فى مدة سنتين وشهرين وبذلك عاد إلى مصر » يقصد بها القواد الأغريق الذين قاموا بالخيانة فى أول المناوشات[1] ، أو يقصد قيام حركة عصيان كانت قد انفجرت بين الجنود قبل نهاية المعركة ؟ وعلى أية حال فانه لا يمكن القطع فى معنى هذه الجملة الغامضة وبخاصة عند ما نعلم أن الأستاذ « سبيجلبرج » قد ترجمها بصورة مخالفة . .

ولا نزاع فى أن المصريين الذين كانوا يحاربون جنباً لجنب مع هؤلاء الإغريق والمقدونيين المأجورين قد لاحظوا ما كانت تنطوى عليه نفوسهم من خيانة وأنانية . ومن ثم كان ذلك حافزاً لهم على أن يقوموا بدورهم بالمطالبة بحقوقهم المهضومة ، تلك الحقوق التى كان ينكرها عليهم المستعمر الإغريقى والمقدونى وعلى رأسهم « بطليموس » نفسه . والواقع أن المصريين قد شعروا بعزتهم وقوتهم بعد أن برهنت الأحداث التى وقعت فى واقعة « رفح » أن النصر الذى أحرز فيها كان على أيديهم .

وتدل شواهد الأحوال على أن مطالبتهم بحقوقهم كان على أعقاب موقعة « رفح » بمدة قصيرة فقد هبوا بثورة على حكم « بطليموس الخامس » نفسه . وعلى أن « بطليموس » عند ما جند المصريين لمحاربة « أنتيوكوس الثالث » قد انتهج السبيل الذى يلائم موقفه لإخراجه من الورطة التى وجد

---

(١) راجع Gauthier — Sottas un decret trilinge. P. 57.

فيها ، غير أنه فى الوقت نفسه قد كبل نفسه من حيث المستقبل . فقد كان الشعور السائد بين الأجانب والبطالمة بوجه عام هو عدم الثقة بالمصريين الذين كانوا يستعملونهم كعبيد أرقاء فى زراعة الأرض والصناعات التى تحتاج إلى أجهاد وعناء . أما المصريون فانهم بعد خروجهم من موقعة « رفح » أخذوا يفخرون بما نالوه من نصر مؤزر ، ومن ثم بدأوا يظهرون عدم الطاعة لأولئك الأسياد الذين لولا مساعدة المصريين لهم لضاعت مصر . ومنذ هذه اللحظة أخذ المصريون يبحثون عن عظيم من أبناء جلدتهم الأماجد ليكون رئيساً لهم ، ويمكنه أن يقودهم إلى الحصول على مطالبهم . ولم يمض طويل زمن حتى حصلوا على أمنيتهم ، وإن كان بعض الأثريين يظن أن مدة البحث أخذت بعض الوقت[1]. وعلى أية حال فان قيام المصريين بثورة مضافاً إلى خيانة القواد الإغريق قد جاء ضغثاً على إبالة ، مما أدى إلى انتشار الفوضى فى كل مرافق الحياة فى مصر وبخاصة فى الوجه البحرى فى بادىء الأمر . وقد تحدثنا فيما سبق عن الأسباب التى كانت تتجمع شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى نقطة كان لا بد من أن تنفجر عندها الثورة ، ولكن إذا استعرضنا هنا ما كان يراه المؤرخ « بوليبيوس » من حقائق أدت إلى قيام هذه الثورة لوجدناها قليلة بالنسبة إلى رأينا على الرغم من أنها قد كانت كافية فى نظره .

ولا نزاع فى أنه من المبادىء الأولية لقيام ثورة فى أى بلد ، أن يكون الشعب فى غالب الأحيان قد أجمع رأيه على كراهية الحاكم الذى يسيطر على البلاد ، وكذلك بغضه لنظام الحكم الذى تسير على نهجه الحكومة . أما « بوليبيوس » فكان ينظر إلى مجريات الأمور فى التاريخ بأنها تطور فى القوى

---

(١) راجع Sottas, Revue de l'Egypte Ancienne I. P. (1924) P. 237, No. 1.

يتغير على حسب الأحوال . ومن أجل ذلك نجد هذا المؤرخ قد فسر ما كان يجرى فى مصر على أثر انتصار المصريين فى موقعة « رفح » على أنه تغير فى صلة القوة التى كانت بين الملك ورعاياه المصريين ؛ ومن ثم نلحظ أنه لم يبحث الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التى يصفها لنا . وقد أوضحنا فى المقدمة التى أوردناها فى هذا الفصل الأسباب التى أدت إلى هذه الثورة . . وعلى أية حال نعود هنا ونتساءل : هل يجب علينا أن نبحث عن أسباب هذه الثورة أو الثورات فى الانفعالات النفسية المعادية للهيلانية أو بعبارة أدق للمستعمرين بوجه عام ؟ حقاً يجب علينا قبل كل شىء أن نعلم أن الخيانات التى ارتكبها الإغريق أنفسهم فى ساحة القتال قبل الحملة ، بل ومن المحتمل عند ما دقت ساعة النصر ، هى التى كشفت لنا عن ضعف الملك وخوره بل وضعف أداة الحكم وتفككها أيضاً .

هذا ولن يفوتنا أن نذكر هنا أن الإسكندريين كانوا — كما سنرى على طول الخط طوال التاريخ البطلمى — هم الذين يحملون راية العصيان الذى كان ينتشر فى البلاد فيما بعد فى صور مختلفة وقد دلت الحوادث على أن أهالى الإسكندرية هم الذين فى أيديهم مصير ملوك البطالمة بسرعة خاطفة أكثر من سائر مصر ، وذلك لأنهم كانوا على مقربة من الملك ويعلمون بمجريات السياسة فى العاصمة ، ومن ثم كانوا على علم بالأسباب التى كانوا يعزلون بها الملك عند ما يتراءى لهم ذلك فى أى موقف من مواقف البلاد الحرجة وبخاصة فى المنازعات الأسرية . وبعد ذلك نتساءل : هل الثورة التى تنشب فى البلاد وتكون ضاربة بأعراقها فى الوطنية ونابعة من وعى مصرى مجمع عليه لا يكون من بين صفوفها كل رجال الدين فى البلاد ؟

والواقع أن الجواب على ذلك يجب أن يكون بالاثبات إذ تدل شواهد الأحوال على أن مركز الكهنة فى هذا الوقت يشير إلى وجود روح ثورية على الرغم من أننا لا نعرف ما الحالة النفسية التى كانت عليها نفوس أتباع الآله «آمون» فى تلك الفترة من تاريخ البلاد ، ومن ثم قد لا يكون من الجزم أن نعطى رأياً محايداً ؛ وذلك لأنه يجب على المؤرخ الفاحص أن يميز بعناية الفرق بين الولاء الذى كان يظهره كل من كهنة الوجه القبلى وكهنة الوجه البحرى للملك . فقد كان هوى كهنة الوجه القبلى مع الثوار فى حين أن هوى كهنة الوجه البحرى كان مع الملك ، لما كان يغدقه عليهم من هبات وأعطيات[1] مما كم أفواههم وأرضى أطماعهم . .

ومهما يكن من أمر فان مجمع الكهنة الذى عقد فى «منف» فى السنة التاسعة من حكم «بطليموس الخامس» قد أصدر القرار الذى نقش على حجر رشيد الشهير . وفى هذا المرسوم يهنىء الكهنة الملك الشاب على معاقبته للثوار الذين عكروا صفو حياة المعابد وأتلفوها . وهكذا نجد أن الثوار قد هاجموا المعابد . ولكن يتساءل المرء : هل الهجوم على المعابد هذا كان القصد منه الحاق الضرر بالمعابد نفسها ونهبها أم لأن الكهنة كانوا يظهرون ميولهم إلى الملك كما هى الحال فى كل زمان ومكان ؟ وعلى أية حال قد نجد جواباً على هذا السؤال فى الثورات التى ستأتى بعد . ويقول بعضهم أنه يكفى أنه قد ذكر هنا أن هذه الثورة لم تكن موجهة للإغريق فحسب لأنه لم يكن الكهنة ضمن صفوفها ، وذلك لأن رجال الدين فى الوجه البحرى على الأقل كانوا هدفاً لهجوم الثوار . وقد قيل أن ولاءهم «لبطليموس فيلوباتور» كان سببه

(١) راجع Otto Pirester und Tempel I, PP. 204-206, Plutarch. De Iside and Osiride 21c.

ما أسبغه عليهم من نعم . وقد جاء بيانه فى صورة جلية فى المرسوم الذى أصدره فى « منف » وهو الذى عثر عليه فى « بتوم » (تل المسخوطة الحالية) . وفى اعتقادى أن هذا ليس بالبرهان القوى ، وذلك لأنه قد توجد فى كل بلد أحزاب متناحرة متباينة فى مبادئها ، غير أنه يكون هناك فى أغلب الأحيان وفى الوقت نفسه حزب قوى له الغلبة فى نهاية الأمر وهذه كانت الحالة فى مصر .

وعلى أية حال كانت الثورة قائمة على قدم وساق . وقد كان لها رئيس كما يقول « بوليبيوس » ، غير أنه كان ينقصها الوحدة والرابطة التى تربط بين أفرادها . وكان لا بد للملك أن ينصرف عن حياة المتعة واللهو ليعلن الحرب على هؤلاء الخارجين ولكن دون أن يشتبك معهم فى موقعة منظمة أو حرب بحرية أو حصار أو أى شىء يستحق الذكر من الوجهة الحربية ، اللهم الا ما كان يرتكب من أعمال القسوة من كلا الطرفين ، هذا بالإضافة إلى إحتقار كل ما يشعر بالخلق الكريم(١) فى هذه الحروب .

يدل على ذلك ما جاء فى ورقة محفوظة الآن بمتحف برلين(٢) يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثالث تحدثنا كيف كانت تنظم مقاومة عصابة من الثوار فى حومة الوغى القاسية التى يشير إليها « بوليبيوس » . وهذه البردية هى قطعة من تقرير كان قد حرره دون أى شك ضابط شرطة وهاك ما جاء فى هذه الوثيقة : « . . . اليوم الأول من الشهر هاجم المصريون الحرس ثم كمنوا

---

(١) راجع Polyb., frag XIV, 12.

(٢) راجع Berliner, Griechiche Urkunden, (Agyptische Urk aus der Konigl. Museum zu Berlin. P. 1215.

فى المكان . وعندما أخبر الحرس بذلك جاءوا إلى قرب المكان ، وعندئذ توجه المصريون نحو بيوت المنحنى وعند ما قربوا آلتهم من بيت « نختنبس » (Nechthenibis) الذى كان يقع عند ساحة المعبد بدأوا الهجوم . ولكن لما أخذ الحرس فى هدم جزء من المتاريس عليهم تقهقروا . واعلم أن المصريين كانوا لا يحرسون القرية كما أمرناهم فى بادىء الأمر ، وذلك لأن « كالياس » (Callias) لم يحرر تقريره . . . » . وتدل الشــواهد على أن الحرب التى كانت تقوم بين الطرفين كانت عبارة عن حرب كروفر أى مهاجمة جماعة من الحرس أو حصار بيت أو حصن يأوى عصاة ، أو مهاجمة قرى محصنة بالمتاريس كما حدثنا عن ذلك « بوليبيوس »[1]. هذا ولم يستثن من ذلك بيت المصرى الخائن . والظاهر أن كل سكان القرية لم يكونوا فى جانب الثائرين كما هى الحال فى كل زمان ومكان . والسبب فى ذلك أنهم كانوا يظهرون بمظهر عدم الاكتراث والتزام السكون خوفاً مما عساه يحيق بهم من عقاب على يد الحاكم الإغريقى على ما يظهر . والمعتقد أن الثوار كانوا يأتون من القرى وذلك لأن الثورة لا تولد فى داخل البلدة ، وحقيقة الأمر أن عصابات أولئك الذين خرجوا على القانون كانوا يتخذون الصحراء ملجأ لهم ويعيشون من الغارات التى كانوا يشنونها على المناطق الآهلة بالسكان . وهؤلاء المشردون كانوا من الذين فروا من أراض كان إيجارها باهظاً لا قبل لهم به أو من قرية كانت فيها أعمال السخرة لا تحتمل أو من مصنع كان مؤجرو الملك يتطلبون من عماله مجهوداً لا يحتمله المرء . ومن ثم يمكن للإنسان أن يتصور بحق كيف أن الكثير من هؤلاء المتشردين قد انقلبوا إلى لصوص محترفين يعيشون من السلب والنهب من المناطق الآهلة بالسكان . وعلى ذلك فانه ليس لدينا أى شك فى أن المتاعب التى وصفت فى مرسومنا يمكن أن تميز

لنا منذ تلك اللحظة بأن العصيان الذى قام فى أنحاء البلاد على النحو الذى وصفناه كان موجهاً على المراكز التى كانت فيها الحياة الاجتماعية لا تزال منظمة تنظيما حسناً كالقرى والمعابد . وكان يقوم بهذا العصيان أولئك الذين كانوا قد أفلتوا من قبضة مطالب الحكومة الباهظة التى كانت قد تخطت وقتئذ حد المألوف من حيث الشدة ، ومن ثم أصبح هؤلاء الخارجون لا يؤلفون جزءاً من المجتمع الذى يسير على حسب قوانين ينفذها الأسياد المستعمرون الإغريق والمقدونيون على حسب أهوائهم ومصلحتهم ومصلحة خزانة الملك . هذا وسنحاول فيما يلى أن نتحدث بصفة عامة عن هذه الناحية من الثورة التى يظهر أنها كانت تحوم فى أفق البلاد . فنرى أنه على الرغم من أن سلطان « بطليموس » كانت تعمل على تقويض أركانه خيانات رؤساء البلاد من الإغريق والفتن التى كان يقوم بنشرها فى البلاد أهل الريف وهى التى كانت فى الوقت نفسه حرباً على المستعمر وخراباً للبلاد ، فانا نجد كذلك أن السلطة الملكية كانت معرضة لخطر هجوم عدو وافد من الجنوب وهو الذى كان منذ قيام الأسرة الآمونية فى مصر العليا واستقلالها فى طيبة تلك البلد الذى كان يحكم فيها «آمون» بوصفه ملكاً مستقلا منفصلا عن الدلتا ومن ثم كانت تقوم فى وجه كل ملك آت من الدلتا يسلب منها استقلالها ، فكانت بذلك مملكة فى وسط مملكة أخرى مستقلة أو إن شئت فقل اقطاعا مستقلا كما يقول بعضهم ، غير أن « طيبة » كانت كما سنرى المحور الذى كانت تدور فيه الثورة .

الفرعونان «حرمخيس» و«عنخمخيس» والثورة التي قاما بها على البطالمة:

لدينا عدة عقود ديموطيقية عثر عليها في الإقليم الطيبي مؤرخة بسني الملكين «حرمخيس» و «عنخمخيس». وكان أول من كشف النقاب عن هذين الملكين المصريين اللذين قاما في وجه الاستعمار الإغريقي في عهد كل من «بطليموس الرابع» و «بطليموس الخامس» وأسسا لهما ملكاً في قلب المملكة البطلمية مكث نحو عشرين عاماً، هو الأثري «ريفييو». وذلك على حسب ما جاء في عقود ديموطيقية محفوظة الآن في «لندن» ومرسليا وبرلين. وقد تبعه في هذا البحث غيره من علماء الآثار نخص بالذكر منهم الأثري «بركش»[١] و «بابيه» (Baillet). وقد وصل فعلا الأثري «ريفييو» إلى تحقيق اسمي هذين الملكين وقراءتهما قراءة صحيحة. وذلك بعد أن وقع في يديه عدة عقود ديموطيقية مؤرخة بعضها بحكم الملك «حرمخيس» وبعضها الآخر بحكم الملك «عنخمخيس». هذا وقد وضع العالم «لاكو» قائمة بالعقود التي من عهد هذين الملكين[٢]. وقد عاشا بوجه عام في حكم الملك «بطليموس الخامس إيبفانس» كما ذكرنا من قبل. وقدم لنا العالم

---

(١) راجع Revue Archeologique, 1877 Novembre; A.Z. (3e et 4e Nos. 1879; Revillout Chrestomatic Demotique LXXXVI et suiv., Brugsch. A.Z. 1878, 2e Partie P. 48, et Baillet sur le roi Hormhou; Rev. Egypt., 1re année P. 148, 2e année P. 8, 106; وعن المتون المؤرخة بعهد هذين الملكين الطيبين راجع 109. Nouvelle Christ. P. 109 et suiv., 126 et suiv.; Rev. Egyptol. 1er année, P. 121, 2e année, P. 16. See also in the number: Contract de marriage de l'an 14 d'Anchmachis. P. 148 note 7.

(٢) راجع M. Lacou, Un graffite égyptien d'Abydos écrit en lettre Grecque. Etude de Papyrologie II (1934) P. 242), No. 1.

« ريفييو » البرهان على ذلك بقوله أنه فى عام ١٨٧٩ ميلادية قدم له الأثرى « لبسيوس » عقدين جديدين من عهد الملك « حرمخيس » كان قد اشتراهما حديثاً . وحوالى نفس الوقت كان متحف « برلين » قد اشترى بردية أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها ، وهذه الورقة الأخيرة حصل منها « ريفييو » على صورة تابعة لورقتى برلين المؤرختين بالعام السادس من عهد « حرمخيس »[١] وتحمل الأولى رقم ١٤٣ والثانية رقم ١٤٤ . ونجد فى هذه الأوراق أن امرأة تدعى « تانفر » ابنة « بسيتون » قد نزلت إلى امرأة أخرى تدعى « تستمن » ابنة « باخنوميس » عن نصف السدس الذى تملكه فى ثلاثة حقول تقع فى غربى « طيبة » وقد ذكرت حدودها بعناية . والواقع أن البردية الثالثة الجديدة التى تحمل رقم ١٤٦[٢] فى متحف « برلين » تحتوىء لى ورقة واحدة وقد دون عليها عقد النقد وعقد النزول كما هى العادة فى الأوراق الديموطيقية الخاصة بعقود البيع . وفى هذه الورقة نجد أن « تستمين » تبيع ثانية بدورها نفس هذه الملكية إلى شخص آخر . وقد أرخ العقدان اللذان تحويهما هذه الورقة بالسنة السابعة من حكم الملك « عنخمخيس » . وقد وجدنا اسمه فى عقد من عهده موجود الآن بمتحف « مرسليا » . وعلى ذلك فان الترتيب التاريخى لهذين الفرعونين قد أصبح ثابتاً بصورة قاطعة ، فالفرعون « حرمخيس » هو الذى أعلن أولا فرعوناً على البلاد فى «طيبة» فى السنة الأخيرة من حكم الملك « فيلوباتور » . وخلفه « عنخمخيس » وهو الذى حارب « بطليموس الخامس إبيفانس » مدة طويلة واستمر فى محاربته حتى العام التاسع عشر من حكم الأخير . هذا ونجد أن بين العقود الديموطيقية عقداً مؤرخاً بالسنة السادسة

(١) راجع Nouvelle Chrestomathie, P. 122 ff.

(٢) راجع Chrest. P. XCVIII.

من عهد « حرمخيس » وفى عقد آخر السنة الرابعة عشرة من عهد « عنخمخيس» أى أنهما قد حكما حوالى عشرين عاماً تقريباً[1] .

وعلى أية حال كان لا بد لنا من تمهيد بكلمة هنا عن تاريخ هذين الملكين المصريين البطلين حتى يمكن الدخول فى الدور الجدى الذى قاما به للنضال عن حقوق المصريين فى وجه الحكم البطلمى الجائر . وعلى الرغم من أن هذه الثورات التى قام بها أبناء مصر كانت المعول الأساسى لهدم أركان الحكم البطلمى فى مصر والتمهيد لدخول الرومان ، فانا نجد بعض المؤرخين يقللون من أهمية الدور الذى لعبه كل من « حرمخيس » و « عنخمخيس » . ولا أدل على ذلك من أن بعض المؤرخين مثل « بفان » قد ذكر — فى كتابه عن تاريخ مصر — هذين الملكين فى جملة واحدة عارضة كأنهما ليسا بالشخصيتين اللذين يؤبه لهما . وفى ذلك يقول : إن العصابات المعادية كان يديرها رجلان اسمهما « انماخس » و « حرماخيس » ويمكن أن يكونا مصريين يطمحان إلى حمل الألقاب العليا[2]. ومن عبارة المؤرخ « بفان » تفهم أنه لم يهتم حتى بذكر اسمى هذين الملكين على حسب الترتيب التاريخى لحكمهما البلاد . غير أننا نلتمس المعاذير للمؤرخ « بفان » لأنه قال فى مقدمة كتابه أنه قد عنى فى كتابه بمصر الإغريقية أو البطلمية لا بمصر الفرعونية . أما عن جنسية هذين الملكين التى حامت حولها الشكوك فليس هناك شك فى أنهما كانا مصريين لحما ودماً لمن درس تاريخ مصر وبلاد النوبة .

استمر نضال هذين الملكين فى « طيبة » مدة تبلغ حوالى عشرين عاماً .

---

(١) راجع Rév. Egypt. II année. P. 145, ff.

(٢) راجع Bevan, Hist. P. 260.

غير أن بعض المؤرخين يتشكك فى أنهما كانا مسيطرين طوال هذه المدة على «طيبة» وإقليمها. فمن ذلك أن المؤرخ « بوشيه لكلرك » يقول : أنه ضرب من المبالغة أن يتحدث المرء عن « طيبة » المستقلة[1]. ولكن من جهة أخرى نجد أن المؤرخ « كرول »[2]ينظر إلى هذين الملكين بأنهما كانا نوبيين وأن غزوهما «لطيبة» كان آخر هجمة قام بها السودانيون لحكم مصر. غير أنه ليس لدينا — على أية حال — براهين تثبت أن البطالمة كان لهم سلطان على إقليم « طيبة » فى تلك الفترة . والواقع أنه ليس لدينا حتى الآن أية وثيقة يمكن أن تعزى بصورة أكيدة إلى عهد الملك « فيلوباتور » وتحمل رقما بعد العام السادس عشر من حكم هذا الملك فى هذا الإقليم . وخلاصة القول أن «طيبة» قد خرجت عن نطاق الحكم البطلمى وأنه لم يجب منها ضرائب للبطالمة . إذ فى الواقع ليس لدينا وثيقة واحدة تثبت أن ملوك البطالمة كانوا يجبون ضرائب من إقليم « منف » . وأظن أن فى هذا ما فيه الكفاية للرد على كل أولئك المؤرخين الذين كانوا يظنون أن هذه الثورة كانت مجرد عصيان وأن «طيبة» وملوكها المصريين لم يكونوا مستقلين فيها[3]. هذا ونعلم أنه فى العام السادس عشر من حكم « بطليموس الخامس » (٢٠٦ ق. م) على وجه التأكيد، أن أعمال البناء كانت قد أوقفت فى معبد « ادفو » ، وذلك من جراء انفجار ثورة ؛ وقد احتمت عصابة الثوار فى داخل المعبد فى حين كان القتال كذلك

---

(١) راجع B.L. Hist. I. P. 365, No. 2.

(٢) راجع Studien zur Geschicte der Alten Egypten, II, 3 Sitzungberichte der Wiener Akad, 1884, P. 369.

(٣) راجع Chronique d'Egypte (1936), P. 531-532.

دائرا فى جنوب البلاد(١). وعلى أية حال فان المطلع على تاريخ مصر يعرف جيداً أن إقليم الجنوب وبخاصة إقليم «طيبة» الذى أقيمت فيه المملكة المستقلة، كان دائماً موطن القلاقل المستمرة فى العهد المتأخر من العصر الفرعونى وبخاصة الفراعنة الضعفاء منذ الأسرة التاسعة عشرة . وكان « فيلوباتور » البطلمى ملكاً ضعيفاً نشأ فى عهده حزب مصرى يطالب باستقلال البلاد وإعادتها إلى ملوك تناسلوا من الفراعنة ، وأعتقد إذن أن النوبيين لم يكن لهم وقتئذ ضلع يذكر فى هذه النهضة المصرية البحتة .

وعلى أية حال فانه على أثر موت « فيلوباتور » نجد فى واقع الأمر أن هذه الثورة الوطنية قد تطورت إلى أوجه ثلاثة . يرجع السبب فى قيامها إلى ضعف إرادة الملك وسوء الحالة الاجتماعية والاقتصادية والشقاق الدينى الذى كان متفشياً فى البلاد ؛ وأخيراً عدم الاستقرار السياسى فى داخل البلاد وخارجها .

ففى الإسكندرية الثائرة من جراء قتل « أرسنوى الثالثة » أطاحت الثورة بحياة « أجاتوكليس » وبطانته كما فصلنا القول فى ذلك ، وقد كان فى ذلك شاهد عدل على تعلق الشعب الإسكندرى بالملك « بطليموس الخامس » الطفل الذى لم يكن قد دنس بعد ؛ غير أن هذه الثورة تكشف فى الوقت نفسه عن الشهوات التى كانت تعرض النفوذ الملكى للمخاطر . وقد تحدثنا كيف كان « بطليموس الخامس » لعبة فى أيدى الأوصياء الذين أقيموا عليه ، وكيف أنهم فى نهاية الأمر أفسدوا أخلاقه وعرضوا البلاد للخطر .

وفى ريف البلاد نجد أن الفلاحين الذين كانوا قد سئموا نظام الحكم الذى كان غرضه الأول ابتزاز كل ما كان يمكن ابتزازه منهم وافقارهم بكل

(١) راجع Dumichen. A.Z. (1870), P. 3 and PP. 8-9; Pl. II, P. 23-25.

الوسائل بجمع المال للخزانة على يد رجال الإدارة ، قد قاموا بهجوم عارم فى كل مكان على كل ما يمثل الثراء والسلطان والقوة الغاشمة دون أى تمييز ، فهاجموا القرى والمعابد ومخافر الشرطة والموظفين الإغريق .

وفى إقليم « طيبة » نجد أن الثورة قد تمركزت وظهرت بأجلى معانيها . ففى مدينة « طيبة » نجد أن الآله «آمون» يستقبل النوبيين كما حدث ذلك كثيراً جداً وبخاصة فى عهد « بيعنخى » ، وذلك كراهية منه لنظام الإقطاع القديم الذى يقوم على مناهضة ملك ظن أنه قوى ويشعر أنه مزعزع السلطات فى الوقت نفسه . ومن ثم نرى فى المظهرين الأخيرين من مظاهر الثورة ، وأعنى بهما ثورة الفلاحين وأصحاب الحرف ، وثورة أتباع «آمون» كانت تصبغهما صبغة كراهية الهيلانيين . والواقع أن هذين المظهرين قد صادفناهما فى جميع تاريخ الدولة الحديثة فى عهد مصر الفرعونية فقد لاحظنا قيام العمال بالاضرابات فى جبانة « طيبة » وذلك لعدم دفع أجورهم أو لضآلة هذه الأجور فى الوقت الذى كانت الأسرة المالكة فى حالة فقر كما حدث ذلك فى جبانة « طيبة » الغربية فى عهد الملك « رعمسيس » الثالث(١).

أما كهنة «آمون» فنعلم أنهم قد انشقوا على حكم الفراعنة فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين وقد مهدوا لذلك بالثورة التى قاموا بها فى عهد الملك « رعمسيس التاسع » كما فصلنا القول فى ذلك (مصر القديمة الجزء الثامن ص ٣١٨ — ٣٢٠) ولا نزاع فى أن المظاهر الثلاثة التى تقمصتها الثورة فى مصر كانت تعمل جنباً لجنب على هدم سلطان البطالمة فى مصر ، وهذه

---

(١) راجع Journal of Near Eastern Studies, vol. X. No. 3 July 1951, P. 187.

المظاهر هى التى أدت إلى ضعف مصر فى الخارج أيضاً ، وسببت ضياع امبراطوريتها على كر السنين ، وبخاصة تدخل النفوذ الرومانى الذى كان آخذاً فى التزايد بصورة تلفت الأنظار .

فبعد أن قضى فى الإسكندرية على الفئة الضالة التى كانت مقربة « لبطليموس الرابع » قضاء شاملا نجد أن المربين أو الأوصياء الذين نصبوا على التوالى لتنشئة « بطليموس الخامس » الطفل قد كانوا مراقبين من قبل مجلس الشيوخ الرومانى الذى فرض نفسه على مراقبة أحوال مصر . وقد رأينا كيف أن هؤلاء الأوصياء قد هوى الواحد منهم تلو الآخر بسبب الدسائس التى كانت تحاك لهم من نفس أفراد بطانة الملك وحاشيته . وقد كانت لكل من هؤلاء الأوصياء عيوب ونقائص قضت فى النهاية عليه . ولا أدل على ذلك من المصير الذى لاقاه « تليبوليموس » الذى اشتهر بجمع المال ومعاقرة الخمر ، ثم خلفه « سكوبوس » الأتولى الذى أفلس الخزانة الملكية . ولا نزاع فى أن هذين الوصيين قد مهدا لهزيمة « بانيون » مما كان سبباً فى تمهيد الأحوال للأحزاب الثائرة فى البلاد للقيام بأعمال التخريب ، فزاد ذلك فى تعقيد الأمور . وقد فصلنا القول فى ذلك فى مكانه . هذا وفى الوقت الذى نجد فيه فى الإسكندرية أن الإغريق يمزقون أوصال مملكة البطالمة التى كانت قد أصابها الهزال والضعف تحت ستار أنهم يقومون بخدمتها ، إذ وصلت بهم الجرأة إلى أنهم باعوا — فى المديريات الأسيوية التابعة لمصر — مدينة كان البطالمة قد فتحوها وأصبحت ضمن أملاكهم . وأعنى بذلك بيع مدينة « كونوس » لأهل « رودس » وذلك مقابل مائتى تالنتا[١] ، وفى نفس الوقت نجد أن

(١) راجع Polyb., XXXI, 7, 6.

ضباطاً من المصريين من الحرس الملكى يقدمون الولاء والطاعة للملك الصبى[1] .

وفى هذه الأثناء نجد فى الوقت نفسه أن الخارجين الذين كانوا يتحرشون بالجنود الموالين « لبطليموس » يتجمعون فى بعض الأماكن حيث كانت تنظم حصارات منظمة ؛ ومن الجائز أن إحدى هذه الأماكن المحاصرة هى بلدة « العرابة المدفونة » التى إن صح ما قاله كل من الأثريين « بردريزيه » (Perdrizet) و « لفبر » Lefebvre ؛ وذلك على حسب ما جاء فى نقش دونه جندى على جدار « ممنونيون » (Memnonion) فى «طيبة» الغربية جاء فيه : إنى « فيلوكليس » (Philocles) ابن« هيروكليس » (Hierocles) من « ترزين » (Trezene) لقد أتيت لأعبد «سرابيس» أثناء حصار مدينة «أبيدوس» (العرابة المدفونة) السنة السادسة الثامن والعشرون من شهر بؤونه . ولدينا كذلك نقش مصرى آخر كشف عنه الأثرى « لاكو »[2]وقد يجوز أنه من نفس العصر الذى نتحدث عنه وهو للملك يدعى « هورجونافور » (Hurgonaphor) ويحمل نفس الألقاب الملكية التى كان يحملها الملكان « حرمخيس » و « عنخمخيس » سالفا الذكر ، وهذا النقش دونه نوبى كان يتحرق شوقاً ليكتبه بأحرف إغريقية فى نفس المعبد . وقد عزى الأثرى « جوجيه » هذا النقش السالف الذكر إلى عهد الملك « فيلومتور » وحصار

---

(١) راجع Strack, Inschriften aus Ptolemaischer Zeit, Archiv. fur Papyrusforschung, II (1903) P. 548, No. 27.

(٢) راجع Lacau, Un graffito d'Abydos écrit en lettres Grecques, Etudes de Papyrologie II (1934) PP. 229-246.

« العرابة » ؛ وأن الملك الجديد النوبى السالف قد عاش فى عهده . ومهما يكن من أمر فانه كانت هناك حرب دائرة رحاها فى مصر العليا فى بداية حكم الملك « بطليموس الخامس إبيفانس » . ولا أدل على ذلك من الإشارة التى لمح بها « شتراك »[1] يذكر فيها بالخدمات التى قام بها والده فى هذا العهد . وعلى أية حال ليس لدينا من البراهين ما يثبت أحد الرأيين .

ومن جهة أخرى لدينا حصار معروف تماماً كان قد أقيم حول مدينة « ليكوبوليس » من أعمال الدلتا ويرجع تاريخه إلى العام الثامن من عهد الملك « بطليموس الخامس » . ذكر لنا هذا الحصار المؤرخ « بوليبيوس »[2]. وقد جاء ذكر نفس هذا الحصار فى مرسوم « حجر رشيد » . ومما تجدر الإشارة إليه هنا بصورة خاصة أن الرواية المصرية قد دونت بصورة تنم عن حيوية أكثر وتفصيل أمتع إذا ما قرنت بالرواية التى جاءت فى « بوليبيوس » عن نفس الحادث . وعلى ذلك فإنه من خطل القول والتحيز البين أن نحكم جزافاً دون درس وفحص بأن قصص الانتصارات التى وردت فى المراسيم واللوحات الهيروغليفية قد ألفت بصورة واحدة تقليدية . ولا أدل على كذب هذا الاعتقاد مما جاء فى المتن التالى : « لقد سار الملك شطر « ليكوبوليس » وهى من أعمال مقاطعة « بوصير » وهى التى كان قد إستولى عليها وحصنت ، بغية حصار ، بمستودعات عظيمة من السلاح وكل أنواع المؤن والذخائر . وقد كانت روح الثورة متغلغلةمنذ أمد بعيد بين الكفرة الملحدين الذين كانوا قد تجمعوا هناك ، وأحدثوا أضراراً جمة فى معابد مصر وسكانها . وقد أحكم

(١) راجع P. Turin., I, col. V, 1. 26.

(٢) راجع Polyb., XXI, 19 (Ed. Didot).

الملك ،حصر، وأحاط المدينة بسدود وخنادق كما أقام جدراناً عدة ، وكذلك طم الترع التي كانت توصل الماء إلى هذه المدينة المذكورة . ولم يعمل قبل ذلك أبداً الملوك شيئاً مثل هذا ، ومن أجل ذلك أنفق أموالا كثيرة . هذا إلى أنه أصدر أوامر للجنود المشاة والفرسان بحراسة هذه الجسور وأن يتأكدوا من متانتها لمقاومة فيضان النيل الذي كان قد تجاوز في العام الثامن (من حكمه) مستوى الترع المذكورة وهي التي كانت تحمل المياه لحقول عدة تقع في مستوى أسفل منها . وفي مدة قصيرة استولى على المدينة عنوة وذبح كل الكفرة الملحدين الذين كانوا في داخلها كما قضى « هرميس » (تحوت) و « حور » بن « أزيس » و « أوزير » فيما مضى في نفس المكان على الثوار » . ومما تجدر ملاحظته أن العصاة الثائرين هنا قد أطلق عليهم لقب الكفرة وأن الكهنة كانوا يدعون موالين للملك . وكذلك نجد في نهاية هذا المتن أن العمل الذي قام به الملك وهو انتصاره ، قد شبه بانتصار عظيم مماثل قام به الآلهة ولا نزاع في أن الكهنة عند ما كتبوا هذه المقارنة كانوا يرجعون في ذلك إلى أصل تاريخ قديم ، فالملك « بطليموس الخامس » هنا هو « حور » العائش الذي نعرف مثيله في التاريخ المصري القديم منذ عهد بداية تاريخ مصر من لوحة « نعرمر » الذي مثل عليها الملك في صورة صقر وهو يقهر أعداءه في الوجه البحري ، ومن ذلك يجب علينا أن نفهم تماماً أن كهنة مصر في عهد البطالمة عند ما نقشوا هذه المراسيم في « منف » كانوا على علم تام بتاريخ بلادهم الذي توارثوه أباً عن جد ، وأنهم لم يدونوا كلمات خالية من المعنى . وعلى حسب ذلك فان هذه الثورات التي كانت مستقرة في البلاد تذكرنا بالثورات التي كانت تقوم في البلاد في أقدم العهود في مصر ، وأن الآلهة الذين كانوا يعتبرون أول فراعنة حكموا مصر قد سيطروا عليها وأخضعوها .

وعلى ذلك فان هذه الثورات كانت موجهة لمقاومة ملك مصر على حسب رأى الكهنة ، غير أن « بوليبيوس » المؤرخ المعاصر لهذه الثورات كان يرى فيها أنها حركة عدائية قامت على الإغريق المستعمرين . وفى إعتقادى أن « بوليبيوس » كان على صواب عند ما عبر عن هذه الثورة بهذه الصورة إذ الواقع أن الملك كان قد ترك مقاليد الأمور فى يد مواطنيه من الإغريق والمقدونيين كما فعل أسلافه من قبل فطغوا وتجبروا وابتزوا الأموال من الأهالى المعوزين مما أدى إلى قيام الثورات فى كل أنحاء البلاد بعد أن طفح الكيل ولم يصبح أمام الأهالى مخرجاً غير العصيان على سلطات الملك نفسه الذى كان فى نظرهم بمثابة إله . وقد زاد الطين بلة أن هذا الملك كغيره من ملوك البطالمة لم يشرك المصريين أهل البلاد فى إدارة شؤونها بل كان كل شىء فى يد المستعمرين ومن هنا كان التمييز العنصرى الذى احفظ الشعب المصرى على الإغريق والمقدونيين .

غير أننا عندما نفحص طبيعة الاعفاءات الملكية التى وردت فى مرسوم رشيد يمكن أن نقرأ فيها الغرض الذى كان يرمى إليه الشعب وهو ... حالتهم المادية وأنهم لم يكونوا يبغون أكثر من ذلك . هذا هو تصوير الكهنة لمجريات الأحوال بما يتفق مع أطماعهم . والواقع أن ما عبر عنه « بوليبيوس »[1] من طموح المصريين إلى ما هو أغلى وأثمن من ذلك وأعنى الحرية واستقلال وطرد المستعمر — كان صحيحاً — ولا غرابة فى ذلك فان المصرى طوال مدة تاريخه لم يخضع لذل الاستعمار إلا عند ما تضيق فى وجهه السبل ، ثم نجده يفرج عن نفسه بالثورات حتى ينال حريته فى النهاية .

---

(١) راجع Polyb., V, 107, 1.

وعلى أية حال نجد أن موقف « بطليموس الخامس » فى هذه الفترة التى كان فيها سلطانه فى أيدى خليط من الفئات من الملتفين حوله والذين كانوا يعملون على هدمه ، يعتبر أعجوبة لحفظ التوازن فى البلاد . فتخفيف الضرائب من ناحية عن كاهل الشعب يبرهن على أن الثورة قد ساعدت على استرداد الشعب بعض المطالب ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية التى من أجلها قام بثورته ، ومن ناحية أخرى نجد أن الهبات والامتيازات التى منحها الملك للكهنة ، وهى التى قد أصابت الاحتكارات الحكومية فى الصميم ، تبرهن على أن الكهنة الذين لم يكونوا فى جانب الثوار قد فازوا بنصيب الأسد على حساب الثوار وعلى حساب الملك نفسه من الوجهة الاقتصادية .

ومع ذلك فان محاولة الوصول إلى وفاق بين الشعب والملك بما جاء فى مرسوم مجلس « منف » لم يأت بنتيجة إيجابية . ويتساءل الإنسان عن سبب فشل هذه المحاولة : هل كان هذا الفشل سببه أن ما منحه الملك من إعفاءات وهبات غير كاف فى نظر الشعب الثائر أو هل كانت هذه المنح كما حدث غالباً فى العهد البطلمى مجرد حبر على ورق فى نظر الموظفين الإغريق الذين كلفوا بتطبيقها ؟ . الواقع أن الثورة لم تكن ترمى إلى الحصول على حقوق اقتصادية وحسب بل كان لها غرض أسمى وهو الاستقلال والقضاء على فئة الحكام الإغريق الذين كانوا يتصرفون فى مصائرهم . ومن أجل ذلك لم يرض الشعب المصرى بأنصاف الحلول التى — مع ذلك — كان تنفيذها فى أيد أجنبية . أما الكهنة فقد أخذوا نصيبهم ورضوا به على حساب الشعب المغلوب . وعلى ذلك نجد أن الثورات والفتن والاضطرابات قد استمرت وعلى رأسها ملك مصرى شرعى اعترف به المصريون وهو

« عنخمخيس » فى الوجه القبلى وقد ظل هذا الملك المقدام فى نضاله إلى أن غلب على أمره . هذا ولدينا رواية ديموطيقية لمرسوم إعفاء حفر على جدران معبد الفيلة وقد فسر لنا مضمونه الأستاذ « زيته »[1] على الرغم مما فيه من صعوبات لغوية ومحو — بصورة رائعة تدعو إلى الإعجاب . ونعلم من هذا المرسوم أنه فى العام التاسع عشر من عهد الملك « بطليموس إبيفانس » أن رئيساً — ظل اسمه غامضاً لدينا — قد أسر الملك « عنخمخيس » حياً ومعه جنوده الأثيوبيون . وقد وصف المرسوم البطلمى هذا الملك بأنه شرير وكافر ؛ وليس ذلك بغريب ، فان هذا ، كان الوصف الذى يوصف به الأعداء دائماً . وكذلك قيل عنه أنه كان يجمع الضرائب فى « طيبة » ، مما يدل على أنه كان مسيطراً على إقليم « طيبة » فى هذه الفترة .

وتدل شواهد الأحوال كما يقول الأستاذ « زيته » الذى حلل المرسوم من الوجهة اللغوية تحليلا دقيقاً ، أن الدقة النحوية فى اللغة المصرية القديمة قد أكسبت هذا المرسوم قيمة تاريخية إذ يقول : إذا كان اسم الملك « عنخمخيس » قد خصص بعلامة تدل على أنه أجنبى ، فان المخصص الذى وضع بعد اسم الجيش الملكى هو مخصص يدل على أنه أجنبى أيضاً . وفى إعتقادى أن هذا المخصص الدال على أن الملك « عنخمخيس » أجنبى الأصل هو من صنع الكهنة وقد عمل إرضاء للملك وبطانته . والأمر الذى لا مراء فيه هو أن « عنخمخيس » مصرى قح .

وهذا النصر الذى أحرزه « بطليموس الخامس » فى السنة التاسعة عشرة

(١) راجع K. Sethe, Die historische Bedeuting des 2 Philadekrets aus der zeit des Ptolemaios Epiphanes, A. Z. (1917), PP. 35-49.

من حكمه قد دون على جدران معبد « ادفو » كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، هذا إلى أن المدنة التي نقشت على جدران معبد « ادفو » قد أعادت السلام فى ربوع الوجه القبلى . فنجد أن معبد الآله « حور » الذى أقامه البطالمة لهذا الآله قد استؤنف العمل فيه بعد أن كان قد أوقف نحو عشرين عاماً . ويقول بعض المؤرخين أن هذا النصر الذى أحرزه الملك « بطليموس الخامس » كان نصراً على بلاد النوبة ، وذلك بحجة أن الملك « أرجمنيز » ـ الذى كان يعتبر تلميذاً للملك « بطليموس الثانى » ، وكان يعتبر محالفاً « لبطليموس الرابع » لا غازياً للديار المصرية ـ قد أعتبر فى عهد « بطليموس الخامس » ضمن الذين حاقت بهم البغضاء لكره كل ما هو نوبى . فقد رأينا أن الملك « بطليموس الخامس » أمر بمحو الطغراءات الخاصة بملوك النوبة التى كانت تتبع طغراءات « فيلوباتور »[1] والده . وفى إعتقادى أن هذا المحو ليس له أية علاقة بالملك « عنخمخيس » الذى كان يعتبر ملكاً مصرياً دماً ولحماً . ويعزز هذا الرأى أن « بوليبيوس » يحدثنا بقوله أن « بوليكراتيس » قد أخضع آخر رؤساء الثورة فى الوجه البحرى . وتدل اسماؤهم على أنهم من أصل مصرى[2] . ومن ثم نفهم أن الثوار لم يكونوا فى الوجه القبلى فقط بل كانوا كذلك فى الوجه البحرى . وأنهم كانوا جميعاً يدافعون عن مبدأ واحد وهو استقلال مصر ، وبالقول مصر للمصريين لا للاغريق والمقدونيين .

وهؤلاء المناضلون المصريون قد عذبوا فى «سايس» (صان الحجر) بصورة بشعة كما فصلنا القول فى ذلك .

---

(١) راجع Gauthier L. R. IV, P. 428-429.

(٢) راجع Polyb., XXI, 20.

تدخل الملك فى إعادة النظام

هذا ونجد فى ترتيبات إعادة التنظيم وهى عبارة عن مراسيم الاعفاء ، أن التوبيخ الملكى للموظفين كان أكثر تطوراً مما نجده فى بردية « تبتنيس » رقم ٧٠٣ وبخاصة هؤلاء الذين كانت تصرفاتهم سبباً فى قيام الثورة . ومما يجدر ملاحظته هنا أن الملك كان قد عين حاكماً عسكرياً فى منطقة «طيبة» فى نهاية حكم « إبيفانس » ليكون على اتصال وثيق بما يقوم به الثوار ، هذا وكان هناك فى نفس الوقت حاكم عسكرى آخر فى مصر الوسطى[1] مما يدل على أن الثورة كانت على أشدها فى كل أنحاء مصر ، وإن الملك كان مهتما بتتبع سير الثورات بنفسه . وفى عام ٢٢ من حكمه (١٨٤ — ١٨٣ ق . م) نجده قد أصدر مرسوماً بأن يحال إلى الملك نفسه — الذى نصب نفسه قاضياً خاصاً[2] — الموظفون الذين يعتقد أنهم قد ارتكبوا مخالفات عن قصد، وكذلك الذين ألقوا القبض على أفراد من الشعب ظلما وعدواناً دون أسباب معلومة .

ولقد كان من جراء اهتمام الملك برعاياه إلى هذا الحد أن خفت وطأة الثورة نسبياً فى البلاد فى ظل حكم متطور وذلك بتدخل الملك شيئاً فشيئاً بين القوى المختلفة الهدامة التى كانت تهدد بتدهور البلاد وانحلالها .

ولا غرابة فى ذلك فقد كان هناك قواد ووزراء من الإغريق ممن كانت شهواتهم تجنح إلى كسب الفخار وجمع المـــال بأية طرق ، كما كان الكهنة من ناحيـــة أخرى لا تنقطع طلباتهم لتثبيت امتيازاتهم

(١) راجع OGIS. P. 103; P. Tebt., 778.

(٢) راجع Sammelbuch, 5675; cf. E. Berneker Sondergerechtsbarkeit im griechischen Recht Aegypten, Munchener Beitrage zur Papyrusforschung und Antiken Rechtsgeschichte XXII, 1935, P. 61.

دون مراعاة أى اعتبار آخر ، أضف إلى ذلك كله أن الشعب المصرى الأصيل كان قد نفد صبره من جراء ظلم الحكام الإغريق أكبر أعداء له ، وبخاصة فئة الجباة منهم فانهم كانوا يمقتونهم من أعماق نفوسهم ، هذا بالإضافة إلى ما كان يرتكبه الموظفون الإغريق الذين كانوا يحرصون على أن يظلوا رؤساء على المصريين دون قيد أو شرط بمقتضى القانون .

سوء الحال فى البلاد بعد موت « فيلومتور »

ويقال أن النوبيين كانوا قد أخذوا يزحفون على حدود مصر فى تلك الفترة . وعلى أثر موت « بطليموس الخامس » عام ١٨٠ ق . م ساءت الأحوال فى البلاد المصرية وذلك لأن خليفته كان طفلا لم يتخط الرابعة من عمره ، وكان بطبيعة الحال تحت الوصاية. وقد كان صغر سن هذا الملك محرضاً « لأنتيوكوس الرابع » على مهاجمة مصر. غير أن الأمر فى هذه المرة كان على العكس إذ نجد أن مصر هى التى مهدت السبل لمهاجمة السليوكيين لها ، فعند ما كان « بطليموس السادس » لا يزال فى الخامسة عشرة من عمره ، قام « أنتيوكوس إبيفانس » بهجوم على مصر عام ١٧٠ — ١٦٩ ق . م للمرة الأولى . وقد تحدثنا عن هذه الحرب فيما سبق . والواقع أن الخيانة فى الجيش المصرى والخوف قد فككا أوصال المقاومة ، يضاف إلى ذلك أن هرب الملك بعد هذا قد جعل أية مقاومة لا جدوى فيها . وعلى أثر ذلك استولى ملك سوريا « أنتيوكوس الرابع » على زمام الأمور فى مصر . وعلى الرغم من أن قصة هذه الحملة السورية على مصر قد قصها علينا المؤرخ « سنت جيروم » وصدق على ما رواه مؤرخون غيره ، فان قصة هذا الغزو المخرب للديار المصرية قد ظهر أنه مبالغ فيها لدرجة محاولة التقليل من نتائجها وأهميتها .

والواقع أنه لدينا الآن برديتان عثر عليهما فى « أم البرجات » (تبتنيس) يمكن بوساطتهما أن يفهم الإنسان ما ذكره لنا « سنت جيروم » دون شك . وذلك أن « أنتيوكوس » قد سيطر فعلا على السلطات الملكية فى بلاد البطالمة . ولا أدل من ذلك فى الواقع من أنه قد بقى لنا عنوان منشور أعطاه للجنود المرتزقين أصحاب الأراضى فى « الفيوم » وقد سماها على طريقته « كروكو ديلوبوليت » بدلا من الاسم الذى كانت تسمى به وهو « أرسنوى » وكان ذلك بمثابة تذكار للملكة « أرسنوى » . وعلى ذلك يجب أن نرى مع المؤرخ « فان جرواننجن »[1] (Van Gronengen) أن«أنتيوكوس» كان يقصد بهذا أن يمحو أى تقليد بطلمى فى البلاد . ومن أجل ذلك محا اسم « أرسنوى » ووضع مكانه « كروكوديلوبوليت »[2] وفى خلال ذلك أعلن أهالى الإسكندرية الأخ الأصغر للملك « فيلومتور » ملكاً على البلاد وهو الذى أصبح فيما بعد « إيرجيتيس الثانى » . وعلى أثر ذلك حاصر السليوكيون دون جدوى المدينة التى كان يحكم فيها أخو الملك الفار وأخته . وبعد ذلك نعلم أنه عند ما غادر « أنتيوكوس الرابع إيبفانس » الديار المصرية دخلها ثانية « فيلومتور » وتصالح مع أخيه وقد كان من جراء هذا الصلح الذى لم يكن يتوقعه « أنتيوكوس » أن صمم على غزو الديار المصرية من جديد وقد خرب فى خلال هذا الغزو المعابد والقرى . وتشير ورقة بردى عثر عليها فى « تبتنيس » رقم ٧٨١ إلى هذا التخريب وهى مؤرخة بالسنة الثانية من حكم الأخوين المشترك بعد صلحهما ، وكذلك حكم أختهما « كليوباترا الثانية » معهما عام ١٦٨

(١) راجع B.A. Van Gronengen, Petite note sur Pap. Tebt. 698, Aegyptus 14 (1934), P. 120.

(٢) ونحن نشاطر الأثرى « أوتو » عندما قال عن هذا الحادث أنه كان أول ناقوس الخطر الذى أعلن بقرب نهاية الدولة البطلمية بصورة بارزة .

ق . م . ولا نزاع فى أن تخريب المعابد ونهبها على يد جيش كان يعد أكبر إذلال لمصر يمكن أن يتصوره إنسان . ولا بد أن ذكرى الملك « قمبيز » وما عمله من مساوىء فى مصر وهى تلك الذكرى التى كثيراً ما تذكر فى النقوش والتواريخ المصرية ، قد أعاد إلى أذهان أفكار أولئك الذين كانوا لا يزالون يعرفون ماضى الديار المصرية الذكريات المؤلمة . وعلى أية حال فان غزو مصر وتخريبها قد أحدث آلاماً كثيرة فى نفوس الشعب كما أوجد فى نفوس علية القوم من أصحاب الضمائر الواعية فى المجتمع المصرى الكثير من الحقد والبغضاء ، وكان من جراء ذلك أن ظهر فى البلاد القحط والبؤس ، وكذلك انحطت بصورة مفاجئة قيمة العملة(١). وقد أوقف الزحف السورى عند « اليوسس » (Eleusis) عند جدران الإسكندرية التى أخذت تقاوم . وقد جاءت النجدة من قبل « روما » التى كانت لا تسمح بأن تنتزع منها مصر التى كانت تعتبر غنيمتها . فقد أرسلت سفيرها « بوبيليوس لاناس » إلى « أنتيوكوس الرابع » فكان فى ذلك القول الفصل إذ اضطر إلى فك الحصار ومغادرة مصر على الفور .

ولقد كان من الطبيعى أن يرى الإنسان فى مصر — التى نجت من بين « أنتيوكوس الرابع » — ثورة البؤس والهزيمة . هذا إلى أن الإسكندرية قد كشفت عن حقيقة ملوكها الذين كان الواحد منهم على أثر ثورة شعبية ينزع من الملك ، ثم لا يلبث أن يطرد تمشياً مع نزوة يبديها الاسكندريون ،

---

(١) راجع F. Heichelheim, Wirtschafliche Schwankungen der Zeit von Alexander bis Augustus, Jera (1930), PP. 81-32.

ويحل محله آخر فكان مثلهم كمثل ريشة فى مهب الريح فى نظر الشعب الإسكندرى[١].

البطل « ديونيسوس — بتوسرابيس »

وفى غمرة هذه الأحداث الجسام ظهر — فى أفق سياسة مصر الداخلية — رئيس من أبناء الوطنيين برهن على أن رجالات الشعب المصرى الأصيل لا يزالون ينحدرون من أصلاب أبطال مصر الذين دوخوا العالم فى غابر الأزمان وأثبتوا أصالة مجدهم وعلو همتهم فى المواقف الحرجة . ذلكم الرجل هو « بتوسرابيس » الذى اتخذ لنفسه اسماً آخر إغريقياً وهو « ديونيسيوس » . لقد شهد هذا الرجل العظيم الأحداث التى كانت تجرى بين « فيلومتور » وأخيه « إيرجيتيس الثانى » وصمم بما له من مكانة فى بلاط الإسكندرية[٢] وقتئذ أن يجعل الشعب الإسكندرى ينشق على « فيلومتور » وبعد ذلك يلتفت إلى «إيرجيتيس الثانى» فيقلب له بدوره ظهر المجن ، وذلك بعد أن فشلت محاولات أبناء جلدته من المصريين فى القضاء على نسل البطالمة الذين أذاقوا المصريين الأمرين ونكلوا بزعمائهم أفظع تنكيل فى عهد « بطليموس الخامس » . غير أن « بتوسرابيس » لم يصب نجاحاً فى إثارة الإسكندريين ، ولكنه قام فى الحال بعد ذلك بإثارة المصريين الذين استجابوا لندائه وأعلنوا الثورة . وقد التف حول هذا البطل حوالى أربعة آلاف مقاتل من بنى جلدته من الجنود الثائرين . ويتساءل المرء هل كل هؤلاء كانوا من جنود المشوش ؟ الواقع أننا لا نعرف لذلك جواباً . وعلى أية حال فان جنود البطالمة الموالين لحكمهم

---

(١) راجع Otto : Zur Geschichte der Zeit des 6 Ptolemaers, p. 88 ff.

(٢) راجع Diodonus XXXI, 15a.

قد تغلبوا عليهم كما تدل شواهد الأحوال ، غير أن هذا الحادث فى حد ذاته كان إيذاناً بقيام ثورة فى مصر . كما فصلنا القول فى ذلك فيما سبق .

وقد كان من جراء هذه الثورة أن عم البؤس والشقاء بين الفلاحين حتى بلغ قمته . فقد كان النهب الذى نظمه الوزراء الإغريق فى البلاد والذى بلغ ذروته بما قام به «أنتيوكوس الرابع» من إشاعة الخراب بحملته على مصر ، هذا بالإضافة إلى الحروب المضنية وسوء سير الأحوال فى البلاد ، وانحطاط سوق التجارة مع الخارج(١) . كل هذه الأشياء قد كانت سبباً فى نفاد كل مصادر خزانة الدولة حتى أصبحت قاعاً صفصفاً . وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء الموظفين — المسؤولين وقتئذ عن مالية الدولة — قد أصبحوا فى حيرة من أمرهم فقد كان عليهم أن يمدوا خزانة الدولة بأموال طائلة كان يتطلبها «بطليموس» المفلس ، وفى الوقت نفسه كانوا يخشون إرهاق الفلاحين الذين كانوا قد وصلوا إلى قمة الفقر والعوز . ولقد بلغ اليأس بهؤلاء الموظفين الغاشمين بسبب سوء التصرف إلى أن انقلب فريق منهم إلى ناهبين بدلا من جامعى ضرائب ، فى حين أن فريقاً آخر منهم كان يخترع مبدأ المسئولية التضامنية للقرية ، وكانوا يفرضون على أضعف الذين تحت إدارتهم — بكل حماقة — مسؤولية فلاحة الأرض وزراعتها(٢) . ولا نزاع فى أن مثل هذا السلوك فى تسيير أمور الدولة كان يودى بسرعة إلى إنحلال المجتمع وتفككه . ومن ثم وجدنا أن البلدان أخذت تنحل عراها .

---

(١) راجع Rostovtzeff. The Hellenistic World and its economic Development. The American Historical Review, 41, (1936), PP. 223-252.

(٢) راجع U P.Z. 110

وهكذا أصبحت مصر تعيش فى ظل الفوضى والامتناع عن القيام بأى شىء إيجابى . فالنساء أصبحن يعشن وحيدات فى قراهن ، فى حين أن الرجال — الذين لم يكونوا قد أخذتهم الحرب أو الثورة — كانوا يهربون من الأرض التى كانت تكلفهم ما لا طاقة لهم به من ضرائب . أما أولئك الذين كانوا أقل قوة وأقل احتمالا لركوب المخاطر فلم يجدوا لأنفسهم ملجأ يأوون إليه فى مثل هذه الشدة إلا الرهبنة وهى الملاذ الوحيد الذى كان يلجأ إليه الإنسان عند ما يرى أن كل ما حوله كان قاسياً عليه . وقد كان فى مصر وقتئذ مثل هذا الملجأ ، فكان إله السرابيوم يدعو أمثال هؤلاء البائسين إلى جواره ويبقى عليهم وبذلك ينتزعهم من مجتمع غاية فى الظلم والوحشية[1] . ومن هذا نفهم أن أمثال هؤلاء الرهبان كانوا يتركون أسرهم تتقلب على أحر من جمر اللظى . ولقد تحدثنا فيما سبق عن أنات الألم التى كانت تنبعث من أمثال هؤلاء الرهبان الذين كانوا يأوون فى سرابيوم « منف » . ونخص بالذكر منهم هنا « بطليموس جلوسياس » الذى كان يطلق عليه لفظة « الملبوس » (عليه عفريت) . فقد لجأ إلى جوار ربه « أوزير — ابيس » (سرابيس) ومعه بعض رفاقه فى مدة الاضطرابات[2] . وعلى أية حال يظهر أنه كان آمناً فى هذا الملجأ حيث كان أفراده يقومون بادارة شؤونهم بهدوء وسكينة وحيث كانوا أحياناً يرفعون قضايا على ما أصابهم من ظلم وجور ، ثم أنهم كانوا يسمعون ما يجرى — فى العالم الخارجى عن دائرتهم — من بؤس وشقاء . فقد كتبت زوج أحد هؤلاء الرهبان المسمى « اسياس » تقول له :

« إنك لم تعد فى حين أن كل الآخرين قد عادوا . إنى أجد ذلك شنيعاً .

---

(١) راجع Wilcken, Urkunden der Ptolemerzeit I, PP. 52-82.

(٢) راجع U.P.Z. 14, 1, 2.

وإنى بعد أن قدت قاربى إلى بر السلام وكذلك قارب طفلك فى وسط عذاب شديد ، وإنى بعد أن وصلت به إلى منتهى ما يمكن من الشدة بسبب ثمن القمح ، فانى قد أملت بفضل عودتك أن أتذوق فضلة من الراحة ، غير أنك لم تهتم بالعودة ، كما أنك لم تقدر أبداً سوء حالتنا » . وهذه الرسالة المؤثرة التى تتحدث عن نفسها يرجع تاريخها إلى عام ١٦٨ ق . م أى فى الوقت نفسه الذى انفجرت فيه الثورة التى كان يديرها المصرى « بتوسرابيس » . وعلى أية حال فانى لست فى حاجة إلى القول بأنها تصور لنا حالة الوسط الذى كانت تنمو فيه الثورة وتتطور . ولا نزاع فى أن المجتمع المصرى وقتئذ كان قد وصل إلى أقصى درجة من الفقر والآلام وسوء الحال .

حقا أن هذه الثورة التى قام بها المصريون وقتئذ على الأجانب وحكمهم قد ضمت بين جوانحها غير المصريين من الذين عضهم الفقر وسوء النظام الإدارى فى البلاد الذى كان يصب صوت عذابه على الفقراء عامة سواء أكانوا مصريين أو أجانب . ومن هنا يتجه نظرنا مرة أخرى إلى ما كانت عليه البلاد وقتئذ من نظام إجتماعى وإقتصادى . وقد أخطأت المؤرخة « كلير بريو » عند ما قالت : « ومنذ الآن إذا اعتقدنا أن الثورة — التى أتت على أعقاب الغزو المزدوج الذى قام به « أنتيوكوس الرابع » على مصر — كانت ثورة إجتماعية كما كانت سلالية فانا ندهش أكثر عند ما نرى هؤلاء الثوار المصريين ، يقومون بالهجوم على الأماكن التى يجب أن تكون المعسكر العام لثورة مصرية لا تشوبها أية شائبة ، وأعنى بذلك المعابد » . والواقع أنه قد فات الآنسة « كلير بريو » أن الثورة كانت فى بدئها قد شنت على ظلم الإغريق والبطالمة وفداحة الضرائب التى كان يدفعها الفلاحون وأصحاب

الحرف . وقد كان ضلع الكهنة مع الملك الذى كان يسبغ عليهم الهبات والانعامات مما كم أفواههم وجعلهم يسيرون فى ركابه . وعلى الرغم من أنهم كانوا يسيطرون على عقول الشعب فانهم مع ذلك كانوا لا يبحثون إلا عن فائدتهم وفائدة طائفتهم . ولا بد أن الجوع والفقر والبؤس التى كانت تغرس أنيابها فى ضلوع الفقراء قد نبهتهم إلى نفاق الكهنة عند اشتداد الأزمات. فكانوا يقومون بثوراتهم دون تمييز بين ما هو ملك الإغريق وبين ما هو ملك المعابد . وقد حدث مثل ذلك فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين عند ما قام الشعب بنهب المعابد ومقابر الملوك الذين كانوا يعدون فى نظرهم آلهة ، وسبب ذلك أن الجوع كافر . هذا وقد ضربت الآنسة « كليربريو » مثلا يؤكد ما قلناه وذلك عند ما اقتبست بعض سطور عن عبث الأهالى بالمعابد وغيرها[1] نذكرها فيما يلى :

« من رسالة تظلم موجهة للحاكم الحربى لمقاطعة « أرسنوى »[2] ورئيس معبد « الأمونيون » الخاص بالجنود المرتزقين أصحاب الأراضى ، وذلك فيما يتعلق بخمسة وأربعين أرورا من مقاطعة « موريس » (من أعمال الفيوم) وهى : أن (محراب) المعبد المذكور قد (نهب) على يد قوم « انثيوكوس » فى الـ . . . . العام الثانى (١٦٨) . وبعد ذلك استولى على الأرض المقدسة من جديد وأصلح محراب المعبد القديم ، وبعد أن هجم عليه الثوار المصريون ، لم يكتفوا بتخريب بعض أجزاء ملحقة به ، بل نجدهم هدموا أعمال المبانى الخاصة بالمحراب ، وكذلك أتلفوا أبواب الدخول والأبواب الأخرى التى يبلغ عددهاماية وعشرة باباً ، وكذلك هدموا جزءاً من السقف . أما أنا فانى

---

(١) راجع Chronique d'Egypte Ibid., P. 540.

(٢) راجع P. Tebtynis 781.

بعد مضى بعض الوقت . . . دخلت فى النضال ، فأقمت متاريس حول كل الأبواب والمداخل لأجل أن تظل بقية العمد محفوظة . . . » . وعند هذه النقطة كسرت الشكوى . وقد ظنت الآنسة « كليربريو » أن القائمين بأعمال النهب فى هذه الحالة لم يميزوا بين ما هو مصرى وما هو إغريقى ، مما ألقى ظلا من الشك والريبة على الصبغة الإجتماعية للثورات . ونحن نجد نفس هذه الحال عند ما قامت الثورة فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين ، فانها لم تميز بين ما هو ملك الآله وبين ما هو ملك الأفراد . لقد دفع الجوع الأهالى إلى ارتكاب كل ما يمكن الحصول به على لقمة العيش . وقد يكون أنهم هاجموا المعبد لأن رجال الدين كانوا يساندون الإغريق أعداءهم . ومن ثم يمكن أن نعتبر أن أملاك الكهنة — الذين كان ضلعهم مع البطالمة — حلاً لهم . على أن ذلك لم يكن المثال الوحيد ، بل هناك أمثلة أخرى فى هذا الصدد تدل على روح العصر وما كان ينطوى عليه من فوضى . ففى حوالى نفس العصر نقرأ أن بلدة « ديمة » الواقعة فى الشمال الغربى من الفيوم قام فيها الثوار المصريون بثورة أجبروا فيها الأهالى على أن يسلموهم عقود الإيجار التى تشهد بحقوق الملكية ، فأحرقوها بكل وحشية[1] . ونعلم ذلك من التقرير الرسمى الخاص بالأسلوب الشرعى الذى بموجبه أعيدت الحقوق للمصرى ثانية . والمجنى عليه فى هذه الحالة كان مصرياً ولا بد أنه كان من حزب الملك . وعلى أية حال فان مثل هذا المنظر يقدم لنا صورة من صور الثورة التى كانت قائمة فى البلاد . وتدل شواهد الأحوال على أن أساسها كانت حركات عدائية اجتماعية يقوم بها الفقراء المصريون على نظام أهل الثراء المجحف الذى كان سائداً فى البلاد .

---

(١) راجع P. Amherst, 30.

وأصحاب الثروة كما نعلم وقتئذ كانوا هم الإغريق والملك . ومهما يكن من أمر فان هذه الثورة كانت فى بادىء أمرها موجهة على المستعمرين الذين نزفوا دماء الفلاحين والعمال من أهل البلاد المصريين . ولذا قام المصريون أهل البلاد لمحاربة من تعدى على أرزاقهم سواء أكان إغريقياً غنياً أو آخر ينتمى إليهم أو يساعدهم . ولست أوافق « كلبربريو » عند ما تقول أن هذه الثورة الشعبية كان منشؤها فى الأصل ثورة إجتماعية شجعتها — من باب الصدفة — كراهية الشعب للإغريق . وذلك لأن الإغريق منذ البداية هم أس كل ما أصاب المصرى من فقر وذل . ومن ثم تولد بغض المصريين لهم فحاربوهم بسبب كل ما أصابهم من فقر وسوء حال ومظالم لم يكن لهم بها قبل .

وعند ما ننظر ونفكر فى الحروب الدينية فى الوجه البحرى حيث وجدنا أن القوم كانوا متجمعين تحت لواء واحد — بطبيعة الحال — من الوجهة الدينية والوطنية والإجتماعية ، فانا نجد أن رجال الشرطة كانوا يسلكون مسلكاً مشيناً لا يختلف فى شىء عن مسلك الثوار أحياناً من حيث التميز العنصرى . وقد حفظت لنا أوراق السرابيوم صدى مناظر تفتيش انقلبت إلى سلب ونهب . وآية ذلك أن رجال السلطة الدينية والمدنية كانوا يفتشون الأماكن المختلفة هناك بحثاً عن أسلحة مخبئة لأجل أن يعملوا على عدم انقلاب المشاحنات إلى مذابح دموية ؛ غير أنهم كانوا أثناء قيامهم بحملة التفتيش يرتكبون نفس الأعمال المشينة التى كان يرتكبها الثوار . يدلك على ذلك أن « بطليموس جلوسياس » الراهب قد سيئت معاملته مرتين فى مدة شهر واحد الأولى[1] ، على

---

(١) راجع U.P.Z. 5.

يد مفتشي رجال الشرطة ، والأخرى على يد مفتشي المعبد الذين شددوا عليه الخناق أثناء التفتيش[١] لأنه إغريقي ، ومن ثم نجد أن العنصرية كانت متوطنة حتى في نفوس رجال الدين .

وعلى أية حال فانه على الرغم من قيام الثورة في البلاد وانتشار البؤس لم تشل أبداً حركة الحياة في مصر فقد كانت تحرر العقود بين الأفراد في أنحاء البلاد كالعادة ، كما كانت تأخذ العدالة مجراها وتجبي الضرائب من الأهلين ؛ غير أنه لوحظ أن المحاكمات قد ازداد عددها في طول البلاد وعرضها . وكان معظم هذه المحاكمات ترجع إلى بواعث خلقية نجمت عن مطالبات مالية ومن هنا نجد أن هذه المحاكمات قد كشفت لنا عن ارتباك فاضح في السلطة الملكية مما كان يتطلب — بالحاح — الإسراع في القيام بعمل إصلاحات .

وتدل الظواهر على أن الثورة قد انتهت في عام ١٦٣ ق . م غير أن مذاق شدتها وما جلبته من شرور كان لا يزال باقياً . وعلى أية حال لم تصل إلينا حتى الآن أوراق بردية أو قطع استراكا أو نقوش تدل على أنه قد حدثت قلاقل خطيرة في إقليم «طيبة» ما بين عام ١٨٦ وعام ١٨٤ ق . م ، اللهم إلا نبذة جاءت فيما كتبه المؤرخ «ديدور» في تاريخه العام تحدثنا عن حدوث قلاقل في مصر[٢] . ويقول «ديدور» أن الملك «بطليموس السادس» قد قام على رأس قوة لإخمادها . وهاك النص حرفياً : «لقد زحف الملك «بطليموس» نحوهم بقوات كثيرة العدد فاستعاد إليه إقليم «طيبة» في يسر إلا مدينة تدعى «بانوبوليس» التي أقيمت على مرتفع قديم من الأرض ، وظهر أنها أبدت

(١) راجع U.P.Z. P. 7.

(٢) راجع Diod., XXXI, 17 b.

مقاومة بسبب الصعوبات التى كانت تؤدى إليها . وقد سارع أنشط الثوار إلى الاحتماء فيها ، وقد كان « بطليموس » يعلم من قبل ما انطوى عليه هؤلاء الثوار المصريون من جرأة لا سيما أن اليأس دفعهم للمقاومة والنضال عن هذه المدينة ، ومن أجل ذلك ضرب الملك عليها حصاراً منظماً . وقد استولى على المدينة بعد أن تحمل كل أنواع الخسائر ، وعاقب المجرمين ثم عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية . والظاهر أن هذا الحادث قد وقع فى عام[1] ١٦٥ — ١٦٤ ق . م .

وقد شاهدنا أن الثورة فى هذه المرة قد تبلورت فى موقع من المواقع المحصنة فى إقليم « طيبة » الذى ورث حب النضال عن الماضى . وقد تساءلت « كليربريو » فيما إذا كان قد حدث تحالف نوبى وانفصال ؟ . أى أن النوبيين قد أغاروا على إقليم « طيبة » من جديد ، وردت على هذا السؤال بالإيجاب على شرط أن تجعل الملك الذى قام بذلك هو « هورجونافور » (Hurgonaphor) والحصار الذى أقيم كان حول بلدة العرابة المدفونة فى السنة السادسة من حكم الملك « فيلومتور » بدلا من وقوعه فى السنة السادسة من عهد الملك « إبيفانس » أى فى عام ١٦٤ — ١٦٣ ق . م . وعلى ذلك تكون قد قامت هجمة جديدة من بلاد النوبة على مصر العليا على ما يظن وبخاصة عند ما نعرف ما كان يبديه الملك « فيلومتور » من اهتمام ظاهر لتحصين الحدود الجنوبية . واستشهدت على صدق هذا الزعم بما كان يقوم به « بوئثوس » (Boethos) الكارى — وهو شخصية غريبة فى بابها — فقد كان يشغل وظيفة حاكم حربى وفى الوقت نفسه كان يقوم بعمل قائد الجنود ونائب

---

(١) راجع Grenfell and Hunt. P. Tebt. 5.

الملك وهو الذى قام بتأسيس عـــدة مدن وكذلك كان يقوم بوظيفة الكاهن الأكبر للآلهة فى الفيلة[1] . وعلى أية حال فان ما ذكرته الآنسة « كلبر بريو » إن هو إلا محض فرض فحسب . وفى إعتقادى أن الحدود — من جهة بلاد النوبة — كانت قد وطدت فى عهد « بطليموس الخامس » وأصبحت فى أمان تام كما جاء فى لوحة القحط . أما فى الإسكندرية فان الأحوال لم تكن مستقرة إذ نعلم أن الإسكندريين قد طردوا منها « فيلومتور » منذ زمن وجيز قبل موته الذى وقع عام ١٤٥ ق . م . ولم تكن مصر وقتئذ فى حالة هدوء إذ قام رجال الشرطة فى عام ١٤٣ ق . م بعمليات حربية فى إقليم « اللبرنت » فقضوا هناك على عصابات من رعاع القوم كانوا يقومون بأعمال النهب والسلب . راجع Marter, Les Papyrus et l'histoire Administrative d'Egypte grec. romaine, loc. cit.

على أن الفرق بين أعمال النهب والسرقة هذه وبين العصيان الذى كان يقوم به الفلاحون يكاد يكون طفيفاً ، فكل من الفريقين قد اضطرته الفاقة إلى ارتكاب ما قام به . ولا نزاع فى أن نقائص أنظمة الحكم فى البلاد كانت لا تزال موجودة ؛ وذلك لأن النظام لم يعد إلى نصابه . فمن ذلك أن الحركة التى قام بها رجال الدين — وهى التى كسبوا بها بطريقة منظمة استقلالهم الذاتى — تتمثل أمامنا فى الامتيازات التى نالوها فى العام الواحد والعشرين (١٤٠ — ١٣٩ ق . م) من حكم « بطليموس فيلومتور »[2] وهكذا نجد أن

---

(١) راجع O.G.I.S. III cf. V. Martin, Les épistratèges, PP. 173-174 et P. Giess. 36, No. 1/2.

وتجد فى هذه المصادر المتون التى عرفت عن هذا الحاكم العسكرى .

(٢) راجع P. Tebtynis. 6.

القوى التى كانت تهدم سلطة الملك العليا قد كانت تسير قدماً وبلا هوادة دون قيام أية ثورة علنية معروفة لنا حتى الآن .

وفى خلال هذه المدة كانت الإسكندرية تمهد لقيام ثورة على ملك البلاد الفاجر « إيرجيتيس الثانى » وذلك فى السنة الأربعين من حكمه (١٣٠ ق . م) إذ أظهر الملك بتصرفاته أنه ليس خليقا لحكم أرض الكنانة . وكان فى قدرة أهالى الإسكندرية أن يعزلوا أى ملك لم يكن يسير على حسب أهوائهم ، ورغائبهم . وقد نصب بعده الإسكندريون على عرش الملك أخته وزوجه الأولى « كليوباترا الثانية » ، وفى تلك الأثناء فر « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » هو وزوجه الثانية « كليوباترا الثالثة » ابنة زوجه « كليوباترا الثانية » و « بطليموس السادس » وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق وقد فصل القول فى هذا الموضوع المؤرخون القدامى والأحداث[1] وذكروا ما وقع من أحداث بشعة عزيت إلى هذا العاهل . وفى الحال إتخذ فرار الملك هذا بمثابة حجة لعدم التعاون الاجتماعى معه . وقد أعلن ذلك فى الوثائق الإدارية فى العام الأربعين من حكم هذا الملك[2] . وتدل الظواهر على أن الثورة فى هذه المرة لم تظهر فى صورة حدوث قلاقل أو عدم نظام ، بل كانت تتمثل فى المقاطعة أو بعبارة أخرى الإضراب . ومهما يكن من أمر فان الحال قد أسفر عن تمزيق البلاد إلى حزبين أحدهما موال للملكة والآخر موال « لبطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » . ثم أن الثورة فى هذه الفترة من تاريخ البلاد قد اتخذت صورة إضراب

---

(١) راجع Diod., XXXIII, 28a; Justin XXXVIII, 8, II; Valere Maxime IX, 2, 5, cf. Strack, Die Dynastie der Ptolemaer, PP. 48-47; Bouche-Leclerq, Histoire des Lagids II, PP. 71-72.

(٢) راجع P. Tebtynis 72, II, 45-46; 61(b), II. 80-81; P. S. I. 171, I. 34; P. London 401, I. 20.

عام فى المعاملة بين الجهات الموالية للملكة والجهات الموالية للملك . والواقع أن تقارير مديرى الضياع الملكية قد ذكرت لنا نوعاً من الانفصال فى فترة العزلة هذه . (راجع P. Tebtynis 72, II, 45-46.) . ولا نزاع فى أن هذه الحالة تشعرنا بمقدار الاضطرابات الداخلية فى البلاد التى لا شك قد شلت حركة الأقاليم مثل منطقة الفيوم حيث كانت الإدارة الملكية يسير على نهجها مجتمع الفلاحين المزارعين .

أما فى منطقة « طيبة » فكانت الأمور على العكس من ذلك ، فان الاضطراب فيها كان دائماً يصبغ بصبغة سياسية بارزة . ذلك أن المقاومة هناك كانت منحصرة فى البلدان المحصنة ، فكانت المدن تحمل الواحدة منها على الأخرى ، ومن ثم لم نلمح فيها صدى الحركة العظيمة الجماعية بل كان ما يرى فيها هى الحرب الصغيرة بين قرية وأخرى حيث تظهر بصورة أكيدة روح لجولات لمجتمع ثائر على مبدأ تمركز السلطة الملكية . أما من حيث طريقة لتأريخ فى هذه البلاد التى كانت يتنازع السلطة فيها ملكان ، كل يدعى أنه هو الملك الشرعى ، فانه يمكن تحديد تأريخ الأوراق البردية والأستراكا فى أقاليم « طيبة » حيث كان يعترف بحكم الملكة « كليوباترا الثانية » فى فترة الشقاق . ففى « طيبة » و « الجبلين » ، لدينا قائمة تحتوى على وثائق مؤرخة تأريخاً متسلسلا بسنى حكم « إيرجيتيس الثانى » مما لا يدع مجالا للشك فى أن « كليوباترا الثانية » لم تكن تحكم فى هذه المنطقة . ومن جهة أخرى وجدت فى « أرمنت » متون مؤرخة بالسنة الأولى والثانية من حكم هذه الملكة . وحقيقة الأمر أنه فى يناير من العام الأربعين من حكم « إيرجيتيس الثانى » كانت تجهز حملة على « طيبة » لمحاربة بلدة « أرمنت » . ونعلم هذا الحادث من

رسالة جندى[1] يطمئن فيها والديه، وبأن يبقيا فى « الجبلين » على ولائهما ويخبرهما بالخبر التالى : « لقد علمنا أن « باوس » قد صعد فى النيل فى شهر طوبة ومعه قوات كافية لإعادة النظام فى « أرمنت » ، وليعامل أولئك الذين حرضوا على القلاقل بمثابة خارجين » .

و « باوس » هذا كان القائد الحربى . وقد دهشت المؤرخة « كليربريو » عند ما وجدت أن مصرياً كان يقود الجنود الموالين للملك ، كما دهشت عندما رأت أن مصريين كانوا يهاجمون المعابد ويحرقون عقود أملاك مواطنيهم ، وقد علقت على ذلك بقولها أن هذا يجعلنا نتخلى عن الفكرة القائلة بأن ثورات المصريين فى عهد البطالمة قد كانت فى الأصل ناشئة عن الكراهية للهيلانيين . ثم تقول أننا نقبل الحقائق دون أن ندهش ونجتهد فى أن نستخلص منها ما توحى به » . والواقع أن ما فعله القائد المصرى كان ثمناً للوظيفة التى منحها ، والتى كانت فى العادة لا ينصب فيها إلا إغريقى . أما مهاجمة المعابد وحرق عقود الملكية فقد قام به الثائرون لأن رجال الدين كان ضلعهم مع الملك لما أغدقه عليهم من نعم ، كما أن حرق العقود لا بد أن سببه كان من تحيز أصحابها للإغريق وقبول حكمهم الجائر مقابل مساعدتهم على اخماد الثورة ، وهذا ما يحدث فى كل زمان ومكان بين أولئك الذين يخونون بلادهم من أجل مصالحهم الخاصة ! ![2].

وعلى أية حال نجد أن « إيرجيتيس الثانى » ، فى العام الثالث والخمسين من حكمه قد كان لا يزال فى حملته على « كليوباترا »[3] وفى العام الرابع

(١) راجع Wilckens, Chrestomathie No. 10.

(٢) راجع Chronique d'Egypte Ibid., P. 544 No. 3.

(٣) راجع Wilckens, Chrestomatie No. 11.

والأربعين يحتمل أنه كان فى حملة فى الوجه القبلى وفى العام الثامن والأربعين من حكمه كانت كل من « أرمنت » و « كركوديلوبوليس » — التى فى منطقة « طيبة » — معلنة الحرب عليه . وكانت طرق الهجمات التى يقوم بها الثوار فى مثل هذه الجهات دائماً واحدة لا تتغير . وذلك أنه أثناء الليل كانت تقوم فئة من الرجال من الذين أوتوا بسطة فى الجسم مسلحين بنبابيتهم فيوقعون الأذى بالحراس الذين كانوا يحرسون السدود ، ثم يقومون بعد ذلك بعمل ثغرة فى الجسور مما يسبب إغراق أرض العدو وإتلاف زرعها .

وفى العام التاسع والأربعين ثارت المقاطعة « الطينية »[١] أيضاً .

هذا ومن المحتمل أنه فى العام الثانى والخمسين من حكم هذا العاهل ينبغى أن نذكر ضرب حصار لمدينة « بانوبوليس »[٢]. هذا ونعلم أنه فى العام الثالث والخمسين من حكمه ومن الملف الصغير الخاص بمقاطعة « طينة » المحفوظ الآن فى فلورنس قد كان هناك هجوم جديد على سدود الحياة[٣] .

ومن كل ذلك نعلم أن الثورة الطيبية كان لها إذاً طابع فريد فى بابه . ففى حين نرى أنه فى الوجه البحرى وفى مصر الوسطى كانت الثورات التى يقوم بها الناس تتمثل فى الاضراب عن العمل الذى كان بصورة جماعية ، بينما نجد فى الجنوب أن البلاد كانت مقسمة إلى قرى معادية . ولم نعثر فى النقوش أو الوثائق فى تلك الفترة على نشوب حرب بين حزب مصرى

---

(١) راجع P.S.I. 171, 1. 34.

(٢) راجع P. Grenfell et Hunt, Commentaire à P. Tebtynis I, 5, II, 134-138.

(٣) راجع P.S.I. 168.

وحزب إغريقى ، ومرجع ذلك على ما يظن أن سكان القرى كان معظمهم من المصريين بينما كان إغريق القرى فى معظم الأحيـــان من الطبقة الفقيرة التى كانت ترزح تحت أعباء ضرائب فادحة شأنهم فى ذلك شأن المصريين .

ولم يقتصر المجهود الذى يبذله الملك لمقاومة هذه الاضطرابات الوطنية بوساطة رجال الشرطة وحسب بل كان يتدخل القضاء فى تهدئتها أيضاً . ولا أدل على ذلك من أنه منذ عهد الملك « فيلومتور » — ومن المحتمل كذلك فى عهد « بطليموس السابع إيرجيتيس » — صدرت الأوامر والمنشورات الدورية لتحدد فى غالب الأحيان مركز الملك بالنسبة للقوات الخارجة على النظام . وهذه الأوامر والمنشورات قد أعطتنا الفرصة لنرى نمو هذه القوات المعادية وتؤكد نجاحها[1] . وسلسلة المراسيم التى أصدرها « إيرجيتيس الثانى » فى العام الثانى والخمسين من سنى حكمه (١١٨ ق . م) تعتبر من أثمن الآثار التى قدمتها لنا الأوراق البردية[2] . وقد كان الغرض من هذه المراسيم كما فصلنا القول سابقاً ألا يكون قاصراً على حسم القلاقل وأثرها السيء ، بل كذلك لإيقاف المظالم التى كانت فاشية . وتقول الآنسة « كليربريو » أنه ليس لدينا مما بقى من هذا التشريع — ما يشعر بتصحيح مركز سلالة بالنسبة إلى سلالة أخرى ، أى ما يشعر بتصحيح مركز المصريين بالنسبة للاغريق وغيرهم من أصحاب المكانة الرفيعة . والواقع أن الإغريق كانوا هم الرؤساء وأصحاب

---

(١) راجع P. Tebtynis 703, OGIS 90, U.P.Z. 110, P. Tebtynis 6.

(٢) راجع P. Tebtynis 5; Preisiche, Die Friedenskundgebung des Konings Eurgetes II., Archiv. f. Pap., V (1913) PP. 301-16.

اليسار فى البلاد ومن ثم لم يكن هناك أية مقارنة بينهم وبين المصريين الذين كانوا يعملون لإسعادهم واسعاد الملك . وعلى أية حال فان الإعفاءات والاصلاحات كانت ممزوجة بالمرسومات التى صدرت لإصلاح المظالم . فكانت الإعفاءات تشمل الجرائم والأضرار التى أحدثتها الحروب الأهلية . هذا وينبغى أن نضع هنا جانباً مناظر العنف العادية والحرائق ، وأعمال التخريب وهى التى نجدها مشتركة فى الثورات . ولدينا أعمال أخرى ذات طابع تجريبى ذى أهمية أكثر ؛ فمن ذلك ما نسمعه كثيراً عن سلب المعابد كما ذكرنا الأمثلة على ذلك . وهذا يؤكد أن الكهنة لم يترأسوا الحركات الثورية لأنهم لم يكونوا فى حاجة للقيام بأية ثورة لا سيما أنهم نالوا من الملك كل حقوقهم وأكثر منها ، وبذلك ضمهم إلى جانبه .

ولا ريب فى أن علامات سوء النظام الذى كان متوغلا فى البلاد بسبب اجحاف الأجانب وشره ملوك البطالمة كان يتمثل بأجلى مظاهره فى الأرض التى تركها زراعها ، وفى الرجال الذين تركوها وأصبحوا يعيشون على السلب والنهب ، وفى الضرائب وخراج الأطيان التى لم تدفع ، وفى الحقول التى تركت بوراً وفى أعمال الرى التى أهملت وفى التوريدات التى بقيت مستحقة للاحتكار الملكى ، وأعمال السخرة التى لم تؤد ، والضياع الملكية التى اغتصبها أولئك المزارعون الذين يزرعونها مدعين حق ملكيتها بصفة مستديمة . ولا نزاع فى أننا قد لحظنا فعلا مثل هذه الصورة فى عهد الملوك السابقين ، هذه الصورة التى تتمثل أمامنا فى مصر دائماً عند ما يكون على رأسها ملوك ضعفاء لا سلطان لهم . ولا أدل على ذلك من عهد الثورة الإجتماعية العارمة التى قامت فى مصر بعد سقوط الدولة القديمة وهى تلك الثورة الجبارة التى تعد فى نظر

التاريخ أول ثورة اجتماعية فى التاريخ القديم وبها بدأ الإنسان الفقير — للمرة الأولى — يطالب بحق الحياة الكريمة جنباً لجنب مع صاحب الثراء (راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٩٨ . . الخ) .

وعلى أية حال يمكن الإنسان أن يخمن كم من تقصير فى تأدية الواجبات المدنية كالتى ذكرناها هنا كانت سبباً فى إفلاس الملك مادياً والتطويح بعرشه . والواقع أن الملك عند ما يكون متحلياً بحس سياسى صادق حكيم فانه يصبح فى مقدوره أن يبتعد عن الصدام مع شعب بأكمله قد سيئت إدارته على يد حكام ظالمين . بل على العكس ينبغى عليه أن يستميح شعبه عذراً ، إذ أنه لا يعتبر أن شعبه عدوه ، ومن أجل ذلك يجب عليه أن يعاقبه . وفى الحق أن عامة الفلاحين فى مصر لم يكونوا يحقدون على الملك بل كان كل حقدهم منصباً على موظفيه ، ولا شك فى أن هؤلاء الفلاحين وهم الذين يؤلفون القوة الخارجة على السلطان الملكى قد كانوا محقين فى خروجهم على كبار الموظفين . إذ فى الواقع نرى هؤلاء كانوا يدعون لأنفسهم امتيازات ملكية ليست من حقهم . فمن ذلك أن موظفى الجمارك كانوا يستولون دون أى حق على البضائع التى تدخل الإسكندرية ، وكذلك يحصلون أو يفرضون ضرائب لم تكن فى الحسبان . يضاف إلى ذلك أنهم لما كانوا هم الذين يديرون الأراضى المقدسة فانهم كانوا يضمون أحسن الأراضى التى كانت تملكها الآلهة إلى ضياع الملك الحقيقية وفضلا عن ذلك كانوا يفرضون ضرائب فادحة على الفلاحين الملكيين لا قبل لهم بدفعها ، ويحتالون على ذلك باستعمال مكاييل مزيفة أكبر من المكاييل القانونية وذلك عند تسلمهم ضريبة القمح المفروضة على كل فلاح حسب الأرض التى يزرعها . هذا وكانوا يستولون

لأنفسهم على أحسن الأراضى من حيث الخصب . وكذلك نجدهم يسخرون — لخدمتهم الخاصة — رجال الملك من الفلاحين ، وكذلك العمال الخاصين بالاحتكار .

ومما زاد الطين بلة أنهم كانوا يحفظون لأنفسهم الأموال المحصلة للخزانة الملكية .

وأخيراً وليس آخراً كان جماعة هؤلاء الموظفين يحاكمون رعايا الملك ويحبسونهم دون محاكمة . ولا شك فى أن هذا التصرف يعد أخطر علامة تدل على ازدياد قوة هؤلاء الموظفين واستقلالهم وعدم الاكتراث بأى قانون ملكى . وفى هذه الفترة نجد أن الصورة كلاسية لعصر تضعف فيه الملكية . فالسلطة الملكية تتمزق وتوضع فى أيدى الموظفين الذين يدعون حقوق الرياسة ليصبحوا أصحاب السيطرة الفعلية . وهذا هو نفس الموقف الذى وقفته مصر فى اللحظة التى تسلم فيها الفرعون « حورمحب » مقاليد الحكم بعد أزمة « تل العمارنة » . ومن الغريب المدهش أن كل هذه الأعمال التى تدل على العسف والظلم والاضطهاد كانت لا تزال مميزة للمساوىء التى كانت ترتكب فى حكم الملك « إيرجيتيس الثانى » وهو الذى حرم العمل بها وقضى عليها جملة بالمراسيم التى أصدرها على الرغم مما عرف عنه من ارتكاب أبشع الجرائم وأفظعها . وعلى أية حال لم يكتف باصدار هذه المراسيم . فقد رأى — لأجل جعل وقوع مثل هذه الموبقات أمراً مستحيلا — أنه من الواجب عليه أن يغير قانون الموظفين وذلك بعدم جعله ضمن مسئوليتهم . وقد كان هذا هو العلاج الوحيد ؛ غير أن ذلك لم يكن بالأمر الذى يمكن تفهمه فى هذا الوقت . يضاف إلى ذلك أن المراسيم فى نظرهم كانت مجرد حبر على ورق

ولا أدل على ذلك من أنه فى عام ١١٤ ق . م ثارت قرية من قرى « الفيوم » على الحكام الملكيين الذين أساءوا استعمال سلطتهم[١] ويطيب لنا أن نذكر هنا أنه كانت توجد سلطة أخرى — بجانب سلطة الموظفين — تدعو إلى الانحلال فى طول البلاد وعرضها وهى سلطة المعابد ، أو بتعبير أدق سلطان رجال الدين الذين كانوا منتشرين فى كل ركن من أركان البلاد فى المدن والقرى صغيرها وكبيرها . وهذه الطائفة كان جل هم رجالها أن يحصلوا لأنفسهم على استقلال ذاتى سياسى . وقد كان هذا أكبر خطر يتهدد البلاد لما لهم من نفوذ روحى على الشعب . ولم يبد الملك أمام قوة الكهنة هذه أية مقاومة ، فقد كان يعطيهم امتيازات وإعفاءات ولم يحتفظ لنفسه إلا بشىء واحد هو وراثة الوظائف التى اشتراها بيت المال . وذلك لأنه رأى أنه إذا منح الكهنة — بالإضافة إلى المنح والاعفاءات التى نالها الكهنة بمقتضى مراسيم عدة — وراثة الوظائف أيضاً فان ذلك كان يضع فى أيديهم قوة إقطاعية حقيقية . وإذا كان من الواجب عليه أن يحرمها فان الأمر كان فعلا قد وضع على بساط البحث .

ونجد فى الوقت نفسه الذى كان فيه الملك يخفض من عدد الموظفين أنه كان يبحث فى أن يضم إليه قوة الصناع الذين كانوا مصدر ثرائه . فقد انتزعهم من شر الآفات التى تعمل على القضاء عليهم لأجل ألا تخلو منهم المصانع والحقول الملكية[٢] ومن أجل ذلك أعفاهم من توريد ما كانوا يدفعونه كل ثلاثة أشهر من كراء للجند[٣] ، كما منح أولئك الذين اشتروا عقارات

(١) راجع P. Tebt. 15.

(٢) راجع P. Tebtynis I, [illegible] 247.

(٣) راجع Ibid., II 168, 177.

من الخزانة حق الملكية التى لا نزاع فيها، على أن تكون حرة من الالتزامات الشرعية[١] وبهذه الاجراءات يلحظ أن هذا العاهل كان يعمل على تثبيت رعاياه فى أعمالهم وفى أماكنهم . وهذه كانت ضرورة لسياسة استغلال خيرات البلاد لسد حاجة الخزانة . يضاف إلى ذلك أن المراسيم كانت تزيد — فى نفس العصر — فى محتويات حقوق الجنود أصحاب الأطيان فى الأرض التى يزرعونها ، وكانت كذلك تنسابق إلى نفس الغرض[٢] المضعف للدولة .

وأخيراً عمل « بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى » على محو بعض الارتباكات فى الاجراءات القانونية وذلك بأن حد بوساطة العقود من سوق القضايا التى كان يمكن أن تقام بين الأفراد المتعاقدين ، وهذه كانت عملية بسيطة لوضع الأمور فى نصابها[٣] .

غير أن هذا المجهود التشريعى لم يجد نفعاً ، وذلك لأن الأوامر التى صدرت فى عام ١١٨ ق . م أى فى عهد « إيرجيتيس الثانى » لم توجد توازناً بين القوى المضادة فى البلاد ، إذ رأينا أنه منذ عام ١١٤ ق . م كان الشجار قائماً فى الفيوم ، فى حين نجد فى إقليم « طيبة » أن تمزيق البلاد كان يزداد ويشتد ، وقد وصلت الحالة هناك إلى درجة أنه ما بين عام ٨٨ وعام ٨٥ ق.م ، بعد ثلاثة أعوام ، وكان حرب العصابات فيها على قدم وساق ، اضطر « بطليموس سوتر الثانى » إلى تخريب مدينة « طيبة » التى كانت تعتبر وكر المقاومة . وكما جرت العادة نجد أن هذه الانطلاقة الثورية فى البلاد قد جاءت

(١) راجع Ibid., II, 99-183.
(٢) راجع P. Tebtynis, 124.
(٣) راجع Ibid., II, 207-220.

فى أعقاب عصيان أهالى الإسكندرية . وقد حدثنا فى ذلك المؤرخ «بوزانياس»(١) (Pausanias) : « كان من جراء كشف النقاب عن موت « كليوباترا الثالثة » وهرب « بطليموس الإسكندر » خوفاً من أهالى الإسكندرية أن عاد ثانية « بطليموس سوتر الثانى » من «قبرص» (كما هى العادة) وحكم مصر للمرة الثانية . وقد أعلن الحرب على « الطيبين » وأخضعهم بعد مضى ثلاث سنوات على انفجار الثورة . ولقد قسا عليهم لدرجة أنه لم يبق على أية ذكرى من سعادتهم الغابرة » . هذا ولدينا بعض أصداء عن القلاقل التى مهدت للأزمة ثم التجهيزات التى اتخذت للحملة التأديبية . ففى العام التسعين ق . م (أى الرابع والعشرين من حكم « بطليموس الإسكندر ») أعلن كاتب المركز الواقع جنوبى مقاطعة «الجبلين» هجوم ثوار على أراضى «لاتوبوليس» و «الجبلين» الملكية(٢).

وفى متناولنا بعض رسائل مؤرخة بالعام ٨٨ ق . م أى فى السنة السادسة والعشرين من حكم « بطليموس الإسكندر » ، كما لدينا أخرى مؤرخة بالعام الثلاثين من عهد « بطليموس سوتر الثانى » باسم فرد يدعى « بلاتون » (أفلاطون) الذى كان يشغل وظيفة قائد جيش إقليم « طيبة » . والواقع أنه كان يشغل وظيفة القائد الأعلى . ويدل ما جاء فى هذه الرسائل(٣) على أن ما قصه علينا المؤرخ « بوزانياس » كان غاية فى الدقة . فالثورة التى قامت فى « طيبة » كانت قد بدأت قبل عودة الملك « بطليموس سوتر الثانى » من المنفى وعلى ذلك فانها لم تكن مرتبطة بتقلبات أحوال الملك . وبعد ذلك نرى أن

---

(١) راجع Pausanias. I, IX, 3.

(٢) راجع P. dem. Berlin No. 13608, A.Z. 65 (1930) PP. 53-57

(٣) راجع Chronique d'Egypte Ibid. p. 548 note 4.

« الطيبيين » لا يؤلفون كتلة واحدة جمعتهم على كلمة واحدة ، وكان « بلاتون » قد كتب فى ٢٨ مارس عام ٨٨ لأهالى «الجبلين» الذين كانوا على ولاء للملك — والظاهر أنهم كانوا مهددين — رسالة يدعوهم فيها للهدوء والسكينة كما رجاهم أن يساعدوا « نختيريس » الذى كان قد كلفه بتنظيم المقاومة . وقد اتجه بنفسه نحو المدينة المهددة وكذلك كتب إلى « نختيريس » فى الوقت نفسه يخبره بأنه قد أخذ على عاتقه إخضاع الثوار ، وأنه يصل إلى « لاتوبوليس » ، ورجاه بأن يشرف على الإقليم وأن يعمل على أن يسود الهدوء والطاعة(١) . ويمكن الإنسان أن يستنبط من بين سطور هاتين الرسالتين مقدار الذعر الذى كان ينذر باقتراب انفجار الثورة .

وكان الخوف من حلول القحط فى المدينة المحاصرة قد جعل الهلع يدب فى نفوس السكان . وقد فكر « بلاتون » من أجل ذلك فى تموين المدينة المحاصرة ؛ وبسبب ذلك كتب فى ثلاثين مارس إلى « نختيريس » على أن يعمل كل ما فى وسعه على أن يكون لدى كل فرد فى المدينة أردب من القمح احتياطياً أى ما يكفيه مدة شهرين ، وكذلك يكون لديه خبز وشعير(٢). وعلى ذلك نجد هنا ثانية أن النضال كان قائماً بين «الجبلين» الموالية للملك وبين «طيبة» الثائرة عليه وهذا هو نفس ما كان قد حدث فى عام ١٣٠ ، وفى عام ٩٠ ق . م . على أن الشيء الذى يدعو إلى الدهشة هو أن نرى مدينة « الجبلين » يدافع عنها مصرى . ولكن ليس هناك ما يدهش فى ذلك لأننا نرى فى وقتنا الحاضر وفى كل زمان أن الجنود الرسميين يحاربون الثوار سواء أكانوا من

---

(١) راجع P. Bouriant, 10.

(٢) راجع Ibid. 11.

سلالتهم ومن وطنهم أم أجانب وأعتقد أن السبب الذى أوردته الآنسة « كليربريو » فى هذا الصدد وهو عدم وجود كراهية بين المصريين والإغريق ، لا يطابق الواقع . وعلى أية حال فان الحصار إذا كان قد أقامه الثوار فانه لم يفك بسرعة وذلك لأنه فى أول نوفبر عام ٨٨ ق . م خاطب « بلاتون » الكهنة وأهالى «الجبلين» الآخرين فاستمع لما قاله : « سلام . لقد كتب إلى فيلوكزينوس » (Philoxenos) أخى فى رسالة حملها إلى « أورميس » أن الملك « سوتر » الآله العظيم جداً قد وصل إلى « منف » وأن « هيراكس » (Hierax) قد عين لإخضاع إقليم « طيبة » بقوات عديدة . ولأجل أن يحوز هذا الخبر ثقتك الطيبة فانا قد قررنا أن نخبرك به . تحريراً فى العام الثلاثين التاسع عشر من شهر بابه » ومن ثم نفهم أن كهنة « الجبلين » كانوا يديرون المقاومة .

ويرجع السبب فى ذلك إلى أن كهنة «الجبلين» هؤلاء كانوا خدام الآلهة « حتحور » وقد كانوا منذ زمن بعيد يحملون فى نفوسهم حقداً كميناً على كهنة آمون(١) . وعند ما نرى أن كهنة « حتحور » كانوا موالين للملك فلا بد أن نفهم أن من كان يعارض السلطة الملكية فى « طيبة » لم تكن طبقة الكهنة بل كان « آمون » أو بعبارة أدق مُذهب « آمون » وأتباعه وحسب . ومنذ ذلك الوقت نجد ثانية رابطة تقليدية تضرب باعراقها إلى الأزمة التى أوجدها « إخناتون » والتى كانت ترمى إلى القضاء على عبادة « آمون » . وقد أفلح فعلا هذا الملك الذى يعتبر أول من وحد بالله فى تاريخ البشرية بصورة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام . وتدل شواهد الأحوال على أنه منذ ذلك العهد لم

(١) راجع Jouguet Bull. de Corr. hell. 21. (1897) P. 147.

نسمع أن واحداً من أولئك الملوك الذين أرادوا أن يكون لهم سلطان قوى كان على وفاق ومصادقة لمدة طويلة مع مذهب «آمون» وأتباعه . هذا ونجد فى عهد البطالمة أن إله «طيبة» وهو «آمون» كان يحافظ على ذكريات القرون التى سبقت عهد النهضة الساوية التى بدأت فى بلاد السودان وهى التى تعتبر نهضة ملكية يساندها أتباع «آمون» ، على أن ذلك لم يكن بالأمر الهام فى نظر المصريين الذين كانوا يريدون أن يتخلصوا من الحكم الأجنبى ومساوئه . ومن ثم نجد أن الشجار كان فى الواقع بين المصريين والإغريق ، المقدونيين المستعبدين . ومن أجل ذلك فانى لا أتفق مع الآنسة «كلير بريو» فى أن الحرب فى مصر — كانت فى نهايتها — حرباً بقوة السلاح بين مبدئى الإقطاع ومبدأ الملكية . والواقع أن هذه الحرب قد جاءت عرضاً ولم تكن أساساً ، بل الأصل كان قيام الشعب المصرى — منذ أن وطىء الإغريق والمقدونيون أرض الكنانة — لمقاومتهم والتمتع ببلادهم حرة يحكمها مصرى من أبناء مصر كما أظهرت الحوادث التى سردناها فى هذا الصدد منذ قيام الثورة بصورة جديدة فى نهاية عهد «بطليموس الرابع» . وقد استمر المصريون فى نضالهم ومقاومتهم ملوك البطالمة وبطانتهم من الإغريق والمقدونيين حتى قبل نهاية الحكم البطلمى بمدة وجيزة .

والاضطرابات والقلاقل التى قامت فى العام التسعين قبل الميلاد والتى جاء ذكرها فى ورقة برلين الديموطيقية قد تكون هى بداية هذه الثورة وبذلك فان حملة «هيراكس» تكون بمثابة إيذان لانتهاء الشجار ، وعلى ذلك تكون الثلاث السنوات التى حددها المؤرخ «بوزانياس» قد انتهت عام ٨٨ ق . م . أما إذا كان ينبغى على العكس أن نجعل هذه الحرب تبتدىء — كما يقول مؤرخنا — برجوع الملك «بطليموس سوتر الثانى» إلى عرش الملك فانه ليس لدينا فى

مراسلات « بلاتون » السالف الذكر إلا المرحلة الأولى من هذه الحروب .

هذا وتقدم لنا ورقة « باد » رقم ١٦ (Bade No. 16) كذلك ، تفصيلا عن المقاومة التى أبدتها بلدة «الجبلين» . وما جاء فيها فى هذا الصدد هو تهانى للكهنة من أجل القرارات التى اتخذوها . هذا وقد دعاهم « بلاتون » فضلا عن ذلك لحماية المكان لأجل « السيد الملك »[1]. ولا يفوتنا أن نذكر هنا الدور الذى كان يقوم به الكهنة فى هذه البلدة فقد كانوا مكلفين بالقيام بالحكومة المدنية فيها مما يدل على ما كان لهم من أهمية سياسية فى شؤون هذه البلاد التى كانت آخذة فى الإنحلال والإفلات من سلطان الملك الذى قد أصبح بدوره فى نهاية العهد البطلمى لا شىء على وجه التقريب . والمهم هنا أن هؤلاء الكهنة لم يكونوا من أتباع «آمون» بل كانوا من عباد الآلهة « حتحور » .

وعلى أية حال فان كسر شوكة المقاومة فى إقليم « طيبة » لم يعد للبلاد هدوءها ونشر السلام فيها ، وذلك لأن المقاومة فى « طيبة » لم تكن روح الثورة التى ترمى إلى طرد الإغريق من البلاد بل كانت مجرد نقطة مقاومة يسكنها الآله «آمون» الذى كان له سلطان عظيم فيما مضى وأن مقاومة المصريين كانت مستمرة للعمل على طرد الأجنبى الإغريقى من البلاد التى أصبح يستغلها على حسابهم حتى أصبحوا فى فقر مدقع وبؤس شامل . وهذا هو ما تحدثنا به الآثار فلدينا بعض الأوراق البردية التى عثر عليها فى « أهناسيا المدينة » يرجع تاريخها إلى العام الخمسين قبل الميلاد وصفت لنا ما كان عليه ريف مصر من حالة تدعو إلى الحزن والأسى . إذ قد أصبحت قرى برمتها خاوية على عروشها فرجالها كانوا يفرون من وجه الفقر والضغط لابتزاز

(١) راجع Chronique d'Egypte, Ibid. P. 550 No. 8.

الأموال ظلماً وعدواناً[١]. أما أولئك الذين كانوا لا يزالون مرتبطين بالأرض التى كانوا يزرعونها ، فكانت تفرض عليهم مصاريف باهظة من أجل الزراعة[٢]. وكانت المعابد مقصداً للصوص والناهبين[٣]. أما الموظفون فناهيك بهم فقد كانوا يسيئون استعمال سلطتهم . وقد كانت الالتزامات المالية وقتئذ قد بلغت من الفداحة والارهاق ما جعل سكان مصر لا حول ولا قوة لهم على تحملها لدرجة أن مالية مصر أعطيت أحد الرومان . وآية ذلك أن « بطليموس الزمار » ملك مصر كان قد أصبح فى واقع الأمر مديناً بأموال طائلة إلى المرابى « رابيريوس بوستوموس » (Rabirius Postumus) ، وبدلا من أن يوفى له ما عليه من دين فى عام ٥٥ ق . م فانه عين صاحب الدين مشرفاً على مالية مصر[٤].ويمكن الإنسان أن يتنبأ مقدار فداحة الأموال التى كان يبتزها مثل هـــذا المرابى ومقدار السلب والنهب الذى كان يستنزفه من دماء الفلاحين المصريين،على أن مصر وأهلها كانوا يعرفون وقتئذ من المخرب لديارهم ، ومن المستنزف لدمهم على مرأى منهم .

وليس بغريب أن يبلغ البؤس أشده والصبر نهايته مما آدى من جديد إلى انتشار الاضراب حتى عم البلاد . ولدينا قطعة بردى تكشف لنا فى وقت واحد عن ولاء السكان وكراهيتهم التى كانوا يصرحون بها عن تصرفات

---

(١) راجع B.G.U. 1843.

(٢) راجع B.G.U. 1815.

(٣) راجع B.G.U. 1835 cf. Ibid., 1888.

(٤) راجع Cicéron, Pro Rabiro Postumus, cf. P. GUIRAUD, Histoire d'un financier romain, Revue de Paris (1903) PP. 855-878; B.L. II PP. 168-271.

رجال الإدارة الخائنين . فاستمع إلى بعض ما جاء عن حادث مدهش فى بابه وهو عبارة عن محضر محادثة جرت بين العمال وبين الممثلين الرؤساء للحكومة الذين يصغون إلى مظالمهم وتهديداتهم :

« . . . فى الصباح الباكر إجتمع جم غفير من الناس أكثر من أولئك الذين اجتمعوا عند صرح (نافذة المقابلة) وطلبوا غوث الملكات والجنود . وقد قابلهم الحاكم العسكرى ومعه «مقدمه» المسمى « خايراس » (Chairas) . وقد علم من جديد عن ارتكاب مساوئ كثيرة مع كل فرد على يد قوم « هرمايسكوس » (Hermaiscos) . وقد أصر الشاكون على أن يرفضوا القيام بأى عمل حر أو ملكى إذا لم يقم الحاكم العسكرى بعمل تقرير للملكات ولوزير المالية بمقتضاه بطرد قوم « هرمايسكوس » من المقاطعة . غير أن الحاكم العسكرى والآخرين قد نصحوهم بالتزام السكينة ووعدوهم بأن يقدموا تقريراً باتهاماتهم . وعلى ذلك انصرفوا . هذا هو السبب الذى من أجله نعمل هذا التقرير » .

ويلحظ أنه ليس هناك فرق أساسى بين هذا الإضراب الشديد الذى أدى فى الحال إلى العصيان ، والإضرابات التى ذكرناها من قبل فى أوراق « زينون » التى يرجع عهدها إلى القرن الثالث قبل الميلاد . غير أن المساوئ فى العهد الأخير الذى نحن بصدده قد ازدادت كما اشتد البؤس ، ولكن الأحوال الإقتصادية والإجتماعية التى كان يرزح تحت عبئها أفراد الشعب كانت كما هى ، وسببها ضغط المستعمرين الأجانب وشره ملوك البطالمة . ومن ثم نشأت كراهة المصريين للإغريق .

ولا نزاع فى أن استمرار هذه الحالة فى البلاد هى التى يجب أن توضح بعد هذا البحث الطويل .

وفى الحق إذا نظرنا بعين فاحصة فى تقلبات الأحوال فى الديار المصرية منذ دخول «الإسكندر الأكبر» أرض الكنانة واحتلالها حتى نهاية العهد البطلمى تقريباً لاتضح لنا أن النضال بين المصريين وبين المستعمرين من الإغريق والمقدونيين كان قائماً دون هوادة . وقد تطورت القوى المناهضة للمستعمر على حسب قوة الملك الحاكم وضعفه وعلى مقدار ما كان يتطلب من الشعب المصرى من تضحيات مادية لتنفيذ سياسته فى داخل البلاد وخارجها ، وذلك على حساب الفلاح المصرى والعامل المصرى وحسب . ولم يترك البطالمة — طوال مدة حكمهم البلاد — فرصة سمحة للشعب المصرى ليشترك مع من أتوا معهم من بلاد الإغريق و«مقدونيا» فى حكم البلاد ، بل جعلوا كل السلطة فى أيديهم من الوجهة الاقتصادية والسياسية وجعلوا مركزهم الرئيسى فى الإسكندرية وبعض مدن أخرى فى الديار المصرية . ومن ثم أصبحوا يؤلفون حزباً خاصاً حاكماً فى البلاد وبذلك كانوا هم المسيطرين على سياسة البلاد فى البلاط وقد أخذ سلطانهم يزداد حتى أصبح فى أيدى الإسكندريين الأجانب الحل والعقد فى الأمور السياسية عند ما يترآى لهم ذلك . وقد رأينا فى خلال سرد تاريخ ملوك البطالمة فى العهد الأخير ، كيف كانوا يعزلون ويولون الملوك دون كبير عناء وذلك باعلان الثورة على كل ملك يرون أنه حاد عن جادة الصواب ، وأن فى بقائه خطراً على البلاد ، كما كانوا يشنون الحرب على كل حكومة لم تكن فى نظرهم تنهج الطريق السوى فى تدبير شؤون الدولة . وبذلك كان حزب الأجانب فى البلاد من الإغريق والمقدونيين الذى يسكن العاصمة صاحب سلطان قوى فى سياسة البلاد ، بل كان هو الحزب الذى له السيادة المطلقة . ومن أجل ذلك كان خطراً يهدد ملوك البطالمة . وكم من رجال هذا الحزب قد استغل منصبه فى ابتزاز الأموال من الأهلين وجر البلاد إلى حروب طاحنة

كان من نتائجها فى نهاية الأمر القضاء على هيبة مصر وضياع ممتلكاتها فى الخارج بل واحتلالها احتلالا عسكرياً . هذا فضلا عن أنها أصبحت فى أواخر أيامها تحت وصاية الرومان إلى أن احتلوها وأصبحت ضمن أملاكهم .

ولقد كان من جراء تسلط الحكام الإغريق وإجحافهم بحقوق الشعب المصرى الكادح أن أخذ الأخير يشعر باضطهاد الأجنبى وظلمه له ، فقام بثورات مطالباً باستقلاله ورد حقوقه إليه ، وبدأت هذه الثورات فى الوجه البحرى ثم انتشرت فى الوجه القبلى . وقد كان على الملك والحكام الإغريق أن يقاوموا هذه الثورات ويخضعوها بحد السيف تارة وبالمهادنة ، وتخفيف الضرائب تارة أخرى ، بل أحياناً بالإغراء بمنح بعض الوظائف الكبيرة فى الإدارة أو حتى فى الجيش . وبذلك كان المستعمر يحرض — فى كثير من الأحوال — المصريين بعضهم على بعض لإحباط الثورة التى كانت فى أساسها إرجاع الحقوق إلى أصحابها . ولقد بلغ من إغراء الإغريق للمصريين أن استعملوا المنافسات الدينية بين أهل الشمال وأهل الجنوب . ومع ذلك فان الأبطال المصريين الذين كانوا يدافعون عن استقلال مصر قد أسسوا لهم ملكاً على غرار ملك الفراعنة حتى أصبحت مصر مقسمة قسمين يمثل أحدهما الشعب المصرى الأصيل والآخر يمثل البطالمة والأجانب . ولولا الخيانات وقلة المال لأفلح المصريون فى طرد البطالمة من ديارهم . وعلى الرغم من تغلب الإغريقى على المصرى فان ثورات الأخير لم تنقطع حتى نهاية الحكم البطلمى وكانت المعول الجبار فى هدم سلطان ملوكه . هذا وتدل الأحداث التى وقعت خلال هذا النضال المرير بين الشعب المصرى الأصيل وبين ملوك البطالمة والموظفين الأجانب من الإغريق والمقدونيين على أنه من أكبر العوامل — التى أفسدت

خطط المصريين المجاهدين — ما كان عليه رجال الدين من تذبذب بل انحياز ظاهر لملوك البطالمة الذين أفسدوهم بما كانوا يغدقون عليهم من هبات ، وامتيازات جعلتهم يميلون إليهم كل الميل مما أفسد نضال الأبطال المصريين وشل نشاطهم إلى أبعد حد . ومع ذلك فقد كانت فئة منهم تميل إلى نضال المواطنين أحياناً .

ومن ثم نرى أن كل هذه العوامل التي ذكرناها هنا كانت السبب في قيام الشعب المصري على الهيلانيين . ولست أرى رأى الآنسة « كليربريو » عند ما قالت أن عبارة « طرد الإغريق » لم تكن على ما يحتمل إلا صيحة حرب وأن ذلك لم يكن الغرض الأول ولا السبب العميق للثورة المصرية التي لم يخمد لهيبها . وذلك أن بيت الداء هو الحكم الهيلاني الأجنبي وما كان يرتكبه رجال الإدارة والقضاء من مظالم مع المصريين فاذا زال هؤلاء الحكام زالت معهم كل المساوىء التي كان يتألم منها المصري ويئن تحت أعبائها وبخاصة التفرقة العنصرية التي كانت بادية في كل مكان وفي كل أوجه النشاط في البلاد ، وبذلك أعتقد أن كل كره المصري وما قام به من ثورات — مهما كان لها من ألوان مختلفة في ظاهرها — فان أساسها كان التميز العنصري واستغلال الشعب المصري المسالم بكل الوسائل . وقد ساعد ملوك البطالمة في ذلك لإرضاء شهواتهم وأطماعهم على حساب الشعب المصري النبيل المسالم الذي لم يثر إلا بعد أن طفح الكيل ولم يبق في القوس منزع .

لمحة عن عبادة الحيوان بوجه عام وعبادة الثورين

«أبيس» و«بوخيس» بوجه خاص

مقدمة :

تحدثنا فى الأجزاء السابقة من هذه الموسوعة عن تقديس الحيوان عند قدماء المصريين كلما اقتضت الحال، وبخاصة فيما يتعلق بالحيوانات التى كانت تلعب دوراً هاماً فى حياة المصرى القديم منذ فجر التاريخ وما قبله ؛ على أن عبادة الحيوان لم تكن قاصرة على مصر بل وجدناها فى كثير من بلاد العالم القديمة غير أنها لم تكن سائدة مسيطرة على عقول الشعوب الأخرى كما كانت آخذة بزمام عقول المصريين منذ أن عرفنا شيئاً عن تاريخهم ، هذا ولا يزال — على الرغم من البحوث العدة التى كتبت عن كنه الديانة المصرية القديمة — موضوع عبادة الحيوان عند قدماء المصريين بوجه خاص من أعجب الظواهر وأكثرها تعقيداً ، ولا يزال علماء الآثار حتى يومنا هذا يضعون النظريات عن كنه هذه العبادة وكيفية نشأتها وترعرعها فى مصر . وقد انتشرت هذه العبادة فى البلاد المتاخمة لمصر فى صور مختلفة . وعلى الرغم من اختفائها بظهور الأديان السماوية التى أخذت مكانها فان رواسبها لا تزال باقية فى مصرنا الحديثة حتى يومنا الذى نعيش فيه ، وبخاصة عند الطبقة الدنيا من الشعب فالقطة لا تزال تقدس عند عامة الشعب والثعبان لا يزال يقدس فى كثير من جهات القطر .

والآن يتساءل الإنسان عن سبب عبادة المصرى للحيوان منذ أقدم عصور التاريخ حتى أتت الديانة المسيحية وقضت على هذه العبادة بعد نضال وحروب

امتدت أجيالا طويلة ؟ ولفهم هذا الموضوع لا بد أن نعترف أولا أن الحيوانات كانت تلعب دوراً غير عادي فى الديانة المصرية القديمة . وقد لفتت هذه الحقيقة أنظار الكتاب القدامى من الإغريق والرومان والمسيحيين كما سنفصل القول فى ذلك فيما بعد . وعلى أية حال لا يمكن الباحث فى أصول الديانة المصرية القديمة أن يتجاهل الحقيقة القائلة أن أصل نشأة العبادات بوجه عام لم تصل إليه معرفتنا ، كما أنه لن يكون فى استطاعتنا أبداً أن نعرف ارتباط بعض الآلهة ببعض الحيوان . فلدينا آلهة كثيرة جداً ظهرت فيها هذه الارتباطات مع الحيوان وعبادتها منتشرة بصورة فوق العادة بالنسبة لفهمنا . وعلى ذلك لا يمكننا أن ندعى فهم الديانة المصرية القديمة دون أن نحاول هنا على الأقل وضع تفسير لهذا الموضوع الذى يعد أعوص موضوعات الديانة المصرية القديمة وأعقدها ، وفى الوقت نفسه يعتبر أغرب ظاهرة فى التاريخ المصرى القديم .

وقد يكون من خطل الرأى القول بأن عبادة الحيوان هى ظاهرة وصلت إلينا عن طبقة بدائية للديانة المصرية القديمة . وهذا هو الرأى الذى نجده مكرراً كثيراً فى أمهات الكتب التى وضعت حديثاً عن الديانة المصرية . ولا نزاع فى أنه رأى تعضده فى الظاهر بعض الحجج والآراء ، غير أنها عند ما تفحص جيداً يبدو بطلانها . فقد قيل مثلا أن عبادة هذه الحيوانات غالباً ما تكون ذات طابع محلى محض . ومعنى ذلك أنها تدور حول مخلوقات لا أهمية لها بالمرة فعلا فى حياتنا اليومية مثل عبادة الضفادع أو « أم أربع وأربعين » . ومن أجل ذلك يجب علينا أن نضع الحيوانات المقدسة على قدم المساواة مع أشياء أخرى خاصة قدسها المصرى . مثال ذلك السهان المتقاطعان

اللذان يرمز بهما للآلهة «نيت» التى تعبد فى بلدة «صا الحجر» من أعمال الوجه البحرى . وعلى هذا الزعم يمكن القول أن كل هذه الإشارات تعتبر مجرد رموز اتفق عليها للرفع من شأن الوحدة القبلية . ومن جهة أخرى فسر هذه الإشارات طائفة أخرى من العلماء على أنها «طوطم»[1]. غير أن الصفات الخاصة بمذهب الطوطمية مثل الزعم بالتناسل من الطوطم والتضحية من أجل عيد قبلى رسمى ، أو الزواج من خارج أفراد القبيلة ، كل هذه المميزات الخاصة بالقبائل المعتنقة مذهب الطوطمية لم نعثر عليها أبداً فيما وصل إلينا من المصادر المصرية[2]. يضاف إلى ذلك أن معالجة موضوع الحيوانات المقدسة بقصد إبراز أهميتها المحلية أو السياسية على حساب أهميتها الدينية لا جدال يخالف الواقع . فما لا يمكن انكاره أنه يوجد بعض شىء غريب كلية فيما يتعلق بالمعنى الذى تدل عليه الحيوانات بالنسبة للشعب المصرى القديم ، وذلك عند ما نقرنه بالمعنى الذى تدل عليه الحيوانات فى إفريقيا أو أمريكا الشمالية . فمثلا نجد فى هذه البلاد على ما يظهر أنه إما الفزع من القوة الحيوانية أو الرابطة القوية أى التضامن المتبادل بين الإنسان والحيوان — يفسر لنا عبادة الحيوان وذلك فى حين أننا نجد فى مصر ، أن الحيوانات من هذه الناحية — دون النظر إلى طبائعها المميزة لها — كان لها على ما يظهر فوق ذلك معنى دينى . وهذا المعنى كان خطيراً لدرجة أنه — حتى التفكير الناضج الذى وصل إلينا فى الأزمان المتأخرة — لم يستغن إلا

---

(١) ومعنى كلمة طوطم هو انتساب قبيلة إلى حيوان أو نبات وأى شىء آخر .

(٢) راجع A. Van Gennep, l'Etat Actuel du Probleme Totemique, Paris (1922).

نادراً عن الأشكال الحيوانية فى التصوير المجسد أو التصورات الأدبية التى تشير إلى الآلهة .

ولكن لا بد أن نشير هنا إلى عدم وجود أى شىء مجازى فيما يخص الرابطة بين الآله والحيوان فى مصر . وليس الأمر هو وجود بعض صفات إلهية ناطقة بوساطة الحيوان كما يفسر النسر أخلاق الآله « زيوس » عند الإغريق ، بل على العكس نلحظ رابطة غريبة بين الإله والحيوان الفعلى ، وعلى ذلك فانه فى زمن تدهور البلاد المصرية قد كسبت صورة جامدة فظيعة . ومن أجل ذلك نجد فى فترة التدهور هذه، قططاً محنطة وكلاباً وصقوراً وثيراناً وتماسيح وغيرها قد دفنت بالمئات فى جبانات شاسعة مما ملأ صدور علماء الآثار بالحيرة المؤلمة ، وذلك لأن هذا — وهو ما يجب الاعتراف به — هو الشرك الفاحش . ومع أن هذه علامات غريبة ، غير أنها معبرة عن سمة خاصة فى الديانة المصرية القديمة تتميز بها .

ولأجل أن نفهم هذه السمة يجب علينا أولا أن ندرك أن الصلة بين الآله والحيوان الذى يتقمصه يمكن أن تختلف اختلافاً عظيماً . فاذا قيل أن الآله « حور » هو صقر عيناه تمثلان الشمس والقمر ونفسه هو ريح الشمال المنعش ، فانه فى استطاعتنا أن نفكر فى أن هذا هو مجرد صورة لوصف آله مؤثر للسماء . غير أننا نعرف أن هذا الآله كان قد صور فى صورة طائر منذ أقدم العهود ، وكان المعتقد ظاهراً أنه قد تجلى أما فى طيور فردية أو فى النوع . وكذلك كان الآله « تحوت » يتجلى فى صورة القمر ، كما كان كذلك يظهر فى صورة قرد ، وفى صورة «إيبس» (أبو منجل) ولا نعلم إذا كانت توجد أية صلات يظن أنها قائمة بين هذه الرموز المختلفة، وإذا كانت توجد فعلا

صلات فما هى ؟ والعلاقة بين الثور « منيفيس » (من - ور) الذى كان يعبد فى عين شمس وبين آله الشمس « رع » ، وبين الثور « أبيس » وآله الأرض « بتاح » كانت مختلفة ثانية . فالإله « بتاح » لم يمثل أبداً فى صورة ثور أو كان متقمصاً ثوراً ، ولكن ثور « أبيس » كان يسمى « أبيس الحى » ، رسول « بتاح » الذى يحمل الصدق إلى عين صاحب الوجه الجميل (أو الكامل) . وكان الثور « منيفيس » يحمل لقباً مشابهاً للذى يحمله الثور «أبيس» بالنسبة للإله « رع » . وفضلا عن ذلك فان الحديث هنا بالنسبة للثورين لا يعالج أنواعاً من الحيوانات تعتبر مقدسة ، بل يتحدث عن حيوان بعينه مميزاً بعلامات خاصة ، وفى هذه الحالة كما يقول بعض الأثريين فأنه لا يتقمص الحيوان ، بل يعد الخادم الإلهى للآله . وهناك حيوانات أخرى كان يتصورها الإنسان فى العادة فى صور حيوانات ، وحتى فى حالة هذه الحيوانات فان التقمص لم يحدد قواها بل ولم يعرفها . فمثلا الآله « أنوبيس » كان يمثل فى صورة إبن آوى جاثماً على الأرض وباسطاً ذراعيه فى معظم مظاهره ، غير أنه لم يكن بأية حال من الأحوال حيواناً مؤلهاً . فنلحظ أنه فى أقدم المتون التى جاء ذكره فيها كان يظهر بمثابة آله الجبانات الصحراوية . وكان يضمن للمتوفى دفنة لائقة به ، وعند ما أصبح التحنيط شائعاً فقد اعتبر سيد التحنيط . وهذا الآله كان يصور فى الأوراق البردية وعلى جدران المعابد والمقابر بجسم إنسان ورأس الحيوان المعروف بابن آوى .

ومثل هذه الآلهة التى تصور برأس إنسان وجسم حيوان كانت شائعة فى الفن المصرى ، وتفسر نظرية التطور العادية مثل هذه الأشكال الآلهية بأنها صور انتقالية تحتل مكانة وسطاً بين عبادة الحيوانات الساذجة أى فى صورتها

الأصلية ، وبين الآلهة التي تمثل في صورة بشر وهي التي ظهرت في عهد أكثر مدنية من سابقه الذي كان يعبد فيه الحيوان في صورته الطبيعية . غير أن أصحاب هذه النظرية قد تجاهلوا حقيقة هامة وهي أن أقدم التماثيل الآلهية التي حفظت لنا حتى الآن قد تمثل فيها الآله « مين » في صورة إنسان وحسب . وعلى العكس من ذلك نجد أنه حتى نهاية عهد استقلال أرض الكنانة كان الاعتقاد أن الآلهة كانت تظهر في حيوانات أو بعبارة أخرى تتقمص حيوانات . فمثلا الآلهة « حتحور » تظهر في الأوراق البردية المتأخرة وحتى في التماثيل الملكية في صورة بقرة ، يدلك على ذلك صورة البقرة « حتحور » التي تحمى الملك «بسمتيك الأول» وهي محفوظة الآن بالمتحف المصرى،ومع ذلك وجدنا أن هذه البقرة « حتحور » منذ أقدم العصور التاريخية أى منذ عهد الأسرة الأولى ممثلة على لوحة الملك « نعرمر » بوجه بشرى محلى بقرنى وأذنى بقرة . وقد علل ظهور الملامح البشرية في عصر مبكر كهذا بأنه كان شيئاً منتظراً لأن الآله كان قوة مشخصة . والتشخيص على أية حال يتطلب صورة بشرية وهذا أمر ممكن الحصول عليه بسهولة . وعلى أية حال دلت المشاهدات على أن الآلهة لم يكن ظهورها محصوراً في هيئة واحدة معينة . فقد رأينا أن الآله « تحوت » قد ظهر مرة في صورة قمر ومرة أخرى في هيئة قرد وثالثة في صورة الطائر أبو منجل « إبيس » . وعلى ذلك يكون من الخطل أن نتحدث في مثل حالة هذا الآله عن شكل متحول من صورة إلى أخرى . فليس هناك حاجة للتحول . وحقيقة الأمر على ما يظهر أن هذا الآله كان يظهر كما يرغب في أحد مظاهره المعروفة . ومن جهة أخرى كانت هناك حاجة معينة لتميز الآلهة عند ما كانت تصور في هيئة بشرية ، وفي مثل هذا النظام يمثل الصورة الإنسانية التي لها رأس الطائر أبو منجل

الآله « تحوت » . وإنى أشك فى أن المصريين لم يقصدوا من صورهم التى تجمع بين الإنسان والحيوان بأنها تعبيرات عن حقيقةمتخيلة قط ، وأنه يجب علينا إذاً ألا نفهم الآلهة التى لها رأس حيوان كما تظهر لنا . فمن المحتمل أن هذه الصور كانت صوراً كتابية لا صوراً تمثل الحقيقة . فالآلهة « حتحور » تمثل فى العادة فى هيئة بقرة ، أو فى صورة وجه امرأة بقرنى بقرة ، أو فى صورة امرأة ترتدى تاجاً له قرنا بقرة كما يشاهد ذلك فى أحد مناظر معبد « سيتى » بالعرابة المدفونة حيث تراها ممثلة قاعدة مع الملك « سيتى الأول » . وعلى ذلك فان المعنى المقصودمن كل من هذه الصور هو : هذه هى الآلهة التى تظهر فى صورة بقرة . وعلى ذلك فان الصور التى لها رأس حيوان ليست صوراً حقيقية أبداً بل صوراً آلية وحسب . ومن ثم ليس هناك أى فرق إذا كان الشىء المركب على الجسم الإنسانى هو رأس حيوان من ذوات الأربع أو رقبة أبو منجل أو الجزء الأمامى من حية . ويمكن تفسير هذا بسهولة إذا كان المقصود هنا صورة تدل على فكرة ، ويعزز هذا التفسير ما نشاهده فى الصور الحيوية القليلة التى اخترعها المصريون مثال ذلك الآلهة « تواريت » فهى صورة ذات دلالة مقنعة وإن كانت أجزاء جسمها مؤلفة من أعضاء متنافرة إذ نشاهد أن رأسها هو رأس فرس البحر ، والظهر والذيل لتمساح ، والصدر لمرأة أما مخالبها فمخالب أسد .

وعلى أية حال فان النظرة السريعة التى ألقيناها هنا عن العلاقات المختلفة بين الآلهة والحيوانات فى مصر لم توضح لنا الدور الذى تلعبه الحيوانات. ولكن نفس عدم وجود قاعدة عامة عن هذا ، بالإضافة إلى تنوع المخلوقات المتعلقة بذلك ، يوحى كما يظهر بأن ما هو مميز فى هذه العلاقات ، كانت رهبة دينية

خفية يشعر بها الإنسان أمام كل الحيوانات الكائنة وبعبارة أخرى يخيل أن الحيوانات بهذه الصورة كانت تنطوى على معنى دينى بالنسبة للمصريين . ومن الممكن أن حالتها هذه قد نبعت من تفسير دينى ، يعنى أن الحيوانات كانت تعتبر عالماً آخر يختلف عن عالم الإنسان . والاعتراف بغيرية الحيوان نجده متضمناً فى جميع الشعور الدينى الخاص كما برهن على ذلك الأثرى « اتو »[1] ويستخلص من ذلك أن المصريين قد فسروا ما ليس ببشرى بأنه خارق للطبيعة البشرية ، وبخاصة عند ما رأوا ذلك فى الحيوان — فى حكمتها الصامتة وتأكدها ، وأعمالها العظيمة التى تقوم بها دون تردد ، وفوق كل شىء حقيقتها الثابتة . فيشاهد فى الحيوان ، أن تتابع الأجيال المستمرة لا يأتى بأى تغير عليها ، وهذه ليست حجة معنوية متكلفة بل هو شىء يوحى بنفسه كما عبر عن ذلك الشاعر الإنجليزى « كيتس » (Keats) فى أنشودته للكروان حيث يقول :

« إنك لم تولد للموت أيها الطائر الخالد
« فلم تطأك بالأقدام أجيال ذات مسبغة
« وأن الصوت الذى أسمعه هذه الليلة المنصرمة قد سمعه
« فى الأيام الخوالى العامل والفلاح .

والحيوانات لا تتغير أبداً ، ومن هذه الوجهة يظهر أنها تشارك — بدرجة غير معروفة — الإنسان فى طبيعة الخلق الأساسية . وقد دلت البحوث الحديثة على أن المصرى كان ينظر للعالم الحى بأنه يسير على حسب دورة منظمة محصورة فى وحدة لا تغيير فيها ولا تبديل . وقد ظهر هذا الرأى فى

---

(١) راجع Rudolf Otto, The Idea of the Holy (Oxford 1948).

نظامهم الاجتماعى . والحقيقة أن هذه الدورة المنظمة للعالم قد حددت نظر المصرى للعالم لدرجة أنه كان يفهمها بأنها تفسير بدهى لنظام الكون ، ومن أجل ذلك كان لا بد من الارتباط به . ونحن بدورنا نعلم الآن أن الإنسانية لا يمكن أن توجد بهذه الحالة ، وذلك لأن خاصيات الإنسان الفردية تتفوق على كل ما سواها من حيث أوجه الشبه . غير أن الحيوانات تعيش فى نوعها الذى لا يتغير متبعة فى ذلك طرق حياتها التى قدرت لها من قبل دون النظر إلى تعويض الشخصيات . ومن أجل ذلك كانت تظهر حياة الحيوان فى نظر المصريين فوق حياة البشر بوصفها أنها كانت تشترك مباشرة وبصورة واضحة فى حيلة العالم الثابتة . ولهذا السبب فان الاعتراف بأن الحيوانات تعتبر شيئاً آخر مختلفاً فى نظر المصريين هو اعتراف بألوهيتها .

وهذا التفسير لعبادة الحيوانات عند قدماء المصريين يحتاج إلى تحديد من وجهتين . وذلك لأن هذا التفسير يتوقف بطبيعة الحال على القوة التى يمكن بها البرهنة على أن المصريين كانوا يسيطرون حسب رأيهم على العالم واعتقادهم أنه لا يتغير ، وكذلك يحتاج هذا التفسير إلى البراهين التى تثبت ذلك . وقد جمع هذه البراهين الأستاذ « فرنكفورت » فى كتابه عن الديانة المصرية القديمة . وفضلا عن ذلك فانه لو كانت حقاً أن الحيوانات بوجه عام قادرة على أن تبعث فى نفس كل مصرى شعور رهبة دينية ، فان هذا الشعور قد اتخذ أشكالا معينة مختلفة فى كل العبادات الناتجة عن ذلك . وتنوع هذه العبادات ينعكس ضوؤها على العلاقات التى كان يدعى وجودها بين الإنسان والحيوان سواء أكانت فى فرد واحد من هذه الحيوانات أم فى كل نوعه .

---

(١) راجع **Frankfort Ancient Egyptian Religion 1948.**

وسنرى فيما بعد أن عبادة هذه الحيوانات كانت منتشرة فى جميع البلاد المصرية وبعضها كان محصوراً فى مناطق أو منطقة معينة وأن ما يعبد فى منطقة كانت تكفر به منطقة أخرى وتتخذه عدواً لها .

ما دونه الكتاب القدامى وأثبتته الكشوف عن عبادة الحيوان فى مصر القديمة

تحدثنا فيما سبق عن الأصل المحتمل الذى حفز المصريين على عبادة الحيوانات بوجه عام ولا نزاع فى أن ما يظهره الإنسان من تقديس إلهى لكل أنواع الحيوانات تقريباً سواء أكانت تلك الحيوانات مضرة أم كانت تعتبر خطراً على حياته . وهذا الموضوع لا بد أنه كان دائماً ذات أهمية عارمة جداً تثير شعور الجميع ، وذلك بصرف النظر عما إذا كان هذا الرأى شخصياً أم جاء عن طريق التقليد بالنسبة لقدماء المصريين . ومن أجل ذلك وجدنا أن « هردوت » — وهو أبو التاريخ ويعد أقدم مؤلف إغريقى وصلت إلينا كتاباته فى هذا الموضوع — قد خصص مكاناً فسيحاً لموضوع عبادة الحيوانات عند قدماء المصريين . ولا بد أن من سبقه من المؤرخين الذين زاروا مصر أمثال « هيكانوس الميلزى » ، يضاف إلى ذلك سلسلة طويلة من المؤرخين الإغريق واللاتين والجغرافيين والذين كتبوا فى التاريخ الطبعى ، والفلسفة والشعر والأدب بوجه عام . وهؤلاء جميعاً قد جاءت فى كتاباتهم معلومات غزيرة عن عبادة الحيوانات . وأخيراً جاء دور أصحاب التأليف من المسيحيين الذين يعرفون بكتاب الكنيسة . وهؤلاء قدموا لنا معلومات غريبة وطريفة أحياناً عن عبادة الأوثان .

وعلى الرغم من أن « هردوت » قد ذكر لنا الكثير باسهاب عن الحيوانات المقدسة التى كانت تعيش على ضفاف النيل ، فانه لم يشفع ما كتبه بحكم له عن عبادة الحيوانات . وكذلك كانت الحال مع الجغرافى « سترابون » الذى زار البلاد المصرية وكتب عنها الكثير فانه لم يبد أى رأى فى عبادة الحيوانات . وأخيراً نجد أن المؤرخ « ديدور الصقلى » قد سار على نهج سلفيه فلم يذكر أى رأى له عن عبادة الحيوانات أيضا . ولكن لما كان هؤلاء الكتاب الثلاثة — «هردوت» و«استرابون» و«ديدور» قد قدموا لنا رأياً حسناً عن معبودات المصريين وعاداتهم ، فانه قد يصبح لزاماً علينا أن نفرض أن آراءهم فى عبادة الحيوانات كانت لا غبار عليها ، وأنها كانت موضع احترام فى نظرهم أو على الأقل فى نظر « هردوت » فقد كان يشير إلى ذلك بشىء من التحفظ والرهبة . يضاف إلى ذلك أن المؤرخ « بلوتارخ » قد اعتبر أن عبادة الحيوان لا بد قد جاءت عن تفكير فلسفى عميق . وعلى ذلك ينبغى علينا أن نعتقد أنه قد أخذ هذا الرأى من مصادر حسنة . ولكن فى حين نجد أن مثل هذا الرأى قد أخذ به الكثير من الكتاب الآخرين الذين عاشوا فى تلك الفترة ونذكر من بينهم « بورفيروس » ، فانا نجد من جهة أخرى أن عدداً كبيراً من الكتاب الوثنيين قد نظروا لعبادة الحيوانات عند قدماء المصريين نظرة تدل على أن المصريين قد ضلوا السبيل . ونذكر من بين هؤلاء الفيلسوف « سيسرو »[1] (Cecero) الرومانى فهو الذى يقول : « إن المصرى يستحق على ذلك أن يكون موضع الاحتقار » . على أن أقسى اتهام اتهمه وثنى للمصريين بسبب عبادتهم للحيوانات هو ما شنع به « جوفينال »[2] .

(١) راجع Cicero, de Nat. deor. 36, 100-101.
(٢) راجع Juvenal (Sat. XV).

ومما لا جدال فيه أن عبادة الحيوانات عند قدماء المصريين كانت لها تأثير سيء كريه عند اليهود والمسيحيين من بعدهم ولا غرابة فى ذلك فقد كان كل من اليهود والمسيحيين يعتقدون فى وحدانية الله العلى العظيم ، ومن أجل ذلك كانوا يرون أن تقمص روح الآله جسد حيوان من أخزى الأمور وأكثرها معرة وضلالا . وقد أظهر قبلا الكثير من كتاب اليهود سخف آراء المصريين لعبادتهم الحيوانات ، وانهالوا عليهم بكل أنواع التهكم والسخرية . ونذكر هنا على سبيل المثال ما جاء على لسان « فيلو » اليهودى الإسكندرى فاستمع لما يقول[1] : « أى شيء يمكن أن يثير الضحك أكثر من هذه العبادة ؟ وبطبيعة الحال لا بد أن الأجانب الذين كانوا يفدون على مصر للمرة الأولى كانوا يموتون من كثرة الضحك طالما لم يعوا فى نفوسهم هذا الضلال » . الخ .

وكذلك نقرأ مثل هذا الحكم القاسى على عبادة الحيوانات فيما تركه لنا كتاب الكنيسة المسيحية . فمن ذلك ما ذكره « أريستيدس »[2] إذ يقول : « لما كان المصريون على أية حال سواء وأقل بصيرة بين كل أمم الأرض ، فانهم سقطوا أكثر من أى أناس ، وذلك أنهم لم يرضوا بتمثيل ديانة البرابرة أو ديانة الإغريق ، بل اتخذوا بعض الحيوانات آلهة لهم . . . وبذلك خسروا كل شيء حتى أصبحوا مجانين ونجسين أكثر من أية أمة على ظهر الأرض » .
وأفظع من هذه الاتهامات السالفة ما حدثنا به أسقف قبرص « إبيفانس » الذى عاش فى القرن الرابع بعد الميلاد فاستمع لما يقول : « لقد حاد المصريون

---

(١) راجع Philo (decal., 80), 194 M.

(٢) راجع Apologet, Aristides (12); Zimmermann, Die Aegypt. Rel. P, 87 ff.

بطريقة أسوأ ، أكثر من سائر الأمم ، وذلك عند ما لم يقصروا شهواتهم على تقديس الجماد بل تخطوا ذلك واتخذوا معبودات لهم من الطيور والحيوانات ذوات الأربع وحيوانات البر والبحر وحتى بعض الحيوانات المردة . وكان كل حيوان مقدساً عندهم ، ومن ثم عبدوه ، وبهذه الطريقة عكسوا الترتيب الطبعي عند ما اتخذوا الحيوانات معبودات لهم ، ولذلك لم يخجلوا من عبادة الكلاب النابحة والغنم الثاغية ، وأبو منجل آكل الديدان والحدأة والصقر والثعابين المردة » . هذا وقد أنحى « أريستاس »[1] باللائمة على قدماء المصريين بألفاظ غلاظ ونقد لاذع لا يخرج عما ذكره « أريستيدس » فقد قال ما معناه : « ماذا ينبغى للإنسان أن يقوله عن عمى المصريين عن الآراء الأخرى . فقد كانوا يضعون ثقتهم حتى فى الحيوان إذ كانوا يولون وجههم كثيراً نحو الزواحف والحيوانات البرية ، وكانوا لا يكتفون بعبادتها وتقديم القربان لها وهى حية بل كانوا كذلك يعبدونها بعد مماتها » .

« سنت كلمنت الأسكندرى »

ومن ألذع ما كتب فى التهكم على ديانة قدماء المصريين ما كتبه « سنت كلمنت الإسكندرى » عند ما وصف لنا ديانة المصرى جاره فاستمع لما يقول : « بين (المصريين) تحاط المعابد بالخمائل والمراعى المقدسة الممدودة ببوابات هائلة ، وردهاتها محاطة بعدد من العمد يخطوها العد ، وجدرانها تسطع بالرخام الأجنبى وباللوحات الملونة التى تنم عن أرفع فن ؛ وقدس الأقداس فيها يضىء بالذهب والفضة والسام وبالأحجار الكريمة الكثيرة العدد والمختلفة الألوان التى أحضرت إليها من الهند وأثيوبيا ، والمحراب الذى فى هذا

(١) راجع Aristeas brief 138 (Kausch de Apokryphin etc II 168).

المعبد مغطى بستار مصنوع من الذهب ، ولكن إذا ما مشيت خلف كل ذلك إلى أقصى جزء فى حرم المعبد منتظراً رؤية شىء يفوق كل ما رأيت ، ثم صوبت النظر إلى الصورة التى تسكن المعبد فانك ترى هناك كاهناً مرتلا أو أى كاهن آخر يرتل أنشودة نصر باللغة المصرية القديمة بنغمة فخمة ، ثم يزيح إلى جانب ، جزءاً صغيراً من ستارة كأنه على وشك أن يرينا الإله . ولكنه بدلا من ذلك يجعلنا نتفجر بضحكة عالية ، لأنه لا يوجد هناك إله ، ولكن يرى قط أو تمساح أو ثعبان خارجاً من جوف الأرض ، أو بعض حيوان متوحش . . . والآله المصرى يظهر أمامنا فى صورة حيوان يتمرغ على غطاء من الأرجوان » . ومن جهة أخرى نجد بعض الكتاب المسيحيين قد أعطوا آراء وأحكاماً طيبة فيما يخص عبادة الحيوان عند المصريين القدامى . وهذه الطبقة من الكتاب هى التى سارت على نهج الكتاب الكلاسيين الذين كانوا يرون أن المصريين هم أحكم شعوب العالم وأكثرهم علماً . وكان يخيل إليهم أن عبادة الحيوانات لا يمكن أن تصور بأنها فكرة خاطئة كما لحظ ذلك المؤرخ « سمرمان »[١] ، إذ على حسب رأيه أن فى ذلك حكمة دينية لمعرفة الآله الواحد الحقيقى ، وقد اختفت تحت غطاء صورة مضت » .

ولا نزاع فى أن « هردوت » هو أقدم من كتب عن الديانة المصرية القديمة ، ومع ذلك لم يقدم لنا أية معلومات عن عبادة الحيوانات ، بل كثيراً ما نجده يلتزم الصمت عند ما تكون الحاجة ماسة لإبداء رأيه فيقول مثلا : « ولكن إذا كان لزاماً على أن أقدم أسباباً عن تقديسها ، فلا بد لى أن أنزل فى تاريخى إلى المسائل الدينية ، وهذا ما أتحاشى ذكره بقدر ما أستطيع[٢] » . وقد

(١) راجع Zimmermann Ibid. P. 89.

(٢) راجع Herod. II, 65.

تناول الكثير من الكتاب موضوع عبادة الحيوانات فذكروا آراء بعضها فلسفى وبعضها خرافى لا يتصوره العقل .

عبادة الحيوان فى المقاطعات

إن المطلع على ما كتبه الإغريق والرومان فى البحث عن الوصول إلى أصل عبادة الحيوان فى مصر يجد أنهم قد أخفقوا فى معرفة ذلك كما أنهم لم يقفوا إلى معرفة السبب فى أن الحيوانات التى كانت تقدس لم تعبد فى كل المقاطعات على السواء بل كانت تختلف عبادتها فى كثير من الأحيان من مقاطعة لأخرى . وفى الحق نجد أن هذه الظاهرة قد اهتم بها الكتاب الإغريق دائماً فقد حدثنا عنها « هيردوت » إذ يقول[1] : « تجد عند بعض المصريين أن التماسيح كانت مقدسة ، وعند بعضهم الآخر لم تكن مقدسة إذ كانت تعامل على أنها أعداء لهم . فهؤلاء الناس الذين يسكنون حوالى « طيبة » وبحيرة « موريس » يعتبرون التماسيح مقدسة جداً . وكان كل واحد يدرب تمساحاً فيعلمه حتى يصبح أليفاً تماماً ، وكانوا يضعون فى أذنها أقراطاً من البلور والذهب ، وأساور فى مخالبها الأمامية ، وكانوا يقدمون لها طعاماً مقدساً معلوماً ؛ وكانوا يعاملونها مدة حياتها بقدر المستطاع بالحسنى ؛ وعندما تموت كانوا يحنطونها ويدفنونها فى كهوف مقدسة . وعلى النقيض من ذلك نجد أن القوم الذين كانوا يسكنون الفنتين كانوا يأكلون لحومها ، وعلى ذلك لم تكن فى نظرهم مقدسة » . وقد حدثنا كذلك « هردوت »[2] عن فرس البحر فقال إنه كان يقدس فى منطقة « بامبرميس » (Pampremis) ، ولكن لم يقدس فى سائر مصر .

(١) راجع Herod., II. 69.

(٢) راجع Herod., II 71.

ويقول « بلوتارخ » — الذى عاش من ٤٦ إلى ١٢٠ ميلادية — أن الغنم كانت تعتبر — فى كل مكان فى مصر — مقدسة ، وعلى ذلك أصبحت من الحيوانات التى حرم الحاق أى ضرر بها .

ومن الفقرات الهامة التى آتت فيما كتبه « سترابون » عن الغنم قوله : « إن غنم إقليم « طيبة » وإقليم « سايس » وكذلك ذئب مقاطعة أسيوط ، وقرد « الأشمونين » ، ونسناس « بابليون » (مصر العتيقة) ، ونسر « طيبة » وأسد « تل المقدام » وتيس « منديس » ونمس « تل اتريب » ، وحيوانات أخرى فى مدن أخرى كانت تقدس على التوالى كل فى مقاطعته .

وقد تحدث عن هذه العبادات المختلفة المؤرخ « جوسيفوس »[1] وغيره من الكتاب فى المقاطعات المختلفة كل على حدتها .

ولدينا بطبيعة الحال كذلك فقرات عدة كالتى أوردناها فيما سبق نقلا عن « هردوت » حيث نجد أن حيواناً كان يعبد فى مقاطعة وينبذ فى أخرى .

ولحسن الحظ نجد أن اختلاف عبادة الحيوانات فى كل مقاطعة على انفرادها قد ورد فى الآثار التى كشف عنها أثناء أعمال الحفر فى كل أنحاء القطر بصورة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام .

وقد ذكرنا أسماء الآلهة التى مثلت أو تقمصها حيوانات فى كل مقاطعة من مقاطعات الوجهين القبلى والبحرى فى كتاب أقسام مصر الجغرافية وهذه الأسماء يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى على حسب قائمة أسماء المقاطعات التى أوردها « سنوسرت الأول » على جدران معبده الصغير الذى عثر على

---

(١) راجع Joseph., C. Apion, I, 225.

أحجاره فى البوابة الثالثة فى الكرنك وقد أقيم من جديد فى معبد الكرنك[١]. ويلفت النظر هنا أنه على مر الدهور أى حتى نهاية العهد الرومانى فى أرض الكنانة ، كان فى كل من هذه المقاطعات التى كانت تحتوى عليها البلاد والتى كان يختلف عددها باختلاف الأحوال السياسية ، توجد عدة آلهة تعبد فى نفس المقاطعة جنباً لجنب ، فنجد أن كل مقاطعة وكل مدينة كبيرة لا تقتصر عبادتها على الحيوان الرئيسى المقدس الذى كان يتقمصه الآله ، بل كانت بطبيعة الحال تقدس كذلك تلك الحيوانات التى كانت من نوع الحيوان الذى يتقمصه الآله . وقد حدث أن بعض الحيوانات مما يوجد بوجه عام فى كل مصر كانت محترمة ومعنى بأمرها ، وينطبق ذلك مثلا على البقرة التى كانت تعتبر أنها تتقمص الآلهة « حتحور » ، وقد كانت مقدسة فى صور مختلفة محلية فى جهات مختلفة فى أنحاء البلاد ؛ وكذلك القطة فهى حيوان مثل « حتحور » فكانت تتمثل فيها الآلهة «باست» ربة بلدة «بوبسطة» القريبة من الزقازيق الحالية ، والحيوان ابن آوى كان يقدس بوصفه يمثل الآله « أنوبيس » ، وأخيراً لدينا الطائر « أبيس » (أبو منجل) وكذلك الصقر وهما طائران من أشهر الآلهة المصرية وأعنى بذلك الآلهين « تحوت » إله العلم والمواقيت ثم « حور» إله الشمس ، وكذلك ابن « أوزير » و « إزيس » .

هذا ويلحظ أن هذه الحيوانات قد ذكرها الجغرافى «سترابون»[٢] باستثناء البقرة بوصفها حيوانات مقدسة ولكنه أضاف إلى ما ذكرنا الثور والسمكة (Lepidotus) وسمكة أهناسية المدينة (Oxyrhynchus) .

---

(١) راجع أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى (ص ٣٤ — ٩٢) .

(٢) راجع Strabo, XVIII, 812.

على أن عدم التوافق فى عبادة الحيوانات المقدسة فى أنحاء القطر يرجع كما يقول بعض الكتاب القدامى إلى الأزمان العتيقة عند ما كانت القبائل المختلفة تقف كل واحدة منها منفصلة عن الأخرى ، وكان سكانها يعبدون حيوانهم الخاص بهم . وقد حدثت فى خلال تلك المدة الطويلة التى جاءت قبل توحيد البلاد ، المنافسات والحروب كما يحدثنا بذلك بعض المؤرخين الإغريق والرومان الذين أرادوا أن يخترعوا أسباباً لاختلاف تلك العبادات فى طول البلاد وعرضها . فمن ذلك ما ذكره المؤرخ « بلوتارخ »[1] : « أنه فى زمنه أى فى القرن الثانى بعد الميلاد قد اندلعت نار حرب بين أهالى البهنسا الواقعة فى مديرية المنيا مركز بنى مزار (وتقع فى المقاطعة التاسعة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى) وبين أهالى مقاطعة أسيوط (المقاطعة الثالثة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى) . وسبب ذلك أن أهالى مقاطعة أسيوط أكلوا السمكة التى كانت تعبد فى البهنسا . وقد انتقم أهالى البهنسا لأنفسهم بأن قبضوا على كلاب أكلوها انتقاماً لأكل السمكة التى كانوا يعبدونها . ومن أجل ذلك نشبت الحرب بين الطرفين مما أدى إلى حدوث أضرار لكليهما ، إلى أن تدخل الرومان وفصلوا بين المتحاربين . وقد ذكر لنا الكاتب «جوفينال»[2] مخاصمة كالسابقة حدثت بين مدينة « كوم أمبو » ومدينة « دندرة » . وقد اشتدت بينهما المخاصمة والأحقاد لدرجة أن أحد أهالى « كوم أمبو » قبض على واحد من الأعداء وأكل لحمه — وفى غالب الأحيان نجد أنه عند ما يضطهد حيوان مقاطعة بعينها كان يكتفى بقتله كما يحدثنا بذلك الكاتب اليان[3] بقوله «إن

(١) راجع Plut., Ibid. 72.
(٢) راجع Juvenal, Sat. XV.
(٣) راجع Aelian, X, 24.

سكان مدينة «قفط» قد انتقموا لأنفسهم من أهالى « دندرة » الذين صلبوا الصقر معبودهم المحبب ، وذلك باضطهادهم اتّمساح معبودهم المقدس » .

أما من حيث تقديس أنواع الحيوانات فان «هردوت» قد ذكر بحق أن المصريين قد اعتبروا كل ما عندهم من حيوانات مقدساً بما فى ذلك الحيوانات المستأنسة وغير المستأنسة ، ولكنه ذكر لنا فقط خمسة عشر نوعاً[1]. وذكر « سترابون » عشرة أنواع وحسب ، فى حين أن «ديدور» ذكر أحد عشر نوعاً . أما « بلوتارخ » فقد دون لنا سبعة عشر نوعاً . وأخيراً ذكر « اليان » عشرين نوعاً . يضاف إلى ذلك بعض حيوانات لم يأت ذكرها فيما كتبه هؤلاء الكتاب القدامى ولكن جاء ذكرها فيما كتبه بعض الكتاب المسيحيون .

وتدل الاحصاءات التى عملت عن أنواع الحيوانات فى مجموعها على حسب ما جاء على لسان الكتاب الإغريق والرومان أنها كانت اثنين وثلاثين نوعاً . وهؤلاء الكتاب هم « هردوت » و « سترابون » و « بلوتارخ » و « اليان » .

أما هذه الأنواع فهى : (١) القرد والبابون والقرد الأخضر (٢) القنفذ (٣) القطة (٤) الأسد (٥) الفهد (٦) الكلب (٧) الذئب (٨) النمس (٩) الدب (وقد ذكره «هردوت») (١٠) الأرنب (١١) فرس البحر (١٢) الثور والبقرة والعجل «أبيس» والثور «منيفيس» والثور «بوخيس» (١٣) الكبش (١٤) التيس (١٥) الوضحى (١٦) الغزال (١٧) النسر (١٨) الصقر والباشق (١٩) البومه (٢٠) الغراب (Corvus) والغراب (Cornix) (٢١) الحمام (٢٢) البجعة (٢٣) الوطواط (٢٤) أبو منجل (٢٥) الطاووس (٢٦) الأوز

(١) راجع Herod., II. 65.

(٢٧) التمساح (٢٨) الثعبان بأنواعه (٢٩) الضفادع (٣٠) السمكة Latus والسمكة Lepidotos والســمكة Maotes والسمكة Oxyrhynchus والسمكة Physa والسمكة Aal (٣١) الجعل (الجعران) (٣٢) الأفعى (٣٣) ابن عرس (٣٤) ثعلب الماء » . والنوعان الأخيران لم يمكن تتبع عبادتهما ، ومن المحتمل أن المقصود هنا بثعلب الماء هو نوع من النمس[١]. والمقصود بالنمس هو القط المقدس . .

ويدل ما جاء على الآثار وكذلك ما عثر عليه من موميات حيوانات أن عدد الحيوانات التي كانت تقدس عند قدماء المصريين لم ينته إلى عند ما ذكره الكتاب القدامى بل نجد فضلا عن ذلك الفأر والوشق Lynx ومالك الحزين[٢]والسلحفاة وكذلك نوع خاص من الضب والجندب[٣](وهو ضرب من الجراد) فكلها كانت تقدس فى بعض جهات البلاد المصرية .

الفنكس :

وفضلا عما ذكر ، حدثنا الكتاب الإغريق والرومان عن طائر خرافى يدعى « فنكس » (العقاب) كما حدثنا عن « سفنكس » (بوطول) وكانا يعبدان فى صورتى تمثالين .

والطائر فنكس كما ذكره الإغريق والرومان هو طائر خرافى ، ومن الجائز أنه الطائر « بنو » الذى جاء ذكره فى المتون المصرية ، وهو من فصيلة الطائر مالك الحزين وكان يقدس فعلا ، غير أنه لم يأت ذكره فى عداد

(١) راجع Ammian 22, 15.
(٢) راجع Zimmermann Aegypt Rel. P. 130.
(٣) راجع Pyramid. T. 800.

الحيوانات التى كانت تعبد فى مصر . وتدل شواهد الأحوال على أن هذا الطائر لم يكن مارداً خرافياً بل كان طائراً موجوداً فعلا . وقد قص عنه كتاب الإغريق قصة خرافية ، ولم يكن على حسب ما اقترحه « هردوت » نسراً بل كان الطائر مالك الحزين . والظاهر أنه فى عهد مبكر كان قد اختلط أمره بالطائر إبيس ذى العرف الذى يرمز به للنور « خو » أو الروح المضيئة . وكان فى الواقع يمثل روح إله الشمس « رع » . وقد تحدثت عنه الأساطير التى جاءت متأخرة فقالت أنه وقف على قمة شجرة فى « هليوبوليس » وغنى ، فى حين أن لهيباً اندلع بجواره وأشرقت الشمس من سماء الصبح ، وعند الغروب صار هذا الطائر « أوزيراً » . ودفنت موميته فى « هليوبوليس» ولكنها تبعث ثانية إلى الحياة عند ظهور أول أشعة للشمس المشرقة . ومن أجل ذلك كان هذا الطائر يعتبر عند الكتاب المسيحيين رمزاً للبعث . وعلى هذا الزعم قص علينا الكاتب «سنت كلمنت» الرومانى قصة هذا الطائر كما يأتى : كان يوجد طائر خاص يدعى « فنكس » ، وكان الوحيد من نوعه الذى يعمر خمسماية سنة . وعند ما كان يقرب وقت فنائه — وهو إلى الزوال لا بد صائر — كان يبنى لنفسه عشاً من العطور والمر والأفاويه الأخرى ، وكان يدخله عند ما يشعر بدنو أجله ويموت فيه . ولكن لما كان لحم هذا الطائر مصيره إلى التحلل فانه كان يتولد منه دودة من نوع خاص تتغذى من عصارة الطائر الميت ويتولد لها ريش . وعند ما كانت هذه الدودة تنمو وتكتسب قوة ، كانت تحتل العش الذى فيه عظام والدها التى تخلقت منه ثم تحملها وتطير من بلاد العرب حتى تصل إلى مصر لتسكن فى مدينة «هليوبوليس» وبعد ذلك تطير فى وضح النهار على مرأى من كل الناس وتضع هذه العظام على مائدة قربان الشمس . وبعد انتهاء هذه العملية تسارع راجعة إلى مسكنها

السابق . وكان الكهنة بعد ذلك يتصفحون سجلات التاريخ فيجدون أنها عادت بالضبط فى السنة الخمسماية[1].

وكذلك كان سفنكس (بو لهول) بطبيعة الحال يعد عند الإغريق حيواناً خرافياً له جسم أسد ورأس إنسان ، وكان يعتبر حارس الجبانة وقد فصلنا القول فيه فى كتاب خاص فليرجع إليه[2].

وقبل أن نتحدث عن طبقات الحيوانات المقدسة يجدر بنا أن نضع قائمة عن كل من مقاطعات الوجه القبلى والوجه البحرى ونذكر فيها اسم المقاطعة والمدينة الرئيسية التى يعبد فيها الحيوان ثم إسم الإله الرئيسى وأخيراً نذكر الحيوان المقدس الذى كان يتقمصه أو يتمثل فيه هذا الآله . (راجع مصر القديمة الجزء الأول حيث يوجد فى آخر الكتاب قائمة مفصلة عن مقاطعات مصر ومعبوداتها بصورة مفصلة) .

طبقات الحيوان المقدس

نجد فى الحيونات المصرية المقدسة فى كل نوع منها ثلاثة ضروب أو طبقات ، ويمكن الإنسان أن يسميها طبقات مميزة من حيث الرتبة ، ولم تكن كل طبقة منها تتمتع بنفس المكانة التى تتمتع بها الطبقتين الأخريين بل كانت تتمتع بميزة خاصة بها على حسب درجتها من التقديس . وقد تعرف على ذلك « هردوت »[3] فيما يخص طبقات التيوس أو الكباش إذ يقول : وعلى أية حال

(١) راجع Herod., II 73; Pleny N. H. X 2; Tertullian de Resurr. P. 3.

(٢) راجع The Sphinx and its History in the Light of Recent Excavations.

(٣) راجع Herod., II, Par 46.

كان أهل «منديس» يقدمون احترامهم لكل التيوس وبخاصة للذكور منها أكثر من الإناث (وكان راعى التيوس يصيبه شرف أكثر من غيره) فكان التيس عند موته تقام له شعائر الحزن عامة ؛ وكذلك لاحظ «سترابون»[١] نفس الملحوظة فيما يخص الثور ، فيقول : إن كلا من الثورين «أبيس» ، و «منيفيس» كان يعتبر إلهاً ، أما سائر الثيران الأخرى التى كانت توجد فى أماكن كثيرة فى أرض الدلتا فكانت تطعم ، غير أنها لم تكن معتبرة آلهة . ولكن مع ذلك كانت مقدسة سواء أكانت ذكوراً أم إناثاً . وقد فحص المؤرخ «فيدمان»[٢] فى مقال له طبقات الحيوانات المقدسة وقال أنها طبقتان . وعلى حسب فحصه يمكن أن نميز بين هاتين الطبقتين فيما يلى :

أولا : حيوانات تبقى حتى موتها ممثلا فيها إله معين . وهذا الحيوان يعيش فى المعبد ، ولا يوجد فى كل معبد إلا حيوان واحد من نفس النوع . وعلى ذلك فان مثل هذه الحيوانات كانت تحترم احتراماً فائقاً بوصفها الحيوانات التى تتقمصها آلهة تأوى المعابد ؛ وكان يسمى هذا الحيوان كذلك حيوان المعبد (أى الذى يسكن المعبد) .

والطبقة الثانية هى الحيوانات التى من فصيلة حيوان المعبد المؤله . وهذه الطبقة لا تتخذ آلهة أى أنها لا يتقمصها إله ، ولكن تعتبر مقدسة ، ولا يصيبها من الناس سوء بوصفها محببة عند حيوان المعبد الذى تقمصه الإله .

ومما يطيب ذكره هنا أن الحيوان الذى كان يتقمصه الآله كان يميز

(١) راجع Strabo. XVII, 807.

(٢) راجع Wiedemann Alten Orient XIV, 1, P. 22 f.

بطبيعة الحال بعلامات خاصة لا بد من وجودها فيه . وقد كتب عن هذه العلامات الكتاب الإغريق والرومان ، وكذلك وجدنا هذه العلامات مذكورة فى النقوش الأثرية مثال ذلك ما جاء فى لوحة منديس التى تحدثنا عنها ملياً فى الجزء الخامس عشر من هذه الموسوعة من صفحة ٣ — ٢١ . وهذه العلامات على أية حال قد تحدث عنها الكتاب القدامى بتفصيل طويل ودقة بالغة . فقد ذكروا أكثر من تسع وعشرين علامة مقدسة للثور « أبيس » . والمعلومات الخاصة بهذه العلامات كانت مدونة فى كتب مقدسة محفوظة فى مكتبة المعبد . والظاهر أنها كانت تحت اشراف طائفة خاصة من الكهنة . وهؤلاء هم الكتاب المقدسون . وكانت كل علامة فى نظرهم تدل على معنى رمزى بالنسبة لمكان الآله فى أماكن عبادة مختلفة قد تكون مرتبطة به أساطير مختلفة ، ومن الجائز كذلك أنه كان لكل حيوان متقمص من نفس النوع فى أماكن مختلفة على الأقل بعض علامات مميزة مختلفة . مثال ذلك أنه يمكن أن يكون لكبش معبد « طيبة » علامات غير العلامات التى كان يتميز بها كبش آمونيوم فى سرت ، أو أن بقرة « حتحور » المقدسة فى « منف » كانت لها علامات أخرى غير التى كانت لبقرة « قوص » ، أو أن « حور » هو الصقر المقدس صاحب « ادفو » كان له علامات مميزة غير علامات صقر « تانيس » ، أو أن الإله « سبك » التمساح المقدس صاحب الفيوم كان له علامات غير علامات تمساح معبد آخر فى مكان آخر يعبد فيه التمساح . ولا نزاع فى أن مثل هذه الاختلافات فى العلامات لنفس حيوان المعبد على حسب تصور أهل البيئة المحلية التى كان يعبد فيها هذا الحيوان المتقمص ، كانت لا بد — بضرورة الحال فى بعض الأحيان — قد شغلت بال كل الشعب عندما كان يراد إيجاد حيوانات عدة للمعابد المختلفة من نفس النوع . وعلى الإنسان أن

يفكر على سبيل المثال كم من كباش الآله «آمون» وكم من كباش الآله «خنوم» ، وكم من بقرات الآلهة «حتحور» ، وكم «أبيس» الآله «تحوت» (أبو منجل) وكم من تماسيح الآله «سبك» ، كان لا بد من العناية بها والمحافظة عليها فى المعابد العديدة التى كانت فى أنحاء أرض الكنانة ؟

والظاهر أن موضوع الولادة الخارقة للطبيعة لم يكن قاصرة على الثور «أبيس» وغيره من العجول المقدسة ، بل كانت أمراً ضرورياً للحيوانات الأخرى التى كانت تعبد فى المعبد . وقد كان الكشف عن حيوان معبد تتوافر فيه كل العلامات المقدسة من أصعب الأمور أحياناً . ومن أجل ذلك كان الملك بطبيعة الحال يخصص جائزة مالية لمن يكشف عن الحيوان الذى فيه كل العلامات المقدسة التى لا بد منها . ولدينا برهان محس على ذلك فقد خصص الملك «دارا» ملك الفرسماية تالنتا لمن يجد عجل «أبيس» جديداً . وهذا المبلغ الذى خصصه «دارا» لهذا الغرض يعتبر مبلغاً ضخماً لم يسمع بمنح مثله مكافأة لمثل هذا الغرض . غير أن سبب ذلك كان يرجع لأمر خاص . فقد كان ملك الفرس يريد بذلك أن يهدىء غضب الشعب الثائر على شطربته والذى كان قد جاوز حد المألوف فى تصرفاته . وعلى أية حال لم يصل إلينا فيما تركه ملوك مصر القدامى مثل هذه المكافأة . وإذ اتفق أن الحيوان الذى كانت فيه كل هذه العلامات قد تعرف عليه أهل الخبرة فى هذا الموضوع عند أحد الأهالى سواء أكان هذا الحيوان ثوراً أم كبشاً أم أوزة فإنه كان يؤخذ منه فى الحال ويكافأ مقابل ذلك مكافأة حسنة .

وعند العثور على الحيوان المطلوب كانت تقام الأفراح العظيمة التى كان يشترك فيها أحياناً الملك وأسرته ، وغالباً كل رجال كهنة مصر ، أو على

الأقل كانوا يمثلون فى الاحتفال بذلك . وكان حيوان المعبد المكتشف حديثاً يقاد إلى معبد سلفه ، ويقدس هناك فى احتفال بوصفه الروح العائشة أو حياة الآله المجددة . وفى حالة « أبيس » كان يعتبر نائباً عن الآله « بتاح » . ومن أجل ذلك كان الكشف عن حيوان معبد وظهوره على الأرض متقمصاً إلهاً يعتبر حادثاً سعيداً للغاية يدل على التفاؤل الحسى للبلاد . وكان القوم يعبرون عن فرحهم وحسن تفاؤلهم بطرق عدة فكانت تنظم المواكب ويأتى الحجاج من كل فج ترحيباً باشراق الآله الجديد ثم تقام له الولائم وتنصب حفلات الرقص وتقرب له العطور ، وتقام الأحفال والقربات تنشد المدائح وتشرب الجعة ويحتسى النبيذ ، وتؤكل لحوم العجول والأوز المطهى ، ويلعب بالصناجات وينفخ فى الناى ويضرب على آلات الطرب ويسود السرور وتنتشر الأفراح بسبب ولادة الآله الرفيع من جديد .

على أن الاحتفال بتقديس حيوان المعبد لم يكن عبارة عن مظهر من مظاهر الفخفخة والأبهة كما يحدث فى الكنائس الآن، بل كان يعد عيداً شعبياً . ويلحظ فى الاحتفال بحيوان مثل الثور « أبيس » الذى كان يعتبر غاية فى القداسة وكذلك فى الاحتفال بالعجل « منيفيس » أو العجل « بوخيس » ، أن مصر كانت فى مثل هذه المناسبة تكون فى عيد من أول الفنتين حتى مصبات النيل . وبطبيعة الحال لم يكن يشترك — فى مثل هذا العيد العظيم — المعابد التى كانت تدين بدين الآله « ست » (إله الشر) ومن الجائز أن يكون ظهور كبش المعبد المقدس فى «طيبة» أو كبش معبد «منديس» أقل فى العظمة والأبهة بالنسبة للعجلين « أبيس » و « منيفيس » . ومن جهة أخرى نشاهد أن الاحتفال — بالكشف عن تمساح معبد جديد تتوافر فيه الشروط اللازمة ، فى أى معبد

مهما كان صغيراً أو غير شهير فى الفيوم — كان يعتبر يوم راحة أو يوم أجازة لفلاحى القرى المساكين .

ومن المعلوم أن نفس الآله يمكن أن يتقمص نوعين أو أكثر من الحيوانات فتجد مثلا أن الآله « تحوت » يتقمص الطائر أبو منجل ويتقمص قرداً أيضاً . والآله « حور » كان يتقمص صقراً ويتقمص أسداً وكذلك كان يتقمص فأر السم . والآله « آمون رع » كان يتقمص الكبش والأسد والأوزة. ولكن مما يؤسف له جد الأسف أننا لسنا متأكدين مثلا فيما إذا كان الآله « تحوت » يعبد فى المعبد فى مكانه الرئيسى بوصفه قرداً أو بوصفه الطائر أبو منجل . ونعلم كذلك على وجه التأكيد أن الآله « حور » فى « تانيس » كان يتقمص أسداً ، ومع ذلك يظهر فى نفس المكان متقمصاً صقراً ، ويعبد هناك بهذه الصورة . وقد أبرز بدقة ومهارة الأثرى المؤرخ « فيدمان » من محتويات نقش جاء على لوحة أن مهدى اللوحة ، وهو اسكافى كان يتعبد للآله « آمون رع » فى أربع صور مختلفة فقد تعبد إليه فى صورة رجل وفى صورة أوزة وفى صورة كبشين[1]. ويمكن ذكر أمثلة كثيرة أخرى من هذا النوع ، ومن ذلك يستطيع الإنسان أن يستنبط أن الآله فى مصر يمكن أن يقدس فى نفس المكان فى مظاهر مختلفة، وفى كل حالة يكون هذا الآله له شخصيته الخاصة به ، وفى الوقت نفسه يمكنه أن يتقمص صورة مختلفة وبذلك يمكن الإنسان أن يتصور تماماً أنه فى معبد الآله « تحوت » يمكن هذا الآله أن يتقمص قرداً وكذلك فى استطاعته أن يتقمص الطائر أبو منجل

(١) راجع Widemann Stele No. 7295 Berlin. Mélanges Charles des Harlez, P. 377.

فى وقت واحد ويحفظان فى معبد بعينه بوصفهما الحيوانين اللذين يتقمصهما الآله « تحوت » .

ومما يجدر ذكره هنا بوجه خاص أنه لم يكن يعبد فى المعبد الواحد آله واحد ، بل كان لكل معبد ثالوث من الآلهة يعبد فيه وهذا الثالوث هو ما يعبر عنه بالأسرة الآلهية ويتألف من الأب (وهو الذى يتقمص الحيوان الأعظم فى المعبد) والأم والإبن . والثالوثات الأكثر شهرة ومكانة فى مصر هى ثالوث « أوزير » و « إزيس » و « حور » ، وثالوث « آمون » و « موت » و « خنسو » وثالوث « بتاح » و « سخمت » و « نفرتم » فى « منف » . وثالوث « سبك » و « حتحور » و « خنس » ، وثالوث « ادفو » ويتألف من « حور » و « حتحور » و « احى » ، وقد يكون الثالوث مؤلفاً من زوج وامرأتين مثل ثالوث الشلال ويتألف من « خنوم » و « ستيت » و « عنقت » . هذا وقد ذكرنا ثالوثات أخرى فى سياق الحديث عن المعابد المصرية فى العهد المتأخر مثل ثالوثا معبد « كوم أمبو » . ونجد أحياناً فى نفس المعبد عدة آلهة متجاورة وتعبد كلها ، وأحسن مثال على ذلك الآلهة التى كانت تعبد فى معبد « سيتى الأول » بالعرابة المدفونة . فقد عبد هناك ثالوث « أوزير » بالإضافة للآلهة « بتاح » و « حور أختى » « وآمون » والملك « سيتى » الأول نفسه الذى أله نفسه .

وعلى الرغم من تعدد الآلهة فى معبد واحد فانه كان لزاماً أن يكون فيه آله واحد يتقمص الحيوان المقدس الرئيسى ، وكانت الآلهة الأخرى فى المعبد توضع تماثيلها فى قوارب صغيرة ، وكان الحيوان المتقمص يسير فى موكب بعظمة وفخار ، وكان تمثاله يحمل على أكتاف الكهنة كذلك فى قارب كما

تحدثنا بذلك الآثار أما الآلهة الأخرى التى فى المعبد فكانت تسير فى ركابه فى الموكب .

وأعظم مكان مقدس فى المعبد المصرى هو الذى يوجد فى نهاية المبنى ، وكان المفروض أنه فى هذه البقعة من المعبد يسكن الآله الأعظم الذى يتقمص الحيوان المقدس كما وصفه لنا « سنت كلمنت » فيما سبق . ومأوى الآله هذا كان يسمى قدس الأقداس .

ولقد كان من المفهوم تماماً أن الحيوانات الصغيرة الحجم التى كان يتقمصها الإله الخاص لكل منها ، وبخاصة التى كان يمكن أن تختبىء بسهولة أو تهرب مثل فأر السم أو الثعبان أو الضفدعة أو النمس ، كانت حراستها صعبة جداً ، ومن أجل ذلك كانت توضع فى أقفاص أى نواويس مصنوعة من الخشب أو الحجر ، ويحاط كل قفص بسياج مجهز بقضبان يمكن بوساطتها أن يصل الإنسان إلى الحيوان المتقمص ويقدم له ما يريد من طعام وشراب وفى الوقت نفسه يضمن عدم إختفائه .

أما الحيوانات الكبيرة الحجم التى كانت تتقمصها آلهة أو تمثل آلهة مثل الثور المقدس والكبش والتيس والغزال والأسد فكانت بطبيعة الحال تحفظ فى أماكن رحبة واسعة وكان بعض هذه الأماكن يعمل لها سياج فتحجز الحيوان عن الكهنة والشعب معاً وذلك بسبب خطورة بعضها اذا ما اقترب الإنسان منها مثل التمساح والأسد . أما فيما يخص الطيور التى كانت تتقمصها آلهة فكانت بطبيعة الحال تصنع لها أقفاص فسيحة يتخللها الهواء ، وبذلك يمكن أن يسكنها الطائر فى أمان وراحة .

وأما الأسماك المقدسة فكان يعمل لها نواويس فى هيئة أحواض تملأ بالماء بطبيعة الحال . ومن المحتمل أن الناوسين الهائلين اللذين صنعهما الملك « أحمس الثانى » فى « تمويس » ،(Thmuis) من أعمال الدلتا[١] وكذلك الناووس الذى أقامه «نقطانب الأول» وأهداه لمعبد «صفط الحنة» كانت لمثل هذا الغرض . كذلك ذكر « هردوت » ناووساً هائلا فى معبد الآلهة « وازيت »[٢] وهو مصنوع من قطعة واحدة من الحجر . ويقول فى وصفه : يوجد فى داخل هذا الحرم معبد للآلهة « لاتونا » (Latona) مصنوع من حجر واحد فى ارتفاعه وطوله . وكل جدار من جدرانه مماثل الواحد منها للآخر ؛ وكل منها يبلغ طوله أربعين ذراعاً ، أما السقف فقد وضع عليه حجر آخر له كرنيش عمقه أربعة أذرع . وقد تحدث كل من « لوكيان »[٣] و « كلمنت »[٤] و « سترابون »[٥] و « سيلسوس »[٦] على التوالى عن حجرات المعابد . وفضلا عن ذلك نجد على الآثار أن حيوانات المعبد غالباً ما تمثل فى أقفاصها كما جاء فى لوحة « بيعنخى » التى تحدثنا عنها فى الجزء الحادى عشر من هذه الموسوعة . وتدل الظواهر على أنه كان هناك اهتمام خاص بالمسكن الذى كان يأوى فيه الحيوان المتقمص فى المعبد . ولا أدل على ذلك من التمساح الذى كان يسكن فى المعبد فكان له حوض مملوء بالماء يسبح فيه ، وكان يعمل بالمثل — على نطاق أصغر — للضب (الورل) والضفادع والسلحفات إذ اتفق أنها

---

(١) راجع Hopfner, Turkult der Alten Aegypten. P. 15.

(٢) راجع Herod., II. 155.

(٣) راجع Lukian, Bilder II.

(٤) راجع Klemens, Paedagog, III, 2.

(٥) راجع Strabo XVII, 805.

(٦) راجع Celsus (origines, III, 412; VI, 8, 8.

عبدت فى المعبدبوصفها حيوانات تتقمصها آلهة ، ومن ثم كانت تعتبر أنها الآلهة الرئيسية فى المعبد .

إطعام الحيوانات المقدسة

لقد كانت العناية بأمر هذه الحيوانات المقدسة لزاماً من حيث المأكل والمشرب فكان يحتم ألا ينقصها شىء أبداً من هذه الناحية . وقد تحدث إلينا فى ذلك الكتاب القدامى ، وسنكتفى هنا بما قصه علينا « ديدور »[1] فى هذا الصدد وهو حجة فى ذلك فقد عاصر تلك الأحداث . فيقول : كان يقدم للحيوانات المقدسة أثمن أطعمة . فكان القوم يمدونها دائماً بالعصيدة المصنوعة من فطير الدقيق أو من القمح المقشور واللبن ؛ هذا بالإضافة إلى كل أنواع الفطائر المصنوعة بالشهد ، ومع هذه الأشياء كانت تقدم لحوم الأوز المسلوق أو المشوى . أما الحيوانات آكلة اللحوم فكان يقدم لها لحم الصيد الذى كان يطهى على أشكال منوعة . وكان يعنى بهذه الحيوانات بوجه خاص من حيث النظافة ، فكانت تحضر لها الحمامات الساخنة وتعطر بأغلى العطور وأثمنها ، كما كانت تبخر بكل أنواع البخور . وكانت تقدم لها أسرة ثمينة لينة كما كان يعتنى بها اعتناء عظيما لدرجة أنه كان يقدم ما يلزم لإشباع غريزتها الجنسية ، ومن أجل ذلك كان يقدم لكل ذكر منها أنثى تعيش بجواره تسمى حظية . وكان يعنى بها عناية تامة من حيث الانفاق عليها ورعاية شؤونها من كل الوجوه .

---

(١) راجع Diod., I, 82.

الأموال التى كانت تنفق على هذه الحيوانات

وكانت الأموال التى تنفق على هذه الحيوانات التى تحفظ فى المعابد يأتى معظمها من دخل الأطيان التى كانت موقوفة على كل معبد من هذا الصنف .

ولدينا معلومات كثيرة عن الحقول التى كانت موقوفة على مثل هذه المعابد ويصرف من دخلها على مختلف أنواع هذه الحيوانات المقدسة وبوجه خاص فى العهد البطلمى الذى انتشرت فيه عبادة الحيوان بصورة تسترعى الأنظار . فلدينا من ذلك حقول محبوسة على القطط والصقور وأبو منجل فى مقاطعة بلدة جبل السلسلة (بتبريس)[١]. أضف إلى ذلك أنه قد ذكرت مراع خاصة بالآله « إبيس » (أبو منجل) فى مقاطعة «اسنا»[٢]. وفضلا عن ذلك كان الأهالى أنفسهم يقدمون هبات من عندهم كما حدثنا بذلك «هردوت»[٣] إذ يقول : « كان عندهم (يقصد المصريين) عادة خاصة بالحيوانات وهى الآتية : كان يعين مشرفون يتألفون من رجال ونساء لأجل إطعام كل نوع من الحيوان المقدس على حدته ؛ وكان الابن يخلف والده فى وظيفته . وكان سكان المدن يؤدون واجباتهم للمشرفين بالطريقة التالية : بعد تأدية واجبهم للآله الذى يمثله الحيوان ، كانوا يحلقون رؤوس أطفالهم أو نصف

(١) راجع Tempelurkunden von Edfu Inschr. & Tafel I, Z. 16، عن أوقاف القطط ستة أرورات ، وعن حقول الصقر خمسة أرورات وعن حقول إبيس (أبو منجل) ٣٠ أروراً وكذلك كانت لإبيس حقول فى الفيوم .
راجع Pap. Tebt. 1, 62, 19 & 23; 63, 82; 64a, 9 ff; 82, 38 & 48; 98, 34.

(٢) راجع Esna Inschr. 2 Taf. 11, Z. 2-3.

(٣) راجع Herod II. 65.

الرأس أو ثلثه ثم يضعون الشعر فى إحدى كفة الميزان وفى الأخرى يضعون فضة . ومهما يكن مقدار الوزن من الفضة فانهم كانوا يقدمونه للمشرف على الحيوان » . وقد روى لنا « ديدور » ذلك بصورة أخرى مماثلة فيقول : أنه بعد الشفاء من المرض كان المريض يورن الشعر مقابل فضة (أو ذهب) ثم يعطى النقد لخادم الحيوان المقدس . وكان يشترى به العلف اللازم للحيوان المقدس . ومن ثم نفهم أن الشعب لم يكن مجبراً على دفع ضرائب فى هذا الصدد بل كان يقدم العطايا من تلقاء نفسه بصفة نذر أو هبة كما هى الحال فى أيامنا هذه . على أن ملك البلاد لم يكن بطبيعة الحال بأقل حماسة وغيرة فى تقديم الهبات لهذه الحيوانات . ولا أدل على ذلك مما ذكره « بطليموس الثالث » والملكة زوجه فى اللوحة التى أقامها مجمع كهنة البلاد اعترافاً بالانعامات التى بلغت من السخاء حداً بعيداً ، وهى تلك الهبات التى قدمها لكل من العجل «أبيس» والعجل « منيفيس » فى مرسوم «كانوب » الذى تحدثنا عنه فى الجزء الخامس عشر من هذه الموسوعة (صفحة ١٩٧) . يضاف إلى ذلك ما قدمه الملك « بطليموس الثانى » من القربات والهبات العظيمة لتيس « منديس » فى معبده ببلدة « منديس » وقد فصلنا القول فى ذلك فى الجزء ١٥ كذلك من هذه الموسوعة صفحة ١٢ وما بعدها .

خدام الحيوانات المقدسة

كان يوجد بطبيعة الحال خدام يسهرون على راحة حيوانات المعابد المقدسة . وهؤلاء كان بعضهم مربين وبعضهم الآخر كهنة . وقد حدثنا « هردوت » عنهم فاستمع لقوله : إن كل حيوان كان له حراس من الرجال والنساء على السواء من الشعب المصرى . وكان الولد يرث والده فى

هذه المهنة[1]. وكذلك ذكر لنا « سترابون »[2] إن التمساح المقدس كان له خدم في مدينة الفيوم يقدمون له العلف . وكذلك نجد أن خدمة الحيوانات المقدسة وكهنتها قد جاء ذكرهم على الآثار التي كشف عنها . فكان خادم الحيوان يسمى حارسه ، في حين أن الخادمة الأنثى كانت تدعى مربية . وكانت وظيفة كل منهما محترمة ؛ ومن أجل ذلك نفهم على حسب ما ذكره «ديدور»[3] أنهم كانوا يحملون شارات خاصة بهم كما كانوا يحيون بكل تجلة ورهبة . وقد جاء ذكر هؤلاء الحراس في الأوراق البردية[4]. هذا وقد جاء ذكر طبقة الكهنة الذين يقومون بخدمة الحيوان المقدس على بطاقة وومية محفوظة الآن بمتحف « ستراسبورج » . فمن هؤلاء الكهنة من يطلق عليه لفظة « باستوفوروس » (Pastophoros) وهو مايقابل عندنا الحانوتي أو المتعهد وهو الذي كان يقوم بعمل كل الترتيبات اللازمة للتحنيط والدفن . وفضلا عن عن ذلك ذكر لنا «اليان» (Aelian) طبقة[5] الكهنة أصحاب المنزلة العالية ، وهؤلاء هم الذين كان يطلق عليهم لقب « الكتاب المقدسون » . وكانت وظيفتهم فحص العلامات الخاصة التي كان لا بد من وجودها في الحيوان الذي كان سيخلف حيوان المعبد المقدس الذي رفع إلى السماء . ولدينا مثال

---

(١) راجع Herod. II. 65.

(٢) راجع Strabo. XVII, 812.

(٣) راجع Diod., 1, 83.

(٤) راجع Urk. d. Kgl. Mus. zu Berlin III, 734, Z. 2, 7, 83, Cronert in Stud zur Palliogr. und Papyruskunde, 4 Helft; Pap. Tebt I, 72, 41.

(٥) راجع Aelian XI, 10.

قيم فى هذا الصدد جاء ذكره على لوحة « منديس » التى فحصنا محتوياتها فى بداية الجزء السالف من هذه الموسوعة .

وعلى اية حال فان ما ذكر هنا من كهنة وخدم لم يستوعب بعد أنواع الخدم الذين كانوا يقومون على راحة حيوانات المعبد . ومن أجل ذلك ينبغى علينا أن نفرض وجود عدد كبير من الكهنة كان يقوم بحفل تقمص الآله العظيم لحيوان المعبد . ولدينا متن بالهيروغليفية نشره الأستاذ « سبيجلبرج »[١] وهذا المتن يشير إلى موضوع دفن البقرة المقدسة « حسات » ويعدد لنا فيه أنواع الكهنة الذين اشتركوا فى دفن هذه البقرة المقدسة وهم :

(١) الكاهن « محى » .

(٢) الكاهن « سمن - حات » .

(٣) الكاهن خادم الإله .

(٤) الكاهن والد الإله .

(٥) كاهن الساعة .

(٦) الكاهن كاتب الآله .

ويقول المتن أن هؤلاء الكهنة كانوا يعنون بأمر دفنها كما هو مدون فى الكتب .

وعلى أية حال سنتحدث فيما بعد عن طائفة الكهنة الخاصين بدفن الحيوانات المقدسة وعبادتها بعد موتها .

---

(١) راجع A.Z. 43 (1906) P. 129 ff.

تقديس الحيوانات المتقمصة

كان الحيوان الذى تتقمصه روح الإله يتمتع بطبيعة الحال باحترام إلهى من الكهنة والشعب على السواء . فكثيراً ما نرى على الآثار كهنة يتعبدون أمام الحيوان المقدس واقفين أو راكعين أو منبطحين على الأرض ، كما نرى كذلك هؤلاء الكهنة وهم يصبون قربات النبيذ ويحضرون القربات . وكان عليهم بوجه عام أن يقوموا بالخدمات المقدسة اللازمة كما كان عليهم أن يقوموا بمثل هذه الخدمات لتماثيل الآلهة الصغيرة التى كانت توضع فى قوارب . وغالباً ما كان الملك يمثل على لوحات تذكارية مهداة للآلهة بوصفه كاهناً أمام الحيوان المؤله . وكثيراً ما نشاهد الحيوان المقدس ممثلا على لوحة المتوفى حيث نرى الأخير يتعبد إليه ويقدم له القربات ويحضر له النبيذ ؛ وكذلك يلحظ أن نماذج الحيوانات المقدسة العديدة التى عملت باحجام مختلفة وباتقان فائق كانت توضع مع الحيوان المتوفى بمثابة نذر ، وقد بقى لنا بعضها ذكرت فى قوائم سجلات المعبد كما وجدت مع الحيوان المتوفى . ولدينا تماثيل صغيرة للعجل « أبيس » وكذلك وصلت إلينا صور للأسد المقدس . هذا وقد وجدت مع هذه التماثيل لوحات منذورة نقشت عليها صلوات وأناشيد للحيوان المؤله .

ويدل ما لدينا من معلومات على أن عددا عظيما من الناس كانوا يتمتعون برؤية الحيوان المقدس القاطن فى المعبد دون أى شك ، وبخاصة لأن هذه الحيوانات كانت تعد آلهة تقدم لها عطايا الوحى الذى كان يوحى به هذا الآله للناس ، ومن أجل ذلك جاء فيما دونه الكتاب القدامى ما هو خاص بالعجل « أبيس » والأسد . فكانت الإشارة التى يومىء بها حيوان المعبد بمثابة

وحتى لا بد أن تدون وتترجم[1] ، وكانت هذه هى الخاصية التى يمتاز بها حيوان المعبد المقدس ، فقد كان له تأثير عظيم عند عظماء القوم ورجال العلم والأمراء لدرجة أنهم كانوا يسعون لزيارته ويعدون مثل هذه الزيارة شرفاً لهم .

وفى ظل هذه الحقيقة ينبغى علينا أن نعترف بأن باب حيوان المعبد المؤله كان مفتوحاً للأتقياء والمخلصين فى عبادته ، ومن أجل ذلك كانوا يسعون طلباً للتقرب إليه وعبادته والتماس العون منه وعلى ذلك فان ما قاله « بورفيروس »[2] إن المعابد فى مصر كانت مغلقة فى وجه عامة الشعب إلا فى أيام الأعياد وفى مواقيت الولائم الشعبية ، قول مبالغ فيه . حقاً لم يكن المعبد مفتوحاً لكل من هب ودب بل كانت هناك فئات كثيرة مباحاً لها دخول المعبد مثل أولئك الذين كانوا يسعون للغسل أو الذين يريدون أن يتطهروا بالماء . ومن جهة أخرى كان دخول المعبد يحرم على أولئك الأجانب الذين كانت تحوم حولهم الشبهات ، وقد توجد أحياناً أسباب قوية تحرم الزيارة ، يدل على ذلك البلاغ الذى جاء فيه ذكر سرقة تمثال للاله « أنوبيس » المصنوع من الذهب من أحد المعابد[3] . وعلى أية حال يظهر أن موضوع تحريم دخول المعابد على الأجانب كان السبب فى خلق الأسطورة القائلة أن المعبد محرم دخوله على عامة الشعب .

(١) راجع Urk. d. Kgl. Mus. zu Berlin II 887, Z. 222.

(٢) راجع Porphyrus IV. 6.

(٣) راجع Hopfner Ibid. P. 17.

خروج الحيوان المقدس من حظيرته فى المعبد

تحدثنا الآثار الباقية عن أن حيوان المعبد كان أحياناً يغادر مقره فى المعبد ويسير فى موكب بين كهنته والأتقياء من أتباعه المخلصين . فقد كان الحيوان المقدس الذى يتقمص روح إله المعبد يخرج لزيارة آلهة أخرى مثله فى معابدها فمن ذلك الزيارة السنوية التى كانت تقوم بها البقرة «حتحور» صاحبة « دندرة » للآله « حور بحدتى » زوجها وإله « إدفو » الأعظم وقد تحدثنا عن هذه الزيارة فى الجزء السالف .

وفاة الحيوان المقدس

كان حيوان المعبد المقدس يعيش عيشة ناعمة إذ كانت تبذل فى خدمته كل عناية وصون ، فكانت تقدم له أرفع مراسيم الاحترام والإجلال حتى تحضره الوفاة الطبيعية . وقد كان المفروض أن الثور « أبيس » — الذى كان احترامه وتقديسه عظيما لدرجة كبيرة جداً — لا يتعدى عمره الخامسة والعشرين ، ولذلك قيل أن الكهنة كانوا يذبحونه إذا جاوز هذا السن ، غير أن البيانات التى لدينا قد أظهرت أن هذا القول مختلق . ومن جهة أخرى نجد على حسب ما أورده « بلوتارخ » من معلومات يعتمد عليها إلى حد ما ، أن حيوان المعبد المقدس كان يذبح على مايظهر. فقد جاء فى الفصل الثالث والسبعين من كتابه عن « أوزير » و « أزيس » مايأتى : عند ما تسرى روح « تيفون » (= أى روح ست إله الشر) فى هذا الحيوان فانه يظهر — كما تدل الأسطورة — أن كل طبيعة دنسة حيوانية تؤلف جزءاً من هذه الروح الشريرة ، ولكن لأجل تهدئة هذه الحالة وإصلاحها فان كل حيوان كان يهدأ بالعبادة ، ولكن

إذا ثار الحيوان بقوة وبصورة مزعجة وذلك بسبب مرض مهلك أو بسبب مصيبة عامة خارقة لحد المألوف ، فانه كان لزاماً على الكهنة أن يقودوا هذا الحيوان المؤله أثناء الليل الحالك الظلمة سراً ويخيفونه أولا بالتهديد لأجل أن يوقف هذه الكارثة الجماعية ، وبعد ذلك ينذرونه ويذبحونه بمثابة عقاب للروح الشريرة التي تسكنه أو بمثابة تكفير عن شر مستطير . وقد ذكر «مانيتون» أنه فى مدينة «الكاب» قد أحرق رجال بسبب أنهم كانوا يدعون شياطين ؛ وبعد حرقهم ذرى الرماد المتخلف من حرقهم فى مهب كل الرياح . وعلى أية حال كان يحدث ذلك علنا فى وقت محدد فى أيام الكلب (وهو من يوم ٣ يوليه حتى يوم ١١ أغسطس عند ما كان يطلع نجم الكلب ويغيب مع الشمس) .

ولكن القربات السرية من الحيوان المقدس وهى التى كان يشرع فى عملها فى وقت غير محدد، قد بقيت خفية بالنسبة للجم الغفير من الناس ، اللهم إلا عند دفن « أبيس » فان بعضها كان يبين ويلقى به معه فى حفرة القبر . وكان القوم يعتقدون أنه بمثل هذا العمل يحيق بالشيطان الضرر ويذهب عنه سروره ؛ غير أن هذا الكلام فيه شك . وقد تحدث عنه الأثرى « هوبفنر »[1] وقد ختم كلامه بقوله أن ذبح الحيوان المتقمص الساكن فى المعبد غير ممكن بالمرة . وسنتحدث عن هذا الموضوع فيما بعد عند الكلام على العجل « أبيس »

---

(١) راجع Hopfner Ibid. P. 18-19.

حزن الشعب على موت حيوان مقدس

وكانت العادة المتبعة عند موت حيوان المعبد الذى يتقمصه الآله الأكبر فى نفس المعبد ، أن يعم الحزن أنحاء المقاطعة . أما عند وفاة العجل « أبيس » أو العجل « منيفيس » فكانت كل البلاد تعلن الحداد عليه مدة سبعين يوماً يعتنى فى خلالها بتحنيطه ودفنه بكل مظاهر التجلة والأبهة والفخار . وعلى أية حال كان يبحث فى خلال تلك المدة عن خلف له ، وفى معظم الأحيان كان يعثر على مثيله ؛ وعلى ذلك فانه على أثر دفن الثور المتوفى كان يقام عيد يدعى عيد « الظهور » أى ظهور الحيوان الجديد الذى كان ينصب فى المعبد . وإذا حدث أن العجل الذى يحتوى على كل العلامات اللازمة فى مدة السبعين يوماً لم يعثر عليه ، فان الحزن كان يمتد أجله على الأقل فى منطقة المعبد بين الكهنة . وقد وصلت إلينا بعض تقارير عن كيفية إظهار الحزن على الحيوان الراحل . وكان أبرز علامات لذلك هى صوم القوم وحلق شعورهم . وكان من الضرورى حفظ جسم حيوان المعبد المقدس . وذلك لأن حياة هذا الحيوان فى عالم الآخرة تتوقف على بقاء قرينه (كا = الروح) الذى كان لا يمكن أن تبقى إلا إذا كان الجسم سليماً . ومن ثم كان تحنيط الجسم أمراً محتماً . وتفسير ذلك أن المصريين كانوا يعتقدون أنه ما دام الجسم محفوظاً تماماً فانه يكون فى استطاعة القرين (كا) أن تأخذ من القربان الذى يقدم للمتوفى وتوصله إلى جسمه أو موميته ما دامت سليمة فى القبر . ونفهم من ذلك أن ما كان يتبع فى تحنيط جسم الإنسان وتقديم القربات له كان يتبع مع الحيوان المقدس .

تحنيط الحيوان المقدس

ويحدثنا المؤرخ « ديدور الصقلي »[1] عن تحنيط الحيوان المقدس فيقول: أن الجسم كان يحفظ بحقنه بزيت خشب الأرز وهو نوع من التربنتينا وبواسطته لا يستخرج الإنسان أمعاء الحيوان . وهذه الطريقة تقابلها الطريقة الثانية للتحنيط التى ذكرها « هردوت »[2] وفيها يقول : وبعد أن يملأوا حقنهم بالزيت المستخرج من خشب الأرز يملأون أحشاء الجثة دون إحداث أى قطع فيها أو استخراج الأمعاء ؛ ولكن كانوا يحقنونها فى الدبر ؛ وبعد أن يمنعوا الحقنة من التسرب ، كانوا يغمسون الجسم فى مادة النطرون لمدة أيام معدودات . وفى اليوم الأخير من هذه المدة المحددة كانوا يتركون الزيت المحقون يخرج من الدبر ، وكان له مفعول عظيم لدرجة أنه كان يجعل الأمعاء تطرد إلى الخارج كما يجعل الأحشاء فى حالة تحلل .

والنطرون بطبيعته يحلل اللحم ولا يبقى شىء من الجسم إلا الجلد والعظام . وبعد إتمام ذلك كانوا يعيدون الجثة دون إجراء أية عملية أخرى أبداً فيها . وهذه الملحوظات كلها صحيحة : وذلك لأن زيت خشب الأرز لا يذيب الأحشاء كلية ، ولكن يعمل على عدم تعفن الجثة التى كانت كذلك تباد بوساطة النطرون . ويلحظ أن الصديد الذى كان يخرج من الجثة مدة السبعين يوماً لم يكن هو زيت خشب الأرز ، بل هو المادة المتحللة من الأحشاء التى كانت قد ذابت هناك ، ولم يكن فى مقدرة الزيت أن يقذف بها إلى الخارج . وهذه الطريقة الثانية للتحنيط التى ذكرها « هردوت » كان ثمنها على حسب تقدير « ديدور » عشرين مينات (المنات = أربعة جنيهات) . وهذا يقابل

(١) راجع Diod., I 83.

(٢) راجع Herod. II, 87.

تكاليف تحنيط جسم آدمى . وتدل الموميات الكثيرة العدد جداً التى كشف عنها من موميات الحيوانات المقدسة من كل صنف من أول العجل « أبيس » حتى فأر البحر ، على أنها كانت على درجات مختلفة من التحنيط [١]. وقد كان ذلك يتوقف على مكانة الحيوان وعلى ثراء المعبد الذى يأوى فيه ، وكذلك على عظمة هذا المعبد ، وعلى مقدار العناية بتحنيطه . ويلحظ أن الموميات التى كانت قد حفظت حفظاً ممتازاً ونخص من بين هذه موميات القطط ، يمكن الإنسان أن يسلم بأنها كانت ضمن حيوانات المعبد . وهذه كانت أحياناً أو فى غالب الأحيان تحنط تحنيطاً من الدرجة الأولى وهى التى على حسب تقدير « ديدور » إذا ما قرنت بتحنيط الإنسان لا تقل تكاليفها عن تالنتا من الفضة أى حوالى ٢٣٥ جنيهاً [٢].

وكان من المفهوم أحياناً أن إمكانيات المعبد لم تكن كافية لتغطية مصاريف هذا النوع الباهظ الثمن من التحنيط ؛ ومن أجل ذلك كان يضطر رجال الدين إلى البحث عن المال اللازم لتغطية هذه المصاريف من أية جهة كانت . فكانوا يلجأون فى ذلك أولا إلى كرم الأهالى . وقد حدثنا فى ذلك المؤرخ «بلوتارخ» [٣] فاستمع إلى ما جاء فيه : إن كل سكان مصر جميعاً كانوا يتبرعون لدفن الحيوانات المقدسة بمبالغ محددة باستثناء سكان « طيبة » . وعلى الرغم من منطوق عبارة « بلوتارخ » فان الإنسان لا يمكنه أن يفكر فى أنه كانت تفرض ضرائب لجمع الأموال اللازمة بل كانت تعتبر بمثابة هبات

---

(١) راجع Loncts et Gaillards, La faune Momifiée de l'Ancienne Egypte. Lyons (1906).

(٢) راجع Diod., I, 91.

(٣) راجع Plut. Ibid. 21.

يدفعها ثراة القوم . وهذا الرأى قد أكده ما جاء فى بردية محفوظة بمتحف «جنيفيا» ويرجع تاريخها إلى العهد الرومانى فى مصر. ويذكر متنها أن جماعة من الكهنة وعظماء القوم فى «منف» قاموا بمناسبة موت عجل «أبيس» بتوريد كل ما يلزم لأجل الاحتفال بدفن العجل « أبيس » ، وذلك بجمع المال اللازم لهذا الغرض .

ولا نزاع فى أن هذه البردية تقدم لنا فى الوقت نفسه البرهان على أن مثل هذه الهبات كانت تقدم عينا ، وكذلك تبرهن على أن الكهنة أنفسهم كانوا يشتركون فى تقديمها . فقد اشتملت هذه الورقة على مستند بعشرة أذرع من الكتان الملكى قدمت لمعبد الإله « سبك »(1). هذا وقد وجدنا ما يماثل ذلك فى بردية عثر عليها فى « أم البرجات » . وفحواها أن رئيس الكهنة فى معبد « آتوم » بمدينة « هليوبوليس »(2) قد صدق على تسلم عشرين ذراعاً من الكتان الجميل لأجل تحنيط ثور « منيفيس » ، من فرد يدعى « مارون » (Maron) بن باكبكيس » (Pakebkis) ويدعى كذلك باسم « سوزيموس » (Zosimis) . وكان كاهن المعبد الفاخر للالهة فى قرية « تبتونيس »(Tebtunis) فى مقاطعة « أرسنوى » . والظاهر أن توريد كتان الموميات كان ميزة إختص بها معبد التمساح ؛ وذلك لأن الآله « أوزير » كان ذات يوم قد كفن فى لفائف حمراء كان قد صنعها له الآله الذى يتقمص التمساح)(3)(=الآله سبك) . وكذلك كان الملك فى عهد البطالمة يسهم فى تجهيز الحيوان المقدس بعد الموت

---

(١) راجع W. Otto. Priester und Tempel in hellinist Agypten I, s. 391. Ann. 4.

(٢) راجع Pap. Tebt. II, 313.

(٣) راجع Brugsch. Dict. Georgr. 1175.

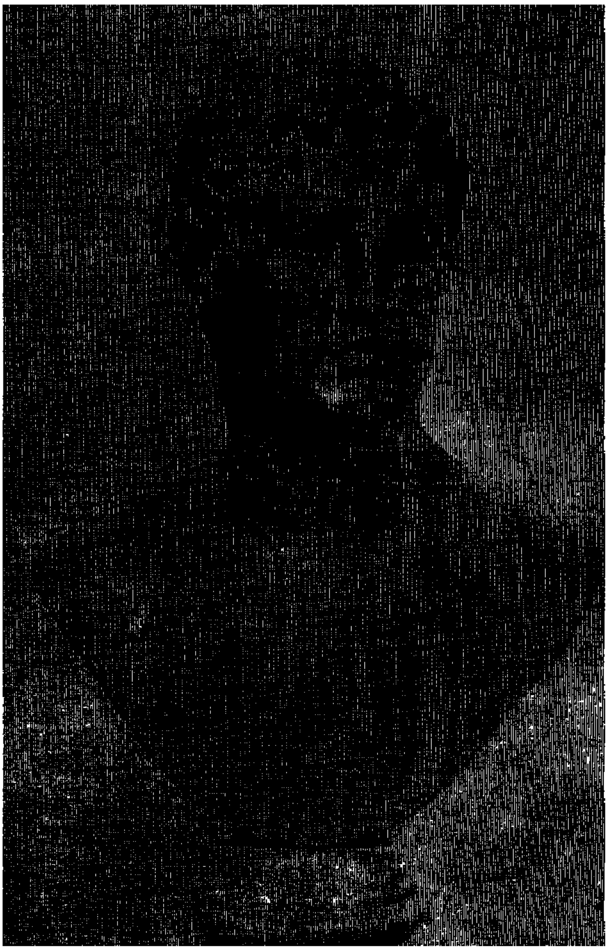
كما يدل على ذلك ما حدثنا به الكتاب القدامى ، وكذلك الآثار التى من عهد كل من « بطليموس » الرابع والخامس وبخاصة ما جاء فى نقوش مرسوم « حجر رشيد » الذى تحدثنا عنه من قبل (ص ٥٩) .

وكان يعين — لتحنيط الحيوان المقدس وتجهيزه للدفن — كهنة خاصون كما جاء ذكر ذلك فى بعض الأوراق البردية[1]. وقد جاء ذكر محنطين خاصين بالقردة والقطط وأولاد آوى والبقر والصقور والثعابين وغيرها من الحيوانات المقدسة . وهؤلاء الكهنة كانوا تابعين لجمعيات ، وكان لكل جمعية قانونها الخاص . وهؤلاء الكهنة كانوا من الطبقة الدنيا من الكهنة ويعملون موظفين فى جبانة الحيوانات المقدسة ، كما كانوا بطبيعة الحال يعملون فى جبانة العجل « أبيس » المعروفة باسم السرابيوم .

ومما تجدر ملاحظته هنا أن جبانة الحيوانات المقدسة كانت تتألف من مدافن منفردة يدفن فى كل الحيوان الرئيسى الذى كان يقدس فى المعبد ويسكن فيه . وكانت هذه الجبانة تحتوى على كهوف جماعية تدفن فيها الحيوانات المقدسة التى من نوع الحيوان المقدس الرئيسى . ولا نزاع فى أن الحيوان المؤله — الذى كان يعتنى به فى كل حالة من حيث التحنيط والتجهيز — كان يثوى غالباً تحت مقصورة صغيرة تقام فوق قبره المحفور فى جوف الأرض . وهذه المقصورة كانت مخصصة لعبادته فكانت تزدان بالنذور التى كان يقدمها الصالحون وأهل التقوى هذا فضلا عما كان يقدم له من قربات ويقام له من صلوات . وأبرز مقاصير من هذا النوع معروفة لنا هى مقاصير العجل « أبيس » فى سقارة . وقد تحدثنا عنها فى أنحاء مختلفة فى هذه الموسوعة منذ بداية إقامتها فى هذه البقعة المقدسة .

(١) راجع Pap. Tebt. I. 72, Z. 411 vgl. 61 b. Z. 401.

صورة رقم (١)



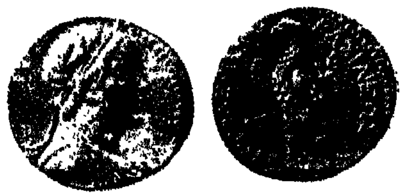
صورة بطليموس الخامس

صورة رقم (٢)

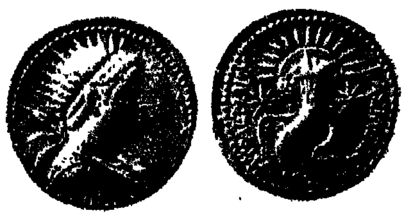


لوحة القحط بجزيرة سهيل بمنطقة الشلال من عهد بطليموس الخامس

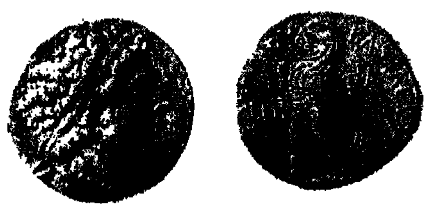
صورة رقم (٣)



نقـــد بطليموس الخامس



نقد آخر لبطليموس الخامس



نقـــد بطليموس السادس

صورة رقم (٤)

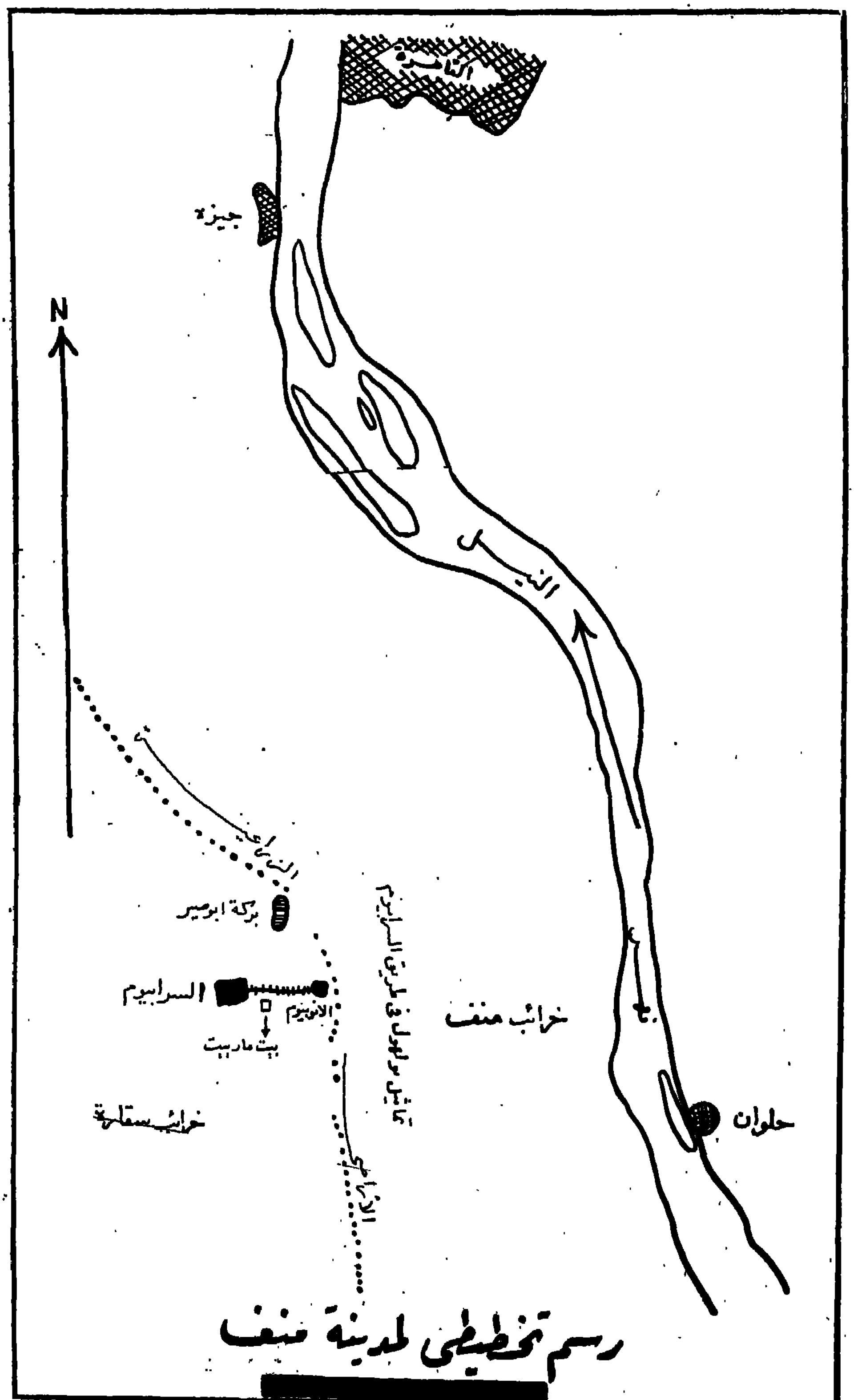


لوحة من البوخيوم بأرمنت من عهد بطليموس السابع

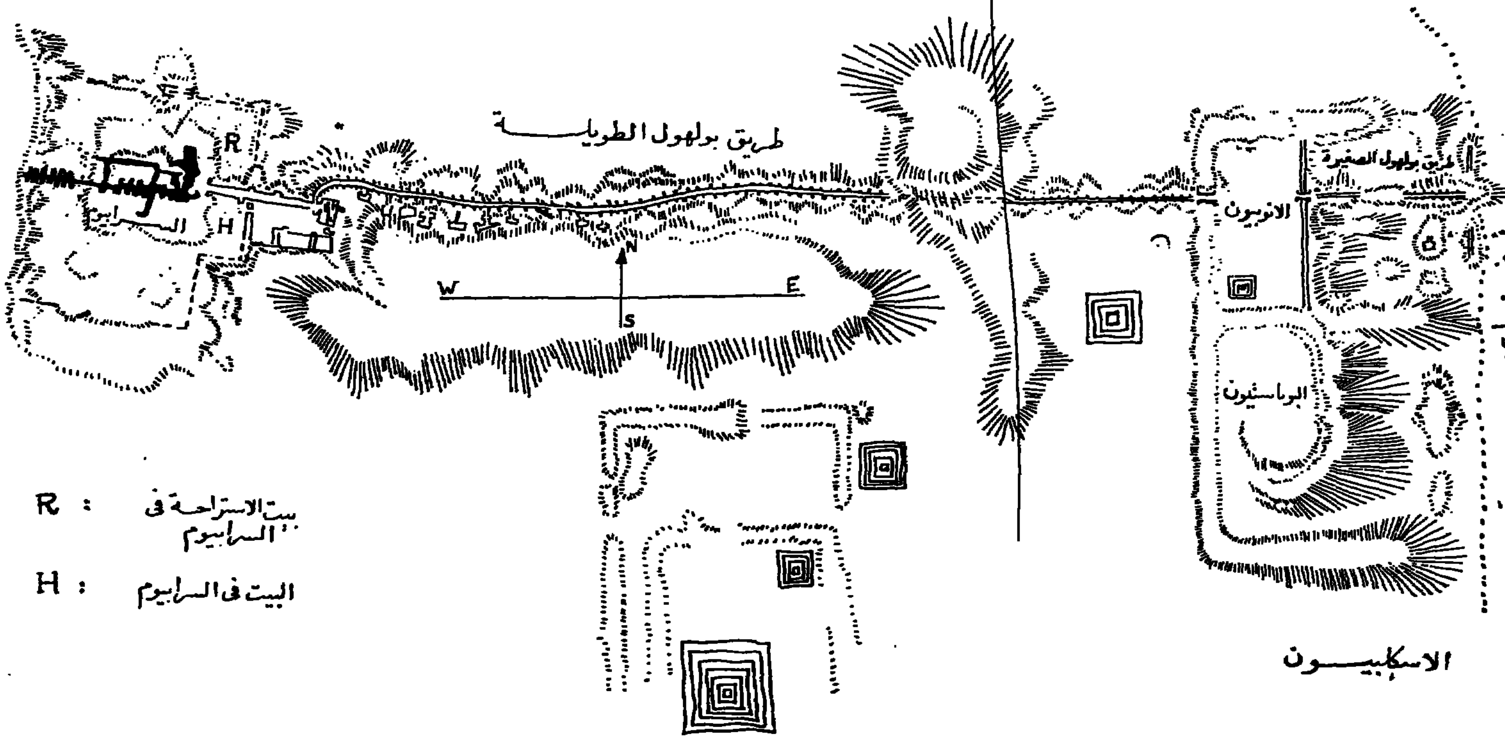
صورة رقم (٥)



العجـل بوخيس

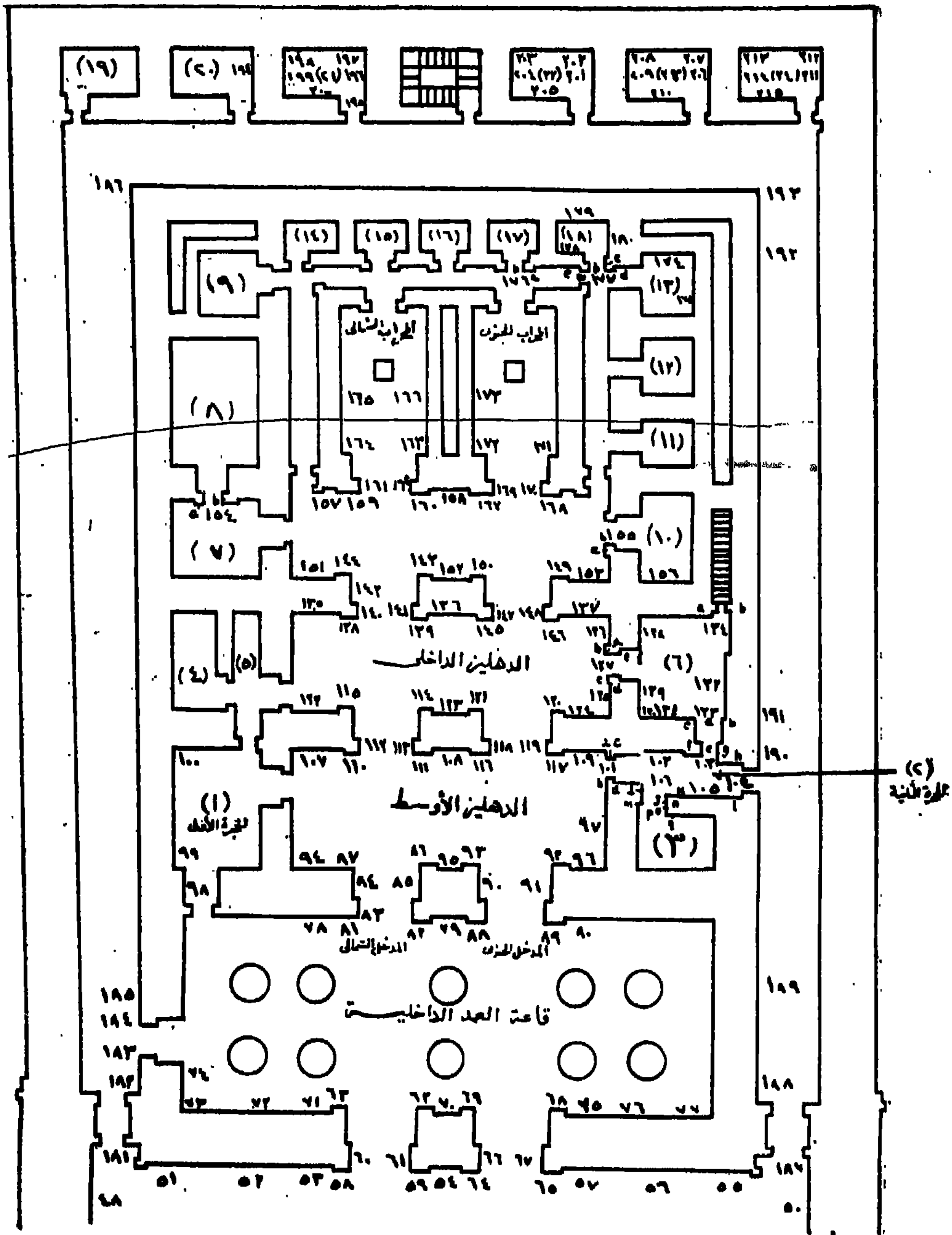

القاهرة
جيزة
N
النيل
بركة ابوصير
السرابيوم
الانوبيوم
بيت ماريت
خرائب سقارة
تماثيل ابو الهول في طريق السرابيوم
خرائب منف
حلوان
رسم تخطيطي لمدينة منف

شكل رقم (١)



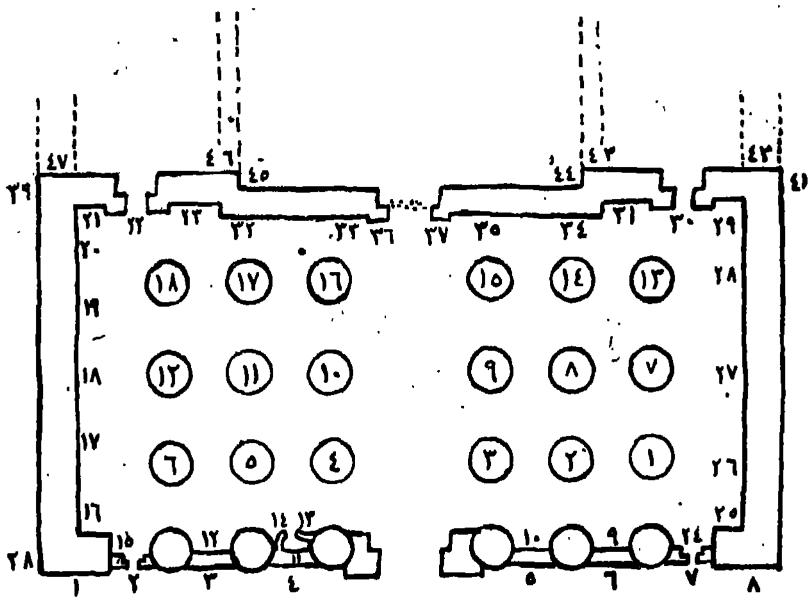
رسم تخطيطى يوضح الأبنية المجاورة للسرابيوم

شكل رقم (٢)



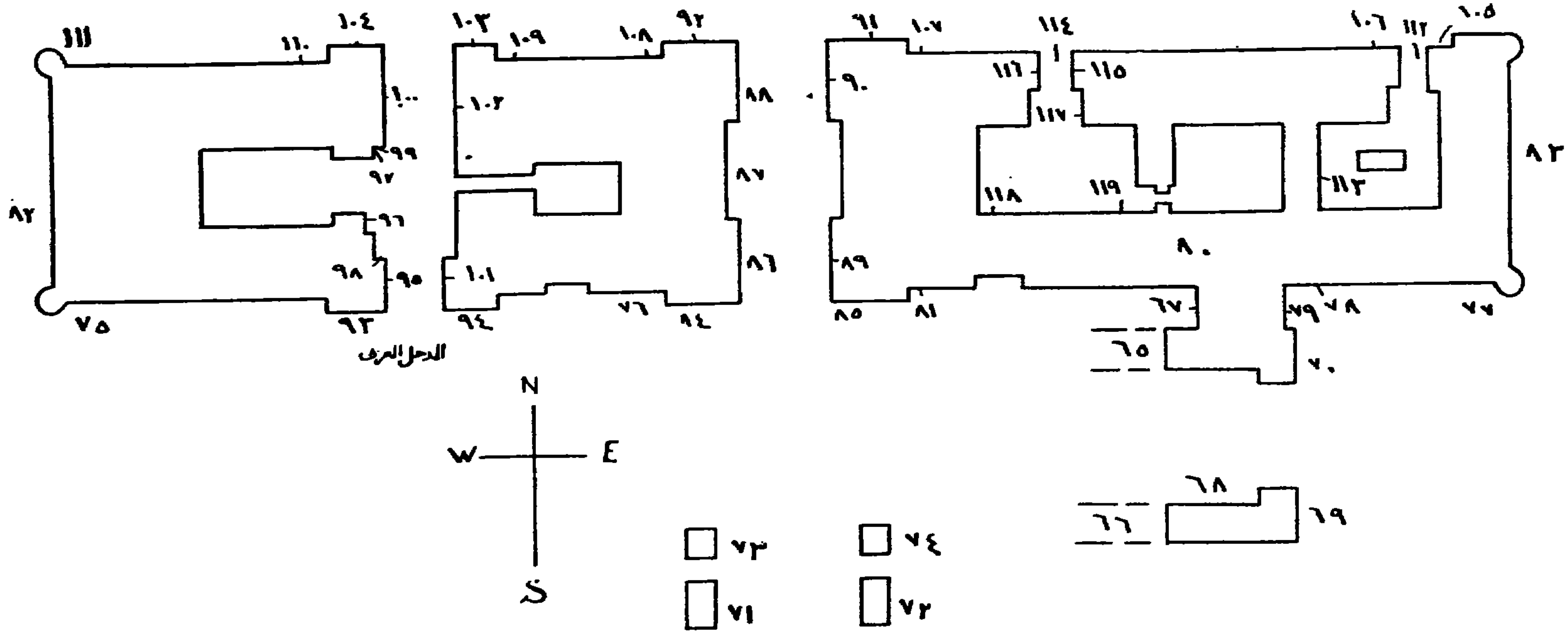
شكل ٣

معبد كوم امبو (الجزء الشرقي)



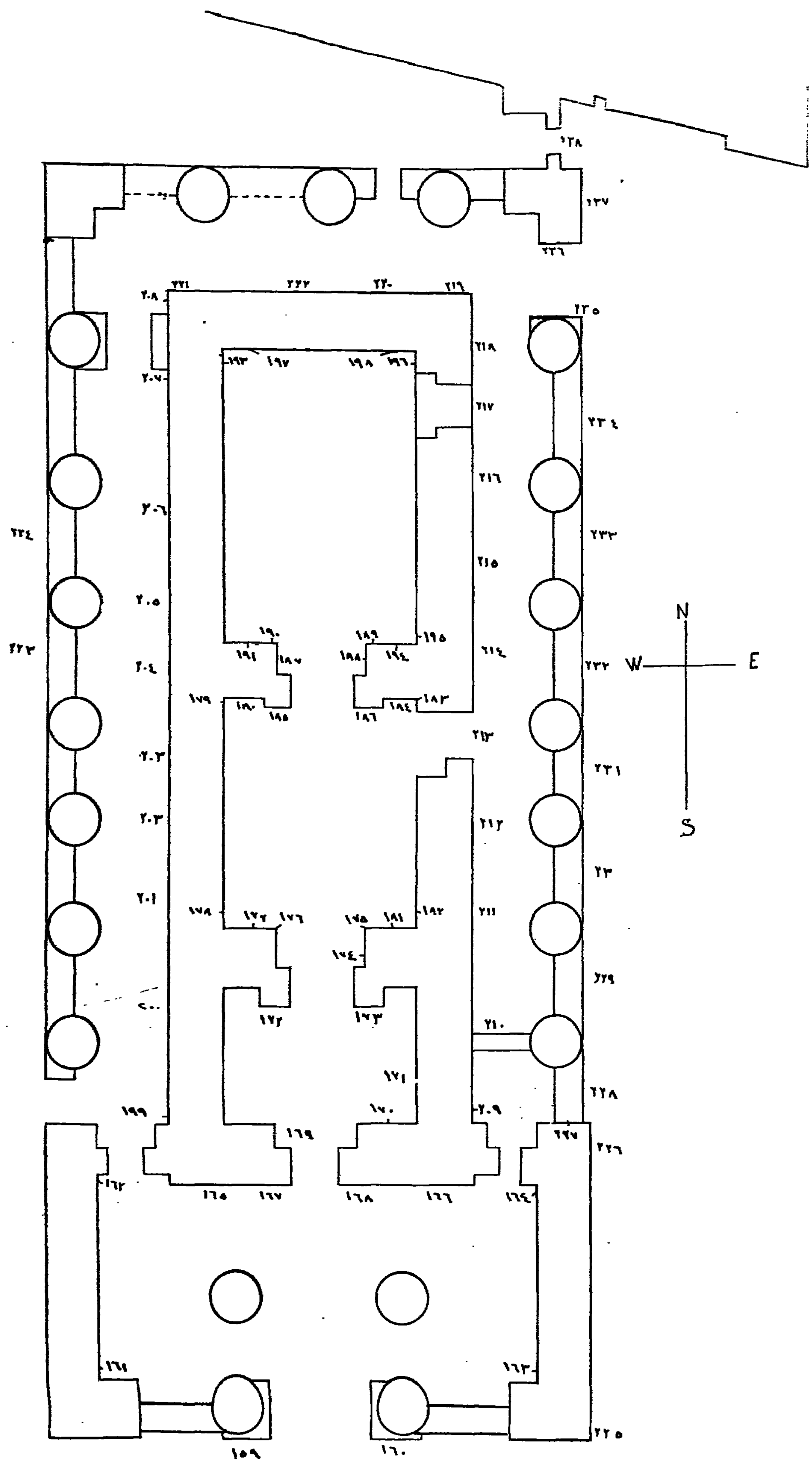
شكل رقم ٤

معبد اسنا



شكل رقم ٥

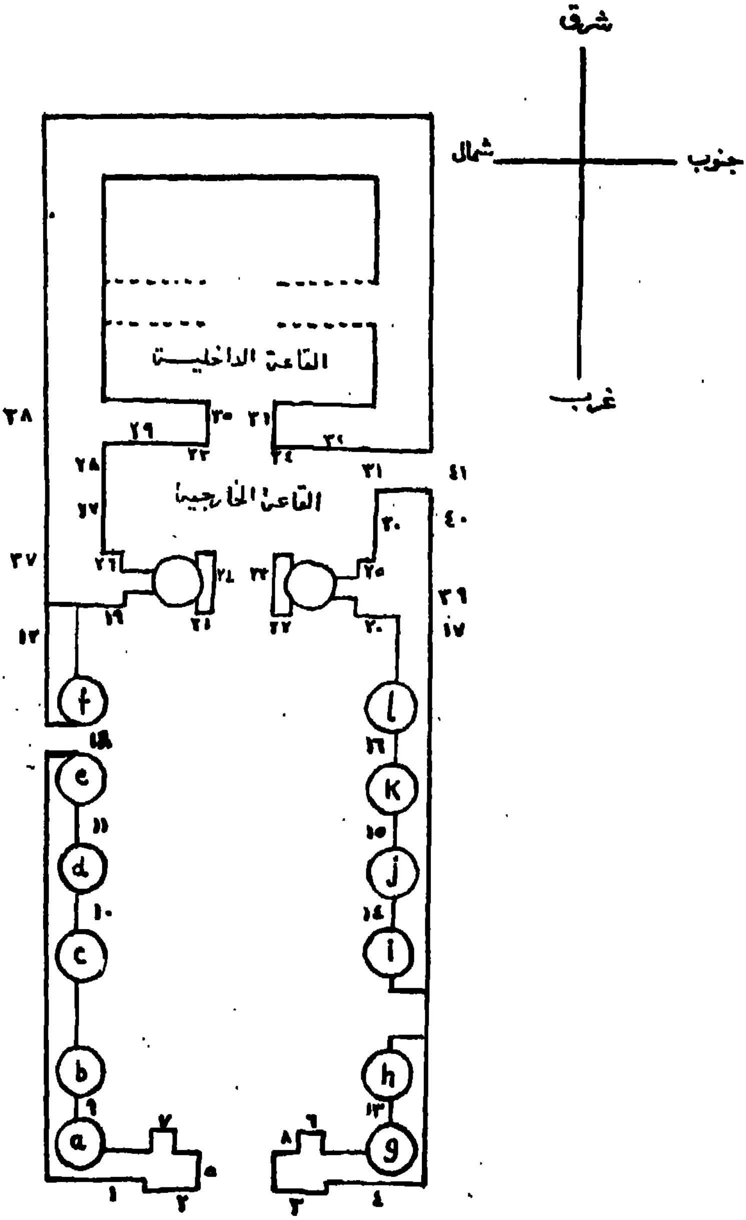
معبد الفيلة (معبد إيزيس - الصرح الأول)



شكل رقم ٦

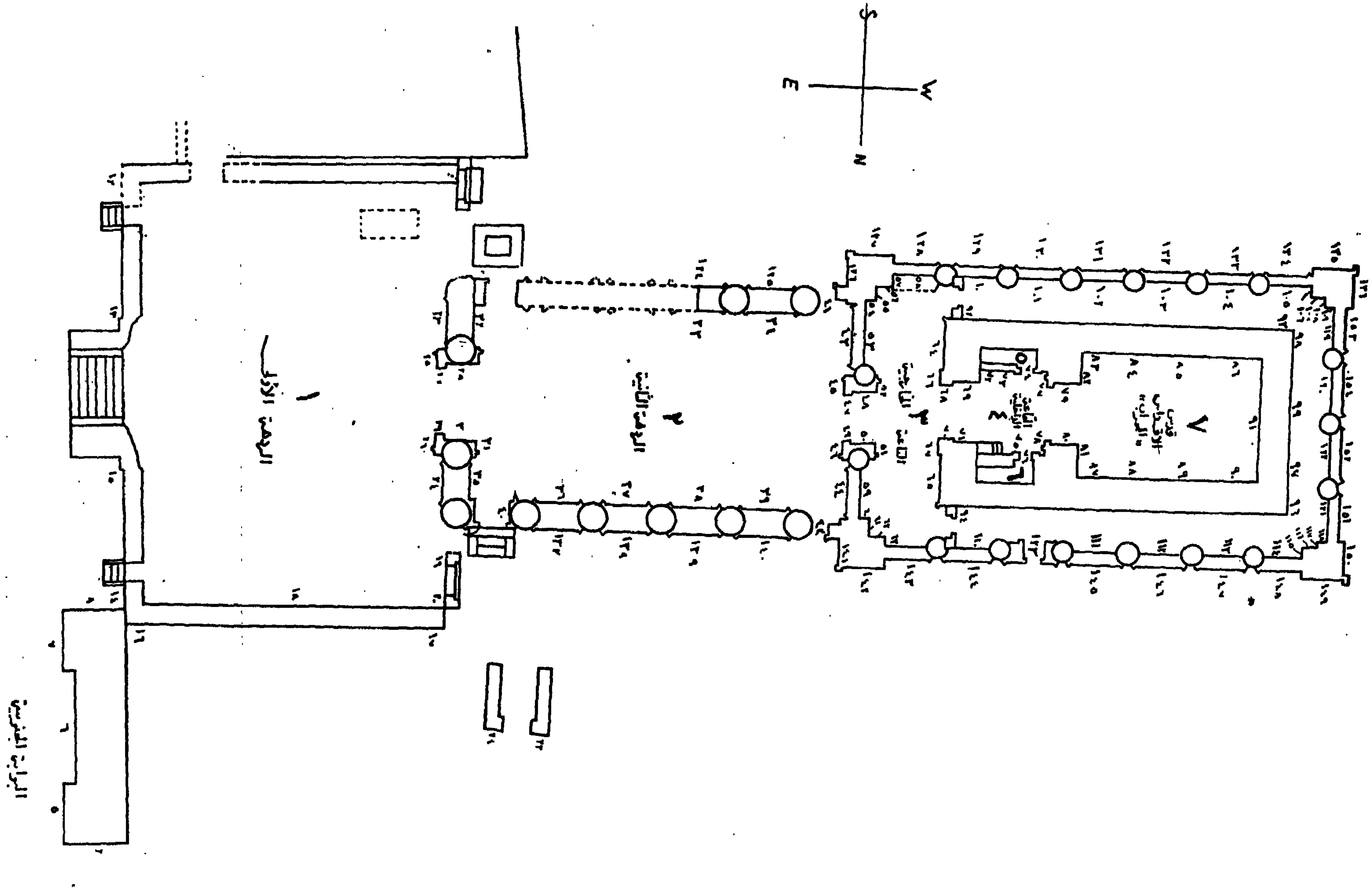
معبد إيزيس بالفيلة

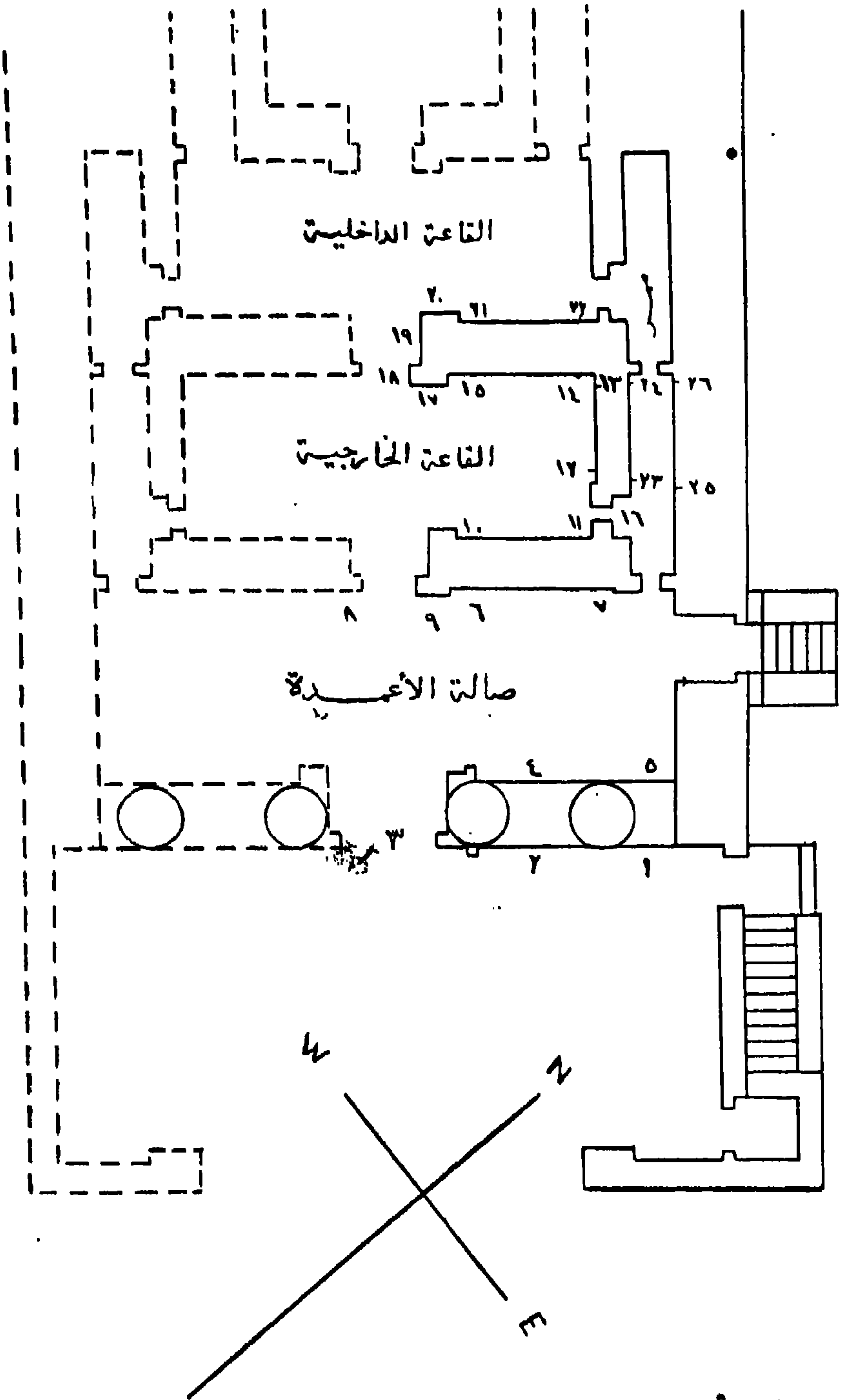
(بيت الولادة).



(شكل رقم ٧)

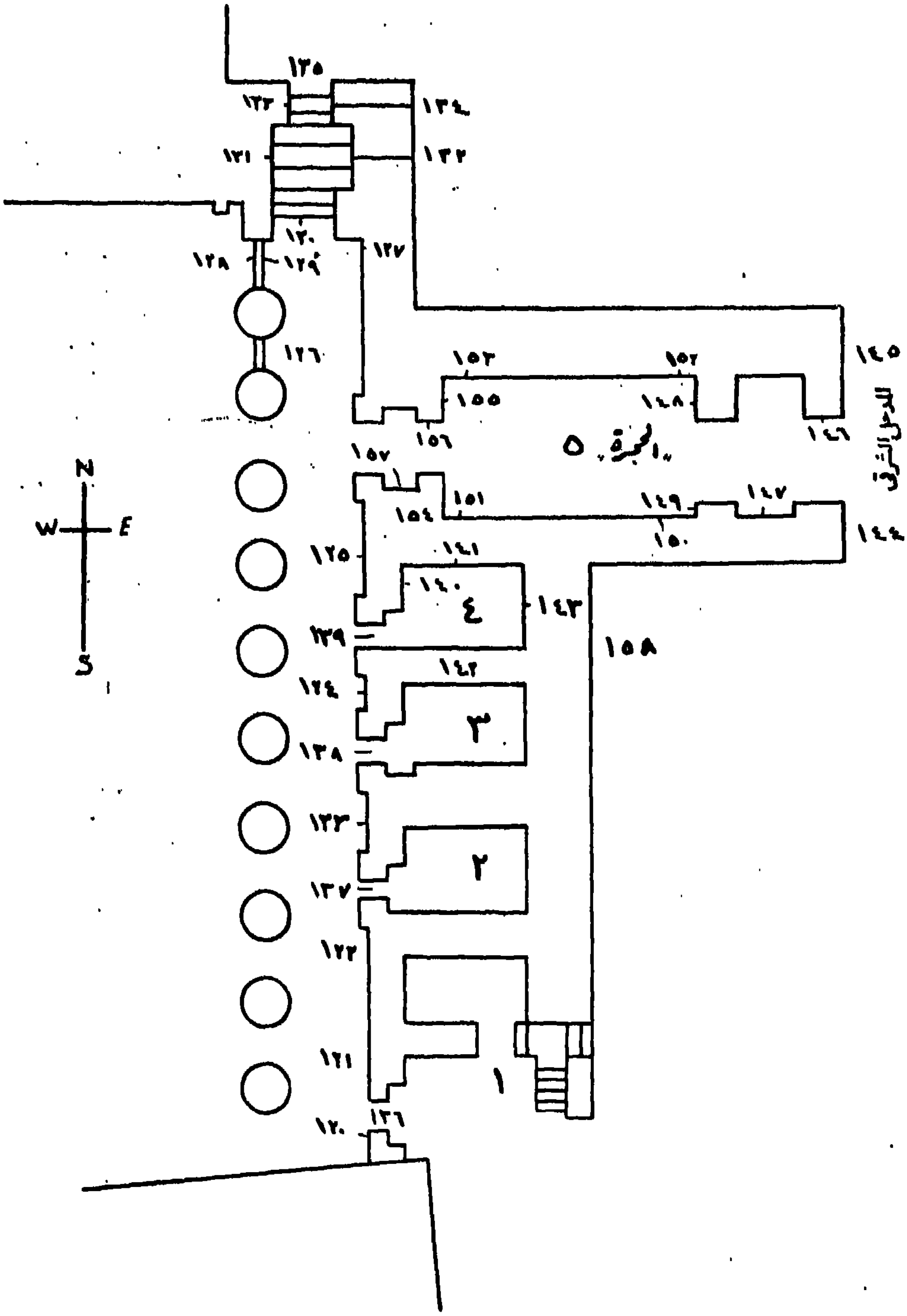
معبد حتحور بالنخيلة


S
E
W
N



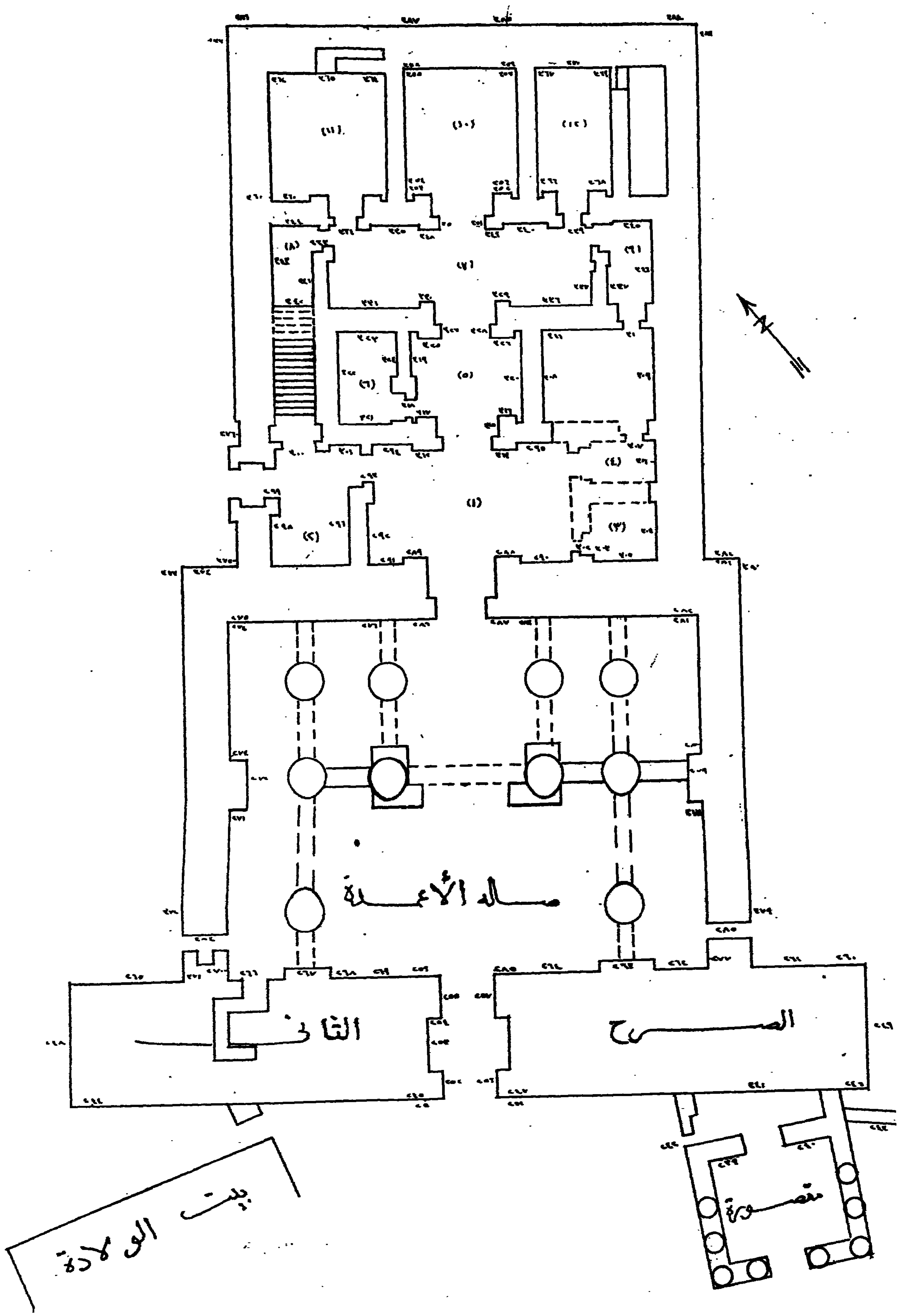
شكل رقم ٩

بيت الولادة (ميزى) بمعبد كوم أمبو

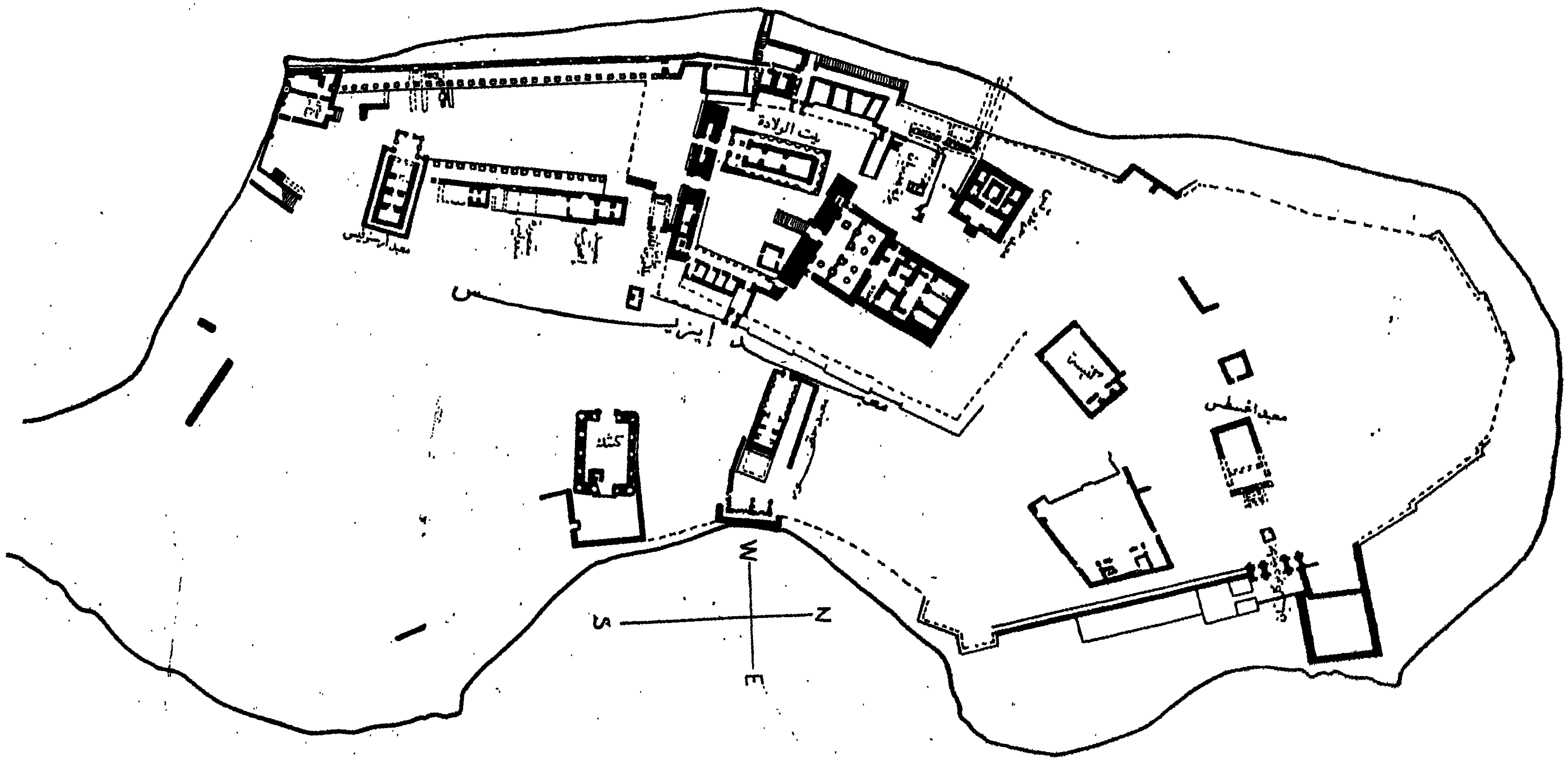


شكل رقم ١٠

بهو الأعمدة الشرقي الثاني لمعبد إيزيس بالفيلة

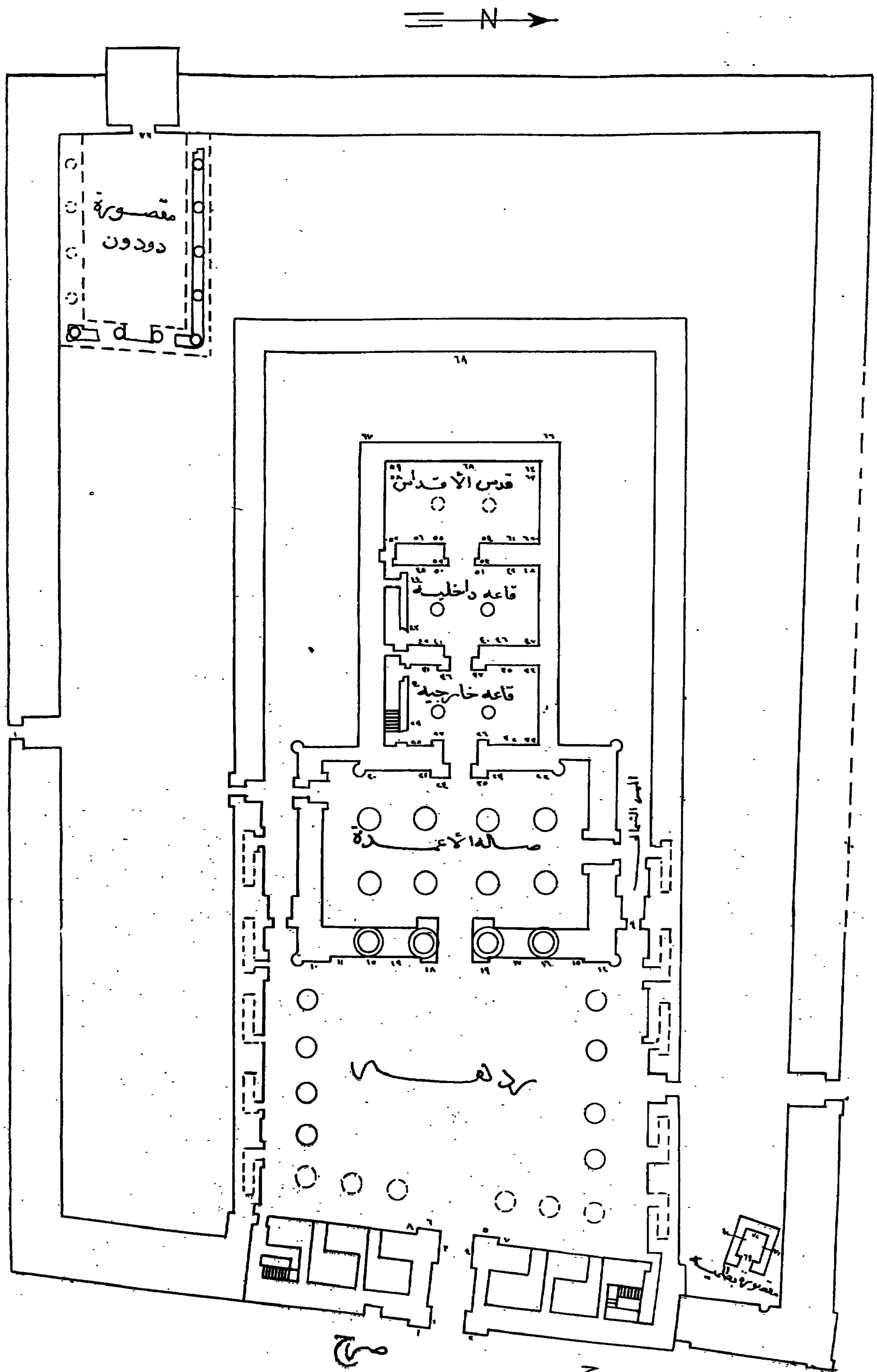


صالة الأعمدة
الصرح
الثاني
بيت الولادة
مقصورة



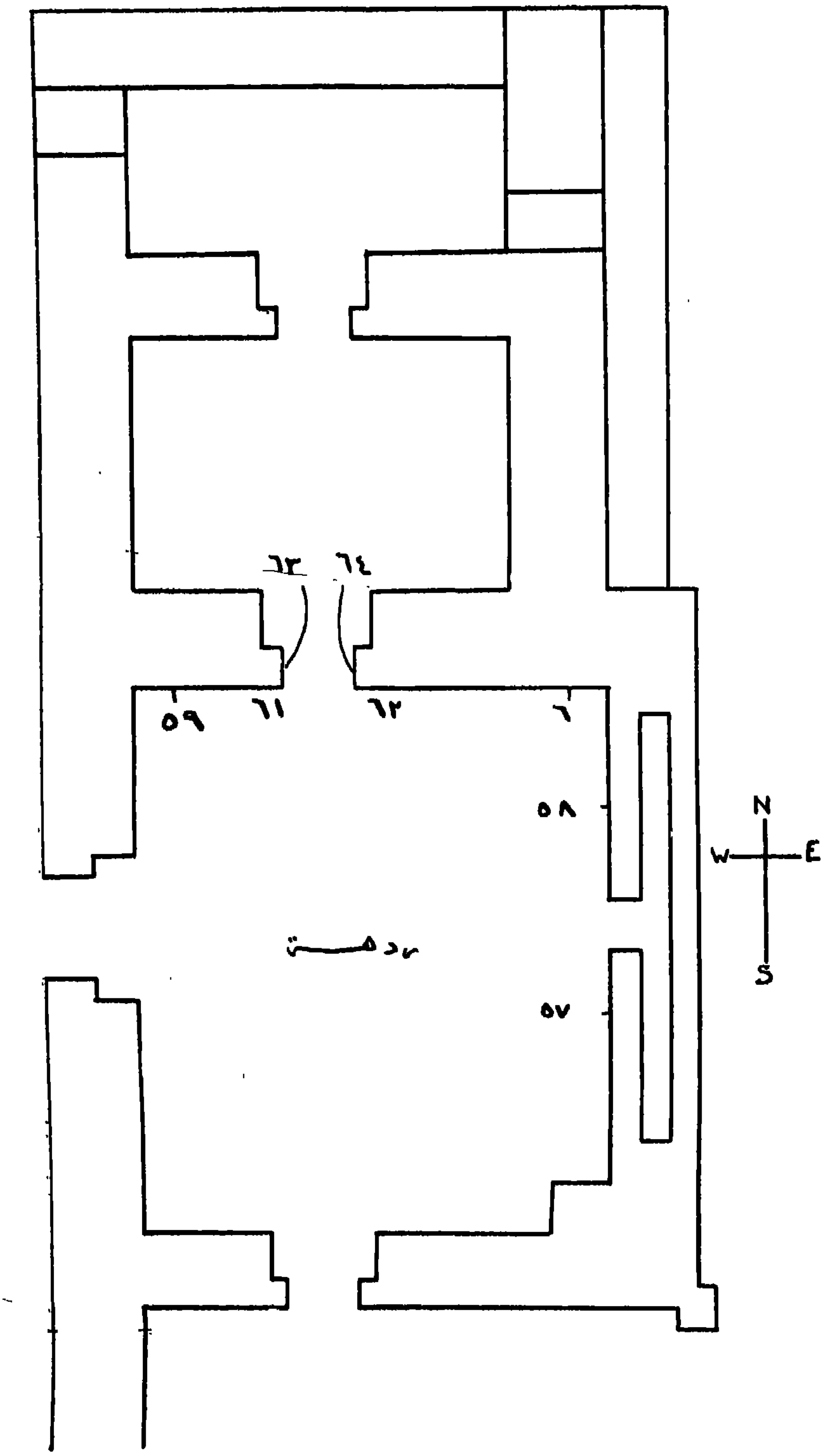
معابد جزيرة الفيلة

شكل ١٢



معبد كلابشة - (مقصورة دودون)

(شكل رقم ١٢)



(شكل رقم ١٤)

معبد إمحوتب بالفيلة

معبد « إمحوتب » بالفيلة

الردهة: « ينظر الشكل رقم ١٤ » .

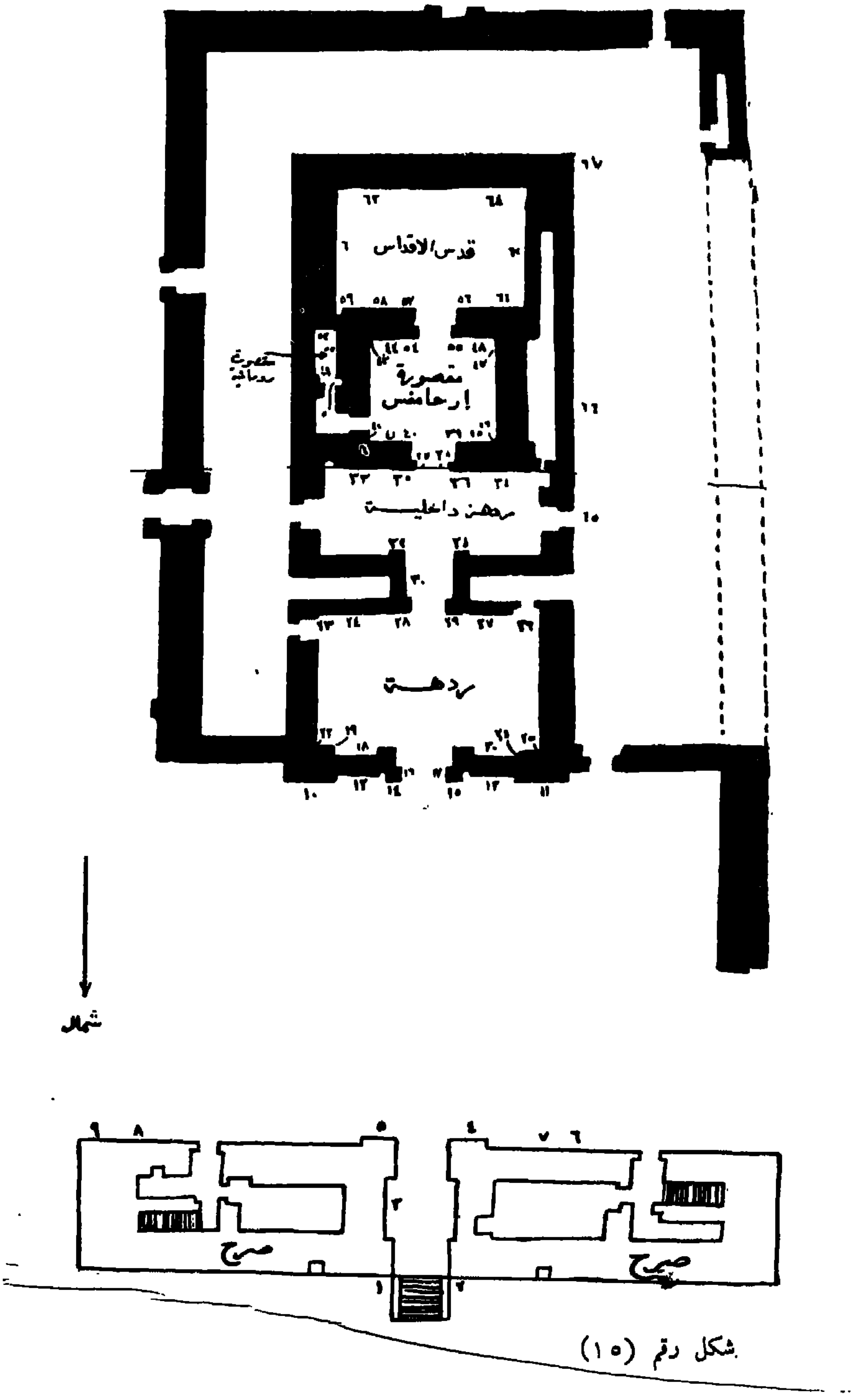
(٥٩) ويرى « بطليموس الخامس إبيفانس » فى الصف الأعلى يقدم نطروناً إلى الإله « إمحوتب » الجالس ، وإلى الأم « خردوعنخ » ثم إلى الزوجة « رنبت نفرت » . وفى الصف الأسفل تشاهد الملك يقدم البخور إلى « إمحوتب » .

(٦٠) نشاهد الملك يقدم طعاما إلى الآلهة « خنوم » و « ساتيس » و « عنقت » وذلك فى الصف الأعلى . أما فى الصف الأسفل فنراه يقدم صورة « ماعت » إلى الآلهة « أوزير — أونوفريس » و « إيزيس » و « إمحوتب » .

المدخل :

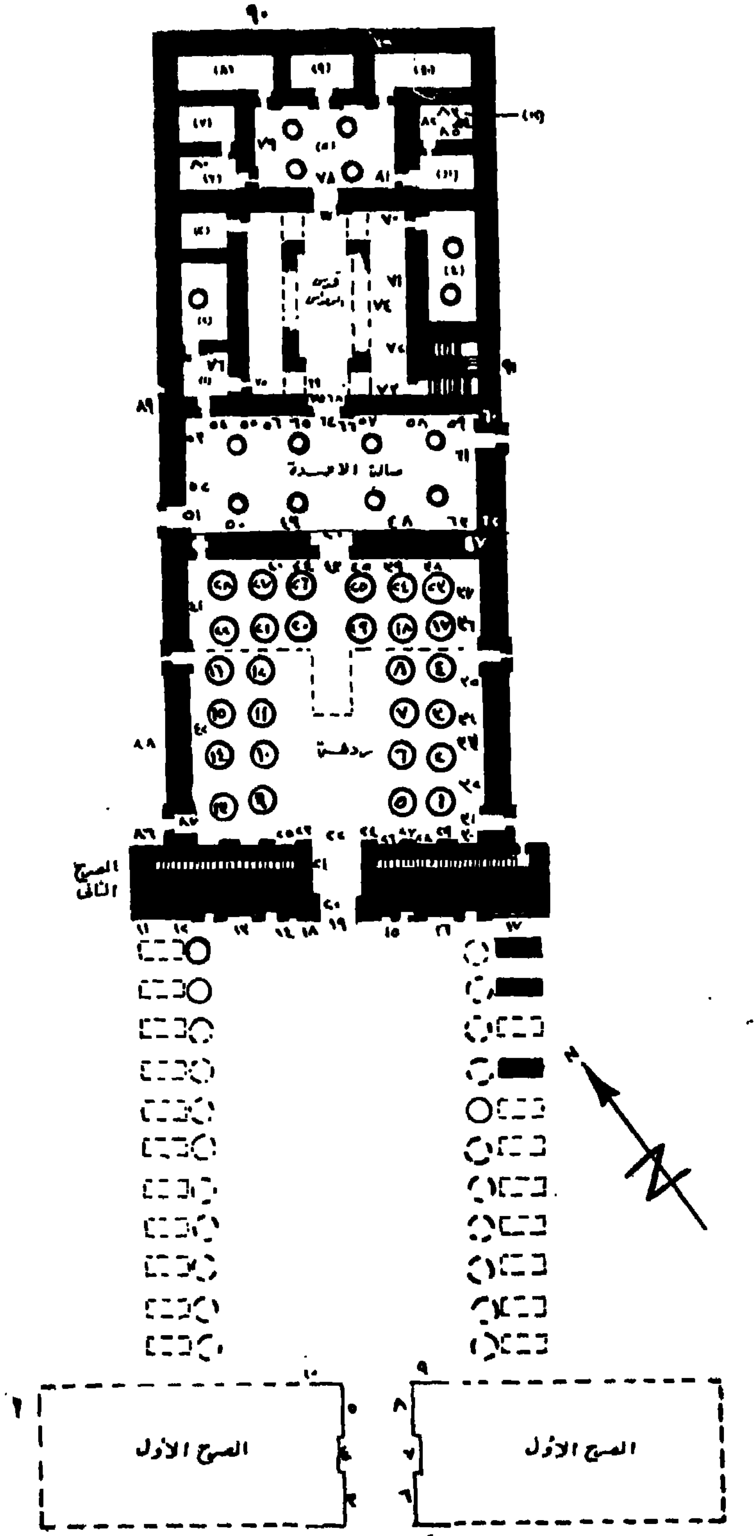
(٦١) — (٦٢) ويشاهد على العتب الخارجى منظر مزدوج يرى فيه الملك يقدم نبيذاً إلى الآلهة « بتاح » و « تحوت » و « إمحوتب » والأم « خردوعنخ » ، ثم يقدم بخوراً فى المنظر الثانى إلى الآلهة « أوزير » و « ايزيس » و « خنوم » و « حتحور » . وعلى القائم الغربى توجد ثلاث مناظر يشاهد فيها الملك يقدم صورة « ماعت » إلى الإله « إمحوتب » ثم يقدم إناءً إلى الإله « أوزير » ، كما نشاهد الملك واقفاً أمام الإلهة « إيزيس » . أما على القائم الشرقى فيشاهد الملك يقدم نبيذاً إلى الإله « خنوم » ، ثم صناجة إلى آلهة ، بينما يقف أمام الإله « إمحوتب » فى المنظر الثالث .

(٦٣) — (٦٤) ويرى على كل من السمكين عمود من المتون كما يشاهد « بطليموس الخامس ابيمانس » و « كليوباترا الأولى » على كل منهما .



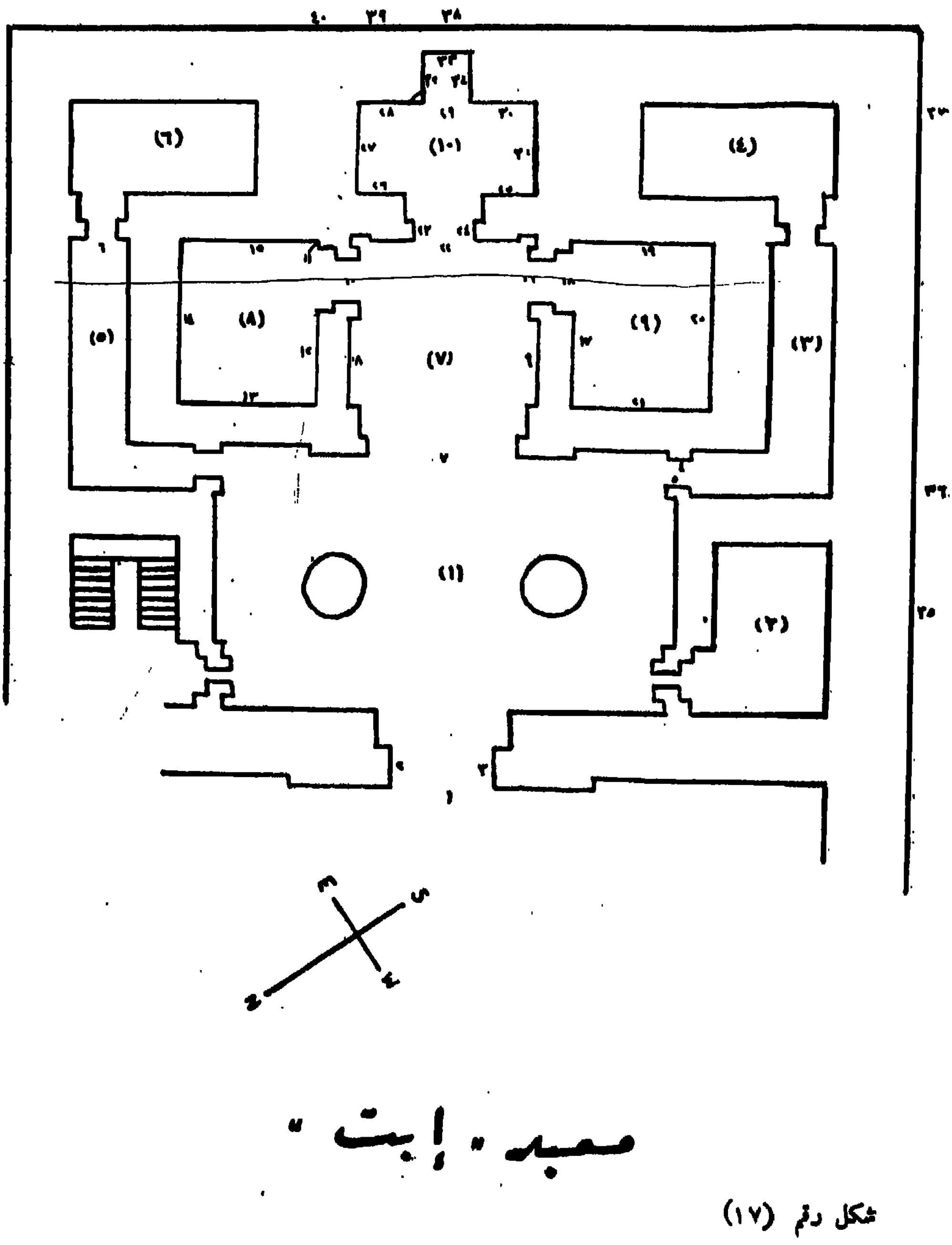
شكل رقم (١٥)

معبد تحوت بنوبس بالدكة



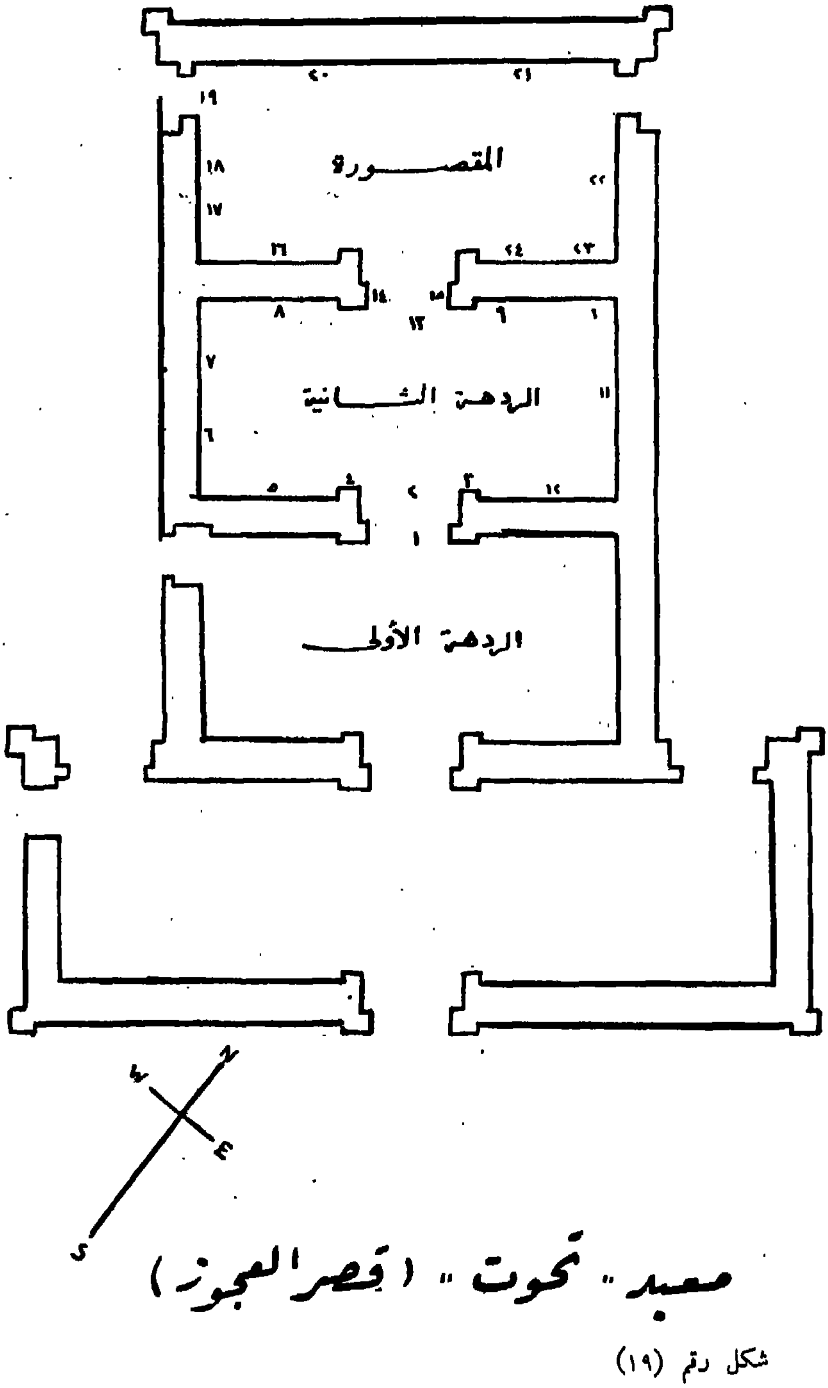
معبد خنسو بالكرنك

شكل رقم (١٦)



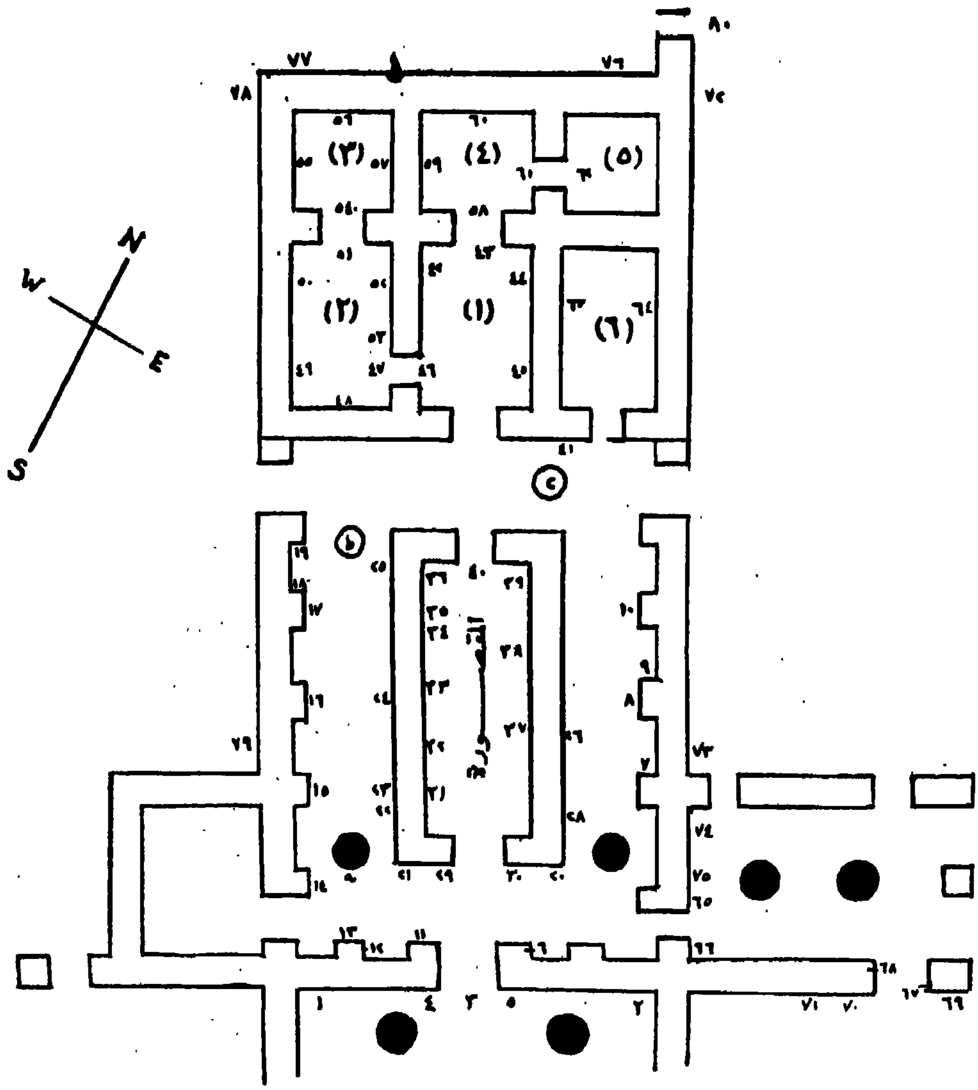
معبد " إبت "

شكل رقم (١٧)



معبد " تحوت " (قصر العجوز)

شكل رقم (١٩)



معبد مدينة هابو الصغير

شكل رقم (١٨)

الأشياء التي كانت تدفن مع الحيوان المقدس

لما كان حيوان المعبد المقدس يعتبر في نظر المصري القديم — بعد موته — مثل الآله « أوزير » ، إذ كانت تقام له شعائر كالتي كانت تقام لأي مصري من علية القوم بعد وفاته ، فقد كان الأخير بدوره يعتبر « أوزير » في عالم الآخرة وذلك منذ ظهور الديموقراطية في عالم الآخرة بعد الثورة الاجتماعية التي اندلع لهيبها في العهد المتوسط الأول من تاريخ أرض الكنانة أي بعد سقوط الدولة القديمة . وتدل كل الظواهر على أن العجل « أبيس » كانت تقام له كل المراسيم التي كانت تقام لعظيم من علية القوم ، فكانت توضع في قبره كل الأدوات التي كانت تلزم له في عالم الآخرة مثل التماثيل المجيبة وغيرها من التمائم ، كما كان يعمل له حفل فتح الفم . وسنتحدث عن ذلك فيما بعد .

أما الحيوانات التي كانت من نوعه أو بعبارة أخرى من فصيلة الحيوان الآله المقدس في داخل المعبد فقد كانت تعمل لها مثل هذه الشعائر ، ولكن بدرجة أقل ، لأنها لم تكن حيوانات تقمصتها آلهة مثل آله المعبد المقدس ؛ يضاف إلى ذلك ، وقبل كل شيء ، أن الآله الذي يعبد في المعبد كان قد تجسد في واحد منها . ومن أجل ذلك كان يعنى بهذه الحيوانات ، كما أنه كان محرماً ذبحها ، ولا تقدم لحومها قرباناً ، ومن أجل ذلك أيضا كان عقاب من يتعدى على واحد منها هو الموت .

ومن المؤكد أنه فيما يتعلق بالحيوانات التي كانت من نوع حيوان المقاطعة الرئيسي ، كانت التشديدات للمحافظة عليها كبيرة ، غير أنه كان يكتفي أحياناً بتوقيع غرامة على من يلحق بها أضراراً وحسب . وإذا حدث أن ذبح حيوان من هذه الحيوانات المقدسة بسبب وقوع كارثة عامة

أو لأى سبب دينى ، فان ذلك يكون داعياً لإثارة غضب الحيوان الآله بطبيعة الحال . ومن أجل ذلك كان على المرء أن يسعى لإصلاح مثل هذه الخطيئة أو الإثم ، إما بدفن الحيوان المجنى عليه بعناية ، أو بتقديم ذبيحة بمثابة قربان له (راجع قصة الأخوين فى هذا الصدد فى كتاب الأدب المصرى القديم ص ٩١ — ٩٩) . ففى الحالة الأولى كان من المستطاع بوجه خاص فيما يتعلق بالحيوانات التى من النوع الكبير الذى يقدس فى المعبد مثل التماسيح أو الثعابين أن يطبق عليها ذلك ، فنرى مثلا فى موميات التماسيح التى لا حصر لها ، أن التى حنطت منها هى التى كانت قد اصطيدت ، غير أن هذا الرأى يعارضه بعض الباحثين . والرأى الذى أجمع عليه الكتاب القدامى هو أنه لم تحدث أبداً مطاردة للتماسيح التى من فصيلة التمساح المتقمص ، يضاف إلى ذلك أن لحم هذا الحيوان المقدس كان محرماً[1].

وخلافاً لهذه العناية السالفة الذكر فان الإنسان بوجه عام لم يكن يهتم كثيراً بهذه الحيوانات المقدسة ، إذ لم يحسب حساب ما كان يصيبها من أذى على يد الإنسان من أخطار أو من المقاطعات المعادية أو من الحيوانات الأخرى أو من العوامل الطبيعية مثل الفيضان أو النار ، وذلك لأنه كان لزاماً أن تحمى من الأذى ، يضاف إلى ذلك المحافظة عليها فى مواسم القحط التى كانت تنتاب البلاد من وقت لآخر . وفى الأحوال المواتية كانت أنواع الحيوانات المقدسة المعتنى بأمرها لا بد أن تتكاثر ، وعلى ذلك كانت أرض مصر المنبسطة والقرى وحتى المدن تزخر باعداد كثيرة منها وبخاصة القطط والبقر والأغنام والحيوانات البرية والنسور والصقور وأبو منجل وغيرها من

(١) راجع Pseudo-Klem. Rom. recogn. X, 27.

الحيوانات والطيور . هذا ولم تكن مصر مغمورة كثيراً بالحيوانات ويرجع السبب فى ذلك إلى الفيضان السنوى الذى كان يقضى على الكثير منها فيطغى عليها . يضاف إلى ذلك العداوة التى كانت بين أنواع الحيوانات ، وأخيراً التناقض الذى كان يشاهد فى تقديس الحيوانات فى المقاطعات المختلفة .

والعلاقات التى كانت بين الحيوان المؤله والحيوان المقدس يمكن الإنسان أن يتصورها كما يتصور ملكا على رأس مملكة . فالحيوان الآله هو ملك نوعه ، إذ كان هو الذى يهتم بحيوانات نوعه ويحميها ، وكان هو الذى يأخذ لها بالثأر عند الحاجة . وهذا الانتقام كان هو الذى يأخذه بنفسه وينفذه أو كان يطلب مساعدة أفراد نوعه للانتقام للحيوان الذى أصابه الضر . وتدل شواهد الأحوال على أن الحيوان المؤله كان يظهر بوصفه ملك نوعه ، ويشاهد ذلك فى كثير من الأحوال فى صورة سلسلة من الحيوانات المقدسة المؤلفة من نفس النوع يسير الواحد منها تلو الآخر . وفى هذه الحالة يلحظ أن أول حيوان فى السلسلة هو الذى كان قد تقمصه الإله ، أما سائر الحيوانات الأخرى فى السلسلة فهى عشيرته التى نبع منها هذا الحيوان المؤله . وتظهر نفس هذه الفكرة عندما نشاهد فى معبد صقر مؤله ، عدة صقور أخرى انتخب من فيها . ففى المعبد — فى الواقع — كان يوجد صقر واحد يتقمصه الآله «حور» ، وكذلك كانت الحال فى معبد فيه الأسد يتقمصه الإله ، توجد عدة أسود تأوى فيه .

ويلحظ تفضيل نوع من الحيوان المقدس على الحيوانات العادية التى تقدس أيضاً من فحص جثثها ، وذلك أن جثث الحيوانات المقدسة يجب ألا تتحلل

---

(١) راجع Alter Orient XIV, I, P. 24.

ومن ثم يكون مصيرها إلى الفناء بل يجب أن تبقى محفوظة حتى يمكن أن تسكن إليها أرواحها ، وبذلك تبعث بعد الموت ، ومن أجل ذلك كان لا بد من المحافظة عليها بالتحنيط . وكان الإنسان فى مثل هذه الحالة يكتفى بتحنيطها بأبسط الطرق ، ولكنه يلحظ أن معظم الموميات التى توجد بكميات كبيرة مدفونة فى حفر الكهوف ، كان حفظها رديئاً جداً لدرجة أنه كان من الصعب أحياناً تحديد نوعها .

وعلى أية حال كان من واجب رجال المعبد القيام على تحنيط حيوانات النوع الذى منه حيوانهم المعبود بالمعبد ، وكان القصد من هذا التحنيط أن تعود إلى سيرتها الأولى فى عالم الآخرة .

وقد دلت المشاهدات على أن عدم الاهتمام البالغ بأمر هذه الحيوانات لم يقتصر على التحنيط بل كذلك لوحظ نفس عدم الاهتمام فيما يتعلق بشؤون دفنها ، فلم ينفق على ذلك مال كثير بل كانت تدفن بالجملة فى كهوف جماعية ، وكثيراً ما لجأ الإنسان فى مثل هذه الحالة إقتصادا فى النفقات كما يقول المؤرخ والأثرى « فيدمان »[1] إلى دفنها فى كهوف صنعتها الطبيعة فى الجبال أو فى مقابر كانت فى الأصل مقامة لأفراد من الشعب غير أنها عفا عليها الدهر ونهبت وأصبحت خاوية على عروشها فأفاد منها الكهنة . والواقع أنه فى مثل هذه المقابر ، كان يكدس الكهنة جثث الحيوانات المحنطة بالمئات والآلاف . ومعظم هذه المقابر كان يحتوى كل منها على نوع خاص من الحيوان ، والأمثلة على ذلك كثيرة فلدينا كهف الطائر « أبيس » (أبو منجل) الذى كشف عنه منذ زمن بعيد فى «سقارة» ، وكذلك كهف التماسيح الهائل

---

(١) راجع Wiedemann Alter Orient XIVI, I, P. 24 f.

الذى كشف عنه فى «منفاوط» ، ومقبرة القرود التى كشف عنها فى «طيبة» .

على أنه قد كشف فى أماكن أخرى مدافن حيوانات مقدسة كدست فيها جثث الحيوانات المحنطة دون مراعاة إذا كان كل نوع واحد قد دفن فى كهف بعينه أو فى جبانة واحدة مخصصة لهذاالنوع .

يضاف إلى هاتين الطبقتين من الحيوانات أى الحيوانات المقدسة للمعبد وهى التى كان يتقمصها إله المعبد الكبير ، والحيوانات المقدسة التى من نوعها ، طبقة ثالثة وهى الأخيرة كما أكد لنا «فيدمان» ذلك ، وقد عزز رأيه ما جاء على لسان بعض الكتاب الإغريق وكذلك ما جاء على الآثار الباقية نفسها . وقد سمى «سوردى» (Sourdille) هذه الطبقة من الحيوانات الـ «فتش»[1]. ومن بين الحيوانات توجد بعض أمثلة تعتبر بمثابة نوع مقدس . وحيوانات هذا النوع تابعة كذلك لحيوان المعبد المؤله ، غير أنها كانت تربى فى البيوت الخاصة وتقدس عند أصحابها . وهذه العادة كانت منتشرة بوجه خاص بين الطبقة الدنيا من أفراد الشعب ؛ وقد أشار إلى ذلك الكتاب الإغريق فيما كتبوه عرضاً . وأهم الحيوانات التى من هذا القبيل القطط وأولاد آوى والصقور والثعابين ، ومن جهة أخرى حدثتنا الآثار عن تقديس الطبقة الدنيا من الشعب للقردة وأبو منجل والبجعة والأوز . . وقد

---

(١) لقد اختلفت الأراء فى معنى كلمة فتش (fetish) . وهذه الكلمة كان قد أدخلها البرتغاليون الذين كانوا أول من اتجر مع الإفريقيين على ساحل إفريقيا الاستوائى . وقد رأوا الإفريقيين يلبسون تعاويذ وتمائم فاطلقوا عليها كلمة feticio. ومعناه الشىء الذى صنعته يد الإنسان وبعد ذلك انتقلت هذه الكلمة إلى الفرنسية والإنجليزية . غير أن هذه الكلمة قد استعملت بمعانى عدة حتى أصبحت لا تدل على شىء معين بذاته (راجع Geoffry Parrindes, African Traditional Religon, P. 75 ff. حيث تجد بحثاً عن تقلبات معنى هذه الكلمة .

حدثنا « سوردى » بوجه خاص عن عبادة البجعة والقطط (راجع Sourdille (Ibid. p. 235) كما جاء ذكر ذلك على اللوحتين ١٣٤ و ١١٠ المحفوظتين بمتحف « تورين ». وكذلك فيما يتعلق بالثعابين التى كانت تقدم لها القربات كما نشاهد ذلك مصوراً على جدران المقابر ، غير أن هذه الحيوانات ، والحشرات لم تكن تعد من التى يتقمصها إله بل كانت تعتبر حيوانات مقدسة وحسب . ويجوز أن هذه كانت حقيقة لا مراء فيها وبخاصة عند الطبقة الدنيا من الشعب . فمن المحتمل أن الحيوان نفسه كان يمثل الإله ذاته ، ولكن لم تكن هذه الفكرة هى السائدة ، إذ نجد غالباً على لفافات موميات لحيوانات — مثل التى كانت تحفظ فى البيوت — صلوات حيوانات لآلهة ، وهذه الآلهة على حسب عبادة الحيوانات الرسمية فى المعبد كانت تتجسد فى هذا النوع . ومن أجل ذلك يجب على الإنسان ألا ينظر إلى هذه الحيوانات التى كانت تربى فى البيوت ويقدسها أصحابها بأنها لا تكون متقمصة إلهاً إلا نادراً . وكان على الإنسان أن يعول مثل هذه الحيوانات ويقدسها فقط بوصفها أنموذجاً من نوع الآله الذى يسكن فى المعبد ، وذلك لأجل ارضائه ونيل محبته ، وقد انحدرت إلينا عادة تقديس بعض هذه الحيوانات منذ أقدم العهود مثل القطة والثعبان وغيرهما . والظاهر أنه فى حالة موت صاحب الحيوان كان يقتل الأخير ويحنط ويدفن مع سيده . وقد راجت بسبب ذلك ، العقيدة والأمل معاً بأن مومية الحيوان الذى من هذا النوع ستعود للحياة كرة أخرى مثل البشر وبذلك يمكن أن يكون هذا الحيوان للإنسان فى عالم الآخرة كما كان له فى عالم الدنيا بوصفه حيوانا محببا للإله الذى يعبده ويتقى نفعه ويخشى ضره . وأمثال هذه الحيوانات كانت تحفظ فى أقفاص ويقدم لها الغذاء والشراب وقد وجد منها بعض أمثلة قليلة فى المقابر . ومما يلفت النظر بوجه خاص فى خاتمة

هذا الموضوع أن الإنسان كان قد آوى فى بيته نوعاً خاصاً من القردة الهادئة متجنباً كل الأنواع التى كانت جامحة أو تنذر بالخطر ، ومن ثم اختار نوعاً هادئاً وهو المعروف بالقرد الأخضر . ولا تزال هذه العادة متبعة فى مصر حتى يومنا هذا .

أما عبادة أهم حيوانات كانت تتقمصها آلهة فهى الثور « أبيس » والثور « منيفيس » والتيس « منديس » . وهذه يرجع تقديسها وعبادتها إلى أقدم عصور التاريخ كما سنرى بعد . وقد ظلت عبادة الحيوان منذ ذلك العهد القديم حتى أفول نجم الوثنية . وقد بقيت العبادة تحتل المنزلة الأولى عند الطبقة الدنيا من الشعب المصرى ، فى حين أن الذين كانوا يعبدون الآلهة فى المعابد بصورة روحية قد استمروا فى عبادتهم هذه بجانب أولئك الذين كانوا يعبدون الحيوان بصورة ساذجة مما جعل الأمر يختلط ويصبح معقداً ، ومن أجل ذلك نلحظ أن الكتابة التى كانت تدون على جدران المعابد لا تحدثنا عن ذلك إلا نادراً . ويقول « فيدمان » (Ibid. p. 17) . « وهذه الكتابات تبحث فى عقائد الجنب السامى والثرى من الأهلين ، وفى جانب ذلك نجد أن آراء الطبقة الفقيرة من الشعب لا تكاد تذكر . وهذه كانت الحالة بوجه خاص فى خلال العصر الذهبى للدولة القديمة حتى عام ١٠٠٠ ق . م ويمكن للإنسان إذا ألقى نظره إلى الوراء أن يعزى بحق العصر الذهبى لآلهة البلاد العظام وهم « آمون » و « بتاح » و « منتو » ، ففى هذا العهد ظهرت عبادة الحيوان غير أن الأحوال لم تكن مواتية تماماً لعبادة العجل « أبيس » والكبش » .

وقد برهنت الحوادث على أن عبادة الكبش الذى كان يتقمصه الآله « آمون » فى خطر مداهم ، إذ فى ذلك العهد ، ظهر الإنقلاب الدينى الذى قام به

« اخناتون » وهو ذلك الانقلاب الذى ظهرت بوادره منذ عهد « تحتمس الرابع » فقد قضى على كل عبادة أخرى عدا عبادة القوة العظيمة التى كانت تكمن وراء قرص الشمس « آتون » وهو الذى كان يرمز به للمذهب الجديد الذى اعتنقه « اخناتون » (١٣٧٥ — ١٣٥٨ ق . م) . وهذا المذهب الدينى الجديد قد قضى على عبادة الحيوان وغيرها من العبادات بصورة قاطعة . غير أن الإصلاح الدينى الذى قام به « إخناتون » قد قضى عليه بعد موته تقريباً ، وعلى أثر ذلك أخذت عبادات القوم القديمة تظهر ثانية وتترعرع ، وكذلك أخذت عبادة الحيوان تنبعث من مرقدها وتنتشر على الأقل بين طبقات الشعب الدنيا واستمرت تنمو بشدة وقوة .

وفى العام المائة بعد السنة الألف قبل الميلاد أخذ هذا التيار الذى ظهر بين عامة الشعب يزداد ويتقدم فى سيره، ويرجع السبب فى ذلك إلى الأحداث التى كانت تمر بها البلاد فى تلك الفترة من تاريخها . ففى الفترة التى تقع تقريباً ما بين ١٠٠٠ حتى ٥٠٠ ق . م وقعت الحروب الطاحنة التى نشبت بين مصر والبلاد الأجنبية التى كانت تطمع فى التسلط عليها . ففى تلك الفترة حاربت مصر بلاد « كوش » ومملكة « آشور » ومملكة « بابل » . وهذه الحروب كانت جميعها بكل أسف وبالاً على مصر وعلى أهلها ؛ ولقد كان من جراء ذلك أن المصريين الذين كانوا يعتقدون فى آلهتهم أنهم ناصروهم على الأعداء فى كل الميادين التى يخوضون غمارها، قد أخذت عقيدتهم فيهم تتزعزع . وقد كان من جراء ذلك أن أصاب أهل مصر الفقر والعوز ومن ثم أخذوا يظهرون عدم الاهتمام نحو آلهتهم بل على العكس أظهروا البرود التام ، وفى الوقت نفسه أخذ أتباع هؤلاء الآلهة يقلون شيئاً فشيئاً ، ومن ثم هجرت المعابد وأخذت تؤول إلى الخراب .

وفى هذه الفترة أخذ الأشراف والأثرياء والمتعلمون من الشعب يطلبون الحماية والغوث من الحيوانات المؤلهة التى كان يمجدها الشعب وهى التى كانت فى حوالى العام الألف قبل الميلاد يتضرع إليها الفلاح فى حقله والرجل المتوسط الحال فى مرضه فساعدته فى محنته وأظهرت عطفها وحدبها عليه . والآن وفى تلك الأيام العصيبة المليئة بالمحن أخذ كبراء القوم وصغارهم على حد سواء فى جميع أنحاء البلاد يتضرعون إلى هذه الآلهة لتسبغ على مصر السلام وتمنحها الخلاص .

وتدل المعلومات التاريخية التى فى متناولنا على أن العصر الذهبى لعبادة الحيوان قد وقع فى عهد النهضة وهو الذى يدعى العهد الساوى أى فى حوالى عام ٧٥٠ ق . م وذلك عند ما قامت نهضة فى مصر على الأجانب الذين كان لهم تأثير ظاهر فى الحقل الدينى . وذلك أن الأجانب الذين كانوا ينتمون إلى سلالات متعددة وهم الذين كانوا قد اقتحموا الديار المصرية وقتئذ وجلبوا معهم آراءهم الدينية الخاصة بهم كما جلبوا معهم طرق تعبدهم لتلك الآلهة التى جاءت معهم ؛ كانوا فى كثير من الأحوال لا يمانعون فى محاولة إيجاد نوع من التوحيد بين آلهتهم وبين آلهة المصريين . ومن أجل ذلك نجد أن كثيراً من الآلهة الإغريقية قد وحد بآلهة من المصريين كما نجد بعض الآلهة الأسيوية قد ارتدى لباس آلهة مصرية وأصبح يعبد على الطريقة المصرية ، ولكن كان يحمل الإسم الأسيوى أو المصرى على حسب الأحوال . وقد شجع الحكام المصريون هذا التوحيد بين الآلهة المصرية والآلهة الأجنبية وذلك تيسيراً للسياسة التى كانوا ينتهجونها فى تلك الفترة من تاريخ أرض الكنانة . ولا غرابة فى ذلك فقد كان ملوك البطالمة فى تلك الفترة يعملون

كل ما فى وسعهم للتأليف بين قلوب الشعب وقلوب الجنود المرتزقين الذين كانوا يعملون فى جيش البطالمة وهم الذين بدونهم لم يكن للبطالمة عيش فى مصر . هذا فضلا عن أنهم كانوا فى الوقت نفسه يريدون إرضاء المصريين بأية وسيلة لأنهم هم الذين كانوا يفلحون الأرض ويديرون المصانع ويقومون بكل الأعمال التى تأتى بالخير الغزير والمال الوفير لملوك البطالمة . ومن أجل ذلك كان أى شقاق بين المصريين وبين الأجانب معناه افقار أسرة البطالمة . وفى مقابل هذه المحاولات التى كان يقوم بها البطالمة لحسن سير الأمور نجد أن عبادة الحيوان كانت بطبيعة الحال الحركة المعاكسة لذلك . وذلك لأنها كانت تناقض أحاسيس أهل « آسيا الصغرى» وقوم الفرس ،وكذلك لا تتفق مع عقائد اليونان ولا الديانة اليهودية ومن ثم كانت عبادة الحيوان هذه عقبة كأداء فى وجه أية محاولة للتوحيد بين الأجانب والمصريين من الوجهة الدينية . ومن أجل ذلك بقيت عبادة الحيوان العلامة المميزة لمصر الحقيقية ، وقد ظلت تزداد فى نموها بوصفها فكرة فلسفية إلى أن تلاشت أمام عبادة الله الواحد الأحد التى أخذت مكانتها فى مصر .

وهكذا حدث أن الديانة المصرية القديمة قد قضى عليها بوصفها العقيدة القديمة لديانة سامية كان لا بد من تلاشيها ؛ وفى حين نجد أن الآلهة العظام الذين كانوا يعبدون فى وادى النيل قد هوى الواحد منهم تلو الآخر تدريجاً ، نجد أن تقديس الحيوان قد ظل باقياً . ولا أدل على ذلك من أن سلسلة من هذه الحيوانات التى كانت تحترم بوصفها آلهة لا تزال حتى عهدنا الحاضر ينظر إليها فى وادى النيل بعين الرعاية ويحافظ عليها ويعتنى بأمرها . فالثعبان فى مصر موضع رهبة عامة الناس وكذلك الثور يحترم فى بعض الأماكن ، وأخيراً تحتل القطة مكانة سامية فى نفوس الكثير من سكان وادى النيل .

موازنة بين عبادة الثورين «أبيس» و«بوخيس» (١)
فى العصور المتأخرة

تحدثنا فى الفصل السابق عن عبادة الحيوانات بصورة مختصرة عامة ، ونريد أن نتحدث هنا عن عبادة الثور « بوخيس » الذى ظهرت عبادته على أرجح الأقوال فى عهد الملك « نقطانب الثانى » أى فى أواخر العهد الفرعونى وقد ازدادت عبادته جنباً لجنب مع عبادة الثور « أبيس » والثور « منيفيس » بصورة خاصة ، وعلى الرغم من أنه لا تزال بعض الأماكن الخاصة بالثور « بوخيس » لم تحفر بعد،فان الحفائر التى عملت قد كشفت لنا عن كثير من الحقائق الخاصة بهذا الثور وعبادته التى استمرت إلى ما بعد انتشار المسيحية بمدة طويلة .

مقدمة :

لقد دلت الكشوف الحديثة فى كل أنحاء العالم على أن عبادة الثور أصبحت تعتبر ظاهرة عادية فى كل تاريخ الجنس البشرى وأنها ليست مقتصرة على مصر . والأسباب التى دعت لوجود هذه العبادة ظاهرة واضحة ولا تحتاج إلى التدليل على أية علاقة ثقافية بين قومين من الناس كل منهما يشترك مع الآخر فى هذه العبادة . فالإنسان منذ نشأته كان همه الأول هو البحث عما يفيده من نباتات الأرض وحيواناتها ؛ ولا نزاع فى أن الثور كان يؤدى وظيفة الخصب فى صورة مزدوجة ، فقد كان رمزاً للقوة التى تعود على الإنسان

(١) تحدثنا عن عبادة الثيران باختصار فى الجزء السابع من هذه الموسوعة من ص ٦١٩–٦٣٠

البدائى بالخير — ومن ثم كان موضوع مباراة لاقتنائه — وكان كذلك أحد المصادر الرئيسية للاخصاب فى زراعة الأرض ، فكان بهذا يجمع بين تفوقه على الماشية التى تنتج للإنسان اللحم والألبان والزبد والجلود ، وبين أنه كان العامل الأول فى حرث الأرض . ومن أجل ذلك أصبح يعتبر رمز الرياسة والملكية . ولا أدل على ذلك من أن العرب كانوا يقولون فى لغتهم : ثور القوم سيدهم ، كما أن قدماء المصريين منذ أقدم عهودهم كانوا يمثلون ملكهم بالثور ويرسمونه فى صورة هذا الحيوان وهو يهدم قلعة ، وعلى ذلك كان عندهم الثور رمز القوة المادية . وفى الأزمان الحديثة نجد فى منطقة بحيرة « شاد » أن رؤساء القبائل هناك كانوا يدفنون مكفنين فى جلد ثور .

وأقدم مثال يدل على العناية الدينية بالثيران فى أرض الكنانة يرجع إلى مستوى عصر ما قبل الأسرات المبكر ، فقد وجدت أكوام من عظام البقر فى مستعمرة « حمامية » التى قامت بأعمال الحفر فيها مس « كتون تومسون » (Miss Caton Thompson) . وهذهالعظام كانت مرتبة ترتيباً متناسباً مع وضع رأس الحيوان على قمة كل كومة . وهذا هو نفس ما شوهد فى مقابر عجول «أبو — يسن» التى كشف عنها حوالى عام ١٩٣٨ ،غير أن الأخيرة ترجع إلى عهد متأخر من تاريخ مصر .

هذا وقد عثر المستر « برنتون » بالقرب من منطقة « حمامية » أى ، فى الحفائر التى قام بها فى « البدارى » على دفنة حيوان يحتمل أنه ثور . وقد وجد ملفوفاً فى حصير من الحصر التى صنعت فى «البدارى» فى عهد ماقبل الأسرات . وتمثيل الملك على لوحة « نعرمر » الكبيرة المصنوعة من الإردواز معروف للجميع ، وهى تؤرخ بالأسرة الأولى . وقد جاء ذكر « أبيس » على حجر

« بلرمو » وهذا يوحى بأنه كان يعبد منذ أقدم الأسرات ، إن لم يكن قبل ذلك بكثير . ومن المعلوم أنه فى كل عصور التاريخ المصرى كان « أبيس » من ألمع الآلهة المصرية . وتدل النقوش الهيروغليفية على أن عبادة الثور « أبيس » متصلة بعبادة الآله « رع » ، هذا فضلا عن اتصاله بآلهة « العاصفة » . وذلك أنه فى خارج مصر كان الثور يمثل بوجه عام آله السماء ! وآله العاصفة. ففى «بابل» من أول عهد الملك «حمور ابى» إلى حوالى عام ١٨٠٠ ق . م وما بعده، كان الثور يقوم بوظيفة العماد لومضات البرق ، وكذلك كان يقوم مقام آله العاصفة نفسه[1]. أما الآله « بوخيس » فقد أصبح متصلا بالآله «منتو» إله «أرمنت» وهو إله الحرب، غير أن هذا الاتصال قد جاء فى عهد متأخر . وعلى أية حال فان المجال هنا ليس هو التعليق المستفيض على ماهية عبادة الثور ومعناها الخاص فى مصر القديمة؛ بل سنقصر كلامنا هنا عن الثور «بوخيس» الذى كان يتقمصه الآله وموازنته بالعجل « أبيس » أو العجل « منيفيس » وكل منهما كان أقدم منه فى العبادة على حسب ما وصلت إليه معلوماتنا حتى الآن . والعجل « أبيس » كان مقر عبادته السرابيوم الذى تحدثنا عنه ملياً فيما سبق (أنظر ص ١٢٤ — ١٣٤) أما العجل « منيفيس » فكان مقره « هليوبوليس » وأوجه الشبه التى يمكن أن نستخلص منها أشياء كثيرة هى التى بين العجل منيفيس » والعجل « بوخيس » . وذلك لأن بلدة « أرمنت » كانت تعد « هليوبوليس » (أون) الوجه القبلى ، ومن الممكن أن نصف بصورة أضبط الثور « بوخيس » بأنه الثور الذى يقابل « منيفيس » فى الوجه القبلى . وكان الأخير هو الثور الذى يتقمصه الآله « رع » أكثر من

(١) راجع J.E.A. XIX p. 42 ff.

« أبيس » ، وذلك على الرغم من أن « أبيس » كان كذلك متصلا بالآله « رع »[1].

وعلى أية حال فانه من الصعب القول إذا كان القرص الذى يرتديه الثور « أبيس » على رأسه هو قرص الشمس أو قرص القمر . ومن المحتمل أن علاقة العجل « أبيس » بالقمر كانت أقدم من علاقته بالشمس . وقد يحبذ هذا الفرض أنه لم يظهر قرص على لوحات العجل « أبيس » حتى ظهور العجل « أبيس الرابع » على حسب ترقيم الأثرى « مريت » . وهذا العجل ينسب إلى الأسرة التاسعة عشرة ؛ ويقوى هذا الفرض كذلك عدم وجود هلال تحته كالذى يظهر دائماً مع الآله « تحوت » ، اللهم إلا إذا كان هذا الهلال قد مثل على الصدر كما إقترح فيا يأتى بعد . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن ما نعرفه عن الثور « منيفيس » قليل جداً حتى الآن إذ لم يحفر من مقابر هذه الثيران إلا قبران . وكل ما نشر عنهما ملخص كتبه الأثرى « دارسى » (A.S. XVIII. p. 193-217) . وهذان القبران كشف عنهما فى قرية عرب أبو طويلة أو عزبة عرب الطويلة وهى تابعة لقرية المطرية التى تبعد حوالى ٦٠٠ متراً من « كوم الحصن » وبعبارة أخرى تقع فى قلب « هليوبوليس » القديمة . والشىء الذى يلفت النظر هنا هو أن هذين القبرين للثورين «منيفيس» قد وجدا جنباً لجنب تقريباً مما يؤكد على وجه التقريب أن هذه البقعة من « هليوبوليس »[2] تقابل السرابيوم فى « منف » . والمقبرة الأولى أقيمت فى السنة السادسة والعشرين من عهد « رعمسيس الثانى » أما الثانية فقد أقيمت

(١) راجع Wilcken Urkunden der Ptolemair — zeit, I p. 14.

(٢) يحتمل جداً أنه لو عملت حفائر فى هذه المنطقة بالذات لكشف على ما أعتقد عن سرابيوم « منيفيس » .

فى عهد الملك « رعمسيس السابع » . ومعظم الأشياء التى وجدت فى هاتين المقبرتين محفوظة بمتحف القاهرة . ويدل فحصها على أن دفن العجل « منيفيس » لا يختلف كثيراً من حيث جهازه عن الجهاز الذى كان يوضع مع الثور « أبيس » أو مع أحد رجالات الدولة . ولدينا رسالة عثر عليها فى بلدة « تبتونيس » (P. Tebtunis 13) أرسلها كهنة معبد « تبتونيس » إلى كهنة معبد « رع » و « أتوم — منيفيس » فى « هليوبوليس » معترفين فيها بتسلم عشرين ذراعاً من الكتان الجميل ، وكان الغرض من ارسالها هو استعمالها فى جهاز دفن « منيفيس » بن البقرة « أوسورتا » (Osortha) . وتاريخ هذه الرسالة هو عام ٢١٠ — ٢١١ ميلادية . وتدل أعمال الحفر التى عملت حديثاً على أنه لم يحفر أى قبر من قبور الثور « منيفيس » أو الثور « أبيس » فى هذا العهد المتأخر من تاريخ أرض الكنانة . ويلفت النظر أن العناية بذكر اسم أم الثور المقدس هنا يمكن قرنه بالعناية التى كانت تعطى لأم ثور « بوخيس » فى « أرمنت » . هذا ونلحظ أن أحد الكهنة كان يدعى « بتوسرابيس » (Petosorapis) بن « بتوسرابيس » . وعلى أية حال فان مجال الموازنة — بين الثورين «بوخيس» و«منيفيس » بطبيعة الحال — ضيقة المجال لعدم وجود مادة كافية حتى الآن .

ومن جهة أخرى نجد أن المجال لوضع الموازنة يكون فسيحاً إذا حولنا أنظارنا شطر « سرابيوم منف » الغنى بمقابره ومقاصيره التى ترجع إلى أزمان بعيدة . ومع ذلك فان المعلومات التى وصلت إلينا من هذا المصدر تعتبر ضئيلة بالنسبة لما كان ينتظر من مثل هذا الموقع الغنى

ويرجع السبب فى قلة هذه المادة — على الرغم مما خرج من جوف معبد

السربيوم من آثار كثيرة جداً — إلى أنها لم تلق العناية الكافية للمحافظة عليها عند الكشف عنها فى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر على يد الأثرى الكبير « مريت باشا » . ولسنا فى مجال إلقاء اللوم على هذا العالم إذ لم تكن كل الأحوال للمحافظة على كشوفه مهيئة له ، هذا فضلا عن أن علم الآثار كان لا يزال فى طفولته الأولى . ولا ننكر أن ما ضاع أو أتلف من آثار « السرابيوم » كان عظيما جداً . ولقد عمل « مريت باشا » جهد الطاقة لوضع ملحوظات وسجلات لكل الأشياء التى عثر عليها وحفظها لتوضع فى متحف « اللوفر » . وقد زاد الطين بلة أن « مريت باشا » قد حضره الموت وهو لا يزال فى بداية درس المادة التى عثر عليها فى السرابيوم ، ومنذ وفاته ظلت هذه الآثار مهملة فى متحف « اللوفر » ومرت بها تقلبات عدة محزنة . وعلى ذلك فان اللوم كل اللوم يقع على عاتق أولئك الذين أخذوا على عاتقهم رعاية هذه الآثار . فالآثار التى أودعت متحف « اللوفر » قد فقدت الأرقام التى وضعها « مريت » عليها ، وبذلك أصبحت العلاقة بين هذه الآثار وبين السجلات التى وضعها «مريت» من العسير تتبعها ؛يضاف إلى ذلك أن الجزء الأكبر من الأشياء الأثرية خلافاً للوحات والمجوهرات ظهر أنه قد فقد . ومن أجل ذلك نجد أن التعليق والنشر الذى عمل فيما بعد كان بكل أسف قاصراً كله تقريباً على الناحية اللغوية ، ولسنا فى حاجة إلى القول بأن اللوحات تكون فائدتها ضئيلة جداً لعمل مقارنة بالمادة التى كشف عنها فى مقابر « بوخيوم » « أرمنت » التى كشف عنه حديثاً[1]. ومعظم لوحات السرابيوم كانت من نوع اللوحات المنذورة وكتبت بالديموطيقية ، يضاف إلى ذلك أن اللوحات القليلة الرسمية

---

(١) راجع Peitschmann on Apis (5), Pauly Wissova.

تختلف معظمها عن التي وجدت في « البوخيوم » . ولدينا واحد أو اثنان من هذه الاختلافات يستحقان الذكر . فعلى اللوحات القديمة(١) نشاهد أن «أبيس» لا يلبس قرصاً ، وأن أول ما ظهر القرص كان على نقش صغير للثور وضع على قمة الركن الأيمن من اللوحة وليس على الصورة الرئيسية «لأبيس» . وقد ظهر هذا القرص في لوحة « أبيس الرابع » الذي يرجع عهده للأسرة التاسعة عشرة . ويوجد قبالة صورة « أبيس » ومعه القرص ، بقرة عارية الرأس ، وكلا الحيوانين نائم على الأرض ، في حين نجد في الرسم الرئيسي أن « أبيس » قد مثل واقفاً . ويظهر للمرة الأولى على لوحة « أبيس » رقم ١٠ من نفس الأسرة القرص على الصورة الرئيسية . ويظهر في هذه اللوحة تطور كبير عن اللوحات التي ترجع إلى باكورة الأسرة الثامنة عشرة . ففي اللوحة الأخيرة هذه نجد طائراً خلف « أبيس » ممسكاً بقرص كما يشاهد ذلك في عدد من لوحات الثور « بوخيس » ، غير أن جسم الطائر يتألف هنا من عين مقدسة (وزات) .

وعلى الرغم من وجود هذه الصعوبات ، فانه مما يجدر ذكره — بأن يمهد .

---

(١) راجع اللوحات Serapeum de Memphis, découvert et décret par Aug. Mariette, ouvrage dedié à S.A.I. Mgr. le Prince Napoleon, et publié sous les auspices de S.E. M. Achille Fould Ministre d'Etat, Paris 1859.

وهذا الكتاب الأخير يجب ألا يخلط بينه وبين كتاب آخر بنفس الاسم ونفس المؤلف وهو الذي نشير إليه في كل هذا المقال باسم Le Serapeum de Memphis واسم هذا الكتاب بالكامل هو Le Serapeum de Memphis par Auguste Mariette Pasha publié d'après le manuscrit de l'auteur, par G. Maspero, Paris 1882.

هنا لمناقشة النتائج التى حصل عليها من حفائر « أرمنت » الخاصة بالثور «بوخيس» — أن ندلى بملخص للنتائج التى حصل عليها من السربيوم . وسنحاول هنا أن نذكر ذلك بصورة مختصرة ، وسنشير إلى المسائل الدينية بصورة خاطفة إذ البحث فى ذلك يحتاج إلى شرح طويل .

١ — العلامات المميزة للعجل « أبيس » :

لقد تحدث عن العلامات أو المميزات التى لا بد من وجودها فى العجل « أبيس » حتى يمكن أن يتقمصه الإله . وقد ذكر هذه العلامات كل من « هردوت »[1] و « سترابون »[2] و « ديدور »[3] و « اليان »[4] و « يوزيب »[5] و « سيرل »[6] (Cyrill) و « بلينى »[7] وغيرهم . وعلامات « أبيس » معلومة . وأقدم وصف لها ما جاء فى «هردوت» فاستمع لما يقول: «إنه أسود اللون ، على جبهته نقطة بيضاء مربعة ، وعلى ظهره توجد صورة نسر ، وشعرات ذيله مزدوجة ، ويوجد على لسانه جعل» . وقد وصف السير «ولس بدج » فى كتابه المومية (The Mummy P. 366) صورة « أبيس » كالآتى : فى العادة يكون فى صورة ثور يحمل قرصاً وصلا بين قرنيه ، وقد نقش على

---

(١) راجع Herod III, p. ar. 28.
(٢) راجع Strabo XVII, 807.
(٣) راجع Diod. I. 85.
(٤) راجع Aelian XI, 10
(٥) راجع Eusbnis Praep. ov. III, 13.
(٦) راجع Cyrill. Ibid.
(٧) راجع Plunus VIII, 184.

ظهره فوق الكتفين نسر منتشر الجناحين ، وعلى الظهر فوق الجزء الخلفى يشاهد جعل مجنح » . هـــذا ويشاهد على أشكال « أبيس » أحياناً سرج يشبه شبكة الخرز التى تظهر على بعض لوحات متأخرة للثور « بوخيس » ، ومن الجائز كذلك أنه كان يلبس طوقاً ؛ غير أن هذا الطوق كان مثل القرص والصل يعتبر جزءاً من جهازه ولم يكن المقصود منه تمثيل العلامات المميزة له .

ومما لا نزاع فيه أن الرسم الذى على صور « أبيس » هو الذى بلا شك يقرب من علامات هذا العجل اللازمة لأجل تقرير ألوهيته . وقد أشار إلى ذلك « مريت » فى كتابه سرابيوم « منف » ص ١٢٧ حيث يقدم لنا صورتين إحداهما لثور كما مثل فى البرنز ، والأخرى كما صور بالألوان . وعند ما ناقش «مريت» هذه العلامات الخاصة بالعجل «أبيس» قال مبتدأ بالصورة الأخيرة أى بالصورة الملونة : « يوجد على جبينه مثلث أبيض (؟) ، وعلى صدره يظهر أحد قرنى هلال القمر ، وكذلك رسم هلال آخر على جانبه ؛ وأخيراً يشاهد أن الشعر الذى فى الذيل مزدوج أى أن شعراته بيضاء أو سوداء على التوالى . . . » . وبعد ذلك يصف لنا الرسم الذى على التماثيل . ومن المحتمل أن تفسيره لشعرات الذيل بأنها مزدوجة صحيح . والرسم الذى على الجانب يحتمل أنه هلال ، وذلك بوصفه تكملة طبيعية للعلامات السوداء التى تمثل النسر ، والجعل ، والسرج . وإذا كان قد أصاب كبد الحقيقة فيما يخص الهلال الذى على الصدر ، فان ذلك يمكن أن يفسر لنا لماذا لم يوجد هلال تحت القرص الذى على رأس الثور .

وعلى أية حال فان تقريب هذه العلامات التى توجد على الثور لا يمكن وجودها إلا إذا كانت تربى حيوانات بصورة ما لتكون فيها هذه العلامات

اللازمة — وهذا ما لم يحدث على وجه التأكيد — ولكن مما لا شك فيه أنها كانت مقبولة فى نظر عباد « أبيس » . ومن ثم كانوا لا يدققون فى أن تكون العلامات مطابقة للمطلوب بالضبط . ومن الجائز كذلك أن هذه العلامات كانت تلعب فيها يد الكهنة فى المناسبات العامة عند ما يظهر « أبيس » أمام الشعب .

وقد تحدث إلينا كل من الأثريين « هوبفنر »[1] و « شاسينا »[2] عن العلاقات بين « أبيس » و « بتاح » و « أوزير » والقمر والنيل . وقد أشار « هوبفنر » إلى ما ذكره الكتاب القدامى ، أما « شاسينا » فانه ناقش باسهاب الاحتمالات عن موت « أبيس » . ونجد أنه قد وصل إلى النتيجة التالية : وهى أن « أبيس » يؤله بالغرق أى أنه كان يموت غرقاً وفى ذلك يكون مثله كمثل « أوزير » . وهذه العادة كانت شائعة قبل نهاية الأسرة التاسعة عشرة . وقد أكد « شاسينا » أن « أبيس » كان مضطراً إلى أن يموت عند بلوغه الثامنة والعشرين من عمره كما فعل الآله « أوزير » الذى كان يتقمصه . وذلك على العكس من رأى الأثرى « فرنكفورت » الذى يقول أن « أبيس » كان نائب الإله « بتاح » على الأرض أى أنه كان يتقمصه , وعلى أية حال فان « أبيس » على الرغم من أنه كان يمثل « بتاح » كان يصبح « أوزيراً » بعد موته .

ويفسر لنا الأستاذ « شاسينا » قول المؤرخ[3] « بلوتارخ » بأن « أبيس »

---

(١) راجع Hopfner Tierkult Der Alten Agypter, p, 78.

(٢) راجع La mise à mort rituuelle d'Apis, Rec, Trav, T, XXXVIII pp. 83-60.

(٣) راجع Plutarch De Iside etc, LVI.

كان يعيش مدة خمسة وعشرين عاماً ، على ضوء ما جاء فى بيانات الكتاب الكلاسيين الآخرين بأنه أغرق . (ونخص بالذكر منهم « بلينى »[1] وأميانوس مارسيللينوس[2] (Ammianus Marcellinus) و « سولينوس » (Solinus)[3] وأن ذلك يعنى أن « أبيس » لم يكن يسمح له أن يعيش أكثر من هذه المدة . ويفسر الفرق بين الثمانية والعشرين سنة التى عاشها « أوزير » والخمس والعشرين سنة التى يعيشها « أبيس » بأن فرض أن العادة بالنسبة « لأبيس » كانت قد تغيرت فى مصر عند ما زارها « بلوتارخ » ، وذلك على الرغم من أن قصة « أوزير » التقليدية قد بقيت فى صورتها الأصلية . وعلى هذا فانه بهذا الرأى قد تجنب الصعوبة التى نشأت من وجود ثورين عاش كل منهما حتى السادسة والعشرين من عمره كما ذكر « مريت » .

وعلى أية حال فانه من الصعب قبول النتائج التى استنبطها « شاسينا » لأنها ترتكز على براهين نظرية محضة . وإذا كانت العادة هى إغراق الثيران المقدسة عند ما كان الواحد منها يصل الثامنة والعشرين من عمره ، فان هذه كانت عادة لم تمارس قط ، وذلك لأننا لم نعرف عن ثور من ثيران « أبيس » أو « بوخيس » قد بلغ هذا السن . بل من الجائز أن أحد الثيران المعمرة قد حيل بينه وبين الوصول إلى أكثر من الثامنة والعشرين من عمره ، غير أنه لن تكون هناك نهاية لمثل هذه الامكانيات . وفضلا عن ذلك نلحظ أن «شاسينا» قد استند فى حجته جزئيا — كما حاول فى نقاشه — على بعض جمل جاءت فى لوحات خاصة بثور أو بقرة يستخلص منها أن الحيوان كان قد

(١) راجع Pliny. N.H. VIII, 46.

(٢) راجع Ammianus Marcellinus XXII, XIV, 7.

(٣) راجع Solinus, 32.

أغرق . وليس لدينا قياس عن مدة حياة الثيران ، ولذلك فانها إذا كانت تغرق فى بعض وقت سابق لمدة الثمانية والعشرين عاماً ، فانه يكون من المدهش أن عمر الثور لم يكن قد حدد . ومن الجائز أنه لأجل إتمام الشعائر كان يهرع بالثور فيغرق عند ما تظهر عليه علامة تدل على الموت ؛ وهذا كان يعنى فى الواقع أول مرض للثور . ولكن إذا كانت هذه هى الحالة ، فانه يكون من المدهش أن نرى أى ثور يعيش حتى السادسة والعشرين من عمره . وفضلا عن ذلك نجد أن « هوبفنر »(١) عند تحدثه عن الكتاب الكلاسيين فى هذا الصدد يعتقد أنه لم يضح قط بأى حيوان مقدس ؛ وقد اقتبس تعزيزا لرأيه ما جاء فى « ديدور » (Diod., Ibid., I, 84) . فقد ذكر لنا الأخير أنه بعد تولى « بطليموس الأول » عرش الملك بمدة قصيرة مات « أبيس » بالشيخوخة فى « منف » .

تحريم أكل لحم العجل « أبيس » :

والظاهر أن الثور سواء أكان يغرق أم لا فى زمن مبكر فانه ليس لدينا أى برهان يشير إلى أن لحمه كان يؤكل بصورة رسمية على حسب شعائر معلومة مقررة ؛ وهذا ما يمكن تقريره على الأقل فى عهد الأسرة التاسعة عشرة . ولا يسعنا هنا إلا أن نقتبس الفقرات الخاصة بهذا الموضوع من كتاب « سرابيوم »(٢) « منف » الذى وضعه « مريت » عن « أبيس » وعبادته وذلك لما لها من أهمية بالغة . فقد وصف لنا « مريت » فحص ثلاثة توابيت متتالية، الأول كان باسمى « خع - إم - واس » و « أبيس » . والقبر الذى عثر

(١) راجع Hopfner Ibid, p. 842.

(٢) راجع Le Serapeum de Memphis pp. 63-64.

فيه على هذا التابوت كان سليما لم تمتد إليه أيدى اللصوص ، ويرجع عهده للأسرة التاسعة عشرة . وبعد فتح هذا القبر أخذ « مريت » يصف محتوياته وفى أثناء ذلك يقول : وعند ما رفع ثالث هذه الأغطية المتتالية ظهر أمامى صندوق كبير لمومية وجهها مذهب دون ضل . ويزين صدرها متن قوطع فى زاوية مستقيمة بأربعة متون أصغر حجماً . . وهذه المتون الأربعة لا تحتوى إلا على أسماء أربع جنيات الحميم (sic) المصرية . ونقرأ فى أطول هذه المتون ما يأتى : هاك « أوزير - أبيس » هذا الذى يسكن فى الـ« إمنتى »(١) الإله العظيم السيد الأبدى المسيطر سرمدياً .

وعلى ذلك حصلت على تأكيد بأنه أمامى مومية « أبيس » ، وعندئذ ضاعفت عنايتى فقد أمسكت بغطاء التابوت من عند القدمين ، وآخر أمسك به من عند الرأس ورفعناه . غير أنه لدهشتى العظيمة فطنت أن هذا الجزء الأعلى (يقصد الغطاء) لم يكن نصف تابوت ، وأن هذا الغطاء كان موضوعاً مباشرة على رقعة القبر . وقد لوحظ فقط أنه لما كان الأثر كبيراً فانه قد عمل تحت الخشب وفى سمكه حفرة يبلغ عمقها حوالى سبعة أصابع ، وعرضها يبلغ أكثر من أربعة أقدام بقليل ؛ حتى أنه عند رفع الغطاء لم أجد على رقعة القبر الصخرية إلا كومة سوداء قد حافظت على شكل الحفرة التى كانت فيها وكذلك على أبعادها .

وقد كان أول هم لى هو أن أبحث فى هذه الكومة على رأس ثور غير إنى لم أجد شيئاً (وكان الشىء الذى أمامى) هو عبارة عن مادة أسفلتية ذات

---

(١) إمنتى (= عالم الآخرة) .

رائحة قوية جداً تتحول إلى رماد لأقل لمسة باليد ، وهذه المادة كانت تغشى كمية من العظام الصغيرة كانت قد كسرت فعلا فى زمن دفن الثور . وفى وسط هذه العظام التى كانت منتشرة فى أنحاء هذه الكومة دون أى نظام وعفو الخاطر ، جمعت أولا — خمسة عشر تمثالا جنازياً — كل منها برأس ثور ونقش عليها متون باسم « أبيس » المتوفى ، وثانياً — عشرة أشياء مصنوعة من الذهب أو منقوشة باسم « خع - إم - واس » وبأسماء شخصيات أخرى متنوعة يشغلون وظائف رفيعة فى « منف » ، وثالثاً عدة تماثيل صغيرة مصنوعة من الشيست المائل للخضرة تمثل الأمير نفسه (أى خع - إم - واست) ، ورابعاً — تماثيل أخرى صغيرة من نفس المادة تمثل أمراء آخرين من الأسرة المالكة ، وخامساً وأخيراً تعاويذ من حجر الكورنالين والكوارتز الأحمر ومن حجر الثعبان محفورة حفراً دقيقاً . وقد وجد فى الكومة كذلك عدد كبير من صفائح الذهب » .

هذا ونجده ثانية وهو يصف الدفنة الثانية فى نفس القبر فيقول :

« وقد مثلت أمام نفس الملحوظات السابقة عند ما كشفت النسيج الذى كان يلف الجرم الأسفلى الذى فى الداخل . فلم يكن هناك رأس ثور كما لم تكن هناك عظام كبيرة ، بل على العكس وجدت كية أغزر من كسر العظم الصغيرة الحجم . وقد وجدت بدلا من المجوهرات والتماثيل الصغيرة والتعاويذ التى كانت فى التابوت السابق ، ناووساً من الذهب مزخرفا بزينة مجزعة . ويحمل تحت الافريز طغراء « رعمسيس الثانى » . وقد وجد معه ستة تماثيل صغيرة جنازية كل منها برأس ثور » .

ووصف «مريت» — الذى وضعنا تحته سطر فى أعلى — للجرم الذى ظل على

شكله الأصلى بعد رفع الغطاء، فيه البرهان الكافى على عدم اتهامه بأنه وجد مومية هشة قد ذهبت هباء عند ما كشف الغطاء عنها . وعلى أية حال فان شكل البقايا التى عثر عليها محير ، وذلك بسبب أن الرأس لم يكن قد وجد كاملا . وإذا كانت هذه حالة قد أكل فيها الحيوان ، فانه كان من المنتظر على الأقل أن الجزء الأعظم من الجمجمة يكون قد بقى سليما ، كما وجد فى دفنة الملك « حور » (حور محب) أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة . والمفهوم أن الضحايا العادية فى المعابد المصرية كانت تأكلها الكهنة بطبيعة الحال ؛ غير أن ذلك لا يفسر حالة العظام الغريبة التى عثرنا عليها فى هاتين الدفنتين .

وليس لدينا إلا فرض واحد لتفسير هذه الظاهرة . وذلك أنه يوجد فى متون الأهرام وصف للملك المتوفى نفهم منه أنه يأكل الآلهة فى السماء وإذا كان هذا الفرض صحيحاً فان « أبيس » كان يأكله الملك ، وذلك رغبة منه فى أن يحصل على قوة الآله وخصبه .

وهاك هذه الأنشودة التى تعرف عند علماء الآثار بأنشودة أكل البشر .

وفى ما يلى بعض ما جاء فى هذه الأنشودة خاصا بغذاء الملك .

« إنه القابض على عقدة القمة الذى فى « كحاو » الذى يحيلهم لأجل « أوناس » (401 a) .

« وأنه الثعبان صاحب الرأس المرفوع الذى يحرسهم (أى الآلهة) لأجل الملك الذى يصدهم لأجله (401 b) .

« وأنه « الذى على صفصافه » والذى يربطهم « لاوناس » (401 c) .

«وأنه « خنسو » الذى يذبح الأسياد (الآلهة) وذلك بأن يقطع رؤوسهم من أجل الملك (402 a) .

« وأنه يأخذ له ما هو فى بطونها (الأحشاء) (402 b) .
« وأنه «أوناس» الذى يأكل سحرهم ويبتلع أرواحهم (403 c) .
« والعظماء منهم لأجل وجبته الصباحية (404 a) .
« ومتوسطو الحجم لأجل وجبة المساء (404 b)
« وصغارهم لأجل وجبة العشاء (404 c) .
« ورجالهم الشيوخ ونساؤهم العجائز لأجل حرق بخوره (على النار) (404 d)
« وأن العظماء الذين فى الجانب الشمالى من السماء هم الذين يوقدون له النار (405 a)
« للقدور التى تحتويهم مع أفخاذ أسنهم (بمثابة وقود) (405 b) .
« وأنه (الملك) قد هشم العمود الفقرى والنخاع الشوكى (409 b)
« وأنه قد استولى على قلوب الآلهة
« وأنه أكل التاج الأحمر وابتلع التاج الأخضر (410 a)
« و « أوناس » يطعم رئات الحكماء (410 b)
« وأنه مرتاح بعيشته على القلوب والسحر (410 c)
« تأمل أن أرواحهم (أى الآلهة) فى جوف الملك ونفوسهم مع الملك :
« بمثابة حسائه المصنوع من الآلهة وقد طهى للملك من عظامهم .

ويلحظ هنا أن الكثير من هذه الأنشودة — الذى لم نقتبسه — خاص بالقوة والبأس اللذين يكسبهما الملك بقوة السحر المتبادل .

ومن الممكن أن تكسير العظام إلى قطع صغيرة واختفاء بعضها قد حدث ، هذا إذا سلمنا أن الملك كان يأكل « أبيس » على الطريقة التى كان الملوك المبكرون يأكلون بها الآلهة . وعلى أية حال ليس لدينا أى دليل من السرابيوم يحبذ هذه

القضية . وقد قال لنا « مريت » فى وصف « أبيس » الذى عاش فى عهد الملك سيتى الأول ما يأتى[1] :

« وكان للضريح ... بمثابة ملحق، خلية جانبية ، وكانت أبعاده هى نفس أبعاد ضريح « حور » ، ولم يكن قد مس بعد مثله . ولكنى بدلا من أن أجد فيه مثوى « لأبيس » ، تعرفت فيه على أربع عشرة آنية كبيرة جداً كدست دون نظام ظاهر فى وسط الحجرة السفلية (= التى تحت الأرض) .
وقد ظننت قبل فتح هذه الأوانى أنها تحتوى على الأربعة عشر جزءاً المحفوظة من « أبيس » وهى التى كانت على غرار الأربعة عشر جزءاً التى كان يتألف منها جسم « أوزير » الذى كان قد قطعه « ست » إلى أربع عشرة قطعة . غير أنه عند فحص المواد التى تحتويها هذه الأوانى فهمت أن الأربع عشرة آنية الخاصة « بسيتى الأول » كانت من صنف الآثار العديدة التى من هذا النوع الذى كان قد وجد فى الأجزاء الأخرى من السرابيوم وأنها لم تستعمل أبداً إلا لحفظ الماء المقدس ، وذلك لأنه وجد فيها الرفات والعظام المتخلفة من الضحايا المذبوحة » .

ويتساءل المرء هل هذا الرفات هو « أفخاذ أسنهم » التى جاء ذكرها فى متون الأهرام ؟

على أن ما ذكره « هردوت » من أن ثيراناً من نفس النوع كانت قد دفنت مع « أبيس » لا يغير من وجه هذه القضية ، إذ من الجائز أنه يشير إلى دفن ماشية عادية فى الجهة المجاورة لمدفن « أبيس » ، وهذا هو ما حدث فى خلال العصر المتأخر .

---

(١) راجع Ibid. p. 137.

ولا بد أن الأوانى الكبيرة التى وصفها « مريت » وهى التى كانت فى الحجرة ، إذا ما قرنت بدفنة زمن الملك « حور » (حور محب) — كانت تحتوى على « أبيس » نفسه ، وأنه من الممكن أن العظام التى تحتويها كانت عظام نفس « أبيس » التى استعملت بمثابة وقود منفصلة على عظام ثيران أخرى . ويلفت النظر هنا أن الدفنات المبكرة كانت أفقر حالا . فقبر « حور محب » السليم الذى ذكرناه سابقاً كان يحتوى على أربع أوانى أحشاء بالإضافة إلى التابوت الخشبى الذى كان فى وسط إطار مستطيل مقام من الحجر الجيرى .

ومما يؤسف له أن « مريت » لم يصف لنا بقايا ثيران بعد عهد الأمير « خع - إم - واس » . غير أننا نعرف مما جاء فى ورقة « أبيس » التى سنتحدث عنها فيما بعد ، أنه كان هناك نظام تام كامل للتحنيط متبعا فى عهد كل من الملكين « ابريز » «أماسيس الثانى» ، وعلى ذلك قد يكون من المحتمل جداً أن هذا العهد هو الذى كان قد بدىء فيه تحنيط العجل « أبيس » . وهذا العهد هو الذى أدخل فيه استعمال التوابيت الحجرية لدفن « أبيس » . والظاهر أن هذا التجديد كان سببه ازدياد العناية بعبادة الحيوان ونموها فى تلك الفترة من تاريخ البلاد ، أما فقر الدفنات وعدم التحنيط فى المراحل الأولى من عبادة « أبيس » فيجب أن ينسب إلى تغير الآراء ،أكثر من نسبته إلى عدم وجود التحنيط فى مراحل مبكرة عند ما بدأ الدفن فى السرابيوم ، وذلك لأن نظام تحنيط الأجسام البشرية كان متقدماً فى هذا الوقت ، ولا بد أنه كانت توجد أموال كثيرة للانفاق منها للقيام بعمل دفنة جميلة « لأبيس » على مستوى عال . أما القول بأنه كان لزاماً على الكهنة عند أول تقمص روح الآله

« لأبيس » أن يبتلعوا لحمه ويقطعوا هيكله إلى قطع صغيرة دون سبب ، ثم ترتيب هذه القطع فى كومة ووضع صندوق فوقها ، فان هذا يعتبر عملا غريباً عن أى شىء نعرفه عن العادات المصرية ، ولهذا فانه قد يكون من السخف التفكير فى مثل هذه النظرية أو الأخذ بها . ولكن مما لا يكاد أن يسلم به فى عصر الأسرة الثامنة عشرة السفسطائية أن يحتم على القوم أن يأكلوا رسمياً الحيوان المتقمص ويدفنوا بقاياه مع نقوش على شرف الثور . وإذا كان «أبيس» يعامل من جانب الكهنة بأنه ضحية عادية — وبذلك يكون لحمه مباحاً لهم — وهذا اقتراح على أحسن الفروض غير مقبول — فان ما تبقى لا يكاد يدعو إلى أن يحتفل بدفنه إحتفالا رسمياً .

وعلى أية حال يوجد تفسير يسير مع كل الحقائق ويمكن تلخيص الدليل على ذلك فيما يأتى :

أولا : توجد أكوام مؤلفة من عظام الثور يعلوها رأس عثر عليها فى عصر ما قبل الأسرات المبكر ، وكذلك وجد مثال آخر تاريخه غير مؤكد عثر عليه الأستاذ « بيت » فى العرابة المدفونة[1] .

ثانياً : يلحظ أن أقدم دفنات معروفة « لأبيس » ، على الرغم من أنها تحتوى على بناء علوى وحجرتين ؛ فان كلا منها كانت تشتمل فقط على أربع أوانى أحشاء وتابوت من الخشب وكومة من العظام كالتى تحدثنا عنها .

ثالثاً : أن الصعوبة الكبرى فى قبول الرأى القائل بتقمص أى ثور آله قبل الأضرحة المعروفة هو نظام دفن جسم الحيوان فى العهد المبكر . وعلى أية حال

(١) راجع Cemeteries of Abydos Part III, p. 44.

فانه لم يكن من المستطاع أن يمر على الإنسان أى ضريح كبير يشبه البوخيوم أو السرابيوم دون أن يلحظ ، كما أنه لم يكن من المستطاع عمل سلسلة كبيرة من الدفنات الفردية بالحجم الذى استعمل فى دفنة ثور .

رابعاً : قد يكون من السهل أن يمر على الإنسان عدد من الدفنات المؤلفة من كومات من عظام ثور دون أن يعلق عليها الإنسان تعليقاً كبيراً أو دون تعليق قط فى القرن المنصرم عند ما كان علم الآثار لا يزال فى مهده .

خامساً : أن البقايا التى وجدت فى السرابيوم تماثل بقوة ما كان يمكن أن ينتظر من نتائج وليمة إلهية فعلية تشبه تلك الوليمة التى جاء ذكرها فى أنشودة « أكل لحم الإنسان » التى تحدثنا عنها فيما سبق . وصفات السهم الآلهى أمر مشترك فى معظم الديانات ، وهذه المزايا بارزة فى بعض فروع الدين المسيحى .

وكل هذه الحقائق تكون متصلة بعضها ببعض إذا سلمنا بالنظرية الآتية : كان « أبيس » يتقمصه إله منذ عهد مبكر جداً ، ومن المحتمل أن هذا التقمص يرجع إلى عهد ما قبل الأسرات ، وكان لحمه يؤكل رسمياً ، ويجوز أن آكله كان هو الملك ، وقد استمر ذلك على الأقل حتى الأسرة التاسعة عشرة ، ومن الجائز حتى الأسرة السادسة والعشرين . وتدل الأحوال على أن دفن « أبيس » فى احتفال رسمى على نطاق واسع لم يبتدىء حتى الأسرة الثامنة عشرة ، ومنذ هذا التاريخ أخذ دفنه يشبه أكثر فأكثر دفن الإنسان وذلك بخطوات سريعة . أما تحنيط « أبيس » فلم يستعمل إلا فيما بعد ، ويحتمل أن ذلك قد حدث فى عهد الأسرة السادسة والعشرين وقد استعمل فى تحنيطه الطريقة الثانية من طرق التحنيط التى ذكرها لنا « هردوت » (Herod 1, 84)

وكان تحنيط « أبيس » كما ذكرنا من قبل يكلف مابة تالنتا وهو مبلغ كبير ، فى حين أنه على حسب قول « هردوت » كانت هذه الطريقة أرخص من الطريقة التى كانت تستعمل باستخراج الأحشاء . ومن المحتمل أن « هردوت » قد ضلل فى هذا الموضوع . ومنذ هذا العهد أى العهد المتأخر وما بعده كان « بوخيس » يموت ميتة طبيعية أو كان يغرق رسمياً عند ما يكون فى النزع الأخير ، أو كان يغرق فقط بالنيابة .

ويدل ما لدينا من آثار على أن أوانى الأحشاء كانت مستعملة فى دفن الثور مما يدل على أن أحشاءه كانت تستخرج منه بعد موته ، غير أنه ليس لدينا دليل على استخراج الأحشاء بعد إدخال عملية التحنيط . ومن المحتمل أن إقامة أضرحة ضخمة تحت الأرض «لأبيس» ، وفتحها للشعب فى مناسبات خاصة ، كان بمثابة جزء من عملية ترويج ديموقراطية لأشياء كثيرة (كانت من قبل قاصرة على الملك وأسرته) كانت تقع حوالى هذا التاريخ . وأحسن مثال على ذلك هو التحنيط على الرغم من أنه قد استعمل فيما سبق . وبانشاء مؤسسة رسمية لدفنات « أبيس » ، قد سمح للشعب مباشرة بالخصب المفيد الذى يأخذونه من الثور المؤله بدلا من تسلمه بطريقة غير مباشرة من الملك .

وليس هناك من الأسباب ما يعارض هذه النظرية إلا الشىء القليل . فقد برهن فيما سبق على أن الدليل الذى استقى من الكتاب الكلاسيين فيما يتعلق بنظرية أن « أبيس » كان يغرق عند بلوغه سنا محددا ، كان برهاناً ضعيفاً وليس لدينا ما يبرهن على صحته من أعمال الحفر . ومن المحتمل أن السائحين الذين ذكروا أن « أبيس » كان يغرق ، قد قدروا خطأ الخمسة والعشرين سنة

لحياة « أبيس » ، ومن المحتمل أنها كانت مجرد تقدير لمدة حياته (كما يقدر الإنسان المعتاد بسبعين عاماً) بحقيقة أن بعض الحيوانات المقدسة (ولكن غير مؤلهة) كان معروفا عنها أنها تقدم ضحايا . ومن المحتمل أن تقليد الضحايا المبكرة كما هو مقترح هنا ، بالإضافة إلى تحريم شرب ماء النيل على « أبيس » ، قد ساعد على تكوين مثل هذه الآراء . ومن المحتمل أن الغرق بالنيابة كما اقترح فيما سبق ، أو الغرق الرسمى للثور عند ما يكون فى النزع الأخير ، كان معمولا به[1]. ومن الجائز أن الغرق كانت الطريقة للقتل فى الأزمان المبكرة .

وليس لدينا مصادر تشير إلى الثور العائش فى الأزمان التى سبقت وجود السرابيوم ولكن المصادر التى فى متناولنا — باستثناء اللوحات الرسمية — معظمها وصلت إلينا مما دونه لنا الرحالة الأجانب ، هذا مع العلم بأنه لم يكن لدينا مصادر فى هذا الصدد قبل العهد الإغريقى .

وقد عثر على دفنة فى السرابيوم يقوى ما وجد فيها الفرض الذى فرضناه هنا . وهذا المصدر جدير بأن يقتبس هنا بحذافيره نقلا عن « مريت »[2] وهاك النص :

« هذه الحفائر (= نسف عقبه بالبارود) كان نتيجتها كشفا لا زلت أشعر حتى الآن أنه من الصعب على أن أعطى رأياً بقيمته . فقد وجد بالضبط فى المكان الذى تداعت فيه قبة المقبرة تابوت من الخشب ومومية بشرية . وكان التابوت غائراً بعمق فى الأرض ، وقد وجد جزؤه العلوى مفتتا ،

(١) راجع Hopfner Ibid. p. 83.

(٢) راجع Mariette Ibid p. 58.

غير أن المومية وجميع الأشياء التي تتألف منها زينتها الجنازية لم تكن قد مست بعد . والتلف الوحيد الذي كان قد أصابها سببه رطوبة الأرض . وكان يغطى وجه المومية قناع من الذهب ، وكان معها عمود صغير من حجر الفلسبات الأخضر وقرط من اليشب الأحمر وكانا يتدليان من سلسلة من الذهب المطروق فى رقبة المومية . وكذلك وجدت سلسلة أخرى من الذهب معلقا فيها تعويذتان من اليشب والكل نقش عليه اسم الأمير : « خع - ام - واست » بن « رعمسيس الثانى » . ووجد على صدر المومية جوهرة عجيبة وهى عبارة عن صقر صيغ من الذهب ورصع بالأحجار الثمينة أما ذراعاه المنتشرتان فكانتا موضوعتين على الصدر . وكذلك وجد ثمانية عشر تمثالا صغيرا من الخزف المطلى لها رؤوس آدمية ، ونقش عليها المتن التالى : « أوزير - أبيس » الآله رب الأبدية . وهذا المتن نقش حولها » .

وبعد ذلك استمر « مريت » يناقش دهشته عند ما وجد مومية رجل فى مقبرة « أبيس » وقد قدم تفسيراً لذلك عدة نظريات تفسر سبب دفن رجل فى مقبرة « أبيس » . وعلى أية حال نراه فيما بعد ، بطبيعة الحال بعد أن فحص المومية (راجع Mariette Ibid., P. 146) يقول : وعلى ذلك فان المومية الأخرى كان قد مات صاحبها فى العام الخامس والخمسين . وهذه الملحوظة لها أهمية إذا كانت المومية التى جمعت بقاياها بدلا من أن تكون مومية « أبيس » ، كانت مومية « خع - ام - واس » نفسه ، وهذا كان أمراً ممكناً . وهذه النقطة الجديدة تستحق شرحاً طويلا . وليتصور الإنسان مومية فى هيئة آدمية قد أتلف جميع جزئها السفلى من أول الصدر . وكان يغطى وجهها قناع من الذهب السميك محفوظ الآن بمتحف اللوفر . وكانت حول رقبتها سلستان كذلك من الذهب ، علق فى إحداها ثلاث تعاويذ مدلاة . أما من الداخل

فان هذه المومية قد انحسرت عن جرم من الأسفلت المعطر ، فاختلط بذلك قطع عظام لا شكل لها ، وقد وجدت فى وسطها جوهرتان أو ثلاث لها حواجز من الذهب ومطعمة بلويحات من الزجاج . وعند هذه النقطة يقول « مريت » أنه وجد جعراناً وبعض تماثيل جنازية بهيئات بشرية وكذلك قطعة أو قطعتين من الآثار . وبعد ذلك يستمر قائلا :

وها هو « أبيس » الذى نتحدث عنه . ويمكن أن يقدر الإنسان مقدار الحيرة التى أوجدنا فيها هذا الكشف ، وبخاصة عند ما نعلم أن كل الآثار التى وجدت على المومية التى نحن بصددها لا تشمل شيئاً آخر غير لقب « خع - ام - واس » واسمه ، وعلى العكس نجد أن جميع ما وجد فيما يحيطها يذكر عليه اسم « أوزير - أبيس » ووظائفه العادية . فهل هناك « أبيس » ؟ وهل هناك مومية « خع - ام - واس - ؟ » . وعلى الرغم من أنه كان من الضرورى فحص عظام هذه المومية ليكون الإنسان على يقين تام إذا كانت عظام ثور أو عظام إنسان ، فان المجال لا يسمح للنقاش فى هذا الموضوع . وذلك لأن دفنة مومية ملكية بأية صورة غير كاملة تعتبر من الأمور التى لا يمكن التفكير فيها . فعدو الإنسان فقط هو الذى يفكر فى اتلاف جسمه قبل الدفن ، كما أنه لا تدفن بقاياه بكل الحقوق التى يتمتع بها « أبيس » عند الدفن . ولا يمكن أن يكون لدينا شك يقبله العقل بأن العظام كانت عظام « أبيس » دفنت لتقلد من وجوه عدة جسم أمير .

يدل على ذلك أنه حتى يومنا هذا نجد عند ما يشفى أحد الأقباط من مرض خطير ، يذبح له عجل . وكان على المريض الذى فى دور النقاهة أن يخطى جسم الذبيح لأجل أن تترك الروح الشريرة جسمه وتدخل فى دم العجل المذبوح .

والآن يتساءل الإنسان هلا يكون من الممكن أن هذه الدفنة كانت بمثابة دفنة بدلا للدفنة الأمير « خع - ام - واس » ؟ وتفسير ذلك أن الأمير « خع ام - واست » لما مرض أخذ يبحث لنفسه عن علاج بالالتفات العظيم « لأبيس » ، وأخيراً ذبح « أبيس » وأكله هذا الأمير لينال بذلك صحة وقوة . وبعد ذلك تدفن بقايا الثور « مع مرض » الأمير (؟) . على أنه يكاد يكون من ضروب المستحيل أن يجد الإنسان أي تفسير آخر لهذه الدفنة التي تخطت حد المألوف ؛ وتقديم هذا الحل هنا — الذي يتفق مع كل الحقائق — يؤكد نظرية موت « أبيس » كما استعرضناها فعلا .

وأول دفنة أقيمت في السرابيوم كانت تحتوي على تابوت من الجرانيت يرجع تاريخها إلى الأسرة السادسة والعشرين ، وهو التاريخ الذي يشير إليه وصف التحنيط في ورقة « أبيس » . وقبل ذلك العهد كانت تستعمل توابيت من الخشب فقط لدفن « أبيس » . وتحدثنا الآثار أن « بسمتيك الأول » قد ابتدأ سلسلة حجرات جديدة في السرابيوم على نطاق أكبر عن أسلافه وقد تحدثنا عن اصلاحات هذا الملك في السرابيوم والتجديدات التي قام بها هنا في الجزء الثاني عشر من هذه الموسوعة من صفحة (٧٨ — ٨٤) . وكذلك أعطى الملك « نقطانب الثاني » عناية كبيرة لهذه المدافن فبنى معبداً صغيراً بجوار مدخل السرابيوم . والحجرات الكبيرة التي أقامها « بسمتيك الأول » ظلت باقية حتى منتصف حكم الملك « إيرجيتيس الثاني » . وقد أشار « مريت » في كتاباته إلى مكان في السرابيوم ظل قائماً حتى عهد الامبراطور « تيودوسيوس » (Theodosius) ؛ وفي مكان آخر أشار إلى دفنات للعجل « أبيس » ترجع إلى آخر عهد أباطرة الرومان ، غير أنه مما يؤسف له لم

نعرف ماذا وجد فى هذا العهد المتأخر بسبب مطبوعاته التى لم تكن قد تمت بعد عند وفاته .

وجهلنا بالأشياء الذى وجدها « مريت » شىء يؤسف له كثيراً . فمن بين الأشياء التى أشار إليها فى كتابه عن السربيوم (والتى لم تذكر فى فهرسه الخطى المحفوظ باللوفر) الكثير الذى كان يعتبر غير جدير بالمحافظة عليه ؛ ومن المحتمل أنه إذا أعيد فحص أتربة الحفائر التى قام بها فى منطقة سقارة وكذلك لو حفرت المقابر التى حفرها من جديد وبخاصة تلك التى ليست معروضة للجمهور ، لأتت بنتائج مفيدة لعلم الآثار . ولا أدل على ذلك من الحفائر التى قمت بها فى منطقة سقارة وجدت فيها أشياء جديدة لم يكن « مريت » قد كشف عنها وكذلك وجدت نقوشا لم يكن قد نقلها (راجع Excavations at Sakkara, Vol. 2) . وفضلا عن ذلك نجده قد ترك ثلاث دفنات من عهد الرعامسة المتأخر جداً (رعمسيس الرابع كما يقول « مريت » لم تنظف تماماً .

هذا ولم يظهر أى نشر علمى عن هذه المقابر . ومن المحتمل أن القيام بمثل هذه الحفائر يمكن أن يأتى بمحصول علمى كبير ، وبلا شك سيكون لدينا بذلك بيانات أكثر عن « أبيس » وعبادة الثور من التى نشرها « مريت » عن حفائره فى سقارة خاصة بالسرابيوم .

وأهم الآثار التى يمكن تتبعها من أعمال الحفر التى قام بها « مريت » اللوحات الرسمية ، ومن بينها ثمانية كان قد أعيد إقامتها . وترجع اثنتان منها إلى عهد البطالمة . يضاف إلى ذلك حوالى ماية وعشرين لوحة لأفراد . ومعظم هذه اللوحات دون باللغة الديموطيقية . وقد نشرت كلها فى صورة مجموعة .

ويا حبذا لو جمع علماء الآثار الفرنسيون كل ما لم ينشره « مريت » ونشروه نشراً علمياً . وعلى أية حال فان قائمة الآثار التى كشف عنها « مريت » كثيرة جداً لا يمكن نشرها هنا حتى ولو بصورة مختصرة .

ومن المعلوم أن السربيوم قد نمت وتطورت مبانيه على حسب العصور التى مر بها حتى أصبح فى العهد البطلمى من أهم المراكز الدينية ، فقد وجد فى داخل حرمه مؤسسات صغيرة لعدة آلهة كما ذكرنا ذلك من قبل ، وكان فيه مراكز حضانه كان يأوى إليها المرضى من كل فج طالبين البرء من أمراضهم . ومن المحتمل أن مؤسسة السرابيوم كانت قد استمرت حتى عهد الامبراطور « تيودوسيوس » . وقد سجل ثور « أبيس » لعام ٣٦٢ ميلادية وقد ذكر لنا هذا « إميانوس مارسيللينوس » (راجع Ammianus Marcellinus XXII, 14, 6) غير أننا لا نعرف إذا كان « مريت » قد كشف دفنات «لأبيس » من عهد الرومان . والظاهرأن عدم وجود لوحات رسمية من هذا العهد يجعل منغير المحتمل وجود أى كشف « لمريت » فىالعهد الرومانى خاصا بالعجل « أبيس »

ومما يؤسف له أن « مريت » لم يكن مهتما بدفنات البقرات ، وربما كان سبب ذلك هو أن الأشياء التى كانت تدفن مع البقرات كانت أقل قيمة من حيث المادة . ولا نعرف لوحات لبقرات وجدت فى السرابيوم . ومن جهة أخرى لم يكن للبقرات لوحات خاصة بها ؛ وذلك لأن البقرات كانت تمثل على لوحات الثيران . وكانت فى أغلب الأحيان تمثل بجسم إنسان وقرنى بقرة . هذا ولم يذكر « مريت » فى سرابيوم « منف » دفنات البقرات إلا مرة واحدة وكان ذلك عرضاً ، ولكنه كان يتحدث بوضوح أكثر فى

مقالة عن أم «أبيس» (Mémoire sur la Mère d'Apis) فيقول فى الصفحة الرابعة عشرة من هذا المقال : لقد وجدت فى قبوة بقرات فى الشمال من السرابيوم دفنةسليمة لشخص لذكر من بين ألقابه الطنانةالرنانةلقب الكاهن خادم الآله لأم أبيس ، هذا بالإضافة إلى لوحة محفوظة الآن بمتحف اللوفر باسم شخص يدعى « وننفر » بن « بتوزريس » ، وكان يحمل كذلك لقب الكاهن خادم الآله لأمهات « أبيس » . وفى هذا نجد أن الآثار تتفق إذاً مع ما ذكره « سترابون » . . . . إلهتنا لها رأس بقرة ويدها مسلحة بصولجان عادى الآلهة ، كالذى يرى على لوحات السرابيوم . . . (وهى) أم « أبيس » .

ومما يؤسف له أن تقرير « مريت » عن حفر هذا الضريح ليس وافياً ، لأنه ليس من المؤكد إذا كان المقصود هنا هو دفنة أم « أبيس » كما يغلب على الظن أو أنها فقط إحدى هذه الجبانات الخاصة لماشية أكثر تواضعاً أقيمت حول السرابيوم . أما عن عذرية أم « أبيس » فسنتناول عنها الحديث فيما بعد .

الثور « بوخيس » والملك « نقطانب الثانى » :

لقد اهتم الملك « نقطانب الثانى » (نخت حور - حب) اهتماماً خاصاً بسرابيوم « منف » ، وفى عهده نجد للمرة الأولى ذكر الثور « بوخيس » ومدفنه المسمى « بوخيوم » ، وذلك على الرغم أنه قبل هذا العهد لدينا البرهان على وجود ثور «المدمود» الذى وحد فيما بعد بالثور « بوخيس » . فقد ظهر ثور « المدمود » فى موكب فى عهد الملك « رعمسيس الثالث » . غير أن هذا لا يتخذ برهاناً قاطعاً على وجود إله متقمص ثورا فى ذلك التاريخ ؛ ولكن ذلك يقدم لنا برهاناً قوياً على هذا الرأى .

حقاً كانت توجد عبادة ثور فى « المدمود » فى عهد الأسرة الثانية عشرة . ويعتقد الأستاذ « فيرمان » أنه قبل عهد الفرعون « نقطانب الثانى » كان يوجد ثور متنقل يزور « أرمنت » و « المدمود » و « طود » و « طيبة » وقد برهن على ذلك بقوله[1] :

غالباً ما ذكر أن « بوخيس » كان هو نفس ثور « منتو » ، ومما لا جدال فيه أن الآله « منتو » لم يصل إلى علاقة وثيقة مع عبادة الثور ، ولكن سواء أكانت هذه العلاقة أصلية ونظرية فى طبيعة « منتو » ، فان هذا موضوع آخر قابل للشك . ويدل ما لدينا من نقوش على أن ألقاب الثور « بوخيس » تؤكد أنها تميل كل الميل لعبادة « رع »[2] ، وإن مكانة « منتو » بالنسبة للآله « بوخيس » كانت ثانوية محضة ، وعلى ذلك فان « بوخيس » كان فى الأصل من أرومة شمسية ، ومن المحتمل أنه لم يكن له علاقة بالآله « منتو » . ومن ثم يكون من الأمور الغريبة أن « منتو » كان فى بادىء أمره ثوراً مؤلهاً . ولدينا دليل آخر على أن صلة « منتو » بالآله « بوخيس » ليست أصلية فيما نلحظه فى لباس الرأس الذى كان يرتديه الآله « منتو » . فلباس الرأس الخاص بهذا الآله هو قرص الشمس الذى يعلوه ريش النسر المستقيم ، ونجده كذلك حتى عند ما يمثل برأس ثور[3] . والآن نجد أن « بوخيس » عادة كان يرتدى على رأسه قرص الشمس وريش النعام . ويقول « فرمان » أنه لا يعرف أى مثل « لبوخيس » فى صورة بشرية ، ولكن كان يمثل برأس ثور ولا يحمل إلا ريش نعام فقط[4] . على أن هذه النقطة الأخيرة قد لا تكون

---

(١) راجع The Bucheum, vol. II, pp 40-60.

(٢) راجع The Bucheum vol I. p. 41.

(٣) راجع B.I.F.A.O. XII., 12 (Tod)

(٤) راجع Champ., not. descr. I. 377.

ذات اهمية ، ولكن الفرق بين لباس رأس « منتو » وبين لباس رأس « بوخيس » يمكن أن يشير إلى خلاف فى الأصل الذى نبع منه كل منهما . ومسألة التيجان المختلفة من المسائل التى لم تدرس بعد درساً دقيقاً . غير أن الكفة الراجحة فى موضوعنا تميل الآن إلى أن التاج المزين بريش لعام من أصل شمالى أى من الوجه البحرى[1] .

ويتساءل المرء كيف حدث أن عبادة « بوخيس » قد تمركزت فى « أرمنت » ؟ ولماذا كان « بوخيس » مرتبطاً بالآله « منتو » ؟ . والبراهين التى فى متناولنا للجواب على هذين السؤالين ضئيلة بشدة ، ولكن إذا سلمنا على الأقل بالصلات الشمسية « لبوخيس » وعلاقته « برع » ، فانه من الممكن تقديم تفسير منطقى لهذين السؤالين ، فالصلات الشمسية لعبادة الثور قد اعترف بها منذ زمن بعيد (فمثلا لابد أن نفسر عبادة « منيفيس » فى تل العمارنة (راجع (Davis Rock Tombs of el Amarna, Vol. XXXII, 21) بصلة « رع » بعبادة الثور) ومن المعقول أن نقترح أنه عندما أخذت عبادة الشمس تنتشر فان حب المصرى لنظام الثنائية فى الموازنة بين الوجه القبلى والوجه البحرى قد تطلبت منه أن يؤسس فى الوجه القبلى عبادات ثور مماثلة لتلك العبادات الموجودة فعلا فى الوجه البحرى . ويمكن الإنسان أن يخاطر بفكرة فى تفسير إختيار « أرمنت » مركزاً و « منتو » إلهاً لعبادة الثور فى إقليم « طيبة » . ويظهر أن تفسير ذلك يرجع إلى أن « أرمنت » كانت تعتبر بوجه خاص مرتبطة بعبادة الشمس . فقد كان يوجد معبد للاله « أتون » فى « أرمنت » ، وكان

---

(١) راجع Blakman in Myth and Ritual (ed. S.H. Hooke), 81.

الكاهن الأكبر « لأتون » فى أرمنت يدعى « ور ـ ماو » (= الرائى الأعظم)[١] ويقول فى ذلك « كيس » : بعد كل شىء يظهر لى أن تأثير تعاليم الشمس الهيلوبوليتية قد وصلت إلى « طيبة » وبوجه خاص إلى « أرمنت » .

ومن جهة أخرى لا يمكن الإنسان أن يتغاضى كلية عن إمكان وجود علاقة بين « بوخيس » و « منتو » وأن هذه العلاقة كانت ترجع إلى بعض رابطة بين الآله « مين » والآله « منتو » . غير أن هذه أمور تعوزنا لاثباتها البراهين ولا بد من تتبعها .

وعبادة « بوخيس » كما نعلم حديثة العهد نسبياً إذ أن نفس اسم « بوخيس » لم يكن معروفاً قبل عهد الملك « نقطانب الثانى » . ومن الجائز أن ذلك كان نتيجة لعناية « نقطانب الثانى » بالعبادات الوطنية وبعبادة الحيوانات ، وكذلك إلى رد الفعل ، فى العهد المتأخر ، الذى قام به المصريون على الغزو والسيطرة الأجنبية . وقد وجد رد الفعل هذا متنفساً فى بعث جديد يشجعه عناية مبالغ فيها للعبادات المصرية الخاصة ، وفوق كل شىء عبادة الحيوان[٢]. وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

وعلى أية حال يظهر من غير معقول أن عبادة « بوخيس » قد ظهرت إلى حيز الوجود فى عهد الملك « نقطانب الثانى » ، ولذا فانه من الصواب أن نقوم ببحث لنعرف من نتائجه إذا كان هناك أى شىء قد وجد ليكون مقدمة لنموذج سابق لصورة « بوخيس » المتطورة فيما بعد من هذا النموذج .

ونقطة البداية عندنا فى هذا البحث هو الآله « منتو » . والعلاقة بين

(١) راجع Kees AZLIII. 81-3 and p. 83, cf. (Legrain A.S. IV. p. 147, Rec. Trav. XXIII, 62).

(٢) راجع Wiedemann Der Alte Orient XIV, 21.

« منتو » والثيران ترجع على الأقل إلى عهد الدولة الوسطى . فلدينا فى لوحة « نسومنت »[١] (Nesumonth) الجملة التالية : لقد كنت الوحيد الذى يمكن أن يسمى ثور « منتو » . والواقع أنه قد إقترح أن النعت « الثور الجبار » الذى كان ينعت به الفرعون منذ عهد « بطليموس الأول » كان قد تأثر بأهمية « منتو » فى إقليم « طيبة » (راجع Sethe. Amun. § 5) .

وكان الآله « منتو » يعبد فى أربع بلدان فى مقاطعة « طيبة » وهى : « أرمنت » ، و« المدمود » و« طود » و« طيبة » . وقد وردت هذه الحقيقة فى المتون المصرية . مثال ذلك : أن اسم فلان يبقى مثل أسماء « منتو » الأربع فى مدنه[٢] ونجد نفس الفكرة عند ذكر وجوه الآله الأربعة (Sethe. Ibid. § 6 No. 5) ويوجد تطور لفكرة الأربع « منتو » يستحق الذكر . فقد ذكر لنا متن أنها تتحد فى واحد (راجع L.D. Text IV., 7) . وأخيراً ذكر أن هذه الأشكال الأربعة قد اتحدت فى ثور واحد ، أى أن « منتو » أرمنت ومدمود وطيبة وطود قد توحدت مع « نوت » و « نياو » و « حوح » و « كوك » على التوالى . وهذه الآراء قد وضحت فى ألقاب « منتو » التالية :

١ — أربعة الذكور لثامون « الأشمونين » التى أجسامها قد وحدت فى ثور (راجع (Ibid. T. 30 b)

٢ — أربعة الذكور للآلهة الأزلية التى اتحدت أجسامها فى ثور قرناه حدان (Sethe. Ibid. 16,110 — 117)

---

(١) راجع A.Z,S.L. XXI p. 158.

(٢) راجع Brugsch Dict. Georg. 1068-9, cf. Pap. Cairo 58007, recto 4.3 = Golenischeff, Les Pap. heratiques (Cairo Catalogue), p. 33 and also pp. 64, 76.

٣ — ذكور الثامون الموجودة فى « منتو » (Theb. T. 6 b =) .

٤ — ذكور الثامون المتحدة فى واحد (L.D. IV 64 a =)

٥ — (الأربعة « منتو ») قد اتحدت فى تمثال فى هيئة « منتو » . وأنها تجدد نفسها هنا فى المدمود بمثابة أربعة ذكور أمام والدها « تنن »
(Chronique d'Egypte No 12 July 1930, 266)

ومما سبق نشاهد أسباباً قيمة تنسب أن أشكال « منتو » الأربعة المحلية كانت ثيرانا ، وكانت تعتبر أنها تتقمص ثوراً . ولكن مما يؤسف له أن كل المتون التى اقتبسناها من عصر متأخر وبقى علينا أن نعرف إذا كانت هذه الأفكار أو ما يشابهها موجودة فى العصور المبكرة .

ولا بد أن نعترف هنا أن البحث فى هذا الموضوع لن يكون كاملا إلا بعد إتمام حفر منطقة « أرمنت » ومع ذلك يمكن القول فى هذا الصدد :

أولا « أرمنت» : يتضح من متون العصر المتأخر وكذلك من لوحات « بوخيس » وكذلك لوحات القرابين أن « أرمنت » كانت تعد مسكن « بوخيس » مدة حياته وأن البوخيوم كان مكان دفنه . ومما يؤسف له أنه ليس لدينا الآن أية براهين عن العصور المتأخرة تدل على عبادته فى هذا المكان . وليس لدينا إلا متن واحد جاء فيه : « منتو » رب «طيبة» (الكا)نزيلة « أونى »[1]. وعلى أية حال لدينا متن من معبد «منتو» بالكرنك(B.I.F.A.O. XII, 80) يقدم لنا بعض ألقاب هامة للآله « منتو » وهى : « منتو - رع »

---

(١) عبارة الإله نزيل المكان كذا تدل فى اللغة المصرية القديمة على أن الإله المذكور كان ضيفا فى المكان الذى ينزل فيه ولم يكن الإله الأصل لهذا المكان . عبارة النزيل بالمصرية هى (حرى — ايب)

رب «طيبة» (الكا)نزيلة « أونو » ، (« أرمنت ») وسيد «المدمود » نزيل (=الذى فى) « طود » . ولا نزاع فى أن وجود عبارة (الكا »نزيله) « أونو » (أى الذى فى) فى زمن كان فيه « بوخيس » كما نعرفه على قيد الحياة ، يعتبر من الأمور الهامة جداً .

ومما يطيب ذكره هنا أنه ليس من الأمور النادرة أن نجد فى المتون المصرية التى من العهد الرومانى وكذلك من العهد البطلمى كلمة « أونو » قد كتبت بدلا من « أونوشمع » . وعلى ذلك فانه ليس لدينا شك محس فى أن الصورة المحلية لثور « منتو » صاحب « أرمنت » كانت « بوخيس » فى العهد المتأخر ، وأنه على الأقل منذ الأسرة الثامنة عشرة[1] كان يوجد ثور « منتو » فى هذه البلدة أى « أونو شمع » (= « أونو » الجنوب أى « هليوبوليس » الجنوب وبذلك تتألف الثنائية .

ثانياً « المدمود » : لقد برهنت نتائج الحفائر التى عملت فى « المدمود » بصورة قاطعة على وجود ثور تقمصه الآله « منتو » هناك منذ الأسرة الثانية عشرة ؛ ونفس هذه الحقيقة معروفة من كل نقوش العصور التاريخية المصرية التى أتت بعد ذلك حتى العهد الرومانى . وأكثر العبارات شيوعاً فى هذه المتون العبارة التالية : « منتو » رب « طيبة » الكانزيلة «المدمود» ، والكا العظيمة جداً المبجلة فى المدمود . أو « الكا فى المدمود » . وأقدم إشارة للثور الذى فى « المدمود » جاء ذكرها فى عهد « سنوسرت » الثالث[2] .

وفى عهد الأسرة الثالثة عشرة نجد فضلا عن الأدلة التى نتجت من الحفائر الفرنسية التى قام بها المعهد الفرنسى ، وفى ورقة بولاق الخاصة

---

(١) راجع Rec. Trav. XIX. 14: Amenhotep II.

(٢) راجع Bisson de Ra Roque and J.J. Clère Medamoud 1928, Irsc. 501, p. 113.

بالحسابات (A.Z. XXIX, 102 ff.) وكذلك فيما كتبه « شارف » (A.Z. LII, 51 ff.) ما قد يلقي بعض الضوء على وجود عبادة الثور فى « المدمود » فى ذلك العهد .

وفى عهد الملك « تهرقا » سجل العظيم « منتو محات »[١] الأعمال التى أداها فى « المدمود » : فيقول : لقد (صنعت) ثور المدمود فى هيئته المقدسة وأقمت معبده ، وكان أكثر جمالا عما كان عليه من قبل[٢] ومما تجدر ملاحظته هنا أنه على حسب هذا المتن لم يكن ثور « المدود » حيواناً عائشاً ، وأقل ما يقال أنه مما يصعب تصديقه على ما يظهر أنه إذا كان يوجد ثور يعيش باستمرار فى « المدمود » فلا بد أن تكون له صورة كما جرت العادة فى معبده .

ويمكن تلخيص صفات ثور «المدمود» فيما يلى :

١ — أنه كان قد اشترك فى حروب مع ثيران أخرى فى ساحة خاصة .

٢ — أنه كان فى قدرته أن يشفى الأمراض وبخاصة أمراض العين[٣] .

٣ — وكان له وحى[٤] . ويذكر « كيس » أن « بوخيس » هو الذى كان له وحى فى « المدمود »[٥] .

٤ — كانت اللفظة الهيروغليفية الدالة على الثور تكتب أحياناً باللون

(١) راجع Wreszinski O.L.Z. XIII. 385 ff. pl. III. 25.

(٢) راجع Drioton, Medamoud (1926), pt. Les Inscriptions 10, 11.

(٣) راجع Ibid. p. 9.

(٤) راجع Drioton, Medamoud (1925), pt. II, 6, 42-5.

(٥) راجع Kees Kulturegeschechte des Alten Orient, I, Agypten 333.

الأزرق . وهذا اللون هو لون السماء وهذا يدل دون أى شك على أن طبيعة ثور « المدمود » كانت شمسية (راجع
(Drioton, 1925, Pt. II, 6, and Inscr. 80 P. 38).

وأخيراً لا بد من ذكر شيء باختصار عن تمثال «أحمس» بن «سمندس» (Cairo 37075, No. 197, of the Kannak Cache). كان «أحمس» كاهناً (خادم الآله) للملك « نقطانب الثانى » وألقابه الأخرى هى المحنط والمطهر الإلهى ، والذى يدخل فى دفنه الثور الذى فى « المدمود » (يقصد بوخيس) .

ثالثا «طيبة» : أن الصيغة الدينية التى من طراز : « منتو » . . (الكا)نزيلة « طيبة » يظهر أنها غير معروفة . ولا بد أن يعترف الإنسان أنه ليس لدينا أى برهان قاطع على وجود صورة ثور « لمنتو » فى « طيبة » . ومع ذلك لا يكاد الإنسان يشك فى أن مثل هذا الثور لا بد كان موجوداً هناك ، وأن عدم وجود البراهين على ذلك قد كان محض صدفة ، وأنه من الممكن دائماً أن ثور « منتو » فى « طيبة » كان قد طغى عليه فى عهد مبكر بعض آله آخر . وقد رأينا أنه كان يوجد ثور أبيض له صلة بالآلهة « مين » فى « طيبة » فى زمن « رعمسيس الثالث » وكان بينه وبين « بوخيس » وجه شبه كبير ، وقد عده « جوتييه » أنه هو نفس « بوخيس » (راجع
(Gauthier, Les Fêtes de Dieu Min, P. 83
غير أن فى ذلك نوع من المبالغة يجب التحفظ عند الأخذ بها .

رابعا « طود » : أن وجود ثور مقدس فى « طود » أمر معروف تماماً . وقد نشر الأثرى « بجران » المعلومات الدالة على ذلك (راجع B.I.F.A.O. XII 109 ff.) . وفى عهد «تحتمس الثالث» يظهر أن المعبد هناك كان يسمى

«حت كا» (قصر الثور)[١]. ويوجد نفس الإسم فى متن من « أرمنت »[٢] ويظهر « منتو » صاحب « طود » نفسه فى صورة بشرية برأس ثور[٣] وأخيراً نجد الثور مصوراً على جدران المعبد (Ibid. P. 109). وقد استخلص الأثرى « فرمان » من بعض متون أوردها[٤]، أن الثور الذى مثل على جدران معبد « طود » هو « بوخيس » نفسه على ما يظن ، ولكنه لم يجزم بذلك .

وعلى أية حال لا بد أن نثبت هنا النتائج الرئيسية التى نستخلصها من هذا البحث بصورة مختصرة :

أولا : ليست هناك علاقة محددة بين الآله « منتو » وعبادة الثور حتى الأسرة الثانية عشرة .

ثانياً : أن عبادة ثور « منتو » ترجع بنا إلى عهد الأسرة الثانية عشرة . وفى « أرمنت » و «طود» ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة . ومن المعقول أنه إذا قامت حفائر جديدة فانها ستظهر أن كل هذه الأشكال المحلية قد نبعت فى عهد واحد لا يتعدى الأسرة الثانية عشرة .

ثالثاً : أن أعم صيغة فى ألقاب أشكال الثور المحلى للآله « منتو » هى : « منتو » رب كذا و (الكا)نزيل كذا . وهذا يدل على ما يظهر على أن الثور لم يكن الآله الرئيسى فى أى من هذه الأماكن ولكنه كان إلهاً ثانوياً أو بعبارة أدق إلهاً زائراً ، لأن عبارة « حر ى ـ ا ب » تعنى الزائر . والواقع أن ثيران «منتو» فى « أرمنت» و«المدمود» و«طيبة» و«طود» لم تعتبر أبداً آلهة أصحاب

(١) راجع Legrain Ibid. p. 114.

(٢) راجع L.D. IV, 62 f.

(٣) راجع Legrain Ibid figon p. 120.

(٤) راجع Bucheum II. p. 49.

مكانة عظيمة فى تلك الأماكن ، وأن الثور الوحيد للآله « منتو » الذى له الحق أن يكون الآله الرئيسى للمكان هو « بوخيس » بوصفه سيد «حت اتم» (= البوخيوم). فمثلا لم يكن «بوخيس» أبداً سيد «طيبة» أو «أرمنت» وحتى فى العهد البطلمى كان ثور « أرمنت » يدعى « نزيل » تلك المدينة

رابعاً : فى عهد الملك « تهرقا » كان معبد « المدمود » يحتوى على تمثال الثور .

خامساً : يظهر أن « بوخيس » كان حاضراً (بوصفه زائراً ؟) فى «طود» فى عهد البطالمة .

سادساً : كانت أشكال « منتو » الأربعة المحلية تعتبر ثوراً واحداً[1]. ولا بد أنها كانت تتزاور فيما بينها فى فترات محددة ويحتمل أن ذلك كان مرة فى كل شهر هذا ونلحظ أن الأستاذ « زيته » قد أشار فى العبارة التالية « أن ذكور الثامون قد إتحدت فى ثور[2] (أى وحدت فى ثور واحد) . والثور المقصود هنا بلا نزاع هو « بوخيس » وأنه فى الحالات الأخرى جميعها التى اقتبسناها فيما سبق كان الثور المقصود هو « بوخيس » . وعلى ذلك ينتج أنه حتى فى العصور المبكرة لم يكن يوجد ثور حى منفصل فى « أرمنت » و « المدمود » و « طود » و « طيبة » ، بل كان كل منها متحدا فى ثور واحد ، كان يزور كل مدينة من المدن السابقة على التوالى ، وكان يمثل فى غيابه بتمثاله المقدس .

والمفروض أن ما ذكر هنا ليس إلا نظرية أقيمت على براهين ليست فوق الشبهات ، ولكن يمكن إضافة حقيقة أخرى هنا قد تقوى بعض الشيء

---

(١) راجع Amun § 173. note 1.

(٢) راجع L. DIV. 64a.

هذه النظرية وذلك أن « دريتون » قد نشر أربعة تماثيل للآله « منتو » (برأس ثور) سمى كل واحد منها باسم واحد من أربعة الأشكال المحلية للآله الذى قيل عنه أنه يسكن فى حظيرة ثور « مدمود » . فهلا تكون الإشارة هنا لزيارة أربعة الصور الخاصة بالآله « منتو » مجتمعة فى ثور واحد ، لمعبد المدمود ؟

وهكذا نحصل على إعادة تأليف تاريخ « بوخيس » فيما يلى : فى العهد الذى سبق عهد حكم الفرعون « نقطانب الثانى » كان « بوخيس » يتقمص أربعة أشكال الآله « منتو » ، وبهذا الوصف زار المدن الرئيسية للآله « منتو » كلا بدورها . وفى هذا العهد على ما يظهر لم يكن قد أطلق عليه اسم مميز له . وعلى أية حال نجد أن « نقطانب الثانى » قد أسهم فى تطور طبيعة الثور وجعله إلهاً هاماً مساوياً لكل من « أبيس » و « منيفيس » ، ولكن « بوخيس » استمر فى زيارته المنظمة لبلاد إقليم « طيبة » .

ومهما يكن من أمر فان هذه النظرية التى وضعها الأستاذ «فيرمان» — على الرغم مما فيها من ثغرات — فانها تعتبر أحسن ما كتب عن « بوخيس » إلى أن تظهر متون أخرى تنقض بعض ما جاء فيها أو كله ، أو على العكس تثبت صحتها من كل الوجوه .

الموازنة بين « بوخيس » وبين « أبيس » و « منيفيس »

لا بد أن نفهم أولا أن النظرية القائلة أن « نقطانب الثانى » قد دفع إلى الأمام من جديد عبادة ثور « المدمود » باسمه الجديد « بوخيس » ، وأنه أمده بمدفن جديد أطلق عليه اسم البوخيوم ، أو أن نفس الملك قد أدخل فكرة تقمص الآله الثور تقليداً لكل من الثورين « أبيس » و « منيفيس » — هذه النظرية يعتورها الشك والغموض . على أنه لو كانت مسألة التقمص حقيقية فان « نقطانب » لم يقم بها إلا ليكسب محبة أهل الجنوب الذين كانوا غرباء بالنسبة له . ومما يلفت النظر هنا أن البيانات التى توضح لنا أوجه الشبه وأوجه الخلاف بين الثور « بوخيس » من جهة وبين كل من الثورين « منيفيس » و «أبيس» من جهة أخرى ، دقيقة لدرجة أنه قد أصبح من الصعب استخلاص شيء منها .

وسواء أكان موجوداً ثور يتقمصه آله فى « أرمنت » قبل عهد الملك « نقطانب الثانى » أم لا ، فان التغيرات التى أدخلت فى عبادته فى ذلك الوقت كانت أساسية للدرجة أن أصبح مؤكدا أن نعتبر حكم هذا الفرعون بداية تاريخ الثور « بوخيس » .

بوخيس :

كان « بوخيس » ينتخب من بين عجول ذات سن مناسب ، على شرط أن يكون به علامات خاصة تميزه عن نوعه . وكان هذا العجل على حسب قول

« ماكربيوس »[1] يغير لونه كل ساعة ، وذكر لنا هذا المؤلف كذلك أن هذا العجل كان أشعث اللون بشعر ينبت إلى الخارج ، وذلك على عكس كل الحيوانات . وكانت بشرته بيضاء ورأسه أسود . ولسنا فى حاجة إلى القول بأن الوصف الأول الذى وصفه به هذا المؤرخ ، الثور «بوخيس» ما هو إلا حديث خرافة نقله عن نسج خيال التراجمة . أما الوصف الآخر فهو بلا شك له بعض العلاقة بالحقائق المعروفة عن هذا الثور . ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن علماء الآثار الذين قاموا بالحفائر العلمية فى « أرمنت » لم يكن فى استطاعتهم الحصول على قطعة من جلد ثور من ثيران « بوخيس » ، كما لم يسعدهم الحظ حتى بالعثور على جلد بقرة . ويرجع السبب فى ذلك إلى رداءة طبيعة التربة التى دفنت فيها هذه الثيران ، يضاف إلى ذلك أن تحنيط هذه الثيران لم يكن متقناً لدرجة كافية . ويقول الدكتور « جاكسون » — فى التقرير الذى وضعه عن فحص عظام هذه الحيوانات وأنسجتها وتركيبها — أنه لم يجد شذوذاً فى تركيب هياكلها . فقد وجد أن عظامها تشبه بصورة دقيقة جداً عظام ثيران بلاد مابين النهرين و«آسيا الصغرى» وهى التى تنسب إلى سلالة (Bos Brachyceros) وهى التى تميز بقرون قصيرة وظهور محدودبة . والظاهر أنه لم تكن فى البلاد المصرية منطقة مخصصة لانتخاب العجل « بوخيس » ، فقد ولد ثوران « بوخيس » فى « أرمنت » ، كما ولد الثور الثانى الذى عاش فى عهد الامبراطور «أغسطس» وكذلك الثور الذى عاش فى عهد الأمبراطور « تيبريوس » وثوران آخران فى المدينة الجنوبية ، (يحتمل أن المقصود هنا مدينة طيبة) ، واحد منهما

---

(١) راجع Nacrobius Saturn 1, 21, 20.

فى عهد الملك « بطليموس السادس » وواحد فى عهد « بطليموس الرابع » . ويلحظ هنا أنه أحياناً كان يذكر اسم صاحب الأرض الذى ولد فيها الثور « بوخيس » على اللوحات التذكارية ، ومن المحتمل أن مثل هذا الحادث كان لا بد مصدر جزاء من الناحيتين المادية والروحية لصاحبه . وكانت أم هذا الثور تكرم تكريماً عظيما ، كما كانت بلا شك تسكن فى حرم المعبد «بأرمنت» .

العناية بأم الثور بوخيس :

كانت العناية بأم«بوخيس» مفهومة بطبيعة الحال ، هذا إذا سلمنا بأنها كانت تحتل مركز الأم العذراء ، الذى كانت تحتله أم الثور « أبيس » . وقد ناقش « مريت »[١] هذا الموضوع بشىء من التفصيل . وقد سلم فيما كتبه بما جاء على لسان الكتاب القدامى فى هذا الصدد . واعتبر أن آراء هؤلاء الكتاب قد حققتها النقوش التى جاءت على اللوحات التى كشف عنها ، وكذلك ما جاء على بعض الآثار التى عثر عليها فى السرابيوم . وقد اقتبس من الكتاب القدامى أمثال « هردوت »[٢] و «بومبونيوس[٣] ميلا» . و « أليان »[٤] و « بلوتارخ »[٥] وكذلك اقتبس — من لوحة من لوحات السرابيوم التى تصف « أبيس » — العبارة التالية : « ليس لك والد » . وقد أصر « مريت » على أن المقصود من هذه العبارة هو المعنى الجسدى . وفى الصفحة الثالثة والخمسين من نفس الكتاب نجده يصر على أن « أبيس » كان قد ولد من أمه بوساطة « بتاح » وأنها حملت

(١) راجع Mariette sur La Mère d'Apis p. 20.

(٢) راجع Herod., III, 28.

(٣) راجع Pomponius Mela, 1, 9, 58.

(٤) راجع Aelian (Hist. Anim. XI, 10).

(٥) راجع Plut arch. (Iuaest. Conv. VIII, 1, 8-718b).

فى «أبيس» الذى تمثل لأمه ناراً سماوية . ومن أجل ذلك كانت تظل أم «أبيس» عذراء طوال مدة حياتها .

هذا وقد ترجم «جورج رولنسون» الفقرة التى وردت فى «هردوت» عن «أبيس» بالصورة الآتية : «والآن فان أبيس هذا . . . هو عجل بقرة لم يكن فى مقدورها أبداً فيما بعد أن تحمل» . ويقول المصريون أن ناراً تأتى من السماء على البقرة ، وعلى ذلك تحمل «أبيس» (Herod. III, 28) . أما «بلوتارخ» (De Iside etc XLIII). فيقول : «يقولون أن «أبيس» ... يحمل فيه عندما تسقط نار خالقة بشدة من القمر وتلمس بقرة تطلب اللقاح» . ولما كانت المعلومات تعوزنا فى هذا الصدد عن أبوة «بوخيس» ، فانه من الأفضل أن نسلم أنه كان يشبه فى ذلك «أبيس» . ولا نزاع فى أن هذه الفكرة التى تنطوى على ولادة تدل على الاعجاز توضح الأسباب التى من أجلها اتخذت العناية لتحقيق العلامات التى لا بد أن تظهر على «بوخيس» الذى ولد حديثاً . فاذا أنتخب ثور ليتقمصه آله ، فعند نزول الروح عند حفل تقديس أو حتى عند تنصيب الثور نفسه ، لا يكفى وقتئذ أن يكون ظاهر الثور يحتوى على تشابه معقول فى العلامات المطلوبة ، ولكن كان من الضرورى من حدوث ولادة تدل على الاعجاز وتدل على دقة اختيار الكهنة . ولدينا البرهان على هذه العناية مما جاء فى لوحة خاصة بالعجل الثانى الذى عاش فى عهد «بطليموس السادس» . وذلك أنه عند ما ولد هذا العجل كما تحدثنا عن ذلك من قبل (ص ٣٤٠) أخذ إلى البلدة مسقط رأسه (اصفون) حيث قابله الكهنة المفتشون الملكيون وأجناد «البيتين العظيمين» . ولا نزاع فى أن هذه الفئة من العظماء كانوا قد أرسلوا ليتحققوا من أن هذا العجل هو المطلوب .

ومن المسلم به أن صاحب العجل كان عليه أن يثبت أن «العجلة» التى وضعته لم يقربها فحل .

وكان هناك بعث آخر مماثل ورد ذكره فى حالة العجل « أبيس » ، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان من الممكن أن المفتشين الملكيين كانوا قد عينوا بوصفهم شهاداً مستقلين ليمنعوا وقوع غش وتدليس فى فحص العجل . والآن يتساءل المرء هل من الممكن أن نفس هؤلاء الرجال قد قاموا بعمل مثل هذا العمل مع كل الحيوانات المقدسة ؟ . والجواب على ذلك هو أن هذا كان أمراً محتملا أكثر من أنهم كانوا يقومون بهذا العمل مع أعمال أخرى كانت تعتبر من واجباتهم .

والظاهر أن طبيعة حفل تنصيب العجل « بوخيس » لم تكن واضحة المعالم بأية حال من الأحوال ، غير أنه كان على أية حال احتفالا هاماً يحضره كما قيل الملك ، ومن الجائز أن الملك كان يحضره فى العهد البطلمى ، وذلك لأن حفل تنصيب العجل « بوخيس » كان لا يحدث أكثر من مرتين فى حياة أى ملك ، اللهم إلا إذا كان الملك يحضر أحفال تنصيب كل الحيوانات المقدسة فى طول البلاد وعرضها .

هذا ونعلم أن الثيران « بوخيس » التى نصبت فى عهد « نقطانب الثانى » و «بطليموس الرابع» ، والثور الأول من عهد « بطليموس الخامس » ، كان يتم تنصيبها فى « أرمنت » ، فى حين أن أحفال التنصيب الأخرى التى نعلم مكانها كانت قد أقيمت فى « طيبة » . وقد نصت اللوحة الثانية التى من عهد «بطليموس السادس» ، على أن « طيبة » كانت الموقع الذى جرى فيه تنصيب العجل « بوخيس » منذ الأزل . وتدل الأحوال على أن هذا العصر هو العصر الذى

أصبح فيه العجل « بوخيس » مرتبطاً بآلهة « طيبة » الثمانية ، وفى تلك المدة حدث تغيير عام فى مناقبه . وقد ذكر فى نفس اللوحة السابقة حفل تنصيبين إضافيين تابعين للتفتيش الذى أشير إليه فيما سبق وسنتحدث عنهما فيما بعد هنا .

وكان الثور بعد تنصيبه مباشرة فى العادة يحمل فى النهر فى قارب مقدس من « طيبة » إلى « أرمنت » وفى صحبته جماعة من علية القوم . وعلى ذلك فان ثور « بطليموس السابع » نصبه الملك نفسه . ففى رحلته فى قارب « آمون » مع قوارب الملك كان كل مواطنى « طيبة » و « أرمنت » والكهنة خدام الآله ورؤساء الكهنة فى صحبته » . وبالمثل نعلم أن الثور الأول من عهد «أغسطس» قد نصبته « كليوباترا » العظيمة ومعها زوجها الطفل « بطليموس الثانى عشر » . « لقد نصبه الملك نفسه فى السنة الأولى ١٩ برمهات وقد ساحت به فى النهر ، الملكة سيدة الأرضين «كليوباترا » ، الآلهة التى تحب أولادها ، فى قارب «آمون » مع قوارب الملك ، وكان معه كل سكان « طيبة » و«أرمنت» والكهنة » .

وفى معظم هذه المناسبات كان حضور الملك أمراً مسلماً به ، وذلك لأنه قيل أن « بوخيس » قد صاحبه الملك نفسه فى عهد « تيبيريوس » . ومن الممكن كذلك أن الملك كان يمثله رسمياً نائب هام يحل محله . ويفهم من الخلاف فى الصيغة أن « كليوباترا السادسة » قد رافقت الثور بنفسها كما رأى كل من « ينكر » و « تارن » و « فيرمان » .

وقد كتب الدكتور « تارن » عن هذا الموضوع فى تاريخ كمبردج القديم[١] .

---

(١) راجع Cambridge Ancient History X. 36.

وقد جاء فى لوحة العجل الثانى الذى عاش فى عهد « بطليموس السادس » — التى أشرنا إليها فيما سبق — الجملة الآتية : أن حفل تنصيبه (بوخيس) قد أداه كهنته . . وقد حرر منشور رسمى فى حضرة جلالته » . وبعد ذلك حضر الملك إلى « طيبة » وأقيم احتفال آخر . وهذا الاحتفال الأخير حدث فى السنة الرابعة والعشرين ، وكان العجل قد ولد فى السنة التاسعة عشرة . غير أن هاتين الحادثتين هما اللتان يمكن تأريخهما فقط ، وعلى ذلك فانه من غير المستطاع أن نعرف كيف كان تقسيم مدة خمس السنوات التى بين عام ٢٤ و ١٩ بالنسبة للأحفال السابقة وأعنى بذلك حفل التفتيش وحفل التنصيب الأول . والظاهر جلياً أن الملك أو وكيله لم يكن فى قدرته الحضور عند ما كان الكهنة يريدون تنصيب الثور ، ومن أجل ذلك كان يسمح لهم — بمرسوم ملكى خاص — أقامة الحفل بأنفسهم . ويفهم أنه إذا كان هذا الحفل يقام بعد التفتيش مباشرة ، فانه لا يكون صحيحاً تماماً ، ومن أجل ذلك كان الثور يظل فى « طيبة » إلى أن يصبح الملك خالياً من الأعمال ليقوم بعمل الحفل السليم . ولكن إذا كان حفلا التنصيب يتبع الواحد منهما الآخر مباشرة ، فانه يفهم على ما يظهر أنه قد وقع بعض حادث جعل ظهور الملك شخصياً بعد التنصيب الذى قام به الكهنة مباشرة ممكناً أو ضرورياً . وفى كلتا الحالتين يفهم أن سير الحوادث تقوى الرأى القائل أن الملك كان يحضر التنصيبين شخصياً ، ولو على الأقل فى العهد الأول من عصر البطالمة ، وذلك لأنه كان من الجائز وجود مضايقة كثيرة فيما يخص إبدال نائب بآخر فى مثل هذه الأحفال الخطيرة الشأن .

ولدينا حادثان — وصفا على اللوحات الخاصة بالعجل « بوخيس » — لهما أهمية منقطعة النظير . الأولى وقعت فى خلال حياة الثور الأول الذى عاش فى

عهد « بطليموس السادس » . فاستمع لما يقول المتن : لقد وصل إلى « طيبة » فى السنة الثانية فى الخامس عشر من شهر بابه . وكان هناك هجوم قامت به ممالك أجنبية عدة على مصر فى السنة الثانية عشرة ، وقد اندلعت نار فتنة داخلية فى مصر . وكان سور « طيبة » العظيم محصناً بالأجانب . وعلى أثر ذلك جاء مواطنو « أرمنت » إلى « طيبة » القوية البأس . وكانت قلوبهم وقتئذ فى خوف أليم من أجل هذا الآله ، وأدوا شعائر نقله إلى « أرمنت » فى السنة الثانية عشرة ... ليته يبقى على عرشه أبدياً . والحادثان اللذان أشير اليهما هنا هما غزو الملك «أنتيوكوس الرابع» لمصر فى عام ١٦٩ ق. م ، والحرب الداخلية التى قامت بين « بطليموس فيلومتور » وأخيه . أما « الأجانب » فيمكن أن يكونوا جنود الإغريق المرتزقين الذين كان يستخدمهم أحد الفريقين المتحاربين .

وعلى أية حال فان المناوشات التى قام بها أحدالطرفين لم تكن حامية (هذا إذا كانت قد وقعت أية حرب فعلا) ، أو أن الآله وأتباعه قد سمح لهم بالمرور بين خطوط القتال . ومما يؤسف له أن الحادث الآخر الذى له أهمية فى موضوعنا قد ذكر على لوحة الامبراطور « دوميسيان » (Domitian) التى اشتراها المتحف البريطانى فى عام ١٩٠٦ . والمتن الذى نقش على هذه اللوحة لا يمكن قراوئته إلا جزئياً لما فيه من صعوبات لم يمكن التغلب عليها تماماً حتى الآن ، غير أنه أمكن ترجمتها ترجمة موقتة . وهى تقدم لنا فكرة هامة . إذ نقرأ فى نقوشها وصف عيد عظيم ، غير أننا لا نعرف فى أية مناسبة أقيم هذا العيد . ويتساءل الإنسان هل كان عيد تنصيب الثور أو عيد مماته ؟ ولنستمع لما جاء فيها : كانت هناك جياد عدة أكثر من الرمل ، وجنود أكثر من رمال الشاطىء » . وقد وصف بعض هؤلاء الذين كانوا يصحبون الثور

بأنهم « أونتيو » ، ويقترح الأستاذ « فيرمان » أنه من الممكن أن يكن هؤلاء كاهنات موسيقيات . ولدينا فى المتون الديموطيقية التى وجدت على فخارة (موسيقيو « أمون » الراقصون) وكذلك « الراقص » و « مغنو المعبد » ، ومن الجائز أن الإشارة فى اللوحة تشير إلى هؤلاء . وكذلك ذكر على لوحة « دوميشيان » هذه ، عبادة رأس « بوخيس » الذى يتحلى بالتاج فى الريشتين :

أن «أرمنت» و«طيبة» الجميلة قد اتحدتا فى معاقرة بنت الحان ، والصياح قد سمع فى السماء . ثم عاد إلى مدينة «أرمنت» فى فرح لأجل أن يتسلم عرشه فى حياة أبدياً . . . ومملكته كان خلودها مثل خلود « رع » .

وإذا استثنينا ولادة « بوخيس » وتنصيبه وموته فان الحوادث الأخرى وكذلك الأعمال اليومية الخاصة بحياته لم توضح بعد بصورة جلية فى المتون . هذا وقد برهن « فيرمان » على أن « بوخيس » كان ثوراً مشاءً ، أو بعبارة أخرى كان جوالا متنقلا فقد جمع فى شخصه الآلهة الذكور الذين كانوا فى عداد ثامون الآلهة . وتفسير ذلك أن أشكال الآله « منتو » الأربعة كانت موحدة فى هذا الثور بمفرده . وعند ما كان يزور كل مدينة من المدن الأربعة التى ذكرناها فيما سبق فانه كان يصبح ثور هذه المدينة . وعلى الرغم من ذلك فان كل ثور كان يحتفظ لنفسه ببعض شخصيته . وكان كل معبد — عدا معبد « أرمنت » على ما يظن — فيه تمثال ثور . وهذا التمثال كان يمثله دون شك عند ما يكون فى جولاته فى مكان آخر . وقد إقترح أنه كان يزور كل بلدة من هذه البلاد الأربع مرة كل شهر ؛ غير أنه على حسب ما جاء فى لوحة « بطليموس السادس » التى تحدثنا عنها آنفاً ، يظهر أنه قد أمضى عشر سنوات فى « طيبة » . يضاف إلى ذلك أنه لم يكن الآله الرئيسى لأية بلدة من هذه

المدن الأربع . ولم يشر إليه أبداً بأنه رب « طيبة » أو « المدمود » أو حتى « أرمنت » التي كان يعبد فيها ، ولكن كان ينعت فقط بأنه رب بيت « آتوم » وهو الاسم القديم لمعبد البوخيوم .

ويظهر من البيانات الديموطيقية التي في متناولنا أن دخل معبد « أرمنت » — حيث كان يشرف « بوخيس » (يظهر أن الحسابات كانت أكثر مما يحتاج إليه البوخيوم وحده) — كانت أكبر من دخل معبد « تبتونيس » . فقد كان يوجد في معبده ، كما كانت الحال في معبد « سبك » باللاهون في الدولة الوسطى ، عشرون موظفاً يتقاضون أجورهم بنظام ، يضاف إلى ذلك أناس آخرون كانوا يتسلمون أجورهم من كهنة مختلفين . ونخص بالذكر من بين هؤلاء العلافين ، وهم بلا شك أولئك الذين كانوا يوردون الكلأ للثور ، لأنه الطعام الأساسي لحفظ صحة الحيوان . وقد ذكرت مادة ربما كانت جراية الغلة التي كانت تقدم للثور « بوخيس » ، غير أن مقدارها كان يكفي غذاء لأي ثور مدة ثمانية أشهر ؛ وحتى إذا سلمنا جدلا أن جراية أم « بوخيس » كانت محسوبة ضمن هذه الكمية ، وإن كلا من الثور « بوخيس » وأمه كانا يأكل فوق طاقته ، فان الكمية التي ذكرت كانت أكثر مما يجب . ولكن يحتمل أن « بوخيس » هذا كان له أولاد تأكل في حماه — وكذلك كانت هناك كمية كبيرة من النسيج يدفع ثمنها ، ومن الممكن أن بعضه كان يستعمل في معبد « بوخيس » الحي . هذا وقد سبق أن ذكرنا الراقص والموسيقيين الراقصين لأمون ومطربي المعبد .

مركز « بوخيس » بين الآلهة المصريين :

لا نزاع في أن الباحث في مسألة مركز « بوخيس » من حيث سلطته

الدينية بين الآلهة المصرية يجد نفسه فى بحر لجى من الصعوبات ، وذلك لأنه فى الوقت الذى يستخلص منه معظم المعلومات عن هذا الآله ، وكل المعلومات عن « بوخيس » بالاسم نجد أن آلهة إقليم « طيبة » قد أصبحت تكاد تكون مختلطة بعضها ببعض بدرجة لا يمكن حلها . وليس ذلك بغريب فإن العلاقات المتبادلة بين الآلهة «آمون» و « مين » و « منتو » لم يمكن حتى الآن معرفتها بصورة قاطعة تجعل من السهل فصل الواحد منها عن الآخر ، وذلك على الرغم من أن هذه الآلهة معروفة لنا منذ العصور المبكرة من تاريخ مصر . ويرجع السبب فى ذلك — فى أغلب الأحيان — إلى أن كلا من هذه الآلهة قد استولى لنفسه على صفات آلهة أخرى فى أحوال سياسية واجتماعية على حسب مركز هذا الآله فى نظر الملك الحاكم وبحسب ما لكهنة هذا الآله من قوة وسلطان فى البلاد .

وقد فسر لنا الأستاذ « فيرمان » — عند ما تحدث عن ألقاب «بوخيس» — بعض ما وصل إليه فى هذا الصدد . فقد برهن على أن « بوخيس » كان الممثل الدنيوى للآله « رع » إله الشمس . على أن صبغة اللون المضبوطة التى يمكن أن نراها من هذا البيان لا تزال يعتورها الشك فيما يتعلق بكل من « بوخيس » و « أبيس » . وقد أعطيت تفاسير مختلفة لذلك ، فقد قيل عنه أنه الحياة الثانية والمظهر والممثل والمتقمص للآله . وأقدم مناقب « بوخيس » هى صفاته الشمسية ويمكن تأثرها ، ويظهر أنها قد سبقت علاقاته بالآله « منتو » . ومن الممكن كذلك توحيده بالثور الأبيض ومن المحتمل أنه يرجع فى نسبه إلى الوجه البحرى ، وقد يكون متناسلا من الثور الأبيض الذى جاء ذكره على حجر « بلرمو » . وتدل الوثائق على أن علاقة « بوخيس » بالآله « مين » كانت أقوى من علاقته بمعظم آلهة التاسوع ، ولا غرابة فى

ذلك ، فان هذا ما كان ينتظر من آله يتصف بالخصب . ويلفت النظر أيضا أنه فى العهود المتأخرة كان قد أصبح مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً مع الآله « منتو » رب « أرمنت » . وكان فى هذا الوقت له عدة علامات متشابكة مع آلهة أخرى فكان يتقمص ثامون الآلهة ، كما كان يدعى والدها وجدها وأهم ألقاب « بوخيس » هى :

١ — الروح الحية « لرع » : با عنخ (ن) رع .
٢ — الحياة المكررة « لرع » (على الأرض) .
٣ — والذى يكرر حياة كل الآلهة (= وحم عنخ ن نترو).
٤ — والآله العظيم رب بيت « آتوم » (= نترعا - نب . حت اتم) ؛ وعبارة « حت - أتم » معناها بيت « آتوم » أى معبد « البوخيوم » .

وعند ما ننظر فى أصول « بوخيس » فلدينا حقيقة واحدة ذات أهمية كشف عنها فى فحص بالى لقصص السائح المبكرة لأرمنت فيقول « جرنجر » (Relation du Voyage fait en Egypte en 1730, Paris 1745, pp. 70-71).

«يرى بالقرب من (المعبد) حوض جميل أقيم من أحجار مربعة ، طوله ٤٠ قدماً وعرضه ٣٠ قدماً ويرى فى وسطه عمود لم يبق قائماً منه إلا نصفه » .

ويذكر « اربى » و « منجل » (C.L. Irby & J. Mangles, Travels in Egypt and Nubia, London (1823) p. 136.
ما يأتى : توجد بالقرب من المعبد على الجانب الشرقى ، بقايا حوض قديم يذكر « دينون » نقلا عن « اريستديس » أنه فى وسطه مقياس نيل ، ولكن العمود الذى نقشت عليه المقاييس بالتدريج لا يمكن رؤيته الآن . . » وبدهى أن بحيرة المعبد تحتوى على مقياس نيل — كالذى وجد فى البحيرة التى فى «منف» —

متصلة بالمعبد الذي كان يعبد فيه « أبيس » . وعلاقة « أبيس » بالنيل معروفة تماماً ، وعلى ذلك فان مثل هذه العلاقة مع « بوخيس » ليست غير ممكنة . ومن المعلوم أن المعبودين العظيمين للخصب في مصر هما الشمس والنيل ، وكل منهما مرتبط «بأبيس» وبخاصة النيل ، وكانت الشمس مسيطرة مع « بوخيس » كما كانت مسيطرة مع « منيفيس » في « هليوبوليس » . وكانت « أرمنت » مركزاً لعبادة الشمس في الأسرة الثامنة عشرة . ويقترح الأستاذ « فيرمان » أنه في الوقت الذي كانت فيه عبادة الشمس الهليوبوليتية قد انتشرت ، نجد أن المصريين بما فطروا عليه من ميل شديد لمذهب الثنائية قد أسسوا عبادة ثور الشمال في « أرمنت » . ومن الجائز كذلك أن « أرمنت » كانت قد أختيرت مركزاً لعبادة «آتون» ، ويرجع ذلك إلى الصبغة الشمسية الأصلية لعبادة « بوخيس » وبسبب العبادة المحلية أيضاً .

ذكرنا فيما سبق أن الملك كان حاضراً فعلا أو بالنيابة أو بالمجاملة عند تنصيب « بوخيس » الذي كان بلا نزاع له مكانة عظيمة جداً ذات أهمية بالغة في أنحاء البلاد . ولكن دلت الوثائق على أن دخله قد نقص في منتصف حكم الملك « بطليموس الخامس » ، ويؤكد لنا هذا ، حالة المقابر الخاصة به في تلك الفترة . غير أن ذلك — على ما يظهر — كان نتيجة للضرائب التي كان يفرضها الملك على الأهالي لمساعدته في حروبه الخارجية ؛ ويمكن أن يرجع سبب ذلك أيضا إلى أن كهنة «بوخيس» الذين أقحموا أنفسهم — بحكم الضرورة أو عن قصد وتدبير — مع الأسر التي قامت بالثورة في السنين الأولى من حكم هذا العاهل . وحوالي هذا الوقت حدثت سرقة غير أن ما نجم عنها من أضرار أصلح فيما بعد . هذا ونعلم أن « أرمنت » قد حاربت في صف الجانب الخاسر في خلال الاضطرابات التي وقعت بين « بطليموس السابع » و « كليوباترا

الثانية » . ويلحظ أنه بعد انتهاء هذه الاضطرابات مباشرة ، كانت المقابر التي أقيمت في البوخيوم قد بلغت الغاية من فقر الحال بدرجة محسة . وفي عهد الامبراطور « تيبريوس » ظهر انتعاش في مباني البوخيوم وقد ظلت الحال كذلك حتى عهد الامبراطور « كاراكلا » .

وكانت هناك أسرة واحدة من الأسر الشريفة على اتصال دائم مع « بوخيس » وهذه هي أسرة « كالازيريس » (Kalasiris) التي ظهر اسمها على اللوحة الرسمية للثور « بوخيس الأول » الذى عاش في عهد الامبراطور « أغسطس » ، وكذلك ظهر اسم هذه الأسرة مع « بوخيس » في مناسبات أخرى . فنعرف أنه في حظيرة « كالازيريس » بن « كالازيريس » ، ولد الثور « بوخيس » الثاني الذى عاش في عهد الامبراطور « انتونيوس بيوس » (Antonius Pius) . ويظهر أنه من المستحيل علينا أن نربط الأسرتين الواحدة بالأخرى ، غير أنه ليس من المستحيل كذلك وجود علاقة بينهما . على أنه لم يوجد في البوخيوم أى شيء — عمل على نفس النطاق — يمكن موازنته بالنذور المماثلة التي كانت تقدم عند دفن « أبيس » ، ولكن من جهة أخرى نجد دليلا على تعبد الأهلين وصلواتهم « لبوخيس » .

فقد عثر على لوحة لشخص منقوشة بالهيروغليفية ، غير أنها لسوء الحظ لم يمكن ترجمتها ، كما وجدت لوحة من الحجر الرملي دون عليها إسمان بالديموطيقية ، وكذلك عثر على عدد من اللوحات المصنوعة من الحجر الرملي عليها رسومات خاصة ، وعدة حصوات نقش عليها أسماء . وقد عثر لحسن الحظ — بالإضافة إلى ماسبق — على حصاة من حجر الكوارتز مكسورة نقشت عليها أنشودة للثور « بوخيس » دونت بالديموطيقية (Buch. II, P. 56) . ولما

كانت هذه الأنشودة عليها مسحة خفيفة من الأسلوب الأدبي وفي الوقت نفسه تحتوى على مادة هامة بالنسبة للموضوع الذى نفحصه الآن فقد أوردت ترجمتها هنا بشيء من التصرف :

تعال إلى يا « أوزير بوخيس » يا سيدى العظيم !
ليتك تعيش ملايين السنين . وليتك تتمتع بأبدية الشمس .
إنى خادمك يا سيدى العظيم
وإنى أناديك بصوت عال ولا أمل النداء .
وان نداآتى عديدة ليلا وجولاتى نهارا
إن الهم ثقيل على
وإنى صغير جداً ضدهم جميعاً .
إنى أناديك دون أن أمل النداء
ولا أنصب من نداء الله
فهل عنده وقت موته عند ما لا يصغى ؟
إنى أناديك وأنت تسمع ما أقول .
وإذا نادينا فانك تسمع . تعال إلى يا سيدى .
ليتك تعيش ملايين السنين وليتك تجعل السرور فى الأراضى فى كل السرمدية .

وعلى الرغم من وجود مثل هذه التضرعات والتمنيات التى يقدمها الأفراد للثور « بوخيس » ، فلا بد أن نعترف مع ذلك أن سبب قلتها يرجع على ما يظهر إلى أنه لم يحتل مكانة وثيقة فى قلب الرجل العادى فى مصر . وإذا كان هذا الدليل قد ظهر مبكراً عن هذه الفترة ، فان ذلك يعد برهاناً على أن

« بوخيس » لم يكن الآله المحلى ، وذلك لأن الآلهة المحليين هم الذين يبقى الناس على الولاء لهم على مر الأزمان ، ولكن عند ما يبدأ يظهر « بوخيس » فى الأزمان المتأخرة فانه يكون من الخطر أن نستنبط أية نتائج . على أنه قد يمكن — إذا قامت حفائر فى منطقة معبد « أرمنت » — ظهور آثار تدل على مثل هذا المعبد أو أن الدفنة الأصلية له إذا عثر عليها يمكن قرنها بالسرابيوم فى هذا الصدد .

وكان الثور « بوخيس » أثناء حياته يلبس تاجاً كالذي كان يلبسه بعد الموت ، غير أنه كان على ما يحتمل أكبر حجماً وأمتن صناعة . ويحتمل أن القرص وإطار الريش اللذين كان يلبسهما كانا مصنوعين من ورق من للذهب بدلا من الخشب المذهب . يضاف إلى ذلك أن التطعيم الذى كان فى الريش مصنوعا من اللازورد بدلا من الزجاج . ومن الممكن أن « بوخيس » كان يرتدى شبكة من نسيج ما بقصد ابعاد الذباب عنه ، وكانت الأحفال التي تقام له — كما شاهدنا من الأوصاف التي جاء ذكرها فى الأحفال الرسمية التي كانت تقام له أثناء ذهابه من «طيبة» إلى « أرمنت » بعد تنصيبه — غاية فى البهجة والعظمة . فقد كان يصحبه الكهنة والموسيقيون وحاشية عظيمة . هذا إلى أن هذه الأحفال كانت مصحوبة بمظاهر الفرح العمم — على الأقل — بصفة رسمية .

والآن يبرز أمامنا سؤال هام عن عزوبية الثور « بوخيس » . وليس لدينا برهان مباشر على أن « بوخيس » كانت له أية رفيقة ، ولكن تقوم فى وجه ذلك معارضة كبيرة لأسباب دينية .

ولدينا الأدلة الغزيرة التي تبرهن على أنه عند ما يرى قوم مبدأ الخصب

متقمصاً رجلا ، وهو الملك عادة ، فان من المفروض دائماً أن ينقل هذا الخصب للقوم والأراضى بالاستعمال لا بالحفظ والكبت . ولقد كانت الحال على هذا المنوال لدرجة أنه فى كثير من القبائل كان الانذار بموت الملك وتنصيب آخر مكانه يرجع إلى عدم قدرته على اشباع الغريزة الجنسية عند أزواجه العدة[1] . ويظهر نفس المبدأ فى عبادة «أفروديت» ، وذلك بممارسة مبدأ الاخصاب لا بكبته[2] . ولا نزاع فى أن المصريين كانوا فى عهد ظهور سجلات « بوخيس » غاية فى السفسطة ؛ غير أنه من المستغرب إذا كان « بوخيس » رمز الخصب ، أن يكون أعزباً ، وهذه دون أى جدال فكرة بعيدة كل البعد عن الديانة المصرية ، وكذلك عن كل الفكر المصري . ولا يغيب عنا هنا فى هذا الصدد أن فكرة كون « أبيس » إله يجلب الخصب لم تكن قد ماتت فى العصور التاريخية المتأخرة ، فقد روى « يوزيب » فى هذا الصدد[3] ما يأتى : « إن المصريين كانوا يعبدون كلا من العجل « أبيس » والعجل « منيفيس » لأن الثيران قد ساعدت الكاشفين على محصول القمح فى زرعهم وفلاحتهم المعتادة .

وعلى أية حال فان أول اتجاه يجب أن نولى وجوهنا شطره للحصول على بعض البراهين التى تدل على وجود صاحبة للثور « بوخيس » هو البقرات المقدسات وبخاصة البقرة « حسات » التى كانت تعبد فى بلدة « اطفيح » (= أفرو ديتوبوليس) ؛ غير أنه ليس لدينا أى أثر يدل على وجود شئ

(١) راجع G. Frazer the Golden Bough. abdidged Ed. pp. 246.

(٢) راجع Ibid., pp. 335-341.

(٣) راجع Eusebius Praeparatio Evangelica II,

من هذا ، ولذلك فإن مثل هذا الفرض لا يجد ما يبرره . وفى عالم الروحانيات توجد اقتراحات بأن « حتحور » كانت صاحبة « بوخيس » ، غير أن ذلك لا يبعدنا فى شىء فى عالم الماديات .

وأهم سؤال أمامنا — إذا فرضنا أن « بوخيس » كانت له صاحبة — هو التصرف فى البقرات والعجول . ودفنات البقرة الوحيدة التى عثر عليها فى جوار البوخيوم هى دفنات أم « بوخيس » . وبالقياس مع الملك الذى كان إلهياً ، فإنه لن يكون وجه اعتراض على زواج « بوخيس » من أمه ، غير أنه يحول دون ذلك أنها كانت تعتبر عذراء . ولدينا البرهان القوى من المصادر الكلاسية على أن أم « أبيس » كانت تعتبر عذراء عند ولادة « أبيس » وكذلك فيما بعد ، وقد لخص لنا « مريت » هذا الموضوع [1] فنجد أنه قبل الدليل الذى ذكره المؤلفون الكلاسيون . وفى صفحه ٩٣ من هذا المقال نفسه يقول أن « أبيس » هو صورة « أوزير » نفسه ، ولكنه الصورة المكررة لحياة « بتاح » وابن « بتاح » وأن أم «أبيس» حملت من « بتاح » فى صورة نار سماوية من السماء . ويناقش « مريت » فى الصفحة العاشرة من نفس المقال النظريتين اللتين كان يتمسك بهما فى الأزمان الكلاسية عن زواج « أبيس » فيقول : أن أزواج « أبيس » معروفات لنا » .

ويتحدث « اليان » عن الأماكن التى كانت تحفظ فيها العجلات المختارة — من بين أجمل ما فى مصر — لأجل استعمال «أبيس»[2]. غير أن هذا البيان — الذى لم يذكره إلا «اليان» من بين الكتاب القدامى — يظهر أنه غير أكيد . ومن جهة أخرى نجد أن «بليى» و « اميان » و « مارسيلان » و «سولين» كانوا على

(١) راجع Mémoires sur la Mère d'Apis (Paris), 1856.

(٢) راجع Aelian, Hist. Anim. I. XI. 10.

حتى أكثر عند ما أعلمونا أنه فى جميع السنين التى كان يعيشها « أبيس » كان تقدم له بقرة عليها بعض علامات مقدسة خاصة ، وأنه كان يقضى على البقرة فى نفس اليوم بعد أن ينزو عليها « أبيس »[1]. وغرابة هذا الأمر تعتبر بمثابة ضمان لصدق أولئك الذين عرفونا به . وذلك أنه لما كان المؤرخ « اليان » قد انساق مما تقتضيه قصته وهو يفاخر ببهجة معبد « « أبيس » ، قد فرض بطبيعة الحال وجود زوجات عدة للآله جديرات به . وعلى العكس نجد أن « بلينى » لم ينقل إلينا إلا ذكر عادة أكيدة ، وذلك على وجه التأكيد لأن عادة هذا النوع لا تخترع . وعلى أية حال أليست هذه مسألة مذهب ؟ فأبيس بوصفه إلها ابن نفسه[2] ، أليس له الحق فى أن ينجب آلهة آخرين ؟ وهل يمكنه أن ينجب حيوانات أخرى من نوعه ، وهى بوصفها أولاد « أبيس » لا يمكنها أن تكون عجول « أبيس » نفسها أو بعبارة أخرى تصبح ثيراناً تتقمص الطوابع الإلهية ؟

وبمقدار هذه الاعتبارات التى تجعل ما ذكره « اليان » مستحيلا ، فانها من جهة أخرى تزيد فى قيمة ما ذكره لنا المؤرخون الآخرون ، وعلى ذلك فان « أبيس » كان له زوج أو بعبارة أصح كانت تقدم له عجلة كل عام ولكنها بعد أن يأتيها كانت تذبح وذلك لأن القانون المصرى كان لا يرغب فى أن يخلد « أبيس » نفسه .

أما ما جاء على الآثار فى هذا الصدد فليس لدينا أية إشارة عن زوجات

---

(١) راجع Pliny, N.H. VIII, 186, Solin 32, 20, Ammiaanus, Marcellinus XXII, 14, 7.

(٢) كان الأله وكذلك الملك يسمى ثور أمه أى هو الذى يأتيها فتضع ، وبذلك كان يسمى ابن نفسه .

«أبيس» . حقاً نجد فى الفصل الثامن والأربعين بعد المائة من الشعائر ، ذكر الثور السرى وسبع البقرات صاحباته ، وكذلك نجد ، على مسلة « باربرينى » (Parberine) التى نحتها الامبراطور « أدريان » لتقام أمام قبر « انتينوس » (Antinous) نقشاً — خاصاً بمصر — جاء فيه : « هذه الثيران الأربعة مع إناثها[1] » . ولكن نجد فى الحالة الأولى ، أن المقصود هناك حيوانات خيالية محضة ، وفى الحالة الثانية لا نعرف إذا كان « أبيس » هو أحد الثيران الأربعة المقتبسة فى النص ، وإذا كان من جهة أخرى — على حسب ما يقتضيه المعنى اللغوى فى هذا العصر — تعنى كلمة « حمت » بصورة عامة البقرة أكثر من المعنى الدقيق لها وهو « زوجة » ، وعلى ذلك فان سبع بقرات الشعائر لا تبرهن على شىء أكثر من أنها أربع البقرات التى جاءت على مسلة « باربرينى » ، لأن الأولى على وجه التأكيد ليست تلك البقرات التى جعلها عباد « أبيس » تتبع الآله ، وأن الأخرى حتى لو فرضنا أنها لم تكن بقرات أمهات ، فيمكن كذلك أنها كانت زوجات لثيران لم يكن « أبيس » يعد من بينها وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر أن الآثار قد صمتت على أن « أبيس » أو « بوخيس » كان له رفيقات .

والسبب الذى أعطاه « مريت » عن قبوله رواية الكُتاب الكلاسيين باستثناء المؤرخ « اليان » — وذلك بسبب صعوبات ولادة عجول — صحيح ، غير أن « مريت » لم يلتفت إلى جبانات البقرات ، وعلى ذلك لم يشر إلى أن هذا التفسير يحل كذلك مسألة التصرف فى الزوجات . فاذا كان كل من

---

(١) راجع G. Zoega, de Usu et orig. Obeliscorum, Roma, 1797, L.M. Ungarelle Interpretatio Urbis Roma 1842, Planches.

« أبيس » و « بوخيس » لم يكن متزوجاً ولكن كان يؤتى له من وقت لآخر بعجلة تذبح بعد أن يأتيها ، فان هذه العجلة لن تحمل أية قداسة لأن مركزها كان لا يزيد عن كونها سخطية ، ولذلك فانه بعد تضحيتها كان من الممكن أن يأكل الكهنة لحمها دون أى اعتراض . وهناك اعتراض واحد على قبول القصة التى رواها المؤلفون الكلاسيين وهى أن مثل هذا العمل الذى يؤديه الثور وهو ما يمكن تصديقه ، أكثر من أنه يبقى أعزب ، لا يكاد يتفق مع ما ينتظر من آله خصب . وعلى ذلك فان قيام الثور فى هذه الحالة بوظيفة فحل يمكن أن يكون نشاطاً محتملا جداً (وتنقلات « بوخيس » تمهد هذه النظرية) ؛ غير أنه إذا لم يكن لدينا دليل آخر فلا بد لنا أن نقبل ما رواه الكتاب الكلاسيون عن « أبيس » وتطبيقه على « بوخيس » أيضاً .

النهاية التى كان يلقاها « بوخيس »

أما عن النهاية التى كان يلقاها « بوخيس » ، فليس لدينا كذلك أى بيان شاف . فلدينا خمسة ثيران ، وهى التى عاصرت « بطليموس العاشر » ، و « بطليموس الحادى عشر » و الأباطرة « أغسطس » (الثور الأول) و « تيبريوس » و « كمودوس » (Commodus) ، عاش كل منها ثمانية عشرة سنة ، وكذلك لدينا ثلاثة ثيران عاش اثنان منها فى عهد « بطليموس السادس » وثالثها عاصر الامبراطور « أغسطس » (الثور الثانى) ، وقد عاش كل منها سبع عشرة سنة . وكان متوسط حياة الثور « بوخيس » — باستثناء الثور الثانى الذى عاش فى عهد « أنتونيوس بيوس » وقد مات قبل أوانه — عشرين عاماً وثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يوماً . وسواء أكان قد وضع حد مقداره ٢٥ سنة أم ٢٨ سنة لمدة حياة الثور ، فان ذلك لا دخل له هنا ، لأنه لم يعرف لدينا

عجل قد عاش مدة طويلة كهذه . وما يمكن أن نستنبطه بداهة من الأرقام التى أمامنا هو أنه — على الأقل فى هذا العصر — كان يترك الثور إلى أن يموت حتف أنفه . ومن الممكن أن العجل كان يقتل عند ما تظهر عليه علامات المرض أو تبدو عليه أمارات الشيخوخة ، وإذا كانت الحالة الأخيرة هى التى قضت بقتله فان ذلك يرجع إلى أنه لم يقم بتأدية الوظيفة الجنسية ؟

ولا نعرف أبداً أية حالة قتل فيها الثور ليحل محله آخر يحمل كل العلامات المطلوبة ، كما أنه فى كل حالة نجد أن ولادة ثور جديد كانت قد سبقت موت سلفه . ومهما يكن من أمر فانه من الممكن أن تاريخ ولادة الثور الجديد يكون قد لعب فيها الغش دوره على أيدى الكهنة .

والمعلومات التى لدينا عن موت الثور أغزر بكثير عن التى تحدثنا عن حياته . وأحسن مرشد لدينا عن الأحفال الخاصة بتحنيط الثور ونقله إلى البوخيوم ما جاء فى « ورقة أبيس »[1]. ففى هذه الوثيقة نجد وصفاً مختصراً للأحفال كما نجد وصفاً للتحنيط الفعلى للعجل « أبيس » . وهاك وصف عملية تجهيز المومية : وهى ترجمة مؤقتة نقلت عن الترجمة التى وضعها سبيجلبرج

« يجب عليهم أن يتموا عمل محراب آخر ويجهزوه بالكتان الأحمر . ويجب على كهنة هذا الآله أن يكونوا مجهزين برباط من الكتان الأحمر . ويجب على الكهنة الذين يرتدون كتان « سشد » أن يدخلوا المحراب المجهز بكتان أحمر ، وعليهم أن يدخلوا المحراب المجهز بكتان سشد وهم مجهزون بالكتان الأحمر .

وبعد ذلك عليهم أن يحملوا سرير الراحة الذى كان تحت الإله . وعليهم

(١) راجع Demat. Pap. Wien No. 27, A.Z. LVI, p. I. Ein Bruchstuck des Bestatungstritual der Apissture.

أن يقطعوا ألسنهم ويحضروا الـ . . . . ولا بد أن يؤسسوا . . . . ويحضروها إلى المكان الذى نصب فيه محراب الإله . ويجب عليهم أن يعملوا مسافة من مادة (فوق) السقف المصنوع من السرو الذى بجانب باب قصر الملك الذى يؤدى إلى الحظيرة المقابلة للجدار الجنوبى من مكان الثور « أبيس » الواقع فى الجدار الشرقى لبيت «قبح» (التبريد) ؛ ويجب عليهم أن يفتحوا الباب الذى فى الجدار الشرقى للحظيرة ويخرجون من هذا الباب كما وجدوه فى السنة الرابعة والعشرين من عهد الفرعون « رعمسيس الثانى » ، وذلك من الباب المبنى بالحجر الموجود فى الجدار الغربى للحظيرة وهو الذى خرج منه (أى الثور) فى السنة الثانية عشرة من عهد الفرعون « ابريز » .

ويجب عليهم أن يدخلوا للآله من باب الحظيرة فى حين تقف الكاهنات خلفه .

ويجب عليهم أن يدونوا نقشاً على الجدار الغربى للحظيرة التى فى الممر .

ويجب أن يقام جوسق فى اليوم الأول على شاطىء بحر الملك بعد أن يكون قبره قد جهز بنسيج . وستكون تعاويذه على حسب اللفافة المذكورة أعلاه . ويجب أن يكسوها أولا بنسيج مقدس طوله ثمانين ذراعاً كما يأتى : عشرون ذراعاً فى مكان . . . ٦٠ ذراعاً فى كل من أركان الجوسق الأربعة . ويجب عليهم أن يدخلوا إلى المكان الغربى أولا بعد أن يكون قد خرج من المكان الشرقى . وعليهم أن يحضروا الـ . . . إلى المقصورة . ويجب عليهم أن يحضروا طرف الحبل بأيديهم إلى التابوت ويجروه إلى الخارج . وعلى الكهنة أن يجروه إلى الداخل . وعلى كل الناس أن يصيحوا صيحة حزن عظيمة

ويبكون على إله البيت العظيم . وعلى الكهنة أن يأخذوا طرف الحبل من يد (الآحاد الكبار لبيت) آله النيل ،

ويجب عليهم أن يدخلوا البحيرة مع « أزيس » و « نفتيس » أمامه وبأيديهم آنيتان من النطرون وعشرة أربطة «منخت» (رباط من النسيج الأبيض) والآله « وبوات » الوجه القبلى و « وبوات » الوجه البحرى و « رع » و « تحوت » وسرير « بتاح » تكون أمام هذا الآله . ويجب عليهم أن يجعلوا الآله يرتاح على سرير من الرمل بحيث يكون وجهه نحو الجنوب . ويجب على الكهنة الذين دخلوا المحراب أن يذهبوا إلى البحيرة ويذهبوا إلى قارب البردى مع المحراب . ويجب عليهم أن يقوموا بعمل مديرى الدفة . ويجب عليهم أن يقرأوا تسع اضمامات بردى على المركب وهى :

١ — تعليمات لرحلة اليوم الأول .

٢ — حماية قارب « نشمت » .

٣ — حماية « بوتو » .

٤ — تصميم وجهك .

٥ — تأليه « أوزير » المغرق .

٦ — حماية القارب .

٧ — طرد « أبيب » (اله الشر) .

٨ — الحظ السعيد .

٩ — فتح الفم .

ويجب عليهم أن يذهبوا إلى الجوسق للآله ويفتحوا فمه فى أماكن الجوسق الأربعة وحدهم تماماً . ويجب أن يؤدوا له كل الأحفال التى فى الشعائر .

ويجب عليهم أن يجعلوا الآله يدخل باب مكان التحنيط . ويجب أن يقاد هذا الآله إلى باب بيت الأفق إلى قاعة مكان التحنيط . والآحاد العظام لبيت إله النيل يجب عليهم أن يلقوا لبنات أمام التابوت لأجل ألا يمكنه الذهاب إلى مكان التحنيط . ويجب على الكهنة المرتلين والكهنة أن يجروه . ويجب على الكاهن المطهر أن يأخذ المحاريب من أيدى الكهنة الذين يحملونها . ويجب عليهم أن يجعلوه يرتاح فى السرادق . ويجب على الكاهن المرتل أن يفك مادة التابوت . ويجب على الكاهن المرتل أن يبرز . ويجب عليه أن يغطيه ويزينه . ويجب عليهم أن يؤدوا شعيرة فتح الفم له بجميع ما يلزم لها . وبعد ذلك يجب على كهنة البحيرة والطريق (؟) والكاهن المرتل أن يجمعوا كل الأشياء التى يحتاجون إليها فى حجرة التشريح » .

هذا ولدينا معلومات أخرى معروفة عن التحنيط . ولا نزاع فى أن « ورقة أبيس » التى ترجمناها هنا لا تقدم لنا إلا وصفاً غير كامل ؛ هذا فضلا عن أن المتن مليء بالأخطاء ، غير أن بعض الأجزاء قد وصفت وصفاً كاملا . وفى الأماكن التى كان من الممكن أن تعادل البيانات التى جاء فيها بما جاء من نتائج حفائر البوخيوم التى عملت فى أرمنت ، وجدت مطابقة كبيرة بين المصدرين .

وطريقة التحنيط التى كانت مستعملة هى الطريقة الثانية التى جاءت فى « هردوت » . وقد عثر على مجموعة كاملة من الآلات التى كانت مستعملة فى هذه العملية فى البوخيوم وكان الثور يربط بلفائف بدقة واتقان ، وفيما بعد كان يربط فى رقعة من الخشب بأربطة ذات دثر مثبتة فى الخشب . وكان الرأس يجبس ثم يغطى الجبس بورقة من الذهب . وكان يربط — بين قرنى الثور —

نسخة طبق الأصل من التاج الذى كان يرتديه الثور فى حياته ، ومن المحتمل أنه كان بحجم أصغر ، وهذه النسخة كانت مصنوعة من الخشب ومغطاة بورقة من الذهب ، فى حين أن أزغاب الريش التى كانت فى التاج قد صنعت من الزجاج الأزرق .

ومن المحتمل أن العينين كانتا تصنعان — على ما يظن — قبل مرحلة وضع الجبس . ففى بادئ الأمر كانت العينان تنحتان من الحجر وتثبتان فى مقابض من البرنز ، وفيما بعد كانت تصنع من زجاج مثبت فى مقابض من البرنز ، وفى النهاية كانتا تصنعان جميعاً من الزجاج . وأجمل الأمثلة التى عثر عليها كانت تصنع من قطع منفصلة من الزجاج المختلف الألوان ، وفى النهاية كانت العين لا تمثل إلا بقطعة من الزجاج الشفيف اللون مع طلاء ذى لون أسود يمثل إنسان العين . ومن المحتمل أنه فى حالة الموميات التى ليس لها أعين صناعية كانت العين تصور بألوان على كتان . .

ومن المحتمل أنه فى حالة التوابيت التى كانت تتألف من قطعة واحدة من الحجر ، كانت المومية توضع فى تابوت قبل أن ينزل الأخير فى القبر ، غير أنه فى أمثلة الدفن التى كانت تحتوى على عدة توابيت حجرية كان العكس هو الذى يحدث . وفى عهد الملك « نقطانب الثانى » كانت الحجرة الجنازية والاستعدادات تعمل على نطاق أوسع وأفخم عما كانت عليه فيما بعد . فقد كان لثور « نقطانب الثانى » تابوت من الجرانيت فى حجرة مكسوة بالحجر وبجانبها قبوة للقربات . وفيما بعد كانت قبور « بوخيس » تنحت فى الصخر ؛ وعلى الرغم من وجود ردهة أمامية ، فإنها لم تكن تستعمل

للقربان بل كانت تحتوى على المنزلق الذى ينحدر منه التابوت الذى كان يجر إلى القبر وفى العهد الذى جاء مباشرة على أعقاب عهد « نقطانب الثانى » أى فى حكم كل من « أخوس » و «ارسس» و «الاسكندر الإكبر» و«الاسكندر الرابع» ، دفن ثوران ؛ غير أنهما لم يدفنا فى توابيت . وفيما بعد كانت تستعمل التوابيت المصنوعة من حجر واحد ، غير أنها كانت من الحجر الرملى . ويلحظ أنه قد حدث تدهور سريع فى النصف الأول من عهد « بطليموس الخامس » فى صناعة التوابيت ، إذ كانت وقتئذ تنحت التوابيت من نوع رخيص جداً من الحجر . وحوالى منتصف النصف الأول من عهد الامبراطور « تيبريوس » حدثت نهضة جديدة فى العناية بالثور « بوخيس » ، فقد كشفت أعمال الحفر عن تابوت منحوت نحتاً جميلا « لبوخيس » ، وقد ظلت هذه العناية مرعية حتى عهد الامبراطور «كاركلا » . وبعد هذا العهد انقطع استعمال التوابيت المصنوعة من الحجر . وقد لوحظ أن آخر ثورين دفنا فى ممر فى البوخيوم ، والثور الذى قبل الأخيرين كان قد دفن فى قبوة للدفنة العاشرة وهى دفنة ثور « نقطانب الثانى » .

ويلفت النظر أنه فى كل الدفنات عدا دفنة ثور « نقطانب الثانى » كانت القربات والأثاث نادرة . فكان فى هذه الدفنة جرة « نمست » منقوشة باسم « بوخيس » لأجل الملك ، وقنانية منقوشة من الشبة وإناء « كبح » من الشبة ، وتمثال « إيبيس » من الخشب المذهب على زحافة ، وابن آوى مصنوع من خشب ملون . ومن الممكن أن الأخير كان واقفاً على صندوق ويشبه أبناء آوى المصنوعة من الفخار فى السرابيوم . وفضلا عن ذلك كان يوجد مع الثور دون شك القربات التى كانت تتألف من مصابيح وبخور ومائدة

قربات من الجرانيت ، كما كان يوجد بطبيعة الحال اللوحة الرسمية ، وكانت كل لوحة توضع مستندة على سدادة قبرها وترتكز على لوح من الحجر ، وكانت توجد واحدة دون شك لكل قبر فى البوخيوم . وكان يدون — على كل لوحة — الحوادث الهامة فى حياة الثور أى ولادته وتنصيبه وموته ، وفى العادة كان يذكر عليها مدة عمره . وكانت هذه الحوادث يعبر عنها باعتقادات ملؤها الإيمان بفخار حياته فى عالم الآخرة . وفى غالب الأحيان كان يسجل على هذه اللوحة بعض الحوادث الأخرى التى وقعت فى حياته ، هذا وقد رتب الأستاذ « فيرمان » لوحات الثور « بوخيس » فى خمسة أنواع على حسب صيغها : الأول : هى لوحات العهد البطلمى المبكر وتبتدىء من عهد « نقطانب الثانى » حتى « بطليموس الخامس » ، والثانى : عهد البطالمة الوسيط وقد مثل فى لوحتين من عهد « بطليموس السادس » . الثالث : عهد البطالمة المتأخر من أول « بطليموس السابع » حتى « بطليموس الحادى عشر » ، الرابع : عهد الرومان المبكر من أول « أغسطس » حتى عهد « تيبريوس » (وهنا فجوة كبيرة ، واللوحات التى جاءت فى خلالها يمكن أن تكون تابعة لهذا النوع أو الذى بعده) . والخامس : هو العهد الرومانى المتأخر ويبتدئ من أول « دوميشيان » حتى « ديوكليشيان » .

موائد القربان فى مدافن « بوخيس »

لم يكن من المستطاع تأريخ موائد قربان « بوخيس » ولا ترتيب أنواعها من النقوش ولا من الرسومات التى جاءت عليها وذلك لأن كاهناً كان قد وجد اسمه على إحدى موائد القربان هذه وقد وجد بوصفه مالك ورق مقوى

سرق من الجبانة رقم ٤٠٠ على حسب ترقيم « فيرمان »[1] وهو الآن بالمتحف البريطانى (برقم ٦٩٦٩) . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الموائد كانت تستعمل بعد دفن الثور . والبراهين على ذلك نجدها فيما جاء على الأستراكا التى عثر عليها فى هذه الجهة . ففى القسم الخاص بالحسابات يوجد مبلغ دفع لسقاء ماء ملح ؛ وكان من المسلم به أنه يقدم هذا الماء الغريب بمثابة شراب للثور المتوفى .

وكذلك وجدت كميتان من عطور المر والبخور موردة لمعبد البوخيوم على دفعتين بتاريخ لم يكن من الممكن فيه حدوث دفن ثور. وكان من الممكن أن يقرب المر والبخور فى مباخر فى المصابيح التى عملت لهذا الغرض ، ولكن النطرون والماء الملح كان كل منهما يصب على مائدة القربان . أما المصابيح العالية التى عثر عليها خارج المقابر فمن الجائز أنها كانت للقربات أو لمجرد الاضاءة . ومن الجائز أن ممرات البوخيوم كانت تفتح أبوابها فى مناسبات خاصة لعامة الناس كما كانت الحال فى السرابيوم وعندئذ كان يحتاج للمصابيح لإضاءة كل من اللوحة التذكارية والمكان الخاص لتقديم القربات . وكانت توجد كذلك قربات تؤكل ، وهذه كانت بعد أن تقرب رسمياً للثور تصبح ملكاً للكهنة الذين كانوا يأكلونها . وكان جزء من الدخل الكهنى يتألف من مثل هذه الهبات .

كهنة البوخيوم وعددهم

من الصعب أن يقدر الإنسان عدد موظفي البوخيوم من كهنة وغيرهم ، فالحسابات الديموطيقية التى عثر عليها ذكرت عشرين أو أكثر من الموظفين ، ولكن يظهر أن هؤلاء هم موظفو المعبد الذى كان يسكن فيه « بوخيس »

(١) راجع J.E.A. XVII, pp, 223 ff, pl, XLII ff.

لا موظفى البوخيوم . والظاهر أنه لم تكن هناك أبنية فوق البوخيوم كافية لسكنى عشرين موظفاً . ومن جهة أخرى فان اسم الكاهن الأكبر وهو « بتوسور بوخى » يرجح أن يكون اسم الكاهن الأكبر للبوخيوم أكثر من أن يكون كاهناً أكبر لأى معبد آخر فى « أرمنت » . ومن المهم فى هذه المناسبة أن نلحظ هنا على حسب ما ذكره المؤرخ « بيفان »(١) أن فرداً يدعى « بتيسيس » (Petisis) (فى عام ٩٩ ق . م) كان محنطاً لكل من «أبيس» و « منيفيس » . والظاهر أن محنط البوخيوم لم يكن يستخدم على ما يظهر لتحنيط أى حيوان آخر ، غير أنه مما لا يكاد يشك فيه أن المحنطين كانوا يعملون فى تحنيط أشخاص عاديين عند ما لا يكونون مشتغلين بدفن ثور . وجاء على تذكرة مومية إغريقية(٢) النص التالى :

إلى « هرمونيس » « تا ازيس » (Thaisis) ابنة « سنتوتيوس » (Senthoteutis) لتورد بوساطة ابن زوجها (المسمى) « بيكوس » إلى « بسنونريس » (Pseneoneris) حفار القبر مع اشعار عند البوخيوم لـ « بسنوتريس » حانوتى الحيوان المؤله « بوخيس » ، بأنه قد دفع أجر الشحن والضريبة والمصاريف ، ٢٦ كيهك .

وعلى أية حال فان هذا الجسم المقصود هنا كان قد حنط ، وأنه لم يكن مطلوب من أجله غير الخدمات الخاصة بالبوخيوم .

ومن المحتمل أن الكاهن « أحمس » بن « سمنديس » الذى ورد ذكره

(١) راجع E.R. Bevan History of Egypt, The Ptolemaic Dynasty p. 186 n. I.

(٢) راجع The Bucheum vol. II. p. 27.

فيما سبق هو أحد كهنة البوخيوم الأول إن لم يكن أولهم . ولم نجد أية آثار تدل على وجود مكان للكهنة إلا بقايا مبنى عديم الأهمية جداً فى داخل جدار حرم المعبد ، يضاف إلى ذلك أن المبانى التى كانت تقام فوق البوخيوم كانت كذلك لا قيمة لها ، والظاهر أن كل الوظائف الكهنية كانت تؤدى فى معبد «أرمنت» ، وأنه لم يكن فى البوخيوم أكثر من الحرس إلا الشيء اليسير . وتوجد بقايا ما يمكن أن يطلق عليه مساكن الكهنة فى قرية البقارية الرومانية . وكان الكهنة يدفنون على الأقل فى خلال العهد المتأخر من حكم البطالمة فى الجبانة رقم ٤٠٠ ، وتقع فى الجنوب الغربى للبوخيوم بالقرب من جدار حرم المعبد . وهذه الجبانة قد نهبت نهباً ذريعاً ، ولكن بقى لنا قبر أو قبران لم تمسهما يد اللصوص . ويرى فى متاحف العالم المختلفة توابيت من الورق المقوى فى المقابر المنهوبة . وكان الكهنة يدفنون مع أقاربهم فى أضرحة أسرية . وكانت تستعمل وقتئذ توابيت مصنوعة من الفخار ، وكانت تغطى كل مومية بكرتون ملون . ولم يوجد لقب كاهن «بوخيس» إلا على واحد من هذه الكرتونات وهو محفوظ بالمتحف البريطانى برقم ٦٩٦٩ . أما سائر الكرتونات التى كشف عنها فكانت إما قد أصابها التلف بصورة بالغة ، فلم يكن من المستطاع معرفة صاحبها أو أن القسم الذى فيه النقش الذى يحتوى على اسم صاحبه وألقابه قد ضاع .

والجزء الخاص بالتابوت رقم ٦٩٦٩ جاء فيه . «نطق : يا أوزير المحنط «لأوزير بوخيس» ، و «حب إب رع» المبرأ . أن «أنوبيس» الذى فى لفائفه . سيد «تاجسر» (الأرض العالية = الجبانة) يأتى إليك بمنحك دفنة «طيبة» فى غربى «طيبة» . والكاهن الذى ذكر اسمه هنا قد جاء اسمه على

مائدة قربان من البقارية . ويمكن تأريخ الورق المقوى الذى يغطى تابوته بحوالى ٦٠ ق . م . ويلحظ أن البوخيوم فى العصر الرومانى المتأخر كان فى تدهور مستمر يشبه ذلك التدهور الذى كان يحدث فى معظم الفنون والعادات المصرية القديمة . وتوجد بعض الأدلة على أنه فى هذا التاريخ كانت أم « بوخيس » قد أخذت تحتل مكانة أكثر أهمية بالنسبة «لبوخيس» عما كانت عليه من قبل . واللوحة الوحيدة المنقوشة لبقرة يرجع تاريخها للامبراطور « كوموديوس » . وكانت البقرات فى خلال كل العصر الرومانى تدفن فى مقابر مبنية بناء حسناً فكانت قبواتها تقام بالآجر ، غير أن ذلك يمكن أن يكون سببه فقط للفرق بين الصخر عند الموقعين . وأول مقابر أقيمت فى البقارية هما دفنتان لبقرتين فى قبوتين من اللبنات ، وكانت كل منهما تحتوى على تابوت من الحجر الرملى ، فى حين أن الدفنة الثانية فى البوخيوم لم يكن لها تابوت ، ويفسر ذلك بأنه إذا كانت أم الثور الذى عاش فى عهد «الإسكندر الأكبر» قد ماتت فى خلال عهد « نقطانب الثانى » ، وأن قبراً كان قد بنى وقتئذ لها يشبه القبر الذى كان قد أقيم لسالفتها .

والدفنات المبكرة فى بقارية كانت عموماً أفقر من التى كانت فى البوخيوم . وأم الثور الذى عاش فى عهد « نقطانب الثانى » قد أقيم من اللبنات ، وعلى ذلك لم يكن لها قبوة من الحجر كالتى كانت لابنها ، يضاف إلى ذلك أنه لم يكن لها قبوة للقربات .

والدفنات التى من عهد البطالمة لم يكن فيها توابيت ، وكانت الثيران تدفن فى حجرات منحوتة فى الصخر نحتاً رديئاً كما لم تكن منتظمة الشكل . هذا وقد عثر على موائد قربان فى البقارية وكذلك عثر على مصابيح تشبه التى وجدت فى البوخيوم . ولم يعثر على لوحات غير اللوحة التى تنسب إلى عهد

« كومودبوس » وهى التى ذكرناها فيما سبق ، وكذلك لوحة محفورة غير أنها ليست منقوشة من عهد « دقلديانوس » عثر عليها فى دفنة منفصلة خارج البقارية . وقد تعرض البوخيوم فى خلال كل تاريخه إلى تصدعات فى السقف وفى جدران كل من المقابر والممرات ، ولم تنج البقارية من نفس هذه الكوارث . ويرجع السبب فى ذلك إلى رداءة الصخر إذ لم يكن فى كل من الموقعين صالحاً لمثل هذه الأضرحة ، وكذلك يرجع السبب جزئياً للكهنة الذين لم يتركوا مسافات كبيرة كافية بين المقابر إلا فى الدفنات الأولى القليلة العدد . وقد عملت محاولات مختلفة لاصلاح هذه التصدعات فى العهد البطلمى غير أنها كانت تعمل دون عناية ودقة .

وفى العهد الرومانى بذلت مجهودات حقيقية لمعالجة هذه التصدعات . ففى البوخيوم أقيمت جدران قوية من الآجر ودعامات فى الممر الجنوبى وفى مقبرتين كانتا آيلتين للسقوط ، وفى البقارية عملت كذلك إصلاحات متقنة ، فقد أقيمت قبوة من الآجر فى طول الممرين الشمالى والجنوبى باستثناء النهاية القصوى .

وعلى أية حال فان نهاية تاريخ البوخيوم ليس مؤكداً فالثور الذى كان فى عهد « دقلديانوس » دفن فى البوخيوم ومعه لوحة رسمية وهى أحدث لوحة فى الوجود نقشت باللغة المصرية القديمة . أما أمه فقد دفنت كما وصفنا ذلك من قبل . وتوجد لوحتان أخريان غير منقوشتين حفر على كل صورة بقرة بوجه كامل وقد بيعتا على أنهما مستخرجتين من « أرمنت » . ومن الممكن تماماً أنه إذا كان خلف الثور الذى عاش فى عهد « دقلديانوس » قد أتلف فان أمه لا بد كانت قد دفنت بالطريقة الصحيحة قبل ذلك الوقت ، غير أنه من المدهش تماماً أن تكون عبادة هذا الثور قد قضى عليه فى تاريخ مبكر كهذا ـ

فالسرابيوم لم يكن قد قضى عليه حتى عهد « تيودوسيوس » (٣٧٩ — ٣٩٥ م) (Teodosius) ، والمعتقد بوجه عام هو أن الديانات الوثنية قد عاشت زمناً أطول في ذلك العهد في الوجه القبلي أكثر مما عاشت فى الوجه البحري . ومن جهة أخرى كان للديانة المسيحية مركز هائل فى إقليم « طيبة » ، ومن الممكن أن أتباع « بوخيس » قد أصبح عددهم ضئيلا لدرجة أن عبادته قد تلاشت وبعبارة أخرى قد صفى حسابها طوعاً بمقتضى الأحوال . ومهما كانت حقيقة نهاية أمر هذه العبادة ، فان السادس من شهر هتور (٣ نوفمبر) من عام ٢٩٥ بعد الميلاد كان يعد آخر قبس للنشاط الديني فى البوخيوم ، وذلك بعد احتلال دام أكثر من ٦٥٠ عاماً . وعلى الرغم من أن هذا العهد كان قصيراً إذا ما قورن بتاريخ السرابيوم فانه يجاري فى طوله معظم الكاتدرئيات . وقد كان من الممكن أن يعيش بعد الانحطاط الذى كان يمر به فى العهد الرومانى المتأخر ، كما عاش بعد الانحطاط الذى ألم به فى العصر البطلمي المتأخر ، ولكن كان هناك عدو أقوى من فساد نفس أعوانه أنفسهم . ومن أجل ذلك نجد أن هذه العبادة قد سقطت مع سائر الديانة الوطنية تحت سلطان انتشار المسيحية ، وكان أثر هذا التغير على مدنية المصريين وأخلاقهم عميقاً وباقٍ إلى أن جاء الاسلام فبدأ صفحة جديدة فى حياة مصر قلبت كل الأوضاع فى نفوس الشعب من حيث الدين واللغة ومع ذلك لا تزال آثار العادات المصرية القديمة تلعب دورها فى نفوس القوم حتى يومنا هذا على الرغم من محاربتها بكل الوسائل الممكنة مما يدل على أن الشعب كان حريصاً على عاداته وأخلاقه أمام كل التقلبات السياسية والدينية والاجتماعية ، والاقتصادية على السواء . والله الموفق لما فيه خير مصر الناهضة لإحياء تراثها المجيد فى الشرق أجمع .

فهرس الموضوعات

عصر بطليموس الخامس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

عهد بطليموس السابع إيرجيتيس الثانى

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس الصور والأشكال

الصور :

صفحة

الأشكال :

فهرس

أسماء الأعلام والبلدان والآلهة

(ب)

(ث)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ع)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(ى)

BIBLIOGRAPHY

Alliot, M. — Le Culte d'Horus à Edfu au temps des Ptolémées. Tom. I et II.

Bell, Sir H.I. — Hellenic Culture in Egypt (J.E.A. VIII, 139).

Bell, Sir H.I. — Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest (Oxford, 1948).

Beurlier F. — De divinis quos accepernut Alexder et Successones particula Prima Regimonti 1887.

Bevan, E. — A History of Egypt under the ptolemaic Dynasty. (London, 1927).

Blackman, A.M. — The Temple of Dendur (Le Caire, 1911).

Blackman, A.M. — Libations to the dead in modern Nubia and Ancient Egypt (J.E.A. III, 1916).

Botti, G. — Testi Demotici, 1941.

Bouche-Leclercq, A. — Histoire des Lagides, 4 vols. (Paris, 1903-07).

Breasted, J.H. — The Dawn of Conscience, New-London 1947.

British Museum — A guide to the Egyptian Galleries (Sculpture) (1909).

Brugch, H. — Thesaurus inscriptionum. Aegyptiacrum (1884).

Bruyère, B. — Rapport sur les fouilles de Deir-el-Medineh (1934-1935). Troisième partie : Le village. Les décharges publiques, etc. (Le Caire, 1939).

Budge. — History of Egypt.

Carnarvon and Carter. — Five Years' Exploration at Thebes, (London, 1912).

Carter, H. — Report on the tomb of Amenhotep I (J.E.A. II, 1916).

Carter, H. — A tomb prepared for Queen Hatschepsut (Annales du Serv. XXI, 1917).

Cerny, J. — La constitution d'un avoir conjugal en Egypte (Bul. IFAO, 1937).

Cerny, J. — Late Ramesside Letters (B.A. Bruxelles, 1939).

Cerny, J. — The Temple (t hwt) as an abbreviated name for the temple of Medinet-Habu (J.E.A. XXVI, 1940).

Cerny, J. — The Will of Naunakhte (J.E.A XXXI, 1945).

Chassinat, E. — Le temple de Denderah I-V.

Chassinat, E. — Le temple d'Edfu Tom. I-XIV.

Chicago In. — Medinet Habu.

Claire Préaux. — L'Economie Royale des Lagides (Bruxelles, 1939).

Claire Préaux. — Les Egyptiens dans la Civilisation Hellénistique d'Egypte « Chronique 35 (1943) p. 152 ». (148-160).

Dumas F. — Mittilungen des Deutschen Archaeologischen Instituts Abteinlurg.

Dumischen Altagyptischen Kalendarinschriften.

Dumischen Baugeschichte des Dendera tempels.

Dows Dunham — Royal cemetries of Kush I-IV (Boston Mass 1950-1957).

Dictionnaire de la civilisation Egyptienne (1960).

Diodorus of Sicily. — edited by T.E. Page, E. Capps, W.H.D. Rouse the Loeb classical Library with an English translation by C.H., Oldfather London, 1933).

Drtont E. — Médamoud, 1926.

Edgar — Zenon papyri.

Edgerton, W.F. — A clause in the marriage settlement Ae.Z. 64, 1029).

Edgerton, W.F. — Notes on Egyptian Marriage chiefly in the ptolemaic period, Chicago, 1931.

Edgerton, W.F. — Report on the Graffiti at Medinet-Habu (A.J.S. S.L.L. 50, 1934)

Erichsen, W. — Demotische Lesestucke (Leipzig, 1937-1939).

Erichsen, W. — Ein demotischer Ehevertrag aus Elephantine, (Berlin, 1939).

Erman-Grapow. — Worterbuch der Aegyptischen Sprache (Leipzig, 1926-1931).

Fisher, C.S. — A group of Theban Tombs. Work of the Eckley B. Coxe Jr. Expedition in Egypt University of Pennsylvania Museum Journal) Philadelphia, 1924.

Fritz Hintze — Studien zeir Meroitischen Chronologie und zu Den opertafeln aus Den Pyramiden von Meroe (1959).

Foucart, G. — Etudes Thébaines (Bul. IFAO, 1924, pp. 1-209).

Frankfort — Ancient Egyptian Religion, 1948.

Gardiner, Sir A.H. — The Inscription of Mes (U.G.A.A. IV, 3, 1905).

Gardiner, Sir A.H. — Four Papyri of the XVIIIth Dynasty from Kahun (AeZ. XLII, 1956).

Gardiner, A.H. and Sethe, K. — Egyptian Letters to the Dead (London, 1928).

Gardiner, Sir A.H. — A Lawsuit arising from the purchase of two slaves (J.E.A. XXI, 1935).

Gardiner, Sir A.H. — Adoption Extraordinary (J.E.A. XXVI, 1940).

Gardiner, Si. A.H. — Ramesside texts relating to the taxation and transport of corn (J.E.A. XXVII, 1941).

Gardiner, Sir A.H. — Ancient Egyptian Onomastica (Oxford, 1947).

Gauthier et Sottas, — un Décret Trilingue en l'honneur de Ptolémé IV.

Gennep V. — L'Etat actuel du Problème Totemaique, Paris 1922.

Glanville S.R.K. — (editor) Studies Presented to F. Ll. Griffith, (Oxtord, 1932).

Glanville S.R.K. (Catalogue of the Demotic Papyri in the British Museum, 1939)

Glanville SR.K. — (editor) The Legacy of Egypt, Oxford, 1943.

Glanvile S.A.K. — Notes on Demotic Papyrus from Thebes (B.M. 1002). (Essays and Studies presented to Stanley Arthur Cook in COS No. 2.

Goodneough. — The Jurisprudence of the Jewish Courts in Egypt. (New Haven, 1929).

Gradenwitz — Eine Erbstreit aus dem Ptolemaischen Aegypten.

Grenfell, B.P., and Hunt, A.S. — The Tebtunit Papyri.

Griffith — The inscription of Sint and Der Refeh.

Griffith, F.L.I. — The Petrie Papyri, Hieratic papyri from Kahun and Gurab London, 1898).

Griffith, F.L.I. — The Stories of the High Priests of Memphis (Oxford, 1900).

Griffith, F.L.I. — Catalogue of the Demotic Papyri in the ohn Rylands Library (Manchester, 1909).

Griffith, F.L.I. — The Earliest Marriage Contracts (P.S.B.A. XXXI, 1909).

Griffith, F.L.I. and Thompson, Sir H. — The Demotic Magical Papyrus of London and Leiden, London, 1904, (Oxford, 1921).

Griffith, F.L.I. — Catalogue of the Demotic graffiti of the Dodecaschoenus, (Oxford, 1935-1937).

Griffith, F.L.I. — 'Marriag', (Enc. of Religion and Ethics, Vol. VIII, p. 443).

Griffith, F.L.I. — The Adler Papyri (Oxford, 1939).

Gunn, B. — The Religion of the Poor in Ancient Egypt (J.E.A. III).

Herodotus. — Book I-IV with English translation by A.D. Godley (Loeb, Class. Libr.).

Holscher, U. — Excavations al Medinet-Habu (C.O.I.C. vols, 5, 7, 10, 15, etc.).

Holscher, U — The Excavation of Medinet-Habu, Ch.Or. Inst. • Publ. XXI, 1934.

Hopfner, — Tierkult der Alten Aegypten.

Hughes, G.R. and Nims, h. F. — Some observations of the B.M. demotic Theben archive A.J.S.L. LVII, 1940).

Jerome — Select letters.

Johns, C.H.W. — Babylonian and Assyrian Laws, Contracts and Letters, Edinburgh, 1904.

Josephus — 9 vols. Ed. Leob. Instin.

Jouguet — L'Egypte ptolémaïque.

Junker, H. — Papyrus Lonsdorfer I, Wien, 1921.

Junker, H. — Der Berecht Strabos uber den heilegen ..iken von Philae in Lecht der Aegyptischen Quéllen W. Z. KM, 26 (1912) 42-46.

Krall, J. — Stud Z. Gesch. d. Alt. Aegypt.

Kees, H. — Apotheosis by drowning (Stud. Present. to Griffith, p. 402) London, 1932.

Kuentz, Ch. — Quelques monuments du Culte de Sobek (Bul. IFAO, 1929).

Lacau, M. — Un graffite Egyptien d'Abydos ecrit en lettre Grecque.

Lexa, F. — Grammaire Demotique (Praha 1949).

Leemanys — Aegyptische Mon. (Leyden).

Lepsius, C.R. — Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien.

Macadam. — The Temples of Kawa I-IV.

Manetho. — Transl. by W.G. Waddell (Loeb Class. Libr. 1940).

Mahaffy, J.P. — The Empire of the Ptolemus.

Mariette, A. — Deir-el-Bahri, documents topographiques recueillis dans ce temps, etc. (Leipzig, 1877).

Mariette, A. — Serapeum de Memphis, Paris 1859.

Mariette A. — Denderah, Tome IIV.

Mattha, G. — Demotic Ostraca, Le Caire, 1945.

Mattha, G. — The Legal Code of Hermopolis (Bul. Inst. d'Egypte, XXIII).

Mizraim, D. — The codification of the Egyptian Laws.

Meyer, P.M. — Das Heerwesen und Römer in Egypten. Leipzig 1900.

Moller, G. — Zwei aegyptische Ehevertrage aus vorsaltischer Zeit, (1918).

Moret, A. — Le rituel du culte divin journalier en Egypte.

Murray, M. — The Cult of the Drowned in Egypt (ÀeZ. 51).

Morgan de — Ombos.

Naville, E — The Store-city of Pithon.

Niese, B. — Geschichte der Greechischen und Madedonische Stuaten seit der Schlacht bei haeronea Bd. I-II, Gotha, 1893-189٩.

Nims, Charles F. — Notes on University of Michigan Demotic papyri from Philadelphia (J.E.A. XXIV), 1938.

Northampton, Spiegelberg and Newberry. — Report on some excavations in the Theban Necropolis (London, 1908).

Peet, T.E. — The Great Tomb robberies of the twentieth Egyptian Dynasty (Oxford, 1930).

Otto W. — Priester und Tempel in Hellinist Aegypten.

Petrie Sir F. — Memphis .

Petrie, Sir F. — Memphis I (London, 1909).

Petrie, Sir F. — Qurneh (London, 1909).

Pirenne, J. — Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'ancienne Egypte, 4 vols, Bruxelles, 1932-1935.

Pirenne, J. and Van de Walle, B. — Documents Juridiques Egyptiens (A.H.D.O. Tome 1, Bruxelles, 1937).

Pirenne, J. — L'Ecrit pour argent et l'écrit de cession dans l'ancien droit égyptien (R.I.D.A. Tome 1er), Bruxelles, 1948.

Plaumann, P. — Die Demotischen und griechishen Eponymendatierungen (Ae.Z. 50) 1912.

Plutarch — 14 vol. Loeb Ed.

Plutarch — Polybius W.R. Patron 6 vols. Loeb Ed.

Plaumann, G. — 'Hieris' (Pauly's Real-Encyclopadie der Classischen (Altertumswissenschaft).

Porter, B. and Moss, R. — Topographical bibliography of Ancient Egyptian hieroglyphic texts, reliefs and paintings, (1927-1951 in 7 vols.

Ranke, H. — Die Aegyptischen Personennamen (Gluckstadt, 1935).

Reich, N.J. — Demotische und Grielechische Texte auf Mumientafelchen (Leipzig, 1908).

Reich, N.J. — Papyri Juristischen Inhalts ni Hieratischer und Demotischer Schrift aus dem British Museum (Wien, 1914).

Reich, N.J. — A notary of Ancient Thebes (Mus. Jour. Philadelphia, 1923).

Reich, N.J. — Marriage and Divorce in Ancient Egypt (Mus. Jour. Philadephia. 1924).

Reich, N.J. — New Documents from the Serapeum of Memphis MIZ. I, 1933).

Reich, N.J. — Witness, Contract, Copies (MIZ. III, 31-50), 1936.

Reinach, Th. — Papyrus grecs et démotiques (Paris, 1905).

Revillout, E. — Nouvelle Chrestomathie Démotique (Paris, 1878).

Revillout, E. — Données Géographiques et Topographiques sur Thèbes (Rev. Eg. I, 1880).

Revillout, E. — Chrestomathie Demotique (Paris, 1880).

Revillout, E. — Les obligations en Droit Egyptien comparé aux autres droits de l'antiquité Paris, 1886).

Revillout, E. — Mélanges sur la Métrologie, l'économie politique et l'histoire de l'Ancienne Egypte (Paris, 1895).

Revillout, E. — Notice des Papyrus Démotiques Archaiques et autres textes juridiques, etc. (Paris, 1896).

Revillout, E. — Précis du Droit Egyptien comparé aux autres droits de l'antiquité (Paris, 1899-1903).

Revillout, E. — Le procès d'Hermias d'après les documents démotiques et grecs (Paris, 1882-1903).

Revillout, E. — La femme dans l'antiquité (Jour. Asiat., Vol. 7) Paris, 1906.

Revillout, E. — Origines égyptiennes du droit civil romain, (Paris 1912).

Roeder — Die Aegyptische Gotterwelt.

Roeder — Les Temples emmergés de la Nubie, Daboud bis Bab Kalabsche.

Rostovtzeff. — Social and Economic History of the Hellenistic World, 3 vols. (Oxford, 1941).

Rowe, A. — Newly-identified Monuments in the Egyptian Museum showing the Deification of the Dead (Ann. du Serv. XL).

Seidl, E. — Demotische Urkudenlehre nach den fruhptolemaischen Texten (Munch. Beitr. X. Papyrusforschung und Rechtsgeschiste Heft 27, 1937).

Seidl, E. — Die Teilungsschrift (M.D.U. Kairo, Band 8/1939).

Seidl, E. — Ptolemaische Rechtsgeschichte.

Seidl, E. Das Erloschen der Obligation im Ptolemaischen Recht (Napoli, 1948).

Sethe, K. — Hieroglyphische Urkunden der Griechische — romischen Zeit in urkunden des Aegyptischen Altertums II Leipzig 1904.

Seth, K. — Sarapis.

Sethe, K. — Aegyptische Inscnrift auf den Kauf eines Hauses aus dem alten Reich (Leipzig, 1911).

Sethe, K. and Partsch, J. — Demotische Urkunden zum Aegyptischen Burgschaftsrechte vorzuglich der Ptolemaerzeit (Leipzig, 1920).

Sethe, K. — Amun und die acht Urgotter von Hermopolis (Berlin, 1929).

Siculus, Diodorus — Loeb Classical Library.

Spiegelberg — Sitzungsberechte der bayerischen Akademie der Wissenschaften, Philospoh. Philog und histor. Klasse 1925. Beitrage zur Erklaung neuen dreisprachigen Priesterdck retes zur Ehren des Ptolemais Philopator.

Spiegelberg, W. — Zwei Beitrage zur Geschichte und Topographie der Thebanischen Necropolis im Neuen Reich (Strassburg, 1898).

Spiegelberg, W. — Aegyptische und Griechische Eigennamen (Leipzig, 1910).

Spiegelberg, W. — Die Demotischen Papyrus der Strassburger Bibliothek (Strassburg, 1902).

Spiegelberg, W. — Demotischen Papyrus aus den Koniglichen Museen zu Berlin (Leipzig, 1902).

Spiegelberg, W. — Der Papyrus Libbey (Strassburg, 1907).

Spiegelberg, W. — Die Demotischen Papyrus der Musées Royaux du Cinquantenaire (Bruxelles, 1909).

Spiegelberg, W. — Die Demotischen Papyri Hawswaldt ... aus Apollinopuolis "Edfu" (Leipzig, 1913).

Spiegelberg, W. — Die Sogennante Demotische Chronik (Leipzig. 1914).

Spiegelberg, W. — Demotische Papyri (Veroffentlichungen aus den badischen Papyrus Sammlungen)· Heidelberg, 1923.

Spiegelberg, W. — Demotische Grammatik (Heildelberg, 1925).

Spiegelberg, W. — Die Demotischen Papyri Loeb (Munich, 1931).

Spiegelberg, W. — Die Demotischen Denkmaler (Cairo Cat. Gen). 3 vols., 1904-1908, 1932.

Spiegelberg, W. — La Littérature Démotique (Chronique No. 15, 1933).

Sottas, H. — Papyrus Démotiques de Lille (Paris, 1921).

Strabo — Geography 8 vols. Leob. Ed.

Stack, M.L. — Die Dynastie der Ptolemaer 1894.

Tarn, W.W. — Hellenistic Civilisation, 3rd ed. (London, 1941).

Taubenschlag, R. — The law of Greco-Roman Egypt in the light of Papyri. Second Ed. (1955).

Thompson, Sir H. — Theban Ostraca, (1913).

Thompson, Sir H. — Eponymous Priests under the Ptolemies (Studies presented o Griffith), London, 1932.

Thompson, Sir H. — Note on t hyr.t in boundaries of Ptolemaic conveyances of Land (J.E.A. XXIII).

Taubenschlag, R. — The Law of Greco-Roman Egypt in the Light of the Papyri: Vol. II, Warsaw, 1948. Vol I, (New York, 1944).

Weigall — A Report on the Antiquities of Nubia.

Wilkinson, Sir J.G. — Modern Egypt and Thebes, 2 vols., (London, 1843).

Wilkinson, Sir J.G. — The Manners and Customs of the Ancient Egyptians, 3 vols. (London, 1878).

Winlock, H.E. — Excavations at Thebes (Bul. M.M.A., 1922).

PERIODICALS

Aegyptus — Rivista italiana di egittologia e di papirologia (Milano).

A.S. — Service des Antiquités Annales (Le Caire).

A.J.S.L.L. — American Journal of Semitic Languages and Literatures (Chicago).

A.Z. — Zeitschrift fur aegyptische Sprache und Altertumskunde (Leipzig).

A.H.D.O. — Archives d'Histoire du Droit Oriental (Bruxelles).

Bul. Inst. d'Egypte — Bulletin de l'Institut d'Egypte (Le Caire).

Bul. IFAO — Bulletin Institut Français d'Archéologie Orienale (Le Caire).

C.A.H. — Cambridge Ancient History. Vol. V.

Cat. Gen. — Catalogue Général du Musée du Caire.

C.O.I.C. — Chicago Oriental Institute Communications (Chicago).

Chronique — Chronique d'Egypte (Bruxelles).

Demotica I and II,(Munchen, (1925-1928).

J.E.A. — Journal of Egyptian Archaeology (London).

J.H.S. — Journal of Hellenic Studies (London).

J.N.E.S. — Journal of Near Eastern Studies (Chicago).

MIZ. — MIZRAIM, Journal of papyrology, Egyptology, history of Ancient Laws and their relations to the civilisations of Bible Lands, Edited by Nathaniel Julius Reich, V. (IIIX) 1933-1938 New York.

M.D.I.—Mitteilungen des Deutschen Instituts fur Aegyptische Altertumskunde, Cairo.

Mus Jour. — Museum Journal University of Pennsylvania (Philadelphia).

P.S.B.A. — Proceedings of the Society of Biblical Archaeology (London).

Rec. Trav. — Recueil de Travaux relatifs à la philologie et à l'archeologie Egyptiennes et Assyriennes (Paris).

Rev. Egypt. — Revue Egyptologique (Paris).

T.S.B.A. — Transactions of the Society of Biblical Archaeology (London).

كتب للمؤلف

بالعربية :

(١) مصر القديمة : الجزء الأول فى عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية العهد الاهناسى .

(٢) مصر القديمة : الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الاهناسى .

(٣) مصر القديمة : الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الآسيوية ولوبيا .

(٤) مصر القديمة : الجزء الرابع فى عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية

(٥) مصر القديمة : الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها وأول عقيدة للتوحيد بالله .

(٦) مصر القديمة : الجزء السادس فى عصر رعمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية .

(٧) مصر القديمة : الجزء السابع فى مرنبتاح ورعمسيس الثالث .

(٨) مصر القديمة : الجزء الثامن فى نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة فى طيبة فى عهد الأسرة الواحدة والعشرين .

(٩) مصر القديمة : الجزء التاسع فى نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الأثيوبى ولمحة فى تاريخ العبرانيين .

(١٠) مصر القديمة : الجزء العاشر فى تاريخ السودان المقارن إلى أوائل عهد بيعنخى .

(١١) مصر القديمة : الجزء الحادى عشر تاريخ مصر والسودان من أول عهد بيعنخى إلى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ولمحة فى تاريخ آشور .

(١٢) مصر القديمة : الجزء الثانى عشر فى عهد النهضة المصرية ولمحة فى تاريخ الإغريق .

(١٣) مصر القديمة : من عهد الفرس إلى دخول الاسكندر الأكبر ولمحة فى تاريخ السودان فى ذلك العهد ونبذة فى تاريخ الفرس وقناة السويس قديماً .

(١٤) مصر القديمة : عهد الإسكندر الأكبر وبطليموس الأول والثانى .

(١٥) مصر القديمة : من أواخر عهد بطليموس الثانى إلى آخر عهد بطليموس الرابع .

(١٦) جغرافية مصر القديمة : (محلاة بإحدى وأربعين خريطة) .

(١٧) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .

(١٨) الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة : الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .

بالفرنسية :

Hymnes Religieux du Moyen Empire — 199 pages, 1923, Le Caire.

Le Poème dit le Pantaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh, 162 plates. Université Egyptienne. Faculté des Lettres, (1929, Le Caire).

Le Sphinx à la Lumière des Fouilles Récentes.

بالانجليزية :

"Excavations at Giza", Vol. I, (1929-1930) ; 119 pages, 81 plates, 187 Illustrations in the Text Plan (Oxford 1932).

"Excavations at Giza", Vol. II, (1930-1931); 225 pages, 83 plates, 251 Illustrations in the Text 2 Plans (Cairo 1936).

"Excavations at Giza», Vol. III, (1931-1932); 229 pages, 71 Plates, 227 Illustrations in the Text, 2 Plans, (Cairo, 1941).

"Excavations at Giza", Vol. IV, (1932-1933); 218 pages, 62 Plates, 159 Illustrations in the Text, 3 Plans, (Fourth Pyramid), (Cairo, 1943).

"Excavations at Giza", Vol. V, (1933-1934); 325 pages, 79 Plates, (3 coloured), 169 Illustrations in the Text, 2 Plans, (Cairo, 1944).

"Excavations at Giza", Vol. VI. Part I. "The Solar Boats", (1934-1935, Cairo, 1947).

"Excavations at Giza", Vol. VI, Part II, "The Offering-List in the Old Kingdom", 504 pages, 174 Plates, and numerous illustrations in the Text, (Cairo 1948).

"Excavations at Giza", Vol. VI Part III, Description of the Mastabas and their Contents (1936-1939).

"Excavations at Giza", Vol. VII, (1935-1936).

"Excavations at Giza", Vol. VIII, "The Great Sphinx and its Secrets" (1936-1937), (Cairo, 1954).

"Excavations at Giza", Vol. IX.

"Excavations at Giza", Vol. X, (In Print).

"Excavations at Saqqara", Vol. I, (In Print).

"Excavations at Saqqara", Vol. II, (In Print).

"Excavations at Saqqara", Vol. III, (In Print).

"The Sphinx. Its History in the light of Recent Excavations."

Lights on Ancient Egypt, 1960.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٤/٢٥٤٠

ISBN 977- 01- 3692-1